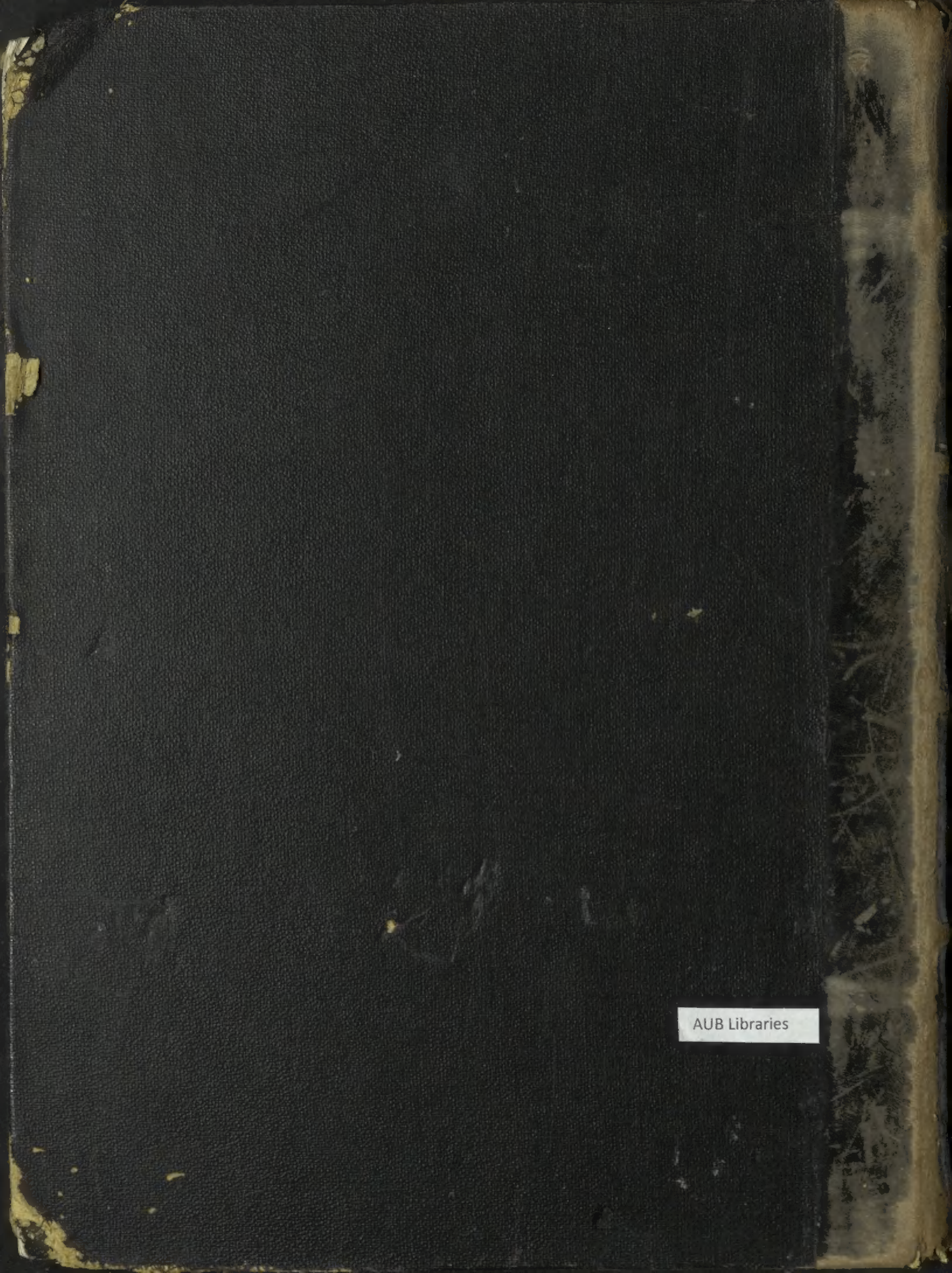
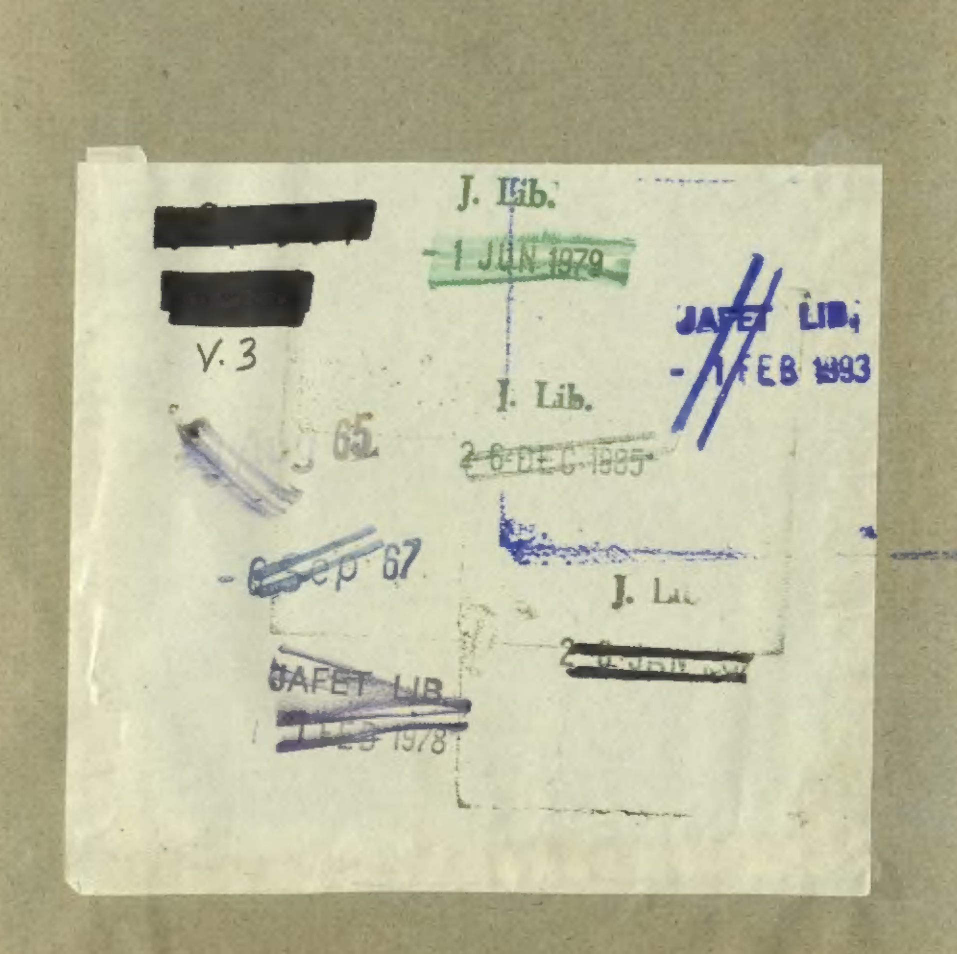
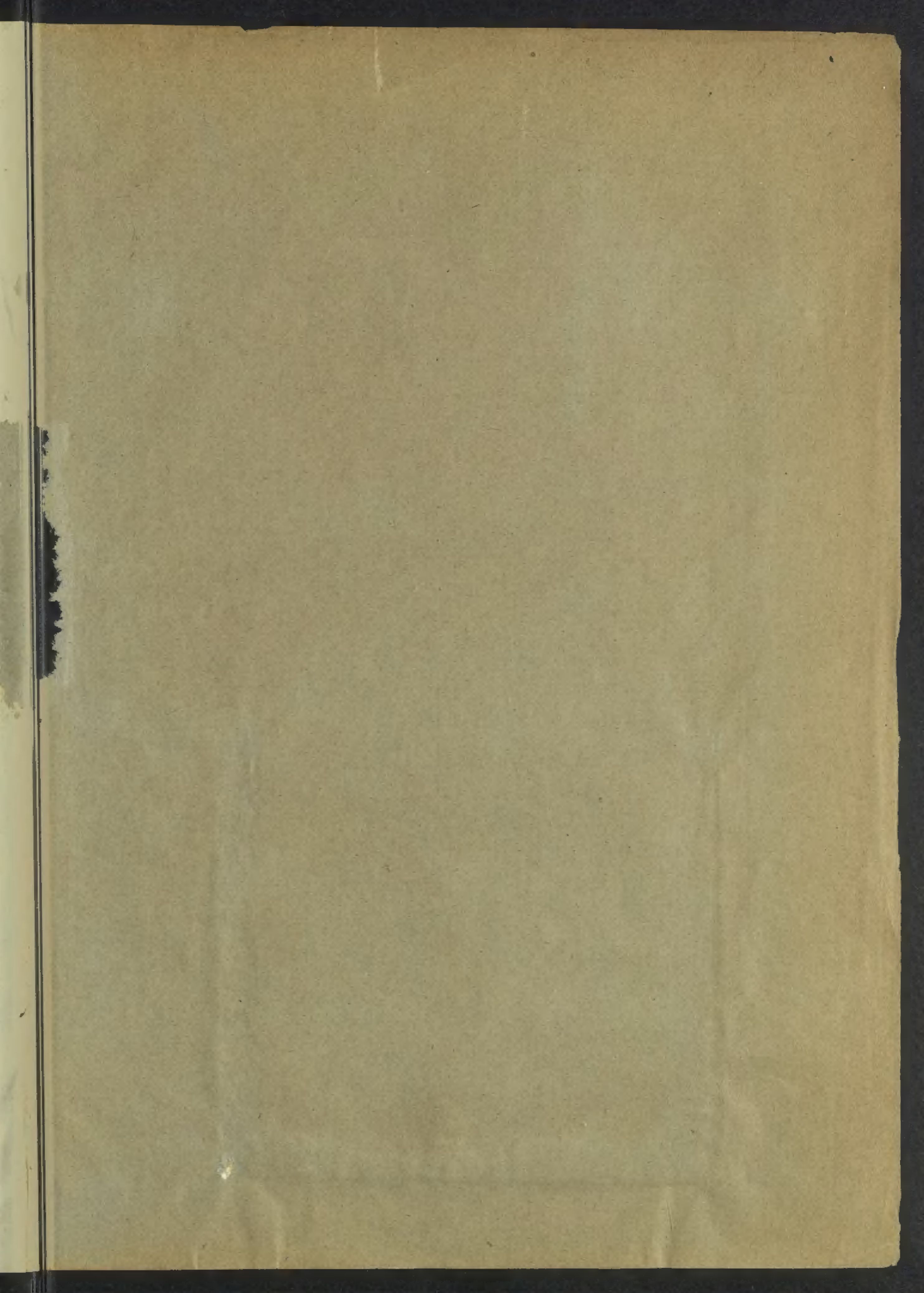


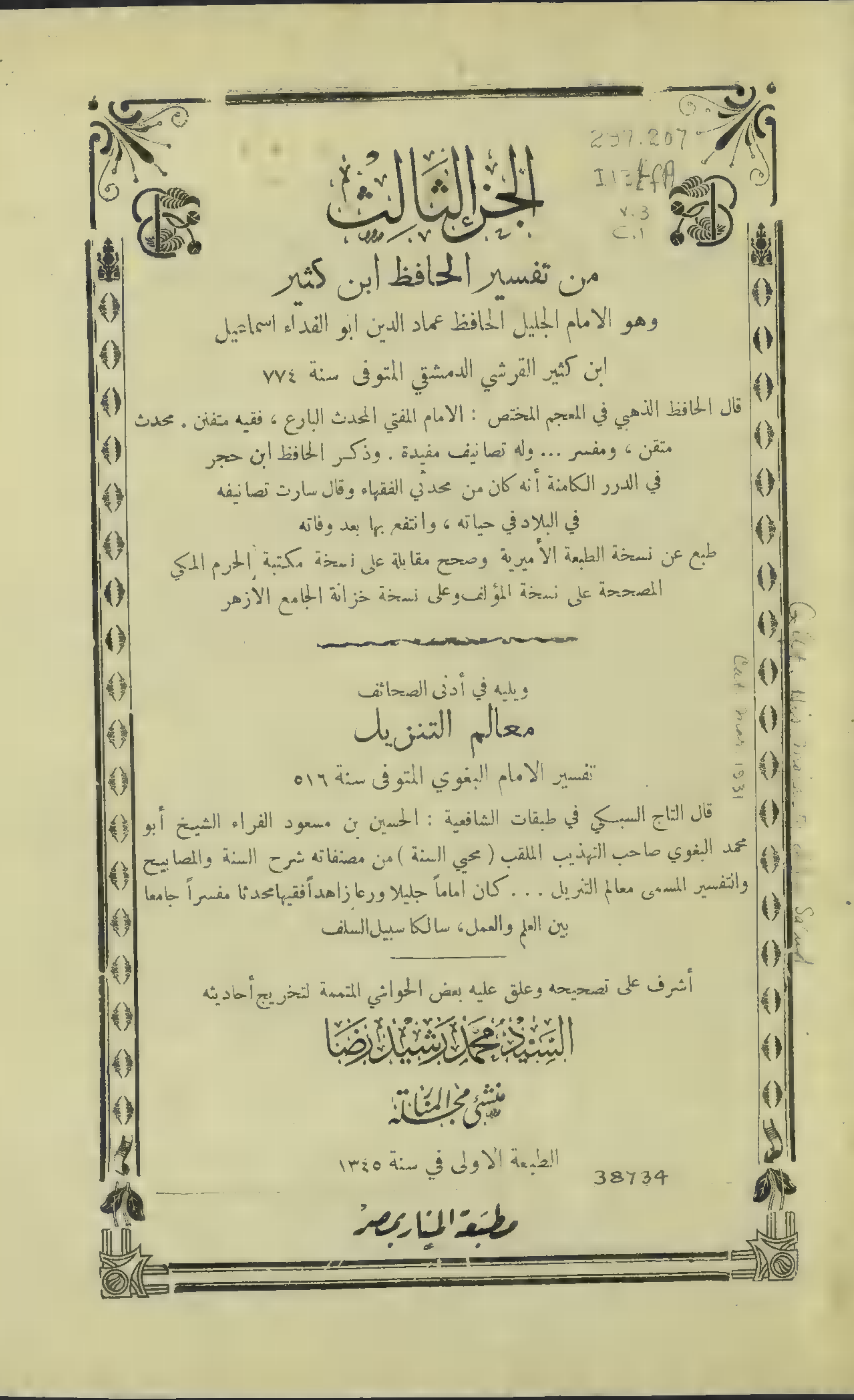






﴿ فهرس المسائل المهمة في الجزء الثالث من تفسيري ابن كثير والبغوي ﴾

تم والحمد لله



الجزء الثالث

من تفسير الحافظ ابن كثير

وهو الامام الجليل الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل

ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤

قال الحافظ الذهبي في المعجم المختص : الامام المفتي المحدث البارع ، فقيه متفنن . محدث متقن ، ومفسر ... وله تصانيف مفيدة . وذكر الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة أنه كان من محدثي الفقهاء وقال سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها بعد وفاته

طبع عن نسخة الطبعة الأميرية وصحح مقابلة على نسخة مكتبة الحرم المكي المصححة على نسخة المؤلف وعلى نسخة خزانة الجامع الازهر

ويليه في أدنى الصحائف

معالم التنزيل

تفسير الامام البغوي المتوفى سنة ٥١٦

قال التاج السبكي في طبقات الشافعية : الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب (محيي السنة) من مصنفاته شرح السنة والمصابيح والتفسير المسمى معالم التنزيل . . . كان اماماً جليلا ورعاً زاهداً فقيها محدثا مفسراً جامعا بين العلم والعمل ، سالكا سبيل السلف

أشرف على تصحيحه وعلق عليه بعض الحواشي المتممة لتخريج أحاديثه

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٥

مطبعة المنار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المجلد الثالث من تفسير الحافظ ابن كثير ﴾

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٧)

إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (١٤٨)

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية يقول لايحب الله أن يدعو أحد على أحد الا أن يكون مظلوما فانه قد ارخص له أن يدعو على من ظلمه وذلك قوله (الا من ظلم) وان صبر فهو خير له وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا سفيان عن حبيب عن عطاء عن عائشة قال سرق لها شيء فجعلت تدعو عليه فقال النبي ﷺ « ألا تسبخ عنه » وقال الحسن البصري لا يدع عليه وليقل اللهم اعني عليه واستخرج حقي منه وفي روايه عنه قال قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه من غير ان يتعدى عليه وقال عبد الكريم بن مالك الجزري في هذه الآية هو

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المجلد الثالث من تفسير ناصر السنة البغوي ﴾

قوله ﴿ لايحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ﴾ يعنى لايحب الله الجهر بالقبيح من القول الا من ظلم فيجوز للمظلوم أن يخبر عن ظلم الظالم وان يدعو عليه قال الله تعالى (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل) قال الحسن دعاؤه عليه ان يقول اللهم أعنّي عليه اللهم استخرج حقي منه وقيل ان شتم جاز أن يشتم بمثله لايزيد عليه أخبرنا أبو عبد الله الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهرى انا أحمد بن علي الكشميهنى انا على بن حجر انا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال «المستبان ماقالا فعلى البادىء منهما حتى يعتدي المظلوم » وقال مجاهد هذا في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان

الرجل يشتمك فتشتمه ولكن ان افترى عليك فلا تفتر عليه لقوله (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل) وقال أبو داود حدثنا القعنبي حدثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « المستبّان ماقالا فعلى البادئ منهما مالم يعتد المظلوم » وقال عبد الرزاق أنبأنا المثنى بن الصباح عن مجاهد في قوله (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) قال ضاف رجل رجلا فلم يؤد اليه حق ضيافته فلما خرج أخبر الناس فقال ضفت فلانا فلم يؤد الي حق ضيافتي قال فذلك الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم حتى يؤدي الآخر اليه حق ضيافته وقال ابن اسحق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) قال : قال هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج فيقول أساء ضيافتي ولم يحسن وفي رواية هو الضيف المحول رحله فانه يجهر لصاحبه بالسوء من القول وكذا روى عن غير واحد عن مجاهد نحو هذا وقد روى الجماعة سوى النسائي والترمذي من طريق الليث بن سعد والترمذي من حديث ابن لهيعة كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير مرثد بن عبد الله عن عقبة بن عامر قال قلنا يارسول الله انك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقرونا فما ترى في ذلك؟ فقال «اذا نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا منهم وان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم » وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت أبا الجودي يحدث عن سعيد بن المهاجر عن المقدام بن أبي كريمة عن النبي ﷺ انه قال « أيما مسلم ضاف قوما فأصبح الضيف محروما فان حقا على كل مسلم نصره حتى يأخذ بقرى ليلته من زرعه وماله» تفرد به احمد من هذا الوجه

وقال احمد أيضا حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن منصور عن الشعبي عن المقدام بن أبي كريمة سمع رسول الله ﷺ يقول « ليلة الضيف واجبة على كل مسلم فان أصبح بفنائه محروما كان دينا عليه فان شاء اقتضاه وان شاء تركه» ثم رواه أيضا عن غندر عن شعبة . وعن زياد بن عبد الله البكائي عن وكيع وأبي نعيم عن سفيان الثوري ثلاثتهم عن منصور به ، وكذا رواه أبو داود من حديث أبي عوانة عن منصور به . ومن هذه الأحاديث وأمثالها ذهب احمد وغيره الى وجوب الضيافة ومن

يشكو ويذكر ماصنع به أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل انا قتيبة بن سعيد انا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة ابن عامر انه قال قلنا يارسول الله انك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقرونا فما ترى فقال لنا رسول الله ﷺ « ان نزلتم بقوم فأمر والكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا فان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذى ينبغي لهم » وقرأ الضحاك بن مزاحم وزيد بن أسلم (إلا من ظَلَم) بفتح الظاء واللام معناه لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول وقيل معناه لايحب الله الجهر بالسوء من القول لكن يجهر من ظلم والقراءة الاولى هي المعروفة ﴿ وكان الله سميعا ﴾ لدعاء المظلوم ﴿ عليما ﴾ بعقاب الظالم

هذا القبيل الحديث الذى رواه الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة ان رجلا أتى النبي ﷺ فقال : ان لى جارا يؤذيني فقال له: «أخرج متاعك فضعه على الطريق » فأخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق فكل من مر به قال : مالك ؟ قال جارى يؤذيني فيقول اللهم العنه اللهم أخزه قال : فقال الرجل ارجع الى منزلك والله لا أوذيك أبدا ، وقد رواه أبو داود في كتاب الأدب عن أبي توبة الربيع عن نافع عن سليمان ابن حيان أبي خالد الاحمر عن محمد بن عجلان به ثم قال البزار : لا نعلمه يروى عن أبي هريرة الا بهذا الاسناد ورواه أبو جحيفة وهب بن عبد الله عن النبي ﷺ ويوسف بن عبد الله بن سلام عن النبي ﷺ وقوله :(ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا) أى ان تظهروا أيها الناس خيرا أو اخفيتموه أو عفوتم عمن أساء اليكم فان ذلك مما يقربكم عند الله ويجزل ثوابكم لديه فان من صفاته تعالى ان يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم ولهذا قال : (فان الله كان عفوا قديرا) ولهذا ورد في الأثر أن حملة العرش يسبحون الله فيقول بعضهم سبحانك على حلمك بعد علمك ويقول بعضهم سبحانك على عفوك بعد قدرتك ، وفي الحديث الصحيح «مانقص مال من صدقة ولا زاد الله عبداً بعفو إلا عزا ومن تواضع لله رفعه »

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٤٩) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ مَرَّتَيْنِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً(١٥١)

يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى حيث فرقوا بين الله ورسله في الايمان فآمنوا ببعض الانبياء وكفروا ببعض بمجرد التشهي والعادة وما ألفوا عليه آباءهم لا عن

قوله تعالى﴿ إن تبدوا خيراً﴾ يعني حسنة فيعمل بها كتبت له عشراً، وان هم بها ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة وهو قوله ﴿ أو تخفوه ﴾ وقيل المراد من الخير المال يريد ان تبدوا صدقة تعطونها سرا ﴿ او تعفوا عن سوء ﴾ أى عن مظلمة ﴿ فان الله كان عفوا قديرا ﴾ فهو أولي بالتجاوز عنكم يوم القيامة

قوله عز وجل﴿ ان الذين يكفرون بالله ورسله ﴾ الآية نزلت في اليهود وذلك انهم آمنوا بموسى عليه السلام والتوراة وعزير وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد والقرآن ﴿ ويريدون ان يفرقوا بين

دليل قادهم الى ذلك فانه لا سبيل لهم الى ذلك بل بمجرد الهوى والعصبية فاليهود عليهم لعائن الله آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ . والسامرة لايؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى بن عمران ء والمجوس يقال انهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له زرادشت ثم كفروا بشرعه فرفع من بين أظهرهم والله أعلم . والمقصود ان من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء فان الايمان واجب بكل نبي بعثه الله الى أهل الارض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين ان إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانا شرعيا إنما هو عن غرض وهوى وعصبية ولهذا قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله) فوسمهم بأنهم كفار بالله ورسله (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله) أى في الايمان (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) أى طريقا ومسلكا ثم أخبر تعالى عنهم فقال : (أولئك هم الكافرون حقا) أى كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الايمان به لأنه ليس شرعيا إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله لآمنوا بنظيره وبمن هو أوضح دليلا وأقوى برهانا منه لو نظروا حق النظر في نبوته وقوله (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) أى كما استهانوا بمن كفروا به إما لعدم نظرهم فيما جاءهم به من الله وإعراضهم عنه وإقبالهم على جمع حطام الدنيا مما لا ضرورة بهم اليه وإما بكفرهم به بعد علمهم بنبوته كما كان يفعله كثير من أحبار اليهود فى زمان رسول الله ﷺ حيث حسدوه على ما آتاه الله من النبوة العظيمة وخالفوه وكذبوه وعادوه وقاتلوه فسلط الله عليهم الذل الدنيوي الموصول بالذل الاخروي (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله في الدنيا والآخرة) وقوله : (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) يعني بذلك أمة محمد ﷺ فأنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي بعثه الله كما قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل من ربه والمؤمنون كل آمن بالله) الآية . ثم أخبر تعالى بأنه قد أعد لهم الجزاء الجزيل والثواب الجليل والعطاء الجميل فقال (أولئك سوف يؤتيهم أجورهم) على ما آمنوا بالله ورسله (وكان الله غفورا رحيما) أي لذنوبهم أي ان كان لبعضهم ذنوب

الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا ﴾ أي دينا بين اليهودية والاسلام ومذهبا يذهبون اليه ﴿ اولئك هم الكافرون حقا ﴾ حقق كفرهم ليعلم ان الكفر ببعضهم كالكفر بجميعهم ﴿ وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا. والذين آمنوا بالله ورسله ﴾ كلهم ﴿ ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴾ يعنى بين الرسل وهم المؤمنون يقولون لا نفرق بين أحد من رسله ﴿ أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ﴾ بايمانهم بالله وكتبه ورسله قرأ حفص عن عاصم يؤتيهم بالياء أى يؤتيهم الله والباقون بالنون ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾

يسألك أهل الكتب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا (١٥٢) ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لاتعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا (١٥٣)

قال محمد بن كعب القرظي والسدى وقتادة : سأل اليهود رسول الله ﷺ ان ينزل عليهم كتابا من السماء كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة قال ابن جريج : سألوه ان ينزل عليهم صحفا من الله مكتوبة الى فلان وفلان وفلان بتصديقه فيما جاءهم به وهذا إنما قالوه على سبيل التعنت والعناد والكفر والالحاد كما سأل كفار قريش قبلهم نظير ذلك كما هو مذكور في سورة سبحان (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) الآيات ولهذا قال تعالى (فقد سألوا موسي أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) أى بطغيانهم وبغيهم وعتوهم وعنادهم وهذا مفسر في سورة البقرة حيث يقول تعالى (وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقةوأنتم تنظرون * ثم بعثنا كم من بعدموتكم لعلكم تشكرون)وقوله تعالى (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) أى من بعد ما رأوا من الآيات الباهرة والأدلة القاهرة على يد موسى عليه السلام في بلاد مصر ما كان من اهلاك عدو الله فرعون وجميع جنوده في اليم فما جاوزوه إلا يسيرا حتي أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا لموسى (اجعل لنا آلها كما لهم آلهة) الآيتين ثم ذكر تعالى قصة اتخاذهم العجل مبسوطة في سورة الاعراف وفي سورة طه بعد ذهاب موسى الى مناجاة الله عز وجل ثم لما رجع وكان ما كان جعل الله توبتهم من الذي صنعوه وابتدعوه ان يقتل من لم يعبد العجل منهم من عبده فجعل يقتل بعضهم بعضا ، ثم أحياهم الله عز وجل وقال الله تعالى

قوله تعالى ﴿يسألك أهل الكتاب﴾ الآية وذلك ان كعب بن الاشراف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله ﷺ ان كنت نبيا فأتنا بكتاب جملة من السماء كما أتي به موسى عليه السلام فأنزل الله عليه : يسألك أهل الكتاب ﴿ ان تنزل عليهم كتابا من السماء ﴾ وكان هذا السؤال منهم سؤال تحكم واقتراح لا سؤال انقياد والله تعالى لاينزل الآيات على اقتراح العباد قوله ﴿ فقد سألوا موسى اكبر من ذلك ﴾ أى أعظم من ذلك يعنى السبعين الذين خرج بهم موسى عليه السلام الى الجبل ﴿ فقالوا أرنا الله جهرة ﴾ أى عيانا قال أبو عبيدة معناه قالوا جهرة أرنا الله ﴿ فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل ﴾ يعني الها ﴿ من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك ﴾ ولم نستأصلهم قيل هذا استدعاء الى التوبة معناه ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا أنتم حتى نعفو عنكم ﴿ وآتينا موسى سلطانا

(فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا) ثم قال (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) وذلك حين امتنعوا من الالتزام بأحكام التوراة وظهر منهم إباء على ماجاءهم به موسى عليه السلام، رفع الله على رءوسهم جبلا، ثم ألزموا فالتزموا وسجدوا وجعلوا ينظرون الى فوق رءوسهم خشية أن يسقط عليهم كما قال تعالى (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة) الآية (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) أي فخالفوا ما أمروا به من القول والفعل فانهم أمروا أن يدخلوا باب بيت القدس سجدا ، وهم يقولون حطة . أي اللهم حط عنا ذنوبنا في تركنا الجهاد ونكولنا عنه حتى تهنا في التيه أربعين سنة فدخلوا يزحفون على استاههم ، وهم يقولون حنطة في شعرة (وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) أي وصيناهم بحفظ السبت والتزام ما حرم الله عليهم مادام مشروعا لهم (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أي شديدا ، فخالفوا وعصوا وتحيلوا على ارتكاب ماحرم الله عز وجل ، كما هو مبسوط في سورة الاعراف عند قوله : (واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر) الآيات وسيأتي حديث صفوان بن عسال في سورة سبحان عند قوله : (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) وفيه : وعليكم خاصة يهود أن لا تعدوا في السبت

فبما نقضهم ميثقهم وكفرهم بآيت الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا (١٥٤) وبكفرهم وقولهم على مريم بهتنا عظما (١٥٥) وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٦) بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما (١٥٧) وان من أهل الكتب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (١٥٨)

وهذا من الذنوب التى ارتكبوها مما أوجب لعنتهم وطردهم وابعادهم عن الهدى وهو نقضهم المواثيق والعهود التى أخذت عليهم ، وكفرهم بآيات الله ، أي حججه وبراهينه ، والمعجزات التي

مبينا ﴾ اى حجة بينة من المعجزات وهى الآيات التسع ﴿ ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لاتعدوا في السبت ﴾ قرأ أهل المدينة بتشديد الدال وفتح العين نافع برواية ورش وبجزمها الآخرون ومعناه لاتعدوا ولاتظلموا باصطياد الحيتان فيه ﴿ وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾

قوله تعالى ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾ أى فبنقضهم وما صلة كقوله تعالى فبما رحمة من الله ونحوها ﴿ وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ أى ختم عليها

شاهدوها على يد الأنبياء عليهم السلام قوله : (وقتلهم الأنبياء بغير حق) وذلك لكثرة اجرامهم واجترائهم على أنبياء الله فانهم قتلوا جما غفيرا من الأنبياء عليهم السلام وقولهم (قلوبنا غلف) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقتادة وغير واحد أي في غطاء وهذا كقول المشركين (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه) الآية وقيل معناه انهم ادعوا أن قلوبهم غلف للعلم أي أوعية للعلم قد حوته وحصلته ، رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وقد تقدم نظيره في سورة البقرة قال الله تعالى : (بل طبع الله عليها بكفرهم) فعلى القول الاول كأنهم يعتذرون اليه بأن قلوبهم لا تعي مايقول لأنها فى غلف وفي أكنة قال الله بل هي مطبوع عليها بكفرهم وعلى القول الثاني عكس عليهم ما ادعوه من كل وجه وقد تقدم الكلام على مثل هذا في سورة البقرة (فلا يؤمنون إلا قليلا) أي تمرنت قلوبهم على الكفر والطغيان وقلة الايمان (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعنى انهم رموها بالزنا وكذلك قال السدى وجويبر ومحمد بن اسحق وغير واحد وهو ظاهر من الآية انهم رموها وابنها بالعظائم فجعلوها زانية وقد حملت بولدها من ذلك زاد بعضهم وهي حائض فعليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة (وقولهم : انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) أى هذا الذى يدعي لنفسه هذا المنصب قتلناه وهذا منهم من باب التهكم والاستهزاء كقول المشركين (يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون)

وكان من خبر اليهود عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه انه لما بعث الله عيسى بن مريم بالبينات والهدى حسدوه على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات التى كان يبرىء بها الأكمه والابرص ويحيي الموتي باذن الله ويصور من الطين طائرا ثم ينفخ فيه فيكون طائرا يشاهد طيرانه باذن الله عز وجل الى غير ذلك من المعجزات التى أكرمه الله بها وأجراها على يديه ومع هذا كذبوه وخالفوه وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم حتى جعل نبي الله عيسي عليه السلام لا يساكنهم في بلدة بل يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا الى ملك دمشق في ذلك الزمان وكان رجلا مشركا من عبدة الكواكب وكان يقال لأهل ملته اليونان وأنهوا اليه ان في بيت المقدس رجلا يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه فغضب الملك من هذا وكتب الى نائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه ويكف اذاه عن الناس فلما وصل الكتاب امتثل والي بيت المقدس ذلك وذهب هو وطائفة من اليهود الى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام وهو في جماعة من أصحابه اثني عشر أو ثلاثة عشر وقيل سبعة عشر نفرا وكان ذلك

﴿ فلا يؤمنون الا قليلا ﴾ يعني ممن كذب الرسل لا ممن طبع على قلبه لان من طبع الله على قلبه لايؤمن أبدا وأراد بالقليل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل معناه لايؤمنون قليلا ولا كثيرا ﴿ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ﴾ حين رموها بالزنا ﴿ وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن

يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت ، فحصروه هنالك . فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه اليهم قال لأصحابه أيكم يلقى عليه شبهي وهو رفيقي في الجنة ؟ فانتدب لذلك شاب منهم فكأنه استصغره عن ذلك فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب فقال : أنت هو وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو وفتحت روزنة من سقف البيت وأخذت عيسى عليه السلام سنة من النوم فرفع الى السماء وهو كذلك كما قال الله تعالى (إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك اليّ) الآية فلما رفع خرج أولئك النفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا انه عيسى فأخذوه في الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبجحوا بذلك وسلم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم ماعدا من كان في البيت مع المسيح فانهم شاهدوا رفعه. وأما الباقون فانهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح بن مريم حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت ويقال انه خاطبها والله أعلم، وهذا كله من امتحان الله عباده لماله في ذلك من الحكمة البالغة ، وقد أوضح الله الأمر وجلاه وبينه وأظهره في القرآن العظيم الذي أنزله على رسوله الكريم المؤيد بالمعجزات والبينات والدلائل الواضحات فقال تعالى وهو أصدق القائلين ورب العالمين المطلع على السرائر والضمائر الذي يعلم السر في السموات والأرض العالم بما كان وما يكون ومالم يكن لو كان كيف يكون (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) أى رأوا شبهه فظنوه إياه ولهذا قال (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن) يعني بذلك من ادعى انه قتله من اليهود ومن سلمه اليهم من جهال النصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر ولهذا قال : (وماقتلوه يقينا) أى وماقتلوه متيقنين انه هو بل شاكين متوهمين (بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا) أى منيع الجناب لا يرام جنابه ولا يضام من لاذ ببابه (حكيما) أى في جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التي يخلقها وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة والسلطان العظيم والأمر القديم قال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أراد الله أن يرفع عيسى الى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلا من الحواريين يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال : ان منكم من يكفر بي اثنى عشر مرة بعد أن آمن بي قال : ثم قال أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي فقام شاب من أحدثهم سنا فقال . له اجلس . ثم أعاد عليهم فقام ذلك الشاب فقال : اجلس. ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا فقال : هو أنت ذاك فالقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة في البيت الى السماء. قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم

مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ وذلك ان الله تعالى القى شبه عيسى عليه السلام على الذى دل اليهود عليه وقيل انهم حبسوا عيسى عليه السلام في بيت وجعلوا عليه رقيبا فالقى الله

اثني عشر مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ماشاء ثم صعد الى السماء وهؤلاء اليعقوبية وقالت فرقة كان فينا ابن الله ماشاء ثم رفعه الله اليه وهؤلاء النسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ماشاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الاسلام طامسا حتى بعث الله محمدا ﷺ وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية بنحوه وكذا ذكره غير واحد من السلف انه قال لهم أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني وهو رفيقي في الجنة

وقال : ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن هارون بن عنترة عن وهب بن منبه قال : أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليه صورهم الله عز وجل كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا ليبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لأصحابه من يشري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم أنا فخرج اليهم وقال أنا عيسى وقد صوره الله على صورة عيسى فأخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم فظنوا انهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك انه عيسى ، ورفع الله عيسى من يومه ذلك وهذا سياق غريب جدا

قال ابن جرير . وقد روي عن وهب نحو هذا القول وهو ماحدثني المثنى حدثنا اسمعيل عن عبد الكريم حدثني عبد الصمد بن معقل انه سمع وهبا يقول ان عيسى ابن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما فقال احضروني الليلة فان لي اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده ويمسح أيديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه فقال ألا من رد علي الليلة شيأ مما اصنع فليس مني ولا أنا منه فأقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال : أما ماصنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكن لكم بي أسوة فانكم ترون أني خيركم فلا يتعاظم بعضكم على بعض وليبذل بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم وأما حاجتي الليلة التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء ان يؤخر أجلي فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله أما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني فيها فقالوا والله ماندري مالنا لقد كنا نسمر فنكثر السمر ومانطيق الليلة سمرا وما نريد دعاء الاحيل بيننا وبينه فقال يذهب الراعي وتفرق الغنم ، وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعي به نفسه . ثم قال الحق ليكفرنّ بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني . فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه وأخذوا شمعون أحد الحواريين وقالوا : هذا من أصحابه فجحد وقال

تعالى شبه عيسى عليه السلام على الرقيب فقتلوه وقيل غير ذلك كما ذكرناه في سورة آل عمران قوله تبارك وتعالى ﴿ وان الذين اختلفوا فيه ﴾ في قتله ﴿ لفي شك منه ﴾ أي في قتله قال الكلبي

ما أنا بصاحبه فتركوه . ثم أخذه آخرون فجحد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه فلما أصبح أتى أحد الحواريين الى اليهود فقال : ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأخذوه فاستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون له أنت كنت تحيي الموتى وتنهر الشيطان وتبري[1] المجنون أفلا تنجي نفسك من هذا الحبل؟ ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها فرفعه الله اليه وصلبوا ماشبه لهم فمكث سبعا ثم ان أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى عليه السلام فأبرأها الله من الجنون جاءتا تبكيان حيث المصلوب فجاءهما عيسى فقال : ماتبكيان؟ فقالتا عليك فقال إني رفعني الله اليه ولم يصبني إلا خير وان هذا شبه لهم فأمري الحواريين يلقوني الى مكان كذا وكذا فلقوه الى ذلك المكان أحد عشر وفقدوا الذي كان باعه ودل عليه اليهود فسأل عنه أصحابه فقال : انه ندم على ماصنع فاختنق وقتل نفسه فقال : لو تاب لتاب الله عليه . ثم سألهم عن غلام تبعهم يقال له يحيي فقال هو معكم فانطلقوا فانه سيصبح كل انسان يحدث بلغة قومه فلينذرهم وليدعهم . سياق غريب جداً .

ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن اسحق قال : كان اسم ملك بني اسرائيل الذي بعث الى عيسى ليقتله رجلا منهم يقال له داود فلما أجمعوا لذلك منه لم يفظع عبد من عباد الله بالموت فيما ذكر لي فظعه ولم يجزع منه جزعه ولم يدع الله في صرفه عنه دعاءه حتى إنه ليقول فيما يزعمون اللهم ان كنت صارفا هذه الكأس عن أحد من خلقك فاصرفها عني وحتى إن جلده من كرب ذلك ليتفصد دما فدخل المدخل الذي أجمعوا أن يدخلوا عليه فيه ليقتلوه هو وأصحابه وهم ثلاثة بعيسى عليه السلام فلما أيقن انهم داخلون عليه قال لأصحابه من الحواريين وكانوا اثني عشر رجلا(١) فرطوس ويعقوبس ويلاونحس أخو يعقوب واندراييس وفيلبس وابن يلما ومنتا وطوماس ويعقوب ابن حلقايا ونداوسيس وقتا بياونردس وكريابوطا قال ابن حميد قال سلمة قال ابن اسحق وكان فيهم فيما ذكر لي رجل اسمه سرجس ، وكانوا ثلاثة عشر رجلا سوى عيسى عليه السلام جحدته النصارى وذلك انه هو الذي شبه لليهود مكان عيسى قال فلا أدري هو من هؤلاء الاثني عشر أو كان ثالث عشر فجحدوه حين أقروا لليهود بصلب عيسى وكفروا بماجاء به محمد ﷺ من الخبر عنه فان كانوا ثلاثة عشر

اختلافهم فيه هو ان اليهود قالت نحن قتلناه وقالت طائفة من النصارى نحن قتلناه وقالت طائفة منهم ماقتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله الى السماء ونحن ننظر اليه وقيل كان الله تعالى القى شبه عيسى

[1] في نسخة الازهر : فيبرأ

(١) قوله اثني عشر رجلا فرطوس الخ هكذا في الأصول التي بأيدينا وفيها تحريف والذي نقلناه عن الكتب اليونانية المعول عليها نصه هكذا سمعان الملقب بطرس وأندراوس ويعقوب بن زبدي ويوحنا وفيلبس وبرثولماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفي ولباوس الملقب تدارس وسمعان القانوي ويهوذ الأسخريوطي اهـ كتبه مصححه

فانهم دخلوا المدخل حين دخلوا وهم بعيسى أربعة عشر وان كانوا اثنى عشر فانهم دخلوا المدخل وهم ثلاثة عشر
قال ابن اسحق وحدثني رجل كان نصرانيا فأسلم ان عيسى حين جاءه من الله إني رافعك إلي: قال يامعشر الحواريين أيكم يحب أن يكون رفيقي في الجنة حتى يشبه للقوم في صورتي فيقتلوه في مكاني فقال: سرجس انا ياروح الله قال: فاجلس في مجلسي فجلس فيه ورفع عيسي عليه السلام فدخلوا عليه فأخذوه فصلبوه فكان هو الذي صلبوه وشبه لهم به وكانت عدتهم حين دخلوا مع عيسى معلومة قد رأوهم فأحصوا عدتهم فلما دخلوا عليهم ليأخذوه وجدوا عيسى وأصحابه فيما يرون وفقدوا رجلا من العدة فهوالذي اختلفوا فيه وكانوا لا يعرفون عيسي حتى جعلوا ليودس ركريايوطا ثلاثين درهما على أن يدلهم عليه ويعرفهم إياه فقال لهم إذا دخلتم عليه فاني سأقبله وهو الذي أقبل فخذوه فلما دخلوا وقد رفع عيسى ورأى سرجس في صورة عيسى فلم يشك انه هو[1] فأكب عليه فقبله فأخذوه فصلبوه. ثم ان ليودس ركريايوطا ندم على ماصنع فاختنق بحبل حتى قتل نفسه وهو ملعون في النصارى، وقد كان أحد المعدودين من أصحابه وبعض النصارى يزعم أنه ليودس ركريايوطا هو الذي شبه لهم فصلبوه وهو يقول إني لست بصاحبكم أنا الذي دللتكم عليه والله أعلم أي ذلك كان. وقال ابن جرير عن مجاهد صلبوا رجلا شبه بعيسى ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء حيا واختار ابن جرير ان شبه عيسى ألقي على جميع أصحابه

وقوله تعالى: (وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) قال ابن جرير اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) يعني قبل موت عيسى يوجه ذلك الى أن جميعهم يصدقون به اذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الاسلام الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال قبل موت عيسى بن مريم عليه السلام وقال العوفي عن ابن عباس مثل ذلك وقال أبو مالك في قوله (إلا ليؤمنن به قبل موته) قال: ذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به وقال الضحاك عن ابن عباس (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) يعني اليهود خاصة وقال الحسن البصري يعنى النجاشي وأصحابه رواهما ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا أبو رجاء عن الحسن (وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته قال قبل موت عيسى والله إنه لحي الآن عندالله ولكن اذا نزل آمنوا به أجمعون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي ابن عثمان اللاحقي حدثنا جويرية بن بشير قال سمعت رجلا قال للحسن يا أبا سعيد قول الله عز وجل

عليه السلام على وجه صطيافوس ولم يلقه على جسده فاختلفوا فيه فقال بعضهم قتلنا عيسى فان الوجه وجه عيسى عليه السلام وقال بعضهم لم نقتله لان جسده ليس جسد عيسى عليه السلام فاختلفوا قال السدي

(١) في الازهرية فلم يشكل أنه عيسى الخ والصواب يشك

(وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبـل موته) قال : قبل موت عيسى إن الله رفع اليه عيسى وهو باعثه قبل يوم القيامة مقاما يؤمن به البر والفاجر . وكذا قال قتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وهذا القول هو الحق كما سنبينه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

قال ابن جرير وقال آخرون يعني بذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به بعيسى قبل موت الكتابي ذكر من كان يوجه ذلك إلى أنه إذا عاين علم الحق من الباطل لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينـه قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى حدثني المثنى حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله (إلا ليؤمنن به قبل موته) كل صاحب كتاب يؤمن بعيسى قبل موته قبل موت صاحب الكتاب . قال ابن عباس لو ضربت عنقه لم تخرج نفسه حتى يؤمن بعيسى حدثنا ابن حميد حدثنا أبو نميلة يحيى بن واضح حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال : لا يموت اليهودي حتى يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله ولو عجل عليه بالسلاح حدثني اسحق ابن ابراهيم وحبيب بن الشهيد حدثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال هي في قراءة أبي قبل موتهم ليس يهودي يموت أبداً حتى يؤمن بعيسى قيل لابن عباس أرأيت إن خر من فوق بيت قال : يتكلم به في الهوي قيل أرأيت إن ضربت عنق أحدهم قال : يلجلج بها لسانه وكذا روى سفيان الثوري عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى عليه السلام وإن ضرب بالسيف تكلم به قال وإن هوي تكلم به وهو يهوي وكذا روى أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي هرون الغنوي عن عكرمة عن ابن عباس فهذه كلها أسانيد صحيحة إلى ابن عباس وكذا صح عن مجاهد وعكرمة ومحمد بن سيرين وبه يقول الضحاك وجويبر وقال السدى وحكاه عن ابن عباس ونقل قراءة أبي بن كعب قبل موتهم وقال عبدالرزاق عن اسرائيل عن فرات القزاز عن الحسن في قوله (إلا ليؤمنن به قبل موته) قال لا يموت أحد منهم حتى يؤمن بعيسى قبل أن يموت وهذا يحتمل أن يكون مراد الحسن ما تقدم عنه ويحتمل أن يكون مراده ما أراده هؤلاء

قال ابن جرير وقال آخرون معنى ذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبـل موت الكتابي . ذكر من قال ذلك حدثني ابن المثني حدثنا الحجاج بن المنهال حدثنا حماد عن حميد قال قال عكرمة لا يموت النصراني ولا اليهودي حتى يؤمن بمحمد ﷺ قوله

اختلافهم من حيث أنهم قالوا ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى

قال الله تعالى ﴿ مالهم به من علم ﴾ من حقيقته انه قتل أولم يقتل ﴿ الا اتباع الظن ﴾ لكنهم يتبعون الظن في قتله

(وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) ثم قال ابن جرير وأولى هـذه الأقوال بالصحة القول الأول وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام . ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك فأخبر الله انه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ثم إنه رفعه اليه وإنه باق حي وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها ان شاء الله قريبا فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الاسلام أو السيف فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) أي قبل موت عيسى عليه السلام الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) أي بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض . فأما من فسر هذه الآية بأن المعنى ان كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما السلام فهذا هو الواقع وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلا به فيؤمن به ولكن لا يكون ذلك إيمانا نافعا له إذا كان قد شاهد الملك كما قال تعالى في أول هذه السورة (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) الآية وقال تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) الآيتين وهـذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في رد هذا القول حيث قال: ولو كان المراد بهذه الآية هذا لكان كل من آمن بمحمد ﷺ أو بالمسيح ممن كفر بهما يكون على دينهما وحينئذ لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه لأنه قد أخبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته فهذا ليس بجيد إذ لا يلزم من إيمانه في حالة لا ينفعه إيمانه انه يصير بذلك مسلما ألا ترى قول ابن عباس: ولو تردى من شاهق أو ضرب بالسيف أو افترسه سبع فانه لابد أن يؤمن بعيسى فالايمان به في هذه الحال ليس بنافع ولا ينقل صاحبه عن كفره لما قدمناه والله أعلم . ومن تأمل هذا جيداً وأمعن النظر اتضح له إنه هو الواقع لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته في السماء وإنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق ففرط هؤلاء اليهود وأفرط هؤلاء النصارى تنقصه اليهود بما رموه به وأمه من العظائم وأطراه النصارى بحيث ادعوا فيه ما ليس فيه فرفعوه في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء علواً كبيرا وتنزه وتقدس لا إله إلا هو

قال الله جل جلاله ﴿ وما قتلوه يقينا ﴾ أي ماقتلوا عيسى يقينا ﴿ بل رفعه الله اليه ﴾ وقيل قوله

﴿ذكر الأحاديث الواردة في نزول عيسى بن مريم إلى الارض من السماء في آخر الزمان﴾
﴿قبل يوم القيامة وانه يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له﴾

قال البخاري رحمه الله في كتاب ذكر الأنبياء من صحيحه المتلقى بالقبول: نزول عيسى بن مريم عليه السلام حدثنا إسحق بن ابراهيم حدثنا يعقوب بن ابراهيم عن أبي صالح عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وحتى تكون السجدة خيراً له من الدنيا ومافيها . ثم يقول أبو هريرة اقرؤا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) وكذا رواه مسلم عن الحسن الحلواني وعبد بن حميد كلاهما عن يعقوب به وأخرجه البخاري ومسلم أيضا من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري به وأخرجاه من طريق الليث عن الزهري به ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن أبي حفصة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يقتل الدجال ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ويفيض المال وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين » قال أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) موت عيسى بن مريم ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات

﴿طريق أخرى﴾ عن أبي هريرة قال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا محمد بن أبي حفصة عن الزهري عن حنظلة بن علي الاسلمي عن أبي هريرة ان رسول ﷺ قال « ليهلن عيسى بن مريم بفج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليثنينهما جميعا » وكذا رواه مسلم منفردا به من حديث سفيان بن عيينة والليث بن سعيد ويونس بن يزيد ثلاثتهم عن الزهري به وقال أحمد حدثنا يزيد حدثنا سفيان هو بن حسين عن الزهري عن حنظلة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة ويعطى المال حتي لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعها » قال وتلا أبو هريرة (وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) الآية فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال يؤمن به قبل موت عيسى فلا أدرى هذا كله حديث النبي ﷺ أو شيء قاله أبو هريرة وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي موسي محمد بن المثنى عن يزيد بن هرون عن سفيان ابن حسين عن الزهري به ﴿طريق أخرى﴾ قال البخاري حدثنا أبو بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة الانصاري أن أبا هريرة قال قال رسول ﷺ « كيف بكم اذا

يقينا يرجع الى مابعده وقوله وما قتلوه كلام تام تقديره بل رفعه الله اليه يقينا والهاء في ماقتلوه كناية عن عيسى عليه السلام وقال الفراء رحمه الله معناه وما قتلوا الذي ظنوا انه عيسى يقينا ورويء؟

نزل فيكم المسيح ابن مريم وامامكم منكم » تابعه عقيل والاوزاعي وهكذا رواه الامام أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن عثمان بن عمر عن ابن أبي ذئب كلاهما عن الزهري به واخرجه مسلم من رواية يونس والاوزاعي وابن أبي ذئب به

(طريق أخرى) قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام أنبأنا قتادة عن عبدالرحمن عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال «الانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وإني أولى الناس بعيسى بن مريم لانه لم يكن نبي بيني وبينه وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع الى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل: فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس الى الاسلام ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ثم تقع الامانة على الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمار مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لاتضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون» وكذا رواه ابو داود عن هدبة بن خالد عن همام بن يحيى ورواه ابن جرير ولم يورد عند هذه الآية سواه عن بشر بن معاذ عن يزيد بن هارون عن سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم وهو مولى أم برثن صاحب السقاية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكر نحوه وقال يقاتل الناس على الاسلام وقد روى البخاري عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم والانبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي» ثم روى عن محمد بن سنان عن فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي عمرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة الانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد» وقال ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ

(حديث آخر) قال مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب حدثنا يعلى بن منصور حدثنا سليمان بن بلال حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لاتقوم الساعة حتى تنزل الروم بالاعماق أو بدابق فيخرج اليهم جيش من المدينة من خيار أهل الارض يومئذ فاذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين اخواننا، فيقاتلونهم فيهزم ثلث لايتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لايفتنون أبدا فيفتحون قسطنطينية فبينما هم يقسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون اذ صاح فيهم الشيطان ان المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل فاذا جاءوا الشام

ابن عباس رضي الله عنهما معناه وما قتلوا ظنهم يقينا ﴿وكان الله عزيزا﴾ منيعا بالنقمة من اليهود ﴿حكيما﴾ حكم باللعنة والغضب عليهم فسلط عليهم ينطيونس بن اسبسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة

خرج فبينماهم يعدون للقتال يسوون الصفوف اذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فيؤمهم فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته»

(حديث آخر) قال أحمد حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن مؤثر ابن غفارة عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال« لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم الى ابراهيم فقال لاعلم لى بها فردوا أمرهم الى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم الى عيسى فقال أما وجبتها فلا يعلم بها أحد الا الله وفيما عهد الي ربي عز وجل ان الدجال خارج ومعي قضيبان فاذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله اذا رآني حتى ان الحجر والشجر يقول يامسلم ان تحتي كافرا فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطئون بلادهم فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يمرون على ماء الا شربوه قال ثم يرجع الناس يشكونهم فادعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الارض من نتن ريحهم وينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر ففيما عهد الي ربي عز وجل ان ذلك اذا كان كذلك ان الساعة كالحامل المتم لايدري أهلها متى تفاجئهم بولادها ليلا أو نهارا » رواه ابن ماجه عن محمد بن بشار عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب به نحوه

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة قال أتينا عثمان بن أبي العاص في يوم جمعة لنعرض عليه مصحفا لنا على مصحفه فلما حضرت الجمعة أمرنا فاغتسلنا ثم أتينا بطيب فتطيبنا ثم جئنا المسجد فجلسنا الى رجل فحدثنا عن الدجال ثم جاء عثمان بن أبي العاص فقمنا اليه فجلسنا فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يكون للمسلمين ثلاثة أمصار مصر بملتقى البحرين ومصر بالحيرة ومصر بالشام ففزع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال في أعراض الناس فيهزم من قبل المشرق فاول مصر يرده المصر الذى بملتقى البحرين فيصير أهلها ثلاث فرق فرقة تقول نقيم نشامّه ننظر ماهو وفرقة تلحق بالاعراب وفرقة تلحق بالمصر الذى يليهم ومع الدجال سبعون الفا عليهم التيجان وأكثر من معه اليهود والنساء وينحاز المسلمون الى عقبة افيق فيبعثون سرحا لهم فيصاب سرحهم فيشتد ذلك عليهم ويصيبهم مجاعة شديدة وجهد شديد حتى ان أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله فبينماهم كذلك اذ نادى مناد من الشجر ياأيها الناس أتاكم الغوث « ثلاثا »فيقول بعضهم لبعض ان هذا لصوت رجل شبعان وينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر فيقول له أميرهم ياروح الله تقدم صل فيقول هذه الامة امراء بعضهم على

قوله تعالى ﴿ وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ﴾ أى وما من أهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام. هذا قول اكثر المفسرين وأهل العلم وقوله (قبل موته) اختلفوا في هذه الكناية فقال عكرمة

بعض فيتقدم أميرهم فيصلي حتى اذا قضى صلاته أخذ عيسى حربته فيذهب نحو الدجال فاذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص فيضع حربته بين ثندوته فيقتله ويهزم أصحابه فليس يومئذ شيء يواري منهم أحدا حتى ان الشجرة تقول يامؤمن هذا كافر ويقول الحجر يامؤمن هذا كافر» تفرد به احمد من هذا الوجه

(حديث آخر)[١] قال ابو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في سننه حدثنا علي بن محمد حدثنا عبدالرحمن المحاربي عن اسمعيل بن رافع أبي رافع عن أبي زرعة الشيباني يحيى بن أبي عمرو عن أبي امامة الباهلي قال خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه فكان من قوله أن قال « لم تكن فتنة في الارض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال وان الله لم يبعث نبيا الا حذر أمته الدجال وانا آخر الانبياء وأنتم آخر الامم وهو خارج فيكم لامحالة فان يخرج وأنا بين ظهرانيكم فانا حجيج كل مسلم وان يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه وان الله خليفتي على كل مسلم وانه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيعيث يمينا ويعيث شمالا ، ألا ياعباد الله : أيها الناس فاثبتوا واني سأصفه لكم صفة لم يصفها اياه نبي قبلي: انه يبدأ فيقول أنا نبي فلا نبي بعدي ، ثم يثني فيقول انا ربكم ، ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وانه أعور وان ربكم عز وجل ليس بأعور ،وانه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ، وان من فتنته ان معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار بردا وسلاما على ابراهيم ، وان من فتنته ان يقول لاعرابي أرأيت ان بعثت لك أمك وأباك أتشهد اني ربك؟ فيقول نعم ، فيتمثل له شيطان في صورة أبيه وأمه فيقولان يابني اتبعه فانه ربك ، وان من فتنته ان يسلط على نفس واحدة فينشرها بالمنشار حتى تلقى شقتين ثم يقول انظر الى عبدي هذا فاني أبعثه الآن ثم يزعم ان له ربا غيري، فيبعثه الله فيقول له الخبيث من ربك فيقول ربي الله ، وأنت عدو الله الدجال . والله ماكنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم . قال ابو حسن الطنافسي فحدثنا المحاربي حدثنا عبيد الله بن الوليد الرصافي عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ «ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة» قال قال أبو سعيد والله ماكنا نرى ذلك الرجل الا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله

ومجاهد والضحاك والسدى انها كناية عن الكتابي ومعناه وما من أهل الكتاب أحد الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موته اذا وقع في اليأس حين لاينفعه ايمانه سواء احترق أو غرق أو تردى في

«١» هكذا رأيت هذا الاسناد في نسخة لسنن ابن ماجه والذي ذكره شيخنا وابن عساكر في الاطراف أنه رواه ابن ماجه عن علي بن محمد عن عبدالرحمن محمد المحاربي عن أبي رافع اسماعيل بن رافع عن أبي عمرو الشيباني زرعة عن أبي امامة كذا قال ، وكذا رواه اسماعيل بن عثمان عن المحاربي قال ابن عساكر وهو وهم فاحش . وقد رواه أبو داود في الملاحم في سننه عن عيسى بن محمد عن ضمرة عن يحيي بن أبي عمرو الشيباني عن عمرو بن عبدالله الحضرمي أبي عبدالجبار الشامي عن أبي أمامة به نحوه اهمن هامش النسخة (المكية)

قال المحاربي : ثم رجعنا الى حديث أبي رافع قال وان من فتنته ان يأمر السماء ان تمطر فتمطر ويأمر الارض ان تنبت فتنبت وان من فتنته ان يمر بالحي فيكذبونه فلا تبقى لهم سائمة الا هلكت، وان من فتنته ان يمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الارض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصر وأدره ضروعا، وانه لا يبقى شيء من الارض إلا وطئه وظهر عليه الا مكة والمدينة فانه لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة حتى ينزل عند الظريب الاحمر عند منقطع السبخة فترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة الا خرج اليه فينفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص

فقالت أم شريك بنت أبي العكر يارسول الله فاين العرب يومئذ ؟ قال « هم قليل وجلهم يومئذ ببيت المقدس وامامهم رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح اذ نزل عليهم عيسى بن مريم عليه السلام الصبح فرجع ذلك الامام يمشي القهقرى ليتقدم عيسى عليه السلام فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول: تقدم فصل فانها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم فاذا انصرف قال عيسى افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون الف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا فيقول عيسى ان لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله ويهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله تعالى يتوارى به يهودي الا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة الا الغرقدة فانها من شجرهم لا تنطق إلا قال ياعبدالله المسلم: هذا يهودي فتعال اقتله

قال رسول الله ﷺ « وإن أيامه أربعون سنة، السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والشهر كالجمعة وآخر أيامه كالشررة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي » فقيل له كيف نصلي يانبي الله في تلك الايام القصار؟ قال « تقدرون الصلاة كما تقدرون في هذه الايام الطوال ثم صلوا »

قال رسول الله ﷺ « فيكون عيسى بن مريم في أمتي حكما عدلا وإماما مقسطا يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير وترتفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في في الحية فلا تضره وتفر الوليدة الاسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها وتملأ الارض من السلم كما يملأ الاناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد الا الله وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها وتكون الارض لها نور الفضة وتنبت نباتها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال ويكون الفرس بالدريهمات » قيل يارسول الله وما يرخص الفرس؟ قال « لاتركب لحرب أبدا » قيل له فما يغلي الثور؟ قال « يحرث الارض كلها وان قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد ويأمر الله السماء في السنة الاولى ان تحبس ثلث مطرها ويأمر

بئر او سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة وهذه رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهم قال فقيل لابن عباس رضى الله عنهما أرأيت ان من خر من فوق بيت ؟ قال يتكلم به في

الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر الله عزوجل السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ويأمر الأرض أن تحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ماشاء الله » قيل فما يعيش الناس في ذلك الزمان قال « التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام »

قال ابن ماجه سمعت أبا الحسن الطنافسي يقول سمعت عبدالرحمن المحاربي يقول ينبغي أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه ولبعضه شواهد من أحاديث أخر ، من ذلك مارواه مسلم وحديث نافع وسالم عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ « لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله » وله من طريق سهيل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبيء اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يامسلم ياعبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ــ إلا الغرقد فانه من شجر اليهود » ولنذكر حديث النواس بن سمعان ههنا لشبهه بهذا الحديث

قال مسلم في صحيحه حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا الوليد بن مسلم حدثني عبدالرحمن ابن يزيد بن جابر الطائي قاضي حمص حدثني عبد الرحمن بن جبير عن أبيه جبير بن نفير الحضرمي أنه سمع النواس بن سمعان الكلابي (ح) وحدثنا محمد بن مهران الرازي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن جابر الطائي عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه جبير بن نفير عن النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك في وجوهنا فقال « ماشأنكم؟ » قلنا يارسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل قال « غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج واست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم . إنه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، انه خارج من خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا » قلنا يارسول الله فما لبثه في الأرض؟ قال « أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم » قلنا يارسول الله وذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال « لا أقدروا له قدره » قلنا يارسول الله وما اسراعه في الأرض؟ قال « كالغيث استدبرته الريح فيأتي على قوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس

الهواء . قال فقيل أرأيت إن ضرب عنق أحدهم ؟ قال يتلجلج به لسانه . وذهب قوم الى ان الهاء في موته كناية عن عيسى عليه السلام معناه وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى

بأيديهم شيء من أموالهم ويمرّ بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى عليه السلام قوما قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء، ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى[1] كموت نفس واحدة. ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكنّ منه بيت مدرٍ ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة[2] ثم يقال للأرض أخرجي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويبارك الله في الرسل حتى إن اللقحة من الابل لتكفي الفئام[3] من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فيقبض الله روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة» ورواه الامام أحمد وأهل السنن من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به وسنذكره أيضا من طريق أحمد عند قوله تعالى في سورة الأنبياء (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) الآية

(حديث آخر) قال مسلم في صحيحه أيضا حدثنا عبد الله بن معاذ العنبري حدثنا أبي حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول سمعت عبد الله ابن عمرو وجاءه رجل فقال ماهذا الحديث الذي تحدث به تقول إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا فقال سبحان الله أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوهما لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا إنما قلت

عليه السلام وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد الا آمن به حتى تكون الملة واحدة ملة الاسلام وروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لايقبله أحد وتهلك

(١) فرسى كهلكى وزنا ومعنى ومنه الافتراس وهو جمع فريس كقتلى جمع قتيل (٢) الزلفة بالتحريك المرآة (٣) الرسل بالتحريك القطيع جمعه ارسال واللقحة بالكسر وبالفتح لغة وهي ذات اللبن والفئام الجماعة

إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيما: يحرَّق البيتُ ويكون ويكون ثم قال: قال رسول الله ﷺ «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهراً أو أربعين عاما فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه» قال سمعتها من رسول الله ﷺ قال «فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دارٌّ رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطراً كأنه الطل أو قال الظل ـ نعمان الشاك ـ فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون، ثم يقال يا أيها الناس هلموا إلى ربكم (وقفوهم إنهم مسئولون) ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق» ثم رواه مسلم والنسائي في تفسيره جميعا عن محمد بن بشار عن غندر عن شعبة عن نعمان بن سالم به

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الله بن عبيد الله بن ثعلبة الانصاري عن عبدالله بن زيد الانصاري عن مجمع بن حارثة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «يقتل ابن مريم المسيح الدجال بباب لد أو إلى جانب لد» ورواه أحمد أيضا عن سفيان بن عيينة من حديث الليث والاوزاعي ثلاثتهم عن الزهري عن عبدالله بن عبيدالله بن ثعلبة عن عبدالرحمن ابن يزيد عن عمه مجمع بن حارثة عن رسول الله ﷺ قال «يقتل ابن مريم الدجال بباب لد» وكذا رواه الترمذي عن قتيبة عن الليث به وقال هذا حديث صحيح قال وفى الباب عن عمران بن حصين ونافع ابن عيينة وأبي برزة وحذيفة بن أسيد وأبي هريرة وكيسان وعثمان بن أبي العاص وجابر وأبي امامة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو وسمرة بن جندب والنواس بن سمعان وعمرو بن عوف وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم. ومراده برواية هؤلاء مافيه ذكر الدجال وقتل عيسى بن مريم عليه السلام له فأما أحاديث ذكر الدجال فقط فكثيرة جدا وهي اكثر من ان تحصى لانتشارها وكثرة روايتها في الصحاح والحسان والمسانيد وغير ذلك

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا سفيان عن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال أشرف علينا رسول الله ﷺ من عرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال «لا تقوم الساعة حتى تروا

في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويقتل الدجال فيمكث في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون» وقال أبو هريرة اقرؤوا ان شئتم (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) قبل موت عيسى ابن مريم ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات. وروي عن عكرمة ان الهاء في قوله ليؤمنن به كناية

عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى بن مريم والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق او تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا» وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث فرات القزاز به ورواه مسلم أيضا من رواية عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عن أبي شريحة عن حذيفة بن أسيد الغفاري موقوفا والله أعلم فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة وابن مسعود وعثمان بن أبي العاص وأبي امامة والنواس بن سمعان وعبد الله ابن عمرو بن العاص ومجمع بن حارثة وأبي شريحة وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه من انه بالشام بل بدمشق عند المنارة الشرقية وان ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح وقد بنيت في هذه الاعصار في سنة احدى وأربعين وسبعمائة منارة للجامع الاموي بيضاء من حجارة منحوتة عوضا عن المنارة التي هدمت بسبب الحريق المنسوب الى صنيع النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة وكان أكثر عمارتها من أموالهم وقويت الظنون انها هي التي ينزل عليها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية فلا يقبل الا الاسلام كما تقدم في الصحيحين وهذا اخبار من النبي ﷺ بذلك وتقرير وتشريع وتسويغ له على ذلك في ذلك الزمان حيث تنزاح عللهم وترتفع شبههم من أنفسهم ولهذا كلهم يدخلون في دين الاسلام متابعين لعيسى عليه السلام وعلى يديه ولهذا قال تعالى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) الآية وهذه الآية كقوله (وانه لعلم للساعة) وقرىء (لعلم) بالتحريك أي أمارة ودليل على اقتراب الساعة وذلك لانه ينزل بعد خروج المسيح الدجال فيقتله الله على يديه كما ثبت في الصحيح «ان الله لم يخلق داء الا انزل له شفاء» ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج فيهلكهم الله تعالى ببركة دعائه وقد قال تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق) الآية

* (صفة عيسى عليه السلام) *

قد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة «فاذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع الى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل» وفي حديث النواس بن سمعان «فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ، ولا يحل لكافر أن يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث انتهى طرفه» وروى البخاري ومسلم من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة

عن محمد ﷺ يقول لايموت كتابي حتى يؤمن بمحمد ﷺ وقيل هي راجعة الى الله عز وجل يقول وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن بالله عز وجل قبل موته عند المعاينة حين لا ينفعه ايمانه

قوله تعالى ﴿ويوم القيامة يكون﴾ يعني عيسى عليه السلام ﴿عليهم شهيدا﴾ انه قد بلغهم رسالة

قال قال رسول الله ﷺ «ليلة أسري بي لقيت موسى» قال فنعته فاذا رجل قال أحسبه مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة» قال «ولقيت عيسى» فنعته النبي ﷺ فقال «ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس» يعني الحمام «ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولده به» الحديث. وروى البخاري من حديث مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «رأيت موسى وعيسى وابراهيم فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط» وله ولمسلم من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر ذكر النبي ﷺ يوما بين ظهراني الناس المسيح الدجال فقال «ان الله ليس بأعور الا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية» ولمسلم عنه مرفوعا «وأراني الله عند الكعبة في المنام واذا رجل آدم كأحسن ماترى من أدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعا يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا؟ قالوا هو المسيح بن مريم ثم رأيت وراءه رجلا جعد قطط أعور العين اليمنى كأشبه من رأيت بابن قطن واضعا يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت من هذا قالوا المسيح الدجال» تابعه عبيدالله عن نافع ثم رواه البخاري عن أحمد بن محمد المكي عن ابراهيم بن سعد عن الزهري عن سالم عن أبيه قال لا والله ماقال النبي ﷺ لعيسى أحمر ولكن قال «بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فاذا رجل آدم سبط الشعر يتهادى بين رجلين ينطف رأسه ماء - أو يهراق رأسه ماء - فقلت من هذا؟ فقالوا ابن مريم، فذهبت ألتفت فاذا رجل احمر جسيم جعد الرأس أعور عينه اليمنى كأن عينه عنبة طافية قلت من هذا؟ قالوا الدجال، وأقرب الناس به شبها ابن قطن» قال الزهري رجل من خزاعة هلك في الجاهلية هذه كلها ألفاظ البخاري رحمه الله وقد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة ان عيسى عليه السلام يمكث في الارض بعد نزوله أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون وفي حديث عبد الله بن عمر عند مسلم انه يمكث سبع سنين فيحتمل والله أعلم أن يكون المراد بلبثه في الارض أربعين سنة مجموع اقامته فيها قبل رفعه وبعد نزوله فانه رفع وله ثلاث وثلاثون سنة في الصحيح وقد ورد ذلك في حديث في صفة أهل الجنة انه على صورة آدم وميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة وأما ماحكاه ابن عساكر عن بعضهم انه رفع وله مائة وخمسون سنة فشاذ غريب بعيد وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ترجمة عيسى بن مريم من تاريخه عن بعض السلف انه يدفن مع النبي ﷺ في حجرته فالله أعلم

وقوله تعالى (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) قال قتادة يشهد عليهم انه قد بلغهم الرسالة من الله وأقر بعبودية الله عز وجل وهذا كقوله تعالى في آخر سورة المائدة (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس) الى قوله (العزيز الحكيم)

ربه وأقر بالعبودية على نفسه كما قال تعالى مخبرا عنه (وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم) وكل نبي شاهد على أمته. قال الله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ؟)

فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبٰت أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً (١٥٩) وأخذهم الربوٰا وقد نهوا عنه وأكلهم أموٰل الناس بالبٰطل وأعتدنا للكٰفرين منهم عذاباً أليماً (١٦٠) لٰكن الرٰسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلوٰة والمؤتون الزكوٰة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولٰئك سنؤتيهم أجراً عظيماً (١٦١)

يخبر تعالى أنه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة حرم عليهم طيبات كان أحلها لهم كما قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو قال قرأ ابن عباس «طيبات كانت أحلت لهم» وهذا التحريم قد يكون قدرياً بمعنى انه تعالى قيضهم لان تأولوا في كتابهم وحرفوا وبدلوا أشياء كانت حلالا لهم فحرموها على أنفسهم تشديدا منهم على أنفسهم وتضييقا وتنطعا، ويحتمل أن يكون شرعيا بمعنى انه تعالى حرم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالا لهم قبل ذلك كما قال تعالى (كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ماحرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة) وقد قدمنا الكلام على هذه الآية وان المراد أن الجميع من الاطعمة كانت حلالا لهم من قبل أن تنزل التوراة ماعدا ما كان حرم اسرائيل على نفسه من لحوم الابل وألبانها ثم انه تعالى حرم أشياء كثيرة في التوراة كما قال في سورة الانعام (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون) أي إنما حرمنا عليهم ذلك لانهم يستحقون ذلك بسبب بغيهم وطغيانهم ومخالفتهم رسولهم واختلافهم عليه ولهذا قال (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم

قوله عز وجل ﴿فبظلم من الذين هادوا﴾ وهو ماتقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم بآيات الله وبهتانهم على مريم وقولهم انا قتلنا المسيح ﴿حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ وهي ماذكرت في سورة الانعام فقال (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) ونظم الآية «فبظلم من الذين هادوا» وهو ماذكرنا ﴿وبصدهم﴾ وبصرفهم أنفسهم وغيرهم ﴿عن سبيل الله كثيرا﴾ أي عن دين الله صدا كثيرا ﴿وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه﴾ في التوراة ﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ من الرشا في الحكم والمآكل التي يصيبونها من عوامهم عاقبناهم بأن «حرمنا عليهم طيبات» وكانوا كلما ارتكبوا كبيرة حرم عليهم شيء من الطيبات التي كانت حلالا لهم قال الله تعالى «ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون» ﴿وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما* لكن الراسخون في العلم منهم﴾ يعني ليس كل أهل الكتاب بهذه الصفة لكن الراسخون المبالغون في العلم منهم أولو البصائر وأراد به الذين أسلموا من علماء اليهود مثل عبد الله

(وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) أي صدوا الناس وصدوا أنفسهم عن اتباع الحق وهذه سجية لهم متصفون بها من قديم الدهر وحديثه ولهذا كانوا أعداء الرسل وقتلوا خلقا من الانبياء وكذبوا عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما وقوله (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) أي ان الله قد نهاهم عن الربا فتناولوه وأخذوه واحتالوا عليه بانواع من الحيل وصنوف من الشبه وأكلوا أموال الناس بالباطل قال تعالى (وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) ثم قال تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم) أي الثابتون في الدين لهم قدم راسخة في العلم النافع . وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة آل عمران ، والمؤمنون عطف على الراسخين وخبره (يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) قال ابن عباس انزلت في عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيه [1] وأسد بن سعيه وأسد بن عبيد الذين دخلوا في الاسلام وصدقوا بما أرسل الله به محمدا ﷺ وقوله (والمقيمين الصلاة) هكذا هو في جميع مصاحف الائمة وكذا هو في مصحف أبي بن كعب وذكر ابن جرير انها في مصحف ابن مسعود والمقيمون الصلاة قال والصحيح قراءة الجميع ثم رد على من زعم ان ذلك من غلط الكتاب ثم ذكر اختلاف الناس فقال بعضهم هو منصوب على المدح [2] كما جاء في قوله (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) قال وهذا سائغ في كلام العرب كما قال الشاعر

لا يبعدن قومي الذين هم * أسد العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

وقال آخرون هو مخفوض عطفا على قوله (بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) يعني وبالمقيمين الصلاة وكأنه يقول وباقامة الصلاة أي يعترفون بوجوبها وكتابتها عليهم أو أن المراد بالمقيمين الصلاة الملائكة وهذا اختيار ابن جرير يعنى يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالملائكة وفي هذا نظر والله أعلم. وقوله (والمؤتون الزكاة) يحتمل أن يكون المراد زكاة الاموال ويحتمل زكاة النفوس

ابن سلام وأصحابه ﴿ والمؤمنون ﴾ يعني المهاجرين والانصار ﴿ يؤمنون بما أنزل اليك ﴾ يعنى القرآن ﴿ وما أنزل من قبلك ﴾ يعنى سائر الكتب المنزلة ﴿ والمقيمين الصلوة ﴾ اختلفوا في وجه انتصابه فحكي عن عائشة رضي الله عنها وأبان بن عثمان انه غلط من الكاتب ينبغي ان يكتب والمقيمون الصلاة [1] وكذلك قوله في سورة المائدة (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابؤن) وقوله (ان هذان لساحران) قالوا كذلك خطأ من الكاتب وقال عثمان ان في المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتها فقيل له ألا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا . وعامة الصحابة وأهل العلم على التصحيح واختلفوا فيه قيل هو نصب على المدح وقيل نصب باضمار فعل تقديره أعني المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة وقيل موضعه خفض واختلفوا في وجهه فقال بعضهم معناه لكن الراسخون فى العلم منهم ومن المقيمين الصلاة وقيل معناه يؤمنون بما أنزل اليك والى المقيمين الصلاة ثم قوله ﴿ والمؤتون الزكوة ﴾ رجوع

«١» في نسختنا المطبوعة أغلاط في هذه الاسماء اعتمدنا في تصحيحها على الاصابة وغيرها وسعيه بفتح السين المهملة وسكون الياء التحتانية

«٢» الافصح أن يسمى هذا المدح على الاختصاص والمعنى وأخص المقيمين الصلاة بالذكر أو بالمدح فانهم أولى وأحق الخ . وهذا ضرب من بلاغة الايجاز

«١» هذه حكاية شاذة لا تصح وهي خطأ قطعاً إذ لو كانت غلطا في الكتابة لما أجمعوا على قراءتها كما كتبت وأكثرهم كانوا يأخذون القرآن تلقينا شفويا لا من الكتابة . وكتبه محمد رشيد رضا

ويحتمل الأمرين والله أعلم (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) أي يصدقون بأنه لا إله إلا الله ويؤمنون بالبعث بعد الموت والجزاء على الاعمال خيرها وشرها. وقوله (أولئك) هو الخبر عما تقدم (سنؤتيهم أجراً عظيما) يعني الجنة

انا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمن وآتينا داود زبورا (١٦٢) ورسلا قد قصصنهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما (١٦٣) رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما (١٦٤)

قال محمد بن اسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة او سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال سكن وعدي بن زيد يامحمد مانعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى فأنزل الله في ذلك من قولهما ﴿ إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلي نوح والنبيين من بعده ﴾ إلى آخر الآيات وقال ابن جرير حدثنا الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا أبومعشر عن محمد بن كعب القرظي قال أنزل الله (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء) إلى قوله (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) قال فلما تلاها عليهم يعني على اليهود وأخبرهم بأعمالهم الخبيثة جحدوا كل ما أنزل الله وقالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ولا موسى ولا عيسى ولا على نبي من شيء قال فحل حبوته وقال ولا على أحد فأنزل الله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) وفي هذا الذي قاله محمد بن كعب القرظي نظر فان هذه الآية التي في سورة الانعام مكية وهذه الآية التي في سورة النساء مدنية وهي رد عليهم لما سألوا النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتابا من السماء قال الله تعالى (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) ثم ذكر فضائحهم ومعايبهم وما كانوا عليه وما هم عليه الآن من الكذب

الى النسق الاول ﴿ والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما ﴾ قرأ حمزة سيؤتيهم بالياء والباقون بالنون

قوله تعالى ﴿ انا أوحينا اليك ﴾ هذا بناء على ماسبق من قوله (يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) فلما ذكر الله عيوبهم وذنوبهم غضبوا وجحدوا كل ما أنزل الله عز وجل وقالوا ما أنزل الله على بشر من شيء فنزل (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) وانزل ﴿ إنا أوحينا اليك كما اوحينا الي نوح والنبيين من بعده ﴾ فذكر عدة من الرسل الذين أوحى اليهم

والافتراء ثم ذكر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله محمد ﷺ كما أوحى إلى غيره من الأنبياء المتقدمين فقال (إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) إلى قوله (وآتينا داود زبورا) والزبور اسم الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود عليه السلام وسنذكر ترجمة كل واحد من هؤلاء الأنبياء عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام عند قصصهم من سورة الأنبياء إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

وقوله (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) أي من قبل هذه الآية يعني في السور المكية وغيرها وهذه تسمية الأنبياء الذين نص الله على اسمائهم في القرآن وهم آدم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط واسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهرون ويونس وداود وسليمان وإلياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وكذا ذوالكفل عند كثير من المفسرين وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم وقوله (ورسلا لم نقصصهم عليك) أى خلقا آخرين لم يذكروا في القرآن وقد اختلف في عدة الأنبياء والمرسلين والمشهور في ذلك حديث أبي ذر الطويل وذلك فيما رواه ابن مردويه رحمه الله في تفسيره حيث قال حدثنا ابراهيم ابن محمد حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن والحسين بن عبد الله بن يزيد قالا حدثنا ابراهيم بن هشام ابن يحيى الغساني حدثني أبي عن جدي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر قال قلت يارسول الله كم الأنبياء ؟ قال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا » قلت يارسول الله كم الرسل منهم قال « ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير » قلت يارسول الله من كان أولهم قال « آدم » قلت يارسول الله « نبي مرسل » قال « نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا » ثم قال ياأبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو أول من خط بالقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك ياأبا ذر ، وأول نبي من بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى ، وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك » وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي في كتابه الانواع والتقاسيم وقد وسمه بالصحة وخالفه أبو الفرج بن الجوزي فذكر هذا الحديث في كتابه الموضوعات واتهم به ابراهيم بن هشام هذا ولا شك انه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث والله أعلم وقد روي هذا الحديث من وجه آخر عن صحابي آخر فقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا

وبدأ بذكر نوح عليه السلام لانه كان أبا البشر مثل آدم عليه السلام قال الله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) ولانه أول نبي من أنبياء الشريعة واول نذير على الشرك واول من عذبت أمته لردهم دعوته واهلاك أهل الارض جميعا بدعائه ، وكان أطول الانبياء عمراً وجعلت معجزته في نفسه لانه عمر ألف سنة ولم تسقط له سن ولم تشب له شعرة ولم تنقص له قوة ولم يصبر نبي على أذى قومه ماصبر هو على طول عمره

قوله تعالى ﴿ واوحينا الى ابراهيم واسمعيل وإسحق ويعقوب والاسباط ﴾ وهم اولاد يعقوب

أبو المغيرة حدثنا معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي إمامة قال قلت يا نبي الله كم الأنبياء؟ قال «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا» معان بن رفاعة السلامي ضعيف وعلي بن يزيد ضعيف والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أحمد بن اسحق أبو عبد الله الجوهري البصري حدثنا علي بن ابراهيم حدثنا موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف إلى بني اسرائيل وأربعة آلاف إلى سائر الناس» وهذا أيضا إسناد ضعيف فيه الربذي ضعيف وشيخه الرقاشي أضعف منه والله أعلم . وقال أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا محمد بن ثابت العبدي حدثنا معبد بن خالد الانصاري عن يزيد الرقاشي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «كان فيمن خلا من اخواني من الأنبياء ثمانية آلاف نبي ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت أنا» وقد رويناه عن أنس من وجه آخر فأخبرنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي أخبرنا أبو الفضل بن عساكر أنبأنا الامام أبو بكر بن القاسم بن أبي سعيد الصفار أخبرتنا عمة أبي عائشة بنت أحمد بن منصور بن الصفار أخبرنا الشريف أبو السنابك هبة الله بن أبي الصهباء محمد بن حيدر القرشي حدثنا الامام الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني قال أخبرنا الامام أبو بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلي حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسلم بن خلد حدثنا زياد بن سعد عن محمد بن المنكدر عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ «بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي منهم أربعة آلاف نبي من بني اسرائيل» وهذا غريب من هذا الوجه واسناده لا بأس به رجاله كلهم معروفون إلا أحمد ابن طارق هذا فاني لا أعرفه بعدالة ولا جرح والله أعلم

وحديث أبي ذر الغفاري الطويل في عدد الأنبياء عليهم السلام قال محمد بن الحسين الآجري حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد بن الفرياني إملاء في شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين حدثنا ابراهيم بن هشام بن يحيى الغساني حدثنا أبي عن جده عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر قال دخلت المسجد فاذا رسول الله ﷺ جالس وحده فجلست اليه فقلت يارسول الله إنك أمرتني بالصلاة قال «الصلاة خير موضوع فاستكثر أو استقل» قال قلت يارسول الله فأي الاعمال أفضل؟

﴿وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا﴾ قرأ الاعمش وحمزة زبورا والزبور[1] بضم الزاي حيث كان بمعنى جمع زبور أي آتينا داود كتابا وصحفا مزبورة أى مكتوبة وقرأ الآخرون بفتح الزاي وهو اسم الكتاب الذى أنزل الله تعالى على داود عليه السلام وكان فيه التحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل وكان داود يبرز الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور ويقوم معه علماء بني اسرائيل فيقومون خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس الاعظم فالاعظم والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه تعجبا لما يسمعن منه والطير ترفرف على رؤسهم

(١) كذا في الاصل : والواو فيه للحال والاظهر انه زائد

قال « ايمان بالله وجهاد في سبيله » قلت يارسول الله فأي المؤمنين أفضل ؟ قال « أحسنهم خلقا » قلت يارسول الله فأي المسلمين أسلم ؟ قال « من سلم النـاس من لسانه ويده » فقلت يا رسول الله فأي الهجرة أفضل ؟ قال « من هجر السيئات » قلت يارسول الله أي الصلاة أفضل ؟ قال « طول القنوت » قلت يارسول الله فأي الصيام أفضل ؟ قال « فرض مجزيء وعند الله أضعاف كثيرة » قلت يارسول الله فأي الجهاد أفضل ؟ قال « من عقر جواده وأهريق دمه » قلت يارسول الله فأي الرقاب أفضل؟ قال « أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها » قلت يارسول الله فأي الصدقة أفضل؟ قال « جهد من مقل وسر الى فقير » قلت يارسول الله فأي آية ما أنزل عليك أعظم؟ قال « آية الكرسي » ثم قال يا أباذر « وما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة » قال: قلت يارسول الله كم الأنبياء ؟ قال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا » قال: قلت يارسول الله كم الرسل من ذلك؟ قال « ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير كثير طيب » قلت فمن كان أولهم؟ قال « آدم » قلت أنبي مرسل؟ قال « نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسواه قبيلا » ثم قال « يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث وخنوح وهو إدريس وهو أول من خط بقلم ونوح وأربعة من العرب هود وشعيب وصالح ونبيك يا أبا ذر » وأول أنبياء بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول الرسل آدم وآخرهم محمد » قال قلت يارسول الله كم كتاب أنزله الله؟ قال « مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة وعلى خنوح ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى من قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والأنجيل والزبور والفرقان » قال قلت يارسول الله ما كانت صحف ابراهيم؟ قال « كانت كلها يا أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها مثال وعلى العاقل أن يكون له ساعات، ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ضاعنا إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلا على شأنه، حافظا للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه. قال: قلت يارسول الله فما كانت صحف موسى؟ قال

فلما قارف الذنب لم ير ذلك ونفروا من حوله فقيل له ذاك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية. أخبرنا ابو سعيد الشريحي أنبأنا ابو إسحق الثعلبي انا ابوبكر الجوزقي انا ابو العباس الرعوف[1] انا يحيى بن زكريا انا الحسن بن حماد بن سعيد الاموى عن طلحة بن يحيى عن أبي بردة بن ابي موسى عن أبيه قال قال لي رسول الله ﷺ « لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود » فقال أما والله يارسول الله لو علمت انك تستمع لحبرته تحبيرا وكان عمر رضى الله عنه اذا رآه يقول ذكرنا يا أبا موسى فيقرأ عنده

«١» وفي نسخة «الراغوني» وأخرى «الراغولي»

« كانت عبراً كلها، عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن اليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم هو لا يعمل » قال : قلت يارسول الله فهل في أيدينا شيء مما كان في أيدي ابراهيم وموسى وما أنزل الله عليك ؟ قال « نعم اقرأ يا أبا ذر (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى * إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف ابراهيم وموسى) قال : قلت يارسول الله فأوصني قال « أوصيك بتقوى الله فانه رأس أمرك » قال: قلت يارسول الله زدني قال « عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فانه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض » قال: قلت يارسول الله زدني قال « إياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ويذهب بنور الوجه » قلت يارسول الله زدني قال « عليك بالجهاد فانه رهبانية أمتي » قلت زدني قال « عليك بالصمت إلا من خير فانه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك » قلت زدني قال « انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك فانه أجدر لك أن لا تزدري نعمة الله عليك » قلت زدني قال « أحبب المساكين وجالسهم فانه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عليك » قلت زدني قال « صل قرابتك وإن قطعوك » قلت زدني قال « قل الحق وإن كان مرا » قلت زدني قال « لا تخف في الله لومة لائم » قلت زدني قال « يردك عن الناس ما تعرف من نفسك ولا تجد عليهم فيما تحب وكفى بك عيباً أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك أو تجد عليهم فيما تحب » ثم ضرب بيده صدري فقال يا أبا ذر « لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق »

وروى الامام أحمد عن أبي المغيرة عن معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي إمامة ان أبا ذر سأل النبي ﷺ فذكر أمر الصلاة والصيام والصدقة وفضل آية الكرسي ولا حول ولا قوة إلا بالله وأفضل الشهداء وأفضل الرقاب ونبوة آدم وأنه مكلم وعدد الانبياء والمرسلين كنحو ما تقدم. وقال عبدالله بن الامام أحمد وجدت في كتاب أبي بخطه حدثني عبدالمتعالي بن عبدالوهاب حدثنا يحيى بن سعيد الاموي حدثنا مجالد عن أبي الوداك قال قال أبو سعيد هل تقول الخوارج بالدجال قال : قلت لا ، فقال قال رسول الله ﷺ « إني خاتم ألف نبي أو أكثر وما بعث نبي يتبع إلا وقد حذر أمته منه وإني قد بين لي فيه مالم يبين وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخامة في حائط مجصص وعينه اليسرى كأنها كوكب دري ، معه

قوله تعالى ﴿ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ﴾ أي وكما أوحينا الى نوح والى الرسل رسلا نصب بنزع حرف الصفة وقيل معناه وقصصنا عليك رسلا وفي قراءة أبي ورسل وقد قصصناهم عليك من قبل ﴿ ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ﴾ قال الفراء العرب تسمي مايوصل إلى الانسان كلاما بأي طريق وصل ولكن لا تحققه بالمصدر فاذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام كالارادة يقال أراد فلان ارادة يريد حقيقة الارادة ويقال أراد الجدرا ولا يقال أراد الجدار ارادة لانه مجاز غير حقيقة

من كل لسان ومعه صورة الجنة خضراء يجري فيها الماء وصورة النار سوداء تدخن » وقد رويناه في الجزء الذي فيه رواية أبي يعلى الموصلي عن يحيى بن معين حدثنا مروان بن معاوية حدثنا مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ « إني أختم ألف ألف نبي أو أكثر ما بعث الله من نبي إلى قومه إلا حذرهم الدجال » وذكر تمام الحديث هذا لفظه بزيادة ألف وقد تكون مقمحة والله أعلم . وسياق رواية الامام أحمد أثبت وأولى بالصحة ورجال اسناد هذا الحديث لا بأس بهم وقد روي هذا الحديث من طريق جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا مجالد عن الشعبي عن جابر قال قال رسول الله ﷺ « إني لخاتم ألف نبي أو أكثر وإنه ليس منهم نبي إلا وقد أنذر قومه الدجال وإني قد بين لي ما لم يبين لأحد منهم وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور »

قوله (وكلم الله موسى تكليما) وهذا تشريف لموسى عليه السلام بهذه الصفة ولهذا يقال له الكليم وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن سليمان المالكي حدثنا مسيح بن حاتم حدثنا عبد الجبار بن عبد الله قال جاء رجل إلى أبي بكر بن عياش فقال سمعت رجلا يقرأ (وكلم الله موسى[1] تكليما) فقال أبو بكر ما قرأ هذا الا كافر قرأت على الأعمش وقرأ الاعمش على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى بن وثاب على أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي على علي بن أبي طالب وقرأ علي بن أبي طالب على رسول الله ﷺ (وكلم الله موسى تكليما) وإنما اشتد غضب أبي بكر بن عياش رحمه الله على من قرأ كذلك لأنه حرف لفظ القرآن ومعناه وكان هذا من المعتزلة الذين ينكرون أن يكون الله كلم موسى عليه السلام أو يكلم أحداً من خلقه كما رويناه عن بعض المعتزلة انه قرأ على بعض المشايخ (وكلم الله موسى تكليما) فقال له يا ابن اللخناء كيف تصنع بقوله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) يعني إن هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا أحمد بن الحسين بن بهرام حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا هاني بن يحيى عن الحسن بن أبي جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لما كلم الله موسى كان يبصر دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء » وهذا حديث غريب واسناده لا يصح وإذا صح موقوفا كان جيداً وقد روى الحاكم في مستدركه وابن مردويه من حديث حميد بن قيس الاعرج عن عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ

(١) قرأ هذا الرجل لفظ الجلالة بالنصب وموسى بالرفع يعني وكلم موسى الله

قوله تعالى ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ فيقولوا ما أرسلت الينا رسولا وما أنزلت الينا كتابا وفيه دليل على أن الله تعالى لا يعذب الخلق قبل بعثه الرسل قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ﴿ وكان الله عزيزا حكيما ﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي انا محمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل ثنا موسى بن اسمعيل انا أبو عوانة انا عبد الملك عن وراد كاتب المغيرة قال قال سعد بن عبادة رضى الله عنه لو رأيت رجلا مع امرأتي

« كان على موسى يوم كامه ربه جبة صوف وكساء صوف وسراويل صوف ونعلان من جلد حمار غير ذكي » وقال ابن مردويه باسناده عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال « ان الله ناجى موسى بمائة ألف كلمة وأربعين ألف كلمة في ثلاثة أيام وصايا كلها فلما سمع موسى كلام الآدميين مقتهم مما وقع في مسامعه من كلام الرب عز وجل » وهذا أيضا أسناد ضعيف فان جويبر أضعف والضحاك لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما . فأما الاثر الذي رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وغيرهما من طريق الفضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله أنه قال لما كلم الله موسى يوم الطور كامه بغير الكلام الذي كلمه يوم ناداه فقال له موسى يارب هذا كلامك الذي كلمتني به قال « لا ياموسى انما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الالسنة كلها وأنا أقوى من ذلك » فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا ياموسى صف لنا كلام الرحمن قال لا أستطيعه قالوا فشبه لنا قال ألم تسمعوا الى صوت الصواعق فانه قريب منه وليس به . وهذا إسناد ضعيف فان الفضل الرقاشي هذا ضعيف بمرة . وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث عن جزء بن جابر الخثعمي عن كعب قال ان الله لما كلم موسى كامه بالالسنة كلها سوى[1] كلامه فقال له موسى يارب هذا كلامك قال لا ولو كلمتك بكلامي لم تستقم له قال يارب فهل من خلقك شيء يشبه كلامك قال لا وأشد خلقي شبهاً بكلامي أشد ماتسمعون من الصواعق . فهذا موقوف على كعب الاحبار وهو يحكي عن الكتب المتقدمة المشتملة على أخبار بني اسرائيل وفيها الغث والسمين[2]

وقوله (رسلا مبشرين ومنذرين) أي يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب وقوله (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) أي انه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة ، وبين مايحبه ويرضاه ، مما يكرهه ويأباه ، لئلا يبقى لمعتذر عذر كما قال تعالى (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) وكذا قوله (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم) الآية . وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « لا أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب اليه المدح من الله عز وجل ، من أجل ذلك مدح نفسه ، ولا أحد أحب اليه العذر من الله ، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين » وفي لفظ آخر « من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه »

(١) في رواية ابن جرير : بالالسنة كلها قبل كلامه . ثم قال يعني كلام موسى اه

(٢) بل يحكي عنها ماليس فيها أيضاً

لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الله الفواحش ماظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد أحب اليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الله الجنة

لـكن اللهُ يَشهدُ بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملئكةُ يشهدون وكفى بالله شهيداً (١٦٦) ان الذين كفروا وصدُّوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيدا (١٦٧) إن الذين كفروا وظلموا لم يكن اللهُ ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا (١٦٨) إلا طريق جهنم خـٰلدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً (١٦٩) يأيها الناسُ قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لـكم وان تكفروا فان لله مافى السمٰوٰت والارض وكان الله عليما حكيما (١٧٠)

لما تضمن قوله تعالى (إنا أوحينا اليك) الى آخر السياق اثبات نبوته ﷺ والرد على من أنكر نبوته من المشركين وأهل الكتاب قال الله تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) أي وان كفر به من كفر به ممن كذبك وخالفك فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب وهو القرآن العظيم (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ولهذا قال (أنزله بعلمه) أي فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان، وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة التي لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب الا أن يعلمه الله به، كما قال تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وقال (ولا يحيطون به علما) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي ابن الحسين حدثنا الحسن بن سهيل الجعفري وعبد الله بن المبارك قالا حدثنا عمران بن عيينة حدثنا عطاء بن السائب قال أقرأني أبو عبد الرحمن السلمي القرآن، وكان اذا قرأ عليه أحدنا القرآن قال قد أخذت علم الله فليس أحد اليوم أفضل منك الا بعمل ثم يقرأ قوله (انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا) قوله (والملائكة يشهدون) أي تصدق ماجاءك وأوحي اليك وأنزل عليك مع شهادة الله تعالى لك بذلك (وكفى بالله شهيدا) قال محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال دخل على رسول الله ﷺ جماعة من اليهود فقال لهم « انى لأعلم والله انكم لتعلمون اني رسول الله» فقالوا

قوله تعالى﴿ لكن الله يشهد بما أنزل اليك﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ان رؤساء مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد إنا سألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك ودخل عليه جماعة من اليهود فقال لهم «اني والله أعلم انكم لتعلمون أني رسول الله» فقالوا ما نعلم ذلك والله فأنزل الله عز وجل «لكن الله يشهد بما أنزل اليك» ان جحدوك وكذبوك ﴿أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا * ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ بكتمان نعت محمد ﷺ ﴿ قد ضلوا ضلالا بعيدا * ان الذين كفروا وظلموا﴾ قيل انما قال وظلموا مع أن ظلمهم بكفرهم تأكيداً وقيل معناه كفروا بالله وظلموا

مانعلم ذلك . فأنزل الله عز وجل (لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه) الآية

وقوله (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا) أي كفروا في أنفسهم فلم يتبعوا الحق وسعوا في صد الناس عن اتباعه والاقتداء به قد خرجوا عن الحق وضلوا عنه وبعدوا منه بعداً عظيما شاسعا ثم أخبر تعالى عن حكمه في الكافرين بآياته وكتابه ورسوله، الظالمين لانفسهم بذلك وبالصد عن سبيله وارتكاب محارمه وانتهاك مآثمه بأنه لايغفر لهم (ولا يهديهم طريقا) أي سبيلا الى الخير (إلا طريق جهنم) وهذا استثناء منقطع (خالدين فيها أبدا) الآية ثم قال تعالى (ياأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم) أي قد جاءكم محمد صلوات الله وسلامه عليه بالهدى ودين الحق والبيان الشافي من الله عز وجل فآمنوا بما جاءكم به واتبعوه يكن خيرا لكم ثم قال (وان تكفروا فان لله مافي السموات والارض) أي فهو غني عنكم وعن ايمانكم، ولا يتضرر بكفرانكم كما قال تعالى (وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد) وقال ههنا (وكان الله عليما) أي بمن يستحق منكم الهداية فيهديه، وبمن يستحق الغواية فيغويه (حكيما) أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره

يا أهل الكتب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم، انما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد، له مافي السموت وما في الارض وكفى بالله وكيلا (١٧١)

ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والاطراء، وهذا كثير في النصارى فانهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي اعطاه الله اياها فنقلوه من حيز النبوة الى أن اتخذوه إلهـا من دون الله يعبدونه كما يعبدونه. بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم انه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ماقالوه سواء كان حقاً أو باطلا، أو ضلالا أو رشاداً، أو صحيحا أو كذبا ، ولهذا قال الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية . وقال الامام أحمد حدثنا هشيم قال زعم الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن أبي مسعود عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله ﷺ قال« لاتطروني

محمداً ﷺ بكتمان نعته ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ﴾ يعني دين الاسلام ﴿ الا طريق جهنم ﴾ يعني اليهودية ﴿ خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ وهذا في حق من سبق حكمه فيهم انهم لايؤمنون ﴿ ياأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم ﴾ تقديره فآمنوا يكن الايمان خيرا لكم ﴿ وان تكفروا فان لله مافي السموات والارض وكان الله عليما حكيما* ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ﴾ نزلت في النصارى وهم أصناف أربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية

كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » ثم رواه هو وعلي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن الزهري كذلك ، ولفظه « انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقال علي بن المديني هذا حديث صحيح مسند ، وهكذا رواه البخاري عن الحميدي عن سفيان بن عيينة عن الزهري به ولفظه « فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رجلا قال يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله ﷺ « أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » تفرد به من هذا الوجه

وقوله تعالى (ولا تقولوا على الله الا الحق) أي لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولداً تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً وتنزه وتقدس وتوحد في سؤدده وكبريائه وعظمته فلا إله الا هو ولا رب سواه ولهذا قال (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) أي انما هو عبد من عباد الله ، وخلق من خلقه قال له كن فكان ، ورسول من رسله وكلمته ألقاها إلى مريم اي خلقه بالكلمة التي ارسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه باذن ربه عز وجل وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم والجميع مخلوق لله عز وجل ولهذا قيل لعيسى انه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له اب تولد منه وإنما هو ناشيء عن الكلمة التي قال له بها كن فكان ، والروح التي ارسل بها جبريل . قال الله تعالى (ما المسيح عيسى ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) وقال تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وقال تعالى (والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) وقال تعالى (ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها) إلى آخر السورة ، وقال تعالى إخباراً عن المسيح (إن هو إلا عبد انعمنا عليه) الآية وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) هو كقوله (كن فيكون)

والمرقوسية فقالت اليعقوبية عيسى هو الله ، وكذلك الملكانية وقالت النسطورية عيسى هو ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة فانزل الله تعالى هذه الآية ويقال الملكانية يقولون عيسى هو الله واليعقوبية يقولون ابن الله والنسطورية يقولون ثالث ثلاثة علمهم رجل من اليهود يقال له بولص سيأتي في سورة التوبة ان شاء الله تعالى . وقال الحسن يجوز ان تكون نزلت في اليهود والنصارى فانهم جميعا غلوا في أمر عيسى فاليهود بالتقصير والنصارى في مجاوزة الحد وأصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام قال الله تعالى (لا تغلوا في دينكم) لا تشددوا في دينكم فتفتروا على الله الكذب ﴿ ولا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي قال سمعت شاذان بن يحيى يقول في قول الله (وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) قال ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى وهذا أحسن مما ادعاه ابن جرير في قوله (ألقاها الى مريم) أي اعلمها بها كما زعمه في قوله (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه) اي يعلمك بكلمة منه ويجعل ذلك كقوله تعالى (وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك) بل الصحيح انها الكلمة التي جاء بها جبريل الى مريم فنفخ فيها باذن الله فكان عيسى عليه السلام

وقال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا الوليد حدثنا الاوزاعي حدثني عمير بن هانيء حدثنا جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وان الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » وقال الوليد فحدثني عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر عن عمير بن هانيء عن جنادة زاد «من أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» وكذا رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد عن ابن جابر به ، ومن وجه آخر عن الاوزاعي به فقوله في الآية والحديث «وروح منه» كقوله(وسخر لكم مافي السموات وما في الارض جميعاً منه) أي من خلقه ومن عنده وليست (من) للتبعيض كاتقوله النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة بل هي لابتداء الغاية كما في الآية الاخرى ، وقد قال مجاهد في قوله (وروح منه) أي ورسول منه وقال غيره ومحبة منه، والاظهر الاول وهو انه مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله (هذه ناقة الله) وفي قوله (وطهر بيتي للطائفين) وكما روي في الحديث الصحيح « فأدخل على ربي في داره » أضافها اليه إضافة تشريف وهذا كله من قبيل واحد ونمط واحد وقوله (فآمنوا بالله ورسوله) أي فصدقوا بأن الله واحد أحد لا ولد له ولا صاحبة ، واعلموا وتيقنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله ولهذا قال تعالى(ولاتقولوا ثلاثة)أي لاتجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وهذه الآية والتي في سورة المائدة حيث يقول تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد) وكما قال في آخر السورة المذكورة

تقولوا على الله الا الحق﴾ لاتقولوا إن له شريكا وولداً ﴿ انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ﴾ وهي قوله كن فكان بشرا من غير أب وقيل غيره ﴿ ألقاها الى مريم ﴾ أى أعلمها وأخبرها بها كما يقال : ألقيت اليك كلمة حسنة ﴿ وروح منه ﴾ قيل هو روح كسائر الارواح الا ان الله تعالى أضافه الى نفسه تشريفا. وقيل الروح هو النفخ الذى نفخه جبريل عليه السلام في درع مريم فحملته بأذن الله تعالى سمي النفخ روحا لانه ريح يخرج من الروح واضافه الى نفسه لانه كان بأمره وقيل روح منه أى ورحمة منه فكان عيسى عليه السلام رحمة لمن تبعه وآمن به وقيل الروح الوحي اوحي

(وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني) الآية وقال في أولها (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) الآية والنصارى عليهم لعائن الله من جهلهم ليس لهم ضابط ، ولا لكفرهم حد بل أقوالهم وضلالهم منتشر فمنهم من يعتقده إلهاً ومنهم من يعتقده شريكاً ، ومنهم من يعتقده ولداً وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة ، وأقوال غير مؤتلفة . ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال : لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا عن أحد عشر قولا .

ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير عندهم وهو سعيد بن بطريق بترك الاسكندرية[1] في حدود سنة أربعمائة من الهجرة النبوية انهم اجتمعوا المجمع الكبير الذي عقدوا فيه الامانة الكبيرة التي لهم وإنما هي الخيانة الحقيرة الصغيرة وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة وانهم اختلفوا عليه اختلافا لا ينضبط ولا ينحصر فكانوا أزيد من ألفين أسقفا[2] فكانوا أحزابا كثيرة كل خمسين منهم على مقالة وعشرون على مقالة ومائة على مقالة وسبعون على مقالة وأزيد من ذلك وأنقص. فلما رأى منهم عصابة قد زادوا على الثلثمائة بثمانية عشر نفراً وقد توافقوا على مقالة فأخذها الملك ونصرها وأيدها وكان فيلسوفا داهية ومحق ماعداها من الأقوال، وانتظم دست أولئك الثلثمائة والثمانية عشر وبنيت لهم الكنائس ووضعوا لهم كتباً وقوانين وأحدثوا فيها الامانة التي يلقنونها الولدان من الصغار ليعتقدوها ويعمدونهم عليها واتباع هؤلاء هم الملكية. ثم انهم اجتمعوا مجمعاً ثانياً فحدث فيهم اليعقوبية ثم مجمعاً ثالثا فحدث فيهم النسطورية وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح ويختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم هل اتحدا أو مااتحدا أو امتزجا أو حل فيه على ثلاث مقالات وكل منهم يكفر الفرقة الأخرى ونحن نكفر الثلاثة ولهذا قال تعالى (انتهوا خيراً لكم) أي يكن خيراً لكم (إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد) أي تعالى وتقدس عن ذلك علواً كبيراً (له مافي السموات ومافي الأرض

[1] (١) كذا في النسختين المكية والازهرية . وفي المطبوعة نزيل الاسكندرية وهى تحريف

[2] ٢) كذا في جميع النسخ

الى مريم بالبشارة والى جبريل عليه السلام بالنفخ والى عيسى عليه السلام أن كن فكان كما قال الله تعالى (ينزل الملائكة بالروح من امره) يعني بالوحي وقيل أراد بالروح جبريل عليه السلام معناه كلمته ألقاها الى مريم والقاها أيضا روح منه بأمره وهو جبريل عليه السلام كما قال (تنزل الملائكة والروح) يعني جبريل فيها وقال (فأرسلنا اليها روحنا) يعني جبريل أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل انا صدقة بن الفضل انا الوليد عن الاوزاعي حدثني عمرو بن هانىء حدثني جنادة بن أمية عن عبادة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال (من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبدالله ورسوله وابن أمته وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) ﴿ فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ﴾ أى ولا تقولوا هم ثلاثة وكانت النصارى تقول أب وابن وروح قدس ﴿ انتهوا خيرا لكم ﴾ تقديره انتهوا يكن الانتهاء خيرا لكم ﴿ انما الله اله واحد سبحانه ان

وكفى بالله وكيلا) أي الجميع ملكه وخلقه وجميع مافيهما عبيده وهم تحت تدبيره وتصريفه وهو وكيل على كل شيء فكيف يكون له منهم صاحبة وولد كما قال في الآية الأخرى (بديع السموات والارض أنى يكون له ولد) الآية وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئا إدا ـ إلى قوله ـ فردا)

(لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملئكة المقربون، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا (١٧٢) فأما الذين آمنوا وعملوا الصلحت فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيراً (١٧٣)

قال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قوله (لن يستنكف) لن يستكبر . وقال قتادة: لن يحتشم (المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) وقد استدل بعض من ذهب إلى تفضيل الملائكة على البشر بهذه الآية حيث قال (ولا الملائكة المقربون) وليس له في ذلك دلالة لأنه انما عطف الملائكة على المسيح لأن الاستنكاف هو الامتناع والملائكة أقدر على ذلك من المسيح فلهذا قال (ولا الملائكة المقربون) ولا يلزم من كونهم أقوى وأقدر على الامتناع أن يكونوا أفضل . وقيل انما ذكروا لأنهم اتخذوا آلهة مع الله كما اتخذ المسيح فأخبر تعالى انهم عبيد من عباده وخلق من خلقه كما قال الله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون) الآيات . ولهذا قال (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً) أي فيجمعهم اليه يوم القيامة ويفصل بينهم بحكمه العدل الذي لا يجور فيه ولا يحيف. ولهذا قال

يكون له ولد ﴾ واعلم ان التبنى لايجوز لله تعالى لان التبنى انما يجوز لمن يتصور له ولد ﴿ له مافي السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ﴾

قوله تعالى ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدالله ﴾ وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله ورسوله فقال النبي ﷺ « انه ليس بعار لعيسى عليه السلام ان يكون عبد الله » فنزل « لن يستنكف المسيح » لن يأنف ولن يتعظم والاستنكاف التكبر مع الانفة ﴿ ولا الملائكة المقربون ﴾ وهم حملة العرش لا يأنفون أن يكونوا عبيدا لله ويستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر لان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقي الا الى الاعلي لايقال لا يستنكف فلان من هذا ولا عبده انما يقال فلان لا يستنكف من هذا ولا مولاه ولاحجة لهم لانه لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل ردا على الذين يقولون الملائكة آلهة كما رد على النصاري قولهم المسيح ابن الله وقاله ردا على النصارى بزعمهم فانهم يقولون بتفضيل الملائكة

(فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) أي فيعطيهم من الثواب على قدر اعمالهم الصالحة ويزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه وسعة رحمته وامتنانه ، وقد روى ابن مردويه من طريق بقية عن اسماعيل بن عبد الله الكندي عن الاعمش عن سفيان عن عبد الله مرفوعا قال : قال رسول الله ﷺ (فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) أجورهم قال أدخلهم الجنة (ويزيدهم من فضله) قال « الشفاعة فيمن وجبت له النار ممن صنع اليهم المعروف في دنياهم » وهذا إسناد لايثبت . وإذا روي عن ابن مسعود موقوفا فهو جيد (وأما الذين استنكفوا واستكبروا) أي امتنعوا من طاعة الله وعبادته واستكبروا عن ذلك (فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيراً) كقوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين حقيرين ذليلين كما كانوا ممتنعين مستكبرين .

(ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبينا (١٧٤) فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما (١٧٥)

يقول تعالى مخاطبا جميع الناس ومخبرا بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم ، وهو الدليل القاطع للعذر والحجة المزيلة للشبه ولهذا قال (وأنزلنا اليكم نورا مبينا) أي ضياء واضحا على الحق ، قال ابن جريج وغيره هو القرآن (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) أي جمعوا بين مقامي العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم ، وقال ابن جريج : آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن . رواه ابن جرير (فسيدخلهم في رحمة منه وفضل) أي يرحمهم فيدخلهم الجنة ويزيدهم ثوابا ومضاعفة ورفعا في درجاتهم من فضله عليهم وإحسانه اليهم (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) أي طريقا واضحا قصدا قواما لااعوجاج فيه ولا انحراف وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة ، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعمليات، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي إلى روضات الجنات. وفي حديث الحارث الاعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « القرآن صراط الله المستقيم، وحبل الله المتين » وقد تقدم الحديث بتمامه في أول التفسير ولله الحمد والمنة

قوله تعالى ﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا﴾ قيل الاستنكاف هو التكبر مع الانفة والاستكبار هو العلو والتكبر من غير أنفة ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ﴾ من تضعيف مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ وأما الذين استنكفوا واستكبروا ﴾ عن عبادته ﴿ فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ﴾

قوله عز وجل ﴿ ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ﴾ يعني محمدا ﷺ هذا قول أكثر المفسرين وقيل هو القرآن والبرهان الحجة ﴿ وأنزلنا اليكم نورا مبينا ﴾ يعني القرآن ﴿ فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ﴾ امتنعوا به من زيغ الشيطان ﴿ فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ﴾ يعنى الجنة ﴿ ويهديهم اليه صراطا مستقيما ﴾

يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها

نصف ماترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد، فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك، وإن كانوا

إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين، يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم (١٧٦)

قال البخاري : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء قال آخر سورة نزلت براءة ، وآخر آية نزلت يستفتونك

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن المنكدر قال : سمعت جابر ابن عبد الله قال دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل قال فتوضأ ثم صب علي أو قال صبوا عليه فعقلت فقلت انه لا يرثني إلا كلالة فكيف الميراث؟ فأنزل الله آية الفرائض أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة، ورواه الجماعة من طريق سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر به وفي بعض الألفاظ فنزلت آية الميراث (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) الآية. وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان وقال ابو الزبير قال يعني جابرا نزلت فيَّ (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) وكأن معنى الكلام والله أعلم يستفتونك عن الكلالة (قل الله يفتيكم) فيها فدل المذكور على المتروك . وقد تقدم الكلام على الكلالة واشتقاقها وانها مأخوذة من الاكاليل الذي يحيط بالرأس من جوانبه ولهذا فسرها أكثر العلماء بمن يموت وليس له ولد ولا والد[1] ومن الناس من يقول الكلالة من لاولد له كما دلت عليه هذه الآية (إن امرؤ هلك ليس له ولد) وقد أشكل حكم الكلالة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ثبت عنه في الصحيحين انه قال: ثلاث وددت ان رسول الله ﷺ كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه ـ الجد والكلالة وباب من أبواب الربا[2]

وقال الامام أحمد : حدثنا اسمعيل عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة قل قال عمر بن الخطاب ما سألت رسول الله ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بأصبعه في صدري وقال « يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء » هكذا رواه مختصراً وأخرجه مسلم مطولا أكثر من هذا

﴿طريق أخرى﴾ قال الامام أحمد: حدثنا أبو نعيم حدثنا مالك يعني ابن معول يقول سمعت الفضل ابن عمرو عن ابراهيم عن عمر قال سألت رسول الله ﷺ عن الكلالة فقال «يكفيك آية الصيف» فقال

قوله تعالى ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ نزلت في جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال عادني رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل وتوضأ وصب علي من وضوئه فعقلت فقلت يارسول الله لمن الميراث انما يرثني كلالة فنزلت «يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة» وقد ذكرنا معنى الكلالة وحكم

---

(١) كذا في النسخة المكية المقابلة على نسخة المؤلف وفي المطبوعة والازهرية :ولا ولد ولد — وهما غلط قطعا

« ٢ » يعني ما نزل آخر سورة البقرة من آيات الربا وقد نزلت بعد آية آل عمران (لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) فهل الربا فيهما واحد على القاعدة أم هو في الاخيرة أعم ؟ استشكل عمر « رض » والجمهور على الثاني. واستشكاله في ارث الجد والكلالة أشهر وأظهر

لأن أكون سألت رسول الله ﷺ عنها أحب الى من أن يكون لي حمر النعم وهذا اسناد جيد إلا أن فيه انقطاعاً بين ابراهيم وبين عمر فانه لم يدركه . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم حدثنا أبو بكر عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال جاء رجل الى النبي ﷺ فسأله عن الكلالة فقال « يكفيك آية الصيف » وهذا اسناد جيد رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي بكر بن عياش به ، وكأن المراد بآية الصيف انها نزلت في فصل الصيف والله أعلم ولما أرشده النبي ﷺ الى تفهمها فان فيها كفاية نسي أن يسأل النبي ﷺ عن معناها ولهذا قال فلأن أكون سألت رسول الله ﷺ عنها أحب الي من أن يكون لي حمر النعم . وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا جرير حدثنا الشيباني عن عمرو بن مرة عن سعيد بن المسيب قال سأل عمر بن الخطاب النبي ﷺ عن الكلالة فقال « أليس قد بين الله ذلك » فنزلت (يستفتونك) الآية قال قتادة وذكر لنا أن أبا بكر الصديق قال في خطبته لا ان الآية التى نزلت في أول سورة النساء في شأن الفرائض أنزلها الله في الولد والوالد والآية الثانية أنزلها في الزوج والزوجة والاخوة من الأم ، والآية التى ختم بها سورة النساء أنزلها في الاخوة والاخوات من الأب والأم ، والآية التى ختم بها سورة الانفال أنزلها في أولي الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله مما جرت الرحم من العصبة رواه ابن جرير

﴿ ذكر الكلام على معناها ﴾

وبالله المستعان وعليه التكلان . قوله تعالى (ان امرؤ هلك) أي مات قال الله تعالى (كل شيء هالك الا وجهه) كل شيء يفنى ولا يبقى الا الله عز وجل كما قال (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقوله (ليس له ولد) تمسك به من ذهب الى أنه ليس من شرط الكلالة انتفاء الوالد بل يكفي في وجود الكلالة انتفاء الولد وهو رواية عن عمر بن الخطاب رواها ابن جرير عنه باسناد صحيح اليه ولكن الذي يرجع اليه هو قول الجمهور وقضاء الصديق أنه الذى لا ولد له ولا والد ، ويدل على ذلك قوله (وله أخت فلها نصف ماترك) ولو كان معها أب لم ترث شيئاً لانه يحجبها بالاجماع فدل على أنه من لا ولد له بنص القرآن ولا والد بالنص عند التأمل أيضاً لان الاخت لا يفرض لها النصف مع الوالد بل ليس لها ميراث بالكلية . وقال الامام أحمد حدثنا الحكم بن نافع

الآية في أول السورة ، وفي هذه الآية بيان حكم ميراث الاخوة للاب والام وللاب . قوله : يستفتونك ، أي يستخبرونك ويسألونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴿ ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ماترك وهو يرثها ﴾ يعنى اذا ماتت الاخت فجميع ميراثها للاخ ﴿ ان لم يكن لها ولد ﴾ فان كان لها ابن فلا شيء للاخ وان كان ولدها انثى فللاخ مافضل عن فرض البنات ﴿ فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ﴾ اراد اثنين فصاعدا وهو ان من مات وله اخوات فلهن الثلثان ﴿ وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا ﴾ قال الفراء رحمة الله عليه وأبو عبيدة

حدثنا أبو بكر بن عبدالله عن مكحول وعطية وحمزة وراشد عن زيد بن ثابت أنه سئل عن زوج وأخت لأب وأم فاعطي الزوج النصف والاخت النصف، فكلم في ذلك فقال حضرت رسول الله ﷺ قضي بذلك. تفرد به أحمد من هذا الوجه وقد نقل ابن جرير وغيره عن ابن عباس وابن الزبير أنهما كانا يقولان في الميت ترك بنتاً واختاً إنه لاشيء للاخت لقوله (ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ماترك) قال فاذا ترك بنتاً فقد ترك ولداً فلا شيء للاخت، وخالفهما الجمهور فقالوا في هذه المسئلة للبنت النصف بالفرض وللاخت النصف الآخر بالتعصيب بدليل غير هذه الآية وهذه الآية نصت أن يفرض لها في هذه الصورة وأما وراثتها بالتعصيب فلما رواه البخاري من طريق سليمان عن ابراهيم عن الاسود قال قضى فينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله ﷺ النصف للبنت والنصف للاخت ثم قال سليمان قضى فينا ولم يذكر على عهد رسول الله ﷺ وفي صحيح البخاري أيضاً عن هزيل بن شرحبيل قال سئل أبو موسى الاشعري عن ابنة وابنة ابن واخت فقال للابنة النصف وللاخت النصف وأت ابن مسعود فسيتابعني، فسئل ابن مسعود وأخبر بقول ابي موسى فقال (لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين) أقضي فيها بما قضى النبي ﷺ النصف للبنت ولبنت الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت. فأتينا أبا موسى فاخبرناه بقول ابن مسعود فقال لاتسألوني مادام هذا الحبر فيكم

وقوله (وهو يرثها ان لم يكن لها ولد) أي والاخ يرث جميع مالها اذا ماتت كلالة وليس لها ولد أي ولا والد لانها لو كان لها والد لم يرث الاخ شيئاً فان فرض أن معه من له فرض صرف اليه فرضه كزوج أو أخ من أم وصرف الباقي الى الاخ لما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال «ألحقوا الفرائض باهلها فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر» وقوله (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) أي فان كان لمن يموت كلالة اختان فرض لهما الثلثان وكذا مازاد على الاختين في حكمهما ومن ههنا أخذ الجماعة حكم البنتين كما استفيد حكم الاخوات من البنات في قوله (فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك) وقوله (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) هذا حكم العصبات من البنين وبني البنين والاخوة اذا اجتمع ذكورهم واناثهم اعطي الذكر مثل حظ الانثيين وقوله (يبين الله لكم) أي يفرض لكم فرائضه، ويحد لكم حدوده، ويوضح لكم شرائعه وقوله (ان تضلوا) أي لئلا تضلوا عن الحق بعد البيان (والله بكل شيء عليم) أي هو عالم بعواقب الامور ومصالحها وما فيها من الخير لعباده وما يستحقه كل واحد من القرابات بحسب قربه من المتوفى

معناه ان لاتضلوا وقيل معناه يبين الله لكم كراهة ان تضلوا ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا عبد الله بن رجاء انا اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء رضي الله عنهم قال آخر سورة نزلت كاملة براءة وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) وروي عن ابن عباس

وقد قال أبو جعفر بن جرير حدثني يعقوب حدثني ابن علية أنبأنا ابن عون عن محمد بن سيرين قال كانوا في مسير ورأس راحلة حذيفة عند ردف راحلة رسول الله ﷺ ورأس راحلة عمر عند ردف راحلة حذيفة قال ونزلت (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) فلقاها رسول الله ﷺ حذيفة فلقاها حذيفة عمر فلما كان بعد ذلك سأل عمر عنها حذيفة فقال: والله انك لاحمق ان كنت ظننت أنه لقانيها رسول الله ﷺ فلقيتكها كما لقانيها رسول الله ﷺ والله لا أزيدك عليها شيئاً أبداً . قال فكان عمر يقول اللهم ان كنت بينتها له فانها لم تبين لي كذا رواه ابن جرير ورواه أيضاً عن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين كذلك بنحوه وهو منقطع بين ابن سيرين وحذيفة وقد قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البزار في مسنده حدثنا يوسف بن حماد المعني ومحمد بن مرزوق قالا حدثنا عبد الاعلى بن عبد الاعلى حدثنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي عبيدة بن حذيفة عن أبيه قال نزلت آية الكلالة على النبي ﷺ وهو في مسير له فوقف النبي ﷺ واذا هو بحذيفة واذا رأس ناقة حذيفة عند ردف راحلة النبي ﷺ فلقاها اياه فنظر حذيفة فاذا عمر رضي الله عنه فلقاها اياه فلما كان في خلافة عمر نظر عمر في الكلاله فدعا حذيفة فسأله عنها فقال حذيفة لقد لقانيها رسول الله ﷺ فلقيتكها كما لقاني رسول الله ﷺ والله اني لصادق ووالله لا أزيدك على ذلك شيئاً أبداً . ثم قال البزار وهذا الحديث لانعلم أحداً رواه الا حذيفة ولا نعلم له طريقاً عن حذيفة الا هذا الطريق. ولا رواه عن هشام الا عبد الأعلى وكذا رواه ابن مردويه من حديث عبد الأعلى

وقال عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الشيباني عن عمرو بن مرة عن سعيد بن المسيب أن عمر سأل رسول الله ﷺ كيف تورث الكلالة ؟ قال فأنزل الله (يستفتونك) الآية قال فكأن عمر لم يفهم فقال لحفصة اذا رأيت من رسول الله ﷺ طيب نفس فسليه عنها فرأت منه طيب نفس فسألته عنها فقال «أبوك ذكر لك هذا ماأرى أباك يعلمها» قال فكان عمر يقول ما أراني أعلمها. وقد قال رسول الله ﷺ ماقال. رواه ابن مردويه ثم رواه عن طريق ابن عيينة وعن عمرو عن طاوس أن عمر أمر حفصة أن تسأل النبي ﷺ عن الكلالة فاملاها عليها في كتف فقال «من أمرك بهذا أعمر؟ ماأراه يقيمها وما تكفيه آية الصيف» وآية الصيف التي في النساء (وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة) فلما سألوا رسول الله ﷺ نزلت الآية التي هي خاتمة النساء. فألقى عمر الكتف كذا قال في هذا الحديث وهو مرسل

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عثام عن الاعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب

رضي الله عنهما ان آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت (اذا جاء نصر الله والفتح) وروي عنه ان آخر آية نزلت قوله تعالى (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) وروي بعد ما نزلت سورة النصر عاش النبي ﷺ عاما ونزلت بعدها سورة براءة وهي آخر سورة نزلت كاملة فعاش النبي ﷺ بعدها ستة أشهر ثم نزلت في طريق حجة الوداع (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) فسميت آية

قال أخذ عمر كتفا وجمع أصحاب رسول الله ﷺ ثم قال لاقضين في الكلالة قضاء تحدث به النساء في خدورهن فخرجت حينئذ حية من البيت فتفرقوا فقال لو أراد الله عز وجل ان يتم هذا الامر لأتمه. وهذا اسناد صحيح وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري حدثنا علي بن محمد بن عقبة الشيباني بالكوفة حدثنا الهيثم بن خالد حدثنا أبو نعيم حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار سمعت محمد بن طلحة ابن يزيد بن ركانة يحدث عن عمر بن الخطاب قال لأن أكون سألت رسول الله ﷺ عن ثلاث أحب الي من حمر النعم: من الخليفة بعده؟ وعن قوم قالوا نقر بالزكاة في أموالنا ولا نؤديها اليك أيحل قتالهم؟ وعن الكلالة. ثم قال صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ثم روى هذا الاسناد عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن مرة عن عمر قال: ثلاث لأن يكون النبي ﷺ بينهن لنا أحب الي من الدنيا وما فيها الخلافة والكلالة والربا. ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وبهذا الاسناد الى سفيان بن عيينة قال سمعت سليمان الاحول يحدث عن طاوس قال سمعت ابن عباس قول كنت آخر الناس عهدا بعمر فسمعته يقول القول ماقلت، قلت وماقلت؟ قال قلت الكلالة من لا ولد له. ثم قال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه. وهكذا رواه ابن مردويه من طريق زمعة بن صالح عن عمرو بن دينار وسليمان الاحول عن طاوس عن ابن عباس قال كنت آخر الناس عهدا بعمر بن الخطاب قال اختلفت أنا وأبو بكر في الكلالة والقول ماقلت، قال وذكر أن عمر شرك بين الاخوة للام والاب وبين الاخوة للام في الثلث اذا اجتمعوا وخالفه أبو بكر رضى الله عنهما. وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا محمد بن حميد العمري عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب ان عمر كتب في الجد والكلالة كتابا فمكث يستخير الله يقول اللهم ان علمت فيه خيرا فاقضه حتى اذا طعن دعا بكتاب فمحى ولم يدر أحد ما كتب فيه فقال إني كنت كتبت كتابا في الجد والكلالة وكنت استخير الله فيه فرأيت أن أترككم على ما كنتم عليه. قال ابن جرير وقد روي عن عمر رضى الله عنه انه قال اني لاستحيي أن أخالف فيه أبا بكر وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول هو ما عدا الولد والوالد. وهذا الذي قاله الصديق عليه جمهور الصحابة والتابعين والأئمة في قديم الزمان وحديثه وهو مذهب الأئمة الاربعة والفقهاء السبعة وقول علماء الامصار قاطبة وهو الذي يدل عليه القرآن كما أرشد الله انه قد بين ذلك ووضحه في قوله (يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم) والله أعلم

الصيف (١) ثم نزلت وهو واقف بعرفة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) فعاش بعدها أحد وثمانين يوما ثم نزلت آيات الربا ثم نزلت (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) فعاش بعدها أحد وعشرين يوما

(١) قوله في طريق حجة الوداع غلط فقد كانت حجة الوداع في الشتاء قطعا - وكتبه محمد رشيد رضا

تفسير سورة المائدة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا ابو معاوية شيبان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت اني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ اذ نزلت عليه المائدة كلها وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة . وروى ابن مردويه من حديث صباح بن سهل[1] عن عاصم الاحول قال حدثتني ام عمرو عن عمها انه كان في مسير مع رسول الله ﷺ فنزلت عليه سورة المائدة فاندق عنق الراحلة من ثقلها . وقال احمد أيضا حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني حي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع ان تحمله فنزل عنها تفرد به أحمد . وقد روى الترمذي عن قتيبة عن عبد الله بن وهب عن حيي عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو قال آخر سورة أنزلت سورة المائدة والفتح ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقد روي عن ابن عباس انه قال آخر سورة أنزلت (اذا جاء نصر الله والفتح) وقد روى الحاكم في مستدركه من طريق عبد الله بن وهب باسناده نحو رواية الترمذي ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الحاكم أيضا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا يحيى بن نصر قال قرىء على عبد الله بن وهب أخبرك معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير قال حججت فدخلت على عائشة فقالت لي ياجبير تقرأ المائدة ؟ فقلت نعم فقالت أما أنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الامام احمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح وزاد وسألتها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت القرآن . ورواه النسائي من حديث ابن مهدي

(١) في الازهرية صالح بن سهل

﴿ سورة المائدة ﴾

مدنية كلها إلا قوله (اليوم أكملت لكم دينكم) الآية فانها نزلت بعرفات[2] وهي مائة وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

روي عن أبي ميسرة قال : أنزل الله تعالى في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها قوله (أحلت لكم بهيمة الانعام) وقوله (والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وماذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام * وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن * (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين

(١) الاستثناء لا يأتي على القول المعتمد من أن المدني ما نزل بعد الهجرة ولو في مكة وضواحيها كعرفات

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود . أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد (١) يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا . واذا حللتم فاصطادوا . ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا . وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب (٢)

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا عبدالله بن المبارك حدثنا مسعر حدثني معن وعوف أو أحدهما ان رجلا أتى عبد الله بن مسعود فقال اعهد الي فقال اذا سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا) فارعها سمعك فانه خير يأمر به أو شر ينهى عنه . وقال حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم دحيم حدثنا الوليد حدثنا الاوزاعي عن الزهري قال اذا قال الله (يا أيها الذين آمنوا) افعلوا فالنبي ﷺ منهم وحدثنا أحمد بن سنان حدثنا محمد بن عبيد حدثنا الاعمش عن خيثمة قال كل شيء في القرآن (يا أيها الذين آمنوا) فهو في التوراة يا أيها المساكين . فاما ما رواه عن زيد ابن اسماعيل الصائغ البغدادي حدثنا معاوية يعني ابن هشام عن عيسى بن راشد عن علي بن بذيمة عن عكرمة عن ابن عباس قال ما في القرآن آية (يا أيها الذين آمنوا) الا ان عليا سيدها وشريفها وأميرها وما من أصحاب النبي ﷺ أحد الا قد عوتب في القرآن الا علي بن أبي طالب فانه لم يعاتب في شيء منه . فهو أثر غريب ولفظه فيه نكارة وفي اسناده نظر . وقال البخاري عيسى بن راشد هذا مجهول وخبره منكر قلت وعلي بن بذيمة وان كان ثقة الا انه شيعي غال وخبره في مثل هذا فيه

أوتوا الكتاب من قبلكم) وتمام الطهور في قوله (إذا قمتم إلى الصلاة) (والسارق والسارقة) و (لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) الآية (وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) وقوله (شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت)

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ أي بالعهود ، قال الزجاج . هي أوكد العهود يقال عاقدت فلانا وعقدت عليه أي ألزمته ذلك استيثاقا وأصله من عقد الشيء بغيره ووصله به كما يعقد الحبل بالحبل إذا وصل ، واختلفوا في هذه العقود قال ابن جريج : هذا خطاب لأهل الكتاب[1] يعني يا أيها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة أوفوا بالعهود التي عهدتها اليكم في شأن محمد ﷺ وهو قوله (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس) وقال الآخرون : هو عام ، قال قتادة : أراد بها الحلف الذي تعاقدوا عليه في الجاهلية ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : هي عهود الايمان

« ١ » هذا قول واه مخالف لظاهر اللفظ والاجماع المفسرين وغيرهم في اطلاق (يا أيها الذين آمنوا)

تهمة فلا يقبل . وقوله لم يبق أحد من الصحابة الا عوتب في القرآن الا عليا انما يشير به الى الآية الآمرة بالصدقة بين يدي النجوى فانه قد ذكر غير واحد انه لم يعمل بها أحد الا علي ونزل قوله (أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) الآية وفي كون هذا عتابا نظر فانه قد قيل ان الامر كان ندبا لا ايجابا ثم قد نسخ ذلك عنهم قبل الفعل فلم يصدر من أحد منهم خلافه . وقوله عن علي انه لم يعاتب في شيء من القرآن فيه نظر أيضا فان الآية التي في الانفال التي فيها المعاتبة على أخذ الفداء عمت جميع من أشار بأخذه ولم يسلم منها الا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعلم بهذا وبما تقدم ضعف هذا الاثر والله أعلم . وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا عبدالله بن صالح حدثنا الليث حدثني يونس قال قال محمد بن مسلم قرأت كتاب رسول الله ﷺ الذى كتب لعمرو ابن حزم حين بعثه الى نجران وكان الكتاب عند أبي بكر بن حزم فيه « هذا بيان من الله ورسوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) فكتب الآيات منها حتى بلغ (ان الله سريع الحساب) وقال ابن أبى حاتم حدثنا ابوسعيد حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن اسحاق حدثني عبدالله بن أبي بكر ابن محمد ابن عمرو بن حزم عن أبيه قال هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا الذى كتبه لعمرو بن حزم حين بعثه الى اليمن يفقه أهلها، ويعلمهم السنة، ويأخذ صدقاتهم فكتب له كتابا وعهدا وأمره فيه بأمره فكتب « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله ورسوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) عهد من محمد رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم حين بعثه الى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »

قوله تعالى (أوفو بالعقود) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني بالعقود العهود وحكى ابن جرير الاجماع على ذلك قال والعهود ماكانوا يتعاقدون عليه من الحلف وغيره وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يعني العهود يعني ما أحل الله وماحرم ومافرض

والقرآن، وقيل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم[1] ﴿ أحلت لكم بهيمة الأنعام ﴾ قال الحسن وقتادة هي الانعام كلها وهي الابل والبقر والغنم وأراد تحليل ماحرم أهل الجاهلية على أنفسهم من الانعام وروى أبو ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بهيمة الانعام هي الاجنة ومثله عن الشعبي قال هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون أمهاتها إذا ذبحت أو نحرت ، ذهب أكثر أهل العلم إلى تحليله

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قرأت على أبي عبدالله محمد بن الفضل الخرقي فقلت قرأ على أبي سهل محمد بن عمر ابن طرفة الشجري وأنت حاضر فقيل له حدثكم أبو سليمان الخطابي أنا أبوبكر ابن داسة أنا أبو داود السجستاني أنا مسدد أنا هشيم عن مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد رضي الله عنهم قال قلنا يارسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة فنجد في بطنها الجنين أنلقيه أم نأكله ؟ فقال « كلوه إن شئتم فان ذكاته ذكاة أمه » وروى أبو الزبير عن جابر عن رسول الله ﷺ قال « ذكاة الجنين

(١) هذا المعنى هو المتبادر من لفظ الآية دون ماقبله كله

وما حد في القرآن كله ولا تغدروا ولا تنكثوا ثم شدد في ذلك فقال تعالى (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) الى قوله (سوء الدار) وقال الضحاك (أوفوا بالعقود) قال ما أحل الله وحرم وما أخذ الله من الميثاق على من أقر بالايمان بالنبي والكتاب ان يوفوا بما أخذ الله عليهم من الفرائض من الحلال والحرام . وقال زيد بن أسلم (أوفوا بالعقود) قال هي ستة عهد الله وعقد الحلف وعقد الشركة وعقد البيع وعقد النكاح وعقد اليمين [1] وقال محمد بن كعب هي خمسة منها حلف الجاهلية وشركة المفاوضة . وقد استدل بعض من ذهب الى انه لا خيار في مجلس البيع بهذه الآية (أوفوا بالعقود) قال فهذه تدل على لزوم العقد وثبوته فيقتضي نفي خيار المجلس وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك وخالفهما في ذلك الشافعي وأحمد والجمهور . والحجة في ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « البيعان بالخيار مالم يتفرقا » وفي لفظ آخر للبخاري « اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار مالم يتفرقا » وهذا صريح في اثبات خيار المجلس المتعقب لعقد البيع وليس هذا منافيا للزوم العقد بل هو من مقتضياته شرعا فالتزامه من تمام الوفاء بالعقود

وقوله تعالى (أحلت لكم بهيمة الانعام) هي الابل والبقر والغنم قاله أبو الحسن وقتادة وغير واحد قال ابن جرير وكذلك هو عند العرب وقد استدل ابن عمر وابن عباس وغير واحد بهذه الآية على إباحة الجنين اذا وجد ميتا في بطن أمه اذا ذبحت وقد ورد في ذلك حديث في السنن رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق مجالد عن أبي الوداك جبير بن نوفل عن أبي سعيد قال قلنا يارسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة أو الشاة في بطنها الجنين أنلقيه أم نأكله فقال « كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة أمه » وقال الترمذي حديث حسن. قال أبو داود حدثنا محمد بن يحيى بن فارس حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا عتاب بن بشير حدثنا عبيد الله ابن أبي زياد القداح المكي عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال « ذكاة الجنين ذكاة أمه » تفرد به أبو داود

[1] هذا صحيح ومثله عقد الاجارة فالعدد لا مفهوم له والحق أن العقود جمع عقد وهو ما يتعاقد عليه الناس مطلقا وجمع لتعدد انواعه ويشترط في وجوب الوفاء به الا يكون على معصيته ثبتت بالنص

ذكاة أمه » وشرط بعضهم الاشعار قال ابن عمر : ذكاة ما في بطنها في ذكاتها إذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب . وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يحل أكل الجنين إذا خرج ميتا بعد ذكاة الام ، وقال الكلبي بهيمة الانعام وحشيها وهي الظباء وبقر الوحش وحمر الوحش سميت بهيمة لانها أبهمت عن التمييز وقيل لانها لا نطق لها ﴿ إلا ما يتلى عليكم ﴾ أي ماذكر في قوله (حرمت عليكم الميتة ـ إلى قوله ـ وماذبح على النصب ﴿ غير محلي الصيد ﴾ وهو نصب على الحال أي لا محلي الصيد ومعنى الآية أحلت لكم بهيمة الانعام كلها إلا ما كان منها وحشياً فانه صيد لا يحل لكم في حال الاحرام فذلك قوله تعالى ﴿ وأنتم حرم . إن الله يحكم ما يريد * يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ﴾ نزلت في الحطم واسمه شريح بن ضبيعة البكري أتى المدينة وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي ﷺ فقال له إلام تدعو الناس ؟ فقال له « إلى شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله

قوله (الا مايتلى عليكم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني بذلك الميتة والدم ولحم الخنزير وقال قتادة يعني بذلك الميتة ومالم يذكر اسم الله عليه والظاهر والله أعلم ان المراد بذلك قوله (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع) فان هذه وان كانت من الانعام الا انها تحرم بهذه العوارض ولهذا قال (الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب) يعني منها فانه حرام لايمكن استدراكه وتلاحقه ولهذا قال تعالى (أحلت لكم بهيمة الانعام الا مايتلى عليكم) أى الاماسيتلى عليكم من تحريم بعضها في بعض الاحوال وقوله تعالى (غير محلي الصيد وأنتم حرم) قال بعضهم هذا منصوب على الحال والمراد بالانعام مايعم الانسي من الابل والبقر والغنم وما يعم الوحشي كالظباء والبقر والحمر فاستثنى من الانسي ما تقدم واستثنى من الوحشي الصيد في حال الاحرام وقيل المراد أحللنا لكم الانعام إلا ما استثنى منها لمن التزم تحريم الصيد وهو حرام لقوله (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) أي أبحنا تناول الميتة للمضطر بشرط أن يكون غير باغ ولا متعد وهكذا هنا أى كما أحللنا الانعام في جميع الاحوال فحرموا الصيد في حال الاحرام فان الله قد حكم بهذا وهو الحكيم في جميع مايأمر به وينهى عنه ولهذا قال تعالى (ان الله يحكم مايريد)

ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) قال ابن عباس يعنى بذلك مناسك الحج وقال مجاهد الصفا والمروة ، والهدي والبدن من شعائر الله وقيل شعائر الله محارمه أى لاتحلوا محارم الله التى حرمها تعالى ولهذا قال تعالى (ولا الشهر الحرام) يعني بذلك تحريمه والاعتراف بتعظيمه وترك مانهى الله عن تعاطيه فيه من الابتداء بالقتال وتأكيد اجتناب المحارم كما قال تعالى (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) وقال تعالى (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) الآية وفي صحيح البخاري عن أبي بكرة ان رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم » ورجب مضر الذي بين

واقام الصلاة وإيتاء الزكاة » فقال حسن الا أن لي أمراء لا أقطع أمرا دونهم ولعلي أسلم وآتي بهم وقد كان النبي ﷺ قال لاصحابه « يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان الشيطان » ثم خرج شريح من عنده فقال رسول الله ﷺ « لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم » فمر بسرح المدينة فاستاقه وانطلق فاتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج حاجا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدي فقال المسلمون للنبي ﷺ هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي ﷺ « انه قلد الهدى » فقالوا يارسول الله هذا شيء كنا نفعل في الجاهلية فأبى النبي ﷺ فأنزل الله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هي مناسك الحج ، وكان المشركون يحجون ويهدون فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم

جمادى وشعبان» وهذا يدل على استمرار تحريمها الى آخر وقت كما هو مذهب طائفة من السلف. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ولا الشهر الحرام) يعني لا تستحلوا القتال فيه ، وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الكريم بن مالك الجزري واختاره ابن جرير أيضا وذهب الجمهور الى ان ذلك منسوخ وانه يجوز ابتداء القتال في الاشهر الحرم واحتجوا بقوله تعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) والمراد أشهر التسيير الاربعة قالوا فلم يستثن شهرا حراما من غيره ، وقد حكى الامام أبو جعفر الاجماع على ان الله قد أحل قتال أهل الشرك في الاشهر الحرم وغيرها من شهور السنة قال وكذلك أجمعوا على أن المشرك لو قلد عنقه أو ذراعيه بلحاء جميع أشجار الحرم لم يكن ذلك له أمانا من القتل اذا لم يكن تقدم له عقد ذمة من المسلمين أو امان ولهذه المسئلة بحث آخر له موضع أبسط من هذا

وقوله تعالى (ولا الهدي ولا القلائد) يعني لا تتركوا الاهداء الى البيت الحرام فان فيه تعظيم شعائر الله ولا تتركوا تقليدها في اعناقها لتتميز به عما عداها من الانعام وليعلم أنها هدي الى الكعبة فيجتنبها من يريدها بسوء وتبعث من يراها على الاتيان بمثلها فان من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه من غير ان ينقص من أجورهم شيء ، ولهذا لما حج رسول الله ﷺ بات بذي الحليفة وهو وادي العقيق فلما أصبح طاف على نسائه وكن تسعا ثم اغتسل وتطيب وصلى ركعتين ثم أشعر هديه وقلده وأهل للحج والعمرة وكان هديه ابلا كثيرة تنيف على الستين من أحسن الاشكال والالوان كما قال تعالى (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) وقال بعض السلف اعظامها استحسانها واستسمانها ، قال علي بن أبي طالب أمرنا رسول الله ﷺ ان نستشرف العين والاذن رواه أهل السنن وقال مقاتل بن حيان قوله (ولا القلائد) فلا تستحلوه وكان أهل الجاهلية اذا خرجوا من أوطانهم في غير الاشهر الحرم قلدوا أنفسهم بالشعر والوبر وتقلد مشركو الحرم من لحاء شجره فيأمنون به رواه ابن أبي حاتم ثم قال حدثنا محمد بن عمار حدثنا سعيد بن سليمان قال حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن

فنهاهم الله عن ذلك ، وقال أبو عبيدة : شعائر الله هي الهدايا المشعرة ، والاشعار من الشعار وهي العلامة واشعارها إعلامها بما يعرف انها هدي والاشعار ههنا أن يطعن في صفحة سنان البعير بحديدة حتى يسيل الدم فيكون ذلك علامة انها هدي وهي سنة في الهدايا إذا كانت من الابل لما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا أبو نعيم أنا أفلح عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : فتلت قلائد بدن النبي ﷺ بيدي ثم قلدها وأشعرها وأهداها فما حرم عليه شيء كان أحل له . وقاس الشافعي البقر على الابل في الاشعار ، وأما الغنم فلا تشعر بالجرح فانها لا تحتمل الجرح لضعفها ، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يشعر الهدي ، وقال عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما (لا تحلوا شعائر الله) هي أن تصيد وأنت محرم بدليل قوله تعالى (وإذا حللتم فاصطادوا) وقال السدي : أراد حرم الله ، وقيل المراد منه النهي عن القتل

مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نسخ من هذه السورة آيتان آية القلائد وقوله (فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) وحدثنا المنذر بن شاذان حدثنا زكريا بن عدي حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن عوف قال قلت للحسن : نسخ من المائدة شيء ؟ قال لا ، وقال عطاء كانوا يتقلدون من شجر الحرم فيأمنون فنهى الله عن قطع شجره وكذا قال مطرف بن عبد الله

وقوله تعالى (ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) أي ولا تستحلوا قتال القاصدين الى بيت الله الحرام الذي من دخله كان آمنا وكذا من قصده طالبا فضل الله وراغبا في رضوانه فلا تصدوه ولا تمنعوه ولا تهيجوه قال مجاهد وعطاء وأبو العالية ومطرف بن عبد الله وعبد الله بن عبيد بن عمير والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وقتادة وغير واحد في قوله (يبتغون فضلا من ربهم) يعني بذلك التجارة وهذا كما تقدم في قوله (ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) وقوله (ورضوانا) قال ابن عباس يترضون الله بحجهم قد ذكر عكرمة والسدي وابن جرير أن هذه الآية نزلت في الحطم بن هند البكري كان قد اغار على سرح المدينة فلما كان من العام المقبل اعتمر الى البيت فأراد بعض الصحابة أن يعترضوا عليه في طريقه الى البيت فأنزل الله عز وجل (ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا)

وقد حكى ابن جرير الاجماع على أن المشرك يجوز قتله اذا لم يكن له أمان وان أم البيت الحرام أو بيت المقدس وأن هذا الحكم منسوخ في حقهم والله أعلم . فاما من قصده بالالحاد فيه والشرك عنده والكفر به فهذا يمنع قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) ولهذا بعث رسول الله (ص) عام تسع لما أمر الصديق على الحجيج عليا وأمره أن ينادي على سبيل النيابة عن رسول الله (ص) ببراءة وان لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (ولا آمين البيت الحرام) يعني من توجه قبل البيت الحرام فكان المؤمنون والمشركون يحجون فنهى الله المؤمنين أن يمنعوا أحدا من مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بعدها (انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد

في الحرم » وقال عطاء : شعائر الله حرمات الله واجتناب سخطه واتباع الطاعة . قوله ﴿ ولا الشهر الحرام ﴾ أي بالقتال فيه ، وقال ابن زيد : هو النسيء وذلك أنهم كانوا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ﴿ ولا الهدي ﴾ هو كل مايهدى الى بيت الله من بعير أو بقرة أو شاة ﴿ ولا القلائد ﴾ أي الهدايا المقلدة يريد ذوات القلائد » وقال عطاء أراد أصحاب القلائد ، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية اذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم وإبلهم بشيء من لحاء شجر الحرم كيلا يتعرض لهم فنهى الشرع عن استحلال شيء منها » وقال مطرف بن الشخير هي القلائد نفسها وذلك ان المشركين كانوا يأخذون من لحاء شجر مكة ويتقلدونها فنهوا عن نزع شجرها

قوله تعالى ﴿ ولا آمين البيت الحرام ﴾ أي قاصدين (البيت الحرام) يعني الكعبة فلا تعرضوا

الحرام بعد عامهم هذا) الآية وقال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) وقال (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) فنفى المشركين من المسجد الحرام وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة في قوله (ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام) قال منسوخ كان الرجل في الجاهلية اذا خرج من بيته يريد الحج تقلد من الشجر فلم يعرض له أحد فاذا رجع تقلد قلادة من شعر فلم يعرض له أحد وكان المشرك يومئذ لا يصد عن البيت فامروا أن لا يقاتلوا في الشهر الحرام ولا عند البيت فنسخها قوله (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله (ولا القلائد) يعني إن تقلدوا قلادة من الحرم فامنوهم قال ولم تزل العرب تعير من أخفر ذلك قال الشاعر

ألم تقتلا الحرجين اذ أعورا لكم   يمران بالايدي اللحاء المضفرا [1]

وقوله تعالى (واذا حللتم فاصطادوا) أي اذا فرغتم من احرامكم واحللتم منه فقد أبحنا لكم ما كان محرماً عليكم في حال الاحرام من الصيد ، وهذا أمر بعد الحظر والصحيح الذي يثبت على السبر انه يرد الحكم إلى ماكان عليه قبل النهي فان كان واجباً رده واجباً وان كان مستحباً فمستحب أو مباحاً فمباح ومن قال انه على الوجوب ينتقض عليه بآيات كثيرة ومن قال إنه للاباحة يرد عليه آيات أخرى والذي ينتظم الادلة كلها هذا الذي ذكرناه [2] كما اختاره بعض علماء الاصول والله أعلم .

وقوله (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) من القراء من قرأ أن صدوكم بفتح الألف من أن ومعناها ظاهر أى لا يحملنكم بغض قد كانوا صدوكم عن الوصول الى المسجد الحرام وذلك عام الحديبية على أن تعتدوا حكم الله فيهم فتقتصوا منهم ظلماً وعدواناً بل احكموا بما أمركم الله به من العدل في حق كل أحد وهذه الآية كما سيأتي من قوله (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فان العدل واجب على كل أحد في كل أحد في كل حال وقال بعض السلف ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه . والعدل به قامت السموات والارض. وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل

لهم ﴿ يبتغون ﴾ يطلبون ﴿ فضلا من ربهم ﴾ يعني الرزق بالتجارة ﴿ ورضوانا ﴾ أي على زعمهم لان الكافر لا نصيب له في الرضوان ، وقال قتادة هو أن يصلح معايشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها ، وقيل ابتغاء الفضل للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ، لان المسلمين والمشركين كانوا يحجون ، وهذه الآية الى ههنا منسوخة بقوله (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وبقوله (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن كافر بالهدي والقلائد قوله عز وجل ﴿ واذا حللتم ﴾ أي من احرامكم ﴿ فاصطادوا ﴾ أمر اباحة أباح للحلال أخذ الصيد كقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) ﴿ ولا يجرمنكم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة لا يحملنكم ، يقال جرمني فلان على ان صنعت كذا أي حملني، وقال الفراء لا يكسبنكم

(١) في النسخ أعوزا بالزاي وهو غلط فهو بالراء ومعناه مكنا كما من عوراتهما وفي لسان العرب «ألم تقتلوا الحرجين اذا عرضا لكم » وفسر الحرجين بالرجلين الابيضين المشبهين للودع لأن الحرجة بالكسر الودعة . وأعرضوا بمعنى عرضوا أو تعرضوا ولاحوا لكم

(٢) يعني أن الامر الوارد بعد النهي يرفع النهي فيعود الحكم إلى ما كان عليه. ويرد عليه [الامر بزيارة القبور بعد النهي عنه ولعل استحبابها بعد الامر لوصفها بتذكير الآخرة

ابن عفان حدثنا عبد الله بن جعفر عن زيد بن أسلم قال كان رسول الله ﷺ بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة فقال أصحاب النبي ﷺ نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم فأنزل الله هذه الآية والشنآن هو البغض قاله ابن عباس وغيره وهو مصدر من شنأته أشنؤه شنآنا بالتحريك مثل قولهم جمزان ودرجان ورقلان من جمز ودرج ورقل وقال ابن جرير : من العرب من يسقط التحريك في شنآن فيقول شنان ولم أعلم أحدا قرأ بها. ومنه قول الشاعر

وما العيش الا ماتحب وتشتهي وان لام فيه ذو الشنآن وفندا

وقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم قال ابن جرير الاثم ترك ما أمر الله بفعله والعدوان مجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم . وقد قال الامام أحمد : حدثنا هشيم حدثنا عبيد الله بن أبي بكر بن أنس عن جده أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » قيل يارسول الله هذا نصرته مظلوماً فكيف أنصره اذا كان ظالماً ؟ قال « تحجزه وتمنعه من الظلم فذاك نصره » انفرد به البخاري من حديث هشيم به نحوه ، وأخرجاه من طريق ثابت عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » قيل يارسول الله هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما قال « تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه » وقال أحمد : حدثنا يزيد حدثنا سفيان بن سعيد عن الاعمش عن يحيى بن وثاب عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم أعظم أجراً من الذي لايخالط الناس ولا يصبر على اذاهم » وقد رواه أحمد أيضاً في مسند عبدالله بن عمر حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن الاعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ انه قال

يقال جرم أي كسب وفلان جريمة أهله أي كاسبهم وقيل لا يدعونكم ﴿ شنآن قوم ﴾ أي بغضهم وعداوتهم ، وهو مصدر شنئت ، قرأ ابن عامر وأبو بكر (شنآن) بسكون النون الاولى ، وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان والفتح أجود لان المصادر أكثرها فعلان بفتح العين مثل الضربان والسيلان والنسلان ونحوها ﴿ أن صدوكم عن المسجد الحرام ﴾ قرأ ابن كثير وأبوعمرو بكسر الالف على الاستئناف وقرأ الآخرون بفتح الألف أي لأن صدوكم ، ومعنى الآية ولا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لأنهم صدوكم ، وقال محمد بن جرير لأن هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية وكان الصد قد تقدم ﴿ أن تعتدوا ﴾ عليهم بالقتل وأخذ الأموال ﴿ وتعاونوا ﴾ أي ليعن بعضكم بعضا ﴿ على البر والتقوى ﴾ قيل البر متابعة الأمر ، والتقوى مجانبة النهي . وقيل البر الاسلام ، والتقوى السنة ﴿ ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ قيل الاثم الكفر . والعدوان الظلم ، وقيل الاثم المعصية

«المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لايخالطهم ولا يصبر على أذاهم» وهكذا رواه الترمذي من حديث شعبة وابن ماجه من طريق اسحاق بن يوسف كلاهما عن الاعمش به وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا ابراهيم ابن عبد الله بن محمد أبو شيبة الكوفي حدثنا بكر بن عبد الرحمن حدثنا عيسى بن المختار عن ابن أبي ليلى عن فضيل بن عمرو عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ (الدال على الخير كفاعله) ثم قال لا نعلمه يروى الا بهذا الاسناد قلت وله شاهد في الصحيح «من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه الى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه الى يوم القيامة لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا عمرو بن اسحاق بن ابراهيم بن زريق الحمصي حدثنا أبي حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله بن سالم عن الزبيدي قال عباس بن يونس ان أبا الحسن عمران بن صخر[1] حدثه أن رسول الله ﷺ قال «من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم فقد خرج من الاسلام»

حُرِّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلَّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالازلام ذلكم فسق . اليومَ يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونِ اليوم . أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا . فمن اضطر في مخمصة غير متجانِفٍ لإثم فان الله غفور رحيم (٣)

يخبر تعالى عباده خبراً متضمناً النهي عن تعاطي هذه المحرمات من الميتة وهي ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد وما ذاك الا لما فيها من المضرة لما فيها من الدم المحتقن فهي ضارة للدين وللبدن فلهذا حرمها الله عز وجل ، ويستثني من الميتة السمك فانه حلال سواء مات بتذكية أو غيرها لما رواه مالك في موطئه والشافعي وأحمد في مسنديهما وأبو داود والترمذي والنسائي

(١) كذا في الاصول والصواب عمران بالنون وفي الازهرية عمران بن مخمر والحديث معزو في الجامع الصغير إلى الطبراني والضياء عن أوس بن شرحبيل أقول ورجح بعضهم أنه شرحبيل بن أوس وقد ذكر الاسمان في أسماء الصحابة مع ذكر الخلاف وأن عمران روى عنه ولم يذكر اسم أبيه

والعدوان البدعة ، أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن ابي طاهر الدقاق ببغداد أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن الزبير القريشي أنا الحسن علي بن عفان أنا زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير ابن مالك الحضرمي عن أبيه عن النواس بن سمعان الانصاري قال : سئل رسول الله ﷺ عن البر والاثم قال «البر حسن الخلق والاثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس» ﴿ واتقوا الله ان الله شديد العقاب * حرمت عليكم الميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ﴾ أي ما ذكر على ذبحه غير اسم الله تعالى ﴿ والمنخنقة ﴾

وابن ماجه في سننهم وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما عن أبي هريرة أن رسـول الله ﷺ سئل عن ماء البحر فقال« هوالطهور ماؤه الحل ميتته»وهكذا الجراد لما سيأتي من الحديث وقوله (والدم) يعني به المسفوح كقوله (أو دماً مسفوحاً) قاله ابن عباس وسعيد بن جبير قال ابن أبي حاتم حدثنا كثير ابن شهاب المذحجي حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا عمرو يعني ابن قيس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس انه سئل عن الطحال فقال كلوه فقالوا انه دم فقال انما حرم عليكم الدم المسفوح.وكذا رواه حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة قالت انما نهى عن الدم السافح وقد قال أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر مرفوعاً قال قال رسول الله ﷺ «أحل لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالسمك والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال » وكذا رواه أحمد بن حنبل وابن ماجه والدارقطني والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف قال الحافظ البيهقي ورواه اسماعيل بن أبي ادريس عن أسامة وعبد الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعاً قلت وثلاثتهم كلهم ضعفاء ولـكن بعضهم أصلح من بعض، وقد رواه سليمان بن بلال أحد الاثبات عن زيد بن أسـلم عن ابن عمر فوقفه بعضهم عليه قال الحافظ أبو زرعة الرازي وهو أصح وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا بشير بن شريح عن أبي غالب عن أبي أمامة وهو صـدي بن عجلان قال بعثني رسول الله ﷺ الى قومي أدعوهم الى الله ورسوله وأعرض عليهم شرائع الاسلام فأتيتهم فبينما نحن كذلك إذ جاءوا بقصعة من دم فاجتمعوا عليها يأكلونها فقالوا هلم ياصدي فكل قال قلت ويحكم انما أتيتكم من عند من يحرم هذا عليكم فأقبلوا عليه قالوا وما ذاك فتلوت عليهم هـذه الآية (حرمت عليكم الميتة والدم) الآية ورواه الحافظ ابو بكر بن مردويه من حديث ابن أبي الشوارب باسناد مثله وزاد بعده هذا السياق قال فجعلت أدعوهم الى الاسلام ويأبون علي فقلت ويحكم اسقوني شربة من ماء فاني شديد العطش قال وعلي عباءتي فقالوا لا ولكن ندعك حتى تموت عطشاً قال فاغتممت وضربت برأسي في العباء ونمت على الرمضاء في حر شديد قال فأتاني آت في منامي بقدح من زجاج لم ير الناس أحسن منه وفيه شراب لم ير الناس ألذ منه فامكنني منه فشربته فلما فرغت من شرابي استيقظت فلا والله ماعطشت ولا عريت بعد تيك الشربة، ورواه الحاكم في مستدركه عن علي

وهي التي تخنق فتموت[1] قال ابن عباس : كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت أكلوها ﴿ والموقوذة ﴾ هي المقتولة بالخشب[2] قال قتادة كانوا يضربونها بالعصا فاذا ماتت أكلوها ﴿ والمتردية ﴾ هي التي تتردى من مكان عال أو في بئر فتموت ﴿ والنطيحة ﴾ هي التي تنطحها أخرى فتموت وهاء التأنيث تدخل في الفعيل إذا كان بمعنى الفاعل فاذا كان بمعنى المفعول استوى فيه المذكر والمؤنث نحو عين كحيل وكف خضيب فاذا حذفت الاسم وأفردت الصفة أدخلوا الهاء فقالوا رأينا كحيلة وخضيبة

(١) في كتب اللغة أن المنخنقة هي التي تختنق بفعل نفسها

(٢) الصحيح أنها التي تضرب بغير محدد كخشب أوحجر او غيرهما حتى تحل قواها وتموت

ابن حماد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني عبد الله بن سلمة بن عياش العامري حدثنا صدقة ابن هرم عن أبي غالب عن أبي امامة وذكر نحوه وزاد بعد قوله بعد تيك الشربة فسمعتهم يقولون أتاكم رجل من سراة قومكم فلم تمجعوه بمذقة ، فأتوني بمذقة فقلت لاحاجة لي فيها ان الله أطعمني وسقاني وأريتهم بطني فأسلموا عن آخرهم وما أحسن ما أنشد الاعشى في قصيدته التي ذكرها ابن اسحاق

واياك والميتات لا تقربنها ولا تأخذن عظما حديداً فتفصدا

أي لاتفعل فعل الجاهلية وذلك ان أحدهم كان اذا جاع يأخذ شيئاً محدداً من عظم ونحوه فيفصد به بعيره أو حيواناً من أي صنف كان فيجمع مايخرج منه من الدم فيشربه ولهذا حرم الله الدم على هذه الأمة ثم قال الاعشى

وذا النصب المنصوب لا تأتينه ولا تعبد الاوثان والله فاعبدا

قوله (ولحم الخنزير) يعني انسيه ووحشيه واللحم يعم جميع أجزائه حتى الشحم ولايحتاج الى تحذلق الظاهرية في جمودهم ههنا وتعسفهم في الاحتجاج بقوله (فانه رجس أو فسقاً) يعنون قوله تعالى(الا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أولحم خنزير فانه رجس) أعادوا الضمير فيما فهموه على الخنزير حتى يعم جميع أجزائه وهذا بعيد من حيث اللغة فانه لايعود الضمير الا الى المضاف دون المضاف اليه والأظهر أن اللحم يعم جميع الاجزاء كما هو المفهوم من لغة العرب ومن العرف المطرد وفي صحيح مسلم عن بريدة بن الخصيب الاسلمي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه فاذا كان هذا التنفير لمجرد اللمس فكيف يكون التهديد والوعيد الأكيد على أكله والتغذي به وفيه دلالة على شمول اللحم لجميع الاجزاء من الشحم وغيره . وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام » فقيل يارسول الله أرأيت شحوم الميتة فانها تطلى بها السفن وتدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال «لاهو حرام» وفي صحيح البخاري من حديث أبي سفيان انه قال لهرقل ملك الروم نهانا عن الميتة والدم

وقوله (وما أهل لغير الله به) أي ماذبح فذكر عليه اسم غير الله فهو حرام لان الله تعالى أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم فمتى عدل بها عن ذلك وذكر عليها اسم غيره من صنم أو طاغوت أو

وهنا أدخل الهاء لانه لم يتقدمها الاسم ولو أسقط الهاء لم يدر انها صفة مؤنث أم مذكر ومثله الذبيحة والنسيكة وأكيلة السبع ﴿ وما أكل السبع ﴾ يريد ما بقي مما أكل السبع وكان أهل الجاهلية يأكلونه ﴿ إلا ماذكيتم ﴾ يعني إلا ماأدركتم ذكاته من هذه الاشياء ، وأصل التذكية الاتمام يقال ذكيت النار اذا أتممت اشتعالها ، والمراد هنا اتمام فري الأوداج وانهار الدم قال النبي ﷺ « ماأنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلْ غير السن والظفر » وأقل الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع المريء والحلقوم وكاله أن يقطع الودجين معهما ، ويجوز بكل محدد يقطع من حديد أو قصب أو زجاج أو حجر الا

وثن أو غير ذلك من سائر المخلوقات فانها حرام بالاجماع . وانما اختلف العلماء في متروك التسمية اما عمداً أو نسياناً كما سيأتي تقريره في سورة الانعام وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن السنجاني حدثنا نعيم ابن حماد حدثنا بن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال نزل آدم بتحريم أربع (الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به . وان هذه الاربعة اشياء لم تحل قط ولم تزل حراما منذ خلق الله السموات والارض فلما كانت بنو اسرائيل حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بذنو بهم فلما بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام نزل بالامر الاول الذي جاء به آدم وأحل لهم ماسوى ذلك فكذبوه وعصوه وهذا أثر غريب وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يونس حدثنا ربعي عن عبد الله قال سمعت الجارود بن أبي سبرة قال هو جدي قال كان رجل من بني رباح يقال له ابن وائل وكان شاعراً نافر غالباً أبا الفرزدق بماء بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مائة من ابله وهذا مائة من إبله اذا وردت الماء فلما وردت الماء قاما اليها بسيفيهما فجعلا يكشفان عراقيبها قال فخرج الناس على الحمرات والبغال يريدون اللحم ، قال وعلي بالكوفة قال فخرج علي على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وهو ينادي « يأيها الناس لا تأكلوا من لحومها فانها أهل بها لغير الله . هذا أثر غريب ويشهد له بالصحة مارواه أبو داود حدثنا هارون بن عبد الله ثنا ابن حماد بن مسعدة عن عوف عن أبي ريحانة عن ابن عباس قال نهى رسول الله ﷺ عن معاقرة الاعراب ، ثم قال أبو داود محمد بن جعفر هو غندر اوقفه على ابن عباس تفرد به أبو داود وقال أبو داود أيضاً حدثنا هرون بن زيد بن أبي الزرقاء حدثنا أبي حدثنا جرير بن حازم عن الزبير بن حريث قال سمعت عكرمة يقول إن رسول الله ﷺ نهى عن طعام المتباريين أن يؤكل ، ثم قال أبو داود اكثر من رواه غير ابن جرير لايذكر فيه ابن عباس تفرد به أيضاً

قوله (والمنخنقة) وهي التي تموت بالخنق إما قصداً وإما اتفاقاً بان تتخبل في وثاقها فتموت به فهي حرام وأما (الموقوذة) فهي التي تضرب بشيء ثقيل غير محدد حتى تموت كما قال ابن عباس وغير واحد هي التي تضرب بالخشبة حتى يوقذها فتموت قال قتادة كان أهل الجاهلية يضربونها بالعصي حتى إذا ماتت أكلوها وفي الصحيح أن عدي بن حاتم قال قلت يارسول الله إني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب قال

السن والظفر فنهى النبي ﷺ عن الذبح بهما وانما يحل ماذكيته بعد ماجرحه السبع وأكل شيئا منه اذا أدركته والحياة فيه مستقرة فذبحته فاما ماصار بجرح السبع الى حالة المذبوح فهو في حكم الميتة فلا يكون حلالا وان ذبحته ، وكذلك المتردية والنطيحة اذا أدركتها حية قبل أن تصير الى حالة المذبوح فذبحتها تكون حلالا ، ولو رمى الى صيد في الهواء فأصابه فسقط على الارض ومات كان حلالا لان الوقوع على الأرض من ضرورته ، فان سقط على جبل أو شجر ثم تردى منه فمات فلا يحل وهو من المتردية الا أن يكون السهم أصاب مذبحه في الهواء فيحل كيفما وقع لان الذبح قد حصل باصابة السهم المذبح ﴿ وما ذبح على النصب ﴾ قيل النصب جمع ، واحده نصاب وقيل هو واحد وجمعه أنصاب

« اذا رميت بالمعراض فخزق فكله وان أصاب بعرضه فانما هو وقيذ فلا تأكله » ففرق بين ما أصابه بالسهم أو بالمزراق ونحوه بحده فأحله وما أصاب بعرضه فجعله وقيذاً لم يحله وهذا مجمع عليه عند الفقهاء واختلفوا فيما اذا صدم الجارحة الصيد فقتله بثقله ولم يجرحه على قولين هما قولان للشافعي رحمه الله (أحدهما) لا يحل كما في السهم والجامع أن كلا منهما ميت بغير جرح فهو وقيذ (والثاني) أنه يحل لانه حكم باباحة ما صاده الكلب ولم يستفصل فدل على اباحة ماذكرناه لانه قد دخل في العموم وقد قررت لهذه المسئلة فصلا فليكتب ههنا

﴿ فصل ﴾ اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فيما اذا أرسل كلباً على صيد فقتله بثقله ولم يجرحه أو صدمه هل يحل أم لا ؟ على قولين (أحدهما) أن ذلك حلال لعموم قوله تعالى « فكلوا مما أمسكن عليكم » وكذا عمومات حديث عدي بن حاتم وهذا قول حكاه الاصحاب عن الشافعي رحمه الله وصححه بعض المتأخرين منهم كالنووي والرافعي (قلت) وليس ذلك بظاهر من كلام الشافعي في الأم والمختصر فانه قال في كلا الموضعين يحتمل معنيين ثم وجه كلا منهما فحمل ذلك الاصحاب منه فاطلقوا في المسئلة قولين عنه اللهم الا انه في بحثه للقول بالحل رشحه قليلا ولم يصرح بواحد منهما ولا جزم به والقول بذلك أعني الحل نقله ابن الصباغ عن أبي حنيفة من رواية الحسن بن زياد عنه ولم يذكر غير ذلك . وأما أبو جعفر بن جرير فحكاه في تفسيره عن سلمان الفارسي وأبي هريرة وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وهذا غريب جداً وليس يوجد ذلك مصرحاً به عنهم الا أنه من تصرفه رحمه الله ورضي عنه (والقول الثاني)أن ذلك لايحل وهو أحد القولين عن الشافعي رحمه الله واختاره المزني ويظهر من كلام ابن الصباغ ترجيحه أيضاً والله أعلم ورواه أبو يوسف ومحمد عن أبي حنيفة وهو المشهور عن الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وهذا القول أشبه بالصواب والله أعلم لانه أجرى على القواعد الاصولية وأمس بالاصول الشرعية . واحتج ابن الصباغ له بحديث رافع بن خديج قلت يارسول الله إنا لاقوا العدو غداً وليس معنا مدى أفنذبح بالقصب قال « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه » الحديث بتمامه وهو في الصحيحين. وهذا وإن كان وارداً على سبب خاص فالعبرة بعموم اللفظ عند جمهور من العلماء في الاصول والفروع كما سئل عليه السلام عن البتع وهو نبيذ العسل

مثل عنق وأعناق وهو الشيء المنصوب واختلفوا فيه فقال مجاهد وقتادة : كانت حول البيت ثلثمائة وستون حجراً منصوبة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هي بأصنام انما الاصنام هي المصورة المنقوشة ، وقال الآخرون هي الاصنام المنصوبة ومعناه وما ذبح على اسم النصب قال ابن زيد : وماذبح على النصب وما أهل لغير الله به هما واحد ، قال قطرب على بمعنى اللام أي وما ذبح لاجل النصب ﴿ وأن تستقسموا بالأزلام ﴾ أي وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام ، والاستقسام هو طلب القسم والحكم من الازلام ، والازلام هي القداح التي لا ريش لها ولا نصل ، واحدها زلم

فقال « كل شراب أسكر فهو حرام » أفيقول فقيه إن هذا اللفظ مخصوص بشراب العسل؟ وهكذا هذا، كما سألوه عن شيء من الذكاة فقال لهم كلاما عاما يشمل ذاك المسؤول عنه وغيره لانه عليه السلام كان قد أوتي جوامع الكلم، إذا تقرر هذا فما صدمه الكلب أو غمه بثقله ليس مما أنهر دمه فلا يحل لمفهوم هذا الحديث فان قيل هذا الحديث ليس من هذا القبيل بشيء لانهم إنما سألوه عن الآلة التي يذكى بها ولم يسألوه عن الشيء الذي يذكى، ولهذا استثنى من ذلك السن والظفر حيث قال « ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك أما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة » والمستثنى يدل على جنس المستثنى منه وإلا لم يكن متصلا فدل على أن المسؤول عنه هو الآلة فلا يبقى فيه دلالة لما ذكرتم فالجواب عن هذا بان في الكلام ما يشكل عليكم أيضا حيث يقول « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه » ولم يقل فاذبحوا به فهذا يؤخذ منه الحكمان معا يؤخذ حكم الآلة التي يذكى بها وحكم المذكى وأنه لا بد من إنهار دمه بآلة ليست سنا ولا ظفرا هذا مسلك[١]

والمسلك الثاني طريقة المزني وهي أن السهم جاء التصريح فيه بأنه ان قتل بعرضه فلا تأكل وإن خزق فكل والكلب جاء مطلقا فيحمل على ما قيد هناك من الخزق لانهما اشتركا في الموجب وهو الصيد فيجب الحمل هنا وإن اختلف السبب كما وجب حمل مطلق الاعتاق في الظهار على تقييده بالايمان في القتل بل هذا أولى وهذا يتوجه له على من يسلم له أصل هذه القاعدة من حيث هي وليس فيها خلاف بين الاصحاب[٢] قاطبة فلا بد لهم من جواب عن هذا . وله أن يقول هذا قتله الكلب بثقله فلم يحل قياسا على ما قتله السهم بعرضه والجامع أن كلا منهما آلة للصيد وقد مات بثقله فيهما ولا يعارض ذلك بعموم الآية لان القياس مقدم على العموم كما هو مذهب الائمة الاربعة والجمهور وهذا مسلك حسن أيضا[٣]

﴿ مسلك آخر ﴾ وهو أن قوله تعالى (فكلوا مما أمسكن عليكم) عام فيما قتلن بجرح أو غيره لكن هذا المقتول على هذه الصورة المتنازع فيها لا يخلو[٤] إما أن يكون نطيحا أو في حكمه أو منخنقا أو في حكمه وأيا ما كان فيجب تقديم هذه الآية على تلك لوجوه (أحدها) أن الشارع قد اعتبر حكم هذه الآية حالة الصيد حيث يقول لعدي بن حاتم وإن « أصابه بعرضه فانما هو وقيذ فلا تأكله » ولم نعلم أحدا من العلماء فصل بين حكم وحكم من هذه الآية فقال إن الوقيذ معتبر حالة الصيد والنطيح ليس معتبرا

وزلم بفتح الزاي وضمها كانت أزلامهم سبعة قداح مستوية من شوحط تكون عند سادن الكعبة مكتوب على واحد « نعم » وعلى واحد « لا » وعلى واحد « منكم » وعلى واحد « من غيركم » وعلى واحد « ملصق » وعلى واحد « العقل » وواحد غفل ليس عليه شيء، فكانوا إذا أرادوا أمرا من سفر أو نكاح أو ختان أو غيره أو تداوروا في نسب أو اختلفوا في تحمل عقل جاؤا إلى هبل وكان أعظم أصنام قريش بمكة وجاؤا بمائة درهم أعطوها صاحب القداح حتى يجيل القداح ويقولوا ياالهنا انا أردنا كذا وكذا فان خرج « نعم » فعلوا وان خرج « لا » لم يفعلوا ذلك حولا ثم عادوا الى القداح ثانية فاذا أجالوا

---

(١) فيه أن أن صيد الجوارح لايدخل في هذا الباب فهو شيء أحله الله في آية اخرى على الوجه المعروف عند الناس في كل زمان لا لأنه تذكية

(٢) يعني أصحاب الشافعي يرحمه الله تعالى وإلا فالقاعدة فيها خلاف معروف في الأصول

(٣) فيه أن تحريم الوقيذ إما أن يكون لتعذيب الحيوان لأجل إبطاله كما هو الظاهر وهذا لا يتحقق فيما مات بثقل الكلب وإما أن يكون تعبديا فلا يدخله القياس

(٤) لانسلم أن مانعة الخلو هنا ذات طرفين كما ذكره فما وقع عليه الجارح فمات ليس نطيحا ولا منخنقا ولا في حكمهما بل هو صيد قتله الجارح وأمسكه على صاحبه فله حكم منصوص كما أنه ليس وقيذا

فيكون القول بحل المتنازع فيه خرقا للاجماع لاقائل به وهو محظور عند كثير من العلماء (الثاني) أن تلك الآية (فكلوا مما أمسكن عليكم) ليست على عمومها بالاجماع بل مخصوصة بما صدق من الحيوان المأكول وخرج من عموم لفظها الحيوان غير المأكول بالاتفاق[1] والعموم المحفوظ مقدم على غير المحفوظ (المسلك لآخر) ان هذا الصيد والحالة هذه في حكم الميتة سواء لانه قد احتقن فيه الدماء وما يتبعها من الرطوبات[2] فلا تحل قياسا على الميتة (المسلك الآخر) ان آية التحريم أعني قوله حرمت عليكم الميتة الى آخرها محكمة لم يدخلها نسخ ولا تخصيص وكذا ينبغي ان تكون آية التحليل محكمة أعني قوله تعالى (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات الآية) فينبغي ان لا يكون بينهما تعارض أصلا وتكون السنة جاءت لبيان ذلك وشاهد ذلك قصة السهم فانه ذكر حكم مادخل في هذه الآية وهو ماذا خزقه المعراض فيكون حلالا لانه من الطيبات وما دخل في حكم تلك الآية آية التحريم وهو ماذا أصابه بعض فلا يؤكل لانه وقيذ فيكون أحد أفراد آية التحريم وهكذا يجب ان يكون حكم هذا سواء ان كان قد جرحه الكلب فهو داخل في حكم آية التحليل وان لم يجرحه بل صدمه أو قتله بثقله فهو نطيح أو في حكمه فلا يكون حلالا

(فان قيل) فلم لا فصل في حكم الكلب فقال ما ذكرتم ان جرحه فهو حلال وان لم يجرحه فهو حرام (فالجواب) ان ذلك نادر لان من شأن الكلب ان يقتل بظفره أو نابه أو بهما معا وأما اصطدامه هو والصيد فنادر وكذا قتله اياه بثقله فلم يحتج الى لاحتراز من ذلك لندوره[3] أو لظهور حكمه عند من علم تحريم الميتة والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة . وأما السهم والمعراض فتارة يخطيء لسوء رمي راميه أو للهو أو نحو ذلك بل خطؤه أكثر من اصابته فلهذا ذكر كلا من حكميه مفصلا والله أعلم ولهذا لما كان الكلب من شأنه انه قد يأكل من الصيد ذكر حكم ما اذا أكل من الصيد فقال « ان أكل فلا تأكل فاني أخاف أن يكون أمسك على نفسه » وهذا صحيح ثابت في الصحيحين وهو أيضا مخصوص من عموم آية التحليل عند كثيرين فقالوا لايحل ما أكل منه الكلب حكي ذلك عن

على نسب فان خرج منكم كان وسيطا منهم وان خرج من غيركم كان حليفا وان خرج ملصق كان على منزلته لانسب له ولا حلف ، واذا اختلفوا في عقل فمن خرج عليه قدح العقل حمله وان خرج الغفل أجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرمه وقال ﴿ ذلكم فسق ﴾ وقال سعيد بن جبير الازلام حصى بيض كانوا يضربون بها ، وقال مجاهد هي كعاب فارس والروم التي يتقامرون بها ■ وقال الشعبي وغيره : الازلام للعرب والكعاب للعجم ■ وقال سفيان بن وكيع : هي الشطرنج ، وروينا أن النبي ﷺ قال « العيافة والطرق والطيرة من الجبت » والمراد من الطرق

(1) الاصل في العام أن يتناول ما يصلح له وهو هنا ما يصطاد عادة بالجوارح ولا يدخل فيه المحرم لذاته كالميتة والخنزير فان فرض تناوله له كان عاماً مرادا به الخصوص من أول وهلة لاعاما مخصوصاً وهو لايفيد في هذا البحث

(2) هذا غير مسلم أصلا ولا فرعا فليست علة تحريم الميتة إحتقان الدم والرطوبات فيها. وما يخرقه المعراض بحديدته لايخرج منه إلا القليل من الدم وكذا مايجرحه الكلب أو الشاهين مثلا

(3) يظهر ان المؤلف لم يصطد بالجوارح ولم ير صيدها . والواقع المعروف عند أهلها غير ماذكر فان الكلب لا يجرح ما يصطاده بظفره ولا بنابه وإنما يأخذه بفمه إذا كان صغيراً كالطير أو الارنب الصغير أو = يلتزمه ويمنعه من الفرار حتى يجيء صاحبه أو يأخذه وقد يضربه على وجهه أو يعضه حتى يشغله أو يمنعه من الفرار، وكذلك جوارح الطير تأخذ صيدها الصغير بيديها وذكر لنا انها تقلع عيني الكبير ليمتنع من الفرار

أبي هريرة وابن عباس وبه قال الحسن والشعبي والنخعي واليه ذهب أبو حنيفة وصاحباه وأحمد بن حنبل والشافعي في المشهور عنه وروى ابن جرير فى تفسيره عن علي وسعيد وسلمان وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس ان الصيد يؤكل وان أكل منه الكلب حتى قال سعيد وسلمان وأبو هريرة وغيرهم يؤكل ولو لم يبق منه الا بضعة والى ذلك ذهب مالك والشافعي في قوله القديم وأومأ في الجديد الى قولين قال ذلك الامام أبو نصر بن الصباغ وغيره من الاصحاب عنه وقد روى أبو داود باسناد جيد قوي عن أبي ثعلبة الخشني عن رسول الله ﷺ انه قال في صيد الكلب « اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان أكل منه وكل ماردت عليك يدك » ورواه أيضا النسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان أعرابيا يقال له أبو ثعلبة قال يارسول الله فذكر نحوه وقال محمد بن جرير في تفسيره حدثنا عمران بن بكار الكلاعي حدثنا عبد العزيز بن موسى هو اللاجوني حدثنا محمد بن دينار هو الطاحي عن أبي اياس وهو معاوية بن قرة عن سعيد بن المسيب عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ قال اذا أرسل الرجل كلبه على الصيد فأدركه وقد أكل منه فليأكل مابقي ثم ان ابن جرير علله بانه قد رواه قتادة وغيره عن سعيد بن المسيب عن سلمان موقوفا . وأما الجمهور فقدموا حديث عدي على ذلك وراموا تضعيف حديث أبي ثعلبة وغيره وقد حمله بعض العلماء على أنه ان أكل بعد ما انتظر صاحبه فطال عليه الفصل ولم يجيء فأكل منه لجوعه ونحوه فانه لا بأس بذلك والحالة هذه لا يخشى انه انما أمسك على نفسه بخلاف ما اذا أكل منه أول وهلة فانه يظهر منه أنه أمسك على نفسه والله أعلم . فاما الجوارح من الطيور فنص الشافعي على انها كالكلب فيحرم ما أكلت منه عند الجمهور ولا يحرم عند الآخرين واختار المزني من أصحابنا انه لا يحرم أكل ما أكلت منه الطيور والجوارح وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد قالوا لانه لا يمكن تعليمها كما يعلم الكلب بالضرب ونحوه وأيضا فانها لا تعلم الا بأكلها من الصيد فيعفى عن ذلك، وأيضا لنص انما ورد في الكلب لا في الطير وقال الشيخ أبو علي في الافصاح اذا قلنا يحرم ما أكل منه الكلب ففي تحريم ما أكل منه الطير وجهان. وأنكر القاضي أبو الطيب هذا التفريع والترتيب لنص الشافعي رحمه الله على التسوية بينهما والله سبحانه وتعالى اعلم وأما المتردية فهي التي تقع من شاهق او موضع عال فتموت بذلك فلا تحل قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس المتردية التي تسقط من جبل وقال قتادة هي التي تتردي

الضرب بالحصاء، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو اسحق الثعلبي أنا ابن فنجويه أنا فضل الكندي أخبرنا الحسن بن داود الخشاب أنا سويد بن سعيد أنا أبو المختار عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ « من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة » ﴿ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ﴾ يعني أن ترجعوا الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطمعون في عود المسلمين الى دينهم فلما قوي الاسلام أيسوا ويئس وأيس بمعنى واحد ﴿ فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت

في بئر وقال السدي هي التي تقع من جبل او تتردى في بئر. واما النطيحة فهي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها فهي حرام وان جرحها القرن وخرج منها الدم ولو من مذبحها والنطيحة فعيلة بمعنى مفعوله اي منطوحة وأكثر ماترد هذه البنية في كلام العرب بدون تاء التأنيث فيقولون عين كحيل وكف خضيب ولا يقولون كف خضيبة ولا عين كحيلة وأما هذه فقال بعض النحاة انما استعمل فيها تاء التأنيث لأنها أجريت مجرى الاسماء كما في قولهم طريقة طويلة وقال بعضهم انما أتي بتاء التأنيث فيها لتدل على التأنيث من أول وهلة بخلاف عين كحيل وكف خضيب لان التأنيث مستفاد من أول الكلام

وقوله تعالى (وما أكل السبع) أي ماعدا عليها أسد أو فهد أو نمر أو ذئب أو كلب فأكل بعضها فماتت بذلك فهي حرام وان كان قد سال منها الدم ولو من مذبحها فلا تحل بالاجماع وقد كان أهل الجاهلية يأكلون ما أفضل السبع من الشاة أو البعير أو البقرة أو نحو ذلك فحرم الله ذلك على المؤمنين وقوله (الا ماذكيتم) عائد على مايمكن عوده عليه مما انعقد سبب موته فأمكن تداركه بذكاة وفيه حياة مستقرة وذلك انما يعود على قوله (والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (الا ماذكيتم) يقول الا ماذبحتم من هؤلاء وفيه روح فكلوه فهو ذكي وكذا روي عن سعيد بن جبير والحسن البصري والسدي وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا حفص بن غياث حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن علي في الآية قال ان مصعت بذنبها او ركضت برجلها او طرفت بعينها فكل. وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا هشيم وعباد قالا حدثنا حجاج عن حصين عن الشعبي عن الحارث عن علي قال اذا أدركت ذكاة الموقوذة والمتردية والنطيحة وهي تحرك يداً أو رجلا فكلها وهكذا روي عن طاوس والحسن وقتادة وعبيد بن عمير والضحاك وغير واحد أن المذكاة متى تحركت بحركة تدل على بقاء الحياة فيها بعد الذبح فهي حلال وهذا مذهب جمهور الفقهاء وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل قال ابن وهب سئل مالك عن الشاة التي يخرق جوفها السبع حتى تخرج أمعاؤها فقال مالك لاأرى أن تذكى أي شيء يذكى منها؟ وقال أشهب سئل مالك عن الضبع يعدو على الكبش فيدق ظهره أترى أن يذكى قبل ان يموت فيؤكل فقال ان كان قد بلغ الشحرة فلا أرى ان يؤكل وان كان أصاب أطرافه فلا أرى بذلك بأسا قيل له وثب عليه فدق ظهره فقال لايعجبني هذا لايعيش منه قيل له فالذئب يعدو على الشاة فيثقب بطنها ولا يثقب الامعاء

عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) نزلت هذه الآية يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق من ثقلها فبركت. أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل حدثني الحسن بن الصباح سمع جعفر بن عون أنا أبو العميس أنا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا من اليهود قال له يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، قال أية آية؟ قال (اليوم أكملت لكم دينكم

فقال اذا شق بطنها فلا أرى أن تؤكل هذا مذهب مالك رحمه الله وظاهر الآية عام فيما استثناه مالك رحمه الله من الصور التى بلغ الحيوان فيها الي حالة لايعيش بعدها فيحتاج الى دليل مخصص للآية والله اعلم

وفي الصحيحين عن رافع بن خديج انه قال قلت يارسول الله أنا لاقو العدو غدا وليس معنا مدى أفنذبح بالقصب ؟ فقال «ماأنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك أما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة » وفي الحديث الذي رواه الدارقطني مرفوعا وفيه نظر « وروي عن عمر موقوفا وهو أصح « ألا ان الزكاة في الحلق واللبة »ولا تعجلوا الانفس أن تزهق. فأما الحديث الذي رواه الامام احمد واهل السنن من رواية حماد بن سلمة عن أبي العسراء الدارمي عن أبيه قال قلت يارسول الله أمانكون الذكاة الا من اللبة والحلق ؟ فقال «لوطعنت في فخذها لأجزأعنك » وهو حديث صحيح ولكنه محمول على مالا يقدر على ذبحه في الحلق واللبة وقوله (وماذبح على النصب) قال مجاهد وابن جريج كانت النصب حجارة حول الكعبة قال ابن جريج وهي ثلثمائة وستون نصبا كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها وينضحون ماأقبل منها الى البيت بدماء تلك الذبائح ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب وكذا ذكره غير واحد فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع وحرم عليهم اكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب من الشرك الذى حرمه الله ورسوله وينبغي ان يحمل هذا على هذا لانه قد تقدم تحريم ماأهل به لغير الله . وقوله تعالى (وأن تستقسموا بالازلام)أى حرم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالازلام واحدها زلم وقد تفتح الزاى فيقال زلم وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك وهي عبارة عن قداح ثلاثة على أحدها مكتوب افعل وعلى الآخر لاتفعل والثالث غفل ليس عليه شيء . ومن الناس من قال مكتوب على الواحد أمرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل ليس عليه شيء فاذا أجالها فطلع سهم الامر فعله أوالنهي تركه وان طلع الفارغ أعاد والاستقسام مأخوذ من طلب القسم من هذه الازلام هكذا قرر ذلك أبو جعفر بن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا الحجاج بن محمد أخبرنا ابن جريج وعثمان ابن عطاء عن عطاء عن ابن عباس (وان تستقسموا بالازلام) قال والازلام قداح كانوا يستقسمون بها في الامور وكذا روي عن مجاهد وابراهيم النخعي والحسن البصري ومقاتل بن حيان وقال ابن عباس هي قداح كانوا يستقسمون بها الامور وذكر محمد بن اسحاق وغيره ان أعظم أصنام قريش صنم كان يقال له هبل منصوب

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة ، أشار عمر الى أن ذلك اليوم كان عيدا لنا ، قال ابن عباس: كان في ذلك اليوم خمسة أعياد ــ جمعة وعرفة وعيد اليهود والنصارى والمجوس « ولم تجتمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعده ، وروى هرون بن عنترة عن أبيه قال : لما نزلت هذه الآية بكي عمر رضي الله عنه فقال له النبي ﷺ « مايبكيك ياعمر ؟ » فقال أبكاني انا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا كمل فانه لم يكمل شيء إلا نقص ، قال « صدقت » وكانت هذه الآية نعي النبي ﷺ

على بئر داخل الكعبة فيها توضع الهدايا وأموال الكعبة فيه وكان عنده سبعة ازلام مكتوب فيها مايتحاكمون فيه مما أشكل عليهم فما خرج لهم منها رجعوا اليه ولم يعدلوا عنه. وثبت في الصحيحين ان النبي ﷺ لما دخل الكعبة وجد ابراهيم واسمعيل مصورين فيها وفى أيديهما الازلام فقال قاتلهم الله لقد علموا انهما لم يستقسما بها أبدا . وفي الصحيح ان سراقة بن مالك بن جعشم لما خرج في طلب النبي ﷺ وأبي بكر وهما ذاهبان الى المدينة مهاجرين قال فاستقسمت بالازلام هل أضرهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره لايضرهم قال فعصيت الازلام واتبعتهم ثم إنه استقسم بها ثانية وثالثة كل ذلك يخرج الذي يكره لايضرهم وكان كذلك وكان سراقة لم يسلم اذ ذاك ثم أسلم بعد ذلك. وروى ابن مردويه من طريق ابراهيم بن يزيد عن رقية عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ « لن يلج الدرجات من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر طائرا »وقال مجاهد في قوله وان تستقسموا بالازلام قال هي سهام العرب وكعاب فارس والروم كانوا يتقامرون . وهذا الذي ذكر عن مجاهد في الازلام انها موضوعة للقمار فيه نظر اللهم الا ان يقال أنهم كانوا يستعملونها في الاستخارة تارة وفي القمار أخرى والله أعلم فان الله سبحانه قد قرن بينها وبين القمار وهو الميسر فقال في آخر السورة (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء ـ الى قوله ـ منتهون) وهكذا قال ههنا(وأن تستقسموا بالازلام ذلكم فسق) أي تعاطيه فسق وغي وضلالة وجهالة وشرك وقد أمر الله المؤمنين اذا ترددوا في أمورهم ان يستخيروه بأن يعبدوه ثم يسألوه الخيرة في الامر الذي يريدونه كما رواه الامام أحمد والبخاري وأهل السنن من طرق عن عبد الرحمن بن أبي الموالى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الامور كما يعلمنا السورة من القرآن ويقول «اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ،فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب،اللهم ان كنت تعلم أن هذا الامر ـ ويسميه باسمه ـ خير لى في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري ـ أوقال:عاجل أمري وآجله ـ فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ،اللهم وان كنت تعلم انه شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفني عنه وأصرفه عني واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به » لفظ أحمد وقال

وعاش بعدها احدى وثمانين يوما ، ومات يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة ، وقيل توفى يوم الثاني عشر من شهر ربيع الاول ، وكانت هجرته في الثاني عشر من شهر ربيع الاول، أما تفسير الآية قوله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم) يعني يوم نزول هذه الآية أكملت لكم دينكم ، يعني الفرائض والسنن والحدود والجهاد والاحكام والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض والسنن والحدود

الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب لانعرفه الا من حديث ابن أبي الموالى

وقوله (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني يئسوا أن يراجعوا دينهم وكذا روي عن عطاء بن أبي رباح والسدي ومقاتل بن حيان وعلى هذا المعنى يرد الحديث الثابت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «ان الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش بينهم» ويحتمل أن يكون المراد أنهم يئسوا من مشابهة المسلمين لما تميز به المسلمون من هذه الصفات المخالفة للشرك وأهله ولهذا قال تعالى آمراً لعباده المؤمنين أن يصبروا ويثبتوا في مخالفة الكفار ولايخافوا أحداً إلا الله فقال (فلا تخشوهم واخشون) أي لاتخافوهم في مخالفتكم اياهم واخشوني أنصركم عليهم وأبيدهم وأظفركم بهم وأشف صدوركم منهم وأجعلكم فوقهم في الدنيا والآخرة

وقوله (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الامة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون الى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ولهذا جعله الله تعالى خاتم الانبياء وبعثه إلى الانس والجن فلا حلال الا ماأحله ، ولاحرام الا ماحرمه ، ولا دين الا ماشرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي صدقا في الاخبار وعدلا في الاوامر والنواهي فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة ولهذا قال تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) أي فارضوه أنتم لانفسكم فانه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام ، وأنزل به أشرف كتبه . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله «اليوم أكملت لكم دينكم» وهو الاسلام ، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الايمان فلا يحتاجون الى زيادة أبداً ، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً . وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً . وقال أسباط عن السدي نزلت هذه الآية يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام ورجع رسول الله ﷺ فمات قالت أسماء بنت عميس : حججت مع رسول الله ﷺ تلك الحجة فبينما نحن نسير اذ تجلى له جبريل فمال رسول الله ﷺ على الراحلة فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن فبركت فأتيته فسجيت عليه برداً كان علي . وقال ابن جرير وغير واحد مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوما رواهما ابن جرير ثم قال حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن فضيل عن

والاحكام هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما ، ويروى عنه ان آية الربا نزلت بعدها ، وقال سعيد بن جبير وقتادة (أكملت لكم دينكم) فلم يحج معكم مشرك ، وقيل أظهرت دينكم وأمنتكم من العدو ، وقوله عز وجل (وأتممت عليكم نعمتي) يعني وأنجزت وعدي في قولي (ولأتم نعمتي عليكم) فكان من تمام نعمته أن دخلوا مكة آمنين ، وعلوها ظاهرين ، وحجوا مطمئنين ، لم يخالطهم أحد من

هارون بن عنترة عن أبيه قال لما نزلت (اليوم أكملت لكم دينكم) وذلك يوم الحج الاكبر بكى عمر فقال له النبي ﷺ « مايبكيك » قال أبكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاما إذا أكمل فانه لم يكمل شيء الا نقص . فقال «صدقت» ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت «إن الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء» وقال الامام أحمد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال ياأمير المؤمنين انكم تقرؤن آية في كتابكم لو علينا يامعشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال وأي آية ؟ قال قوله « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) فقال عمر والله اني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ عشية عرفة في يوم جمعة . ورواه البخاري عن الحسن بن الصباح عن جعفر بن عون به ورواه أيضا مسلم والترمذي والنسائي أيضا من طرق عن قيس بن مسلم به ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية من طريق سفيان الثوري عن قيس عن طارق قال قالت اليهود لعمر إنكم تقرؤن آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداء فقال عمر اني لاعلم حين أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت : يوم عرفة وأنا والله بعرفة - قال سفيان وأشك كان يوم الجمعة أم لا - (اليوم أكملت لكم دينكم) الآية ، وشك سفيان رحمه الله إن كان في الرواية فهو تورع حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا ؟ وان كان شكا في كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم جمعة فهذا ما اخاله يصدر عن الثوري رحمه الله فان هذا أمر معلوم مقطوع به لم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازي والسير ولا من الفقهاء ، وقد وردت في ذلك أحاديث متواترة لايشك في صحتها والله أعلم . وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر . وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا رجاء بن أبي سلمة أخبرنا عبادة بن نسى أخبرنا أميرنا اسحق قال أبو جعفر بن جرير هو اسحق بن حرشة عن قبيصة يعني ابن أبي ذئب قال قال كعب لو أن غير هذه الامة نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيدا يجتمعون فيه فقال عمر أي آية يا كعب ؟ فقال (اليوم أكملت لكم دينكم) فقال عمر قد علمت اليوم الذي أنزلت والمكان الذي أنزلت فيه نزلت في يوم جمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد. وقال ابن جرير : حدثنا أبو بكر حدثنا قبيصة حدثنا حماد بن سلمة عن عمار هو مولى بني هاشم أن ابن عباس قرأ (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فقال يهودي لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيداً فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين اثنين

المشركين ﴿ ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ سمعت عبد الواحد قال سمعت عبدالواحد المليحي قال سمعت أبا محمد بن حاتم قال سمعت أبا بكر النيسابوري سمعت أبا بكر محمد بن الحسن بن المسيب المروزي سمعت أبا حاتم محمد بن ادريس الحنظلي سمعت عبد الملك بن مسلمة أنا مروان المصري سمعت ابراهيم بن أبي بكر بن المنكدر رضي الله عنه سمعت عمي محمد بن المنكدر سمعت جابر

يوم عيد ويوم جمعة . وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل حدثنا موسى بن هرون حدثنا يحيى الحماني حدثنا قيس ابن الربيع عن اسمعيل بن سليمان عن أبي عمر البزار عن ابن الحنفية عن علي قال نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو قائم عشية عرفة (اليوم أكملت لكم دينكم)

وقال ابن جرير حدثنا أبو عامر اسماعيل بن عمرو السكوني حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عياش حدثنا عمرو بن قيس السكوني أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر ينتزع بهذه الآية (اليوم أكملت لكم دينكم) حتى ختمها فقال نزلت في يوم عرفة في يوم جمعة . وروى ابن مردويه من طريق محمد بن اسحق عن عمرو بن موسى بن دحية عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال نزلت هذه الآية (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) يوم عرفة ورسول الله ﷺ واقف على الموقف . فاما مارواه ابن جرير وابن مردويه والطبراني من طريق ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حنش بن عبدالله الصغاني عن ابن عباس قال ولد نبيكم ﷺ يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وفتح بدرا يوم الاثنين وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين — اليوم اكملت لكم دينكم، ورفع الذكر يوم الاثنين فانه أثر غريب واسناده ضعيف وقد رواه الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حنش الصغاني عن ابن عباس قال ولد النبي ﷺ يوم الاثنين واستنبيء يوم الاثنين وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين ووقع الحجر الاسود يوم الاثنين . هذا لفظ أحمد ولم يذكر نزول المائدة يوم الاثنين فالله أعلم ولعل ابن عباس أراد أنها نزلت يوم عيدين اثنين كما تقدم فاشتبه على الراوي والله أعلم

وقال ابن جرير : وقد قيل ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس ، ثم روى من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله (اليوم أكملت لكم دينكم) يقول ليس بيوم معلوم عند الناس قال : وقد قيل إنها نزلت على رسول الله ﷺ في مسيره إلى حجة الوداع « ثم رواه من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، قلت وقد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خم حين قال لعلي « من كنت مولاه فعلي مولاه » ثم رواه عن أبي هريرة وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يعني مرجعه عليه السلام من حجة الوداع ولا يصح لا هذا ولا هذا ، بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية أنها أنزلت يوم عرفة وكان يوم جمعة كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأول ملوك الاسلام معاوية بن أبي سفيان وترجمان القرآن عبدالله بن عباس وسمرة بن جندب رضي الله عنه « وأرسله الشعبي وقتادة ابن دعامة وشهر بن حوشب وغير واحد من الائمة والعلماء ، واختاره ابن جرير الطبري رحمه الله

ابن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال جبريل قال الله تعالى هذا دين رضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه »

وقوله (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فان الله غفور رحيم) أي فمن احتاج إلى تناول شيء من هذه المحرمات التي ذكرها الله تعالى لضرورة ألجأته إلى ذلك فله تناوله والله غفور رحيم له لانه تعالى يعلم حاجة عبده المضطر وافتقاره إلى ذلك فيتجاوز عنه ويغفر له

وفي المسند وصحيح ابن حبان عن ابن عمر مرفوعا قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله يحب أن تؤتى رخصته ، كما يكره أن تؤتى معصيته » لفظ ابن حبان ، وفي لفظ لاحمد « من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الاثم مثل جبال عرفة » ولهذا قال الفقهاء : قد يكون تناول الميتة واجباً في بعض الاحيان وهو ما اذا خاف على نفسه ولم يجد غيرها ، وقد يكون مندوبا ، وقد يكون مباحا بحسب الاحوال ، واختلفوا هل يتناول منها قدر ما يسد به الرمق ، أوله أن يشبع ، أو يشبع ويتزود ؟ على أقوال كما هو مقرر في كتاب الاحكام ، وفيما اذا وجد ميتة وطعام الغير أو صيداً وهو محرم هل يتناول الميتة أو ذلك الصيد ويلزمه الجزاء أو ذلك الطعام ويضمن بدله ؟ على قولين هما قولان للشافعي رحمه الله . وليس من شرط جواز تناول الميتة أن يمضي عليه ثلاثة أيام لا يجد طعاما كما قد يتوهمه كثير من العوام وغيرهم ، بل متى اضطر إلى ذلك جاز له ، وقد قال الامام احمد : حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي حدثنا حسان ابن عطية عن أبي واقد الليثي أنهم قالوا يا رسول الله : انا بأرض تصيبنا بها المخمصة فمتى تحل لنا بها الميتة ؟ فقال « اذا لم تصطبحوا ، ولم تغتبقوا ، ولم تحتفؤا بها بقلا فشأنكم بها »[1] تفرد به احمد من هذا الوجه وهو اسناد صحيح على شرط الصحيحين ، وكذا رواه ابن جرير عن عبد الاعلى بن واصل عن محمد بن القاسم الاسدي عن الاوزاعي به ، لكن رواه بعضهم عن الاوزاعي عن حسان بن عطية عن مسلم بن يزيد عن أبي واقد به ، ومنهم من رواه عن الاوزاعي عن حسان عن مرثد أو أبي مرثد عن أبي واقد به ، ورواه ابن جرير عن هناد بن السري عن عيسى بن يونس عن حسان عن رجل قد سمي له فذكره ، ورواه أيضاً عن هناد عن ابن المبارك عن الاوزاعي عن حسان مرسلا وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن ابن عون قال : وجدت عند الحسن كتاب سمرة فقرأته عليه فكان فيه : ويجزيء من الاضطرار غبوق أو صبوح . حدثنا أبو كريب حدثنا هشيم عن الخصيب بن زيد التميمي حدثنا الحسن أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال : متى يحل الحرام ؟ قال فقال « إلى متى يروى

(١) تحتفؤا روي بالهمز قيل وهو من الحفاء وهو نبات او البردي من التمراي الابيض الرطب منه واستشكل بانه ليس بقلا وصحح بعضهم عدم همزه من الاحتفاء وهو المبالغة في طلب البقل اي نبات الارض

قوله عز وجل ﴿ فمن اضطر في مخمصة ﴾ أي جهد في مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء يقال رجل خميص البطن اذا كان طاويا خاويا ﴿ غير متجانف لإثم ﴾ أي مائل الى اثم وهو أن يأكل فوق الشبع ، وقال قتادة غير متعرض لمعصية في مقصده ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ وفيه اضمار أي فأكله فان الله غفور رحيم . أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الحسن المروزي أنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز المكي أنا أبو عبيدة القاسم بن سلام أنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي واقد الليثي قال رجل

أهلك من اللبن أو تجيء ميرتهم » حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن اسحاق حدثني عمر بن عبدالله بن عروة عن جده عروة بن الزبير عن جدته أن رجلا من الاعراب أتى النبي ﷺ يستفتيه في الذي حرم الله عليه والذي أحل له ، فقال النبي ﷺ « يحل لك الطيبات ويحرم عليك الخبائث إلا أن تفتقر إلى طعام لك فتأكل منه حتى تستغني عنه » فقال الرجل : وما فقري الذي يحل لي وما غنائي الذي يغنيني عن ذلك ؟ فقال النبي ﷺ « إذا كنت ترجو غناء تطلبه فتبلغ من ذلك شيئا فاطعم أهلك ما بدا لك حتى تستغني عنه » فقال الاعرابي ما غنائي الذي أدعه إذا وجدته فقال ﷺ « اذا رويت أهلك غبوقا من الليل فاجتنب ما حرم الله عليك من طعام مالك فانه ميسور كله فليس فيه حرام » ومعنى قوله « مالم تصطبحوا » يعني به الغداء « ومالم تغتبقوا » يعني به العشاء « أو تحتفئوا بقلا فشأنكم بها » فكلوا منها . وقال ابن جرير : يروى هذا الحرف يعني قوله « أو تحتفئوا » على أربعة أوجه : تحتفؤا بالهمزة (وتحتفئوا) بتخفيف الياء والحاء (وتحتفوا) بتشديد (وتحتفوا) بالحاء وبالتخفيف ويحتمل الهمز كذا رواه في التفسير

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود : حدثنا هارون بن عبدالله حدثنا الفضل بن دكن حدثنا وهب ابن عقبة العامري سمعت أبي يحدث عن النجيم العامري أنه أتى رسول الله ﷺ فقال : ما يحل لنا من الميتة ، قال « ماطعامكم » قلنا نصطبح ونغتبق . قال أبو نعيم : فسره لي عقبة . قدح غدوة وقدح عشية قال : ذاك وأبي الجوع ، وأحل لهم الميتة على هذه الحال . تفرد به أبو داود وكأنهم كانوا يصطبحون ويغتبقون شيئا لا يكفيهم « أحل لهم الميتة لتمام كفايتهم ، وقد يحتج به من يرى جواز الاكل منها حتى يبلغ حد الشبع » ولا يتقيد ذلك بسد الرمق والله أعلم

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود : حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد حدثنا سماك عن جابر عن سمرة أن رجلا نزل الحرة ومعه أهله وولده فقال له رجل إن ناقتي ضلت فان وجدتها فامسكها فوجدها ولم يجد صاحبها فمرضت فقالت له امرأته : انحرها فأبى فنفقت[1] فقالت له امرأته : اسلخها حتى نقدد شحمها ولحمها فنأكله قال لا حتى أسأل رسول الله ﷺ فأتاه فسأله فقال « هل عندك غنى يغنيك » قال لا قال « فكلوها » قال فجاء صاحبها فأخبره الخبر فقال : هلا كنت نحرتها ؟ قال استحييت منك تفرد به وقد يحتج به من يجوز الاكل والشبع والتزود منها مدة يغلب على ظنه الاحتياج اليها والله أعلم .

[1] اي خرجت روحها

وقوله (غير متجانف لاثم) أي متعاط لمعصية الله فان الله قد أباح ذلك له وسكت عن الآخر كما قال في سورة البقرة (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه إن الله غفور رحيم) وقد استدل بهذه الآية

يارسول الله إنا نكون بالارض فتصيبنا المخمصة فمتى تحل لنا الميتة ؟ فقال « مالم تصطبحوا أو تغتبقوا أو تحتفئوا بها بقلا فشأنكم بها »

من يقول بأن العاصي بسفره لا يترخص بشيء من رخص السفر[1] لان الرخص لا تنال بالمعاصي والله أعلم

يسئلونك ماذا أحل لهم ؟ قل أحل لكم الطيبٰتُ وما علمتم من الجوارح مكلّبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم عليه الله واتقوا الله إن الله سريع الحساب (٤)

لما ذكر تعالى ماحرمه في الآية المتقدمة من الخبائث الضارة لمتناولها إما في بدنه أو في دينه أو فيهما واستثنى ما استثناه في حالة الضرورة كما قال (وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم اليه) قال بعدها (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات) كما في سورة الاعراف في صفة محمد ﷺ أنه يحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث . قال ابن أبي حاتم . حدثنا يحي بن عبدالله بن أبي بكير حدثني عبدالله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير عن عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل الطائيين سألا رسول الله ﷺ فقالا يارسول الله : قد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها ، فنزلت (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات) قال سعيد : يعني الذبائح الحلال الطيبة لهم . وقال مقاتل : الطيبات ما أحل لهم من كل شيء أن يصيبوه وهو الحلال من الرزق : وقد سئل الزهري عن شرب البول للتداوي فقال : ليس هو من الطيبات . رواه ابن أبي حاتم ، وقال ابن وهب : سئل مالك عن بيع الطين الذي يأكله الناس فقال : ليس هو من الطيبات ، وقوله تعالى (وما علمتم من الجوارح مكلبين) أي أحل لكم الذبائح التي ذكر اسم الله عليها والطيبات من الرزق ، وأحل لكم ما صدتموه بالجوارح وهي من الكلاب والفهود والصقور وأشباهها كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والائمة وممن قال ذلك علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (وما علمتم من الجوارح مكلبين) وهن

قوله ﴿ يسألونك ماذا أحل لهم ﴾ الآية . قال سعيد ابن جبير نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله ﷺ زيد الخير قالا يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا منها فنزلت هذه الآية ، وقيل ان سبب نزولها ان النبي ﷺ لما أمر بقتل الكلاب قالوا يارسول الله ماذا يحل لنا من هذه الامة التي أمرت بقتلها ؟ فنزلت هذه الآية فلما نزلت أذن رسول الله ﷺ في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله بن بشران أنا اسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الزيادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال « من اتخذ كلبا إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط » والاول أصح في سبب نزول الآية ﴿ قل أحل لكم الطيبات ﴾ يعني الذبائح على اسم الله تعالى ، وقيل كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير ان ورد بتحريمه نص من كتاب أو سنة ﴿ وما علمتم من الجوارح ﴾ يعني وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح ، واختلفوا في هذه الجوارح

---

(١) هذه الرخصة ليست خاصة بالسفر والآية لا تدل لغة على ما ذكر فالتحقيق ان المتجانف للاثم هنا هو المائل اليه وهو الباغي والعادي هناك والاول المريد لأكل المحرم لذاته على كل حال من بغى الشيء طلبه والثاني المتجاوز لحد الضرورة او الحاجة على الخلاف من عدا الشيء تجاوزه وفي المسألة مذهبان معروفان أرجحها أيسرهما

الكلاب المعلمة والبازي وكل طير يعلم للصيد والجوارح يعني الكلاب الضوارى والفهود والصقور وأشباهها . رواه ابن أبي حاتم ، ثم قال وروي عن خثيمة وطاوس ومجاهد ومكحول ويحيى بن أبي كثير نحو ذلك . وروي عن الحسن أنه قال : الباز والصقر من الجوارح . وروي عن علي بن الحسين مثله ، ثم روي عن مجاهد أنه كره صيد الطير كله وقرأ قوله (وما علمتم من الجوارح مكلبين) قال وروى عن سعيد بن جبير نحو ذلك ونقله ابن جرير عن الضحاك والسدي ، ثم قال حدثنا هناد حدثنا ابن أبي زائدة أخبرنا ابن جريج عن نافع عن ابن عمر قال : أما ماصاد من الطير البازات وغيرها من الطير فما أدركت فهو لك وإلا فلا تطعمه ، قلت والمحكى عن الجمهور أن الصيد بالطيور كالصيد بالكلاب لانها تكلب الصيد بمخالبها كما تكلبه الكلاب فلا فرق وهومذهب الائمة الاربعة وغيرهم واختاره ابن جرير ، واحتج في ذلك بما رواه عن هناد : حدثنا عيسى بن يونس عن مجالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال : سألت رسول الله ﷺ عن صيد البازى فقال « ماأمسك عليك فكل » واستثنى الامام احمد صيد الكلب الاسود لأنه عنده مما يجب قتله ولا يحل اقتناؤه لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال « يقطع الصلاة الحمار والمرأة والكلب الاسود » فقلت مابال الكلب الاسود من الاحمر ، فقال الكلب الاسود شيطان ، وفي الحديث الآخر أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب ، ثم قال « مابالهم وبال الكلاب اقتلوا منها كل أسود بهيم » وسميت هذه الحيوانات التي يصطاد بهن جوارح من الجرح وهو الكسب كما تقول العرب فلان جرح أهله خيراً أي كسبهم خيراً ، ويقولون فلان لا جارح له أي لا كاسب له وقال الله تعالى (ويعلم ماجرحتم بالنهار) أي ماكسبتم من خير وشر

وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية الشريفة الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم حدثنا حجاج بن حمزة حدثنا زيد بن حباب حدثني يونس بن عبيدة حدثني أبان بن صالح عن القعقاع بن حكيم عن سلمى أم رافع عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ ان رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب فقتلت فجاء الناس فقالوا يارسول الله مايحل لنا من هذه الامة التى أمرت بقتلها ؟ فسكت فأنزل الله (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم

فقال الضحاك والسدي : هي الكلاب دون غيرها ، ولا يحل ماصاده غير الكلب إلا أن تدرك ذكاته وهذا غير معمول به بل عامة أهل العلم على ان المراد من الجوارح الكواسب من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب ، ومن سباع الطير كالبازي والعقاب والصقر ونحوها مما يقبل التعليم فيحل صيد جميعها ، سميت جارحة لجرحها أربابها أقواتهم من الصيد أي كسبها ، يقال فلان جارحة أهله أي كاسبهم ﴿ مكلبين ﴾ والمكلب الذي يغري الكلب على الصيد ويقال للذي يعلمها أيضا مكلب ، والكلاب صاحب الكلاب ، ويقال للصائد بها أيضا كلاب . ونصب مكلبين على الحال أي في حال تكليبكم هذه الجوارح أي اغرائكم اياها على الصيد ، وذكر الكلاب لانها أكثر وأعم والمراد جميع جوارح الصيد ﴿ تعلمونهن ﴾ تؤدبونهن آداب أخذ الصيد ﴿ مما علمكم الله ﴾ أي من العلم الذي علمكم الله ،

الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين الآية) فقال النبي ﷺ اذا أرسل الرجل كلبه وسمى فأمسك عليه فيأكل مالم يأكل »وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن الحباب باسناده عن أبي رافع قال جاء جبريل الى النبي ﷺ ليستأذن عليه فأذن له فقال قد أذن لك يارسول الله قال أجل« ولكنا لاتدخل بيتا فيه كلب » قال أبو رافع فأمرني ان اقتل كل كلب بالمدينة حتى انتهيت الى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت الى رسول الله ﷺ فأخبرته فأمرني فرجعت الى الكلب فقتلته، فجاؤا فقالوا يارسول الله مايحل لنا من هذه الامة التي أمرت بقتلها قال فسكت رسول الله ﷺ قال فأنزل الله عز وجل (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين) ورواه الحاكم في مستدركه من طريق محمد بن اسحاق عن أبان بن صالح به وقال صحيح ولم يخرجاه وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة ان رسول الله ﷺ بعث أبا رافع في قتل الكلاب حتى بلغ العوالي فجاء عاصم بن عدي وسعد بن خيثمة وعويم ابن ساعدة فقالوا ماذا أحل لنا يارسول الله فنزلت الآية ورواه الحاكم من طريق سماك عن عكرمة وكذا قال محمد بن كعب القرظي في سبب نزول هذه الآية انه في قتل الكلاب

وقوله تعالى (مكلبين) يحتمل ان يكون حالا من الضمير في علمتم فيكون حالا من الفاعل ويحتمل ان يكون حالا من المفعول وهو الجوارح أي وما علمتم من الجوارح في حال كونهن مكلبات للصيد وذلك ان تقتنصه بمخالبها أو أظفارها فيستدل بذلك والحالة هذه على ان الجارح اذا قتل الصيد بصدمته ولا بمخلابه وظفره انه لايحل كما هو أحد قولي الشافعي[1] وطائفة من العلماء ولهذا قال (تعلمونهن مما علمكم الله) وهو انه اذا أرسله استرسل واذا أشلاه استشلى واذا أخذ الصيد أمسكه على صاحبه حتى يجيء اليه ولا يمسكه لنفسه ولهذا قال تعالى (فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) فمتى كان الجارح معلما وأمسك على صاحبه وكان قد ذكر اسم الله عليه وقت ارساله حل الصيد وان قتله بالاجماع . وقد وردت السنة بمثل مادلت عليه هذه الآية الكريمة كما ثبت في الصحيحين عن عدي بن حاتم قال قلت

(١) اقتصر عليه لموافقته لما اطال فى الاستدلال عليه وفقدنا كل دليل له قال النبي (ص) لعدى بن حاتم (فان اخذ الكلب ذكاة) قال الحافظ فى شرحه من الفتح : فلو قتل الكلب بظفره او نابة حل وكذا بثقله على احد القولين للشافعي وهو الراجح عندهم

قال السدي: أي كما علمكم الله من بمعنى الكاف ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ﴾ أراد ان الجارحة المعلمة اذا خرجت بارسال صاحبها فأخذت الصيد وقتلته كان حلالا ، والتعليم هو أن يوجد فيها ثلاثة أشياء اذا أشليت استشلت ، واذا زجرت انزجرت ، واذا أخذت الصيد أمسكت ولم تأكل ، واذا وجد ذلك منه مراراً وأقله ثلاث مرات كانت معلمة يحل قتيلها اذا خرجت بارسال صاحبها ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل انا موسى بن اسماعيل أنا ثابت بن زيد عن عاصم عن الشعبي عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ قال « اذا ارسلت كلبك المعلم وسميت فأمسك وقتل فكل ، وان أكل فلا تأكل فانما أمسك على نفسه ، واذا خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فأمسكن وقتلن فلا تأكل فانك لاتدري أيها قتل ،واذا رميت

يارسول الله اني أرسل الكلاب المعلمة واذكر اسم الله فقال « اذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل ماأمسك عليك» قلت وان قتلن؟ قال «وان قتلن مالم يشركها كلب ليس منها فانك انما سميت على كلبك ولم تسم على غيره فأصيب » قلت له فاني أرمي بالمعراض الصيد؟ فقال « اذا رميت بالمعراض فخزق فكله . وإن أصابه بعرض فانه وقيذ فلا تأكله » وفي لفظ لهما «اذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله فان أمسك عليك فأدركته حيا فاذبحه وان أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله فان أخذ الكلب ذكاته» وفي رواية لهما « فأن أكل فلا تأكل فاني أخاف أن يكون أمسك على نفسه » فهذا دليل للجمهور وهو الصحيح من مذهب الشافعي وهو أنه اذا أكل الكلب من الصيد يحرم مطلقا ولم يستفصلوا كما ورد بذلك الحديث، وحكي عن طائفة من السلف انهم قالوا لايحرم مطلقا

﴿ ذكر الآثار بذلك ﴾

قال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا وكيع عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال قال سلمان الفارسي: كل وان أكل ثلثيه يعني الصيد اذا أكل منه الكلب وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة وعمر بن عامر عن قتادة وكذا رواه محمد بن زيد عن سعيد بن المسيب عن سلمان ورواه ابن جرير أيضا عن مجاهد بن موسى عن يزيد عن حميد عن بكر بن عبدالله المزني والقاسم ان سلمان قال: اذا أكل الكلب فكل وان اكل ثلثيه، وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب اخبرني مخرمة ابن بكير عن أبيه عن حميد بن مالك بن خيثم الدؤلي انه سأل سعد بن أبي وقاص عن الصيد يأكل منه الكلب فقال: كل وان لم يبق منه الا حذية[1] يعني بضعة ورواه شعبة عن عبد ربه بن سعيد عن بكير بن الاشج عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال: كل وان أكل ثلثيه . وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن عامر عن أبي هريرة قال: إذ أرسلت كلبك فاكل منه فأن أكل ثلثيه وبقي ثلثه فكله . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الاعلى حدثنا المعتمر قال سمعت عبدالله . وحدثنا هناد حدثنا عبدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر قال اذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل ماأمسك عليك أكل أو لم يأكل وكذا رواه عبيد الله

[1] هي تصغير حذوة وهي القطعة من اللحم والحذو القطع

الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به الا أثر سهمك فكل . وان وقع في الماء فلا تأكل » واختلفوا فيما اذا أخذت الصيد وأكلت منه شيئا فذهب أكثر أهل العلم الى تحريمه روي ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبي . وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وهو أصح قولي الشافعي لقوله ﷺ « وان أكل فلا تأكل فانما أمسك على نفسه » ورخص بعضهم في أكله ، روي ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص ، وبه قال مالك لما روي عن أبي ثعلبة الخشني قال : قال رسول الله ﷺ « اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل وان أكل منه» وأما غير المعلم من الجوارح اذا أخذ صيداً أو المعلم اذا جرح بغير ارسال صاحبه فأخذ وقتل فلا يكون حلالا الا أن يدركه صاحبه حيا فيذبحه فيكون حلالا . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي

ابن عمر وابن أبي ذئب وغير واحد عن نافع فهذه الآثار ثابتة عن سلمان وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وابن عمر وهو محكي عن علي وابن عباس واختلف فيه عن عطاء والحسن البصري وهو قول الزهري وربيعة ومالك واليه ذهب الشافعي في القديم وأومأ اليه في الجديد

وقد روي من طريق سلمان الفارسي مرفوعا فقال ابن جرير حدثنا عمران بن بكار الكلاعي حدثنا عبد العزيز بن موسى اللاجوني حدثنا محمد بن دينار وهو الطاجي عن أبي إياس معاوية بن قرة عن سعيد بن المسيب عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ قال « إذا أرسل الرجل كلبه على الصيد فأدركه وقد أكل منه فليأكل ما بقي » ثم قال ابن جرير وفي اسناد هذا الحديث نظر، وسعيد غير معلوم له سماع من سلمان والثقات يروونه من كلام سلمان غير مرفوع وهذا الذي قاله ابن جرير صحيح لكن قد روي هذا المعنى مرفوعا من وجوه أخر فقال أبو داود حدثنا محمد بن منهال الضرير حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حبيب المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن اعرابيا يقال له أبو ثعلبة قال يارسول الله إن لي كلابا مكلبة فأفتني في صيدها فقال النبي ﷺ « إن كان لك كلاب مكلبة فكل مما أمسكن عليك » فقال ذكيا وغير ذكي وان أكل منه؟ قال « نعم وان أكل منه » فقال يارسول الله أفتني في قوسي قال « كل ما ردت عليك قوسك » قال ذكيا وغير ذكي؟ قال « وإن تغيب عنك مالم يصل[1] أو تجد فيه أثر غير سهمك » قال أفتني في آنية المجوس اذا اضطررنا اليها قال « اغسلها وكل فيها » هكذا رواه أبو داود وقد أخرجه النسائي وكذا رواه أبو داود من طريق يونس بن سيف عن أبي ادريس الخولاني عن أبي ثعلبة قال قال رسول الله ﷺ « إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان أكل منه وكل ما ردت عليك يدك » وهذان اسنادان جيدان ، وقد روي الثوري عن سماك بن حرب عن عدي قال قال رسول الله ﷺ « ما كان من كلب ضار أمسك عليك فكل » قلت وان أكل قال « نعم » وروي عبد الملك بن حبيب حدثنا أسد بن موسى عن ابن أبي زائدة عن الشعبي عن عدي بمثله

فهذه آثار داله على أنه يغتفر وان أكل منه الكلب وقد احتج بها من لم يحرم الصيد بأكل الكلب وما أشبهه كما تقدم عمن حكيناه عنهم وقد توسط آخرون فقالوا ان اكل عقب ما أمسكه فانه يحرم لحديث عدي بن حاتم ، وللعلة التي أشار اليها النبي ﷺ « فان أكل فلا تأكل فاني أخاف أن يكون أمسك على نفسه » وأما إن أمسكه ثم انتظر صاحبه فطال عليه وجاع فأكل منه لجوعه فانه لا يؤثر في التحريم وحملوا على ذلك حديث أبي ثعلبة الخشني. وهذا تفريق حسن، وجمع بين الحديثين صحيح. وقد تمنى

(١) اى يصل بكسر الصاد وتشديد اللام اى ينتن

أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبدالله بن يزيد أنا حيوة أخبرني ربيعة بن يزيد الدمشقي عن أبي ادريس عن أبي ثعلبة الخشني قال قلت يانبي الله إنا بأرض قوم أهل كتاب أفنأكل في آنيتهم؟ وبأرض صيد أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي؟ قال « أما ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وان لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها ، وما صدت

الاستاذ أبو المعالي الجويني في كتابه النهاية ان لو فصل مفصل هذا التفصيل وقد حقق الله أمنيته وقال بهذا القول والتفريق طائفة من الاصحاب منهم. وقال آخرون قولا رابعا في المسئلة وهو التفرقة بين أكل الكلب فيحرم لحديث عدي ، وبين اكل الصقور ونحوها فلا يحرم لانه لايقبل التعليم الا بالاكل .

وقال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا اسباط بن محمد حدثنا ابو اسحق الشيباني عن حماد عن ابراهيم عن ابن عباس انه قال في الطير إذا أرسلته فقتل فكل فان الكلب إذا ضربته لم يعد وإن تعليم الطير أن يرجع الى صاحبه وليس يضرب فاذا اكل من الصيد ونتف الريش فكل، وكذا قال ابراهيم النخعي والشعبي وحماد بن ابي سليمان . وقد يحتج لهؤلاء بما رواه ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد حدثنا المحاربي حدثنا مجالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال قلت يارسول إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فما يحل لنا منها ؟ قال « يحل لكم ماعلمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه » ثم قال « ماأرسلت من كلب وذكرت اسم الله عليه فكل مما أمسك عليك » قلت وإن قتل قال «وإن قتل مالم يأكل »قلت يارسول الله وإن خالطت كلابنا كلابا غيرها قال « فلا تأكل حتى تعلم أن كلبك هو الذي أمسك - قال قلت انا قوم نرمي فما يحل لنا قال - ماذكرت اسم الله عليه وخزقت فكل » فوجه الدلالة لهم أنه اشترط في الكلب أن لا يأكل ولم يشترط ذلك في البزاة فدل على التفرقة بينهما في الحكم والله أعلم

وقوله تعالى (فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) أي عند ارساله له كما قال النبي ﷺ لعدي بن حاتم « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل ما أمسك عليك » وفي حديث أبي ثعلبة المخرج في الصحيحين أيضا « إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله وإذا رميت بسهمك فاذكر اسم الله » ولهذا اشترط من اشترط من الأئمة كالامام أحمد رحمه الله في المشهور عنه التسمية عند إرسال الكلب والرمي بالسهم لهذه الآية وهذا الحديث وهذا القول هو المشهور عن الجمهور أن المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الارسال كما قال السدي وغيره وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (واذكروا اسم الله عليه) يقول إذا أرسلت جارحك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج. وقال بعض الناس المراد بهذه الآية الامر بالتسمية عند الأكل كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ علم ربيبه عمر بن أبي سلمة فقال « سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » وفي صحيح البخاري عن عائشة انهم قالوا يارسول الله إن قوما يأتوننا حديث عهدهم بكفر بلحمان لاندري أذكر اسم الله عليها أم لا ؟ فقال « سموا الله أنتم وكلوا »

بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل ، وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل ، وما صدت بكلبك غير المعلم فأدركت ذكاته فكل » ﴿ واتقوا الله ان الله سريع الحساب ﴾ ففيه بيان ان ذكر اسم الله عز وجل على الذبيحة شرط حالة مايذبح ، وفي الصيد حالة مايرسل الجارحة أو السهم . أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن علي بن محمد بن ابراهيم

﴿حديث آخر﴾ وقال الامام أحمد : حدثنا يزيد حدثنا هشام عن بديل عن عبد الله بن عبيد ابن عمير عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يأكل الطعام في ستة نفر من أصحابه فجاء أعرابي فأكله بلقمتين فقال النبي ﷺ «أما إنه لو كان ذكر اسم الله لكفاكم فاذا أكل أحدكم طعاما فليذكر اسم الله فان نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل بسم الله أوله وآخره» وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن يزيد بن هارون به وهذا منقطع بين عبدالله بن عبيد بن عمير وعائشة فانه لم يسمع منها هذا الحديث بدليل مارواه الامام أحمد : حدثنا عبد الوهاب أخبرنا هشام يعني ابن أبي عبد الله الدستوائي عن بديل عن عبد الله بن عبيد بن عمير ان امرأة منهم يقال لها أم كلثوم حدثته عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يأكل طعاما في ستة نفر من أصحابه فجاء اعرابي جائع فأكله بلقمتين فقال «اما إنه لو ذكر اسم الله لكفاكم فاذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فان نسي اسم الله في أوله فليقل باسم الله أوله وآخره» رواه أحمد أيضا وابو داود والترمذي والنسائي من غير وجه عن هشام الدستوائي به وقال الترمذي حسن صحيح .

﴿حديث آخر﴾ وقال احمد : حدثنا علي بن عبدالله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا جابر بن صبيح حدثني المثنى بن عبد الرحمن الخزاعي وصحبته الى واسط فكان يسمي فى أول طعامه وفي آخر لقمة يقول بسم الله أوله وآخره فقلت له انك تسمي في أول ما تأكل أرأيت قولك في آخر ما تأكل بسم الله أوله وآخره فقال أخبرك أن جدي أمية بن مخشي وكان من أصحاب النبي ﷺ سمعته يقول إن رجلا كان يأكل والنبي ينظر فلم يسم حتى كان في آخر طعامه لقمة قال بسم الله أوله وآخره فقال النبي ﷺ «والله مازال الشيطان يأكل معه حتى سمى فلم يبق شيء في بطنه حتى قاءه» وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث جابر بن صبح الراسبي أبي بشر البصري وثقه ابن معين والنسائي وقال أبو الفتح الازدي لاتقوم به حجة .

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد : حدثنا أبو معاويه حدثنا الاعمش عن خيثمة عن أبي حذيفة ـ قال أبو عبدالرحمن عبدالله بن الامام أحمد واسمه سلمة بن الهيثم بن صهيب ـ من أصحاب ابن مسعود عن حذيفة قال كنا إذا حضرنا مع النبي على طعام لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله فيضع يده وإنا حضرنا معه طعاما ما فجاءت جارية كأنما تدفع فذهبت تضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها وجاء إعرابي كأنما يدفع فذهب يضع يده في الطعام فأخذ رسول الله بيده فقال رسول الله ﷺ «إن الشيطان يستحل الطعام إذا لم يذكر اسم الله عليه وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها وجاء بهذا الاعرابي ليستحل به فأخذت بيده والذي نفسي بيده ان يده في يدي

ابن الحسن بن علويه الجوهري قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد بن الأثرم المقري بالبصرة أنا عمر بن شيبة أنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس قال ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين

مع يدهما » يعني الشيطان وكذا رواه مسلم وأبوداود والنسائي من حديث الاعمش به .

﴿ حديث آخر ﴾ روى مسلم وأهل السنن الا الترمذى من طريق، ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبي قال« إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت، فاذا لم يذكر اسم الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء» لفظ أبي داود

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم عن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده أن رجلا قال للنبي ﷺ انا نأكل وما نشبع قال «فلعلكم تأكلون متفرقين اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه» ورواه أبوداود وابن ماجه من طريق الوليد بن مسلم

اليوم أحل لكم الطيبت وطعام الذين أوتوا الكتب حل لكم وطعامكم حل لهم، والمحصنت من المؤمنت والمحصنت من الذين أوتوا الكتب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان . ومن يكفر بالايمن فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخسرين(٥)

لما ذكر تعالى ماحرمه على عباده المؤمنين من الخبائث وما أحله لهم من الطيبات قال بعده (اليوم أحل لكم الطيبات) ثم ذكر حكم ذبائح أهل الكتابين من اليهود والنصارى فقال(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، قال ابن عباس وأبو أمامة ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وعطاء والحسن ومكحول وابراهيم النخعي والسدي ومقاتل بن حيان يعنى ذبائحهم وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء ان ذبائحهم حلال للمسلمين لانهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله ولا يذكرون على ذبائحهم الا اسم الله[1] وان اعتقدوا فيه تعالى ماهو منزه عنه تعالى وتقدس. وقد ثبت في الصحيح عن عبدالله بن مغفل قال أدلي بجراب من شحم يوم خيبر فحضنته وقلت لاأعطي اليوم من هذا أحدا والتفت فاذا النبي ﷺ يتبسم فاستدل به الفقهاء على انه يجوز تناول مايحتاج اليه من الاطعمة ونحوها من الغنيمة قبل القسمة وهذا

(١) هذا التعليل يصح في اليهود دون النصارى

ذبحهما بيده وسمى وكبر قال رأيته واضعاً قدمه على صفاحهما ويذبحهما بيده ويقول « بسم الله والله أكبر »

قوله عز وجل ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات ﴾ يعني الذبائح على اسم الله عز وجل ﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ﴾ يريد ذبائح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الامم قبل مبعث محمد ﷺ حلال لكم ، فأما من دخل في دينهم بعد مبعث محمد ﷺ فلا تحل ذبيحته ، ولو ذبح يهودي أو نصراني على اسم غير الله كالنصراني يذبح باسم المسيح فاختلفوا فيه قال ابن عمر لا يحل وهو قول ربيعة وذهب أكثر أهل العلم الى أنه يحل ، وهو قول الشعبي وعطاء والزهري ومكحول

ظاهر واستدل به الفقهاء الحنفية والشافعية والحنابلة على أصحاب مالك فى منعهم أكل مايعتقد اليهود تحريمه من ذبائحهم كالشحوم ونحوها مما حرم عليهم فالمالكية لايجوزون للمسلمين أكله لقوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) قالوا وهذا ليس من طعامهم واستدل عليهم الجمهور بهذا الحديث وفي ذلك نظر لانه قضية عين ويحتمل ان يكون شحما يعتقدون حله كشحم الظهر والحوايا ونحوهما والله أعلم وأجود منه في الدلالة ماثبت في الصحيح ان أهل خيبر أهدوا لرسول الله ﷺ شاة مصلية وقد سموا ذراعها وكان يعجبه الذراع فتناوله فنهش منه نهشة فأخبره الذراع انه مسموم فلفظه وأثر ذلك في ثنايا رسول الله ﷺ وفي أبهره وأكل معه منها بشر بن البراء بن معرور فمات فقتل اليهودية التي سمتها وكان اسمها زينب فقتلت بشر بن البراء . ووجه الدلالة منه انه عزم على أكلها ومن معه ولم يسألهم هل نزعوا منها مايعتقدون تحريمه من شحمها أم لا ، وفي الحديث الآخر ان رسول الله ﷺ أضافه يهودي على خبز شعير وإهالة سنخة يعني ودكا زنخا وقال ابن أبي حاتم قرىء على العباس بن الوليد بن مزيد أخبرنا محمد بن شعيب أخبرني النعمان بن المنذر عن مكحول قال أنزل الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ثم نسخه الرب عز وجل ورحم المسلمين فقال (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتو الكتاب) فنسخها بذلك وأحل طعام أهل الكتاب وفي هذا الذي قاله مكحول رحمه الله نظر فانه لايلزم من أباحته طعام أهل الكتاب اباحة أكل مالم يذكر اسم الله عليه لانهم يذكرون اسم الله على ذبائحهم وقرابينهم وهم متعبدون بذلك ولهذا لم يبح ذبائح من عداهم من أهل الشرك ، ومن شابههم لانهم لايذكرون اسم الله على ذبائحهم بل ولا يتوقفون فيما يأكلونه من اللحم على ذكاة بل يأكلون الميتة بخلاف أهل الكتابين ومن شاكلهم من السامرة والصابئة ومن يتمسك بدين ابراهيم وشيث وغيرهما من الانبياء على أحد قولي العلماء . ونصارى العرب كبني تغلب وتنوخ وبهرا وجذام ولخم وعاملة ومن أشبههم لاتؤكل ذبائحهم عند الجمهور

وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن أيوب عن محمد بن عبيدة قال قال علي لاتأكلوا ذبائح بني تغلب لأنهم انما يتمسكون من النصرانية بشرب الخمر ، وكذا قال غير واحد من الخلف والسلف. وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب والحسن انهما كانا لايريان بأسا بذبيحة نصارى بني تغلب. وأما المجوس فانهم وان اخذت منهم الجزية تبعا والحاقا لاهل الكتاب

سئل الشعبي وعطاء عن النصراني يذبح باسم المسيح قالا : يحل فان الله تعالى قد أحل ذبائحهم وهو يعلم مايقولون ، وقال الحسن اذا ذبح اليهودي أو النصراني فذكر اسم غير الله وأنت تسمع فلا تأكله واذا غاب عنك فكل فقد أحل الله لك

قوله عز وجل ﴿ وطعامكم حل لهم ﴾ فان قيل كيف شرع لهم حل طعامنا وهم كفار ليسوا من أهل الشرع . قال الزجاج : معناه حلال لكم أن تطعموهم فيكون خطاب الحل مع المسلمين وقيل لأنه ذكر عقيبه حكم النساء ولم يذكر حل المسلمات لهم فكأنه قال : حلال لكم أن تطعموهم حرام

فانهم لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم خلافا لابي ثور ابراهيم بن خالد الكلبي أحد الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد بن حنبل. ولما قال ذلك واشتهر عنه أنكر عليه الفقهاء ذلك حتى قال عنه الامام أحمد أبو ثور كاسمه يعني في هذه المسئلة وكانه تمسك بعموم حديث روي مرسلا عن النبي ﷺ انه قال « سنوابهم سنة أهل الكتاب » ولكن لم يثبت بهذا اللفظ وانما الذي في صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر ولو سلم صحة هذا الحديث فعمومه مخصوص بمفهوم هذه الآية (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) فدل بمفهومه مفهوم المخالفة على أن طعام من عداهم من أهل الاديان لا يحل[1] وقوله تعالى (وطعامكم حل لهم) أي ويحل لكم أن تطعموهم من ذبائحكم وليس هذا اخبارا عن الحكم عندهم اللهم الا ان يكون خبرا عما أمروا به من الاكل من كل طعام ذكر اسم الله عليه سواء كان من أهل ملتهم أو غيرها والاول أظهر في المعنى أي ولكم ان تطعموهم من ذبائحكم كما أكلتم من ذبائحهم وهذا من باب المكافأة والمقابلة والمجازاة كما ألبس النبي ﷺ ثوبه لعبد الله ابن أبي بن سلول حين مات ودفنه فيه قالوا لانه كان قد كسا العباس حين قدم المدينة ثوبه فجازاه النبي ﷺ ذلك بذلك فأما الحديث الذي فيه « لا تصحب[2] الا مؤمنا ولا يأكل طعامك » الا تقي فمحمول على الندب والاستحباب والله أعلم

وقوله (والمحصنات من المؤمنات) أي وأحل لكم نكاح الحرائر العفائف من النساء المؤمنات وذكر هذا توطئة لما بعده وهو قوله تعالى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) فقيل اراد بالمحصنات الحرائر دون الاماء حكاه ابن جرير عن مجاهد وانما قال مجاهد المحصنات الحرائر فيحتمل ان يكون أراد ماحكاه عنه ويحتمل ان يكون أراد بالحرة العفيفة كما قال في الرواية الاخرى عنه وهو قول الجمهور ههنا وهو الاشبه لئلا يجتمع فيها ان تكون ذمية وهي مع ذلك غير عفيفه فيفسد حالها بالكلية ويتحصل زوجها على ما قيل في المثل « حشفا وسوء كيلة » والظاهر من الآية ان المراد بالمحصنات العفيفات عن الزنا كما قال تعالى في الآية الاخرى (محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان) ثم اختلف المفسرون والعلماء في قوله تعالى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) هل يعم كل كتابية عفيفة سواء كانت حرة أو أمة حكاه ابن جرير عن

عليكم أن تزوجوهم . قوله عز وجل ﴿ والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ هذا راجع إلى الاول منقطع عن قوله (وطعامكم حل لهم) واختلفوا في معنى المحصنات فذهب أكثر العلماء إلى أن المراد منهن الحرائر وأجازوا نكاح كل حرة مؤمنة كانت أو كتابية فاجرة كانت أو عفيفة وهو قول مجاهد . وقال هؤلاء : لا يجوز للمسلم نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى (فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) جوز نكاح الامة بشرط أن تكون مؤمنة وجوز أكثرهم نكاح الامة الكتابية الحربية . وقال ابن عباس : لا يجوز وقرأ (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله — إلى قوله —

[1] فيه أن هذا مفهوم تعب وهو ليس بحجة

[2] في الجامع الصغير وغيره (لا تصاحب) الخ

طائفة من السلف ممن فسر المحصنة بالعفيفة وقيل المراد بأهل الكتاب ههنا الاسرائيليات وهو مذهب الشافعي وقيل المراد بذلك الذميات دون الحربيات لقوله (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الآية وقد كان عبد الله بن عمر لايرى التزويج بالنصرانية ويقول لا أعلم شركا أعظم من أن تقول ان ربها عيسى وقد قال الله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن حاتم بن سليمان المؤدب حدثنا القاسم بن مالك يعني المزني حدثنا اسمعيل ابن سميع عن أبي مالك الغفاري عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) قال فحجز الناس عنهن حتى نزلت الآية التى بعدها (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) فنكح الناس نساء أهل الكتاب وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى ولم يروا بذلك بأسا أخذا بهذه الآية الكريمة (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) فجعلوا هذه مخصصة للتي في سورة البقرة (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) ان قيل بدخول الكتابيات في عمومها والا فلا معارضة بينها وبينها لان أهل الكتاب قد انفصلوا في ذكرهم عن المشركين في غير موضع كقوله تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتي تأتيهم البينة) وكقوله (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا) الآية وقوله (اذا آتيتموهن أجورهن) أي مهورهن أى كما هن محصنات عفائف فابذلوا لهن المهور عن طيب نفس وقد أفتي جابر بن عبدالله وعامر الشعبي وابراهيم النخعي والحسن البصري بأن الرجل اذا نكح أمرأة فزنت قبل دخوله بها انه يفرق بينهما ، وترد عليه مابذل لها من المهر رواه ابن جرير عنهم

وقوله (محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان) فكما شرط الاحصان في النساء وهي العفة عن الزنا كذلك شرطها في الرجال وهو ان يكون الرجل أيضا محصنا عفيفا ولهذا قال غير مسافحين وهم الزناة الذين لايرتدعون عن معصية ولا يردون أنفسهم عمن جاءهم ولا متخذي اخدان أى ذوي العشيقات الذين لايفعلون الا معهن كما تقدم في سورة النساء سواء ، ولهذا ذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله الى انه لايصح نكاح المرأة

حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون) فمن أعطى الجزية حل لنا نساؤه ، ومن لم يعطها فلا يحل لنا نساؤه . وذهب قوم إلى أن المراد من المحصنات في الآية العفائف من الفريقين حرائر كن أو إماء وأجازوا نكاح الامة الكتابية وحرموا البغايا من المؤمنات والكتابيات وهو قول الحسن . وقال الشعبي : احصان الكتابية أن تستعف من الزنا وتغتسل من الجنابة ﴿ اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ﴾ غير معالنين بالزنا ﴿ ولا متخذي أخدان ﴾ أي غير مسرين تسروهن بالزنا . قال الزجاج : حرم الله الجماع على جهة السفاح وعلى جهة اتخاذ الصديقة وأحله على جهة الاحصان وهو التزوج ﴿ ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ قال مقاتل بن حيان يقول : ليس احصان المسلمين اياهن بالذي يخرجهن من الكفر أو يغني عنهن شيئاً وهي للناس عامة

البغي حتى تتوب وما دامت كذلك لا يصح تزويجها من رجل عفيف وكذلك لا يصح عنده عقد الرجل الفاجر على عفيفة حتى يتوب ويقلع عما هو فيه من الزنا لهذه الآية وللحديث «لا ينكح الزاني المجلود الا مثله» وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال عن قتادة عن الحسن قال، قال عمر بن الخطاب ـ لقد هممت ان لا أدع أحدا أصاب فاحشة في الاسلام ان يتزوج محصنة فقال له ابي بن كعب يا أمير المؤمنين الشرك أعظم من ذلك وقد يقبل منه اذا تاب وسيأتي الكلام على هذه المسئلة مستقصى عند قوله (الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) ولهذا قال تعالى ههنا (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين)

يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا ، وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه . ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون (٦)

قال كثيرون من السلف في قوله (إذا قمتم الى الصلاة) يعني وأنتم محدثون وقال آخرون اذا قمتم من النوم الى الصلاة وكلاهما قريب . وقال آخرون بل المعنى أعم من ذلك فالآية آمرة بالوضوء عند القيام الى الصلاة ولكن هو في حق المحدث واجب وفي حق المتطهر ندب وقد قيل إن الامر بالوضوء لكل صلاة كان واجباً في ابتداء الاسلام ثم نسخ

وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان ابن بريدة عن أبيه قال كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد فقال له عمر يارسول الله انك فعلت شيئا لم تكن تفعله قال «اني عمدا فعلته ياعمر» وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد ووقع في سنن

(ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين) قال ابن عباس ومجاهد في معنى قوله تعالى (ومن يكفر بالايمان) أي بالله الذي يجب الايمان به . وقال الكلبي بالايمان أي بكلمة التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله . وقال مقاتل : بما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن وقيل (ومن يكفر بالايمان) أي يستحل الحرام ويحرم الحلال (فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين) قال ابن عباس خسر الثواب

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم إلى الصلاة ﴾ أي اذا أردتم القيام إلى الصلاة كقوله

ابن ماجه عن سفيان عن محارب بن دثار بدل علقمة بن مرثد كلاهما عن سليمان بن بريدة به وقال الترمذي حسن صحيح .

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عباد بن موسى أخبرنا زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي حدثنا الفضل بن المبشر قال رأيت جابر بن عبدالله يصلي الصلوات بوضوء واحد فاذا بال أو أحدث توضأ ومسح بفضل طهوره الخفين فقلت أباعبدالله أشيء تصنعه برأيك؟ قال بل رأيت النبي ﷺ يصنعه فأنا أصنعه كما رأيت رسول الله يصنعه وكذا رواه ابن ماجه عن اسمعيل بن توبة عن زياد البكائي به

وقال أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحق حدثني محمد بن يحيى بن حبان الانصاري عن عبيد الله بن عبدالله بن عمر قال أرأيت وضوء عبد الله بن عمر لكل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر عمن هو؟ قال حدثته أسماء بنت زيد بن الخطاب أن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل حدثها أن رسول الله ﷺ كان أمر بالوضوء لكل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر فلما شق ذلك عليه[1] أمر بالسواك عند كل صلاة ووضع عنه الوضوء الا من حدث فكان عبد الله يرى أن به قوة على ذلك كان يفعله حتى مات وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن عوف الحمصي عن أحمد بن خالد الذهبي عن محمد بن اسحق عن محمد بن يحيى بن حبان عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ثم قال أبو داود ورواه ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحق فقال عبيد الله بن عمر يعني كما تقدم في رواية الامام أحمد وأياماكان فهو اسناد صحيح وقد صرح ابن اسحق فيه بالتحديث والسماع من محمد بن يحيى بن حبان فزال محذور التدليس لكن قال الحافظ ابن عساكر رواه سلمة ابن الفضل وعلي بن مجاهد عن ابن اسحق عن محمد بن طلحة ابن يزيد بن ركانة عن محمد بن يحيى بن حبان به والله أعلم وفي فعل ابن عمر هذا ومداومته على اسباغ الوضوء لكل صلاة دلالة على استحباب ذلك كما هو مذهب الجمهور.

وقال ابن جرير حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة حدثنا أزهر عن ابن عون عن ابن سيرين أن الخلفاء كانوا يتوضؤن لكل صلاة. وقال ابن جرير حدثنا محمد بن المثني حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت مسعود بن علي الشيباني سمعت عكرمة يقول كان علي رضي الله عنه يتوضأ عند كل صلاة ويقرأ هذه الآية (ياأيها الذين آمنوا إذاقمتم الى الصلاة) الآية وحدثنا ابن المثنى حدثني وهب ابن جرير اخبرنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة قال رأيت عليا صلى الظهر ثم

[1] وفي الازهرية على رسول الله (ص)

تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) أي اذا أردت القراءة ، وظاهر الآية يقتضي وجوب الوضوء عند كل مرة يريد القيام إلى الصلاة لكن علمنا ببيان السنة وفعل النبي ﷺ أن المراد من الآية (إذا قمتم إلى الصلاة) وأنتم على غير طهر قال النبي ﷺ « لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ » وقد جمع النبي ﷺ يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد . أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد الحنفي أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهري أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حكيم أنا أبو الموجه محمد بن عمرو

قعد للناس في الرحبة ثم أتي بماء فغسل وجهه ويديه ثم مسح برأسه ورجليه وقال هذا وضوء من لم يحدث وحدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم ان عليا إ كتال من حب فتوضأ وضوءاً فيه تجوز فقال هذا وضوء من لم يحدث . وهذه طرق جيدة عن علي يقوي بعضها بعضا

وقال ابن جرير أيضا حدثنا ابن يسار حدثنا بن أبي عدي عن حميد عن أنس قال توضأ عمر ابن الخطاب وضوءاً فيه تجوز خفيفا فقال هذا وضوء من لم يحدث وهذا اسناد صحيح . وقال محمد بن سيرين كان الخلفاء يتوضؤن لكل صلاة وأما مارواه أبو داود الطيالسي عن ابي هلال عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه قال : الوضوء من غير حدث اعتداء فهو غريب عن سعيد بن المسيب ثم هو محمول على أن من اعتقد وجوبه فهو معتد وأما مشروعيته استحبابا فقد دلت السنة على ذلك . وقال الامام أحمد حدثنا عبدالرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن عمرو بن عامر الانصاري سمعت أنس بن مالك يقول كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة قال قلت فأنتم كيف كنتم تصنعون ؟ قال كنا نصلي الصلوات كلها بوضوء واحد مالم نحدث . وقد رواه البخاري وأهل السنن من غير وجه عن عمرو بن عامر به

وقال ابن جرير حدثنا أبو سعيد البغدادي حدثنا اسحق بن منصور عن هريم عن عبد الرحمن ابن زياد هو الافريقي عن غطيف عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « من توضأ على طهر كتب له عشر حسنات » ورواه أيضا من حديث عيسى بن يونس عن الافريقي عن أبي غطيف عن ابن عمر فذكره وفيه قصة وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث الافريقي به نحوه وقال الترمذي وهو اسناد ضعيف

وقال ابن جرير وقد قال قوم إن هذه الآية نزلت إعلاما من الله أن الوضوء لا يجب الا عند القيام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال وذلك لانه عليه السلام كان إذا أحدث امتنع من الاعمال كلها حتى يتوضأ . حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن جابر عن عبدالله بن أبي بكر ابن عمرو بن حزم عن عبدالله بن علقمة بن وقاص عن أبيه قال، كان رسول الله ﷺ إذ أراق البول لانكلمه ولا يكلمنا ونسلم عليه فلا يرد علينا حتى نزلت آية الرخصة « ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة » الآية ورواه ابن أبي حاتم عن محمد بن مسلم عن أبي كريب به نحوه وهو حديث غريب جداً وجابر هذا هو ابن زيد الجعفي ضعفوه

وقال أبوداود حدثنا مسدد حدثنا اسماعيل حدثنا أيوب عن عبدالله بن أبي مليكة عن عبدالله

ابن الموجه أنا عبدان أنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سلمان بن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ صلى يوم فتح مكة الصلوات بوضوء واحد ومسح على خفيه . وقال زيد بن أسلم : معنى الآية (اذا قمتم إلى الصلاة) من النوم . وقال بعضهم : هو أمر على طريق الندب ندب من قام إلى الصلاة أن يجدد لها طهارة وإن كان على طهر ، روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات » وروى عبدالله بن حنظلة بن عامر أن رسول الله ﷺ أمر بالوضوء

ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج من الخلاء فقدم اليه طعام فقالوا ألا نأتيك بوضوء فقال (انما أمرت بالوضوء إذا قمت الى الصلاة) وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع والنسائي عن زياد بن أيوب عن اسماعيل وهو بن علية به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن الحويرث عن ابن عباس قال كنا عند النبي ﷺ فأتى الخلاء ثم إنه رجع فأتي بطعام فقيل يارسول الله ألا تتوضأ فقال (لم أصل فأتوضأ)

وقوله (فاغسلوا وجوهكم) قد استدل طائفة من العلماء بقوله تعالى (إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) على وجوب النية في الوضوء لأن تقدير الكلام (إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) لها كما تقول العرب اذا رأيت الامير فقم أي له وقد ثبت في الصحيحين حديث الاعمال بالنيات (وإنما لكل أمرىء ما نوى) ويستحب قبل غسل الوجه أن يذكر اسم الله تعالى على وضوئه لما ورد في الحديث من طرق جيدة عن جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ أنه قال « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » ويستحب أن يغسل كفيه قبل إدخالهما في الاناء ويتأكد ذلك عند القيام من النوم لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (اذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده في الأناء قبل أن يغسلها ثلاثاً فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده) وحد الوجه عند الفقهاء ما بين منابت شعر الرأس ولا اعتبار بالصلع ولا بالغمم الى منتهى اللحيين والذقن طولا ، ومن الأذن الى الاذن عرضاً ، وفي النزعتين والتحذيف خلاف هل هما من الرأس أو الوجه ، وفيما استرسل من اللحية عن محل الفرض قولان (أحدهما) أنه يجب افاضة الماء عليه لأنه تقع به المواجهة . وروي في حديث أن النبي ﷺ رأى رجلا مغطياً لحيته فقال اكشفها فإن اللحية من الوجه . وقال مجاهد هي من الوجه ألا تسمع الى قول العرب في الغلام إذا نبتت لحيته طلع وجهه ، ويستحب للمتوضيء أن يخلل لحيته إذا كانت كثيفة .

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرازق حدثنا اسرائيل عن عامر بن حمزة عن شقيق قال رأيت عثمان توضأ فذكر الحديث قال وخلل اللحية ثلاثاً حين غسل وجهه ثم قال رأيت رسول الله ﷺ فعل الذي رأيتموني فعلت رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الرزاق وقال الترمذي حسن صحيح وحسنه البخاري

وقال أبو داود حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا أبو المليح حدثنا الوليد بن زوران عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أخذ كفاً من ماء فادخله تحت حنكه يخلل به لحيته

عند كل صلاة طاهراً أو غير طاهر ، فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك لكل صلاة . وقال بعضهم : هذا اعلام من الله سبحانه وتعالى لرسول الله ﷺ أن لا وضوء عليه إلا اذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الاعمال فأذن له أن يفعل بعد الحدث ما بدا له من الافعال غير الصلاة . أخبرنا أبو القاسم الحنفي أنا أبو الحارث الطاهري أنا الحسن بن محمد بن حكيم أنا أبو الموجه أنا صدقة أنا ابن عيينة عن

وقال« هكذا أمرني به ربي عز وجل» تفرد به أبوداود وقد روي هذا الوجه من غير غير وجه عن أنس قال البيهقي وروينا في تخليل اللحية عن عمار وعائشة وأم سلمة عن النبي ﷺ ثم عن علي وغيره وروينا في الرخصة في تركه عن ابن عمر والحسن بن علي ثم عن النخعي وجماعة من التابعين وقد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه في الصحاح وغيرها أنه كان إذا توضأ تمضمض واستنشق فاختلف الائمة في ذلك هل هما واجبان في الوضوء والغسل كما هو مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله أو مستحبان فيهما كما هو مذهب الشافعي ومالك لما ثبت في الحديث الذى رواه اهل السنن وصححه ابن خزيمة عن رفاعة بن رافع الزرقي ان النبي ﷺ قال المسيء صلاته « توضأ كما أمرك الله » أو يجبان في الغسل دون الوضوء كما هو مذهب ابي حنيفة او يجب الاستنشاق دون المضمضة كما هو رواية عن الامام احمد لما ثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال« من توضأ فليستنشق » وفي رواية «إذا توضأ احدكم فليجعل في منخريه من الماء ثم لينتثر » والانتثار هو المبالغة في الاستنشاق

وقال الامام أحمد حدثنا أبو سلمة الخزاعي حدثنا سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس انه توضأ فغسل وجهه أخذ غرفة من ماء فتمضمض بها واستنثر ثم أخذ غرفة فجعل بها هكذا يعني أضافها إلى يده الاخرى فغسل بها وجهه ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليمنى ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسري ثم مسح رأسه ثم أخذ غرفة من ماء ثم رش على رجله اليمني حتى غسلها ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها رجله اليسري ثم قال هكذا رأيت رسول الله ﷺ يعنى يتوضأ . ورواه البخاري عن محمد بن عبد الرحيم عن أبي سلمة منصور بن سلمة الخزاعي به وقوله (وايديكم الى المرافق) أى مع المرافق كما قال تعالى (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا) وقد روى الحافظ الدارقطني وأبو بكر البيهقي من طريق القاسم بن محمد عبد الله بن محمد بن عقيل عن جده عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله ﷺ اذا توضأ أدار الماء على مرفقيه ولكن القاسم هذا متروك الحديث وجده ضعيف والله أعلم

ويستحب للمتوضيء ان يشرع في العضد فيغسله مع ذراعيه لما روى البخارى ومسلم من حديث نعيم المجمر عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ان أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل » وفي صحيح مسلم عن قتادة عن

عمرو بن دينار سمع سعيد بن الحويرث سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول : كنا عند النبي ﷺ فرجع من الغائط فأتي بطعام فقيل له الا تتوضأ فقال « لم اصل فأتوضأ » قوله عز وجل ﴿ فاغسلوا وجوهكم ﴾ وحد الوجه من منابت شعر الرأس إلى منتهى الذقن طولا وما بين الاذنين عرضا يجب غسل جميعه في الوضوء ، ويجب ايضاً إيصال الماء إلى ماتحت الحاجبين وأهداب العينين والشارب والعذار والعنفقة وإن كانت كثيفة . وأما العارض واللحية فان كانت كثيفة لاترى البشرة من تحتها

خلف بن خليفة عن أبي مالك الاشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة قال سمعت خليلي ﷺ يقول « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء »

وقوله تعالى (وامسحو برؤسكم) اختلفوا في هذه الباء هل هي للالصاق وهو الاظهر أو للتبعيض وفيه نظر على قولين ومن الاصوليين من قال هذا مجمل فليرجع في بيانه الى السنة وقد ثبت في الصحيحين من طريق مالك عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه أن رجلا قال لعبد الله بن زيد بن عاصم وهو جد عمرو بن يحيى وكان من أصحاب النبي ﷺ هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ ؟ فقال عبد الله بن زيد نعم فدعا بوضوء فأفرغ على يديه فغسل يديه مرتين مرتين ثم مضمض واستنشق ثلاثا وغسل وجهه ثلاثا ثم غسل يديه مرتين الى المرفقين ثم مسح رأسه بيديه وأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذى بدأ منه ثم غسل رجليه . وفي حديث عبد خير عن علي في صفة وضوء رسول الله ﷺ نحو هذا وروى أبو داود عن معاوية والمقداد بن معد يكرب في صفة وضوء رسول الله ﷺ مثله ففي هذه الاحاديث دلالة لمن ذهب الى وجوب تكميل مسح جميع الرأس كما هو مذهب الامام مالك واحمد ابن حنبل لاسيما على قول من زعم انها خرجت مخرج البيان لما اجمل في القرآن . وقد ذهب الحنفية الى وجوب مسح ربع الرأس وهو مقدار الناصية وذهب اصحابنا الى انه انما يجب مايطلق عليه اسم مسح ولا يتقدر ذلك بحد بل لو مسح بعض شعرة من راسه أجزأه[1] واحتج الفريقان بحديث المغيرة بن شعبة قال تخلف النبي ﷺ فتخلفت معه فلما قضى حاجته قال هل معك ماء فأتيته بمطهرة فغسل كفيه ووجهه ثم ذهب يحسر عن ذراعيه فضاق كم الجبة فأخرج يديه من تحت الجبة وألقى الجبة على منكبيه فغسل ذراعيه ومسح بناصيته ، وعلى العمامة وعلى خفيه . وذكر باقي الحديث وهو في صحيح مسلم وغيره فقال لهم أصحاب الامام احمد انما اقتصر على مسح الناصية لانه كمل مسح بقية الرأس على العمامة ونحن نقول بذلك انه يقع عن الموقع كما وردت بذلك أحاديث كثيرة وانه كان يمسح على العمامة وعلى الخفين فهذا اولى وليس لكم فيه دلالة على جواز الاقتصار على مسح الناصية او بعض الرأس من غير تكميل على العمامة والله أعلم. ثم اختلفوا في أنه هل يستحب تكرار مسح الرأس ثلاثا كما هو مذهب أحمد بن حنبل ومن تابعه على قولين فقال عبد الرزاق عن

(١) هذا لايسمى مسحا للرأس ولا بالرأس قطعا

لايجب غسل باطنها في الوضوء ◘ بل يجب غسل ظاهرها وهل يجب امرار الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية عن الذقن فيه قولان (أحدهما) لايجب ◘ وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه : لان الشعر النازل عن حد الرأس لايكون حكمه حكم الرأس في جواز المسح عليه كذلك النازل عن حد الوجه لايكون حكمه حكم الوجه في وجوب غسله (والقول الثاني) يجب امرار الماء على ظاهره لان الله تعالى أمر بغسل الوجه والوجه مايقع به المواجهة من هذا العضو ◘ ويقال في اللغة : بقل وجه فلان وخرج

معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن حمران بن أبان قال رأيت عثمان بن عفان توضأ فأفرغ على يديه ثلاثا فغسلها ثم تمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل يده اليمنى الى المرفق ثلاثا ثم غسل اليسرى مثل ذلك ثم مسح برأسه ثم غسل قدمه اليمني ثلاثا ثم اليسرى ثلاثا مثل ذلك ثم قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال « من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيها نفسه غفر له ماتقدم من ذنبه » أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين من طريق الزهري به نحو هذا . وفي سنن أبي داود من رواية عبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة عن عثمان في صفة الوضوء ومسح برأسه مرة واحدة وكذا من رواية عبد خير عن علي مثله

واحتج من استحب تكرار مسح الرأس بعموم الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ توضأ ثلاثا ثلاثا وقال أبو داود حدثنا محمد بن المثنى حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا عبد الرحمن بن وردان حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن حدثني حمران قال رأيت عثمان ابن عفان توضأ فذكر نحوه ولم يذكر المضمضة والاستنشاق قال فيه ثم مسح رأسه ثلاثا ثم غسل رجليه ثلاثا ثم قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ هكذا وقال « من توضأ هكذا كفاه » تفرد به أبو داود ثم قال وأحاديث عثمان في الصحاح تدل على انه مسح الرأس مرة واحدة

قوله (وأرجلكم الى الكعبين) قرىء وأرجلكم بالنصب عطفا على فاغسلوا وجوهكم وأيديكم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو سلمة حدثنا وهيب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس انه قرأها وأرجلكم يقول رجعت الى الغسل وروي عن عبدالله بن مسعود وعروة وعطاء وعكرمة والحسن ومجاهد وابراهيم والضحاك والسدي ومقاتل بن حيان والزهري وابراهيم التيمي نحو ذلك وهذه قراءة ظاهرة في وجوب الغسل كما قاله السلف ومن ههنا ذهب من ذهب الى وجوب الترتيب في الوضوء كما هو مذهب الجمهور خلافا لابي حنيفة حيث لم يشترط الترتيب بل لو غسل قدميه ثم مسح رأسه وغسل يديه ثم وجهه اجزأه ذلك لان الآية أمرت بغسل هذه الاعضاء والواو لاتدل على الترتيب وقد سلك الجمهور في الجواب عن هذا البحث طرقا فمنهم من قال الآية دلت على وجوب غسل الوجه ابتداء عند القيام الى الصلاة لانه مأمور به بفاء التعقيب وهي مقتضية للترتيب ولم يقل أحد من الناس بوجوب غسل الوجه أولا ثم لايجب الترتيب بعده بل القائل اثنان أحدهما يوجب الترتيب كما هو واقع في الآية ، والآخر يقول

وجه اذا نبتت لحيته . قوله تعالى ﴿ وأيديكم إلى المرافق ﴾ أى مع المرافق كما قال الله تعالى (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) أى مع أموالكم . وقال (من أنصارى إلى الله ؟) أى مع الله وأكثر العلماء على أنه يجب غسل المرفقين ، وفي الرجل يجب غسل الكعبين . وقال الشعبي ومحمد بن جرير لا يجب غسل المرفقين والكعبين في غسل اليد والرجل لان حرف إلى للغاية والحد فلا يدخل في المحدود ، قلنا ليس هذا بحد ولكنه بمعنى مع كما ذكرنا ، وقيل الشيء اذا حد إلى جنسه يدخل فيه الغاية ، واذا

لايجب الترتيب مطلقا والآية دلت على وجوب غسل الوجه ابتداء فوجب الترتيب فيما بعده لاجماع لافارق، ومنهم من قال لانسلم ان الواو لاتدل على الترتيب بل هي دالة كما هو مذهب طائفة من النحاة وأهل اللغة وبعض الفقهاء، ثم نقول بتقدير تسليم كونها لاتدل على الترتيب اللغوي هي دالة على الترتيب شرعاً فيما من شأنه أن يرتب، والدليل على ذلك أنه ﷺ لما طاف بالبيت خرج من باب الصفا وهو يتلو قوله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) ثم قال «أبدأ بما بدأ الله به» لفظ مسلم، ولفظ النسائي «ابدؤا بما بدأ الله به» وهذا لفظ أمر واسناده صحيح فدل على وجوب البداءة بما بدأ الله به وهو معنى كونها تدل على الترتيب شرعاً والله أعلم[١]. ومنهم من قال لما ذكر الله تعالى هذه الصفة في هذه الاية على هذا الترتيب فقطع النظير عن النظير وأدخل الممسوح بين المغسولين دل ذلك على إرادة الترتيب. ومنهم من قال لاشك أنه قد روى أبو داود وغيره من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ توضأ مرة مرة ثم قال «هذا وضوء لايقبل الله الصلاة الا به» قالوا فلا يخلو اما أن يكون توضأ مرتباً فيجب الترتيب، أو يكون توضأ غير مرتب فيجب عدم الترتيب ولا قائل به فوجب ماذكرناه

وأما القراءة الاخرى وهي قراءة من قرأ وأرجلكم بالخفض. فقد احتج بها الشيعة في قولهم بوجوب مسح الرجلين لأنها عندهم معطوفة على مسح الرأس وقد روي عن طائفة من السلف مايوهم القول بالمسح. فقال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية حدثنا حميد قال قال موسى بن أنس لأنس ونحن عنده يا أبا حمزة إن الحجاج خطبنا بالاهواز ونحن معه فذكر الطهور فقال اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برءوسكم وأرجلكم وأنه ليس شيء من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما فقال أنس صدق الله وكذب الحجاج قال الله تعالى (وامسحو برءوسكم وارجلكم) قال وكان أنس اذا مسح قدميه بلهما، اسناد صحيح اليه.

وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا عاصم الاحول عن أنس قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل، وهذا أيضا إسناد صحيح. وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب

[١] وجهه أنه (ص) أمر بالبدء به لأن الله تعالى بدأ به فكان تعليلا يدل اتباع ذلك في مثله فيقدم كل ما قدمه الله تعالى على ما بعده كأعضاء الوضوء

حد إلى غير جنسه لاتدخل كقوله تعالى (ثم أتموا الصيام إلى الليل) لم يدخل الليل فيه لأنه ليس من جنس النهار. قوله تعالى ﴿ وامسحوا برؤسكم ﴾ اختلف العلماء في قدر الواجب من مسح الرأس فقال مالك يجب مسح جميع الرأس كما يجب مسح جميع الوجه في التيمم. وقال أبو حنيفة يجب مسح ربع الرأس، وعند الشافعي رحمه الله يجب قدر مايطلق عليه اسم المسح ، واحتج من اجاز مسح بعض الرأس بما اخبرنا عبدالوهاب ابن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن احمد الخلال أنا أبوالعباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا يحيى ابن حسان عن حماد بن زيد وابن علية عن أيوب السجستاني عن ابن سيرين عن عمرو بن وهب الثقفي عن المغيرة بن شعبة ان النبي ﷺ توضأ فمسح بناصيته وعلى عمامته وخفيه فأجاز بعض أهل العلم المسح على العمامة بهذا الحديث ، وبه قال الاوزاعي وأحمد واسحق، ولم يجوز أكثر أهل العلم المسح على العمامة

حدثنا محمد بن قيس الخرساني عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : الوضوء غسلتان ومسحتان وكذا روى سعيد بن ابي عروبة عن قتادة . وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابو معمر المنقري حدثنا عبد الوهاب حدثنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس (وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين) قال هو المسح ثم قال وروي عن ابن عمر وعلقمة وابي جعفر محمد بن علي والحسن في احدى الروايات وجابر بن زيد ومجاهد في احدى الروايات نحوه

وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا أيوب قال رأيت عكرمة يمسح على رجليه قال وكان يقوله . وقال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا ابن ادريس عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال نزل جبريل بالمسح ثم قال الشعبي ألا ترى أن التيمم أن يمسح ما كان غسلا ويلغى ما كان مسحاً وحدثنا ابن أبي زياد حدثنا يزيد أخبرنا اسماعيل قلت لعامر إن ناساً يقولون إن جبريل نزل بغسل الرجلين فقال نزل جبريل بالمسح فهذه آثار غريبة جداً وهي محمولة على أن المراد بالمسح هو الغسل الخفيف لما سنذكره من السنة الثابتة في وجوب غسل الرجلين، وإنما جاءت هذه القراءة بالخفض إما على المجاورة وتناسب الكلام كما في قول العرب حجر ضب خرب وكقوله تعالى (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق) وهذا سائغ ذائع في لغة العرب شائع ومنهم من قال هي محمولة على مسح القدمين إذا كان عليهما الخفان قاله أبو عبدالله الشافعي رحمه الله ،ومنهم من قال هي دالة على مسح الرجلين ولكن المراد بذلك الغسل الخفيف كما وردت به السنة وعلى كل تقدير فالواجب غسل الرجلين فرضاً لابد منه للآية والاحاديث التي سنوردها ، ومن أحسن مايستدل به على أن المسح يطلق على الغسل الخفيف ما رواه الحافظ البيهقي حيث قال أخبرنا أبو علي الروزبادي حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محوية العسكري حدثنا جعفر بن محمد القلانسي حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عبد الملك بن ميسرة سمعت المنزال بن سبرة يحدث عن علي بن أبي طالب أنه صلى الظهر ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر ثم أتي بكوز من ماء فأخذ منه حفنة واحدة فمسح بها وجهه ويديه ورأسه

بدلا عن مسح الرأس ، وقال في حديث المغيرة ان فرض المسح سقط عنه بمسح الناصية ، وفيه دليل على ان مسح جميع الرأس غير واجب

قوله عز وجل ﴿ وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص (وأرجلكم) بنصب اللام ، وقرأ الآخرون (وأرجلكم) بالخفض ▪ فمن قرأ (وأرجلكم) بالنصب فيكون عطفا على قوله (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) أي واغسلوا أرجلكم ▪ ومن قرأ بالخفض فقد ذهب قليل من أهل العلم إلى أنه يمسح على الرجلين ▪ وروي عن ابن عباس انه قال : الوضوء غسلتان ومسحتان ▪ ويروى ذلك عن عكرمة وقتادة ▪ وقال الشعبي : نزل جبريل بالمسح . وقال ألا ترى المتيمم يمسح ما كان غسلا ويلغي ماكان مسحا ، وقال محمد بن جرير : يتخير المتوضيء بين المسح على

ورجليه ثم قام فشرب فضلته وهو قائم ثم قال إن ناسا يكرهون الشرب قائما وإن رسول الله ﷺ صنع كما صنعت وقال « هذا وضوء من لم يحدث » رواه البخاري في الصحيح عن آدم ببعض معناه. ومن أوجب من الشيعة مسحهما كما يمسح الخف فقد ضل وأضل وكذا من جوز مسحهما وجوز غسلهما فقد أخطأ أيضا ومن نقل عن أبي جعفر بن جرير أنه أوجب غسلهما للاحاديث وأوجب مسحهما للآية فلم يحقق مذهبه في ذلك فان كلامه في تفسيره إنما يدل على أنه أراد أنه يجب دلك الرجلين من دون سائر أعضاء الوضوء لانهما يليان الارض والطين وغير ذلك فأوجب دلكهما ليذهب ما عليهما ولكنه عبر عن الدلك بالمسح فاعتقد من لم يتأمل كلامه أنه أراد وجوب الجمع بين غسل الرجلين ومسحهما فحكاه من حكاه كذلك ولهذا يستشكله كثير من الفقهاء وهو معذور فانه لا معنى للجمع بين المسح والغسل سواء تقدمه أو تأخر عليه لاندراجه فيه وانما أراد الرجل ما ذكرته والله أعلم. ثم تأملت كلامه أيضا فاذا هو يحاول الجمع بين القراءتين في قوله (وأرجلكم) خفضا على المسح وهو الدلك ونصبا على الغسل فأوجبهما أخذاً بالجمع بين هذه وهذه.

﴿ ذكر الاحاديث الواردة في غسل الرجلين وأنه لابد منه ﴾

قد تقدم في حديث أمير المؤمنين عثمان وعلي وابن عباس ومعاوية وعبد الله بن زيد بن عاصم والمقداد بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ غسل الرجلين في وضوئه إما مرة وإما مرتين أو ثلاثا على اختلاف رواياتهم وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ توضأ فغسل قدميه ثم قال « هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به »

وفي الصحيحين من رواية أبي عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته « أسبغوا الوضوء ويل للاعقاب من النار » وكذلك هو في الصحيحين

الخفين وبين غسل الرجلين ، وذهب جماعة أهل العلم من الصحابة والتابعين إلى وجوب غسل الرجلين وقالوا خفض اللام في الارجل على مجاورة اللفظ لا على موافقة الحكم كما قال تبارك وتعالى (عذاب يوم أليم) فالأليم صفة العذاب ، ولكنه أخذ اعراب اليوم للمجاورة وكقولهم : جحر ضب خرب . فالخرب نعت الجحر وأخذ اعراب الضب للمجاورة . والدليل على وجوب غسل الرجلين ما أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي الخطيب أنا أبو عبدالله الحافظ أنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب أنا يحيي محمد بن يحيى أنا الحجبي ومسدد قالا أخبرنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن عبدالله بن عمرو قال تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفر سافرناه فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادانا بأعلى صوته « ويل للاعقاب من النار » أخبرنا

عن أبي هريرة وفي صحيح مسلم عن عائشة عن النبي ﷺ انه قال «اسبغوا الوضوء ويل للاعقاب من النار» وروى الليث بن سعد عن حيوة بن شريح عن عقبة بن مسلم عن عبدالله بن الحرث بن حرز انه سمع رسول الله ﷺ يقول «ويل للاعقاب و بطون الاقدام من النار» رواه البيهقي والحاكم وهذا إسناد صحيح وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق انه سمع سعيد بن أبي كرب أو شعيب بن أبي كرب قال سمعت جابر بن عبد الله وهو على جبل يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «ويل للعراقيب من النار» وحدثنا أسود بن عامر أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن سعيد بن أبي كرب عن جابر بن عبد الله قال رأى النبي ﷺ في رجل رجل مثل الدرهم لم يغسله فقال «ويل للاعقاب من النار» ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي الاحوص عن أبي اسحاق عن سعيد به نحوه وكذا رواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وغير واحد عن أبي اسحاق الشيعي عن سعيد أبن ابى كرب عن جابر عن النبي ﷺ مثله ثم قال حدثنا علي ابن مسلم حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا حفص عن الاعمش عن أبى سفيان عن جابر ان رسول الله ﷺ رأى قوما يتوضون لم يصب أعقابهم الماء فقال «ويل للعراقيب من النار» وقال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا أيوب بن عقبة عن يحيى بن أبي كثير عن أبى سلمة عن معيقيب قال قال رسول الله ﷺ «ويل للاعقاب من النار» تفرد به أحمد

وقال ابن جرير حدثني علي بن عبد الاعلى حدثنا المحاربى عن مطرح بن يزيد عن عبيدالله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن ابى امامة قال قال رسول الله ﷺ «ويل للاعقاب من النار» قال فما بقى في المسجد شريف ولا وضيع الا نظرت اليه يقلب عرقوبيه ينظر اليهما . وحدثنا ابو كريب حدثنا حسين عن زائدة عن ليث حدثني عبد الرحمن بن سابط عن ابى امامة أوعن اخى ابى امامة ان رسول الله ﷺ ابصر قوما يصلون وفي عقب احدهم او كعب احدهم مثل موضع الدرهم او موضع الظفر لم يمسه الماء فقال «ويل للاعقاب من النار» قال فجعل الرجل اذا راى في عقبه شيأ لم يصبه الماء أعاد وضوءه. ووجه الدلالة من هذه الاحاديث

عبدالواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبدالله أنا معمر حدثني الزهري عن عطاء بن يزيد عن حمران مولى عثمان قال : رأيت عثمان رضي الله عنه توضأ فأفرغ على يديه ثلاثاً ثم تمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثاً ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثم غسل رجله اليسرى ثلاثاً ثم قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا » ثم قال « من توضأ وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه » وقال بعضهم أراد بقوله (وأرجلكم) المسح على الخفين كما روي أن النبي ﷺ كان إذا ركع وضع يديه على ركبتيه ، وليس المراد منه انه لم يكن بينهما حائل ، ويقال قبل فلان رأس الامير ويده وان كانت العمامة على رأسه ويده في كمه ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن

ظاهرة وذلك انه لو كان فرض الرجلين مسحهما او انه يجوز ذلك فيهما لما توعد على تركه لان المسح لا يستوعب جميع الرجل بل يجري فيه ما يجري في مسح الخف وهكذا وجه هذه الدلالة على الشيعة الامام ابو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى وقد روى مسلم في صحيحه من طريق ابي الزبير عن جابر عن عمر بن الخطاب ان رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبي ﷺ وقال « ارجع فأحسن وضوءك » وقال الحافظ ابو بكر البيهقي اخبرنا ابو عبد الله الحافظ اخبرنا ابو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن اسحق الصنعاني حدثنا هرون بن معروف حدثنا ابن وهب حدثنا جرير بن حازم انه سمع قتادة بن دعامة قال حدثنا أنس بن مالك أن رجلا جاء الى النبي ﷺ قد توضأ وترك على قدمه مثل موضع الظفر فقال له رسول الله ﷺ « ارجع فاحسن وضوءك » وهكذا رواه أبو داود عن هارون بن معروف وابن ماجه عن حرملة بن يحيى كلاهما عن ابن وهب به وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقاة لكن قال أبو داود ليس هذا الحديث بمعروف لم يروه الا ابن وهب وحدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد أخبرنا يونس وحميد عن الحسن أن رسول الله ﷺ بمعنى حديث قتادة

وقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس حدثنا بقية حدثني يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن بعض أزواج النبي ﷺ رأى رجلا يصلي وفي ظهر قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمر رسول الله ﷺ أن يعيد الوضوء . ورواه أبو داود من حديث بقية وزاد والصلاة وهذا اسناد جيد قوي صحيح والله أعلم .

وفي حديث حمران عن عثمان في صفة وضوء النبي ﷺ أنه خلل بين أصابعه وروى أهل السنن من حديث اسمعيل بن كثير عن عاصم بن لقيط بن صبرة عن أبيه قال قلت يارسول الله أخبرني عن الوضوء فقال « أسبغ الوضوء وخلل بين الاصابع وبالغ في الاستنشاق الا أن تكون صائما »

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن المقري حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا شداد بن عبد الله الدمشقي قال قال أبو أمامة حدثنا عمرو بن عبسة قال قلت يارسول الله أخبرني عن الوضوء قال « ما منكم من أحد يقرب وضوءه ثم يتمضمض ويستنشق وينتثر إلا خرت خطاياه من

اسماعيل أنا أبو نعيم زكريا عن عامر عن عروة بن المغيرة عن أبيه رضي الله عنهما قال : كنت مع النبي ﷺ ذات ليلة في سفر فقال « أمعك ماء ؟ » فقلت نعم فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل ثم جاء فأفرغت عليه من الاداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه ثم أهويت لانزع خفيه فقال « دعهما فاني أدخلتهما طاهرتين » فمسح عليهما

قوله تعالى (إلى الكعبين) فالكعبان هما العظمان الناتئان من جانبي القدمين وهما مجمع مفصل الساق والقدم فيجب غسلهما مع القدمين كما ذكرنا في المرفقين ▪ وفرائض الوضوء غسل الاعضاء الثلاثة كما

فمه وخياشيمه مع الماء حين ينتثر ، ثم يغسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ، ثم يغسل يديه الى المرفقين الا خرت خطايا يديه من أطراف أنامله ، ثم يمسح رأسه الا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ، ثم يغسل قدميه الى الكعبين كما أمره الله إلا خرت خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء ثم يقوم فيحمد الله ويثني عليه بالذي هو له أهل ثم يركع ركعتين الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » قال أبو أمامة يا عمرو انظر ما تقول سمعت هذا من رسول الله ﷺ أيعطى هذا الرجل كله في مقامه ؟ فقال عمرو بن عبسة يا أبا أمامه لقد كبرت سني ورق عظمي واقترب أجلي ومابي حاجة أن أكذب على الله وعلى رسول الله ﷺ لولم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا . لقد سمعته سبع مرات أو أكثر من ذلك وهذا إسناد صحيح وهو في صحيح مسلم من وجه آخر وفيه ثم يغسل قدميه كما أمره الله فدل على أن القرآن يأمر بالغسل ، وهكذا روى أبو اسحق السبيعي عن الحرث عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال « اغسلوا القدمين الى الكعبين كما أمرتم » ومن ههنا يتضح لك المراد من حديث عبد خير عن علي أن رسول الله ﷺ رش على قدميه الماء وهما في النعلين فدلكهما إنما أراد غسلا خفيفاً وهما في النعلين ولامانع من إيجاد الغسل والرجل في نعلها ولكن في هذا رد على المتعمقين ، المتنطعين من الموسوسين ، وهكذا الحديث الذي أورده ابن جرير على نفسه وهو من روايته عن الاعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال « أتى رسول الله ﷺ سباطة قوم فبال قائما ثم دعا بماء فتوضأ ومسح على نعليه » وهو حديث صحيح . وقد أجاب ابن جرير عنه بأن الثقاة الحفاظ رووه عن الاعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال فبال قائماً ثم توضأ ومسح على خفيه قلت ويحتمل الجمع بينهما بان يكون فى رجليه خفان وعليهما نعلان وهكذا الحديث الذي رواه الامام احمد بن حنبل حدثنا يحي عن شعبة حدثني يعلى عن أبيه عن أوس بن أبي أوس قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ ومسح على نعليه ثم قام الى الصلاة . وقد رواه أبو داود عن مسدد وعباد بن موسى كلاهما عن هشيم عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن أوس بن ابي اوس قال رايت رسول الله ﷺ اتى سباطة قوم فبال وتوضأ ومسح على نعليه وقدميه وقد رواه ابن جرير من طريق شعبة ومن

ذكر الله تعالى ومسح الرأس ، واختلف أهل العلم في وجوب النية فذهب أكثرهم إلى وجوبها لان الوضوء عبادة فيفتقر إلى النية كسائر العبادات ، وذهب بعضهم الى انها غير واجبة وهو قول الثوري ، واختلفوا في وجوب الترتيب وهو أن يغسل أعضاءه على الولاء كما ذكر الله تبارك وتعالى فذهب جماعة إلى وجوبه وهو قول مالك والشافعي وأحمد واسحق رحمهم الله ، ويروي ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه واحتج الشافعي بقول الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وبدء النبي ﷺ بالصفا وقال « نبدأ بما بدأ الله به » وكذلك ههنا بدأ الله تعالى بذكر غسل الوجه فيجب علينا أن نبدأ فعلا بما بدأ الله تعالى بذكره ، وذهب جماعة إلى أن الترتيب سنة وقالوا : الواوات المذكورة في الاية للجمع لا للترتيب كما قال

طريق هشيم ثم قال وهذا محمول على انه توضأ كذلك وهو غير محدث إذ كان غير جائز ان تكون فرائض الله وسنن رسوله متنافية متعارضة وقد صح عنه ﷺ الامر بعموم غسل القدمين في الوضوء بالماء بالنقل المستفيض القاطع عذر من انتهى اليه وبلغه ، ولما كان القرآن آمراً بغسل الرجلين كما في قراءة النصب وكما هو الواجب في حمل قراءة الخفض عليها توهم بعض السلف أن هذه الآية ناسخة لرخصه المسح على الخفين وقد روي ذلك عن علي بن أبي طالب ولكن لم يصح اسناده ثم الثابت عنه خلافه وليس كما زعموه فانه قد ثبت أن النبي ﷺ مسح على الخفين بعد نزول هذه الآية الكريمة

وقال الامام أحمد . حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زياد بن عبد الله بن علاثة عن عبد الكريم ابن مالك الجزري عن مجاهد عن جرير بن عبد الله البجلي قال أنا أسلمت بعد نزول المائدة وأنا رأيت رسول الله ﷺ يمسح بعد ما أسلمت تفرد به أحمد . وفي الصحيحين من حديث الاعمش عن ابراهيم عن همام قال بال جرير ثم توضأ ومسح على خفيه فقيل تفعل هذا ؟ فقال نعم رأيت رسول الله ﷺ بال ثم توضأ ومسح على خفيه قال الأعمش قال ابراهيم فكان يعجبهم هذا الحديث لان اسلام جرير كان بعد نزول المائدة . لفظ مسلم

وقد ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ مشروعية المسح على الخفين قولا منه وفعلا كما هو مقرر في كتاب الاحكام الكبير مع ما يحتاج الى ذكره هناك من تأقيت المسح أو عدمه أو التفصيل فيه كما هو مبسوط في موضعه وقد خالفت الروافض في ذلك بلا مستند بل بجهل وضلال مع أنه ثابت في صحيح مسلم من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما ثبت في الصحيحين عنه عن النبي ﷺ النهي عن نكاح المتعة وهم يستبيحونها، وكذلك هذه الآية الكريمة دالة على وجوب غسل الرجلين مع ما ثبت بالتواتر من فعل رسول الله ﷺ على وفق مادلت عليه الآية الكريمة ، وهم مخالفون لذلك كله وليس لهم دليل صحيح في نفس الأمر ولله الحمد ، وهكذا خالفوا الأئمة والسلف في الكعبين اللذين في القدمين فعندهم أنهما في ظهر القدم . فعندهم في كل رجل كعب وعند الجمهور ان الكعبين هما العظمان

تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين) الآية واتفقوا على انها لاتجب مراعاة الترتيب في صرف الصدقات إلى أهل السهمان ، ومن أوجب الترتيب أجاب بأنه لم ينقل عن النبي ﷺ انه راعى الترتيب بين أهل السهمان وفي الوضوء لم ينقل انه توضأ إلا مرتبا كما ذكر الله تعالى ، وبيان الكتاب يؤخذ من السنة كما قال الله تعالى (يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) لما قدم الركوع على السجود ولم ينقل عن النبي ﷺ انه فعل إلا كذلك ، فكان مراعاة الترتيب فيه واجبا كذلك الترتيب هنا

قوله عز وجل ﴿ وان كنتم جنباً فاطهروا ﴾ أي اغتسلوا . أخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ان النبي ﷺ كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم توضأ كما يتوضأ للصلاة

الناتآن عند مفصل الساق والقدم . قال الربيع قال الشافعي لم أعلم مخالفاً في أن الكعبين اللذين ذكرهما الله في كتابه في الوضوء هما الناتآن وهما مجمع مفصل الساق والقدم هذا لفظه فعند الأئمة رحمهم الله في كل قدم كعبان كما هو المعروف عند الناس وكما دلت عليه السنة في الصحيحين من طريق حمران عن عثمان أنه توضأ فغسل رجله اليمنى الى الكعبين واليسرى مثل ذلك

وروى البخاري تعليقاً مجزوما به وأبوداود وابن خزيمة في صحيحه من رواية أبي القاسم الحسيني ابن الحرث الجدلي عن النعمان بن بشير قال أقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال « أقيموا صفوفكم ـ ثلاثاً ـ والله لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم » قال فرأيت الرجل يلزق كعبه بكعب صاحبه وركبته بركبة صاحبه ومنكبه بمنكبه . لفظ ابن خزيمة فليس يمكن أن يلزق كعبه بكعب صاحبه الا والمراد به العظم الناتيء في الساق حتى يحاذى كعب الآخر فدل ذلك على ما ذكرناه من أنهما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم كما هو مذهب أهل السنة . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا اسمعيل ابن موسى أخبرنا شريك عن يحيى بن الحرث التيمي يعني الجابر قال نظرت في قتلى أصحاب زيد فوجدت الكعب فوق ظهر القدم وهذه عقوبة عوقب بها الشيعة بعد قتلهم تنكيلا بهم في مخالفتهم الحق وإصرارهم عليه .

وقوله تعالى (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) كل ذلك قد تقدم الكلام عليه في تفسير آية النساء فلا حاجة بنا الى إعادته لئلا يطول الكلام . وقد ذكرنا سبب نزول آية التيمم هناك لكن البخاري روى ههنا حديثاً خاصا بهذه الآية الكريمة فقال حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحرث أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه عن أبيه عن عائشة قالت سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة فاناخ رسول الله ﷺ ونزل فثنى رأسه في حجري راقداً فاقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة وقال حبست الناس في قلادة فتمنيت الموت لمكان رسول الله ﷺ مني وقد أوجعني ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد فنزلت (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) إلى آخر الآية فقال أسيد بن الحضير لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر ما أنتم الا بركة لهم

وقوله تعالى (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج) أي فلهذا سهل عليكم ويسر ولم يعسر بل

ثم يدخل اصابعه في الماء فيخلل بها اصول شعره ثم يصب على راسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على جلده كله »

قوله تعالى ﴿ وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾ فيه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب ﴿ مايريد الله ليجعل عليكم ﴾ بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم

أباح التيمم عند المرض وعند فقد الماء توسعة عليكم ورحمة بكم وجعله في حق من شرع له يقوم مقام الماء الا من بعض الوجوه كما تقدم بيانه وكما هو مقرر في كتاب الأحكام الكبير

وقوله تعالى (ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) أي لعلكم تشكرون نعمه عليكم فيما شرعه لكم من التوسعة والرأفه والرحمة والتسهيل والسماحة وقد وردت السنة بالحث على الدعاء عقب الوضوء بان يجعل فاعله من المتطهرين الداخلين في امتثال هذه الآية الكريمة كما رواه الامام أحمد ومسلم وأهل السنن عن عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتي فروحتها بعشي فادركت رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس فادركت من قوله « ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة » قال قلت ما أجود هذه فاذا قائل بين يدي يقول التي قبلها أجود منها فنظرت فاذا عمر رضي الله عنه فقال إني قد رأيتك جئت آنفاً قال « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء يقول أشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » لفظ مسلم

وقال مالك عن نهشل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب » رواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن مالك به .

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن كعب بن مرة قال قال رسول الله ﷺ « مامن رجل يتوضأ فيغسل يديه أو ذراعيه الا خرجت خطاياه منهما فاذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه فاذا مسح رأسه خرجت خطاياه من رأسه فاذا غسل رجليه خرجت خطاياه من رجليه » هذا لفظه وقد رواه الامام أحمد عن محمد بن جعفر عن شعبة عن منصور عن سالم عن مرة بن كعب أو كعب بن مرة السلمي عن النبي ﷺ قال « واذا توضأ العبد فغسل يديه خرجت خطاياه من بين يديه واذا غسل وجهه خرت خطاياه من وجهه واذا غسل ذراعيه خرت خطاياه من ذراعيه واذا غسل رجليه خرت خطاياه من رجليه » قال شعبة ولم يذكر مسح الرأس وهذا إسناد صحيح

﴿ من حرج ﴾ ضيق ﴿ ولكن يريد ليطهركم ﴾ من الاحداث والجنابات والذنوب ﴿ وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾ قال محمد بن كعب القرظي اتمام النعمة تكفير الخطايا بالوضوء كما قال الله تبارك وتعالى (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر) فجعل تمام نعمته غفران ذنوبه . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبوالعباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن هشام

وروى ابن جرير من طريق شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ «من توضأ فاحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه» وروى مسلم في صحيحه من حديث يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده ممطور عن أبي مالك الاشعري أن رسول الله ﷺ قال «الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله اكبر تملأ مابين السماء والارض والصوم جنة والصبر ضياء والصدقة برهان والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» وفي صحيح مسلم من رواية سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «لا يقبل الله صدقة من غلول ولا صلاة بغير طهور» وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن قتادة سمعت أبي المليح الهذلي يحدث عن أبيه قال كنت مع رسول الله ﷺ في بيت فسمعته يقول «ان الله لا يقبل صلاة من غير طهور ولا صدقة من غلول» وكذا رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة

(واذكروا نعمة الله عليكم وميثقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور (٧) يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما

بن عروة عن أبيه عن حمران ان عثمان توضأ بالمقاعد ثلاثا ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «من توضأ وضوئي هذا خرجت خطاياه من وجهه ويديه ورجليه» أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن حمران مولى عثمان أن عثمان بن عفان رضي الله عنه جلس على المقاعد يوما فجاءه المؤذن فآذنه بصلاة العصر فدعا بماء فتوضأ ثم قال: والله لأحدثنكم حديثا لولا آية في كتاب الله ماحدثتكموه ثم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «مامن امرئ مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلاة إلا غفر له مابينه وبين الصلاة الاخرى حتى يصليها» قال مالك أراه يريد هذه الآية (أقم الصلاة لذكري) ورواه ابن شهاب. وقال عروة الآية (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا يحيى بن بكير أنا الليث عن خالد عن سعيد بن أبي هلال عن نعيم المجمر قال رقيت مع أبي هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد فتوضأ قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع أن يطيل منكم غرته فليفعل»

قوله تعالى ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ يعني النعم كلها ﴿وميثاقه الذي واثقكم به﴾ عهده الذي عاهدكم به أيها المؤمنون ﴿إذ قلتم سمعنا وأطعنا﴾ وذلك حين بايعوا رسول الله ﷺ على السمع

تعملون (٨) وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم (٩) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (١٠) ياءيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١١)

يقول تعالى مذكراً عباده المؤمنين نعمته عليهم في شرعه لهم هذا الدين العظيم، وارساله اليهم هذا الرسول الكريم وما أخذ عليهم من العهد والميثاق في مبايعته على متابعته ومناصرته ومؤازرته والقيام بدينه وإبلاغه عنه وقبوله منه فقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا) وهذه هي البيعة التي كانو يبايعون عليها رسول الله ﷺ عند اسلامهم كما قالوا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وأثرة علينا وان لاننازع الامر أهله ، وقال الله تعالى (وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين) وقيل هذا تذكار لليهود بما أخذ عليهم من المواثيق والعهود في متابعة محمد ﷺ والانقياد لشرعه رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقيل هو تذكار بما أخذ تعالى من العهد على ذرية آدم حين استخرجهم من صلبه وأشهدهم على أنفسهم (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) قاله مجاهد ومقاتل بن حيان والقول الاول أظهر وهو المحكي عن ابن عباس والسدي واختيار ابن جرير ثم قال تعالى (واتقوا الله) تأكيد وتحريض على مواظبة التقوى فى كل حال ثم أعلمهم انه يعلم مايتخالج في الضمائر من الاسرار

والطاعة فيما أحبوا وكرهوا وهو قول أكثر المفسرين. وقال مجاهد ومقاتل يعني الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام ﴿ واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور ﴾ بما في القلوب من خير وشر

قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ﴾ أي كونوا له قائمين بالعدل قوالين بالصدق، أمرهم بالعدل والصدق في أعمالهم وأقوالهم ﴿ ولا يجرمنكم ﴾ ولا يحملنكم ﴿ شنآن قوم ﴾ بغض قوم ﴿ على أن لا تعدلوا ﴾ أي على ترك العدل فيهم لعداوتهم ثم قال ﴿ اعدلوا ﴾ يعني في أوليائكم وأعدائكم ﴿ هو أقرب للتقوى ﴾ يعني إلى التقوى ﴿ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون * وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ وهذا في موضع النصب لان فعل الوعد واقع على المغفرة ورفعها على تقدير أي وقال لهم مغفرة وأجر عظيم ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم * ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ﴾ بالدفع عنكم ﴿ إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم ﴾ بالقتل . وقال قتادة : نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ ببطن نخل فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به وبأصحابه اذا اشتغلوا بالصلاة فأطلع الله تبارك وتعالى نبيه على ذلك

والخواطر فقال (ان الله عليم بذات الصدور) وقوله تعالى (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) أي كونوا قوامين بالحق لله عز وجل لا لاجل الناس والسمعة و كونوا (شهداء بالقسط) أي بالعدل لا بالجور وقد ثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير انه قال نحلني أبي نحلا فقالت أمي عمرة بنت رواحة لاأرضى حتى تشهد عليه رسول الله ﷺ فجاءه ليشهده على صدقتي فقال أكل ولدك نحلت مثله ؟ قال لا قال «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم - وقال - اني لا أشهد على جور» قال فرجع أبي فرد تلك الصدقة

وقوله تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) أي لايحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في كل أحد صديقا كان أو عدوا ولهذا قال (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي عدلكم أقرب الى التقوى من تركه ودل الفعل على المصدر الذي عاد الضمير عليه كما في نظائره من القرآن وغيره كما في قوله (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم) وقوله: هو أقرب للتقوى من باب استعمال افعل التفضيل في المحل الذي ليس في الجانب الآخر منه شيء كما في قوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وكقول بعض الصحابيات لعمر أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ ثم قال تعالى (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) أي وسيجزيكم على ماعلم من أفعالكم التي عملتموها ان خيرا فخير وان شرا فشر ولهذا قال بعده (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) أي لذنوبهم (وأجر عظيم) وهو الجنة التي هي من رحمته على عباده لاينالونها بأعمالهم بل برحمة منه وفضل وان كان سبب وصول الرحمة اليهم أعمالهم وهو تعالى الذي جعلها أسبابا الى نيل رحمته وفضله وعفوه ورضوانه فالكل منه وله فله الحمد والمنة ثم قال (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) وهذا من عدله تعالى وحكمته وحكمه الذي لايجور فيه بل هو الحكم العدل الحكيم القدير

وأنزل الله صلاة الخوف . وقال الحسن : كان النبي ﷺ محاصراً غطفان بنخل ، فقال رجل من المشركين : هل لكم في أن أقتل محمداً ؟ قالوا وكيف تقتله ؟ قال أفتك به ، قالوا وددنا أنك قد فعلت ذلك فأتى النبي ﷺ والنبي ﷺ متقلد سيفه فقال يامحمد : أرني سيفك فأعطاه إياه ، فجعل الرجل يهز السيف وينظر مرة إلى السيف، ومرة إلى النبي ﷺ وقال: من يمنعك مني يامحمد؟ قال « الله » فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ فشام السيف[1] ومضى فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال مجاهد وعكرمة والكلبي وابن يسار عن رجاله بعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو الساعدي وهو أحد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار إلى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة وهي من مياه بني عامر واقتتلوا فقتل المنذر بن عمرو وأصحابه إلا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم أحدهم عمرو بن أمية الضمري فلم يرعهم إلا الطير تحوم في السماء يسقط من بين خراطيمها علق الدم . فقال أحد النفر : قتل أصحابنا، ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه وقال: الله أكبر. الجنة ورب العالمين، فرجع صاحباه

(١) أي أغمده

وقوله تعالى(يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذهمَّ قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم) قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري ذكره عن أبي سلمة عن جابر ان النبي ﷺ نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون تحتها وعلق النبي ﷺ سلاحه بشجرة فجاء اعرابي الى سيف رسول الله ﷺ فاخذه فسله ثم أقبل على النبي ﷺ فقال من يمنعك مني قال الله عز وجل قال الاعرابي مرتين أو ثلاثا من يمنعك مني ؟ والنبي ﷺ يقول الله قال فشام الاعرابي السيف فدعا النبي ﷺ أصحابه فأخبرهم خبر الاعرابي وهو جالس الى جنبه ولم يعاقبه . وقال معمر كان قتادة يذكر نحو هذا ويذكر ان قوما من العرب أرادوا أن يفتكوا برسول الله ﷺ فارسلوا هذا الاعرابي وتأول (اذكروا نعمة الله عليكم اذ همَّ قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم الآية) وقصة هذا الاعرابي وهو غورث بن الحرث ثابتة في الصحيح وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم) وذلك ان قوما من اليهود صنعوا لرسول الله ﷺ ولاصحابه طعاما ليقتلوهم فاوحى الله اليه بشأنهم فلم يأت الطعام وأمر أصحابه فأتوه رواه ابن أبي حاتم وقال ابو مالك نزلت في كعب بن الاشرف وأصحابه حين أرادوا أن يغدروا بمحمد وأصحابه في دار كعب بن الاشرف رواه ابن أبي حاتم وذكر محمد بن اسحاق بن يسار ومجاهد وعكرمة وغير واحد انها نزلت في شأن بني النضير حين أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله ﷺ الرحى لما جاءهم يستعينهم في دية العامريين ووكلوا عمرو بن جحاش ابن كعب بذلك وأمروه ان جلس النبي ﷺ تحت الجدار واجتمعوا عنده ان يلقى تلك الرحى من فوقه فاطلع الله النبي ﷺ على ماتمالؤا عليه فرجع الى المدينة وتبعه أصحابه فانزل الله في ذلك هذه الآية وقوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعنى من توكل على الله كفاه الله ماأهمه وحفظه من شر الناس وعصمه ثم أمر رسول الله ﷺ ان يغدو اليهم فحاصرهم حتى أنزلهم فاجلاهم

فلقيا رجلين من بني سليم وبين النبي ﷺ وبين قومهما موادعة فانتسبا لهما إلى بني عامر فقتلاهما وقدم قومهما إلى النبي ﷺ يطلبون الدية فخرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبدالرحمن ابن عوف رضي الله عنهم حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديات قالوا نعم ياأبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة، اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا ، فجلس رسول الله ﷺ وأصحابه فخلا بعضهم ببعض وقالوا : انكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن ، فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فقال عمر بن جحاش : أنا ، فجاء إلى رحا عظيمة ليطرحها عليه فأمسك الله تعالى يده وجاء جبريل وأخبره فخرج النبي ﷺ راجعاً إلى المدينة ثم دعا علياً فقال « لاتبرح من مكانك فمن خرج عليك من أصحابي فسألك عني فقل توجه إلى المدينة » ففعل ذلك علي رضي الله

ولقد أخذ الله ميثق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلوة وءاتيتم الزكاة وءامنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنت تجري من تحتها الانهر فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل (١٢) فبما نقضهم ميثقهم لعنهم وجعلنا قلوبهم قسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين (١٣) ومن الذين قالوا انا نصرى أخذنا ميثقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون (١٤)

لما أمر تعالى عباده المؤمنين بالوفاء بعهده وميثاقه الذي أخذه عليهم على لسان عبده ورسوله محمد ﷺ وأمرهم بالقيام بالحق والشهادة بالعدل وذكرهم نعمه عليهم الظاهرة والباطنة فيما هداهم له من الحق والهدى شرع يبين لهم كيف أخذ العهود والمواثيق على من كان قبلهم من أهل الكتابين اليهود والنصارى فلما نقضوا عهوده ومواثيقه أعقبهم ذلك لعنا منه لهم، وطردا عن بابه وجنابه، وحجابا بالقلوبهم عن الوصول الى الهدى ودين الحق وهو العلم النافع والعمل الصالح فقال تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) يعنى عرفاء على قبائلهم بالمبايعة والسمع والطاعة لله ولرسوله ولكتابه . وقد ذكر ابن عباس عن ابن اسحاق وغير واحد ان هذا كان لما توجه موسى

عنه حتى تناثلوا اليه ثم تبعوه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ﴿ فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾

قوله تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً ﴾ وذلك أن الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الارض المقدسة وهي الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون ، فلما استقرت لبني اسرائيل الدار بمصر أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحاء من أرض الشام وهي الارض المقدسة وكان لها ألف قرية في كل قرية ألف بستان وقال : ياموسى اني كتبتها لكم داراً وقراراً فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصرك عليهم، وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيباً يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به ، فاختار موسى النقباء وسار موسى ببني اسرائيل حتى قربوا من أريحاء بعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون

عليه السلام لقتال الجبابرة فامر بان يقيم نقباء من كل سبط نقيب قال محمد بن اسحاق فكان من سبط روبيل شامون بن ركون ومن سبط سمعون شافاط بن حري ومن سبط يهوذا كالب بن يوفنا ومن سبط أتين ميخائيل بن يوسف ومن سبط يوسف وهو سبط إفرايم يوشع بن نون ومن سبط بنيامين فلطم بن دفون ومن سبط زبولون جدي بن شوري ومن سبط منشا بن يوسف جدي بن موسى ومن سبط دان خملائيل بن حمل ومن سبط اشار ساطور بن ملكيل ومن سبط نفثالى بحر بن وقسي ومن سبط يساخر لايل بن مكيد وقد رأيت في السفر الرابع من التوراة تعداد النقباء على اسباط بني اسرائيل وأسماء مخالفة لما ذكره ابن اسحاق والله أعلم قال فيها فعلى بني روبيل اليصور بن سادون وعلى بنى شمعون شموال بن صورشكي وعلى بني بهوذا الحشون بن عمياذاب وعلى بني يساخر شال بن صاعون وعلى بني زبولون الياب بن حالوب وعلى بني أفرايم منشا بن عمنهور وعلي بنى منشا حمليائيل بن يرصون وعلى بني بنيامين أبيدن بن جدعون وعلى بني دان جعيذر بن عميشذي وعلى بني أشار نحايل بن عجران وعلى بني كان السيف بن دعوابيل وعلى بني نفتالي أجذع بن عمينان

وهكذا لما بايع رسول الله ﷺ الانصار ليلة العقبة كان فيهم اثنا عشر نقيبا ثلاثة من الاوس وهم أسيد بن الحضير وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر ويقال بدله أبو الهيثم بن التيهان رضي الله عنه وتسعة من الخزرج وهم أبو امامة أسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة ورافع بن مالك بن العجلان والبراء بن معرور وعبادة بن الصامت وسعد بن عبادة وعبد الله بن عمرو بن حرام والمنذر بن عمر بن حنيش[1] رضي الله عنهم وقد ذكرهم كعب بن مالك في شعر له كما أورده ابن اسحاق رحمه الله والمقصود ان هؤلاء كانوا عرفاء على قومهم ليلتئذ عن أمر النبي ﷺ لهم بذلك وهم الذين ولوا المعاقدة والمبايعة عن قومهم للنبي ﷺ على السمع والطاعة قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى

(١) قوله عمر بن حنيش كذا بالاصل وحرر

عليها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق[1] وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع ، وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله ، ويروى أن الماء في زمن نوح عليه السلام طبق ما على الارض من جبل وما جاوز ركبتي عوج وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه على يدي موسى عليه السلام ، وذلك أنه جاء وقد صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى عليه السلام وكان فرسخا في فرسخ وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور الصخرة بمنقاره نوقعت في عنقه فصرعته فأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله ، وكانت أمه عنق احدى بنات آدم وكان مجلسها جريبا من الارض ، فلما لقي عوج النقباء ، وعلى رأسه حزمة حطب أخذ الاثني عشر وجعلهم في حجزته وانطلق بهم إلى امرأته وقال : انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال : ألا أطحنهم برجلي فقالت امرأته لا ، بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك ، وروي أنه جعلهم في كمه

(١) ماذكر في وصف عوج بن عنق كله من خرافات الاسرائيليات

حدثنا حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الامة من خليفة؟ فقال عبد الله ماسألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ثم قال نعم ولقد سألنا رسول الله ﷺ فقال «اثنا عشر كعدة نقباء بني اسرائيل» هذا حديث غريب من هذا الوجه وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة قال سمعت النبي ﷺ يقول «لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت علي فسألت أي ماذا قال النبي ﷺ؟ قال كلهم من قريش وهذا لفظ مسلم. ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثنى عشر خليفة صالحا يقيم الحق ويعدل فيهم ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم بل قد وجد منهم أربعة على نسق وهم الخلفاء الاربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الائمة وبعض بني العباس ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لامحالة والظاهر ان منهم المهدي المبشر به في الاحاديث الواردة بذكره فذكر انه يواطيء اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم أبيه فيملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وليس هذا بالمنتظر الذي تتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامرا فان ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية بل هو من هوس العقول السخيفة، وتوهم الخيالات الضعيفة وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الاثني عشر الأئمة الاثنى عشر الذين يعتقد فيهم الاثنا عشر من الروافض لجهلهم وقلة عقلهم، في التوراة البشارة باسمعيل عليه السلام وان الله يقيم من صلبه اثني عشر عظيما وهم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر المذكورون في حديث ابن مسعود وجابر بن سمرة وبعض الجهلة ممن أسلم من اليهود اذا اقترن بهم بعض الشيعة يوهمونهم انهم الائمة الاثنا عشر فيتشيع كثير منهم جهلا وسفها لقلة علمهم وعلم من لقنهم ذلك بالسنن الثابتة عن النبي ﷺ وقوله تعالى (وقال الله أني معكم) أي بحفظي وكلاءتي ونصري (لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي) أي صدقتموهم فيما يجيؤنكم به من الوحى (وعزرتموهم) أى نصرتموهم ووازرتموهم على الحق (وأقرضتم الله قرضا حسنا وهو الانفاق في سبيله وابتغاء مرضاته (لأكفرن

وأتى بهم إلى الملك فنثرهم بين يديه فقال الملك: ارجعوا فاخبروهم بما رأيتم، وكان لايحمل عنقوداً من عنبهم إلا خمسة أنفس منهم في خشبة، ويدخل في شطر الرمانة اذا نزع منها حبها خمسة أنفس فرجع النقباء وجعلوا يتعرفون أحوالهم. وقال بعضهم لبعض: ياقوم انكم إن أخبرتم بني اسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبى الله، ولكن اكتموا واخبروا موسى وهرون فيريان رأيهما وأخذ بعضهم على بعضهم الميثاق بذلك ثم أنهم نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى إلا رجلان فذلك قوله تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) ﴿وقال الله اني معكم﴾ ناصركم على عدوكم، ثم ابتدأ الكلام فقال ﴿لئن أقمتم الصلاة﴾ يامعشر بني اسرائيل ﴿وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم﴾ نصرتموهم وقيل وقرتموهم وعظمتموهم ﴿وأقرضتم

عنكم سيآتكم) أي ذنوبكم أمحوها واسترها ولا أواخذكم بها (ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار)أي ادفع عنكم المحذور واحصل لكم المقصود

وقوله (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) أي فمن خالف هذا الميثاق بعد عقده وتوكيده وشده وجحده وعامله معاملة من لايعرفه فقد أخطأ الطريق الواضح وعدل عن الهدى الى الضلال ثم أخبر تعالى عما حل بهم من العقوبة عند مخالفتهم ميثاقه ونقضهم عهده فقال (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) أي فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم أي أبعدناهم عن الحق وطردناهم عن الهدى (وجعلنا قلوبهم قاسية) أي فلا يتعظون بموعظة لغلظها وقساوتها (يحرفون الكلم عن مواضعه) أي فسدت فهومهم وساء تصرفهم في آيات الله وتأولوا كتابه على غير ما أنزله وحملوه على غير مراده وقالوا عليه مالم يقل عياذاً بالله من ذلك (ونسوا حظا مما ذكروا به) أي وتركوا العمل به رغبة عنه وقال الحسن تركوا عرى دينهم ووظائف الله تعالى التي لايقبل العمل الا بها وقال غيره تركوا العمل[1] فصاروا الى حالة رديئة فلا قلوب سليمة ولافطر مستقيمة ولا أعمال قويمة(ولاتزال تطلع على خائنة منهم) يعني مكرهم وغدرهم لك ولاصحابك وقال مجاهد وغيره يعني بذلك تمالئهم على الفتك برسول الله ﷺ (فاعف عنهم واصفح) وهذا هو عين النصر والظفر كما قال بعض السلف ماعاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق ولعل الله أن يهديهم ولهذا قال تعالى

[1] هذا بمعنى ماقبله وأقوي منها كلها أنهم أضاعوا خطأ من التوراة فلم يحفظوها كلها، وهو أنه كان قد فقد منهم الكتاب بتخريب بيت المقدس ثم كتب لهم عزرا ما كان يحفظ منه محرفا

الله قرضاً حسناً ﴾ قيل هو اخراج الزكاة ، وقيل هو النفقة على الاهل ﴿ لأكفرن عنكم سيآتكم ﴾ لأمحون عنكم سيآتكم ﴿ ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار ، فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ أي أخطأ قصد السبيل يريد طريق الحق وسواء كل شيء وسطه ﴿ فبما نقضهم ﴾ أي فبنقضهم وما صلة ﴿ ميثاقهم ﴾ قال قتادة : نقضوه من وجوه لأنهم كذبوا الرسل الذين جاؤا بعد موسى وقتلوا أنبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه ﴿ لعناهم ﴾ قال عطاء : أبعدناهم من رحمتنا . قال الحسن ومقاتل : عذبناهم بالمسخ ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ وقرأ حمزة والكسائي قسية بتشديد الياء من غير ألف وهما لغتان مثل الزاكية والزكية ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : قاسية أي يابسة ، وقيل غليظة لاتلين ، وقيل معناه أن قلوبهم ليست بخالصة الايمان ، بل إيمانهم مشوب بالكفر والنفاق ومنه الدراهم القاسية وهي الرديئة المغشوشة ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ قيل هو تبديلهم نعت النبي ﷺ وقيل تحريفهم بسوء التأويل ﴿ ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾ أي وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد ﷺ وبيان نعته ﴿ ولا تزال ﴾ يامحمد ﴿ تطلع على خائنة منهم ﴾ أي على خيانة فاعلة بمعنى المصدر كالكاذبة واللاغية ، وقيل هو بمعنى الفاعل والهاء المبالغة مثل راوية ونسابة وعلامة وحسابة ، وقيل على فرقة خائنة . قال ابن عباس رضي الله عنهما : على خائنة أي على معصية وكانت خيانتهم نقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله ﷺ وهمهم بقتله وسمه

(إن الله يحب المحسنين) يعني به الصفح عمن أساء اليك وقال قتادة هذه الآية فاعف عنهم واصفح منسوخة بقوله (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الآية .

وقوله تعالى (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم) أي ومن الذين ادعوا لانفسهم أنهم نصارى متابعون المسيح بن مريم عليه السلام وليسوا كذلك أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول ﷺ ومناصرته وموازرته واقتفاء آثاره وعلى الايمان بكل نبي يرسله الله الى أهل الارض ففعلوا كما فعل اليهود خالفوا المواثيق ونقضوا العهود ولهذا قال تعالى (فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامه) أي فألقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم بعضا ولا يزالون كذلك الى قيام الساعة ولذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لايزالون متباغضين متعادين يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضاً فكل فرقة تحرم الاخرى ولاتدعها تلج معبدها فالملكية تكفر اليعقوبية وكذلك الآخرون وكذلك النسطورية والآريوسية كل طائفة تكفر الاخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ثم قال (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) وهذا تهديد ووعيد أكيد للنصارى على ما ارتكبوه من الكذب على الله وعلى رسوله ومانسبوه الى الرب عز وجل وتعالى وتقدس عن قولهم علواً كبيراً من جعلهم له صاحبة وولدا تعالى الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

يأهل الكتب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتب ويعفوا

ونحوهما من خياناتهم التى ظهرت منهم ﴿ إلا قليلا منهم ﴾ لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم الذين أسلموا من أهل الكتاب ﴿ فاعف عنهم واصفح ﴾ أي أعرض عنهم ولا تتعرض لهم ﴿ إن الله يحب المحسنين ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف

قوله عز وجل ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم ﴾ قيل أراد بهم اليهود والنصارى فاكتفى بذكر أحدهما والصحيح أن الآية في النصارى خاصة لأنه قد تقدم ذكر اليهود . وقال الحسن فيه دليل على أنهم نصارى بتسميتهم لابتسمية الله تعالى أخذنا ميثاقهم في التوحيد والنبوة ﴿ فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ بالاهواء المختلفة والجدال في الدين قال مجاهد وقتادة : يعني بين اليهود والنصارى . وقال الربيع هم النصارى وحدهم صاروا فرقا منهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية وكل فرقة تكفر الاخرى ﴿ وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ في الآخرة

قوله عز وجل ﴿ ياأهل الكتاب ﴾ يريد ياأهل الكتابين ﴿ قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ أي من التوراة والانجيل مثل صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغير ذلك ﴿ ويعفو

عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتب مبين (١٥) يهدي به الله من اتبع رضونه سبل السلم ويخرجهم من الظلمت إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صرط مستقيم (١٦)

يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة أنه قد أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق الى جميع أهل الارض عربهم وعجمهم أميهم وكتابيهم وأنه بعثه بالبينات والفرق بين الحق والباطل فقال تعالى (ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير) أي يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه وافتروا على الله فيه ويسكت عن كثير مما غيروه ولافائدة في بيانه وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لايحتسب قوله (ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب) فكان الرجم مما أخفوه ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم فقال (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) أي طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة (ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) أي ينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أبين المسالك فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أحب الامور، وينفي عنهم الضلالة ويرشدهم الى أقوم حالة

لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الارض جميعاً؟ ولله ملك السموت والارض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير (١٧) وقالت اليهود والنصرى نحن ابنـؤا الله وأحبـؤه

عن كثير﴾ أي يعرض عن كثير مما أخفيتم فلا يتعرض له ولايؤاخذكم به ﴿قد جاءكم من الله نور﴾ يعني محمداً ﷺ وقيل الاسلام ﴿وكتاب مبين﴾ أي بين وقيل مبين وهو القرآن ﴿يهدي به الله من اتبع رضوانه﴾ رضاه ﴿سبل السلام﴾ قيل السلام هو الله عز وجل وسبيله دينه الذي شرع لعباده وبعث به رسله. وقيل السلام هو السلامة كاللذاذ واللذاذة بمعنى واحد والمراد به طرق السلامة ﴿ويخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ أي من ظلمات الكفر إلى نور الايمان ﴿باذنه﴾ بتوفيقه وهدايته ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ وهو الاسلام

قوله تبارك وتعالى ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ وهم اليعقوبية من النصارى يقولون المسيح هو الله تعالى ﴿قل فمن يملك من الله شيئاً﴾ أي من يقدر أن يدفع من أمر

قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء . ولله ملك السموٰت والارض وما بينهما وإليه المصير (١٨)

يقول تعالى مخبراً وحاكيا بكفر النصاري في ادعائهم في المسيح بن مريم وهو عبد من عباد الله وخلق من خلقه أنه هو الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ثم قال مخبراً عن قدرته على الاشياء و كونها تحت قهره وسلطانه (قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد ان يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الارض جميعا) أي لو أراد ذلك فمن ذا الذي كان يمنعه منه أو من ذا الذي يقدر على صرفه عن ذلك ثم قال (ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء) أي جميع الموجودات ملكه وخلقه وهو القادر على مايشاء لا يسئل عما يفعل بقدرته وسلطانه وعدله وعظمته وهذا رد على النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة

ثم قال تعالى راداً على اليهود والنصارى في كذبهم وافترائهم (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) أي نحن منتسبون الى أنبيائه وهم بنوه وله بهم عناية وهو يحبنا ونقلوا عن كتابهم ان الله تعالى قال لعبده اسرائيل أنت ابني بكري فحملوا هذا على غير تأويله وحرفوه . وقد رد عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم وقالوا هذا يطلق عندهم على التشريف والاكرام كما نقل النصارى عن كتابهم أن عيسى قال لهم اني ذاهب الى أبي وأبيكم يعني ربي وربكم ومعلوم انهم لم يدعوا لانفسهم من البنوة ما ادعوها في عيسى عليه السلام وإنما أرادوا من ذلك معزتهم لديه وحظوتهم عنده ولهذا قالوا نحن أبناء الله واحباؤه

قال الله تعالى راداً عليهم (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) أي لو كنتم كما تدعون ابناؤه وأحباؤه فلم أعددت لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافترائكم؟ وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه فلم يرد عليه فتلا عليه الصوفي هذه الآية قل فلم يعذبكم بذنوبكم وهذا الذي قاله حسن وله شاهد في المسند للامام أحمد حيث قال حدثنا ابن ابي عدي عن حميد عن أنس قال مر النبي ﷺ في نفر من أصحابه وصبي في الطريق فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فاقبلت تسعى وتقول ابني ابني وسعت فاخذته فقال القوم يارسول الله ماكانت هذه لتلقي ولدها في النار قال فخفظهم[1] النبي ﷺ فقال « لا

[1] كذا وفى الازهرية: فخفضهم

الله شيئا اذا قضاه ﴿ إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الارض جميعاً ، ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير * وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ قيل أرادوا أن الله تعالى لنا كالاب في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة . وقال ابراهيم النخعي : إن اليهود وجدوا في التوراة : ياأبناء أحباري . فبدلوا ياأبناء أبكاري فمن ذلك قالوا نحن أبناء الله ، وقيل معناه نحن أبناء الله ، يعني أبناء رسل الله . قوله تعالى ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾ يريد إن كان الأمر كما زعمتم أنكم أبناؤه وأحباؤه فان الاب لا يعذب ولده ،

والله مايلقي حبيبه في النار» تفرد به أحمد (بل أنتم بشر ممن خلق) أي لكم اسوة أمثالكم من بني دم وهو سبحانه الحاكم في جميع عباده (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) أي هو فعال لما يريد لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب (ولله ملك السموات والارض ومابينهما) أي الجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه (واليه المصير) أي المرجع والمآب اليه فيحكم في عباده مايشاء وهو العادل الذي لا يجور وروى محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال وأتى رسول الله ﷺ نعمان بن آصا وبحرى بن عمرو وشاس بن عدى فكلموه وكلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ماتخوفنا يامحمد نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى فانزل الله فيهم (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) الى آخر الآية رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ورويا أيضاً من طريق اسباط عن السدى في قول الله (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) أما قولهم (نحن أبناء الله) فانهم قالوا ان الله أوحي الى اسرائيل أن ولدك بكري من الولد فيدخلهم النار فيكونون فيها أربعين ليلة حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادى مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل فاخرجوهم فذلك قولهم لن تمسنا النار الا أياماً معدودات

يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير (١٩)

يقول تعالى مخاطبا أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنه قد أرسل اليهم رسوله محمداً ﷺ خاتم النبيين الذي لانبي بعده ولارسول بل هو المعقب لجميعهم ولهذا قال على فترة من الرسل أى بعد مدة متطاولة مابين ارساله وعيسى بن مريم وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هي فقال أبو عثمان النهدي وقتادة في رواية عنه كانت ستمائة سنة ورواه البخاري عن سلمان الفارسي وعن قتادة خمسمائة وستون سنة وقال معمر عن بعض أصحابه خمسمائة وأربعون سنة وقال الضحاك أربعمائة وبضع وثلاثون سنة وذكر ابن عساكر في ترجمة عيسى عليه السلام عن الشعبي أنه قال ومن رفع المسيح الى هجرة النبي ﷺ تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة والمشهور هو القول الاول وهو انها ستمائة سنة ومنهم من يقول ستمائة وعشرون سنة ولامنافاة بينهما فان القائل الاول أراد ستمائة سنة شمسية والآخر أراد قمرية وبين كل مائة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين ولهذا قال تعالى في قصة أهل الكهف (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين

والحبيب لايعذب حبيبه وأنتم مقرون أنه معذبكم وقيل (فلم يعذبكم) أي لم عذب من قبلكم بذنوبهم فمسخهم قردة وخنازير ﴿بل أنتم بشر ممن خلق﴾ كسائر بني آدم مجزيون بالاساءة والاحسان ﴿يغفر لمن يشاء﴾ فضلا ﴿ويعذب من يشاء﴾ عدلا ﴿ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير * يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ محمد ﷺ ﴿يبين لكم﴾ اعلام الهدى وشرائع الدين ﴿على فترة

وازدادوا تسعا) أي قمرية لتكميل ثلاثمائة الشمسية، التي كانت معلومة لاهل الكتاب[١] وكانت الفترة بين عيسى بن مريم آخر أنبياء بني اسرائيل وبين محمد خاتم النبيين من بني آدم على الاطلاق كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (أن أولى الناس بابن مريم لأنا ليس بيني وبينه نبي) وهذا فيه رد على من زعم انه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد بن سنان كما حكاه القضاعي وغيره والمقصود ان الله بعث محمدا ﷺ على فترة من الرسل، وطموس من السبل، وتغير الاديان، وكثرة عبادة الاوثان والنيران والصلبان، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة اليه أمر عمم، فان الفساد كان قد عم جميع البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد، الا قليلا من المتمسكين ببقايا من دين الانبياء الاقدمين، من بعض احبار اليهود وعباد النصارى والصابئين، كما قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام حدثنا قتادة عن مطرف عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه ان النبي ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته «وان ربي أمرني أن اعلمكم مما جهلتم مما علمني في يومي هذا كل مال نحلته عبادي حلال، واني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وان الشياطين أتتهم فاضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا، ثم ان الله عز وجل نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من بني اسرائيل وقال انما بعثتك لابتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظانا، ثم ان الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت يارب اذن يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة فقال استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وانفق عليهم فسننفق عليك، وابعث جيشا نبعث خمسة أمثاله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط موفق متصدق، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم، ورجل عفيف فقير ذو عيال متصدق، وأهل النار خمسة الضعيف الذي لادين له، والذين هم فيكم تبع أو تبعا - شك يحيى - لا يبتغون أهلا ولا مالا، والخائن الذي لا يخفى له طمع وان دق الاخانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك. وذكر البخل او الكذب والشنظير[٢] الفاحش» ثم رواه الامام احمد ومسلم والنسائي من غير وجه عن قتادة عن مطرف بن عبدالله بن الشخير وفي رواية شعبة عن قتادة التصريح بسماع قتادة هذا الحديث من مطرف وقد ذكر الامام احمد في مسنده ان قتادة لم يسمعه من مطرف وانما سمعه من أربعة عنه ثم رواه هو عن روح عن عوف عن حكيم الاثرم عن الحسن قال حدثني مطرف عن عياض بن حماد فذكره ورواه النسائي من حديث غندر عن عوف الاعرابي به والمقصود من ايراد هذا الحديث قوله «وان الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عجمهم وعربهم الا بقايا من بني اسرائيل» وفي لفظ مسلم من أهل الكتاب فكان الدين قد التبس على أهل الارض كلهم حتى بعث الله محمدا ﷺ فهدى

(١) التحقيق الموافق للحساب الفلكي ان الهجرة النبوية كانت سنة ٦٢٢ لميلاد المسيح والبعثة كانت قبل الهجرة بعشر سنين باعتبار التبليغ فهذا قريب مما اعتمده المؤلف

(٢) هو بالشين والظاء المعجمتين وفسر بالفحاش وسيء الخلق

من الرسل ﴾ أي انقطاع من الرسل واختلفوا في مدة الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ. قال أبو عثمان النهدي: ستمائة سنة، وقال قتادة: خمسمائة وستون سنة، وقال معمر والكلبي خمسمائة وأربعون سنة. وسميت فترة لان الرسل كانت تترى بعد موسى عليه السلام من غير انقطاع الى زمن

الخلائق وأخرجهم الله به من الظلمات الى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء ولهذا قال تعالى (أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير) أي لئلا تحتجوا وتقولوا يا أيها الذين بدلوا دينهم وغيروه ماجاءنا من رسول يبشر بالخير وينذر من الشر فقد جاءكم بشير ونذير يعني محمدا ﷺ (والله على كل شيء قدير) قال ابن جرير معناه اني قادر على عقاب من عصاني وثواب من أطاعني

وإذ قال موسى لقومه يقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتكم مالم يؤت أحداً من العلمين (٢٠) يقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خسرين (٢١) قالوا يموسى إن فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا دخلون (٢٢) قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غلبون، وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين (٢٣) قالوا يموسى انا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقتلا انا ههنا قعدون (٢٤) قال ربي اني لاأملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفسقين (٢٥) قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفسقين (٢٦)

يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام فيما ذكر به قومه نعم الله عليهم وآلائه لديهم في جمعه لهم خير الدنيا والآخرة لو استقاموا على طريقتهم المستقيمة فقال تعالى

عيسى عليه السلام ولم يكن بعد عيسى عليه السلام سوى رسولنا ﷺ ﴿ أن تقولوا ﴾ كيلا تقولوا ﴿ ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير ﴾

قوله عز وجل ﴿ وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء ﴾ أي منكم أنبياء ﴿ وجعلكم ملوكا ﴾ أي فيكم ملوكا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني أصحاب خدم وحشم قال قتادة: كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم. وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «كان بنو اسرائيل اذا كان لأحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا» وقال أبو عبدالله الحبلي سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي اليها؟ قال نعم، قال ألك مسكن تسكنه؟ قال نعم

(واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء) أى كلما هلك نبي قام فيكم نبي من لدن أبيكم ابراهيم الى من بعده وكذلك كانوا لايزال فيهم الانبياء يدعون الى الله ويحذرون نقمته حتى ختموا بعيسى بن مريم عليه السلام ثم أوحى الله الى خاتم الانبياء والرسل على الاطلاق محمد بن عبد الله المنسوب الى اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام وهو أشرف من كل من تقدمه منهم ﷺ وقوله (وجعلكم ملوكا) قال عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن الحكم أو غيره عن ابن عباس في قوله وجعلكم ملوكا قال الخادم والمرأة والبيت وروي الحاكم في مستدركه من حديث الثوري أيضا عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال المرأة والخادم (وآتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين) قال الذين هم بين ظهرانيهم يومئذ ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وروى ميمون ابن مهران عن ابن عباس قال كان الرجل من بني اسرائيل اذا كان له الزوجة والخادم والدار سمي ملكا وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الاعلى انبأنا ابن وهب أنبأنا أبو هاني، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال السنا من فقراء المهاجرين فقال عبد الله ألك امرأة تأوي اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم ،قال فأنت من الاغنياء . فقال ان لي خادما قال فأنت من الملوك وقال الحسن البصري هل الملك الا مركب وخادم ودار رواه ابن جرير ، ثم روى عن الحكم ومجاهد ومنصور وسفيان الثوري نحوا من هذا وحكاه ابن أبي حاتم عن ميمون بن مهران وقال ابن شوذب كان الرجل من بني اسرائيل اذا كان له منزل وخادم واستؤذن عليه فهو ملك ، وقال قتادة كانوا أول من اتخذ الخدم وقال السدي في قوله (وجعلكم ملوكا) قال يملك الرجل منكم نفسه وماله وأهله رواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم ذكر عن ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم ودابة وامرأة كتب ملكا وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقال ابن جرير حدثنا الزبير بن بكار حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض سمعت زيد بن أسلم يقول وجعلكم ملوكا فلا أعلم الا انه قال قال رسول الله ﷺ من كان له بيت وخادم فهو ملك

قال فأنت من الاغنياء ، قال فان لي خادما ، قال فأنت من الملوك . قال السدي (وجعلكم ملوكا) أحراراً تملكون أمر أنفسكم بعد ما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم . وقال الضحاك : كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ، فمن كان مسكنه واسعاً وفيه نهر جار فهو ملك ﴿ وآتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين ﴾ يعني عالمي زمانكم . قال مجاهد : يعني المن والسلوى والحجر وتظليل الغمام

قوله تعالى ﴿ ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ﴾ اختلفوا في الارض المقدسة قال مجاهد : هي الطور وما حوله . وقال الضحاك : إيليا وبيت المقدس . وقال عكرمة والسدي : هي أريحاء . وقال الكلبي : هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن . وقال قتادة : هي الشام كلها . قال كعب : وجدت في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده . قوله عز

وهذا مرسل غريب . وقال مالك : بيت وخادم وزوجة[1] وقد ورد في الحديث « من أصبح منكم معافىً في جسده آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» وقوله (وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين) يعني عالمي زمانكم فانهم كانوا أشرف الناس في زمانهم من اليونان والقبط وسائر أصناف بني آدم كما قال (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين)وقال تعالى اخبارا عن موسى لما قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة (قال انكم قوم تجهلون * ان هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون * قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين) والمقصود انهم كانوا أفضل أهل زمانهم والا فهذه الامة أشرف منهم وأفضل عندالله وأكمل شريعة وأقوم منهاجا وأكرم نبيا وأعظم ملكا وأغزر أرزاقا وأكثر أموالا واولادا وأوسع مملكة وأدوم عزا قال الله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) وقد ذكرنا الاحاديث المتواترة في فضل هذه الامة وشرفها وكرمها عندالله عندقوله تعالى (كنتم خير أمة اخرجت للناس) من سورة آل عمران، وروى ابن جرير عن ابن عباس وأبي مالك وسعيد بن جبير انهم قالوا في قوله (وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين) يعني أمة محمد ﷺ فكأنهم أرادوا ان هذا الخطاب في قوله (وآتاكم مالم يؤت أحدا) مع هذه الامة والجمهور على انه خطاب من موسى لقومه وهو محمول على عالمي زمانهم كما قدمنا. وقيل المراد وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين يعني بذلك ماكان تعالى نزله عليهم من المن والسلوى ويظللهم به من الغمام وغير ذلك مما كان تعالى يخصهم به من خوارق العادات فالله أعلم

ثم قال تعالى مخبرا عن تحريض موسى عليه السلام لبني اسرائيل على الجهاد والدخول الى بيت المقدس الذي كان بايديهم في زمان أبيهم يعقوب لما ارتحل هو وبنوه وأهله الى بلاد مصر أيام يوسف عليه السلام ثم لم يزالوا بها حتى خرجوا مع موسى فوجدوا فيها قوما من العمالقة الجبارين قد استحوذوا عليها وتملكوها فامرهم رسول الله موسى عليه السلام بالدخول اليها وبقتال اعدائهم وبشرهم بالنصرة والظفر عليهم فنكلوا

وجل (كتب الله لكم) يعني كتب في اللوح المحفوظ أنها مساكن لكم . وقال ابن اسحاق : وهب الله لكم ، وقيل جعلها لكم . وقال السدي : أمركم الله بدخولها . وقال قتادة : أمروا بها كما أمروا بالصلاة أي فرض عليكم ﴿ ولا ترتدوا على أدباركم ﴾ أعقابكم بخلاف أمر الله ﴿ فتنقلبوا خاسرين ﴾ قال الكلبي : صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان فقيل له انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك ﴿ قالوا ياموسى إن فيها قوما جبارين ﴾ وذلك أن النقباء الذين خرجوا يتجسسون الاخبار لما رجعوا إلى موسى وأخبروه بما عاينوا . قال لهم موسى «اكتموا شأنهم ولا تخبروا به أحداً من أهل العسكر فيفشلوا » فأخبر كل رجل منهم قريبه وابن عمه إلا رجلان وفيا بما قال لهما موسى أحدهما يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف عليهم السلام فتى موسى ، والآخر كالب بن يوفنا ختن

---

(١) سقط هذا الاثر من النسخة المطبوعة

وعصوا وخالفوا أمره فعوقبوا بالذهاب في التيه والتمادي في سيرهم حائرين لا يدرون كيف يتوجهون فيه الى مقصد مدة أربعين سنة عقوبة لهم على تفريطهم في أمر الله تعالى . فقال تعالى مخبرا عن موسى انه قال ياقوم ادخلوا الارض المقدسة اى المطهرة وقال سفيان الثوري عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ادخلوا الارض المقدسة قال هي الطور وما حوله وكذا قال مجاهد وغير واحد وروى سفيان الثوري عن أبي سعد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هي أريحاء وكذا ذكر عن غير واحد من المفسرين وفي هذا نظر لان اريحاء ليست هي المقصودة بالفتح ولا كانت في طريقهم الى بيت المقدس وقد قدموا من بلاد مصر حين اهلك الله عدوهم فرعون اللهم الا ان يكون المراد بأريحاء أرض بيت المقدس كما قاله السدي فيما رواه ابن جرير عنه لا أن المراد بها هذه البلدة المعروفة في طرف الطور شرقي بيت المقدس

وقوله تعالى (التي كتب الله لكم) أي التي وعدكموها الله على لسان أبيكم اسرائيل انه وراثة من آمن منكم (ولا ترتدوا على ادباركم) اي ولا تنكلوا عن الجهاد (فتنقلبوا خاسرين* قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون) أي اعتذروا بأن في هذه البلدة التي امرتنا بدخولها وقتال اهلها قوما جبارين اي ذوي خلق هائلة وقوى شديدة، وانا لا نقدر على مقاومتهم ولا مصاولتهم ولا يمكننا الدخول اليها ماداموا فيها فان يخرجوا منها دخلناها والا فلا طاقة لنا بهم . وقد قال ابن جرير حدثني عبدالكريم بن الهيثم حدثنا ابراهيم بن بشار حدثنا سفيان قال قال ابو سعيد قال عكرمة عن ابن عباس قال امر موسى ان يدخل مدينة الجبارين قال فسار موسى بمن معه حتى نزل قريبا من المدينة وهي أريحاء فبعث اليهم اثنى عشر عينا من كل سبط منهم عين ليأتوه بخبر القوم قال فدخلوا المدينة فرأوا أمرا عظيم من هيئتهم وجسمهم وعظمهم فدخلوا حائطا لبعضهم فجاء صاحب الحائط ليجتني الثمار من حائطه فجعل يجتني الثمار وينظر الى آثارهم فتبعهم فكلما أصاب واحدا منهم اخذه فجعله في كمه مع الفاكهة حتى التقط الاثنى عشر كلهم فجعلهم في كمه مع الفاكهة وذهب بهم الى ملكهم فنثرهم بين يديه ، فقال لهم الملك قد رأيتم شأننا وأمرنا فاذهبوا فاخبروا صاحبكم قال فرجعوا الى موسى فاخبروه بما عاينوا من أمرهم . وفي هذا الاسناد نظر[1] وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لما نزل موسى وقومه بعث منهم اثني عشر رجلا وهم النقباء الذين ذكرهم الله فبعثهم ليأتوه بخبرهم فساروا فلقيهم رجل من الجبارين فجعلهم في كسائه فحملهم حتى أتى

(١) والمتن خرافة اسرائيلية

موسى عليه السلام على أخته مريم بنت عمران وكان من سبط يهودا وهما من النقباء فعلمت جماعة من بني اسرائيل ذلك ورفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ياليتنا متنا في أرض مصر ، أو ليتنا نموت في هذه البرية ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأثقالنا غنيمة لهم وجعل الرجل يقول لصاحبه تعال نجعل علينا رأساً وننصرف إلى مصر فذلك قوله تعالى اخباراً عنهم (قالوا ياموسى إن فيها قوما جبارين ﴿ وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون ﴾ أصل الجبار

بهم المدينة ونادى في قومه فاجتمعوا اليه فقالوا من أنتم قالوا نحن قوم موسى بعثنا نأتيه بخبركم فاعطوهم حبة من عنب تكفي الرجل فقالوا لهم اذهبوا الى موسى وقومه فقولوا لهم هذا قدر فاكهتهم، فرجعوا الى موسى فاخبروه بما رأوا فلما أمرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم وقتالهم قالوا ياموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون. رواه ابن أبي حاتم ثم قال حدثنا أبي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا يحيى بن أيوب عن يزيد بن الهاد حدثني يحيى بن عبد الرحمن قال رأيت أنس بن مالك أخذ عصا فذرع فيها شيء لا ادري كم ذرع ثم قاس بها في الارض خمسين او خمسا وخمسين ثم قال هكذا طول العماليق

وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا أخباراً من وضع بني اسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين وأن منهم عوج بن عنق بنت آدم عليه السلام وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعا وثلث ذراع تحرير الحساب وهذا شيء يستحي من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن » ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافراً وأنه كان ولد زنية وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته . وهذا كذب وافتراء . فان الله تعالى ذكر أن نوحا دعا على أهل الارض من الكافرين فقال (رب لاتذر على الارض من الكافرين دياراً) وقال تعالى (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ، ثم أغرقنا بعد الباقين) وقال تعالى (لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) واذا كان ابن نوح الكافر غرق فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر وولد زنية ؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع ، ثم في وجود رجل يقال له عوج بن عنق نظر والله أعلم [1]

وقوله تعالى (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما) أي فلما نكل بنو اسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسول الله موسى ﷺ حرضهم رجلان لله عليهما نعمة عظيمة وهما ممن يخاف أمر الله ويخشى عقابه ، وقرأ بعضهم (قال رجلان من الذين يخافون) أي ممن لهما مهابة وموضع من الناس ويقال إنهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا . قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدي والربيع بن أنس وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله فقالا (ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون * وعلى

المتعظم الممتنع عن القهر يقال نخلة جبارة اذا كانت طويلة ممتنعة عن وصول الايدي اليها وسمى أولئك القوم جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة أجسادهم وكانوا من العمالقة وبقية قوم عاد ، فلما قال بنو اسرائيل ماقالوا وهموا بالانصراف إلى مصر خر موسى وهرون ساجدين . وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبر الله تعالى عنهما في قوله ﴿ قال رجلان من الذين يخافون ﴾ أي يخافون الله تعالى، وقرأ سعيد بن جبير يخافون بضم الياء وقال الرجلان من الجبارين فأسلما واتبعا موسى ﴿ أنعم الله عليهما ﴾ بالتوفيق والعصمة قالا ﴿ ادخلوا عليهم الباب ﴾ يعني قرية الجبارين ﴿ فاذا دخلتموه فانكم غالبون ﴾ لأن الله منجز وعده وإنا رأيناهم فكانت أجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم ﴿ وعلى

(١) هو ملك باشان ذكر في سفري العدد والتثنية من التوراة وسفر يشوع وقد انهزم في معركة وقتل هو وأولاده واقتسم بنو إسرائيل مدنه الستون المحصنة اه من قاموس الكتاب المقدس . وذكر أن معنى اسمه الاعوج أو المائل . وقال الفيروز آبادي هو عوج بن عوق بضم العين فيهما

الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) أي إن توكلتم على الله واتبعتم أمره ووافقتم رسوله نصركم الله على أعدائكم وأيدكم وظفركم بهم ودخلتم البلد التي كتبها الله لكم فلم ينفع ذلك فيهم شيئاً (قالوا ياموسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) وهذا نكول منهم عن الجهاد ومخالفة لرسولهم ، وتخلف عن مقاتلة الاعداء . ويقال إنهم لما نكلوا عن الجهاد وعزموا على الانصراف والرجوع إلى مصر سجد موسى وهارون عليهما السلام قدام ملأ من بني اسرائيل إعظاما لما هموا به وشق يوشع بن نون وكالب بن يوفنا[1] ثيابهما ولاما قومهما على ذلك فيقال إنهم رجموهما ، وجرى أمر عظيم وخطر جليل وما أحسن ما أجاب به الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر رسول الله ﷺ حين استشارهم في قتال النفير الذين جاؤا لمنع العير الذي كان مع أبي سفيان ، فلما فات اقتناص العير واقترب منهم النفير وهم في جمع ما بين التسعمائة إلى الالف في العدة والبيض واليلب فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فأحسن ، ثم تكلم من تكلم من الصحابة من المهاجرين ورسول الله ﷺ يقول « أشيروا عليّ أيها المسلمون » وما يقول ذلك إلا ليستعلم ما عند الانصار لانهم كانوا جمهور الناس يومئذ . فقال سعد بن معاذ : كأنك تعرض بنا يارسول الله ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب صدق[2] في اللقاء ، لعل الله أن يريك منا ماتقر به عينك فسر بنا على بركة الله . فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك . وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو حاتم الرازي حدثنا محمد بن عبدالله الانصاري حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر استشار المسلمين فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم فقالت الانصار : يامعشر الانصار إياكم يريد رسول الله ﷺ قالوا : إذاً لانقول له كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) والذي بعثك بالحق لو ضربت اكبادها الى برك الغماد لاتبعناك ورواه الامام احمد عن عبيدة بن حميد عن حميد الطويل عن انس به ورواه النسائي عن محمد بن المثنى عن خالد بن الحارث عن حميد به ورواه ابن حبان عن أبي يعلى عن عبد الاعلى بن حماد عن معمر بن سليمان عن حميد به وقال ابن مردويه أنا عبدالله بن جعفر أنا اسماعيل بن عبدالله ثنا عبدالرحمن بن ابراهيم ثنا محمد بن شعيب عن الحكم بن أيوب عن عبدالله بن ناسخ عن عتبة بن عبيد السلمي قال قال النبي ﷺ لاصحابه « ألا تقاتلون؟ قالوا نعم ولا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى

[1] وفي الازهرية : يوقنا بالقاف . وضبط في سفر العدد يفنه بفتح الياء وضم الفاء وتشديد النون

[2] «٢» صبر وصدق بضمتين فيهما جمع صبور وصدوق

الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ فأراد بنو اسرائيل أن يرجموها بالحجارة وعصوها ﴿ قالوا ياموسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا أبو نعيم أنا اسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال : سمعت ابن مسعود يقول : لقد شهدت من المقداد بن الاسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما عدل به : أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال :

(اذهب انت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون .
وكان ممن أجاب يومئذ المقداد بن عمرو الكندي رضي الله عنه كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع ثنى سفيان عن مخارق بن عبد الله الاحمسي عن طارق هو ابن شهاب أن المقداد قال لرسول الله ﷺ يوم بدر يارسول الله إنا لانقول لك كما قالت بني اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . هكذا رواه أحمد من هذا الوجه . وقد رواه من طريق أخرى فقال : حدثنا أسود بن عامر حدثنا اسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : لقد شهدت من المقداد مشهداً لا ن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما عدل به : أتى رسول الله ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال : والله يارسول الله لانقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك ، فرأيت وجه رسول الله ﷺ يشرق لذلك وسر بذلك . وهكذا رواه البخاري في المغازي . وفي التفسير من طرق عن مخارق به ولفظه في كتاب التفسير عن عبد الله قال قال المقداد يوم بدر يارسول الله : لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن امض ونحن معك. فكأنه سرّي عن رسول الله ﷺ ، ثم قال البخاري رواه وكيع عن سفيان عن مخارق عن طارق أن المقداد قال للنبي ﷺ وقال ابن جرير : حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم الحديبية حين صد المشركون الهدى وحيل بينهم وبين مناسكهم « اني ذاهب بالهدي فناحره عند البيت » فقال له المقداد بن الاسود : أما والله لانكون كالملأ من بني اسرائيل إذ قالوا لنبيهم (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فلما سمعها أصحاب رسول الله ﷺ تتابعوا على ذلك ، وهذا إن كان محفوظاً يوم الحديبية فيحتمل أنه كرر هذه المقالة يومئذ كما قاله يوم بدر .

وقوله (قال رب اني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) يعني لما نكل بنو اسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عليه السلام .وقال داعياً عليهم (رب اني لا أملك إلا نفسي وأخي) أي ليس أحد يطيعني منهم فيمتثل أمر الله ويجيب إلى مادعوت إليه إلا أنا وأخي هارون

لانقول كما قال قوم موسى عليه السلام : اذهب أنت وربك فقاتلا ، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ، وبين يديك ومن خلفك ، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره ماقال . فلما فعلت بنو اسرائيل مافعلت من مخالفتهم أمر ربهم وهمهم بيوشع وكالب غضب موسى عليه السلام ودعا عليهم ﴿ قال ربي اني لا أملك إلا نفسي وأخي ﴾ قيل معناه لايملك إلا نفسه ، وقيل معناه لايطيعني إلا نفسي وأخي ﴿ فافرق ﴾ فافصل ﴿ بيننا ﴾ وقيل فاقض بيننا ﴿ وبين القوم الفاسقين ﴾ العاصين ﴿ قال ﴾

(فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) قال العوفي عن ابن عباس يعني اقض بيني وبينهم . وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذا قال الضحاك أقض بيننا وبينهم وافتح بيننا وبينهم وقال غيره افرق افصل بيننا وبينهم كما قال الشاعر

يارب فافرق بينه وبيني أشد مافرقت بين اثنين

وقوله تعالى (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض) الآية . لما دعا عليهم موسى عليه السلام حين نكلوا عن الجهاد حكم الله بتحريم دخولها عليهم قدر مدة أربعين سنة فوقعوا في التيه يسيرون دائماً لايهتدون للخروج منه وفيه كانت أمور عجيبة وخوارق كثيرة من تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم ، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل معهم على دابة ، فاذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنا عشرة عيناً تجري لكل شعب عين ، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسى بن عمران. وهناك نزلت التوراة وشرعت لهم الاحكام ، وعملت قبة العهد ويقال لها قبة الزمان قال يزيد بن هارون عن أصبع بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد ابن جبير سألت ابن عباس عن قوله (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض) الآية . قال فتاهوا في الارض أربعين سنة يصبحون كل يوم يسيرون ليس لهم قرار ، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسلوى وهذا قطعة من حديث الفتون ، ثم كانت وفاة هارون عليه السلام ، ثم بعده بمدة ثلاث سنين وفاة موسى الكليم عليه السلام ، وأقام الله فيهم يوشع بن نون عليه السلام نبياً خليفة عن موسى بن عمران ومات أكثر بني اسرائيل هناك في تلك المدة ، ويقال إنه لم يبق منهم أحد سوى يوشع وكالب ومن ههنا قال بعض المفسرين في قوله (قال فانها محرمة عليهم) هذا وقف تام وقوله (أربعين سنة) منصوب بقوله (يتيهون في الارض) فلما انقضت المدة خرج بهم يوشع بن نون عليه السلام أو بمن بقي منهم وبسائر بني اسرائيل من الجيل الثاني فقصد بهم بيت المقدس فحاصرها فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر ، فلما تضيفت الشمس للغروب وخشي دخول السبت عليهم قال: إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي . فحبسها الله تعالى حتى فتحها [1] وأمر الله يوشع بن نون أن يأمر بني اسرائيل حين يدخلون بيت المقدس أن يدخلوا بابها سجداً وهم يقولون حطة أي حط عنا ذنوبنا فبدلوا ما أمروا به ودخلوا يزحفون على أستاههم وهم يقولون حبة في شعرة ، وقد تقدم هذا كله في سورة البقرة

(١) هذه خارقة مأخوذة من سفر يوشع بالمعنى ولا يصح فيها خبر عندنا

الله تعالى ﴿ فانها محرمة عليهم ﴾ قيل ههنا تم الكلام معناه تلك البلد محرمة عليهم أبداً لم يرد به تحريم تعبد وإنما أراد تحريم منع ، فأوحى الله تعالى إلى موسى لأحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب ولأتيهنهم في هذه البرية ﴿ أربعين سنة ﴾ مكان كل يوم من الايام التي تجسسوا فيها سنة ولألقين جيفهم في هذه القفار ، وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي عمر العدي حدثنا سفيان عن أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قوله (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض) قال فتاهوا أربعين سنة قال فهلك موسى وهارون في التيه وكل من جاوز الاربعين سنة ، فلما مضت الاربعون سنة ناهضهم يوشع بن نون وهو الذي قام بالامر بعد موسى وهو الذي افتتحها وهو الذي قيل له اليوم يوم الجمعة فهموا بافتتاحها ودنت الشمس للغروب فخشي إن دخلت ليلة السبت أن يسبتوا فنادى الشمس اني مأمور وانك مأمورة فوقفت حتى افتتحها فوجد فيها من الاموال مالم ير مثله قط فقربوه إلى النار فلم تأته فقال فيكم الغلول فدعا رءوس الاسباط وهم اثنا عشر رجلا فبايعهم والتصقت يد رجل منهم بيده فقال : الغلول عندك فأخرجه فأخرج رأس بقرة من ذهب لها عينان من ياقوت وأسنان من لؤلؤ فوضعه مع القربان فأتت النار فأكلتها وهذا السياق له شاهد في الصحيح ، وقد اختار ابن جرير أن قوله (فأنها محرمة عليهم) هو العامل في أربعين سنة وأنهم مكثوا لا يدخلونها أربعين سنة وهم تائهون في البرية لا يهتدون لمقصد قال : ثم خرجوا مع موسى عليه السلام ففتح بهم بيت المقدس ثم احتج على ذلك قال باجماع علماء أخبار الاولين أن عوج بن عنق قتله موسى عليه السلام قال : فلو كان قتله إياه قبل التيه لما رهبت بنو اسرائيل من العماليق فدل على أنه كان بعد التيه قال: وأجمعوا على أن بلعام بن باعورا أعان الجبارين بالدعاء على موسى قال وما ذاك إلا بعد التيه لأنهم كانوا قبل التيه لا يخافون من موسى وقومه ، هذا استدلاله ، ثم قال : حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عطية حدثنا قيس بن أبي اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانت عصا موسى عشرة أذرع ووثبته عشرة أذرع ، وطوله عشرة أذرع فوثب فأصاب كعب عوج فقتله فكان جسراً لأهل النيل سنة وروي أيضاً عن محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبي اسحق عن نوف هو البكالي قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع وكان طول موسى عشرة أذرع ، وعصاه عشرة أذرع ، ووثب في السماء عشرة أذرع ، فضرب عوجاً فأصاب كعبه فسقط ميتاً وكان جسراً للناس يمرون عليه ،

وقوله تعالى (فلا تأس على القوم الفاسقين) تسلية لموسى عليه السلام عنهم أي لا تأسف ولا تحزن عليهم

(فانها محرمة عليهم أربعين سنة) ﴿ يتيهون ﴾ يتحيرون ﴿ في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾ أي لا تحزن على مثل هؤلاء القوم : فلبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ وهم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يسيرون كل يوم جادين ، فاذا أمسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه ، وقيل إن موسى وهارون عليهما السلام لم يكونا فيهم والاصح أنهما كانا فيهم ولم يكن لهما عقوبة ، إنما كانت العقوبة لاولئك القوم ومات في التيه كل من دخلها ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع وكالب ولم يدخل أريحاء أحد ممن قالوا إنا لن ندخلها أبداً ، فلما هلكوا وانقضت الاربعون سنة ونشأت النواشيء من ذراريهم ساروا إلى حرب الجبارين ، واختلفوا فيمن تولى تلك الحرب وعلى يدي من كان الفتح ، فقال قوم

فيما حكمت عليهم به فانهم مستحقون ذلك . وهذه القصة تضمنت تقريع اليهود وبيان فضائحهم ومخالفتهم لله ولرسوله ونكولهم عن طاعتهما فيما أمراهم به من الجهاد فضعفت أنفسهم عن مصابرة الاعداء ومجالدتهم ومقاتلتهم مع أن بين أظهرهم رسول الله ﷺ وكليمه وصفيه من خلقه في ذلك الزمان وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم هذا مع ماشاهدوا من فعل الله بعدوهم فرعون من العذاب والنكال والغرق

إنما فتح موسى أريحاء وكان يوشع على مقدمته فسار موسى عليه السلام اليهم بمن بقي من بني اسرائيل فدخلها يوشع فقاتل الجبابرة ، ثم دخلها موسى عليه السلام فأقام فيها ماشاء الله تعالى ، ثم قبضه الله تعالى ولا يعلم قبره أحد ▪ وهذا أصح الاقاويل لاتفاق العلماء أن عوج بن عنق قتله موسى عليه السلام وقال الآخرون إنما قاتل الجبارين يوشع ولم يسر اليهم إلا بعد موت موسى عليه السلام وقالوا مات موسى وهارون جميعاً في التيه

﴿ فصل في ذكر وفاة هارون ﴾

قال السدي : أوحى الله عز وجل إلى موسى اني متوفي هارون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون عليهما السلام نحو ذلك الجبل فاذا هما بشجرة لم ير مثلها ▪ وإذا ببيت مبني وفيه سرير عليه فرش وإذا فيه ريح طيبة فلما نظر هارون إلى ذلك أعجبه فقال ياموسى إني أحب أن أنام على هذا السرير قال فنم عليه ▪ فقال إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي ، قال له موسى لا ترهب اني أكفيك أمر رب هذا البيت فنم قال ياموسى نم أنت معي فان جاء رب البيت غضب علي وعليك جميعاً ▪ فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد مسه قال ياموسى خدعتني ، فلما قبض رفع البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به إلى السماء ، فلما رجع موسى إلى بني اسرائيل وليس معه هارون قالوا ان موسى قتل هارون وحسده على حب بني اسرائيل له فقال موسى عليه وسلم : ويحكم كان أخي فكيف أقتله ؟ فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى ونزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه ▪ وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : صعد موسى وهارون عليهما السلام الجبل فمات هارون فقالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلته فآذوه فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو اسرائيل انه قد مات فبرأه الله تعالى مما قالوا . ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره أحد الا الرخم فجعله الله أصم وأبكم . وقال عمرو بن ميمون مات هارون قبل موت موسى عليه السلام في التيه كانا قد خرجا الى بعض الكهوف فمات هارون ودفنه موسى وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا قتلته لحبنا اياه وكان محبباً في بني اسرائيل ، فتضرع موسى عليه السلام الى ربه عز وجل فأوحى الله اليه أن انطلق بهم الى قبره

له ولجنوده في اليم وهم ينظرون لتقر به أعينهم وما بالعهد من قدم ، ثم ينكلون عن مقاتلة أهل بلد هي بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر المعشار في عدة أهلها وعددهم ، فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام ، وافتضحوا فضيحة لايغطيها الليل ، ولايسترها الذيل ، هذا وهم في جهلهم يعمهون ، وفي غيهم يترددون ، وهم البغضاء إلى الله وأعداؤه ، ويقولون مع ذلك نحن أبناء الله وأحباؤه ، فقبح

فاني باعثه فانطلق بهم الى قبره فناداه يا هارون فخرج من قبره ينفض رأسه فقال أنا قتلتك ؟ قال لا ولكني مت قال فعد الى مضجعك وانصرفوا

وأما وفاة موسى عليه السلام قال ابن اسحاق كان صفي الله موسى عليه الصلاة والسلام قد كره الموت وأعظمه فأراد الله أن يحبب اليه الموت فنبأ يوشع بن نون فكان يغدو ويروح عليه قال فيقول له موسى عليه السلام يانبي الله ماأحدث الله اليك فيقول له يوشع يانبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله اليك حتى تكون أنت الذي تبتديء به وتذكره ولا يذكر له شيئا ، فلما رأى ذلك كره موسى الحياة وأحب الموت . أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد ابن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « جاء ملك الموت الى موسى بن عمران فقال له أجب ربك ـ قال ـ فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها ـ قال ـ فرجع ملك الموت الى الله تعالى فقال انك أرسلتني الى عبد لك لايريد الموت وقد فقأ عيني ـ قال ـ فرد الله اليه عينه وقال ارجع الى عبدي فقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم تموت قال فالآن من قريب ، رب أدنني من الارض المقدسة رمية بحجر ـ قال رسول الله ﷺ ـ لو أني عنده لاريتكم قبره الى جنب الطريق عند الكثيب الاحمر »

وقال وهب خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبراً لم ير شيئا قط أحسن منه ، ولا مثل مافيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم ياملائكة الله لم تحفرون هذا القبر ؟ قالوا لعبد كريم على ربه ، فقال ان هذا العبد لمن الله بمنزلة مارأيت كاليوم مضجعا ، فقالت الملائكة ياصفي الله تحب أن يكون لك؟ قال وددت، قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك قال فاضطجع فيه وتوجه الى ربه ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله تبارك وتعالى روحه ثم سوت عليه الملائكة . وقيل ان ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الاربعين سنة بعث الله يوشع نبيا فأخبرهم ان الله قد أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني اسرائيل الى أريحاء ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر فلما كان السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة ودخلوا فقاتلوا الجبارين وهزموهم

الله وجوههم التي مسخ منها الخنازير والقرود ، وألزمهم لعنة تصحبهم إلى النار ذات الوقود، ويقضي لهم فيها بتأبيدالخلود، وقد فعل وله الحمد من جميع الوجود

واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين (٢٧) لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك إني أخاف الله رب العلمين (٢٨) إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحٰب النار وذلك جزاؤا الظلمين (٢٩) فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخسرين (٣٠) فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يوٰري سوءة أخيه قال يٰويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوٰري سوءة أخي فأصبح من الندمين (٣١)

يقول تعالى مبيناً وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم لصلبه في قول الجمهور وهما قابيل وهابيل كيف عدا أحدهما على الآخر فقتله بغياً عليه وحسداً له فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله عز وجل ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدارين فقال تعالى (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) أي اقصص على

وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها حتى يقطعوها فكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس علي وقال للشمس انك في طاعة الله وأنا في طاعته فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله تعالى قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيدت في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت الشام كلها لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنائم فلم تنزل النار فأوحى الله الى يوشع ان فيها غلولا فمرهم أن يبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال هلم ما عندك فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل باليواقيت والجواهر كان قد غله فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن في جبل افرائيم وكان عمره مائة وستا وعشرين سنة وتدبيره أمر بني اسرائيل من بعد موسى عليه السلام سبعا وعشرين سنة

قوله تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق ﴾ وهما هابيل وقابيل ويقال له قابين ﴿ اذ قربا قربانا ﴾ وكان سبب قربانهما على ماذكره أهل العلم ان حواء كانت تلد لآدم عليه السلام في كل بطن غلاما

هؤلاء البغاة الحسدة اخوان الخنازير والقردة من اليهود وأمثالهم وأشباههم خبر ابني آدم وهما هابيل وقابيل فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف وقوله (بالحق) أي على الجلية والامر الذي لا لبس فيه ولا كذب ولا وهم ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان كقوله تعالى (إن هذا لهو القصص الحق) وقوله (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) وقال (ذلك عيسى بن مريم قول الحق) وكان من خبرهما فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف ، أن الله تعالى شرع لآدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال ■ ولكن قالوا كان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى فكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر وكانت أخت هابيل دميمة وأخت قابيل وضيئة فأراد أن يستأثر بها على أخيه فأبى آدم ذلك إلا أن يقربا قرباناً فمن تقبل منه فهي له فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل فكان من أمرهما ماقصه الله في كتابه

﴿ ذكر أقوال المفسرين ههنا ﴾

قال السدى فيما ذكر عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من اصحاب النبي ﷺ انه كان لا يولد لآدم مولود الا ولد معه جارية فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر حتى ولد له ابنان يقال لهما هابيل وقابيل وكان قابيل صاحب زرع وكان هابيل صاحب ضرع وكان قابيل اكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هابيل وأن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل فأبى عليه وقال هي أختي ولدت معي وهي أحسن من أختك وأنا احق ان أتزوج بها فأمره أبوه أن يزوجها هابيل فابى وانهما قربا قربانا الى الله عز وجل أيهما أحق بالجارية وكان آدم عليه السلام قد غاب عنهما أتى مكة ينظر اليها قال الله عز وجل هل تعلم أن لي بيتا في الارض قال اللهم لا قال ان لي بيتا في مكة فأته فقال آدم للسماء احفظي ولدي بالامانة فأبت ■ وقال للارض فابت ، وقال للجبال فابت ، فقال لقابيل فقال نعم تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك فلما انطلق آدم قربا قربانا وكان قابيل يفخر عليه فقال أنا أحق

وجارية وكان جميع ماولدته أربعين ولداً في عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم بارك الله عز وجل في نسل آدم عليه السلام ، قال ابن عباس : لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم حواء بعد مهبطهما إلى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما في بطن واحد ■ ثم هابيل وتوأمته لبوداً في بطن . وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول أن آدم كان يغشي حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت فيها بقابيل وتوأمته اقليما فلم تجد عليهما وحماً ولا وصباً ولا طلقاً حتى

بها منك هي أختي وأنا اكبر منك وأنا وصي والدي فلما قربا قرب هابيل جذعة سمينة وقرب قابيل حزمة سنبل فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها واكلها فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لاقتلنك حتى لاتنكح اختي فقال هابيل انما يتقبل الله من المتقين رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن خثيم قال اقبلت مع سعيد بن جبير فحدثني عن ابن عباس قال نهى أن تنكح المرأة أخاها توأمها وأمر أن ينكحها غيره من اخوتها ، وكان يولد له في كل بطن رجل وامرأة فبينما هم كذلك ولد له امرأة وضيئة وولد له أخرى قبيحة دميمة فقال أخو الدميمة انكحنى اختك وانكحك اختي فقال لا انا أحق باختي فقربا قربانا فتقبل من صاحب الكبش ولم يتقبل من صاحب الزرع فقتله اسناد جيد وحدثنا أبي حدثنا أبوسلمة حدثنا حماد بن سلمة عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله (اذ قربا قربانا فقربا) قربانهما فجاء صاحب الغنم بكبش أعين أقرن أبيض ، وصاحب الحرث بصبرة من طعامه فقبل الله الكبش فخزنه في الجنة أربعين خريفا وهو الكبش الذي ذبحه ابراهيم عليه السلام اسناد جيد .

وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبي المغيرة عن عبد الله ابن عمرو قال إن ابني آدم اللذين قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر كان أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم وأنهما أمرا أن يقربا قربانا وأن صاحب الغنم قرب أكرم غنمه واسمنها وأحسنها طيبة بها نفسه وان صاحب الحرث قرب اشر حرثه الكودن والزوان غير طيبة بها نفسه ، وان الله عز وجل تقبل قربان صاحب الغنم ولم يتقبل قربان صاحب الحرث وكان من قصتهما ماقص الله في كتابه قال وايم الله ان كان المقتول لاشد الرجلين ولكن منعه التحرج أن يبسط يده إلى أخيه ، وقال اسمعيل ابن رافع المدني القاص بلغني أن ابنى آدم لما امرا بالقربان كان أحدهما صاحب غنم وكان أنتج له حمل في غنمه فاحبه حتى كان يؤثره بالليل وكان يحمله على ظهره من حبه حتى لم يكن له مال أحب اليه منه فلما أمر بالقربان قربه لله عز وجل فقبله الله منه فما زال يرتع في الجنة حتى فدي به ابن ابراهيم عليه السلام رواه ابن جرير .

ولدتهما ولم تر معهما دما فلما هبطا إلى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان آدم اذا شب أولاده يزوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى فكان الرجل منهم يتزوج أية أخواته شاء إلا توأمته التي ولدت معه لأنه لم يكن يومئذ نساء إلا أخواتهم ، فلما ولد قابيل وتوأمته أقليما ثم هابيل وتوأمته لبودا وكانت بينهما سنتان في قول الكلبي وأدركوا أمر الله تعالى آدم عليه السلام أن ينكح قابيل لبودا أخت هابيل وينكح هابيل اقليما أخت قابيل ، وكانت أخت قابيل أحسن من أخت هابيل فذكر ذلك آدم لولده فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي أختي أنا أحق

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الانصاري حدثنا القاسم بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن علي ابن الحسين قال قال آدم عليه السلام لهابيل وقابيل ان ربي عهد الي أنه كائن من ذريتي من يقرب القربان فقربا قربانا حتى تقر عيني اذا تقبل قربانكما فقربا وكان هابيل صاحب غنم فقرب اكولة غنم خير ماله وكان قابيل صاحب زرع فقرب مشاقة من زرعه فانطلق آدم معهما ، ومعهما قربانهما فصعدا الجبل فوضعا قربانهما ثم جلسوا ثلاثتهم آدم وهما ينظران الى القربان فبعث الله ناراً حتى اذا كانت فوقهما دنا منها عنق فاحتمل قربان هابيل وترك قربان قابيل فانصرفوا وعلم آدم أن قابيل مسخوط عليه فقال ويلك ياقابيل رد عليك قربانك فقال قابيل أحببته فصليت على قربانه ودعوت له فتقبل قربانه ورد على قرباني فقال قابيل لهابيل لاقتلنك وأستريح منك دعا لك أبوك فصلي على قربانك فتقبل منك وكان يتواعده بالقتل الى أن احتبس هابيل ذات عشية في غنمه فقال آدم ياقابيل أين أخوك قال وبعثني له راعياً لا أدري فقال آدم ويلك ياقابيل انطلق فاطلب أخاك فقال قابيل في نفسه الليلة أقتله وأخذ معه حديدة فاستقبله وهو منقلب فقال ياهابيل تقبل قربانك ورد علىّ قرباني لأقتلنك فقال هابيل قربت أطيب مالي ، وقربت انت أخبث مالك وإن الله لا يقبل الا الطيب انما يتقبل الله من المتقين فلما قالها غضب قابيل فرفع الحديدة وضربه بها فقال ويلك ياقابيل أين أنت من الله كيف يجزيك بعملك فقتله فطرحه في حوبة من الارض ، وحثى عليه شيئاً من التراب

وروي محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول أن آدم أمر ابنه قابيل أن ينكح أخته توأمة هابيل وأمر هابيل ان ينكح اخته توأمة قابيل فسلم لذلك هابيل ورضي وأبى ذلك قابيل وكره تكرما عن اخت هابيل ورغب باخته عن هابيل وقال نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الارض وأنا أحق باختي ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الاول كانت اخت قابيل من أحسن الناس فضن بها على أخيه وارادها لنفسه والله أعلم أي ذلك كان فقال له أبوه يابنى انها لاتحل لك فابى قابيل أن يقبل ذلك من قول أبيه قال له أبوه يابني قرب قربانا ويقرب أخوك هابيل قربانا فأيكما تقبل قربانه فهو أحق بها وكان قابيل على بذر الارض وكان هابيل على رعاية الماشية فقرب قابيل قمحاً وقرب هابيل أبكاراً من أبكار غنمه وبعضهم يقول قرب بقرة فأرسل الله نارا بيضاء فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل وبذلك كان يقبل القربان اذا قبله رواه ابن جرير

بها ونحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الارض فقال له أبوه: إنها لاتحل لك فأبى أن يقبل ذلك وقال : إن الله لم يأمره بهذا وانما هو من رأيه ، فقال لهما آدم عليه السلام : فقربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت نار من السماء بيضاء فأكلتها واذا لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلته الطير والسباع فخرجا ليقربا قربانا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام من أردأ زرعه وأضمر في نفسه ما أبالي أيقبل مني أم لا لا يتزوج أختي أبداً ، وكان هابيل صاحب

وروى العوفي عن ابن عباس قال من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه وانما كان القربان يقربه الرجل فبينا ابنا آدم قاعدان اذ قالا لو قربنا قربانا وكان الرجل اذا قرب قربانا فرضيه الله أرسل اليه ناراً فتأكله وان لم يكن رضيه الله خبت النار ، فقربا قربانا وكان أحدهما راعياً وكان الآخر حراثاً وأن صاحب الغنم قرب خير غنمه واسمنها وقرب الآخر بعض زرعه فجاءت النار فنزلت بينهما فأكلت الشاة وتركت الزرع وان ابن آدم قال لاخيه أتمشي في الناس وقد علموا انك قربت قربانا فتقبل منك ورد علي فلا والله لاينظر الناس الي وانت خير مني فقال لاقتلنك فقال له اخوه ما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين. رواه ابن جرير فهذا الاثر يقتضي ان تقريب القربان كان لاعن سبب ولا عن تدارىء في امرأة كما تقدم عن جماعة ممن تقدم ذكرهم وهو ظاهر القرآن (اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين) فالسياق يقتضي انه انما غضب عليه وحسده بقبول قربانه دونه ثم المشهور عند الجمهور ان الذي قرب الشاة هو هابيل وان الذي قرب الطعام هو قابيل وانه تقبل من هابيل شاته حتى قال ابن عباس وغيره انها الكبش الذي فدي به الذبيح وهو مناسب والله أعلم ولم يتقبل من قابيل . كذلك نص عليه غير واحد من السلف والخلف وهو المشهور عن مجاهد ايضا ولكن روى ابن جرير عنه انه قال الذي قرب الزرع قابيل وهو المتقبل منه وهذا خلاف المشهور ولعله لم يحفظ عنه جيداً والله أعلم

ومعنى قوله (انما يتقبل الله من المتقين) أي ممن اتقى الله في فعله ذلك وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن العلاء بن زيد حدثنا اسمعيل بن عياش حدثني صفوان بن عمرو عن تميم يعني ابن مالك المقري قال سمعت أبا الدرداء يقول لأن استيقن أن الله قد تقبل لي صلاة واحدة أحب الي من الدنيا وما فيها ان الله يقول (انما يتقبل الله من المتقين) وحدثنا أبي حدثنا عبدالله بن عمران حدثنا اسحق بن سليمان يعني الرازي عن المغيرة بن مسلم عن ميمون بن أبي حمزة قال كنت جالسا عند أبي وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف من أصحاب معاذ فقال له شقيق بن سلمة يا أبا عفيف الاتحدثنا عن معاذ بن جبل قال بلى سمعته يقول يحبس الناس في بقيع واحد فينادى مناد اين المتقون ؟

غنم فعمد إلى أحسن كبش في غنمه فقرب به وأضمر في نفسه رضا الله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل ثم دعا آدم عليه السلام فنزلت نار من السماء وأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله عز وجل ﴿ فتقبل من أحدهما ﴾ يعني هابيل ﴿ ولم يتقبل من الآخر ﴾ يعني قابيل فنزلوا عن الجبل وقد غضب قابيل لرد قربانه وكان يضمر الحسد في نفسه إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت فلما غاب آدم أتى قابيل هابيل وهو في غنمه ﴿ قال لأقتلنك ﴾ قال ولم ؟ قال لان الله تعالى قبل قربانك ورد قرباني ، وتنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميمة فيتحدث الناس أنك خير مني ، ويفتخر ولدك على ولدي ﴿ قال ﴾ هابيل وما ذنبي ﴿ انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت ﴾ أي مددت ﴿ إلي

فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر قلت من المتقون؟ قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان واخلصوا العبادة فيمرون الى الجنة .

وقوله (لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين) يقول له أخوه الرجل الصالح الذي تقبل الله قربانه لتقواه حين تواعده اخوه بالقتل على غير ماذنب منه اليه (لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك) أي لا اقابلك على صنيعك الفاسد بمثله فاكون أنا وانت سواء في الخطيئة (اني اخاف الله رب العالمين) أي من ان أصنع كما تريد ان تصنع بل اصبر واحتسب قال عبدالله بن عمرو : وايم الله ان كان لاشد الرجلين ولكن منعه التحرج يعني الورع ولهذا ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال « اذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » قالوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه .

وقال الامام احمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث بن سعد عن عياش بن عباس عن بكير بن عبدالله عن بشر بن سعيد أن سعد بن ابي وقاص قال عند فتنة عثمان اشهد ان رسول الله ﷺ قال « انها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي قال افرايت إن دخل على بيتي فبسط يده الي ليقتلني فقال كن كابن آدم » وكذا رواه الترمذي عن قتيبة بن سعيد وقال هذا حديث حسن

وفي الباب عن أبي هريرة وخباب بن الارت وأبي بكر وابن مسعود وأبي واقد وأبي موسى وخرشة ورواه بعضهم عن الليث بن سعد وزاد في الاسناد رجلا قال الحافظ ابن عساكر الرجل هو حسين الاشجعي قلت وقد رواه أبو داود من طريقه فقال حدثنا يزيد بن خالد الرملي حدثنا الفضل عن عياش ابن عباس عن بكير عن بشر بن سعيد عن حسين بن عبد الرحمن الاشجعي انه سمع سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ في هذا الحديث قال فقلت يارسول الله أرأيت إن دخل بيتي وبسط يده ليقتلني قال فقال رسول الله ﷺ « كن كابن آدم وتلا (لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي

يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين ﴾ قال عبدالله بن عمر وايم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التحرج أن يبسط إلى أخيه يده وهذا في الشرع جائز لمن أريد قتله أن ينقاد ويستسلم طلباً للأجر كما فعل عثمان رضي الله عنه . قال مجاهد : كتب عليهم في ذلك الوقت اذا أراد رجل قتل رجل أن يمتنع ويصبر ﴿ اني أريد أن تبوء ﴾ ترجع وقيل تحتمل ﴿ باثمي واثمك ﴾ أي باثم قتلي إلى اثمك ، أي اثم معاصيك التي عملت من قبل هذا قول أكثر المفسرين وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : معناه أني أريد أن يكون عليك خطيئتي التي عملتها أنا اذا قتلتني واثمك فتبوء بخطيئتي ودمي جميعاً ، وقيل معناه أن ترجع باثم قتلي واثم معصيتك التي لم يتقبل لأجلها قربانك أو اثم حسدك ، فان قيل كيف قال (اني أريد أن تبوء باثمي واثمك) وارادة القتل والمعصية

اليك لاقتلك أني أخاف الله رب العالمين) قال أيوب السختياني ان أول من أخذ بهذه الآية من هذه الامة لئن بسطت الي يدك لتقتلني ماأنا بباسط يدي اليك لاقتلك أني اخاف الله رب العالمين) لعثمان بن عفان رضي الله عنه رواه ابن أبي حاتم. وقال الامام احمد حدثنا ابن حزم حدثني أبو عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال ركب النبي ﷺ حمارا وأردفني خلفه وقال « يا أبا ذر أرأيت ان أصاب الناس جوع شديد لاتستطيع ان تقوم من فراشك الى مسجدك كيف تصنع » قال قال الله ورسوله أعلم قال « تعفف » قال « يا أبا ذر أرأيت إن أصاب الناس موت شديد يكون البيت فيه بالعبد يعنى القبر كيف تصنع قلت الله ورسوله أعلم قال أصبر قال يا أباذر أرأيت ان قتل الناس بعضهم بعضا يعنى حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع قال الله ورسوله أعلم قال اقعد في بيتك وأغلق عليك بابك قال [1] فان لم أترك قال فات من أنت منهم فكن منهم قال فأخذ سلاحي قال فاذا تشاركهم فيما هم فيه ولكن اذا خشيت ان يردعك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك كي يبوء باثمه واثمك» ورواه مسلم وأهل السنن سوى النسائي من طرق عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت به ورواه ابو داود وابن ماجه من طريق حماد بن زيد عن أبي عمران عن المشعث بن طريف عن عبد الله ابن الصامت عن أبى ذر بنحوه قال أبو داود ولم يذكر المشعث في هذا الحديث غير حماد بن زيد وقال بن مردويه حدثنا محمد ابن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان عن منصور عن ربعي قال كنا في جنازة حذيفة فسمعت رجلا يقول سمعت هذا يقول في ناس مماسمعت من رسول الله ﷺ « لئن اقتتلتم لانظرن الى أقصى بيت في داري فلألجنه فلئن دخل على فلان لأقولن هابؤ بأثمي واثمك فأكون كخيرا بني آدم » وقوله (اني أريد أن تبوء بأثمي واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي في قوله (اني أريد ان تبوء بأثمي واثمك) أي باثم قتلي واثمك الذي عليك قبل ذلك قاله ابن جرير. وقال آخرون يعنى بذلك اني أريد

لاتجوز ، قيل ليس ذلك بحقيقة إرادة ، ولكنه لما علم أنه يقتله لامحالة وطن نفسه على الاستسلام طلباً للثواب فكأنه صار مريداً لقتله مجازاً ، وإن لم يكن مريداً حقيقة ، وقيل معناه اني أريد أن تبوء بعقاب قتلي فيكون إرادة صحيحة لأنها موافقة لحكم الله عز وجل فلا يكون هذا إرادة للقتل ، بل لموجب القتل من الاثم والعقاب ﴿ فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴾

قوله عز وجل ﴿ فطوعت له نفسه ﴾ أي طاوعته وشايعته وعاونته ﴿ قتل أخيه ﴾ في قتل أخيه وقال مجاهد : فشجعته . وقال قتادة : فزينت له نفسه . وقال يمان : سهلت له ذلك ، أي جعلته سهلا تقديره صورت له نفسه أن قتل أخيه طوع أي سهل عليه فقتله ، فلما قصد قابيل قتله لم يدر كيف يقتله . قال ابن جريج : فتمثل له ابليس وأخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم شدخ رأسه بحجر آخر

---

(١) قوله فان لم أزل الخ هكذا في الاصل وحرر

ان تبوء بخطيئتي فتتحمل وزرها واثمك في قتلك اياي وهذا قول وجدته عن مجاهد واخشى ان يكون غلطا لان الصحيح من الرواية عنه خلافه يعنى مارواه سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد (اني اريد ان تبوء باثمي) قال بقتلك إياي (واثمك) قال بما كان منك قبل ذلك وكذا رواه عيسى بن أبي نجيح عن مجاهد بمثله وروى شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (اني أريد أن تبوء باثمي واثمك) يقول إني أريد ان يكون عليك خطيئتي ودمي فتبوء بهما جميعا (قلت) وقد يتوهم كثير من الناس هذا القول ويذكرون في ذلك حديثا لا أصل له « ماترك القاتل على المقتول من ذنب » وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثا يشبه هذا ولكن ليس به فقال حدثنا عمرو بن علي حدثنا عامر بن ابراهيم الاصبهاني حدثنا يعقوب بن عبد الله حدثنا عتبة بن سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ « قتل الصبر لا يمر بذنب الا محاه » وهذا بهذا لا يصح ولو صح فمعناه ان الله يكفر عن المقتول بالم القتل ذنوبه فاما ان تحمل على القاتل فلا ولكن قد يتفق هذا في بعض الاشخاص وهو الغالب فان المقتول يطالب القاتل في العرصات فيؤخذ له من حسناته بقدر مظلمته فان نفدت ولم يستوف حقه أخذ من سيآت المقتول فطرحت على القاتل فربما لا يبقى على المقتول خطيئة الا وضعت على القاتل وقد صح الحديث بذلك عن رسول الله ﷺ في المظالم كلها والقتل من أعظمها وأشدها والله أعلم واما ابن جرير فقال والصواب من القول في ذلك ان يقال ان تأويله أني أريد ان تنصرف بخطيئتك في قتلك أياي وذلك هو معنى قوله (اني أريد ان تبوء باثمي) وأما معنى واثمك فهو اثمه يعني قتله وذلك معصية الله عز وجل في اعمال سواه وانما قلنا ذلك هو الصواب لاجماع أهل التأويل عليه وان الله عز وجل اخبرنا ان كل عامل فجزاء عمله له او عليه واذا كان هذا حكمه في خلقه فغير جائز ان تكون آثام المقتول مأخوذا بها القاتل وانما يؤخذ القاتل باثمه بالقتل المحرم وسائر آثام معاصيه التي ارتكبها بنفسه دون ماركبه قتيله هذا لفظه ثم اورد على هذا سؤالا حاصله كيف أراد هابيل ان يكون على أخيه قابيل إثم قتله واثم نفسه مع ان قتله له محرم وأجاب بما حاصله ان هابيل أخبر عن نفسه بانه لا يقاتل أخاه ان قاتله بل يكف عنه يده طالبا ان وقع قتل ان يكون من أخيه لا منه قلت وهذا الكلام متضمن موعظة له لو اتعظ وزجرا له لو انزجر ولهذا قال (اني أريد أن تبوء باثمى واثمك) أي تتحمل اثمي وإثمك (فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) وقال ابن عباس خوفه بالنار فلم ينته ولم ينزجر وقوله تعالى (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من الخاسرين) أى فحسنت وسولت له نفسه وشجعته على قتل أخيه فقتله أى بعد هذه

وقابيل ينظر اليه فعلمه القتل ، فرضخ قابيل راس هابيل بين حجرين ، قيل قتل وهو مستسلم ، وقيل اغتاله وهو في النوم فشدخ رأسه فقتله وذلك قوله تعالى ﴿ فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في موضع قتله . قال ابن عباس رضي الله عنهما : على جبل نود ، وقيل عند عقبة حراء ، فلما قتله تركه بالعراء ولم يدر مايصنع به لأنه كان أول ميت على وجه الارض من

الموعظة وهذا الزجر وقد تقدم في الرواية عن أبي جعفر الباقر وهو محمد بن علي بن الحسين انه قتله بحديدة في يده وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة بن عبد الله وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ فطوعت له نفسه قتل أخيه فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه في رؤس الجبال فأتاه يوما من الايام وهو يرعى غنماله وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات فتركه بالعراء رواه ابن جرير وعن بعض أهل الكتاب انه قتله خنقا وعضا كما تقتل السباع وقال ابن جرير لما أراد ان يقتله جعل يلوي عنقه فاخذ ابليس دابة ووضع رأسها على حجر ثم أخذ حجراً آخر فضرب به رأسها حتى قتلها وابن آدم ينظر ففعل باخيه مثل ذلك رواه ابن أبي حاتم وقال عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم عن أبيه قال أخذ برأسه ليقتله فاضطجع له وجعل يغمز رأسه وعظامه ولا يدرى كيف يقتله فجاءه ابليس فقال أتريد ان تقتله قال نعم قال فخذ هذه الصخرة فاطرحها على رأسه قال فأخذها فالقاها عليه فشدخ رأسه ثم جاء ابليس الى حواء مسرعا فقال ياحواء ان قابيل قتل هابيل فقالت له ويحك وأي شيء يكون القتل قال لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك قالت ذلك الموت قال فهو الموت فجعلت تصيح حتى دخل عليها آدم وهي تصيح فقال مالك فلم تكلمه فرجع اليها مرتين فلم تكلمه فقال عليك الصيحة وعلى بناتك وأنا وبني منها براء رواه ابن أبي حاتم وقوله (فأصبح من الخاسرين) أي في الدنيا والآخرة وأي خسارة أعظم من هذه وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية ووكيع قالا حدثنا الاعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « لاتقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه كان أول من سن القتل» وقد أخرجه الجماعة سوى ابي داود من طرق عن الاعمش به وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد علقت احدى رجلي القاتل بساقها الى فخذها من يومئذ ووجه في الشمس حيثما دارت دار عليه في الصيف حظيرة من نار وعليه في الشتاء حظيرة من ثلج قال وقال عبدالله بن عمرو إنا لنجد ابن آدم القاتل يقاسم أهل النار قسمة صحيحة العذاب عليه شطر عذابهم وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن أسحاق عن حكيم بن حكيم انه حدث عن عبد الله بن عمرو أنه كان يقول ان أشقى الناس رجلا لابن آدم الذي قتل أخاه ماسفك دم في الارض منذ قتل أخاه الى يوم القيامة الا لحق به منه شر وذلك أنه أول من سن القتل وقال ابراهيم النخعي مامن مقتول يقتل ظلما الا كان على ابن آدم الاول والشيطان كفل منه رواه ابن جرير أيضا وقوله تعالى (فبعث

بني آدم وقصدته السباع فحمله في جراب على ظهره أربعين يوما . وقال ابن عباس : سنة حتى أروح وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله ، فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله حتى مكن له ثم ألقاه في الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه

فذلك قوله تعالى ﴿ فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة أخيه ﴾ فلما

الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين) قال السدي باسناده المتقدم الى الصحابة رضي الله عنهم لما مات الغلام تركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفن فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه فحفر له ثم حثى عليه فلما رآه قال (ياويلتى أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي) وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس قال جاء غراب الى غراب ميت فبحث عليه من التراب حتى واراه فقال الذي قتل أخاه (ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي) وقال الضحاك عن ابن عباس مكث يحمل أخاه في جراب على عاتقه سنة حتى بعث الله الغرابين فرآهما يبحثان فقال (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) فدفن أخاه وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد كان يحمله على عاتقه مائة سنة ميتاً لايدري مايصنع به يحمله ويضعه الى الارض حتى رأى الغراب يدفن الغراب فقال (ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال عطية العوفي لما قتله ندم فضمه اليه حتى أروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنتظر متى يرمى به فتأكله رواه ابن جرير وروى محمد بن اسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول لما قتله سقط في يده أي ولم يدر كيف يواريه وذلك انه كان فيما يزعمون أول قتيل في بني آدم واول ميت (فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال ياويلتى أعجزت ان أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى فأصبح من النادمين) قال وزعم أهل التوراة ان قابيل لما قتل أخاه هابيل قال له الله عز وجل ياقابيل أين أخوك هابيل قال ماأدري ما كنت عليه رقيبا فقال الله ان صوت دم أخيك ليناديني من الارض الآن انت ملعون من الارض التي فتحت فاها فتلقت دم أخيك من يدك فان أنت عملت في الارض فانها لاتعود تعطيك حرثها[1] حتى تكون فزعا تائها في الارض وقوله (فأصبح من النادمين) قال الحسن البصري علاه الله بندامة بعد خسران فهذه أقوال المفسرين في هذه القصة وكلهم متفقون على ان هذين ابنا آدم لصلبه كما هو ظاهر القرآن وكما نطق به الحديث في قوله « إلا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه أول من سن القتل» وهذا ظاهر جلي ولكن قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل ابن يوسف عن عمرو عن الحسن هو البصري قال كان الرجلان اللذان في القرآن اللذان قال الله (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق) من بني اسرائيل ولم يكونا ابني آدم لصلبه وانما كان القربان من بني اسرائيل وكان آدم أول من مات

رأى قابيل ذلك ﴿ قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي ﴾ أي جيفته وقيل عورته لأنه قد سلب ثيابه ﴿ فأصبح من النادمين ﴾ على حمله على عاتقه لاعلى قتله ، وقيل على فراق أخيه وقيل ندم لقلة النفع بقتله فانه أسخط والديه وما انتفع بقتله شيئاً ولم يكن ندمه على القتل وركوب الذنب . قال المطلب بن عبد الله بن حنطب : لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الارض بما عليها سبعة أيام

وهذا غريب جدا وفي اسناده نظر وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ «ان ابني آدم عليه السلام ضربا لهذه الامة مثلا فخذوا بالخير منهما» ورواه ابن المبارك عن عاصم الاحول عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ «ان الله ضرب لكم ابنى آدم مثلا فخذوا من خيرهم ودعوا شرهم» وكذا أرسل هذا الحديث بكير بن عبد الله المزني روى ذلك كله ابن جرير وقال سالم بن أبي الجعد لما قتل ابن آدم أخاه مكث آدم مائة سنة حزينا لا يضحك ثم أتي فقيل له حياك الله وبياك أي أضحكك رواه ابن جرير ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن غياث بن ابراهيم عن أبي اسحاق الهمداني قال قال علي بن ابي طالب لما قتل ابن آدم أخاه بكاه آدم فقال

تغيرت البلاد ومن عليها   فلون الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم   وقل بشاشة الوجه المليح

فأجيب آدم عليه الصلاة والسلام

أبا هابيل قد قتلا جميعا   وصار الحي بالميت الذبيح
وجاء بشره قد كان منه   على خوف فجاء بها يصيح

ثم شربت الارض دمه كما يشرب الماء، فناداه آدم أين أخوك هابيل؟ قال ماأدري ما كنت عليه رقيباً، فقال آدم: إن دم أخيك ليناديني من الارض فلم قتلت أخاك، قال فأين دمه إن كنت قتلته فحرم الله عز وجل يومئذ أن تشرب دما بعده أبداً. وقال مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما لما قتل قابيل هابيل وآدم عليه السلام بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة، وحمضت الفواكه، وأمر الماء، واغبرت الارض فقال آدم عليه السلام «قد حدث في الارض حدث» فأتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فأنشأ يقول وهو أول من قال الشعر

تغيرت البلاد ومن عليها   فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون   وقل بشاشة الوجه المليح

وروي عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من قال أن آدم قال شعراً فقد كذب على الله ورسوله فان محمداً ﷺ والانبياء كلهم عليهم السلام في النهي عن الشعر سواء، ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني، فلما قال آدم مرثيته قال لشيث «يابني انك وصيي احفظ هذا الكلام فيرق الناس عليه» فلم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو أول من خط بالعربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم إلى المؤخر، والمؤخر إلى المقدم فوزنه شعراً وزيد فيه أبيات منها

ومالي لا أجود بسكب دمع   وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة علي غماً   فهل أنا من حياتي مستريح

والظاهر أن قابيل عوجل بالعقوبة كما ذكره مجاهد وابن جبير انه علقت ساقه بفخذه يوم قتله وجعل الله وجهه الى الشمس حيث دارت عقوبة له وتنكيلا به وقد ورد في الحديث ان النبي ﷺ قال « ما من ذنب أجدر ان يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم » وقد اجتمع في فعل قابيل هذا وهذا فانا لله وانا اليه راجعون

من أجل ذٰلك كتبنا على بني إسرآءيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا، ولقد جاءتهم رسلنا بالبينٰت ثم إن كثيرا منهم بعد ذٰلك في الارض لمسرفون (٣٢) إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من

فلما مضى من عمر آدم عليه السلام مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابل بخمس سنين ولدت له حواء شيئاً واسمه هبة الله يعنى أنه خلف من هابيل علمه الله تعالى ساعات الليل والنهار ، وعلمه عبادة الحق في كل ساعة منها ، وأنزل عليه خمسين صحيفة فصار وصي آدم وولي عهده ، وأما قابيل فقيل له اذهب طريداً شريداً فزعا مرعوبا لاتأمن من تراه فأخذ بيد أخته اقليما وهرب بها إلى عدن من أرض اليمن فأتاه ابليس فقال له : انما أكلت النار قربان هابيل لأنه كان يعبد النار فانصب أيضا أنت ناراً تكون لك ولعقبك فبنى بيتاً للنار فهو أول من عبد النار وكان لايمر به أحد من ولده إلا رماه ، فأقبل ابن له أعمى ومعه ابن له ، فقال للاعمى ابنه هذا أبوك قابيل فرمى الاعمى أباه فقتله ، فقال ابن الاعمى قتلت أباك فرفع يده ولطم ابنه فمات ، فقال الاعمى ويل لي : قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي . وقال مجاهد : فعلقت إحدى رجلي قابيل إلى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ إلى يوم القيامة ووجهه إلى الشمس حيثما دارت عليه في الصيف حظيرة من نار ، وفي الشتاء حظيرة من ثلج قال واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان أيام نوح عليه السلام وبقي نسل شيث . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الاعمش حدثني عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لاتقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل »

قوله عز وجل ﴿ من أجل ذلك ﴾ قرأ أبو جعفر من أجل ذلك بكسر النون موصولا ، وقراءة العامة بجزم النون وفتح الهمزة مقطوعا أي من جراء ذلك القاتل وجنايته يقال أجل يأجل أجلا اذا

خلف أو ينفوا من الارض،ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٣٣)

إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم (٣٤)

يقول تعالى من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلما وعدوانا (كتبنا على بني اسرائيل) أي شرعنا لهم وأعلمناهم (أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) أي من قتل نفسا بغير سبب من قصاص أو فساد في الارض واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية أفكأنما قتل الناس جميعا لأنه لافرق عنده بين نفس ونفس ومن أحياها أي حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار ولهذا قال (فكأنما أحيا الناس جميعا) وقال الاعمش وغيره عن أبي صالح عن أبي هريرة قال دخلت على عثمان يوم الدار فقلت جئت لأنصرك وقد طاب الضرب ياأمير المؤمنين فقال ياأبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعا واياي معهم قلت لاقال فانك ان قتلت رجلا واحدا فكأنما قتلت الناس جميعا فانصرف مأذونا لك مأجوراً غير مأزور قال فانصرفت ولم أقاتل وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو كما قال الله تعالى (من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) واحياؤها ألا يقتل نفسا حرمها الله فذلك الذي أحيا الناس جميعا يعني أنه من حرم قتلها إلا بحق حيي الناس منه وهكذا قال مجاهد ومن أحياها أي كف عن قتلها وقال العوفي عن ابن عباس في قوله فكأنما قتل الناس جميعا يقول من قتل نفسا واحدة حرمها الله فهو مثل من قتل الناس جميعا وقال سعيد بن جبير من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعا ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعا هذا قول وهو الاظهر وقال عكرمة والعوفى عن ابن عباس من قتل نبيا أو إمام عدل فكأنما قتل الناس جميعا ومن شد على عضد نبي أو امام عدل فكأنما احيا الناس جميعا رواه ابن جرير وقال مجاهد في رواية أخرى عنه من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً وذلك لان من قتل النفس فله النار فهو كما لو قتل الناس كلهم قال

جنى مثل أخذ يأخذ أخذاً ﴿ كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس ﴾ قتلها فيقاد منه ﴿ أو فساد في الارض ﴾ يريد بغير نفس وبغير فساد في الارض من كفر ، أو زنا ، أو قطع طريق أو نحو ذلك ﴿ فكأنما قتل الناس جميعاً ﴾ اختلفوا في تأويلها . قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة « من قتل نبياً أو امام عدل فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن شد عضد نبي أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعاً) قال مجاهد : من قتل نفساً محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلى لو قتل الناس جميعاً ، (ومن أحياها» من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعاً . قال قتادة : أعظم الله أجرها وعظم وزرها . معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكأنما قتل الناس جميعاً في الاثم لانهم لايسلمون منه ﴿ ومن أحياها ﴾ وتورع عن قتلها ﴿ فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ في الثواب لسلامتهم

ابن جريج عن الاعرج عن مجاهد في قوله فكانما قتل الناس جميعا من قتل النفس المؤمنة متعمداً جعل الله جزاءه جهنم وغضب عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما يقول لو قتل الناس جميعا لم يزد على مثل ذلك العذاب قال ابن جريج قال مجاهد ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا قال من لم يقتل أحداً فقد حي الناس منه وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من قتل نفسا فكانما قتل الناس يعني فقد وجب عليه القصاص فلا فرق بين الواحد والجماعة ومن أحياها أي عفا عن قاتل وليه فكأنما أحيا الناس جميعا وحكي ذلك عن أبيه رواه ابن جرير وقال مجاهد في رواية ومن أحياها أى أنجاها من غرق أوحرق أو هلكة وقال الحسن وقتادة في قوله أنه من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا هذا تعظيم لتعاطي القتل قال قتادة عظيم والله وزرها وعظيم والله أجرها وقال ابن المبارك عن سلام بن مسكى عن سليمان ابن علي الربعي قال قلت للحسن هذه الآية لنا ياأبا سعيد كما كانت لبني اسرائيل فقال أى والذى لااله غيره كما كانت لبني اسرائيل وما جعل دماء بني اسرائيل اكرم على الله من دمائنا وقال الحسن البصرى فكأنما قتل الناس جميعا قال وزراً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا قال أجراً

وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا حي بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله ابن عمرو قال جاء حمزة بن عبد المطلب الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله اجعلني على شيء أعيش به فقال رسول الله ﷺ ياحمزة « نفس تحييها أحب اليك أم نفس تميتها » قال بل نفس احييها قال « عليك بنفسك » .

قوله تعالى (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) أي بالحجج والبراهين والدلائل الواضحة (ثم أن كثيراً منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون) وهذا تقريع لهم وتوبيخ على ارتكابهم المحارم بعد علمهم بها كما كانت بنو قريظة والنضير وغيرهم من بني قينقاع ممن حول المدينة من اليهود الذين كانوا يقاتلون مع الاوس والخزرج إذا وقعت بينهم الحروب في الجاهلية ثم اذا وضعت الحروب أوزارها فدوا من أسروه وودوا من قتلوه وقد أنكر الله عليهم ذلك في سورة البقرة حيث يقول (واذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وانتم تشهدون ثم انتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وأن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) قوله

منه . قال الحسن : فكأنما قتل الناس جميعاً يعني أنه يجب عليه القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً . ومن أحياها أي عفا عمن وجب عليه القصاص له فلم يقتله فكأنما أحيا الناس جميعاً . قال سليمان بن علي قلت للحسن : ياأبا سعيد أهي لنا كما كانت لبني اسرائيل؟ قال أي والذي لااله غيره ماكانت دماء بني اسرائيل أكرم على الله من دمائنا ﴿ ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات

(انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) الآية المحاربة هي المضادة والمخالفة وهي صادقة على الكفر وعلى قطع الطريق واخافة السبيل وكذا الافساد في الارض يطلق على أنواع من الشر حتى قال كثير من السلف منهم سعيد بن المسيب أن قبض الدراهم والدنانير من الافساد في الارض وقد قال الله تعالى (واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد) ثم قال بعضهم نزلت هذه الآية الكريمة في المشركين كما قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى ابن واضح حدثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله —الى— (ان الله غفور رحيم) نزلت هذه الآية في المشركين فمن تاب منهم من قبل أن تقدروا عليه لم يكن عليه سبيل وليست تحرز هذه الآية الرجل المسلم من الحدان قتل أو أفسد في الارض أو حارب الله ورسوله ثم لحق بالكفار قبل أن يقدر عليه لم يمنعه ذلك أن يقام عليه الحد الذى أصاب ورواه أبو داود والنسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا نزلت في المشركين فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه لم يمنعه ذلك أن يقام عليه الحد الذى أصابه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً) الآية قال كان قوم من أهل الكتاب بينهم وبين النبي ﷺ عهد وميثاق فنقضوا العهد وأفسدوا في الارض فخير الله رسوله إن شاء أن يقتل وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف رواه ابن جرير ،

وروي شعبة عن منصور عن هلال بن يساف عن مصعب بن سعد عن أبيه قال نزلت في الحرورية (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً) رواه بن مردوية .

والصحيح ان هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات كما رواه البخارى ومسلم من حديث أبي قلابة واسمه عبدالله بن زيد الجرمي البصري عن أنس بن مالك أن نفراً من

ثم أن كثيراً منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون * انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً ﴾ الآية . قال الضحاك : نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وأفسدوا في الارض ، وقال الكلبي نزلت في قوم هلال ابن عويمر وذلك أن النبي ﷺ وادع هلال بن عويمر وهو أبو بردة الاسلمي على أن لايعينه ولايعين عليه ، ومن مر بهلال بن عويمر إلى رسول الله ﷺ فهو آمن لايهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من أسلم من قوم هلال بن عويمر ولم يكن هلال شاهداً فشدوا عليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضية فيهم . وقال سعيد بن جبير : نزلت في ناس من عرينة وعكل أتوا النبي ﷺ وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فبعثهم النبي ﷺ إلى ابل الصدقة فارتدوا

عكل ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الاسلام فاستوخموا المدينة ، وسقمت أجسامهم فشكوا الى رسول الله ﷺ ذلك فقال « ألا تخرجون مع راعينا في ابله فتصيبون من أبوالها وألبانها » فقالوا بلى فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها فصحوا فقتلوا الراعي وطردوا الابل فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث في آثارهم فادركوا فجيء بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا ! لفظ مسلم ، وفي لفظ لهما : من عكل أو عرينة وفي لفظ : وألقوا في الحرة فجعلوا يستسقون فلا يسقون وفي لفظ لمسلم : ولم يحسمهم وعند البخاري قال أبو قلابة فهؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله ورواه مسلم من طريق هشيم عن عبد العزيز بن صهيب وحميد عن أنس فذكر نحوه وعنده فارتدوا . وقد أخرجاه من رواية قتادة عن أنس بنحوه وقال سعيد عن قتادة من عكل وعرينة ورواه مسلم من طريق سليمان التيمي عن أنس قال انما سمل النبي ﷺ أعين أولئك لانهم سملوا أعين الرعاء . ورواه مسلم من حديث معاوية بن قرة عن أنس قال أتى رسول الله ﷺ نفر من عرينة فأسلموا وبايعوه وقد وقع بالمدينة الدم وهو البرسام ثم ذكر نحو حديثهم وزاد : عنده شباب من الانصاري قريب من عشرين فارساً فارسلهم وبعث معهم قائفا يقفو أثرهم وهذه كلها الفاظ مسلم رحمه الله

وقال حماد بن سلمة حدثنا قتادة وثابت البناني وحميد الطويل عن أنس بن مالك أن ناسا من عرينة قدموا المدينه فاجتووها فبعثهم رسول الله ﷺ في ابل الصدقة وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصحوا فارتدوا عن الاسلام وقتلوا الراعي وساقوا الابل فارسل رسول الله ﷺ في آثارهم فجيء بهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمر أعينهم وألقاهم في الحرة قال أنس فلقد رأيت أحدهم يكدم الارض بفيه عطشاً حتى ماتوا ونزلت (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن مردويه وهذا لفظه وقال الترمذي حسن صحيح وقد رواه ابن مردويه من طرق كثيرة عن أنس بن مالك منها مارواه من طريقين عن سلام بن أبي الصهباء

وقتلوا الراعي واستاقوا الابل . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبدالله بن أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا علي بن عبدالله ثنا الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعي حدثني يحي بن أبي كثير حدثني أبو قلابة الجرمي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قدم على النبي ﷺ نفر من عكل فأسلموا واجتووا المدينة فأمرهم النبي ﷺ أن يأتوا ابل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوا الابل فبعث النبي ﷺ في آثارهم فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا ، ورواه أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال : فقطع أيديهم وأرجلهم ثم أمر بمسامير فكحلهم بها وطرحهم بالحرة يستسقون فما يسقون حتى ماتوا . قال أبو قلابة : قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله وسعوا في الارض فساداً

عن ثابت عن أنس بن مالك قال ماندمت على حديث ماندمت على حديث سألني عنه الحجاج قال اخبرني عن أشد عقوبة عاقب بها رسول الله ﷺ قال قلت قدم على رسول الله ﷺ قوم من عرينة من البحرين فشكوا الى رسول الله ﷺ مالقوا من بطونهم ، وقد اصفرت ألوانهم ، وضمرت بطونهم فأمرهم رسول الله ﷺ أن يأتوا ابل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها حتى إذا رجعت اليهم ألوانهم و انخمصت بطونهم عمدوا إلى الراعي فقتلوه واستاقوا الابل فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ثم ألقاهم في الرمضاء حتى ماتوا . فكان الحجاج إذا صعد المنبر يقول ان رسول الله ﷺ قد قطع أيدي قوم وأرجلهم ثم القاهم في الرمضاء حتى ماتوا بحال ذود من الابل فكان الحجاج يحتج بهذا الحديث على الناس

وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد يعني ابن مسلم حدثني سعيد عن قتادة عن انس قال كانوا أربعة نفر من عرينة وثلاثة نفر من عكل فلما أتي بهم قطع ايديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ولم يحسمهم وتركهم يلتقمون الحجارة بالحرة فانزل الله في ذلك (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا أبو مسعود يعني عبد الرحمن بن الحسن الزجاج حدثنا أبو سعيد يعني البقال عن انس بن مالك قال كان رهط من عرينة أتوا رسول الله ﷺ وبهم جهد مصفرة ألوانهم، عظيمة[1] بطونهم فأمرهم أن يلحقوا بالابل فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصفت ألوانهم وخمصت بطونهم وسمنوا فقتلوا الراعي واستاقوا الابل فبعث النبي ﷺ في طلبهم فأتى بهم فقتل بعضهم وسمر أعين بعضهم وقطع أيدي بعضهم وأرجلهم ونزلت (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) إلى آخر الآيه

(١) في نسخة فطيمة بطونهم

وقال أبو جعفر ابن جرير حدثنا أبو علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب ان عبد الملك بن مروان كتب الى أنس يسأله عن هذه الآية فكتب اليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت فى أولئك النفر العرنيين وهم من بجيلة قال أنس فارتدوا عن الاسلام وقتلوا

واختلفوا في حكم هؤلاء العرنيين ، فقال بعضهم هي منسوخة لأن المثلة لاتجوز ، وقال بعضهم حكمه ثابت إلا السمل والمثلة ، وروى قتادة عن ابن سيرين أن ذلك كان قبل أن ينزل الحد. وقال أبو الزناد لما فعل رسول الله ﷺ ذلك بهم أنزل الله الحدود ، ونهاه عن المثلة فلم يعد

وعن قتادة قال : بلغنا أن رسول الله ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة وقال سليمان التيمي عن أنس إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرعاة . وقال الليث بن سعد : نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله ﷺ وتعليما منه إياه عقوبتهم وقال إنما جزاؤهم هذا لا المثلة ، ولذلك ماقام النبي ﷺ خطيباً إلا نهى عن المثلة . واختلفوا في المحاربين الذين يستحقون هذا الحد . فقال قوم : هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح على المسلمين، والمكابرون

الراعي واستاقوا الابل وأخافوا السبيل ، واصابوا الفرج الحرام. وقال حدثني يونس اخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال عن أبي الزناد عن عبد الله بن عبيدالله عن عبد الله ابن عمر أو عمرو شك يونس عن رسول الله ﷺ بذلك يعني بقصة العرنيين ونزلت فيهم آية المحاربة ورواه أبو داود والنسائي من طريق أبي الزناد وفيه عن ابن عمر من غير شك

وقال ابن جرير .حدثنا محمد بن خلف حدثنا الحسن بن حماد عن عمرو بن هاشم عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ابراهيم عن جرير قال قدم على رسول الله ﷺ قوم من عرينة حفاة مضرورين فأمر بهم رسول الله ﷺ فلما صحوا واشتدوا قتلوا رعاء اللقاح عامدين بها الى أرض قومهم قال جرير فبعثني رسول الله ﷺ في نفر من المسلمين حتى أدركناهم بعد ما أشرفوا على بلاد قومهم فقدمنا بهم على رسول الله ﷺ فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمل أعينهم فجعلوا يقولون الماء ، ورسول الله ﷺ يقول النار حتى هلكوا قال وكره الله عز وجل سمل الاعين فانزل هذه الآية (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الى آخر الآية هذا حديث غريب، وفي إسناده الربذي وهو ضعيف وفي إسناده فائدة وهو ذكر أمير هذه السرية وهو جرير بن عبد الله البجلي وتقدم في صحيح مسلم أن هذه السرية كانوا عشرين فارسا من الانصار

واما قوله : فكره الله سمل الاعين فانزل الله هذه الآية فانه منكر وقد تقدم في صحيح مسلم انهم سملوا أعين الرعاء فكان مافعل بهم قصاصا والله أعلم وقال عبد الرازق عن ابراهيم بن محمد الاسلمي عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة قال قدم على رسول الله ﷺ رجال من بني فزارة قد ماتوا هزلا فأمرهم النبي ﷺ الى لقاحه فشربوا منها حتى صحوا ثم عمدوا الى لقاحه فسرقوها فطلبوا فأتي بهم النبي ﷺ فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم . قال أبو هريرة ففيهم نزلت هذه الآية (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله)فترك النبي ﷺ سمر الاعين بعد وروي من وجه آخر عن أبي هريرة وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا الحسين بن اسحق التستري حدثنا

في الامصار وهو قول الاوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي رحمهم الله . وقال قوم :المكابرون في الامصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق هذا الحد وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه، وعقوبة المحاربين ماذكر الله سبحانه وتعالى ﴿ أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ﴾ فذهب قوم إلى أن الامام بالخيار في أمر المحاربين بين القتل والقطع والصلب والنفي كما هو ظاهر الآية ، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والنخعي ومجاهد ، وذهب الاكثرون إلى أن هذه العقوبات على ترتيب الجرائم لا على التخيير لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابراهيم بن محمد عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قطاع الطريق اذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا ، واذا قتلوا ولم

أبو القاسم محمد بن الوليد بن عمرو بن محمد المديني حدثنا محمد بن طلحة عن موسى بن محمد بن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن سلمة بن الاكوع قال كان للنبي ﷺ غلام يقال له يسار فنظر اليه يحسن الصلاة فاعتقه ، وبعثه في لقاح له بالحرة فكان بها قال فاظهر قوم الاسلام من عرينة وجاؤا وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم قال فبعثبهم النبي ﷺ الى يسار فكانوا يشربون من البان الابل حتى انطوت بطونهم ثم عدوا على يسار فذبحوه وجعلوا الشوك في عينيه ثم أطردوا الابل فبعث النبي ﷺ في آثارهم خيلا من المسلمين كبيرهم كرز بن جابر الفهري فلحقهم فجاء بهم اليه فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم .غريب جداً وقد روى قصة العرنيين من حديث جماعة من الصحابة منهم جابر وعائشة وغير واحد وقد اعتنى الحافظ الجليل أبو بكر ابن مردويه بتطريق هذا الحديث من وجوه كثيرة جدا فرحمه الله وأثابه

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق سمعت ابي يقول سمعت أبا حمزة عن عبد الكريم وسئل عن أبوال الابل فقال حدثني سعيد بن جبير عن المحاربيين فقال كان أناس أتوا رسول الله ﷺ فقالوا نبايعك على الاسلام فبايعوه وهم كذبة وليس الاسلام يريدون . ثم قالوا إنا نجتوي المدينة فقال النبي ﷺ هذه اللقاح تغدوا عليكم وتروح فاشربوا من أبوالها والبانها قال فبينما هم كذلك إذ جاءهم الصريخ فصرخ الى رسول الله ﷺ فقال قتلوا الراعي واستاقوا النعم فأمر النبي ﷺ فنودي في الناس « أن ياخيل الله اركبي » قال فركبوا ألا ينتظر فارس فارساً قال وركب رسول الله ﷺ على أثرهم فلم يزالوا يطلبونهم حتي أدخلوهم مأمنهم فرجع صحابة رسول الله ﷺ وقد أسروا منهم فأتوا بهم النبي ﷺ فانزل الله (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية قال فكان نفيهم أن نفوهم حتى أدخلوهم مأمنهم وأرضهم ونفوهم من أرض المسلمين وقتل نبي الله ﷺ منهم وصلب وقطع وسمر الاعين قال فما مثل رسول الله ﷺ قبل ولا بعد قال ونهى عن المثلة وقال « ولا تمثلوا بشيء » قال وكان أنس يقول ذلك غير أنه قال أحرقهم بالنار بعدما قتلهم قال: وبعضهم يقول هم ناس من بني سليم ومنهم من عرينة ناس من بجيلة

يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا ، واذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ، فاذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالا نفوا من الارض وهو قول قتادة والاوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي رحمهم الله تعالى ، واذا قتل قاطع الطريق يقتل حتما حتى لا يسقط بعفو ولي الدم ، واذا أخذ من المال نصابا وهو ربع دينار تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ، واذا قتل وأخذ المال يقتل ويصلب واختلفوا في كيفيته فظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يقتل ثم يصلب ، وقيل يصلب حياً ثم يطعن حتى يموت مصلوبا وهو قول الليث بن سعد ، وقيل يصلب ثلاثة أيام حياً ثم ينزل فيقتل ، واذا أخاف السبيل ينفى، واختلفوا في النفي فذهب قوم إلى أن الامام يطلبه في كل بلد يوجد ينفى عنه

وقد اختلف الائمة في حكم هؤلاء العرنيين هل هو منسوخ أو محكم فقال بعضهم هو منسوخ بهذه الآية وزعموا أن فيها عتابا للنبي ﷺ كما في قوله (عفا الله عنك لم أذنت لهم ؟) ومنهم من قال هو منسوخ بنهي النبي ﷺ عن المثلة وهذا القول فيه نظر ثم قائله مطالب ببيان تأخر الناسخ الذي ادعاه عن المنسوخ وقال بعضهم: كان هذا قبل أن تنزل الحدود قاله محمد بن سيرين وفيه نظر فان قصته متأخرة . وفي رواية جرير بن عبدالله لقصتهم مايدل على تأخرها فانه اسلم بعد نزول المائدة ، ومنهم من قال لم يسمل النبي ﷺ أعينهم وانما عزم على ذلك حتى نزل القرآن فبين حكم المحاربين وهذا القول أيضا فيه نظر فانه قد تقدم في الحديث المتفق عليه أنه سمل، وفي رواية سمر أعينهم

وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم قال ذاكرت الليث بن سعد ما كان من سمل النبي ﷺ أعينهم وتركه حسمهم حتى ماتوا فقال سمعت محمد بن عجلان يقول أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ معاتبة في ذلك وعلمه عقوبة مثلهم من القتل والقطع والنفي ولم يسمل بعدهم غيرهم قال وكان هذا القول ذكر لابي عمرو يعني الاوزاعي فأنكر أن يكون نزلت معاتبة ، وقال بل كانت عقوبة أولئك النفر باعيانهم ، ثم نزلت هذه الآية في عقوبة غيرهم ممن حارب بعدهم ، ورفع عنهم السمل ، ثم قد احتج بعموم هذه الآية جمهور العلماء في ذهابهم الى أن حكم المحاربة في الامصار وفي السبلان على السواء لقوله (ويسعون في الارض فساداً) وهذا مذهب مالك والاوزاعي والليث بن سعد والشافعي واحمد بن حنبل حتى قال مالك في الذى يغتال الرجل فيخدعه حتي يدخله بيتا فيقتله ويأخذ مامعه ان هذه محاربة ودمه الى السلطان لا الى ولي المقتول ولا اعتبار بعفوه عنه في إسقاط القتل . وقال أبو حنيفة وأصحابه لاتكون المحاربة الا في الطرقات فأما في الامصار فلا لانه يلحقه الغوث إذا استغاث ، بخلاف الطريق لبعده ممن يغيثه ويعينه

وقوله تعالى (أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية : من شهر السلاح في فئة الاسلام ، وأخاف السبيل ثم ظفر به وقدر عليه فامام المسلمين فيه بالخيار إن شاء قتله ، وإن شاء صلبه، وإن شاء قطع يده ورجله وكذا قال سعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء والحسن البصري وابراهيم النخعي والضحاك وروى ذلك كله أبو جعفر بن جرير

وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبدالعزيز ، وقيل يطلبون لتقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد وبه قال الشافعي وقال أهل الكوفة : النفي هو الحبس وهو نفي من الارض وقال محمد ابن جرير ينفى من بلده الى غيره ويحبس في السجن في البلد الذي نفي اليه حتى تظهر توبته وقال مكحول ان عمر بن الخطاب أول من حبس في السجون وقال أحبسه حتى أعلم منه التوبة ولا أنفيه الى بلد فيؤذيهم ﴿ذلك﴾ الذي ذكرت من الحد ﴿لهم خزي﴾ عذاب وهوان وفضيحة ﴿في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾ فمن ذهب

وحكي مثله عن مالك بن أنس رحمه الله ومستند هذا القول أن ظاهر أو للتخيير كما في نظائر ذلك من القرآن كقوله في جزاء الصيد (فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبه أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) وكقوله في كفارة الفدية (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) وكقوله في كفارة اليمين (فاطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة) هذه كلها على التخيير فكذلك فلتكن هذه الآية. وقال الجمهور هذه الآية منزلة على أحوال كما قال ابو عبد الله الشافعي أنبأنا ابراهيم بن أبي يحيى عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس في قطاع الطريق إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا، واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا المال نفوا من الارض. وقد رواه ابن أبي شيبة عن عبد الرحيم بن سليمان عن حجاج عن عطية عن ابن عباس بنحوه وعن أبي مجلد وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي والحسن وقتادة والسدى وعطاء الخراساني نحو ذلك وهكذا قال غير واحد من السلف والائمة واختلفوا هل يصلب حيا ويترك حتى يموت بمنعه من الطعام والشراب، أو بقتله برمح أو نحوه أو يقتل أولا ثم يصلب تنكيلا وتشديداً لغيره من المفسدين وهل يصلب ثلاثة أيام ثم ينزل أو يترك حتى يسيل صديده في ذلك كله خلاف محرر في موضعه وبالله الثقة وعليه التكلان ويشهد لهذا التفصيل الحديث الذي رواه ابن جرير في تفسيره ان صح سنده فقال حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم عن يزيد بن أبي حبيب أن عبد الملك بن مروان كتب الى أنس بن مالك يسأله عن هذه الآية فكتب اليه يخبره أنها نزلت في أولئك النفر العرنيين وهم من بجيلة قال انس فارتدوا عن الاسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الابل، وأخافوا السبيل وأصابوا الفرج الحرام قال انس فسأل رسول الله ﷺ جبرائيل عليه السلام عن القضاء فيمن حارب فقال من سرق مالا وأخاف السبيل فاقطع يده بسرقته ورجله باخافته، ومن قتل فاقتله ومن قتل وأخاف السبيل واستحل الفرج الحرام فاصلبه

وأما قوله تعالى (أو ينفوا من الارض) قال بعضهم هو ان يطلب حتي يقدر عليه فيقام عليه الحد أو يهرب من دار الاسلام رواه ابن جرير عن ابن عباس وأنس بن مالك وسعيد بن جبير والضحاك والربيع بن أنس والزهري والليث بن سعد ومالك بن أنس. وقال آخرون هو ان ينفى من بلده الى بلد آخر أو يخرجه السلطان أو نائبه من معاملته بالكلية وقال الشعبي ينفيه - كما قال ابن هبيرة - من

الى أن الآية نزلت في الكفار قال معناه الا الذين تابوا من شركهم وأسلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود، ولا تبعة عليهم فيما أصابوا في حال الكفر من دم أو مال وأما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليه وهو قبل أن يظفر به الأمام تسقط عنه كل عقوبة وجبت حقاً لله. ولا يسقط ماكان من حقوق العباد فان كان قد قتل في قطع الطريق يسقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لولي القتيل فان شاء عفا عنه، وإن شاء استوفى وإن كان

عمله كله وقال عطاء الخراساني ينفى من جند الى جند سنين ولا يخرج من دار الاسلام وكذا قال سعيد بن جبير وابو الشعثاء والحسن والزهري والضحاك ومقاتل بن حيان انه ينفى ولا يخرج من أرض الاسلام . وقال آخرون المراد بالنفي ههنا السجن وهو قول أبي حنيفة وأصحابه واختار ابن جرير ان المراد بالنفي ههنا ان يخرج من بلده الى بلد آخر فيسجن فيه

وقوله تعالى (ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أى هذا الذي ذكرته من قتلهم ومن صلبهم وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ونفيهم خزي لهم بين الناس في هذه الحياة الدنيا مع ما ادخر الله لهم من العذاب العظيم يوم القيامة وهذا يؤيد قول من قال انها نزلت في المشركين فأما أهل الاسلام ففى صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النساء ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا يعضه بعضنا بعضا فمن وفى منكم فأجره على الله تعالى ،ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له ومن ستره الله فأمره الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه . وعن علي قال قال رسول الله ﷺ « من أذنب ذنبا فى الدنيا فعوقب به فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده ومن اذنب ذنبا في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود عليه في شيء قد عفا عنه »رواه الامام أحمد والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب وقد سئل الحافظ الدار قطني عن هذا الحديث فقال روي مرفوعا وموقوفا قال ورفعه صحيح

وقال ابن جرير في قوله (ذلك لهم خزي في الدنيا) يعني شر وعار ونكال وذلة وعقوبة في عاجل الدنيا قبل الآخرة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أي اذا لم يتوبوا من فعلهم ذلك حتى هلكوا ـ في الآخرة مع الجزاء الذي جازيتهم به في الدنيا والعقوبة التى عاقبتهم بها في الدنيا عذاب عظيم يعني عذاب جهنم وقوله تعالى (الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم) اما على قول من قال انها في اهل الشرك فظاهر وأما المحاربون المسلمون فاذا تابوا قبل القدرة عليهم فانه يسقط عنهم انحتام القتل والصلب وقطع الرجل وهل يسقط قطع اليد أم لا فيه قولان للعلماء وظاهر الآية يقتضي سقوط الجميع وعليه عمل الصحابة كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو اسامة عن مجالد عن الشعبي قال كان حارثة بن بدر التميمي من أهل البصرة وكان قد أفسد فى الارض وحارب فكلم رجالا من قريش منهم الحسن بن علي وابن عباس وعبد الله بن جعفر فكلموا عليا فيه فلم يؤمنه فأتى سعيد بن قيس الهمدانى فخلفه في داره ثم أتى عليا فقال ياأمير المؤمنين أرأيت من

قد أخذ المال يسقط عنه القطع ،وإن كان قد جمع بينهما يسقط عنه تحتم القتل والصلب ويجب ضمان المال وهو قول الشافعي رضي الله عنه. وقال بعضهم اذا جاء تائباً قبل القدرة عليه لايكون لاحد عليه تبعة في دم ولا مال إلا أن يوجد معه مال بعينه فيرده إلى صاحبه روي عن علي رضي الله عنه في حارثة ابن بدر كان خرج محاربا فسفك الدماء وأخذ المال ثم جاء تائبا قبل أن يقدر عليه فلم يجعل عليه علي

حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا فقرأ حتى بلغ (الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم) قال فكتب له أمانا قال سعيد بن قيس فانه جارية ابن بدر وكذا رواه بن جرير من غير وجه عن مجالد عن الشعبي به وزاد فقال جارية بن بدر

ألا بلغن همدان اما لقيتها * على النأى لا يسلم عدو يعيبها

لعمر أبيها ان همدان تتقي الا * له ويقضى بالكتاب خطيبها

وروى ابن جرير من طريق سفيان الثوري عن السدي ومن طريق أشعث كلاهما عن عامر الشعبي قال جاء رجل من مراد الى أبي موسى وهو على الكوفة في إمارة عثمان رضي الله عنه بعد ماصلى المكتوبة فقال ياأبا موسى هذا مقام العائذ بك أنافلان بن فلان المرادي واني كنت حاربت الله ورسوله وسعيت في الارض فسادا ، واني تبت من قبل ان تقدروا علي فقام أبو موسى فقال ان هذا فلان بن فلان وانه كان حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا ، وانه تاب من قبل ان نقدر عليه فمن لقيه فلا يعرض له الا بخير فان يك صادقا فسبيل من صدق ، وان يك كاذبا تدركه ذنوبه فأقام الرجل ماشاء الله ثم انه خرج فأدركه الله تعالى بذنوبه فقتله . ثم قال ابن جرير حدثني علي حدثنا الوليد بن مسلم قال قال الليث وكذلك حدثني موسى بن اسحاق المدني وهو الامير عندنا ان عليا الاسدي حارب وأخاف السبيل وأصاب الدم والمال فطلبه الائمة والعامة فامتنع ولم يقدروا عليه حتى جاء تائبا وذلك انه سمع رجلا يقرأ هذه الآية (ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) فوقف عليه فقال ياعبد الله أعد قراءتها فأعادها عليه فغمد سيفه ثم جاء تائبا حتى قدم المدينة من السحر فاغتسل ثم أتى مسجد رسول الله ﷺ فصلى الصبح ثم قعد الى أبي هريرة في أغمار أصحابه فلما أسفروا عرفه الناس فقاموا اليه فقال لا سبيل لكم علي جئت تائبا من قبل ان تقدروا علي فقال أبو هريرة صدق وأخذ بيده حتى أتى مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة في زمن معاوية فقال هذا علي جاء تائبا ولا سبيل لكم عليه ولا قتل فترك من ذلك كله قال وخرج علي تائبا مجاهدا في سبيل الله في البحر فلقوا الروم فقرنوا سفينة الى سفينة من سفنهم فاقتحم على الروم في سفينتهم فهربوا منه الى شقها الآخر فمالت به وبهم فغرقوا جميعا

يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجهدوا في سبيله لعلكم تفلحون (٣٥)

رضي الله عنه تبعة . اما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شيء منها وقيل كل عقوبة تجب حقا لله عز وجل من عقوبات قطع الطريق وقطع السرقة وحد الزنا والشرب تسقط بالتوبة بكل حال والاكثرون على أنها لا تسقط

قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا﴾ أطلبوا ﴿اليه الوسيلة﴾ أي القربة فعيلة من توسل

ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ماتقبل منهم ولهم عذاب اليم (٣٦) يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخرجين منها ولهم عذاب مقيم (٣٧)

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه وهي اذا قرنت بطاعته كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات. وقد قال بعدها (وابتغوا اليه الوسيلة) قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس أي القربة. وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن وقتادة وعبدالله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد وقال قتادة أي تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه. وقرأ ابن زيد (أولئك الذين تدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) وهذا الذي قاله هؤلاء الائمة لاخلاف بين المفسرين فيه. وأنشد عليه ابن جرير قول الشاعر

اذا غفل الواشون عدنا لوصلنا * وعاد التصافي بيننا والوسائل

والوسيلة هي التي يتوصل بها الى تحصيل المقصود، والوسيلة أيضا علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة الى العرش وقد ثبت في صحيح البخاري من طريق محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته الا حلت له الشفاعة يوم القيامة»

﴿حديث آخر﴾ في صحيح مسلم من حديث كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبدالله بن عمرو بن العاص انه سمع النبي ﷺ يقول «اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لاتنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة»

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال «اذا صليتم علي فسلوا لي الوسيلة» قيل يارسول الله وما الوسيلة؟ «قال أعلى درجة في الجنة لاينالها الا رجل واحد وأرجو ان أكون أنا هو» ورواه الترمذي عن بندار عن أبي عاصم عن سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم عن كعب قال حدثني أبو هريرة به ثم قال غريب وكعب ليس بمعروف، لانعرف أحدا روى عنه غير ليث بن أبي سليم

(حديث آخر) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الباقي بن قانع حدثنا محمد بن نصر الترمذي حدثنا عبد الحميد بن صالح حدثنا ابن شهاب عن ليث عن المعلى عن

الى فلان بكذا أي تقرب اليه وجمعها وسائل ﴿وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون * ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم﴾ أخبر أن الكافر

محمد بن كعب عن أبي هريرة رفعه قال « صلوا علي صلاتكم ، وسلوا الله لي الوسيلة — فسألوه أو أخبرهم — ان الوسيلة درجة في الجنة ليس ينالها الا رجل واحد وأرجو ان أكون أنا »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو القاسم الطبراني أنا احمد بن علي الابار حدثنا الوليد بن عبد الملك الحراني حدثنا موسى بن أعين عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « سلوا الله لي الوسيلة فانه لم يسألها لي عبد في الدنيا الا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة » ثم قال الطبراني لم يروه عن ابن أبي ذئب الا موسى بن أعين كذا قال. وقد رواه ابن مردويه حدثنا محمد بن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا موسى ابن عبيدة عن محمد بن عمرو بن عطاء فذكر باسناده نحوه

﴿ حديث آخر ﴾ روى ابن مردويه باسناديه عن عمارة بن غزية عن موسى بن وردان انه سمع أبا سعيد الخدري يقول قال رسول الله ﷺ « ان الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله ان يؤتيني الوسيلة على خلقه »

(حديث آخر) روى ابن مردويه أيضا من طريقين عن عبد الحميد بن بحر حدثنا شريك عن أبي أسحاق عن الحارث عن علي عن النبي ﷺ قال « في الجنة درجة تدعى الوسيلة فاذا سألتم الله فسلوا لي الوسيلة » قالوا يارسول الله من يسكن معك قال « علي وفاطمة والحسن والحسين » هذا حديث غريب منكر من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الحسن الدشتكي حدثنا أبو زهير حدثنا سعيد بن طريف عن علي بن الحسين الازدي مولى سالم بن ثوبان قال سمعت علي بن أبي طالب ينادي على منبر الكوفة : ياأيها الناس ان في الجنة لؤلؤتين احداهما بيضاء ، والاخرى صفراء اما الصفراء فانها الى بُطنان العرش والمقام المحمود من اللؤلؤة البيضاء سبعون الف غرفة كل بيت منها ثلاثة أميال وغرفها وأبوابها وأسرتها وسكانها من عرق واحد واسمها الوسيلة هي لمحمد ﷺ وأهل بيته ، والصفراء فيها مثل ذلك هي لابراهيم عليه السلام وأهل بيته . وهذا أثر غريب أيضا

وقوله (وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) لما أمرهم بترك المحارم وفعل الطاعات أمرهم بقتال الاعداء من الكفار والمشركين الخارجين عن الطريق المستقيم ، والتاركين للدين القويم ، ورغبهم في ذلك بالذي أعده للمجاهدين في سبيله يوم القيامة من الفلاح والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة التي لاتبيد ولا تحول ولا تزول في الغرف العالية الرفيعة ، الآمنة الحسنة مناظرها ، الطيبة مساكنها ، التي من سكنها ينعم لاييأس ، ويحيي لايموت ، لاتبلى ثيابه ولا يفنى شبابه

ثم أخبر تعالى بما أعد لأعدائه الكفار من العذاب والنكال يوم القيامة فقال (ان الذين كفروا

لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها ثم فدى بذلك نفسه من العذاب لم يقبل منه ذلك الفداء ﴿ ولهم عذاب اليم ، يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ﴾ وله وجهان (أحدهما) أنهم يقصدون ويطلبون

لو أن لهم مافي الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم ولهم عذاب مقيم) أي لو أن أحدهم جاء يوم القيامة بملء الارض ذهبا وبمثله ليفتدي بذلك من عذاب الله الذي قد أحاط به « وتيقن وصوله اليه ما تقبل ذلك منه بل لامندوحة عنه ولا محيص له ولا مناص ولهذا قال (ولهم عذاب أليم) أي موجع (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) كما قال تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) الآية فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته وأليم مسه ولا سبيل لهم الى ذلك ، كلما رفعهم اللهب فصاروا في أعلى جهنم ضربتهم الزبانية بالمقامع الحديد فيردوهم[1] الى أسفلها (ولهم عذاب مقيم) أى دائم مستمر لا خروج لهم منها ، ولا محيد لهم عنها ، وقد قال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « يؤتي بالرجل من أهل النار فيقال له يا ابن آدم كيف وجدت مضجعك ؟ فيقول شر مضجع ، فيقال هل تفتدي بتراب الارض ذهبا ؟ قال فيقول نعم يارب. فيقول الله تعالى كذبت قد سألتك أقل من ذلك فلم تفعل ، فيؤمر به الى النار » رواه مسلم والنسائي من طريق حماد بن سلمة بنحوه وكذا رواه البخاري ومسلم من طريق معاذ بن هشام الدستوائي عن أبيه عن قتادة عن أنس به وكذا أخرجاه من طريق أبي عمران الجوني واسمه عبد الملك بن حبيب عن أنس بن مالك به. ورواه مطر الوراق عن أنس بن مالك ، ورواه ابن مردويه من طريقه عنه ، ثم روى ابن مردويه من طريق المسعودي عن يزيد بن صهيب الفقير عن جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ قال « يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة » قال فقلت لجابر بن عبد الله يقول الله (يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها) قال اتل اول الآية (ان الذين كفروا لو ان لهم مافي الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به) الآية ألا انهم الذين كفروا ، وقد روى الامام أحمد ومسلم هذا الحديث من وجه آخر عن يزيد الفقير عن جابر وهذا أبسط سياقا

وقال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن أبي شيبة الواسطي حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا مبارك بن فضالة حدثني يزيد الفقير قال جلست الى جابر بن عبد الله وهو يحدث فحدث ان ناساً يخرجون من النار قال وأنا يومئذ أنكر ذلك فغضبت وقلت ما أعجب من الناس ولكن أعجب منكم يا أصحاب محمد ، تزعمون ان الله يخرج ناسا من النار والله يقول (يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها) الآية فانتهرني اصحابه وكان احلمهم فقال دعوا الرجل انما ذلك للكفار فقرأ (ان الذين كفروا لو ان لهم مافي الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة) حتى بلغ (ولهم عذاب مقيم) أما تقرأ القرآن ؟ قلت بلى قد جمعته قال أليس الله يقول (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) فهو ذلك المقام فان الله تعالى يحتبس أقواما بخطاياهم في النار ماشاء لايكلمهم فاذا أراد أن يخرجهم أخرجهم. قال فلم أعد بعد ذلك إلى أن أكذب به. ثم قال ابن مردويه حدثنا دعلج

المخرج منها كما قال الله تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) (والثاني) أنهم يتمنون ذلك بقلوبهم كما قال

(١) كذا في جميع الاصول ، ومقتضى الاعراب : فيردونهم

ابن احمد حدثنا عمرو بن حفص السدوسي حدثنا عاصم بن علي أخبرنا العباس بن الفضل حدثنا سعيد ابن المهلب حدثني طلق بن حبيب قال كنت من أشد الناس تكذيبا بالشفاعة حتى لقيت جابر بن عبد الله فقرأت عليه كل آية اقدر عليها يذكر الله فيها خلود اهل النار فقال: ياطلق اتراك أقرأ لكتاب الله وأعلم بسنة رسول الله مني ؟ ان الذين قرأت هم أهلها هم المشركون ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوبا فعذبوا ثم أخرجوا منها، ثم أهوى بيديه الى اذنيه فقال صمتا ان لم اكن سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرجون من النار بعد مادخلوا » ونحن نقرأ كما قرأت

والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله. والله عزيز حكيم (٣٨)

فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم (٣٩) ألم تعلم أن الله

له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير (٤٠)

يقول تعالى حاكما وآمراً بقطع يد السارق والسارقة .وروى الثوري عن جابر بن يزيد الجعفي عن عامر بن شراحيل الشعبي أن ابن مسعود كان يقرؤها (والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما) وهذه قراءة شاذة[1] وإن كان الحكم عند جميع العلماء موافقا لها لابها بل هو مستفاد من دليل آخر . وقد كان القطع معمولا به في الجاهلية فقرر في الاسلام وزيدت شروط أخر كما سنذكره ان شاء الله تعالى، كما كانت القسامة والدية والقراض وغير ذلك من الاشياء التي ورد الشرع بتقريرها على ماكانت عليه وزيادات هي من تمام المصالح .ويقال إن أول من قطع الايدي في الجاهلية قريش قطعوا رجلا يقال له دويك مولى لبني مليح بن عمرو من خزاعة كان قد سرق كنز الكعبة . ويقال سرقه قوم فوضعوه عنده وقد ذهب بعض الفقهاء من أهل الظاهر الى أنه متى سرق السارق شيئا قطعت يده به سواء كان قليلا أو كثيراً لعموم هذه الآية (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) فلم يعتبروا نصابا ولا حرزا بل أخذوا بمجرد السرقة

وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبد المؤمن عن نجدة الحنفي قال سألت ابن عباس

(١) التحقيق ان مثل هذا يقوله الصحابي من باب التفسير لا القراءة

تعالى إخباراً عنهم (ربنا أخرجنا منها) ﴿ولهم عذاب مقيم * والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ أراد به ايمانها وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود وجملة الحكم أن من سرق نصابا من المال من حرز لاشبهة له فيه تقطع يده اليمنى من الكوع ، ولا يجب القطع بسرقة مادون النصاب عند عامة أهل العلم حكي عن ابن الزبير أنه كان يقطع في الشيء القليل وعامة العلماء على خلافه واختلفوا في القدر الذي يقطع فيه فذهب اكثرهم الى أنه لا يقطع في أقل من ربع دينار فان سرق ربع دينار أو متاعاً قيمته ربع دينار يقطع وهو قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعي والشافعي لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز ابن أحمد الخلال أنا أبو العباس

عن قوله (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) اخاص أم عام؟ فقال بل عام وهذا يحتمل أن يكون موافقة من ابن عباس لما ذهب اليه هؤلاء ، ويحتمل غير ذلك فالله أعلم. وتمسكوا بما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده »

وأما الجمهور فاعتبروا النصاب في السرقة وان كان قد وقع بينهم الخلاف في قدره فذهب كل من الائمة الاربعة الى قول على حدة فعند الامام مالك بن أنس رحمه الله النصاب ثلاثة دراهم مضروبة خالصة فمتى سرقها أو مايبلغ ثمنها فما فوقه وجب القطع واحتج في ذلك بما رواه عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ «قطع في مجن ثمنه ثلاثة دراهم» أخرجاه في الصحيحين قال مالك رحمه الله : وقطع عثمان رضى الله عنه في أترجة قومت بثلاثة دراهم وهو أحب ماسمعت في ذلك وهذا الاثر عن عثمان رضي الله عنه قد رواه مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن عمرة بنت عبد الرحمن ان سارقا سرق في زمن عثمان أترجة فأمر بها عثمان أن تقوم فقومت بثلاثة دراهم صرف اثني عشر درهما فقطع عثمان يده قال أصحاب مالك ومثل هذا الصنيع يشتهر ولم ينكر فمن مثله يحكي الاجماع السكوتي وفيه دلالة على القطع في الثمار خلافا للحنفية وعلى اعتبار ثلاثة دراهم خلافا لهم في أنه لابد من عشرة دراهم، وللشافعية في اعتبار ربع دينار والله أعلم

وذهب الشافعي رحمه الله الى أن الاعتبار في قطع يد السارق بربع دينار أو مايساويه من الاثمان أو العروض فصاعداً أو الحجة في ذلك ما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم من طريق الزهري عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا » ولمسلم من طريق أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ قال « لاتقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا » قال أصحابنا فهذا الحديث فاصل في المسئلة ونص في اعتبار ربع الدينار لا ماساواه قالوا وحديث ثمن الجن ، وانه كان ثلاثة دراهم

الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابن عيينة عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال « القطع في ربع دينار فصاعدا » أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم وروي عن عثمان أنه قطع سارقا في أترجة قومت بثلاثة دراهم من صرف اثني عشر درهما بدينار وهذا قول مالك رحمه الله تعالى أنه يقطع في ثلاثة دراهم . وذهب قوم الى أنه لايقطع في أقل من دينار أو عشرة دراهم ويروى ذلك عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه واليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي وقال قوم لايقطع الا في خمسة دراهم ويروى ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وبه قال ابن أبي ليلى أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن اسمعيل أنا عمر بن حفص بن

لاينافي هذا لانه اذ ذاك كان الدينار باثني عشر درهماً فهي ثمن ربع دينار فأمكن الجمع بهذا الطريق ويروى هذا المذهب عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهم وبه يقول عمر بن عبد العزيز والليث بن سعد والاوزاعي والشافعي وأصحابه ، واسحاق بن راهويه في رواية عنه وأبو ثور وداود بن علي الظاهري رحمهم الله

وذهب الامام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه في رواية عنه الى أن كل واحد من ربع الدينار والثلاثة دراهم مرد شرعي فمن سرق واحدا منهما أو مايساويه قطع عملا بحديث ابن عمر وبحديث عائشة رضي الله عنها ووقع في لفظ عند الامام أحمد عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « اقطعوا في ربع دينار ولا تقطعوا فيما هو أدنى من ذلك » وكان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم والدينار اثني عشر درهما وفي لفظ للنسائي « لاتقطع يد السارق فيما دون ثمن الجن » قيل لعائشة ماثمن المجن قالت ربع دينار فهذه كلها نصوص دالة على عدم اشتراط عشرة دراهم والله أعلم

وأما الامام أبو حنيفة وأصحابه أبو يوسف ومحمد وزفر وكذا سفيان الثوري رحمهم الله فانهم ذهبوا الى أن النصاب عشرة دراهم مضروبة غير مغشوشة واحتجوا بان ثمن المجن الذي قطع فيه السارق على عهد رسول الله ﷺ كان ثمنه عشرة دراهم وقد روى أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا ابن نمير وعبد الاعلى حدثنا محمد بن اسحاق عن ايوب بن موسى عن عطاء عن ابن عباس قال كان ثمن المجن على عهد النبي ﷺ عشرة دراهم ثم قال حدثنا عبد الأعلى عن محمد بن اسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ « لاتقطع يد السارق في دون ثمن المجن » وكان ثمن المجن عشرة دراهم قالوا فهذا ابن عباس وعبد الله بن عمرو قد خالفا ابن عمر في ثمن المجن فالاحتياط الاخذ بالاكثر لان الحدود تدرأ بالشبهات

وذهب بعض السلف الى أنه تقطع يد السارق في عشرة دراهم أو دينار أو مايبلغ قيمته واحداً منها يحكى هذا عن علي وابن مسعود وابراهيم النخعي وأبي جعفر الباقر رحمهم الله تعالى وقال بعض السلف لاتقطع الخمس الا في خمس أي في خمسة دنانير أو خمسين درهما ، وينقل هذا عن سعيد بن جبير رحمه الله وقد أجاب الجمهور عما تمسك به الظاهرية من حديث أبي هريرة « يسرق البيضة فتقطع

غياث أخبرني أبي انا الاعمش قال سمعت أبا صالح عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده » وقال الاعمش كانوا يرون أنه بيض الحديد والحبل يرون أن منها مايساوي ثلاثة دراهم ويحتج بهذا الحديث من يرى القطع في الشيء القليل وهو عند الاكثرين محمول على ما قاله الاعمش لحديث عائشة رضي الله عنها . وإذا سرق شيئا من غير حرز كثمر في حائط لا حارس له أو حيوان في برية لا حافظ له أو متاع في بيت منقطع عن البيوت لا قطع عليه وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال لاقطع في ثمر معلق ولا في

يده، ويسرق الحبل فتقطع يده » بأجوبة أحدها أنه منسوخ بحديث عائشة وفي هـذا نظر لانه لابد من بيان التاريخ (والثاني) انه مؤول ببيضة الحديد وحبل السفن قاله الاعمش فيما حكاه البخاري وغيره عنه (والثالث) ان هذه وسيلة الى التدرج في السرقة من القليل الى الكثير الذي تقطع فيه يده ويحتمل ان يكون هذا خرج مخرج الاخبار عما كان الامر عليه في الجاهلية حيث كانوا يقطعون في القليل والـكثير فلعن السارق الذي يبذل يده الثمينة ، في الاشياء المهينة

وقد ذكروا أن أبا العلا المعري لما قدم بغداد اشتهر عنه انه أورد أشكالا على الفقها. فيجعلهم نصاب السرقة ربع دينار ونظم في ذلك شعراً دل على جهله ، وقلة عقله فقال

يد بخمس مئين عسجد وديت * مابالها قطعت في ربع دينار
تناقض مالنا الا السكوت له * وان نعوذ بمولانا من النار

ولما قال ذلك واشتهر عنه تطلبه الفقها. فهرب منهم وقد أجابه الناس في ذلك فكان جواب القاضى عبدالوهاب المالكي رحمه الله أن قال. لما كانت أمينة، كانت ثمينة، ولما خانت هانت، ومنهم من قال هذا من تمام الحكمة والمصـلحة وأسرار الشريعة العظيمة فان في باب الجنايات ناسب ان تعظم قيمة اليد بخمسمائة دينار لئلا يجنى عليها، وفي باب السرقة ناسب أن يكون القدر الذي تقطع فيه ربع دينار لئلا يسارع الناس في سرقة الاموال فهذا هو عين الحكمة عند ذوي الالباب. ولهذا قال (جزاء بمـا كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) أي مجازاة علي صنيعهما السيء في أخـذهما أموال الناس بأيديهم فناسب أن يقطع مااستعانا به في ذلك نكالا من الله أي تنكيلا من الله بهما على ارتكاب ذلك (والله عزيز) اي في انتقامه (حكيم) أي في أمره ونهيه وشرعه وقدره

ثم قال تعالى (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) أي من تاب بعد سرقته واناب الى الله فان الله يتوب عليه فيما بينه وبينه فأما أموال الناس فلا بد من ردها اليهم أو بدلها عند الجمهور وقال أبو حنيفة متى قطع وقد تلفت في يده فانه لايرد بدلهـا ، وقد روى الحافظ أبو الحسن الدار قطني من حديث[1] عن أبي هريرة ان رسـول الله ﷺ أتي بسارق

(١) هنا بياض بالاصل

حريسة جبل فاذا آواه المراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن وروي عن ابن جريج عن الزبير عن جابر رضي الله عنـه عن النبي ﷺ قال « ليس على خائن أو منتهب ولا مختلس قطع » وإذا سرق مالا له فيه شبهة كالعبد يسرق من مال سيده، أو الولد يسرق من مال والده، أوالوالد يسرق من مال ولده، أو أحد الشريكين يسرق من مال المشترك شيئاً لا قطع عليه. وإذا سرق السارق أول مرة تقطع يده اليمنى من الكوع ثم إذا سرق ثانياً تقطع رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما إذا سرق ثالثاً فذهب اكثرهم الى أنه تقطع يده اليسرى وإذا سرق رابعا تقطع رجله اليمنى ثم إذا سرق بعده شيئا يعزر ويحبس حتى تظهر توبته وهو المروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو

قد سرق شملة فقال ماأخاله سرق فقال السارق بلى يارسول الله قال «اذهبوا به فاقطعوه ثم احسموه ثم ائتوني به » فقطع فأتي به فقال « تب الى الله » فقال تبت الى الله فقال « تاب الله عليك » وقد روي من وجه آخر مرسلا ورجح ارساله علي بن المديني وابن خزيمة رحمهما الله . وروى ابن ماجه من حديث ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن ثعلبة الانصاري عن أبيه ان عمر بن سمرة بن حبيب ابن عبد شمس جاء الى النبي ﷺ فقال يارسول الله اني سرقت جملا لبني فلان فطهرني فأرسل اليهم النبي ﷺ فقالوا انا افتقدنا جملا لنا فأمر به فقطعت يده وهو يقول الحمد لله الذي طهرني منك أردت أن تدخلي جسدي النار. وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن حيي بن عبدالله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال سرقت امرأة حليا فجاء الذين سرقتهم فقالوا يارسول الله سرقتنا هذه المرأة فقال رسول الله ﷺ «اقطعوا يدها اليمنى» فقالت المرأة هل من توبة فقال رسول الله ﷺ «أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك» قال فأنزل الله عز وجل (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) وقد رواه الامام أحمد بأبسط من هذا فقال حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو ان امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ فجاء بها الذين سرقتهم فقالوا يارسول الله ان هذه المرأة سرقتنا قال قومها فنحن نفديها فقال رسول الله ﷺ « اقطعوا يدها » فقالوا نحن نفديها بخمس مائة دينار فقال « اقطعوا يدها » فقطعت يدها اليمنى فقالت المرأة هل لي من توبة يارسول الله قال « نعم انت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك » فأنزل الله في سورة المائدة (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) وهذه المرأة هي المخزومية التي سرقت . وحديثها ثابت في الصحيحين من رواية الزهري عن عروة عن عائشة ان قريشا أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا ومن يجترىء عليه الا

قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في السارق «إنه إن سرق فاقطعوا يده، ثم ان سرق فاقطعوا رجله، ثم ان سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله» وذهب قوم الى أنه إن سرق ثالثا بعد ما قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى لايقطع بل يحبس وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وقال اني لأستحي أن لاأدع له يداً يستنجي بها، ولا رجلا يمشي بها وهو قول الشعبي والنخعي وبه قال الاوزاعي وأحمد وأصحاب الرأي

قوله تعالى ﴿جزاء بما كسبا﴾ نصب على الحال والقطع، ومثله ﴿نكالا﴾ أي عقوبة ﴿من الله والله عزيز حكيم * فمن تاب من بعد ظلمه﴾ أي سرقته ﴿وأصلح﴾ العمل ﴿فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم﴾ هذا فيما بينه وبين الله تعالى . فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند الاكثرين قال مجاهد السارق لا توبة له فاذا قطعت حصلت التوبة والصحيح أن القطع للجزاء على الجناية كما قال (جزاء بما كسبا) ولا

أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فأتي بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال « أتشفع في حد من حدود الله عز وجل » فقال له أسامة استغفر لي يارسول الله ، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال « أما بعد فانما أهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد واني والذى نفسي بيده لوأن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها قالت عائشة فحسنت توبتها بعد وتزوجت وكانت تأتي بعد ذلك فارفع حاجتها الى رسول الله ﷺ وهذا لفظ مسلم وفي لفظ له عن عائشة قالت كانت أمرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبي ﷺ بقطع يدها وعن ابن عمر قال كانت امرأة مخزومية تستعير متاعا على ألسنة جاراتها وتجحده فأمر رسول الله ﷺ بقطع يدها رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي وهذا لفظه وفي لفظ له ان امرأة كانت تستعير الحلي للناس ثم تمسكه فقال رسول الله ﷺ « لتتب هذه المرأة الى الله والى رسوله وترد ما تأخذ على القوم » ثم قال رسول الله ﷺ « قم يابلال فخذ بيدها فاقطعها» وقد ورد في أحكام السرقة أحاديث كثيرة مذكورة في كتاب الاحكام ولله الحمد والمنة

ثم قال تعالى (ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) أي هو المالك لجميع ذلك الحاكم فيه الذي لا معقب لحكمه وهو الفعال لما يريد (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير)

يأَيها الرسول لايحزنك الذين يسٰرعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفوٰههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سمّٰعون للكذب سمّٰعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم

بد من التوبة بعده وتوبته الندم على مامضى والعزم على تركه في المستقبل. وإذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي لاغرم عليه، وبالاتفاق إن كان المسروق قائما عنده يسترده ويقطع يده لان القطع حق الله تعالى والغرم حق العبد فلا يمنع أحدهما الآخر كاسترداد العين ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض﴾ الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الجميع وقيل معناه ألم تعلم أيها الانسان فيكون خطابا لكل واحد من الناس ﴿ يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء﴾ قال السدى والكلبي (يعذب من يشاء) من مات على كفره (ويغفر لمن يشاء) من تاب من كفره وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء على الكبيرة ﴿ والله على كل شيء قدير﴾

قوله تعالى﴿ ياأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ أي في موالاة الكفار فانهم لن يعجزوا الله ﴿من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ وهم المنافقون ﴿ومن الذين هادوا﴾ يعني اليهود ﴿سماعون﴾ أي قوم سماعون ﴿للكذب﴾ أي قابلون للكذب كقول المصلي سمع الله لمن حمده

من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هٰذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا. ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أُولٰئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٤١) سمّٰعون للكذب أكّٰلون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين (٤٢) وكيف يحكمونك وعندهم التورٰة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذٰلك وما أُولٰئك بالمؤمنين (٤٣) إنا أنزلنا التورٰة فيها هدًى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربّٰنيون والأحبار بما استُحفظوا من كتٰب الله وكانوا عليه شهداء، فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بـَٔايٰتي ثمنا قليلا، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولٰئك هم الكٰفرون (٤٤)

نزلت هذه الآيات الكريمات في المسارعين في الكفر الخارجين عن طاعة الله ورسوله المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله عز وجل (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) أي أظهروا الايمان بألسنتهم وقلوبهم خراب خاوية منه وهؤلاء هم المنافقون (ومن الذين هادوا) أعداء الاسلام وأهله وهؤلاء كلهم (سماعون للكذب) أي مستجيبون له منفعلون عنه (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي يستجيبون لاقوام آخرين لا يأتون مجلسك يا محمد وقيل المراد انهم يتسمعون الكلام وينهونه الى قوم آخرين ممن لا يحضر عندك من أعدائك (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي يتأولونه على غير تأويله أيبدلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا) قيل نزلت في أقوام من اليهود قتلوا قتيلا وقالوا تعالوا حتى نتحاكم الى محمد فان حكم بالدية فاقبلوه وان حكم

أي قبل الله وقيل معناه سماعون لاجل الكذب أي يسمعون منك ليكذبوا عليك وذلك أنهم كانوا يسمعون من الرسول ﷺ ثم يخرجون ويقولون سمعنا منه كذا ولم يسمعوا ذلك منه ﴿سماعون لقوم آخرون لم يأتوك﴾ أي هم جواسيس يعني بني قريظة لقوم آخرين هم أهل خيبر وذلك أن رجلا وامرأة من أشراف أهل خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم في التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا إن هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب فارسلوا الى اخوانكم بني قريظة فانهم جيرانه وصلح له فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم

بالقصاص فلا تسمعوا منه. والصحيح انها نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الامر برجم من أحصن منهم فحرفوه واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة والتحميم والاركاب على حمار مقلوبين فلما وقعت تلك الكائنة بعد الهجرة قالوا فيما بينهم تعالوا حتى نتحاكم اليه فان حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه واجعلوه حجة بينكم وبين الله ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك وان حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك وقد وردت الاحاديث بذلك فقال مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان اليهود جاءوا الى رسول الله ﷺ فذكروا له ان رجلا منهم وامراة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ ماتجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا نفضحهم ويجلدون قال عبدالله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ماقبلها وما بعدها فقال له عبدالله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم فقالوا صدق يامحمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة» أخرجاه وهذا لفظ البخاري وفي لفظ له قال لليهود «ماتصنعون بهما؟ قالوا نسخم وجوههما ونخزيهما قال (فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فجاؤا فقالوا لرجل منهم ممن يرضون أعور: اقرأ، فقرأ حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليه فقال ارفع يدك فرفع فاذا آية الرجم تلوح قال يا محمد ان فيها آية الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا، فأمر بهما فرجما. وعند مسلم ان رسول الله ﷺ أتي بيهودي ويهودية قد زنيا فانطلق رسول الله ﷺ حتى جاء يهود فقال «ماتجدون في التوراة على من زني؟ قالوا نسود وجوههما ونحممها ونحملها ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما قال (فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) قال فجاؤا بها فقرؤها حتى اذا مر بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ مابين يديها وما وراءها فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله ﷺ مره فليرفع يده فرفع يده فاذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما. قال عبد الله بن عمر كنت فيمن رجمهما فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه

سلوا محمداً عن الزانيين إذا أحصنا ماحدهما؟ فان أمركم بالجلد فاقبلوا منه وان أمركم بالرجم فاحذروا ولاتقبلوا منه. وارسلوا معهم الزانيين، فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير فقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث فلان وفلانة قد فجرا وقد أحصنا فنحب أن تسألوا لنا محمداً عن قضائه فيه فقالت لهم قريظة والنضير إذا والله يأمر بما تكرهون» ثم انطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن أسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم الى رسول الله ﷺ فقالوا يامحمد اخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ماحدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي فقالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فاخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال رسول الله ﷺ هل

وقال أبو داود حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني حدثنا ابن وهب حدثنا هشام بن سعد أن زيد ابن أسلم حدثه عن ابن عمر قال أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله ﷺ الى القف فأتاهم في بيت المدراس فقالوا يا أبا القاسم إن رجلا منا زنا بامرأة فاحكم قال ووضعوا لرسول الله ﷺ وسادة فجلس عليها ثم قال «ائتوني بالتوراة» فأتي بها فنزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها وقال آمنت بك وبمن أنزلك ثم قال «ائتوني بأعلمكم» فاتي بفتى شاب ثم ذكر قصة الرجم نحو حديث مالك عن نافع وقال الزهري سمعت رجلا من مزينة ممن يتبع العلم ويعيه ونحن عند ابن المسيب عن أبي هريرة قال زنا رجل من اليهود بامرأة فقال بعضهم لبعض اذهبوا الى هذا النبي فانه بعث بالتخفيف فان أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله قلنا فتيا نبي من أنبيائك، قال فأتوا النبي ﷺ وهو جالس في المسجد في أصحابه فقالوا يا أبا القاسم ما تقول في رجل وامرأة منهم زنيا؟ فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال «أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى اذا أحصن» قالوا يحمم ويجبه ويجلد والتجبية أن يحمل الزانيان على حمار وتقابل أقفيتهما ويطاف بهما قال وسكت شاب منهم فلما رآه رسول الله ﷺ سكت ألظَّ به رسول الله ﷺ النشدة فقال اللهم إذ نشدتنا فانا نجد في التوراة الرجم فقال النبي ﷺ «فما اول ما ارتخصتم أمر الله» قال زنى ذو قرابة من ملك من ملوكنا فأخر عنه الرجم ثم زنى رجل في أسرة من الناس فأراد رجمه فحال قومه دونه وقالوا لا نرجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فترجمه، فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم فقال النبي ﷺ «فاني أحكم بما في التوراة» فأمر بهما فرجما قال الزهري فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا) فكان النبي ﷺ منهم رواه أحمد وأبو داود وهذا لفظه وابن جرير وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن عبد الله بن مرة عن البراء بن عازب قال مر على رسول الله ﷺ يهودي محمم مجلود فدعاهم فقال «أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم»

تعرفون شابا أمرد أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم فقالوا هو أعلم يهودي بقي على وجه الارض بما أنزل الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام في التوراة قال ﷺ فارسلوا اليه ففعلوا فأتاهم فقال له النبي ﷺ أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال أتجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال له النبي ﷺ أنشدك بالله الذي لا اله الا هو الذي انزل التوراة على موسى عليه السلام وأخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي ظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن؟» قال ابن صوريا: نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن تحرقني التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال «إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم» فقال ابن صوريا والذي أنزل التوراة

فقالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال « أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم » فقال لا والله ولولا أنك نشدتني بهذا لم اخبرك ، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا حتى نجعل شيئا نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد فقال النبي ﷺ « اللهم اني أول من أحيا أمرك اذ أماتوه » قال فأمر به فرجم قال فانزل الله عزوجل (ياأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر) الى قوله (يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه) أي يقولون ائتوا محمداً فان أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا الى قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال في اليهود الى قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون) قال في اليهود (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) قال في الكفار كلها، انفرد باخراجه مسلم دون البخارى وأبوداود والنسائي وابن ماجه من غير وجه عن الاعمش به وقال الامام أبو بكر عبدالله بن الزبير الحميدي في مسنده حدثنا سفيان بن عيينه حدثنا مجالد بن سعيد الهمداني عن الشعبي عن جابر بن عبدالله قال زنى رجل من أهل فدك فكتب أهل فدك الى ناس من اليهود بالمدينة أن سلوا محمدا عن ذلك فان أمركم بالجلد فخذوه عنه وأن امركم بالرجم فلا تاخذوه عنه فسالوه عن ذلك فقال « ارسلوا الي أعلم رجلين فيكم » فجاؤا برجل أعور يقال له ابن صوريا وآخر فقال لهما النبي ﷺ « أنتما أعلم من قبلكما » فقالا قد دعانا قومنا لذلك فقال النبي لهما « أليس عندكما التوراة فيها حكم الله » قالا بلى فقال النبي ﷺ « فأنشدكم بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وظلل عليكم الغمام وأنجاكم من آل فرعون وأنزل المن والسلوى على بنى إسرائيل ما تجدون في التوراة في شأن الرجم » فقال أحدهما للآخر مانشدت بمثله قط ثم قالا نجد ترداد النظر زنية والاعتناق زنية والتقبيل زنية فاذا شهد أربعة أنهم رأوه يبدي، ويعيد كما يدخل الميل في المكحلة فقد وجب الرجم فقال النبي ﷺ « هو ذاك » فأمر به فرجم فنزلت

على موسى هكذا أنزل الله عز وجل في التوراة على موسى عليه السلام فقال له النبي ﷺ فماذا كان أول مانرخصتم به أمر الله؟ قال كنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فكثر الزنا في أشرافنا، حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل آخر في أسوة من الناس فأراد ذلك الملك رجمه فقام دونه قومه فقالوا والله لايرجم حتى يرجم فلان لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على الوضيع والشريف فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلدا أربعين جلدة بحبل مطلي بالقار ثم يسود وجههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم . فقالت اليهود لابن صور ياما أسرع ما اخبرته به وما كنت لما اثنينا عليك بأهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك، فقال لهم انه قد أنشدني بالتوراة ولولا خشية التوراة أن تهلكني لما اخبرته به ، فأمر بهما النبي ﷺ فرجما عند باب مسجده فقال « اللهم اني اول

(فان جاؤك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين) ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث مجالد به نحوه ولفظ أبي داود عن جابر قال جاءت اليهود برجل وامرأة منهم زنيا فقال « ائتوني باعلم رجلين منكم » فأتوا بابني صوريا فنشدهما « كيف تجدان أمر هذين في التوراة ؟ قالا نجد إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة رجما، قال فما يمنعكم أن ترجموهما قالا ذهب سلطاننا فكرهنا القتل فدعا رسول الله ﷺ بالشهود فجاء أربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره مثل الميل في المكحلة فأمر رسول الله ﷺ برجمها ثم رواه ابوداود عن الشعبي وابراهيم النخعي مرسلا ولم يذكر فيه فدعا بالشهود فشهدوا

فهذه الاحاديث دالة على ان رسول الله ﷺ حكم بموافقة حكم التوراة وليس هذا من باب الاكرام لهم بما يعتقدون صحته لانهم مأمورون باتباع الشرع المحمدي لامحالة ولكن هذا بوحي خاص من الله عز وجل اليه بذلك وسؤاله اياهم عن ذلك ليقررهم على ما بأيديهم مما تواطؤا على كتمانه وجحده وعدم العمل به تلك الدهور الطويلة فلما اعترفوا به مع علمهم على خلافه بان زيغهم وعنادهم وتكذيبهم لما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بايديهم وعدولهم الى تحكيم الرسول ﷺ إنما كان عن هوى منهم وشهوة لموافقة آرائهم لا لاعتقادهم صحة مايحكم به ولهذا قالوا (إن أوتيتم هذا) أي الجلد والتحميم فخذوه أي اقبلوه (وإن لم تؤتوه فاحذروا) أي من قبوله واتباعه .

قال الله تعالى (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب)أي الباطل (أكالون للسحت) أي الحرام وهو الرشوة كما قاله ابن مسعود وغير واحد أي ومن كانت هذه صفته كيف يطهر الله قلبه وأنى يستجيب له ثم قال لنبيه (فان جاؤك) أي يتحاكمون اليك (فاحكم بينهم أو اعرض عنهم، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً) أي فلا عليك أن لاتحكم بينهم لانهم لايقصدون بتحاكمهم اليك اتباع

من احيا امرك إذ اماتوه» فأنزل الله عز وجل (ياأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر) أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال ان اليهود جاءوا الى رسول الله ﷺ فذكروا له ان رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ ماتجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا نفضحهم ويجلدون قال عبدالله بن سلام كذبتم ان فيها لآية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده على آية الرجم فقرأ ماقبلها ومابعدها فقال له عبدالله ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم قالوا صدق يامحمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما فقال عبد الله بن عمر فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة . وقيل سبب نزول هذه الآية القصاص وذلك أن بني النضير كان لهم فضل على بني قريظة، فقال بنو قريظة : يامحمد اخواننا بنو النضير أبونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد، واذا

الحق بل مايوافق أهواءهم قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدى وزيد بن أسلم وعطاء الخراسانى والحسن وغير واحد هي منسوخة بقوله (وأن احكم بينهم بما أنزل الله)،(وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أى بالحق والعدل وان كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل (ان الله يحب المقسطين) ثم قال تعالى منكرا عليهم فى آرائهم الفاسدة، ومقاصدهم الزائغة، في تركهم مايعتقدون صحته من الكتاب الذي بايديهم الذي يزعمون أنهم مأمورون بالتمسك به أبداً ثم خرجوا عن حكمه وعدلوا الى غيره مما يعتقدون في نفس الأمر بطلانه وعدم لزومه لهم فقال (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) ثم مدح التوراة التي أنزلها على عبده ورسوله موسى ابن عمران فقال (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) أي لايخرجون عن حكمها ولا يبدلونها ولا يحرفونها (والربانيون والاحبار) أي وكذلك الربانيون وهم العلماء العباد والاحبار وهم العلماء (بما استحفظوا من كتاب الله) أي بما استودعوا من كتاب الله الذي أمروا أن يظهروه ويعملوا به (وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الله واخشوني) أي لاتخافوا منهم وخافوا مني (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) فيه قولان سيأتي بيانهما

﴿ سبب آخر في نزول هذه الآيات الكريمات ﴾

وقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن العباس حدثنا عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبد الله ابن عبد الله عن ابن عباس قال إن الله أنزل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وأولئك هم الظالمون وأولئك هم الفاسقون) قال قال ابن عباس أنزلها الله في الطائفتين من اليهود وكانت احداهما قد قهرت الاخرى في الجاهلية حتى ارتضوا واصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقاً وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق فكانوا على ذلك حتى قدم النبي ﷺ فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلا فأرسلت العزيزة إلى الذليلة أن ابعثوا لنا بمائة وسق

قتلوا منا قتيلا لم يقيدونا وأعطونا ديته سبعين وسقاً من تمر، واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل وأخذوا منا الضعف مائة وأربعين وسقاً من تمر، وإن كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا، وبالعبد حراً منا وجراحاتنا على التضعيف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية والاول أصح لأن الآية في الرجم. قوله (ومن الذين هادوا سماعون للكذب) قيل اللام بمعنى إلى وقيل هي لام كي، أي يسمعون لكي يكذبوا عليك واللام في قوله لقوم أي لأجل قوم آخرين لم يأتوك وهم أهل خيبر ﴿ يحرفون الكلم ﴾ جمع كلمة ﴿ من بعد مواضعه ﴾ أي من بعد وضعه مواضعه وانما ذكر الكناية رداً على لفظ الكلم ﴿ يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه ﴾ أي إن أفتاكم محمد ﷺ بالجلد والتحميم فاقبلوا ﴿ وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته ﴾ كفره وضلالته. قال الضحاك هلاكه وقال قتادة عذابه ﴿ فلن تملك له من الله شيئاً ﴾ فلن تقدر على دفع أمر الله فيه ﴿ أولئك الذين لم يرد

فقالت الذليلة وهل كان في حيين دينهما واحد ونسبهما واحد وبلدهما واحد دية بعضهم نصف دية بعض انما أعطيناكم هذا ضيما منكم لنا وفرقا منكم فأما اذ قدم محمد فلا نعطيكم فكادت الحرب تهيج بينهما ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول الله ﷺ بينهم ثم ذكرت العزيزة فقالت والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم ولقد صدقوا ما أعطونا هذا الا ضيما منا وقهرا لهم فدسوا الى محمد من يخبر لكم رأيه ان أعطاكم ما تريدون حكمتموه وان لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه فدسوا الى رسول الله ﷺ ناسا من المنافقين ليخبروا لهم رأي رسول الله ﷺ فلما جاؤا رسول الله ﷺ أخبر الله رسوله ﷺ بأمرهم كله وما أرادوا فأنزل الله تعالى (يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) الى قوله (الفاسقون) ففيهم والله أنزل وإياهم عني الله عز وجل ورواه أبوداود من حديث ابن أبي الزناد عن أبيه بنحوه

وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا هناد بن السرى وأبو كريب قالا حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن الآيات التي في المائدة قوله (فاحكم بينهم أو اعرض عنهم -الى- المقسطين) إنما أنزلت في الدية في بنى النضير وبنى قريظة وذلك أن قتلى بني النضير كان لهم شرف تؤدي الدية كاملة وأن قريظة كان يؤدي لهم نصف الدية فتحاكموا في ذلك الى رسول الله ﷺ فأنزل الله ذلك فيهم فحملهم رسول الله ﷺ على الحق في ذلك فجعل الدية في ذلك سواء والله أعلم أي ذلك كان ، ورواه أحمد وأبوداود والنسائي من حديث ابن اسحق بنحوه ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت قريظة والنضير وكانت النضير أشرف من قريظة فكان إذا قتل القرظي رجلا من النضير قتل به وإذا قتل النضيري رجلا من قريظة ودي بمائة وسق من تمر فلما بعث رسول الله ﷺ قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فقالوا ادفعوه اليه فقالوا بيننا وبينكم رسول الله ﷺ فنزلت (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط)، ورواه أبوداود والنسائي وابن حبان والحاكم في المستدرك من حديث عبدالله بن موسى بنحوه ، وهكذا قال قتادة ومقاتل بن حبان وابن زيد وغير واحد

الله أن يطهر قلوبهم ﴾ وفيه رد على من ينكر القدر ﴿ لهم في الدنيا خزي ﴾ أي المنافقين واليهود فخزي المنافقين الفضيحة وهتك الستر باظهار نفاقهم ، وخزي اليهود الجزية ، أو القتل والسبي ، أو النفي ورؤيتهم من محمد ﷺ وأصحابه فيهم مايكرهون ﴿ ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ الخلود في النار ﴿ سماعون للكذب أكالون للسحت ﴾ قرأ ابن كثير وأبوجعفر وأهل البصرة والكسائي السحت بضم الحاء، والآخرون بسكونها وهو الحرام وأصله الهلاك والشدة قال الله تعالى(فيسحتكم بعذاب)نزلت في حكام اليهود كعب بن الاشرف وأمثاله كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم . قال الحسن ، كان

وقد روى العوفي وعلي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس أن هذه الآيات نزلت في اليهوديين الذين زنيا كما تقدمت الاحاديث بذلك وقد يكون اجتمع هذان السببان في وقت واحد فنزلت هذه الآيات في ذلك كله والله أعلم ، ولهذا قال بعد ذلك (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين) الى آخرها وهذا يقوي أن سبب النزول قضية القصاص والله سبحانه وتعالى أعلم

وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال البراء بن عازب وحذيفة ابن اليمان وابن عباس وأبو مجلد وأبورجاء العطاردي وعكرمة وعبيدالله بن عبدالله والحسن البصري وغيرهم نزلت في أهل الكتاب زاد الحسن البصري وهي علينا واجبة وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم قال نزلت هذه الآيات في بني اسرائيل ورضي الله لهذه الأمة بها رواه ابن جرير

وقال ابن جرير أيضا حدثنا يعقوب حدثنا هشيم اخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان عن سلمة

الحاكم منهم اذا أتاه أحد برشوة جعلها في كمه فيريها إياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة ، وعنه أيضاً قال: انما ذلك في الحكم اذا رشوته ليحق لك باطلا أو يبطل عنك حقك ، فاما أن يعطي الرجل الوالي يخاف ظلمه ليدرأ به عن نفسه فلا بأس ، فالسحت هو الرشوة في الحكم على قول الحسن ومقاتل وقتادة والضحاك . وقال ابن مسعود هو الرشوة في كل شيء . قال ابن مسعود : من يشفع شفاعة ليرد بها حقاً أو يدفع بها ظلماً فأهدى له فقبل فهو سحت . فقيل له يا أبا عبد الرحمن ماكنا نرى ذلك إلا الاخذ على الحكم ؟ فقال الاخذ على الحكم كفر. قال الله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبوالقاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « لعنة الله على الراشي والمرتشي » قال الاخفش : السحت كل كسب لايحل قوله عز وجل ﴿ فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً ﴾ خير الله تعالى رسوله ﷺ في الحكم بينهم إن شاء حكم وإن شاء ترك ، واختلفوا في حكم الآية اليوم هل للحاكم الخيار في الحكم بين أهل الذمة اذا تحاكموا الينا فقال أكثر أهل العلم هو حكم ثابت وليس في سورة المائدة حكم منسوخ وحكام المسلمين بالخيار في الحكم بين أهل الكتاب إن شاؤا حكموا وإن شاؤا لم يحكموا وإن حكموا حكموا بحكم الاسلام وهو قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة . وقال قوم : يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بينهم والآية منسوخة نسخها قوله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) وهو قول مجاهد وعكرمة وروي ذلك عن ابن عباس وقال : لم ينسخ من المائدة إلا آيتان قوله تعالى (لاتحلوا شعائر الله) نسخها

ابن كهيل عن علقمة ومسروق أنهما سألا ابن مسعود عن الرشوة فقال من السحت قال فقالا وفي الحكم قال ذاك الكفر ثم تلا (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، وقال السدى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) يقول ومن لم يحكم بما أنزلت فتركه عمداً أوجار وهو يعلم فهو من الكافرين وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) قال من جحد ما أنزل الله فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق رواه ابن جرير ثم اختار ان الآية المراد بها أهل الكتاب أو من جحد حكم الله المنزل في الكتاب، وقال عبدالرزاق عن الثوري عن زكريا عن الشعبي ومن لم يحكم بما أنزل الله قال المسلمين

وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا عبدالصمد حدثنا شعبة بن أبي السفر عن الشعبي (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال هذا في المسلمين (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) قال هذا في اليهود (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) قال هذا

قوله تعالى (اقتلوا المشركين) وقوله (فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) نسخها قوله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) فأما اذا تحاكم الينا مسلم وذمي فيجب علينا الحكم بينهما لا يختلف القول فيه لأنه لا يجوز المسلم الانقياد لحكم أهل الذمة. قوله ﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾ أي بالعدل ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾ أي العادلين روي عن النبي ﷺ أنه قال «المقسطون عندالله على منابر من نور»

قوله تعالى ﴿ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة ﴾ هذا تعجيب للنبي ﷺ وفيه اختصار، أي وكيف يجعلونك حكماً بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة ﴿ فيها حكم الله ﴾ وهو الرجم ﴿ ثم يتولون من بعد ذلك، وما أولئك بالمؤمنين ﴾ أي بمصدقين لك

قوله عز وجل ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا ﴾ أي أسلموا وانقادوا لأمر الله تعالى كما أخبر عن ابراهيم عليه السلام (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) وكما قال (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) وأراد بهم النبيين الذين بعثوا من بعد موسى عليه السلام ليحكموا بما في التوراة وقد أسلموا لحكم التوراة وحكموا بها، فان من النبيين من لم يؤمر بحكم التوراة منهم عيسى عليه السلام[1] قال الله سبحانه وتعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقال الحسن والسدي: أراد به محمداً ﷺ حكم على اليهود بالرجم ذكر بلفظ الجمع كما قال إن ابراهيم كان أمة قانتاً، وقوله تعالى ﴿ للذين هادوا ﴾ قيل فيه تقديم وتأخير تقديره: فيها هدى ونور للذين هادوا – ثم قال – يحكم بها النبيون الذين أسلموا والربانيون. وقيل هو على موضعه، ومعنا يحكم بها النبيون الذين أسلموا على الذين هادوا كما قال (وإن أسأتم فلها) أي فعليها، وكما قال (أولئك لهم اللعنة) أي عليهم وقيل فيه حذف كأنه قال للذين هادوا وعلى الذين هادوا فحذف أحدهما اختصاراً ﴿ والربانيون والاحبار ﴾ يعني العلماء واحدها حبر وحبر بفتح الحاء وكسرها والكسر أفصح وهو

(١) هذا غلط بل أمر بالحكم بها مع نسخ بعض أحكامها كما حكى الله عنه في قوله (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم)

في النصارى ، وكذا رواه هشيم والثوري عن زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي وقال عبد الرزاق أيضاً أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال سئل ابن عباس عن قوله (ومن لم يحكم) الآية قال هي به كفر قال ابن طاوس وليس كمن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله وقال الثوري عن ابن جريج عن عطاء أنه قال كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق رواه ابن جرير وقال وكيع عن سعيد المكي عن طاوس (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال ليس بكفر ينقل عن الملة وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس عن ابن عباس في قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال ليس بالكفر الذين تذهبون اليه ورواه الحاكم في مستدركه من حديث سفيان بن عيينة وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن

العالم المحكم في الشيء . قال الكسائي وأبو عبيدة : هو من الحبر الذي يكتب به . وقال قطرب هو من الحبر الذي هو بمعنى الجمال بفتح الحاء وكسرها وفي الحديث « يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره » أي حسنه وهيأته ومنه التحبير وهو التحسين فسمى العالم حبراً لما عليه من جمال العلم وبهائه ، وقيل الربانيون ههنا من النصارى ، والاحبار من اليهود وقيل كلاهما من اليهود

قوله عز وجل ﴿بما استحفظوا من كتاب الله﴾ أي استودعوا من كتاب الله ﴿وكانوا عليه شهداء﴾ انه كذلك ﴿فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ قال قتادة والضحاك نزلت هذه الآيات الثلاث في اليهود دون من أساء من هذه الامة روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والظالمون والفاسقون كلها في الكافرين وقيل هي على الناس كلهم وقال ابن عباس وطاوس ليس بكفر ينقل عن الملة بل إذا فعله فهو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر قال عطاء هو كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق وقال عكرمة معناه (ومن لم يحكم بما أنزل الله) جاحداً به فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وسئل عبد العزيز بن يحيى الكناني عن هذه الآيات فقال إنها تقع على جميع ماأنزل الله لا على بعضه وكل من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق فأما من حكم بما أنزل الله من التوحيد وترك الشرك ثم لم يحكم ببعض ما أنزل الله من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الآيات وقال العلماء هذا إذا رد نص حكم الله عيانا عمداً فامامن خفي عليه أو أخطأ في تأويل فلا

قوله تعالى ﴿وكتبنا عليهم فيها﴾ أي أوحينا على بني اسرائيل في التوراة ﴿أن النفس بالنفس﴾

والسن بالسن والجروح قصاص . فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (٤٥)

وهذا أيضا مما وبخت به اليهود وقرعوا عليه فان عندهم في نص التوراة ان النفس بالنفس وهم يخالفون حكم ذلك عمدا وعنادا ويقيدون النضري من القرظي ولا يقيدون القرظي من النضري بل يعدلون الى الدية كما خالفوا حكم التوراة المنصوص عندهم في رجم الزاني المحصن وعدلوا الى ما اصطلحوا عليه من الجلد والتحميم والاشهار ولهذا قال هناك (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) لأنهم جحدوا حكم الله قصدا منهم وعنادا وعمدا وقال ههنا فأولئك هم الظالمون لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم في الامر الذى أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه فخالفوا وظلموا وتعدوا على بعضهم بعضا[1] وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن يونس بن يزيد عن أبي علي بن يزيد عن الزهري عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قرأها (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين) نصب النفس ورفع العين وكذا رواه أبو داود والترمذي والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن المبارك وقال الترمذي حسن غريب وقال البخاري تفرد ابن المبارك بهذا الحديث وقد استدل كثير ممن ذهب من الاصوليين والفقهاء الى ان شرع من قبلنا شرع لنا اذا حكي مقررا ولم ينسخ كما هو المشهور عن الجمهور وكما حكاه الشيخ أبو إسحاق الاسفرايني عن نص الشافعي وأكثر الاصحاب بهذه الآية حيث كان الحكم عندنا على وفقها في الجنايات عند جميع الأئمة[2] وقال الحسن البصري هي عليهم وعلى الناس عامة رواه ابن أبي حاتم وقد حكى الشيخ أبو زكريا النواوي في هذه المسئلة ثلاثة أوجه ثالثها أن شرع ابراهيم حجة دون غيره وصحح منها عدم الحجية ونقلها الشيخ أبو إسحاق الاسفرايني أقوالا عن الشافعي وأكثر الاصحاب ورجح انه حجة عند الجمهور من أصحابنا فالله أعلم وقد حكى الامام أبو نصر بن الصباغ رحمه الله في كتابه الشامل اجماع العلماء على الاحتجاج بهذه الآية على مادلت عليه وقد احتج الأئمة كلهم على أن الرجل يقتل بالمرأة بعموم هذه الآية الكريمة وكذا ورد في الحديث الذي رواه النسائي وغيره أن رسول الله ﷺ كتب في كتاب عمرو بن حزم «أن الرجل يقتل بالمرأة » وفي الحديث الآخر « المسلمون تتكافأ دماؤهم » وهذا قول جمهور العلماء وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن الرجل اذا قتل المرأة لايقتل بها الا أن يدفع وليها الى أوليائه نصف الدية لأن ديتها على النصف من دية الرجل واليه ذهب أحمد في رواية وحكى عن الحسن

(١) كذا في الاصول والوجه ان يقال : وتعدى بعضهم على بعض

(٢) العمل بهذه الآية لاقرارها لا يقتضي كون شرع من قبلنا شرع لنا بل هو الشرع الكامل المنزل لجميع البشر الذى كان يجب على الرسل أنفسهم اتباع النبي الخاتم الذى جاء به وقد بينا أدلته في تفسيرنا وكتبه محمد رشيد رضا

يعني نفس القاتل بنفس المقتول وفاء يقتل به ﴿والعين بالعين﴾ تفقأ بها ﴿والانف بالانف﴾ يجدع به ﴿والاذن بالاذن﴾ تقطع بها قال ابن عباس أخبر الله تعالى بحكمه في التوراة وهو أن (النفس بالنفس)

وعطاء وعثمان البستي ، ورواية عن أحمد أن الرجل اذا قتل المرأة لايقتل بها بل تجب ديتها وهكذا احتج أبو حنيفة رحمه الله تعالى بعموم هذه الآية على أنه يقتل المسلم بالكافر الذمي وعلى قتل الحر بالعبد وقد خالفه الجمهور فيهما ففي الصحيحين عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لايقتل مسلم بكافر » وأما العبد ففيه عن السلف آثار متعددة أنهم لم يكونوا يقيدون العبد من الحر ولا يقتلون حراً بعبد وجاء في ذلك أحاديث لاتصح وحكى الشافعي الاجماع على خلاف قول الحنفية في ذلك ولكن لايلزم من ذلك بطلان قولهم الا بدليل مخصص للآية الكريمة

ويؤيد ماقاله ابن الصباغ من الاحتجاج بهذه الآية الكريمة الحديث الثابت في ذلك كما قال الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي حدثنا حميد عن أنس بن مالك أن الربيّع عمة أنس كسرت ثنية جارية فطلبوا الى القوم العفو فأبوا فأتوا رسول الله ﷺ «فقال القصاص» فقال أخوها أنس بن النضر يارسول الله تكسر ثنية فلانة فقال رسول الله ﷺ « يا أنس كتاب الله القصاص» قال فقال لا والذي بعثك بالحق لاتكسر ثنية فلانة. قال فرضي القوم فعفوا وتركوا القصاص فقال رسول الله ﷺ «ان من عباد الله من لو أقسم على الله لابره » أخرجاه في الصحيحين وقد رواه محمد بن عبد الله بن المثنى الانصاري في الجزء المشهور من حديثه عن حميد عن أنس بن مالك أن الربيع بنت النضر عمته لطمت جارية فكسرت ثنيتها فعرضوا عليهم الارش فأبوا فطلبوا الارش والعفو فأبوا فأتوا رسول الله ﷺ فأمرهم بالقصاص فجاء أخوها أنس بن النضر فقال يارسول الله أتكسر ثنية الربيع والذي بعثك بالحق لاتكسر ثنيتها فقال النبي ﷺ « يا أنس كتاب الله القصاص » فعفا القوم فقال رسول الله ﷺ « ان من عباد الله من لو أقسم على الله لابره» رواه البخاري عن الأنصاري بنحوه وروى أبو داود حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن أبي نضرة عن عمران بن حصين ان غلاما لاناس فقراء قطع اذن غلام لاناس أغنياء فأتى أهله النبي ﷺ فقالوا يارسول الله أنا أناس فقراء فلم يجعل عليه شيأ وكذا رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه عن معاذ بن هشام الدستوائي عن أبيه عن قتادة به وهذا اسناد قوي رجاله كلهم ثقات وهو حديث مشكل اللهم إلا أن يقال ان الجاني كان قبل البلوغ فلا قصاص عليه ولعله تحمل ارش مانقص من غلام الاغنياء عن الفقراء أو استعفاهم عنه وقوله تعالى (والجروح قصاص) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال تقتل النفس بالنفس وتفقأ العين بالعين وتقطع الانف بالانف وتنزع السن بالسن وتقتص الجراح بالجراح فهذا يستوي فيه أحرار

واحدة بواحدة الى آخرها فما بالهم يخالفون فيقتلون بالنفس النفسين ويفقؤن بالعين العينين وخفف نافع الاذن في جميع القرآن وثقلها الآخرون ﴿ والسن بالسن ﴾ تقلع بها وسائر الجوارح قياس عليها في القصاص ﴿ والجروح قصاص ﴾ فهذا تعميم بعد تخصيص لانه ذكر العين والانف والاذن والسن ثم قال (والجروح قصاص) أي فيما يمكن الاقتصاص منه كاليد والرجل واللسان ونحوها . وأما مالا يمكن

المسلمين فيما بينهم رجالهم ونساؤهم اذا كان عمدا في النفس ومادون النفس ويستوي فيه العبيد رجالهم ونساؤهم فيما بينهم اذا كان عمدا في النفس وما دون النفس رواه ابن جرير وابن أبى حاتم

﴿ قاعـدة مهمة ﴾

الجراح تارة تكون في مفصل فيجب فيه القصاص بالاجماع كقطع اليد والرجل والكف والقدم ونحو ذلك وأما إذا لم تكن الجراح في مفصـل بل في عظم فقال مالك رحمه الله فيه القصاص إلا في الفخذ وشبهها لانه مخوف خطر وقال أبو حنيفة وصاحباه لايجب القصـاص في شيء من العظام الا في السن وقال الشافعي لايجب القصاص في شيء من العظام مطلقا وهو مروي عن عمر بن الخطاب وابن عبـاس وبه يقول عطاء والشعبي والحسن البصري والزهري وابراهيم النخعي وعمر ابن عبد العزيز واليه ذهب سفيان الثوري والليث بن سعد وهو المشهور من مذهب الامام أحمـد وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بحديث الربيع بنت النضر على مذهبه أنه لاقصـاص في عظم الا في السن وحديث الربيع لاحجة فيه لانه ورد بلفظ كسرت ثنية جارية وجائز ان تكون سقطت من غير كسر فيجب القصاص والحالة هذه بالاجماع وتمموا الدلالة بما رواه ابن ماجه من طريق أبي بكر بن عياش عن دهشم بن قران عن نمران بن جارية عن أبيه جارية بن ظفر الحنفى ان رجلا ضرب رجلا على ساعده بالسيف من غير المفصل فقطعها فاستعدى النبي ﷺ فأمر له بالدية فقال يارسول الله أريد القصاص فقال خذ الدية بارك الله لك فيها ولم يقض له بالقصاص، وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر ليس لهذا الحديث غير هذا الاسناد ودهشم بن قران العكلي ضعيف اعرابي ليس حديثه مما يحتج به ونمران ابن جارية ضعيف اعرابي أيضا وأبوه جارية بن ظفر مذكور في الصحابة

ثم قالوا لايجوز أن يقتص من الجراحة حتى تندمل جراحة المجني عليه فان اقتص منه قبل الاندمال ثم زاد جرحه فلا شيء له والدليل على ذلك مارواه الامام أحمـد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رجلا طعن رجلا بقرن في ركبته فجاء الى النبي ﷺ فقال أقدني فقال « حتى تبرأ » ثم جاء اليه فقال أقدني فأقاده فقال يارسول الله عرجت فقال « قد نهيتك فعصيتني فأبعدك الله وبطل عرجك » ثم نهى رسول الله ﷺ أن يقتص من جرح حتى يبرأ صاحبه تفرد به أحمد

﴿ مسئلة ﴾ فلو اقتص المجنى عليه من الجاني فمات من القصاص فلا شيء عليه عند مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وهو قول الجمهور من الصحابة والتابعين وغيرهم وقال أبو حنيفة تجب الدية في مال المقتص وقال عامر الشعبي وعطاء وطاوس وعمرو بن دينار والحارث العكلي وابن أبي ليلي وحماد بن أبي سليمان

الاقتصاص منه من كسر عظم أوجرح لحم كالجائفة ونحوها فلا قصاص فيه لانه لا يمكن الوقوف على نهايته وقرأ الكسائي والعين ومابعدها بالرفع وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبوجعفر وعمرو (والجروح) بالرفع فقط وقرأ الآخرون كلها بالنصب كالنفس

والزهري والثوري تجب الدية على عاقلة المقتص له ، وقال ابن مسعود وابراهيم النخعي والحكم بن عيينة وعثمان البستي يسقط عن المقتص له قدر تلك الجراحة ويجب الباقي في ماله وقوله تعالى (فمن تصدق به فهو كفارة له) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فمن تصدق به) يقول فمن عفا عنه وتصدق عليه فهو كفارة للمطلوب وأجر للطالب وقال سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فمن تصدق به فهو كفارة للجارح وأجر المجروح على الله عز وجل رواه ابن أبي حاتم ثم قال وروى عن خيثمة بن عبد الرحمن ومجاهد وابراهيم في احد قوليه وعامر الشعبي وجابر بن زيد نحو ذلك (الوجه الثاني) ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا حماد بن زاذان حدثنا حرمي يعني ابن عمارة حدثنا شعبة عن عثمان يعنى ابن أبى حفصة عن رجل عن جابر بن عبد الله في قول الله عز وجل (فمن تصدق به فهو كفارة له) قال المجروح وروى عن الحسن البصري وابراهيم النخعي في أحد قوليه وأبي إسحاق الهمداني نحو ذلك وروى ابن جرير عن عامر الشعبي وقتادة مثله وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن قيس يعنى ابن مسلم قال سمعت طارق ابن شهاب يحدث عن الهيثم بن العريان النخعي قال رأيت عبد الله بن عمرو عند معاوية أحمر شبيها بالموالى فسألته عن قول الله (فمن تصدق به فهو كفارة له) قال يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وهكذا رواه سفيان الثوري عن قيس بن مسلم وكذا رواه ابن جرير من طريق سفيان وشعبة، وقال ابن مردويه حدثني محمد بن علي حدثنا عبد الرحيم بن محمد المجاشعي حدثنا محمد بن أحمد بن الحجاج المهري حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي حدثنا معلى يعني ابن هلال انه سمع أبان بن تغلب عن العريان ابن الهيثم بن الاسود عن عبد الله بن عمرو عن أبان بن تغلب عن الشعبي عن رجل من الانصار عن النبي ﷺ في قوله (فمن تصدق به فهو كفارة له) قال «هو الذى تكسر سنه أو تقطع يده أو يقطع الشيء منه أو يجرح في بدنه فيعفو عن ذلك» (قال) فيحط عنه قدر خطاياه فان كان ربع الدية فربع خطاياه وان كان الثلث فثلث خطاياه وان كانت الدية حطت عنه خطاياه كذلك» ثم قال ابن جرير حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة حدثنا ابن فضيل عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي السفر قال دفع رجل من قريش رجلا من الانصار فاندقت ثنيته فرفعه الانصاري الى معاوية فلما ألح عليه الرجل قال شأنك وصاحبك قال وأبو الدرداء عند معاوية فقال أبو الدرداء سمعت رسول الله ﷺ

قوله تعالى ﴿فمن تصدق به﴾ أى بالقصاص ﴿فهو كفارة له﴾ قيل الهاء في له كناية عن المجروح وولي القتيل أى كفارة للمتصدق وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص والحسن والشعبي وقتادة أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا أبو عبدالله الحسين بن محمد الدينوري أنا عمر بن الخطاب أنا عبدالله بن الفضل أخبرنا أبو خيثمة أنا جرير عن مغيرة عن الشعبي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (من تصدق بشيء

يقول « مامن مسلم يصاب بشيء من جسده فيهبه الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة » فقال الانصاري أنت سمعته من رسول الله ﷺ فقال سمعته أذناي ووعاه قلبي. فخلى سبيل القرشي . فقال معاوية مروا له بمال ، هكذا رواه ابن جرير ورواه الامام أحمد فقال حدثنا وكيع حدثنا يونس ابن أبي اسحاق عن أبي السفر قال كسر رجل من قريش سن رجل من الانصار فاستعدى عليه معاوية فقال معاوية انا سنرضيه فألح الانصاري فقال معاوية شأنك بصاحبك وأبو الدرداء جالس فقال أبو الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول « مامن مسلم يصاب بشيء من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة أوحط به عنه به خطيئة » فقال الانصاري فاني قد عفوت وهكذا رواه الترمذي من حديث ابن المبارك وابن ماجه من حديث وكيع كلاهما عن يونس بن أبي اسحاق به ثم قال الترمذي غريب من هذا الوجه ولا أعرف لابي السفر سماعا من أبي الدرداء . وقال ابن مردويه حدثنا دعلج ابن أحمد حدثنا محمد بن علي بن زيد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمران بن ظبيان عن عدي بن ثابت أن رجلا هتم فمه رجل على عهد معاوية رضي الله عنه فأعطي دية فأبى الا أن يقتص فأعطى ديتين فأبي فاعطى ثلاثا فأبي فحدث رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال، «من تصدق بدم فما دونه فهو كفارة له من يوم ولد الى يوم يموت» وقال الامام أحمد حدثنا شريح ابن النعمان حدثنا هشيم عن المغيرة عن الشعبي ان عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « مامن رجل يجرح من جسده جراحة فيتصدق بها الا كفر الله عنه مثل ماتصدق به » ورواه النسائي عن علي بن حجر عن جرير بن عبد الحميد ورواه ابن جرير عن محمود بن خداش عن هشيم كلاهما عن مغيرة به وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن مجالد عن عامر عن المحرر بن أبي هريرة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال، «من أصيب بشيء من جسده فتركه لله كان كفارة له»

وقوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون) قد تقدم عن طاوس وعطاء انهما قالا كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق

وقفينا على ءاثرهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورىة وءاتينه الانجيل

فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورىة وهدًى وموعظة للمتقين (٤٦) وليحكم

من جسده بشيء كفر الله عنه بقدره من ذنوبه . وقال جماعة هي كناية عن الجارح والقاتل يعني إذا عفا المجني عليه عن الجاني فعفوه كفارة لذنب الجاني لايؤاخذ به في الآخرة كما أن القصاص كفارة له فأما أجر العافي فعلى الله عز وجل قال الله تعالى (فمن عفى وأصلح فأجره على الله) روى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول ابراهيم ومجاهد وزيد بن أسلم ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ قوله ﴿وقفينا على آثارهم﴾ أى على آثار النبيين الذين أسلموا ﴿ بعيسى بن مريم مصدقا لما بين

أهل الأنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفسقون (٤٧)

يقول تعالى (وقفينا) أي اتبعنا على آثارهم يعني أنبياء بني اسرائيل (بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة) أي مؤمنا بها حاكما بما فيها (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) أي هدى الى الحق ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) أي متبعاً لها غير مخالف لما فيها الا في القليل مما بين لبني اسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه كما قال تعالى أخباراً عن المسيح أنه قال لبني اسرائيل (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) ولهذا كان المشهور من قولي العلماء أن الانجيل نسخ بعض أحكام التوراة وقوله تعالى (وهدى وموعظة للمتقين) أي وجعلنا الانجيل هدى يهتدى به وموعظة أي زاجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم للمتقين أي لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه

وقوله تعالى (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) قرىء وليحكم أهل الانجيل بالنصب على أن اللام لام كي أي وآتيناه الانجيل ليحكم أهل ملته به في زمانهم وقرىء وليحكم بالجزم على أن اللام لام الامر أي ليؤمنوا بجميع ما فيه وليقيموا ما أمروا به فيه ومما فيه البشارة ببعثة محمد والامر باتباعه وتصديقه إذا وجد كما قال تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) الآية وقال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة) الى قوله (المفلحون) ولهذا قال هنا (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) أي الخارجون عن طاعة ربهم المائلون الى الباطل التاركون للحق وقد تقدم أن هذه الآية نزلت في النصارى وهو ظاهر من السياق

وأنزلنا إليك الكتب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه ﴾ أى في الانجيل ﴿هدى ونور ومصدقاً﴾ يعني الانجيل ﴿لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ﴾ قرأ الاعمش وحمزة وليحكم بكسر اللام ونصب الميم أى لكى يحكم وقرأ الآخرون بسكون اللام وجزم الميم على الامر قال مقاتل بن حبان أمر الله الربانيين والاحبار أن يحكموا بما أنزل الله في التوراة وأمر القسيسين والرهبان أن يحكموا بما في الانجيل فكفروا وقالوا عزيز ابن الله والمسيح ابن الله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ الخارجون عن أمر الله عز وجل

قوله سبحانه وتعالى ﴿وأنزلنا اليك﴾ يا محمد ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق مصدقاً لما بين يديه من

ولو شاء الله لجعلكم أمة وٰحدة ولٰكن ليبلوكم في ما آتٰكم فاستبقوا الخيرٰت إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (٤٨) وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من النّاس لفٰسقون (٤٩) أفحكم الجٰهلية يبغون؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟ (٥٠)

لما ذكر تعالى التوراة التي أنزلها على موسى كليمه ومدحها وأثنى عليها وامر باتباعها حيث كانت سائغة الاتباع وذكر الانجيل ومدحه وامر أهله باقامته واتباع ما فيه كما تقدم بيانه شرع في ذكر القرآن العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم فقال تعالى (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق) أي بالصدق الذي لا ريب فيه انه من عند الله (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) أي من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه وانه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ﷺ فكان نزوله كما أخبرت به مما زادها صدقا عند حامليها من ذوي البصائر الذين انقادوا لامر الله واتبعوا شرائع الله وصدقوا رسل الله كما قال تعالى (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) أي ان كان ما وعدنا الله على ألسنة رسله المتقدم من مجيء محمد عليه السلام لمفعولا اي لكائنا لا محالة ولا بد

وقوله تعالى (ومهيمنا عليه)قال سفيان الثوري وغيره عن أبي اسحق عن التميمي عن ابن عباس اي مؤتمنا عليه ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس المهيمن الامين قال القرآن أمين على كل كتاب قبله ورواه عن عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب وعطية والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والسدي وابن زيد نحو ذلك وقال ابن جريج القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل وعن الوالبي عن ابن عباس (ومهيمنا) أي شهيدا وكذا قال مجاهد وقتادة والسدى وقال العوفي عن ابن عباس (ومهيمنا) أي حاكما على ما قبله من الكتب وهذه الاقوال كلها متقاربة

الكتاب﴾ أي من الكتب المنزلة من قبل ﴿ومهيمنا عليه﴾ روى الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أي شاهداً عليه وهو قول مجاهد وقتادة والسدى والكسائي قال حسان

ان الكتاب مهيمن لنبينا * والحق يعرفه ذوو الالباب

يريد شاهداً ومصدقاً قال عكرمة دالا وقال سعيد بن جبير وأبو عبيدة مؤتمنا عليه وقال الحسن امينا وقيل أصله مؤيمن مفيعل من «أمين» كما قالوا مبيطر من البيطار فقلبت الهمزة هاء كما قالوا أرقت الماء وهرقته وايهات وهيهات ونحوها ومعنى أمانة القرآن ما قال ابن جريج القرآن أمين على ما قبله

المعنى فان اسم المهيمن يتضمن هذا كله فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها أشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ماقبله وزاده من الكمالات ماليس في غيره فلهذا جعله شاهداً وأمينا وحاكما عليها كلها وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريمة فقال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فأما ماحكاه ابن أبي حاتم عن عكرمة وسعيد بن جبير وعطاء الخراساني وابن أبي نجيح عن مجاهد أنهم قالوا في قوله (ومهيمنا عليه) يعني محمداً ﷺ أمين على القرآن فانه صحيح في المعنى ولكن في تفسير هذا بهذا نظر وفي تنزيله عليه من حيث العربية أيضاً نظر وبالجملة فالصحيح الاول وقال ابو جعفر بن جرير بعد حكايته له عن مجاهد وهذا التأويل بعيد من المفهوم في كلام العرب بل هو خطأ وذلك ان المهيمن عطف على المصدق فلا يكون الا صفة لما كان المصدق صفة له قال ولو كان الامر كما قال مجاهد لقال (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب مهيمنا عليه) يعني من غير عطف

وقوله تعالى (فاحكم بينهم بما أنزل الله) أي فاحكم يا محمد بين الناس عربهم وعجمهم أميهم وكتابيهم بما أنزل الله اليك من هذا الكتاب العظيم وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الانبياء ولم ينسخه في شرعك هكذا وجهه ابن جرير بمعناه

قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان ابن حسين عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس قال كان النبي ﷺ مخيرا ان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض عنهم فردهم الى أحكامهم فنزلت (وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم)فأمر رسول الله ﷺ ان يحكم بينهم بما في كتابنا ، وقوله (ولا تتبع أهواءهم) أي آراءهم التي اصطلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله ولهذا قال تعالى (ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق) أي لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به الى أهواء هؤلاء من الجهلة الاشقياء ، وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد الاحمر عن يوسف ابن أبي اسحق عن أبيه عن التميمي عن ابن عباس (لكل جعلنا منكم شرعة) قال سبيلا وحدثنا أبو سعيد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي اسحق عن التميمي عن ابن عباس (ومنهاجا) قال سنة وكذا روى العوفي عن ابن عباس (شرعة ومنهاجا) سبيلا وسنة وكذا روي عن مجاهد وعكرمة والحسن البصري

من الكتب فما أخبر أهل الكتاب عن كتابهم فان كان في القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا وقال سعيد ابن المسيب والضحاك قاضيا وقال الخليل رقيبا وحافظا والمعاني متقاربة ومعنى الكل أن كل كتاب يشهد بصدقه القرآن فهو كتاب الله تعالى وإلا فلا ﴿ فاحكم ﴾ يامحمد ﴿ بينهم ﴾ بين أهل الكتاب إذا ترافعوا اليك ﴿بما أنزل الله﴾ تعالى بالقرآن ﴿ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ أي لا تعرض عما

وقتادة والضحاك والسدى وأبي اسحق السبيعي أنهم قالوا في قوله (شرعة ومنهاجاً) أي سبيلا وسنة وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد أي وعطاء الخراساني عكسه شرعة ومنهاجا أي سنة وسبيلا والاول أنسب فان الشرعة وهي الشريعة أيضاً هي ما يبتدأ فيه الى الشيء، ومنه يقال شرع في كذا أي ابتدأ فيه وكذا الشريعة وهي ما يشرع فيها الى الماء. أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل والسنن الطرائق فتفسير قوله (شرعة ومنهاجا) بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس والله أعلم ▪

ثم هذا أخبار عن الامم المختلفة الاديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الاحكام المتفقة في التوحيد كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «نحن معاشر الانبياء أخوة لعلات ديننا واحد» يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب أنزله كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) الآية، وأما الشرائع فمختلفة في الاوامر والنواهي فقد يكون الشيء فى هذه الشريعة حراماً ثم يحل في الشريعة الاخرى وبالعكس وخفيفا فيزاد في الشدة في هذه دون هذه وذلك لماله تعالى في ذلك من الحكمة البالغة ▪ والحجة الدامغة. قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) يقول سبيلا وسنة والسنن مختلفة هي في التوراة شريعة وفي الانجيل شريعة، وفي الفرقان شريعة، يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذى لا يقبل الله غيره التوحيد والاخلاص لله الذى جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقيل المخاطب بهذه الآية هذه الامة ومعناه لكل جعلنا القرآن منكم أيتها الامة شرعة ومنهاجا أى هو لكم كلكم تقتدون به وحذف الضمير المنصوب في قوله (لكل جعلنا منكم) أى جعلناه يعني القرآن شرعة ومنهاجا أى سبيلا الى المقاصد الصحيحة وسنة أى طريقا ومسلكا واضحا بينا. هذا مضمون ما حكاه ابن جرير عن مجاهد رحمه الله، والصحيح القول الاول ويدل على ذلك قوله تعالى بعده (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) فلو كان هذا خطابا لهذه الامة لما صح أن يقول (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) وهم أمة واحدة ولكن هذا خطاب لجميع الامم وأخبار عن قدرته تعالى العظيمة التي لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة لا ينسخ شيء منها ولكنه تعالى شرع لكل رسول شريعة على حدة ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمداً ﷺ الذي ابتعثه الى

جاءك من الحق ولا تتبع أهواءهم ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد أي سبيلا وسنة فالشرعة والمنهاج الطريق الواضح وكل ما شرعت فيه فهو شريعة وشرعة ومنه شرائع الاسلام لشروع أهلها فيها وأراد بهذا أن الشرائع مختلفة ولكل أهل ملة شريعة قال قتادة الخطاب للأمم الثلاث أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد ﷺ وعليهم أجمعين فالتوراة شريعة والانجيل شريعة والفرقان شريعة والدين واحد وهو التوحيد ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ أى على ملة واحدة

أهل الارض قاطبة وجعله خاتم الانبياء كلهم ولهذا قال تعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) أي أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة ليختبر عباده فيما شرع لهم ويثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أوعزموا عليه من ذلك كله وقال عبد الله بن كثير (فيما آتاكم) يعني من الكتاب

ثم أنه تعالى ندبهم الى المسارعة الى الخيرات والمبادرة اليها فقال (فاستبقوا الخيرات) وهي طاعة الله واتباع شرعه الذي جعله ناسخا لما قبله والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزله ثم قال تعالى (إلى الله مرجعكم) أي معادكم أيها الناس ومصيركم اليه يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) أي فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق فيجزى الصادقين بصدقهم ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق العادلين عنه الى غيره بلا دليل ولا برهان بل هم معاندون للبراهين القاطعة ، والحجج البالغة ، والادلة الدامغة ، وقال الضحاك (فاستبقوا الخيرات) يعني أمة محمد ﷺ والاول أظهر

وقوله (وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم) تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك والنهي عن خلافه ثم قال (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) أي واحذر أعداءك اليهود أن يدلسوا عليك الحق فيما ينهونه اليك من الامور فلا تغتر بهم فانهم كذبة كفرة خونة (فان تولوا) أى عما تحكم به بينهم من الحق وخالفوا شرع الله (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أي فاعلم أن ذلك كائن عن قدرة الله وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدى لما لهم من الذنوب السالفة التي اقتضت إضلالهم ونكالهم (وإن كثيراً من الناس لفاسقون) أي أن أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم مخالفون للحق ناكبون عنه كما قال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال تعالى (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) الآية وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال كعب ابن أسد وابن صلوبا وعبدالله بن صوريا وشاس بن قيس بعضهم لبعض إذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يامحمد إنك قدعرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم وإنا ان اتبعناك

﴿ولكن ليبلوكم﴾ ليختبركم ﴿ فيما آتاكم ﴾ من الكتب وبين لكم من الشرائع فيبين المطيع من العاصي والموافق من المخالف ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ فبادروا الى الاعمال الصالحة ﴿ الى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾

قوله عز وجل ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ اليك ﴿ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما قال كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من رؤساء اليهود بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يامحمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وانا ان اتبعناك لم يخالفنا اليهود وان بيننا وبين الناس خصومات فنحاكمهم اليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك ويتبعنا غيرنا ولم يكن قصدهم الايمان وإنما كان

اتبعنا يهود ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن لك ونصدقك فابى ذلك رسول الله ﷺ فانزل الله عز وجل فيهم (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) - الى قوله - (لقوم يوقنون) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

وقوله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل الى ما سواه من الآراء والاهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهليه يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكيه المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الاسلامية وغيرها وفيها كثير من الاحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعا متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير قال تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون) أي يبتغون[1] ويريدون وعن حكم الله يعدلون (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها فانه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هلال ابن فياض حدثنا أبو عبيدة الناجي قال سمعت الحسن يقول من حكم بغير حكم الله فحكم الجاهلية وأخبرنا يونس بن عبد الاعلى قراءة حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال كان طاوس إذا سأله رجل : أفضّل بين ولدي في النحل ؟ قرأ (أفحكم الجاهلية يبغون) الآية وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع أنا شعيب بن أبي حمزة عن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن نافع بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « أبغض الناس الى الله عز وجل من يبتغي في الاسلام سنة الجاهلية وطالب دم امريء بغير حق ليريق دمه » وروى البخاري عن أبي اليمان باسناده نحوه بزيادة

[1] وفي الازهرية يتبعون

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصرى أولياء . بعضهم أولياء بعض . ومن يتولهم

قصدهم التلبيس ودعوته الى الميل في الحكم فانزل الله عز وجل هذه الآية ﴿فان تولوا﴾ أي أعرضوا عن الايمان والحكم بالقرآن ﴿فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾ أي فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم ﴿وإن كثيراً من الناس﴾ يعني اليهود ﴿ لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون﴾ قرأ ابن عامر تبغون بالتاء ، وقرأ الآخرون بالياء أي يطلبون ﴿ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون * يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾

منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظلمين (٥١) فترى الذين في قلوبهم مرض يسرعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة . فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم ندمين(٥٢) ويقول الذين ءامنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمنهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خسرين (٥٣)

ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الاسلام واهله قاتلهم الله ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك فقال(ومن يتولهم منكم فانه منهم)الآية. قال ابن أبي حاتم حدثنا كثير بن شهاب حدثنا محمد يعني ابن سعيد بن سابق حدثنا عمرو بن أبي قيس عن سماك بن حرب عن عياض أن عمر أمر أبا موسى الاشعري أن يرفع اليه ماأخذ وما أعطى في أديم واحد وكان له كاتب نصراني فرفع اليه ذلك فعجب عمر وقال ان هذا لحفيظ هل أنت قارىء لنا كتابا في المسجد جاء من الشام فقال انه لا يستطيع فقال عمر أجنب هو قال لا بل نصراني قال فانتهرني وضرب فخذي ثم قال اخرجوه ثم قرأ (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآية، ثم قال حدثنا محمد بن الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عثمان بن عمر انبأنا ابن عون عن محمد بن سيرين قال قال عبدالله بن عتبة ليتق أحدكم ان يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر قال فظنناه يريد هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء)الآية وحدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن فضيل عن عاصم عن عكرمة عن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب

اختلفوا في نزول هذه الآية وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين فقال قوم نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول وذلك انهما اختصما فقال عبادة أن لي أولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم واني ابرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم وولاية اليهود ولا مولى لي الا الله ورسوله فقال عبد الله لكني لا أبرأ من ولاية اليهود لأني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم فقال النبي ﷺ «يا أبا الحباب مانفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه» قال إذاً أقبل، فأنزل الله تعالى هذه الآية قال السدى لما كانت وقعة أحد اشتدت على طائفة من الناس وتخوفوا أن يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين أنا ألحق بفلان اليهودي وآخذ منه أمانا فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهانا وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر بعثه النبي ﷺ الى بنى قريظه حين حاصرهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا إذا نزلنا فجعل أصبعه على حلقه أنه الذبح أي يقتلكم فنزلت هذه الآية ﴿ بعضهم أولياء بعض ﴾ في العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين

فقال كل قال الله تعالى (من يتولهم منكم فانه منهم) ورُوي عن أبي الزناد نحو ذلك .

وقوله تعالى (فترى الذين في قلوبهم مرض) أي شك وريب ونفاق يسارعون فيهم أي يبادرون الى موالاتهم ومودتهم فى الباطن والظاهر يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة أي يتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون ان يقع أمر من ظفر الكفار بالمسلمين فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك . عند ذلك قال الله تعالى (فعسى الله أن يأتي بالفتح) قال السدي يعنى فتح مكة وقال غيره يعنى القضاء والفصل (أو أمر من عنده)قال السدي يعنى ضرب الجزية على اليهود والنصارى (فيصبحوا) يعنى الذين والوا اليهود والنصارى من المنافقين (على ما أسروا في أنفسهم) من الموالاة نادمين أى على ما كان منهم مما لم يجد عنهم شيأ ولا دفع عنهم محذورا بل كان عين المفسدة فانهم فضحوا وأظهر الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين بعد أن كانوا مستورين لايدرى كيف حالهم فلما انعقدت الاسباب الفاضحة لهم تبين أمرهم لعباد الله المؤمنين فتعجبوا منهم كيف كانوا يظهرون أنهم من المؤمنين ويحلفون على ذلك ويتأولون فبان كذبهم وافتراؤهم ولهذا قال تعالى (ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) وقد اختلف القراء في هذا الحرف فقرأه الجمهور باثبات الواو في قوله (ويقول) ثم منهم من رفع ويقول على الابتداء ومنهم من نصب عطفا على قوله (فعسى الله أن يأتي بالفتح او أمر من عنده) فتقديره أن يأتي وأن يقول ، وقرأ أهل المدينة (يقول الذين آمنوا) بغير واو و كذلك هو في مصاحفهم على ماذكره ابن جرير قال ابن جريج عن مجاهد (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو امر من عنده)تقديره حينئذ (يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت أعمالهم فاصبحوا خاسرين)، واختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآيات الكريمات فذكر السدي أنها نزلت في رجلين قال أحدهما لصاحبه بعد وقعة احد أما أنا فانى ذاهب الى ذلك اليهودي فآوى اليه وأتهود معه لعله ينفعنى إذا وقع أمر أوحدث حادث وقال الآخر وأما أنا فأني ذاهب الى فلان النصراني بالشام فآوي اليه وأتنصر معه ، فأنزل الله (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآيات وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله ﷺ الى بني قريظة فسألوه ماذا هو صانع بنا

﴿ ومن يتولهم منكم ﴾ فيوافقهم ويعينهم ﴿ فانه منهم ان الله لايهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ أي نفاق يعني عبدالله بن أبي وأصحابه من المنافقين الذين يوالون اليهود ﴿يسارعون فيهم﴾ أي في معونتهم وموالاتهم ﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ دور يعني أن يدور الدهر دولته فنحتاج الى نصرهم ايانا وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نخشى أن لايتم أمر محمد فيدور الامر علينا وقيل نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه من جدب وقحط ولا يعطونا الميرة والقرض ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ قال قتادة ومقاتل بالقضاء الفصل من نصر محمد ﷺ على من خالفه وقال الكلبي

فاشار بيده الى حلقه أى إنه الذبح رواه ابن جرير . وقيل نزلت في عبد الله بن أبي سلول كما قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن إدريس قال سمعت أبي عن عطية بن سعد قال جاء عبادة ابن الصامت من بني الحارث بن الخزرج إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله ان لي موالي من يهود كثير عددهم واني أبرأ الى الله ورسوله من ولاية يهود وأتولى الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي إني رجل أخاف الدوائر لاأبرأ من ولاية موالي فقال رسول الله ﷺ لعبدالله بن أبي « ياأبا الحباب مابخلت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه » قال قدقبلت فأنزل الله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآيتين ثم قال ابن جرير : حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير ثنا عثمان بن عبد الرحمن عن الزهري قال لما انهزم أهل بدر قال المسلمون لاوليائهم من اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر فقال مالك بن الصيف أغركم أن أصبتم رهطا من قريش لاعلم لهم بالقتال أما لو أسررنا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يد أن تقاتلونا فقال عبادة ابن الصامت يارسول الله إن اوليائي من اليهود كانت شديدة أنفسهم، كثيراسلاحهم، شديدةشوكتهم، واني أبرأ الى الله والى رسوله من ولاية يهود ولا مولى لي الا الله ورسوله فقال عبدالله بن أبي لكني لاأبرأ من ولاية يهود اني رجل لابد لي منهم فقال رسول الله ﷺ «ياأبا الحباب ارأيت الذي نفست به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه » فقال إذاً أقبل، قال فانزل الله (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ـ الى قوله تعالى ـ والله يعصمك من الناس) وقال محمد بن اسحاق فكانت أول قبيلة من اليهود نقضت ما بينها وبين رسول الله ﷺ بنو قينقاع فحدثني عاصم ابن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه فقام اليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخزرج قال فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد أحسن في موالي قال فاعرض عنه قال فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ أرسلني» وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللا ثم قال «ويحك أرسلني» قال لا والله لا أرسلك حتى تحسن في، والي أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الاحمر والاسود تحصدني في غداة واحدة اني أمرؤ أخشى الدوائر قال فقال رسول الله

والسدي فتح مكة وقال الضحاك افتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك ﴿أو أمر من عنده﴾ قيل بإتمام أمر محمد ﷺ وقيل عذاب لهم وقيل اجلاء بني النضير ﴿فيصبحوا﴾ يعني هؤلاء المنافقين ﴿على ماأسروا في أنفسهم﴾ من موالاة اليهود ودس الاخبار اليهم ﴿نادمين و﴾ حينئذ ﴿يقول الذين آمنوا﴾ قرأ أهل الكوفة ويقول بالواو والرفع على الاستئناف ، وقرأ أهل البصرة بالواو ونصب اللام عطفاً على أن يأتي أي وعسى أن يقول الذين آمنوا ، وقرأ الآخرون بحذف الواو ورفع اللام وكذلك هو في مصاحف أهل العالية استغناء عن حرف العطف للملابسة هذه الآية بما قبلها يعني يقول الذين آمنوا في وقت

«هملك» قال محمدبن اسحاق فحدثني أبي اسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي وقام دونهم ومشى عبادة ابن الصامت الى رسول الله ﷺ وكان أحد بني عوف بن الخزرج له من حلفهم مثل الذي لعبد الله ابن أبي فجعلهم الى رسول الله ﷺ وتبرأ الى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم وقال يارسول الله أبرأ الى الله والى رسوله من حلفهم واتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم ، ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الايات في المائدة (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم ـ الى قوله ـ ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يحيي بن زكريا بن أبي زيادة عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد قال دخلت مع رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي نعوده فقال له النبي ﷺ «قد كنت أنهاك عن حب يهود» فقال عبد الله فقد ابغضهم اسعد بن زراره فمات وكذا رواه أبو داود من حديث محمد بن اسحاق

يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكفرين يجهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله وسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم ركعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغلبون (٥٦)

يقول تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة انه من تولى عن نصرة دينه واقامة شريعته فان الله يستبدل به من هو خيرا لها منه وأشد منعة وأقوم سبيلا كما قال تعالى (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم

اظهار الله تعالى نفاق المنافقين ﴿ أهؤلاء الذين أقسموا بالله ﴾ حلفوا بالله ﴿ جهد ايمانهم ﴾ أي حلفوا بأغلظ الايمان ﴿انهم لمعكم ﴾ أي إنهم لمؤمنون ، يريد أن المؤمنون حينئذ يتعجبون من كذبهم وحلفهم بالباطل قال الله تعالى ﴿حبطت أعمالهم ﴾ بطل كل خير عملوه ﴿ فأصبحوا خاسرين ﴾ خسروا الدنيا بافتضاحهم ، والآخرة بالعذاب وفوات الثواب

قوله عز وجل ﴿ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ قرأ أهل المدينة والشام يرتدد بدالين على اظهار التضعيف أي عن دينه فيرجع الى الكفر قال الحسن : علم الله تبارك وتعالى ان قوما يرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم ﷺ فاخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم

لايكونوا أمثالكم) وقال تعالى (إن يشاء يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين) وقال تعالى (إن يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) أي بممتنع ولا صعب . وقال تعالى ههنا (ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) أي يرجع عن الحق الى الباطل . قال محمد بن كعب نزلت في الولاة من قريش . وقال الحسن البصري نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر . (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال الحسن هو والله أبو بكر وأصحابه رواه ابن أبي حاتم . وقال أبو بكر ابن أبي شيبة سمعت أبا بكر بن عياش يقول في قوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) هم أهل القادسية . وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد هم قوم من سبأ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عبدالله بن الاجلح عن محمد بن عمرو عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال ناس من أهل اليمن ثم من كندة من السكون . وحدثنا أبي حدثنا محمد بن المصفي حدثنا معاوية يعني ابن حفص عن أبي زياد الحلفاني عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله قال سئل رسول الله ﷺ عن قوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال « هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون ثم من تجيب » وهذا حديث غريب جدا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الصمد يعني ابن عبد الوارث

ويحبونه واختلفوا في أولئك القوم من هم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن وقتادة هم أبو بكر واصحابه الذين قاتلو أهل الردة ومانعي الزكاة وذلك أن النبي ﷺ لما قبض ارتد عامة العرب الا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس ومنع بعضهم الزكاة وهم أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم فكره ذلك اصحاب النبي ﷺ وقال عمر رضي الله عنه كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ «امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله الا الله عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل» فقال أبو بكر : والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها . قال أنس بن مالك رضي الله عنه كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا اهل القبلة فتقلد ابو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدأ من الخروج على اثره قال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء . قال ابو بكر بن عياش سمعت اباحصين يقول ماولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال أهل الردة وقد كان قد ارتد في حياة النبي ﷺ ثلاث فرق منهم بنومذحج ورئيسهم ذو الخمار عبهلة بن كعب العنسي ويلقب بالاسود وكان كاهنا مشعبذاً فتنبأ باليمن واستولى على بلاده فكتب رسول الله ﷺ الى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض الى حرب الاسود فقتله فيروز الديلمي على فراشه قال ابن عمر رضي الله عنه فأتى الخبر النبي ﷺ من السماء الليلة التي قتل فيها فقال ﷺ قتل الاسود البارحة قتله رجل مبارك » قيل ومن هو؟ قال « فيروز فاز فيروز » فبشر النبي ﷺ أصحابه بهلاك الاسود

حدثنا شعبة عن سماك سمعت عياضا يحدث عن أبي موسى الاشعري قال لما نزلت (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال رسول الله ﷺ « هم قوم هذا » ورواه ابن جرير من حديث شعبة بنحوه . وقوله تعالى (اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) هذه صفات المؤمنين الكمل ان يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه متعززا على خصمه وعدوه كما قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه

وقبض ﷺ من الغد وأتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع الأول بعد ماخرج أسامة وكان ذلك أول فتح جاء أبا بكر رضي الله عنه

(والفرقة الثانية) بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب وكان قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ في آخر سنة عشر وزعم أنه أشرك مع محمد ﷺ في النبوة وكتب الى رسول الله ﷺ من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك . وبعث اليه مع رجلين من أصحابه فقال لهما رسول الله ﷺ لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ثم أجاب «من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» ومرض رسول الله ﷺ وتوفي فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب في جيش كثير حتى اهلكه الله على يدي وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة بن عبد المطلب بعد حرب شديد وكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام

(والفرقة الثالثة) بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة آخر من ارتد وادعى النبوة في حياة النبي ﷺ وأول من قوتل بعد وفاة النبي ﷺ من اهل الردة فبعث ابو بكر خالد بن الوليد اليه فهزمهم خالد بعد قتال شديد وأفلت طليحة فمر على وجهه هاربا نحو الشام ثم انه اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه

وارتد بعد وفاة النبي ﷺ في خلافة ابي بكر رضي الله عنه خلق كثير حتى كفى الله المسلمين امرهم ونصر دينه على يدي ابي بكر رضي الله عنه قالت عائشة توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بأبي مالو نزل بالجبال الراسيات لهاضها

وقال قوم المراد بقوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) هم الاشعريون روي عن عياض بن غنم الاشعري قال لما نزلت هذه الآية (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال رسول الله ﷺ «هم قوم هذا» واشار الى ابي موسى الاشعري وكانوا من اليمن اخبرنا ابو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي انا ابو الحسن الطيسفوني انا ابو عبد الله عمر الجوهري انا احمد بن علي الكشميهني اخبرنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر أنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي موسى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة ، الايمان يمان والحكمة يمانية » وقال الكلبي هم أحياء من اليمن الفان من النخع وخمسة من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس فجاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في أيام عمر رضي الله عنه

قوله عز وجل ﴿أذلة على المؤمنين﴾ يعني أرقاء رحماء لقوله عز وجل (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) ولم يرد به الهوان بل أراد أن جانبهم لين على المؤمنين وقيل هو من الذل من قولهم دابة

أشداء على الكفار رحماء بينهم) وفي صفة رسول الله ﷺ انه الضحوك القتال . فهو ضحوك لأوليائه قتال لاعدائه. وقوله عزوجل (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) أى لا يردهم عماهم فيه من طاعة الله وإقامة الحدود وقتال أعدائه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر لايردهم عن ذلك راد، ولا يصدهم عنه صاد ، ولا يحيك فيهم لوم لائم ، ولا عذل عاذل . قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا سلام أبو المنذر عن محمد بن واسع عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال أمرني خليلي ﷺ بسبع أمرني بحب المساكين، والدنو منهم، وأمرني أن أنظر الى من هو دوني ، ولا أنظر الى من هو فوقي، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأمرني ان لا أسأل أحدا شيئا وأمرني أن أقول الحق وان كان مراً ، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم ، وأمرني أن أكثر من قول لاحول ولا قوة الا بالله فانهن من كنز تحت العرش . وقال الامام أحمد أيضا حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن أبي المثنى أن أبا ذر رضي الله عنه قال بايعني رسول الله ﷺ خمسا وواثقني سبعا ، وأشهد الله علي سبعا- اني لا أخاف في الله لومة لائم. قال أبو ذر فدعاني رسول الله ﷺ فقال « هل لك الى بيعة ولك الجنة - قلت نعم وبسطت يدي فقال النبي ﷺ وهو يشترط علي « ان لا تسأل الناس شيئا » قلت نعم قال ولا سوطك وان سقط منك • يعني تنزل اليه فتأخذه وقال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن الحسن حدثنا جعفر عن المعلى الفردوسي عن الحسن عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ • ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق اذا رآه أو شهده فأنه لا يقرب من أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو أن يذكر بعظيم • تفرد به أحمد . وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق أنا سفيان عن زبيد عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمرا لله فيه مقال فلا يقول فيه. فيقال له يوم القيامة: ما منعك أن تكون قلت في كذا وكذا ؟ فيقول مخافة الناس، فيقول اياي أحق أن تخاف» ورواه ابن ماجه من حديث الاعمش عن عمرو بن مرة به. وروى أحمد وابن ماجه من حديث عبد الله ابن عبد الرحمن ابي طوالة عن بهار بن عبد الله العبدى المدني عن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ قال « إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى إنه ليسأله يقول له أي عبدي أرأيت منكرا فلم تنكره؟ فاذا لقن الله عبدا حجته قال أى رب وثقت بك وخفت الناس» وثبت في الصحيح «ماينبغي المؤمن أن يذل نفسه» قالوا وكيف يذل

ذلول يعني أنهم متواضعون قال الله تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) ﴿أعزة على الكافرين﴾ أي أشداء غلاظ على الكفار يعادونهم ويغالبونهم من قولهم عزه أي غلبه قال عطاء (أذلة على المؤمنين) كالولد لوالده والعبد لسيده أعزة على الكافرين كالسبع على فريسته نظير قوله تعالى (أشداء على الكفار رحماء بينهم) ﴿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ يعني لا يخافون في الله لومة الناس . وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون على الكفار ويخافون لومهم وروينا عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف

نفسه يارسول الله قال « يتحمل من البلاء مالا يطيق » (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) أى من اتصف بهذه الصفات فانما هو من فضل الله عليه ، وتوفيقه له (والله واسع عليم) أى واسع الفضل عليم بمن يستحق ذلك ممن يحرمه اياه .

وقوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) أي ليس اليهود باوليائكم بل ولايتكم راجعة الى الله ورسوله والمؤمنين وقوله (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) أي المؤمنون المتصفون بهذه الصفات من إقام الصلاة التى هي أكبر أركان الاسلام وهي عبادة الله وحده لاشريك له .وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين. وأما قوله (وهم راكعون) فقد توهم بعض الناس ان هذه الجملة في موضع الحال من قوله (ويؤتون الزكاة) أى في حال ركوعهم ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره لانه ممدوح وليس الامر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى، وحتى إن بعضهم ذكر في هذا أثرا عن علي بن أبي طالب أن هذه الآية نزلت فيه وذلك انه مر بهسائل في حال ركوعه فأعطاه خاتمه وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان المرادي حدثنا أيوب بن سويد عن عتبة بن أبي حكيم في قوله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال هم المؤمنون وعلي بن أبى طالب . وحدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا الفضل بن دكين أبو نعيم الاحول حدثنا موسى بن قيس الحضرمي عن سلمة بن كهيل قال تصدق علي بخاتمه وهو راكع فنزلت (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا غالب ابن عبد الله سمعت مجاهدا يقول في قوله(انما وليكم الله ورسوله) الآية نزلت في علي بن أبي طالب تصدق وهو راكع وقال عبد الرزاق حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله

في الله لومة لائم ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ أي محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين وشدتهم على الكافرين من فضل الله عليهم ﴿والله واسع عليم*إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في عبادة بن الصامت وعبدالله بن أبيّ بن سلول حين تبرأ عبادة من اليهود وقال اتولى الله ورسوله والذين آمنوا فنزلت فيهم من قوله (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الى قوله(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) يعني عبادة بن الصامت وأصحاب رسول الله ﷺ وقال جابر بن عبد الله جاء عبد الله بن سلام الى النبي ﷺ فقال يارسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لايجالسونا فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله ﷺ فقال يارسول الله رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء وعلى هذا التأويل أراد بقوله وهم راكعون صلاة التطوع بالليل والنهار وقاله ابن عباس رضي الله عنهما

وقال السدي قوله ﴿ والذين آمنوا الذين يقمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ أراد به علي

(انما وليكم الله ورسوله) الآية نزلت في علي بن أبي طالب : عبدالوهاب بن مجاهد لايحتج به. وروى ابن مردويه من طريق سفيان الثوري عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس قال كان علي بن أبي طالب قائما يصلي فمر سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه فنزلت (انما وليكم الله ورسوله) الآية . الضحاك لم يلق ابن عباس. وروى ابن مردويه أيضا من طريق محمد بن السائب الكلبي وهو متروك عن أبي صالح عن ابن عباس قال خرج رسول الله ﷺ الى المسجد والناس يصلون بين راكع وساجد وقائم وقاعد واذا مسكين يسأل فدخل رسول الله ﷺ فقال «أعطاك أحد شيأ ؟ قال نعم قال من ؟ قال ذلك الرجل القائم قال «على أي حال أعطاكه ؟ قال وهو راكع ، قال وذلك علي بن أبي طالب قال فكبر رسول الله ﷺ عند ذلك وهو يقول (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) وهذا إسناد لايقدح به ثم رواه ابن مردويه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفسه وعمار ابن ياسر وأبي رافع وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها[1] وجهالة رجالها ثم روى باسناده عن ميمون بن مهران عن ابن عباس في قوله (انما وليكم الله ورسوله) نزلت في المؤمنين وعلي بن أبي طالب أولهم، وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا عبدة عن عبدالملك عن أبي جعفر قال سألته عن هذه الآية (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) قلنا من الذين آمنوا ؟ قال الذين آمنوا . قلنا بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب قال علي من الذين آمنوا ، وقال أسباط عن السدي نزلت هذه الآية في جميع المؤمنين ولكن علي بن أبي طالب مر به سائل وهو راكع في المسجد فاعطاه خاتمه ، وقال علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس من أسلم فقد تولى الله ورسوله والذين آمنوا رواه ابن جرير ، وقد تقدم في الاحاديث التي أوردناها أن هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت رضى الله عنه حين تبرأ من حلف اليهود ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين ولهذا قال تعالى بعد هذا كله (ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) كما قال تعالى (كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز . لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنه ورضوا عنه أولئك حزب الله الا أن حزب الله هم المفلحون) فكل من رضي بولاية الله ورسوله

[1] بل يشتم من التكلف فيها رائحة الوضع والركوع هنا ورد بمعناه اللغوي

ابن أبي طالب رضى الله عنه مر به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه وقال جويبر عن الضحاك في قوله (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال هم المؤمنون بعضهم أولياء بعض. وقال أبو جعفر محمد بن علي الباقر (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) نزلت في المؤمنين فقيل له إن أناسا يقولون إنها نزلت في علي رضي الله عنه فقال هو من المؤمنين ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ يعني يتولى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد المهاجرين والانصار ﴿ فان

والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصور في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون)

يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (٥٧) وإذا ناديتم إلى الصلوة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لايعقلون (٥٨)

وهذا تنفير من موالاة أعداء الاسلام وأهله من الكتابيين والمشركين الذين يتخذون أفضل مايعمله العاملون وهي شرائع الاسلام المطهرة المحكمة المشتملة على كل خير دينوي وأخروي يتخذونها هزواً يستهزئون بها، ولعباً يعتقدون انها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد، وفكرهم البارد، كما قال القائل

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

وقوله تعالى (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار) من ههنا لبيان الجنس كقوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) وقرأ بعضهم والكفار بالخفض عطفا وقرأ آخرون بالنصب على انه معمول (لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتو الكتاب من قبلكم) تقديره ولا(الكفار أولياء) أي لاتتخذوا هؤلاء ولا هؤلاء أولياء والمراد بالكفار ههنا المشركون وكذا وقع في قراءة ابن مسعود فيما رواه ابن جرير (لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا) وقوله (واتقوا الله ان كنتم مؤمنين) اي اتقوا الله ان تتخذوا هؤلاء الاعداء لكم ولدينكم أولياء ان كنتم مؤمنين بشرع الله الذي اتخذه هؤلاء هزوا ولعبا كما قال تعالى (لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) وقوله (وإذا ناديتم للصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) أي وكذلك اذا أذنتم داعين الى الصلاة التي هي أفضل الاعمال لمن يعقل ويعلم من ذوي الالباب (اتخذوها) أيضا (هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لايعقلون) معاني عبادة الله وشرائعه وهذه صفات أتباع الشيطان

حزب الله﴾ يعني أنصار دين الله ﴿ هم الغالبون ﴾

قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً ﴾ الآية .قال ابن عباس : كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله عز وجل هذه الآية (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً) باظهار ذلك بألسنتهم قولا وهم مستبطنون الكفر ﴿ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ يعني اليهود ﴿ والكفار ﴾ قرأ أهل البصرة والكسائي الكفار بخفض الراء يعني ومن الكفار ، وقرأ

الذي إذا سمع الاذان أدبر وله حصاص أى ضراط حتى لا يسمع التأذين فاذا قضى التأذين أقبل فاذا ثوب للصلاة أدبر فاذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه فيقول اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى فاذا وجد أحدكم ذلك فليسجد سجدتين قبل السلام » متفق عليه، وقال الزهري قد ذكر الله التأذين في كتابه فقال (واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) رواه ابن أبي حاتم، وقال أسباط عن السدي في قوله (واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) قال كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المنادي ينادي أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الكذاب ، فدخلت خادمة ليلة من الليالي بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فأحرقت البيت فاحترق هو وأهله ، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وذكر محمد بن اسحاق ابن يسار في السيرة أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه، وقال الحارث بن هشام أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته ، فقال أبو سفيان لا أقول شيأ لو تكلمت لاخبرت عنى هذه الحصى فخرج عليهم النبي ﷺ فقال « قد علمت الذي قلتم » ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك . وقال الامام أحمد حدثنا روح بن عبادة حدثنا ابن جريج أخبرنا عبد العزيز بن عبد الملك بن أبي محذورة ان عبد الله بن محيريز أخبره وكان يتيما في حجر ابي محذورة قال قلت لأبي محذورة ياعم اني خارج الى الشام وأخشى أن أسأل عن تأذينك . فاخبرني أن أبا محذورة قال له نعم خرجت في نفر وكنا في بعض طريق حنين مقفل رسول الله ﷺ من حنين فلقينا رسول الله ﷺ ببعض الطريق فأذن مؤذن رسول الله ﷺ بالصلاة عند رسول الله ﷺ فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون فصرخنا نحكيه ونستهزىء به فسمع رسول الله ﷺ فأرسل الينا الى ان وقفنا بين يديه فقال رسول الله ﷺ « أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع » ؟ فأشار القوم كلهم الي وصدقوا فأرسل كلهم وحبسني وقال « قم فأذن » فقمت ولا شيء اكره الي من رسول الله ﷺ ولا مما يأمرني به فقمت بين يدي رسول الله ﷺ فألقى علي رسول الله ﷺ التأذين هو بنفسه قال « قل

الآخرون بالنصب أي لا تتخذوا ﴿الكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ قوله عزوجل ﴿ واذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ قال الكلبي : كان منادي رسول الله ﷺ اذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون اليها قالت اليهود : قد قاموا لا قاموا ، وصلوا لا صلوا ـ على طريق الاستهزاء ـ وضحكوا . فأنزل الله عز وجل هذه الآية . وقال السدي نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول : أشهد أن محمداً رسول الله ، قال : حرق الكاذب ، فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو وأهله نيام فتطايرت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله . وقال الآخرون : إن

الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله» ثم دعاني حين قضيت التأذين فاعطاني صرة فيها شيء من فضة ثم وضع يده على ناصية ابي محذورة ثم امرها على وجهه ثم بين ثدييه ثم على كبده حتى بلغت يد رسول الله ﷺ سرة ابي محذورة ثم قال رسول الله ﷺ «بارك الله فيك وبارك عليك» فقلت يارسول الله مرني بالتأذين بمكة فقال «قد امرتك به» وذهب كل شيء كان لرسول الله ﷺ من كراهة وعاد ذلك كله محبة لرسول الله ﷺ فقدمت على عتاب بن اسيد عامل رسول الله ﷺ فاذنت معه بالصلاة عن امر رسول الله ﷺ واخبرني ذلك من ادركت من اهلي ممن ادرك أبا محذورة على نحو ما اخبرني عبد الله بن محيريز، هكذا رواه الامام أحمد وقد أخرجه مسلم في صحيحه وأهل السنن الاربعة من طريق عن عبدالله بن محيريز عن ابي محذورة واسمه سمرة بن معير[1] بن لوذان احد مؤذني رسول الله ﷺ الاربعة وهو مؤذن اهل مكة وامتدت ايامه رضي الله عنه وارضاه

«١» هذا قول مرجوح والمعتمد ان اسمه أوس، ومعير بالمهملة بوزن منبر، وقيل بتشديد الياء

قل يأهل الكتب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فسقون (٥٩) قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ؟ من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل (٦٠) وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به، والله أعلم بما كانوا يكتمون (٦١) وترى كثيرا منهم يسرعون في الإثم والعدون وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون (٦٢) لولا ينههم الربنيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (٦٣)

يقول تعالى قل يامحمد لهؤلاء (الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعبا من أهل الكتاب : هل تنقمون

الكفار لما سمعوا الاذان حسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله ﷺ وقالوا يامحمد : لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الامم ، فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الانبياء ، فمن أين لك صياح كصياح العير ، فما أقبح من صوت! وما أسمج من أمر : فأنزل الله تعالى هذه الآية (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله) الآية

قوله عز وجل ﴿ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا ﴾ الآية . قرأ الكسائي هل تنقمون بادغام

منا الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل) أي هل لكم علينا مطعن أو عيب الا هذا؟ وهذا ليس بعيب ولا مذمة . فيكون الاستثناء منقطعا كما في قوله تعالى (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) و كقوله (وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) وفي الحديث المتفق عليه «ما ينقم ابن جبل الا أن كان فقيراً فأغناه الله » وقوله (وأن أكثركم فاسقون) معطوف على (أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل)أي وآمنا بأن أكثركم فاسقون أي خارجون عن الطريق المستقيم

ثم قال (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) أي هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا ؟ وهم أنتم الذين هم متصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله (من لعنه الله) أي أبعده من رحمته (وغضب عليه) أي غضبا لا يرضى بعده أبداً (وجعل منهم القردة والخنازير) كما تقدم بيانه في سورة البقرة وكما سيأتي إيضاحه في سورة الاعراف : وقد قال سفيان الثوري عن علقمة بن يزيد عن المغيرة ابن عبد الله عن المعرور بن سويد عن ابن مسعود قال سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي مما مسخ الله فقال « ان الله لم يهلك قوما أو قال لم يمسخ قوما فيجعل لهم نسلا ولا عقبا وان القردة والخنازير كانت قبل ذلك » وقد رواه مسلم من حديث سفيان الثوري ومسعر كلاهما عن مغيرة بن عبدالله اليشكري به ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا داود بن أبي الفرات عن محمد بن زيد عن أبي الاعين المعبدي عن أبي الاحوص عن ابن مسعود قال سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي من نسل اليهود فقال « لا ، ان الله لم يلعن قوما قط فيمسخهم فكان لهم نسل ولكن هذا خلق

اللام في التاء، وكذلك يدغم لام هل في التاء والثاء والنون » ووافقه حمزة في التاء والثاء، وأبو عمرو في «هل ترى» في موضعين . قال ابن عباس : أتى النبي ﷺ نفر من اليهود أبو ياسر بن أخطب ورافع ابن أبي رافع وغيرهما فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال «أومن بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل) — إلى قوله (ونحن له مسلمون) فلما ذكر عيسى عليه السلام جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم فأنزل الله تعالى هذه الآية (قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا) أي هل تكرهون منا ﴿ إلا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون ﴾ أي هل تكرهون منا إلا إيماننا وفسقكم ، أي إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون انا على حق لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لحب الرياسة وحب الاموال ثم قال ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ هل أنبئكم ﴾ أخبركم ﴿ بشر من ذلك ﴾ الذي ذكرتم يعني قولهم: لم نر أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم .فذكر الجواب بلفظ الابتداء وإن لم يكن الابتداء شراً لقوله تعالى(أفأنبئكم بشر من ذلكم النار) ﴿ مثوبة ﴾ ثوابا وجزاء نصب على التفسير ﴿ عند الله ؟ من لعنه الله ﴾ أي هو من لعنه الله ﴿ وغضب عليه ﴾ يعني اليهود ﴿ وجعل منهم القردة والخنازير ﴾ فالقردة أصحاب السبت ، والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام

كان فلما غضب الله على اليهود فمسخهم جعلهم مثلهم » ورواه احمد من حديث داود بن أبي الفرات به ، وقال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي حدثنا أحمد بن اسحق بن صالح حدثنا الحسن بن محبوب حدثنا عبد العزيز بن المختار عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « الحيات مسخ الجن كما مسخت القردة والخنازير » هذا حديث غريب جداً ، وقوله تعالى (وعبد الطاغوت) قرىء وعبد الطاغوت على أنه فعل ماض والطاغوت منصوب به أي وجعل منهم من عبد الطاغوت وقرىء وعبد الطاغوت بالاضافة على ان المعنى وجعل منهم خدم الطاغوت أي خدامه وعبيده وقرىء وعبد الطاغوت على أنه جمع الجمع عبد وعبيد وعبد مثل ثمار وثمر حكاها ابن جرير عن الاعمش وحكى عن بريدة الاسلمي أنه كان يقرؤها وعابد الطاغوت وعن أبيّ وابن مسعود عبدوا وحكى ابن جرير عن أبي جعفر القاريء أنه كان يقرؤها وعبد الطاغوت على أنه مفعول مالم يسم فاعله ثم استبعد معناها والظاهر أنه لا بعد في ذلك لان هذا من باب التعريض بهم أي وقد عبدت الطاغوت فيكم وأنتم الذين فعلتموه وكل هذه القرا آت يرجع معناها الى أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين في ديننا الذي هو توحيد الله وإفراده بالعبادات دون ماسواه كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجد منكم جميع ماذكر ولهذا قال (أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل) وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركه كقوله عز وجل (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً واحسن مقيلا)

وقوله تعالى (واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) وهذه صفة المنافقين منهم أنهم يصانعون المؤمنين في الظاهر وقلوبهم منطوية على الكفر ولهذا قال وقد دخلوا أي عندك يامحمد بالكفر أي مستصحبين الكفر في قلوبهم ثم خرجوا وهو كامن فيها لم ينتفعوا بما قد سمعوا منك من العلم ولا نجعت فيهم المواعظ ولا الزواجر ولهذا قال (وهم قدخرجوا به) فخصهم به دون غيرهم وقوله تعالى (والله أعلم بما كانوا يكتمون) أي عالم بسرائرهم وما تنطوى عليه ضمائرهم وان

وروي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الممسوخين كلاهما من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ، ومشايخهم مسخوا خنازير ﴿ وعبد الطاغوت ﴾ أي جعل منهم من عبد الطاغوت أي أطاع الشيطان فيما سول له وتصدقها قراءة ابن مسعود (ومن عبدوا الطاغوت) وقرأ حمزة (وعبد) بضم الباء (الطاغوت) بجر التاء أراد العبد وهما لغتان عبد بجزم الباء وعبد بضم الباء مثل سبع وسبع وقيل هو جمع العباد ، وقرأ الحسن وعبد الطاغوت على الواحد ﴿ أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل ﴾ عن طريق الحق ﴿ واذا جاؤكم قالوا ﴾ يعني هؤلاء المنافقين وقيل هم الذين قالوا (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وكفروا آخره) دخلوا على النبي ﷺ وقالوا ﴿ آمنا ﴾ بك وصدقناك فيما قلت وهم يسرون الكفر ﴿ وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ﴾ يعنى

اظهروا لخلقه خلاف ذلك وتزينوا بما ليس فيهم فان عالم الغيب والشهادة أعلم بهم منهم وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء، وقوله (وترى كثيراً منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت) أي يبادرون إلى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم والاعتداء على الناس وأكلهم أموالهم بالباطل (لبئس ما كانوا يعملون) أي لبئس العمل كان عملهم وبئس الاعتداء اعتداؤهم

وقوله تعالى (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) يعني هلا كان ينهاهم الربانيون والاحبار منهم عن تعاطي ذلك والربانيون هم العلماء العمال أرباب الولايات عليهم والاحبار هم العلماء فقط (لبئس ما كانوا يصنعون) يعني من تركهم ذلك قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال لهؤلاء حين لم ينهوا ولهؤلاء حين عملوا قال وذلك الاركان قال ويعلمون ويصنعون واحد رواه ابن أبي حاتم، وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عطية حدثنا قيس عن العلاء بن المسيب عن خالد بن دينار عن ابن عباس قال مافي القرآن آية أشد توبيخا من هذه الآية (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون) قال كذا قرأ، وكذا قال الضحاك مافي القرآن آية أخوف عندي منها انا لا ننتهي رواه ابن جرير، وقال ابن أبي حاتم ذكره يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح حدثنا ثابت أبو سعيد الهمذاني قال لقيته بالري فحدث عن يحيى ابن يعمر قال خطب علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والاحبار فلما تمادوا في المعاصي أخذتهم العقوبات، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب أجلا، وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا شريك عن أبي اسحق عن المنذر بن جرير عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ «مامن قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي هم أعز منه وأمنع ولم يغيروا الا أصابهم الله منه بعذاب» تفرد به أحمد من هذا الوجه، ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي الاحوص عن أبي اسحق عن المنذر بن جرير عن جرير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «مامن رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون ان يغيروا عليه فلا يغيرون الا اصابهم الله بعقاب قبل ان يموتوا»، وقد رواه ابن ماجه عن علي بن محمد عن وكيع عن اسرائيل عن أبي اسحق عن عبيد الله بن جرير عن أبيه به، قال الحافظ المزي وهكذا رواه شعبة عن أبي اسحق به

دخلوا كافرين وخرجوا كافرين ﴿ والله أعلم بما كانوا يكتمون * وترى كثيراً منهم ﴾ يعني من اليهود ﴿ يسارعون في الاثم والعدوان ﴾ قيل الاثم المعاصي، والعدوان الظلم، وقيل الاثم ماكتموا من التوراة والعدوان مازادوا فيها ﴿ وأكلهم السحت ﴾ الرشا ﴿ لبئس ما كانوا يعملون * لولا ﴾ هلا ﴿ ينهاهم الربانيون والاحبار ﴾ يعني العلماء، قيل الربانيون علماء النصارى، والاحبار علماء اليهود ﴿ عن قولهم

وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغيٰنا وكفراً ، وألقينا بينهم العدٰوة والبغضاء إلى يوم القيٰمة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، ويسعون في الأرض فسادا والله لايحب المفسدين (٦٤) ولو أن أهل الكتٰب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلنٰهم جنٰت النعيم (٦٥) ولو أنهم أقاموا التورٰىة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء مايعملون (٦٦)

يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة بأنهم وصفوه تعالى عن قولهم علوا كبيراً بأنه بخيل كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء وعبروا عن البخل بأن قالوا (يد الله مغلولة) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبدالله الطهراني حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال قال ابن عباس(مغلولة) أي بخيلة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله(وقالت اليهود يد الله مغلولة) قال لا يعنون بذلك أن يد الله موثقة ولكن يقولون بخيل يعني أمسك ماعنده بخلا تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي والضحاك وقرأ (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) يعني أنه ينهى عن البخل وعن التبذير وهو زيادة الانفاق في غير محله وعبر عن البخل بقوله (ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك) وهذا هو الذي أراد هؤلاء اليهود عليهم لعائن الله وقد قال عكرمة أنها نزلت في فنحاص اليهود عليه لعنة الله وقد تقدم أنه الذي قال(ان الله فقير ونحن أغنياء(فضربه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وقال محمد بن اسحق حدثنا محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال قال رجل من اليهود يقال له شاس بن قيس ان ربك بخيل لاينفق فأنزل الله (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل

الاثم وأكلهم السحت لبئس ماكانوا يصنعون * وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة : إن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا وأخصبهم ناحية ، فلما عصوا الله في محمد ﷺ وكذبوا به كف الله عنهم مابسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص ابن عازوراء : يد الله مغلولة أي محبوسة مقبوضة من الرزق نسبوه إلى البخل ، قيل إنما قال هذه المقالة فنحاص ، فلما لم ينهه الآخرون ورضوا بقوله أشركهم الله فيها . وقال الحسن : معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا إلا مايبر به قسمه قدر ماعبد آباؤنا العجل والاول أولى لقوله (ينفق كيف يشاء) ﴿ غلت أيديهم ﴾ أي أمسكت أيديهم عن الخيرات . وقال الزجاج : أجابهم الله

يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)، وقد رد الله عز وجل عليهم ماقالوه وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه وائتفكوه فقال (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) وهكذا وقع لهم فان عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم كما قال تعالى (أم لهم نصيب من الملك فاذاً لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) الآية ، وقال تعالى (ضربت عليهم الذلة) الآية ثم قال تعالى (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) أي بل هو الواسع الفضل الجزيل العطاء الذي مامن شيء إلا عنده خزائنه وهو الذي مابخلقه من نعمة فمنه وحده لاشريك له الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج اليه، في ليلنا ونهارنا،وحضرنا وسفرنا وفي جميع أحوالنا، كما قال (وآتاكم من كل ماسألتموه وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار) والآيات في هذا كثيرة وقد قال الامام احمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ماحدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ماأنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض مافي يمينه قال وعرشه على الماء وفي يده الاخرى الفيض يرفع ويخفض وقال يقول الله تعالى أنفق أنفق عليك» أخرجاه في الصحيحين البخاري في التوحيد عن علي بن المديني ومسلم فيه عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق به، وقوله تعالى (وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفراً) أي يكون ما آتاك الله يامحمد من النعمة نقمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم فكما يزداد به المؤمنون تصديقا وعملاصالحا وعلما نافعاً يزداد به الكافرون الحاسدون لك ولأمتك طغيانا وهو المبالغة والمجاوزة للحد في الاشياء، وكفراً أي تكذيبا كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمي أولئك ينادون من مكان بعيد) وقال تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) وقوله تعالى (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) يعني أنه لاتجتمع قلوبهم بل العداوة واقعة بين فرقهم

تعالى فقال : أنا الجواد وهم البخلاء وأيديهم هي المغلولة الممسكة . وقيل هو من الغل في النار يوم القيامة لقوله تعالى (إذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل) ﴿ ولعنوا ﴾ عذبوا ﴿ بما قالوا ﴾ فمن لعنهم أنهم مسخوا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة في الدنيا ، وفي الآخرة بالنار ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه . وقال جل ذكره (لما خلقت بيدي) وقال النبي ﷺ « كلتا يديه يمين » والله أعلم بصفاته فعلى العباد فيها الايمان والتسليم وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات أمروها كما جاءت بلا كيف ﴿ ينفق ﴾ يرزق ﴿ كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ماأنزل اليك من ربك طغيانا وكفراً ﴾ أي كلما أنزلت آية كفروا بها فازدادوا طغيانا وكفراً ﴿ وألقينا بينهم العداوة والبغضاء ﴾ يعني بين اليهود والنصارى . قاله الحسن ومجاهد قيل وبين طوائف اليهود جعلهم الله مختلفين في دينهم متباغضين ﴿ إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً

بعضهم في بعض دائماً لانهم لايجتمعون على حق وقد خالفوك وكذبوك وقال ابراهيم النخعي والقينا بينهم العداوة والبغضاء قال الخصومات والجدال فى الدين رواه ابن أبي حاتم وقوله ﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ﴾ اي كلما عقدوا أسبابا يكيدونك بها وكلما أبرموا أموراً يحاربونك بها أبطلها الله ورد كيدهم عليهم وحاق مكرهم السيء بهم (ويسعون في الارض فساداً والله لايحب المفسدين) أي من سجيتهم أنهم دائماً يسعون في الافساد في الارض والله لايحب من هذه صفته ، ثم قال جل وعلا (ولو أن اهل الكتاب آمنوا واتقوا) أي لو أنهم آمنوا بالله ورسوله واتقوا ما كانوا يتعاطونه من المآثم والمحارم (لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم)أي لأزلنا عنهم المحذور وأنلناهم المقصود ، (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم) قال ابن عباس وغيره هو القرآن (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أي لو أنهم عملوا بما في الكتب التي بأيديهم عن الانبياء على ما هي عليه من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير لقادهم ذلك إلى اتباع الحق والعمل بمقتضى مابعث الله به محمداً ﷺ فان كتبهم ناطقة بتصديقه والامر باتباعه حتما لامحالة وقوله تعالى (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يعني بذلك كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الارض وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (لأكلوا من فوقهم) يعني لأرسل السماء عليهم مدرارا (ومن تحت أرجلهم) يعني يخرج من الارض بركاتها وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والسدي كما قال تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) الآية وقال تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) الآية وقال بعضهم معناه (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يعني من غير كد ولا تعب ولا شقاء ولاعناء وقال ابن جرير قال بعضهم معناه لكانوا في الخير كما يقول القائل هو في الخير من فرقه إلى قدمه ثم رد هذا القول لمخالفته أقوال السلف وقد ذكر ابن أبي حاتم عند قوله (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل) فقال حدثنا علقمة عن صفوان

للحرب أطفأها الله ﴾ يعني اليهود أفسدوا وخالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر ، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي ، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس ، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم المسلمين ، وقيل كلما أجمعوا أمرهم ليفسدوا أمر محمد ﷺ وأوقدوا ناراً لمحاربة أطفأها الله فردهم وقهرهم ونصر نبيه ودينه . هذا معنى قول الحسن

وقال قتادة : هذا عام في كل حرب طلبته اليهود فلا تلقى اليهود في بلد إلا وجدتهم من أذل الناس ﴿ ويسعون في الارض فساداً والله لايحب المفسدين * ولو أن أهل الكتاب آمنوا ﴾ بمحمد ﷺ ﴿ واتقوا ﴾ الكفر ﴿ لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم * ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ﴾ يعني أقاموا أحكامها وحدودها وعملوا بما فيها ﴿ وما أنزل اليهم من ربهم ﴾ يعني القرآن وقيل كتب أنبياء بني اسرائيل ﴿ لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ قيل من فوقهم هو المطر ،

ابن عمر وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « يوشك أن يرفع العلم » فقال زياد بن لبيد يارسول الله وكيف يرفع العلم وقد قرأنا القرآن وعلمناه أبناءنا فقال « ثكلتك أمك يا ابن لبيد ان كنت لأراك من أفقه أهل المدينة أو ليست التوراة والانجيل بأيدي اليهود والنصارى فما أغنى عنهم حين تركوا أمر الله » ثم قرأ (ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل) هكذا أورده ابن أبي حاتم معلقا من أول اسناده مرسلا في آخره وقد رواه الامام أحمد بن حنبل متصلا موصولا فقال حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن زياد بن لبيد انه قال ذكر النبي ﷺ شيئا فقال « وذاك عند ذهاب العلم » قال قلنا يارسول وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا وأبناؤنا يقرؤنه أبناءهم الى يوم القيامة فقال « ثكلتك أمك يابن أم لبيد إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤن التوراة والانجيل ولا ينتفعون بما فيهما بشيء » هكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع به نحوه وهذا اسناد صحيح

وقوله تعالى (منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء مايعملون) كقوله (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وكقوله عن أتباع عيسى (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) الآية فجعل أعلى مقاماتهم الاقتصاد وهو أوسط مقامات هذه الأمة وفوق ذلك رتبة السابقين كما في قوله عز وجل (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها) الآية والصحيح ان الاقسام الثلاثة من هذه الامة كلهم يدخلون الجنة وقد قال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أحمد بن يونس الضبي حدثنا عاصم بن علي حدثنا أبو معشر عن يعقوب بن يزيد بن طلحة عن زيد بن أسلم عن أنس ابن مالك قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال « تفرقت أمة موسى على احدى وسبعين ملة سبعون منها في النار وواحدة في الجنة وتفرقت أمة عيسى على ثنتين وسبعين ملة واحدة منها في الجنة واحدى وسبعون منها في النار وتعلو أمتي على الفرقتين جميعا واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار » قالوا من هم يارسول الله قال « الجماعات الجماعات » قال يعقوب بن زيد كان علي بن أبي طالب اذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ تلا فيه قرآنا قال (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيآتهم ولادخلناهم جنات النعيم) الى قوله (منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء مايعملون) وتلا أيضاً

ومن تحت أرجلهم نبات الارض . قال ابن عباس رضي الله عنهما : لأنزلت عليهم القطر وأخرجت لهم من نبات الارض . قال الفراء : أراد به التوسعة في الرزق كما يقال فلان في الخير من قرنه إلى قدمه نظيره قوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) ﴿ منهم أمة مقتصدة ﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه مقتصدة اي عادلة غير غالية ، ولا مقصرة جافية ومعنى الاقتصاد في اللغة الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير ﴿ وكثير

قوله تعالى (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) يعني أمة محمد ﷺ وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه وبهذا السياق وحديث افتراق الامم الى بضع وسبعين مروي من طرق عديدة وقد ذكرناه في موضع آخر ولله الحمد والمنة

يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لايهدي القوم الكافرين (٦٧)

يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ باسم الرسالة وآمرا له بابلاغ جميع ماأرسله الله به وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن اسمعيل عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت « من حدثك أن محمداً كتم شيئا ما أنزل الله عليه فقد كذب » وهو يقول (يا أيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك) الآية هكذا رواه هاهنا مختصراً وقد أخرجه في واضع من صحيحه مطولا وكذا رواه مسلم في كتاب الايمان والترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما من طرق عن عامر الشعبي عن مسروق بن الاجدع عنها رضي الله عنها وفي الصحيحين عنها أيضا أنها قالت لو كان محمد ﷺ كاتما شيئا من القرآن لكتم هذه الآية (وتخفي في نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه) . وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن منصور الرمادي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد عن هرون بن عنترة عن ابيه قال كنت عند ابن عباس فجاء رجل فقال له ان ناسا يأتونا فيخبرونا ان عندكم شيئا لم يبده رسول الله ﷺ للناس فقال ابن عباس الم تعلم ان الله تعالى قال (يا أيها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك) ؟ والله ماورثنا رسوله ﷺ سوداء في بيضاء وهذا اسناد جيد وهكذا في صحيح البخاري من رواية ابي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي قال قلت لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي ما ليس في القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير وأن لا يقتل مسلم بكافر

وقال البخاري قال الزهري من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم وقد شهدت

منهم ﴾ كعب بن الاشرف واصحابه ﴿ ساء مايعملون ﴾ بئس مايعملون ، بئس شيأ عملهم . قال ابن عباس رضي الله عنهما عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي ﷺ

قوله عز وجل ﴿ ياايها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك ﴾ روى عن مسروق قال : قالت عائشة رضي الله عنها : من حدثك ان محمداً ﷺ كتم شيئاً مما انزل الله فقد كذب وهو يقول (ياأيها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك) الآية روي عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله ضاق

له أمته بابلاغ الرسالة وأداء الامانة واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع وقد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين ألفاً كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ «أيها الناس انكم مسؤلون عني فما انتم قائلون؟» قالوا نشهد أنك قد بلغت واديت ونصحت فجعل يرفع أصبعه الى السماء وينكسها اليهم ويقول « اللهم هل بلغت » قال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا فضيل يعني ابن غزوان عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع « يأيها الناس اي يوم هذا قالوا يوم حرام قال اي بلد هـذا قالوا بلد حرام قال فاي شهر هذا قالوا شهر حرام قال فان اموالكم ودماءكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هـذا في بلدكم هذا في شهركم هـذا » ثم اعادها مراراً ثم رفع اصبعه الى السماء فقال «اللهم هل بلغت» مرارا قال يقول ابن عباس والله لوصية الى ربه عز وجل ثم قال «ألا فليبلغ الشاهد الغائب لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» وقد روى البخاري عن علي بن المديني عن يحيى بن سعيد عن فضيل بن غزوان به نحوه ،وقوله تعالى (وان لم تفعل فما بلغت رسالتة) يعني وان لم تؤد الى الناس ماأرسلتك به فما بلغت رسالته أي وقد علم مايترتب على ذلك لو وقع وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس (وان لم تفعل فما بلغت رسالته) يعني ان كتمت آية مما أنزل اليك من ربك لم تبلغ رسالته قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان عن رجل عن مجاهد قال لما

ذرعا وعرف أن من الناس من يكذبه فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في عتب اليهود وذلك أن النبي ﷺ دعاهم إلى الاسلام فقالوا : أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزئون به فيقولون تريد أن نتخذك حناناً كما اتخذت النصارى عيسى حناناً ، فلما رأى النبي ﷺ ذلك سكت فنزلت هذه الآية وأمره بأن يقول لهم (ياأهل الكتاب لستم على شيء) الآية . وقيل ﴿ بلغ ماأنزل اليك ﴾ من الرجم والقصاص نزلت في قصة اليهود وقيل نزلت في أمر زينب بنت جحش ونكاحها ، وقيل في الجهاد وذلك أن المنافقين كرهوه كما قال الله تعالى (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) وكرهه بعض المؤمنين قال الله تعالى (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) الآية فكان النبي ﷺ يمسك في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم فأنزل الله هـذه الآية . قوله تعالى ﴿ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ قرأ أهل المدينة والشام وأبو بكر ويعقوب رسالاته على الجمع والباقون رسالته على التوحيد ومعنى الآية إن لم تبلغ الجميع وتركت بعضه فما بلغت شيأ أي جرمك في ترك تبليغ البعض كجرمك في ترك تبليغ الكل كقوله (نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقاً) أخبر أن كفرهم بالبعض محبط للايمان بالبعض ، وقيل (بلغ ماأنزل إليك) أي اظهر تبليغه كقوله (فاصدع بما تؤمر) ﴿وإن لم تفعل ﴾ فان لم تظهر تبليغه فما بلغت رسالته أمره بتبليغ

نزلت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) قال يارب كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون علي فنزلت (وان لم تفعل فما بلغت رسالته) ورواه ابن جرير من طريق سفيان وهو الثوري به ، وقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) أى بلغ انت رسالتي وانا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم فلا تخف ولا تحزن فلن يصل أحد منهم اليك بسوء يؤذيك وقد كان النبي ﷺ قبل نزول هذه الآية يحرس كما قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا يحيى قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث أن عائشة رضي الله عنها كانت تحدث أن رسول الله ﷺ سهر ذات ليلة وهي الى جنبه قالت فقلت ماشأنك يارسول الله قال « ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة » قالت فبينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح فقال « من هذا » فقال أنا سعد بن مالك فقال « ماجاء بك » قال جئت لاحرسك يارسول الله قالت فسمعت غطيط رسول الله ﷺ في نومه أخرجاه في الصحيحين من طريق يحيى بن سعيد الانصاري به . وفي لفظ سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة مقدمه المدينة يعني على اثر هجرته بعد دخوله بعائشة رضي الله عنها وكان ذلك في سنة ثنتين منها وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابراهيم بن مرزوق البصري نزيل مصر حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الحرث بن عبيد يعني أبا قدامة عن الجريري عن عبد الله ابن شقيق عن عائشة قالت كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية (والله يعصمك من الناس) قالت فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة وقال « يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله عز وجل » وهكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد وعن نصر بن علي الجهضمي كلاهما عن مسلم بن ابراهيم به ثم قال وهذا حديث غريب . وهكذا رواه ابن جرير والحاكم في مستدركه من طريق مسلم ابن ابراهيم ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وكذا رواه سعيد بن منصور عن الحارث بن عبيد أن قدامة الأيادي عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة به ، ثم قال الترمذي وقد روى بعضهم هذا عن الجريري عن ابن شقيق قال كان النبي ﷺ يحرس حتي نزلت هذه الآية ولم يذكر عائشة . قلت هكذا رواه ابن جرير من طريق اسمعيل بن علية ، وابن مردويه من طريق وهيب كلاهما عن الجريري عن عبد الله بن شقيق مرسلا ، وقد روى هذا مرسلا عن سعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي رواهما ابن جرير والربيع بن أنس رواه ابن مردويه ثم قال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن رشدين المصري حدثنا خالد بن عبد السلام الصدفي حدثنا الفضل بن المختار عن عبد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمي قال كنا نحرس رسول الله ﷺ بالليل حتى نزلت (والله يعصمك من الناس) فترك الحرس : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا حمد بن محمد بن حمد ابو نصر الكاتب البغدادي حدثنا كردوس ابن محمد الواسطي حدثنا يعلى بن عبد الرحمن عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي

ما أنزل اليه مجاهراً محتسباً صابراً غير خائف . فان أخفيت منه شيأ لخوف يلحقك فما بلغت رسالته ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ يحفظك ويمنعك من الناس . فان قيل أليس قد شج رأسه وكسرت

سعيد الخدري قال كان العباس عم رسول الله ﷺ فيمن يحرسه فلما نزلت هذه الآية (والله يعصمك من الناس) ترك رسول الله ﷺ الحرس: حدثنا علي بن أبي حامد المديني حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن مفضل بن ابراهيم الاشعري حدثنا أبي حدثنا محمد بن معاوية بن عمار حدثنا أبي قال سمعت أبا الزبير المكي يحدث عن جابر بن عبدالله قال كان رسول الله ﷺ اذا خرج بعث معه أبوطالب من يكلؤه حتى نزلت (والله يعصمك من الناس) فذهب ليبعث معه فقال « ياعم ان الله قد عصمني لاحاجة لي الى من تبعث » وهذا حديث غريب وفيه نكارة فان هذه الآية مدنية وهذا الحديث يقتضي انها مكية، ثم قال حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن يحي حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الجماني عن النضر عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يحرس فكان أبو طالب يرسل اليه كل يوم رجالا من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت عليه هذه الآية (يأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) قال فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه فقال « ان الله قد عصمني من الجن والانس » ورواه الطبراني عن يعقوب بن غيلان العماني عن أبي كريب به

وهذا أيضا حديث غريب والصحيح ان هذه الآية مدنية بل هي من أواخر مانزل بها والله أعلم ومن عصمة الله لرسوله حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها مع شدة العداوة والبغضة ونصب المحاربة له ليلا ونهارا بما يخلقه الله من الاسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب اذ كان رئيسا مطاعا كبيرا في قريش وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله ﷺ لا شرعية ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون اذى يسيرا ثم قيض الله له الانصار فبايعوه على الاسلام وعلى أن يتحول الى دارهم وهي المدينة فلما صار اليها منعوه من الاحمر والاسود وكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه كما كاده اليهود بالسحر فحماه الله منهم وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء ولما سمه اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر أعلمه الله به وحماه منه ولهذا أشباه كثيرة جدا يطول ذكرها، فمن ذلك ماذكره المفسرون عند هذه الآية الكريمة

رباعيته وأوذي بضروب من الاذى ، قيل معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك ، وقيل نزلت هذه الآية بعد ماشج رأسه لأن سورة المائدة من آخر مانزل من القرآن ، وقيل والله يخصك بالعصمة من بين الناس لأن النبي ﷺ معصوم ﴿ إن الله لايهدي القوم الكافرين ﴾

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا أبو اليمان أنا أبو شعيب عن الزهري أنا سنان بن أبي سنان الدويلي وأبو سلمة بن عبدالرحمن

قال ابو جعفر بن جرير حدثنا الحرث حدثنا عبد العزيز حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا كان رسول الله ﷺ اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة ظليلة فيقيل تحتها فأتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال « الله عز وجل » فرعدت يد الاعرابي وسقط السيف منه وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه فأنزل الله عز وجل (والله يعصمك من الناس) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا زيد بن الحباب حدثنا موسى بن عبيدة حدثني زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله الانصاري قال لما غزا رسول الله ﷺ بني أنمار نزل ذات الرقاع بأعلى نخل فبينا هو جالس على رأس بئر قد دلى رجليه فقال الحارث من بني النجار لاقتلن محمداً فقال له أصحابه كيف تقتله قال أقول له أعطني سيفك فاذا أعطانيه قتلته به قال فأتاه فقال يامحمد أعطني سيفك أشيمه فأعطاه إياه فرعدت يده حتى سقط السيف من يده فقال رسول الله ﷺ «حال الله بينك وبين ماتريد» فأنزل الله عز وجل (ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقصة غورث بن الحرث مشهورة في الصحيح وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أبو عمرو بن أحمد ابن محمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الوهاب حدثنا آدم حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال كنا اذا صحبنا رسول الله ﷺ في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظلها فينزل تحتها فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها فجاء رجل فأخذه فقال يامحمد من يمنعك مني فقال رسول الله ﷺ «الله يمنعني منك ضع السيف» فوضعه فأنزل الله عز وجل (والله يعصمك من الناس) وكذا رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن عبد الله بن محمد عن إسحاق بن ابرهيم عن المؤمل بن اسمعيل عن حماد بن سلمة به ، وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة

أن جابر بن عبدالله أخبره أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه وأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله ﷺ يدعونا ، واذا عنده اعرابي فقال « إن هـذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا » فقال من يمنعك مني فقلت « الله » ثلاثاً ولم يعاقبه وجلس . وروى محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الاعرابي سل سيفه وقال : من يمنعك مني يامحمد ، قال « الله » فرعدت يد الاعرابي وسقط السيف من يده وجعل يضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه فأنزل الله تعالى هذه الآية

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر أنا يحيى بن سعيد أنا عبدالله بن عامر بن ربيعة قال سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : كان النبي ﷺ سهر فلما قدم المدينة قال « ليت رجلا صالحاً

سمعت أبا اسرائيل يعني الجشمي سمعت جعدة هو ابن خالد بن الصمة الجشمي رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ ورأى رجلا سمينا فجعل النبي ﷺ يومىء الى بطنه بيده ويقول « لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك » قال وأتي النبي ﷺ برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال النبي ﷺ « لم ترع ولو أردت ذلك لم يسلطك الله عليَّ » وقوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) أي بلغ أنت والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء قال تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) وقال (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب)

قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغينا وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين (٦٨) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصرى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صلحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٩)

يقول تعالى قل يامحمد (ياأهل الكتاب لستم على شيء) أي من الدين حتى تقيموا التوراة والانجيل أي حتى تؤمنوا بجميع مابأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الانبياء وتعملوا بما فيها ومما فيها الايمان بمحمد والامر باتباعه ﷺ والايمان بمبعثه والاقتداء بشريعته ولهذا قال ليث بن أبي سليم عن مجاهد في قوله (وما أنزل اليكم من ربكم) يعني القرآن العظيم وقوله (وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) تقدم تفسيره (فلا تأس على القوم الكافرين) أي فلا تحزن عليهم ولا يهيبنك ذلك منهم ثم قال (ان الذين آمنوا) وهم المسلمون (والذين هادوا) وهم حملة التوراة (والصابئون) لما طال الفصل حسن العطف بالرفع والصابئون طائفة من النصارى والمجوس ليس لهم دين قاله مجاهد وعنه من اليهود والمجوس وقال سعيد بن جبير من اليهود والنصارى وعن الحسن والحكم انهم كالمجوس وقال قتادة هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون الى غير القبلة ويقرؤن الزبور وقال وهب بن

من أصحابي يحرسني الليلة إذ سمعنا صوت سلاح » فقال « من هذا » قال : أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك ونام النبي ﷺ . وقال عبدالله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية (والله يعصمك من الناس) فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم يا أيها الناس « انصرفوا فقد عصمني الله سبحانه وتعالى »

قوله عز وجل ﴿ قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيمو التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم ﴾ أي تقيموا أحكامهما وما يجب عليكم فيهما ﴿ وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفراً فلا تأس ﴾ فلا تحزن ﴿ على القوم الكافرين « إن الذين آمنوا والذين هاداو والصابئون

منبه هم قوم يعرفون الله وحده وليست لهم شريعة يعملون بها ولم يحدثوا كفرا وقال ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه قال الصابئون هم قوم مما يلي العراق وهم بكوثى وهم يؤمنون بالنبيين كلهم ويصومون كل سنة ثلاثين يوما ويصلون الى اليمن كل يوم خمس صلوات وقيل غير ذلك وأما النصارى فمعروفون وهم حملة الانجيل والمقصود ان كل فرقة آمنت بالله وباليوم الآخر وهو الميعاد والجزاء يوم الدين وعملت عملا صالحا ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون موافقا للشريعة المحمدية بعد ارسال صاحبها المبعوث الى جميع الثقلين فمن اتصف بذلك فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا على ماتركوا وراء ظهورهم ولا هم يحزنون وقد تقدم الكلام على نظيراتها في سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ههنا

لقد أخذنا ميثٰق بنى إسرٰءيل وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لاتهوىٰ أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (٧٠) وحسبوا أن لاتكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون (٧١)

يذكر تعالى انه أخذ العهود والمواثيق على بني اسرائيل على السمع والطاعة لله ولرسله فنقضوا تلك العهود والمواثيق واتبعوا آراءهم وأهواءهم وقدموها على الشرائع فما وافقهم منها قبلوه وما خالفهم ردوه ولهذا قال تعالى (كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا أن لا تكون فتنة) أى وحسبوا أن لايترتب لهم شر على ماصنعوا فترتب وهو انهم عموا عن الحق وصموا فلا يسمعون حقا ولا يهتدون اليه ثم تاب الله عليهم أي مما كانوا فيه ثم عموا

والنصارى ﴾ وكان حقه والصابئين وقد ذكرنا في سورة البقرة وجه ارتفاعه . وقال سيبويه : فيه تقديم وتأخير تقديره إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله إلى آخر الآية والصابئون كذلك قوله (إن الذين آمنوا) أي باللسان ، وقوله (من آمن بالله) أي بالقلب ، وقيل (إن الذين آمنوا) على حقيقة الايمان ﴿ من آمن بالله ﴾ أي ثبت على الايمان ﴿ واليوم الآخر وعمل عملا صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾

قوله تعالى ﴿ لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل ﴾ في التوحيد والنبوة ﴿ وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لاتهوي أنفسهم فريقاً كذبوا ﴾ عيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهما ﴿ وفريقاً يقتلون ﴾ يحيى وزكريا ﴿ وحسبوا ﴾ ظنوا ﴿ أن لاتكون فتنة ﴾ أي عذاب وقتل ، وقيل ابتلاء واختبار ، أي ظنوا أن لايبتلوا ولا يعذبهم الله . قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي تكون برفع النون على معنى أنها لاتكون ، ونصبها الآخرون كما لو لم يكن قبلها لا ﴿ فعموا ﴾ عن الحق فلم يبصروه ﴿ وصموا ﴾ عنه فلم يسمعوه ، يعنى عموا وصموا بعد موسى صلوات الله وسلامه عليه ﴿ ثم تاب الله

وصموا)أي بعد ذلك(كثيرا منهم والله بصير بما يعملون) أي مطلع عليهم وعليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية منهم

لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يٰبني اسرٰءيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأوٰه النار وما للظٰلمين من أنصار (٧٢) لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلٰثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذابٌ أليم (٧٣) أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم(٧٤)ما المسيح ابن مريم إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الايٰت ثم أنظر أنّىٰ يؤفكون (٧٥)

يقول تعالى حاكما بتكفير فرق النصارى من الملكية واليعقوبية والنسطورية ممن قال منهم بان المسيح هو الله تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علوا كبيرا هذا وقد تقدم لهم أن المسيح عبد الله ورسوله وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد ان قال إني عبد الله ولم يقل إني أنا الله ولا ابن الله بل قال (اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) إلى أن قال (وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته آمراً لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له ولهذا قال تعالى (وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله) أي فيعبد معه غيره (فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) أي فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة كما قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) وفي الصحيح أن النبي ﷺ بعث مناديا ينادي في الناس إن الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة وفي لفظ مؤمنة وتقدم في أول سورة النساء عند قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به حديث يزيد بن بابنوس عن عائشة: الدواوين ثلاثة فذكر منهم ديوانا لا يغفره الله وهو الشرك بالله قال الله تعالى (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) والحديث في مسند احمد ولهذا قال تعالى اخباراً عن المسيح أنه قال لبني اسرائيل (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) أي وما له عند الله ناصر ولا

عليهم ﴾ ببعث عيسى عليه السلام ﴿ ثم عموا وصموا كثير منهم ﴾ بالكفر بمحمد ﷺ ﴿ والله بصير بما يعملون * لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ وهم الملكانية واليعقوبية منهم ﴿ وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار

معين ولا منقذ مما هو فيه وقوله (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي ابن الحسن المسنجاني حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم حدثنا الفضل حدثني أبو صخر في قول الله تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) قال هو قول اليهود عزير ابن الله وقول النصارى المسيح ابن الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة وهذا قول غريب في تفسير الآية ان المراد بذلك طائفتي اليهود والنصارى والصحيح أنها أنزلت في النصارى خاصة قاله مجاهد وغير واحد ثم اختلفوا في ذلك فقيل المراد بذلك كفارهم في قولهم بالاقانيم الثلاثة وهو أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الاب إلى الابن تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قال ابن جرير وغيره والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الاقانيم وهم مختلفون فيها اختلافا متباينا ليس هذا موضع بسطه وكل فرقة منهم تكفر الأخرى والحق أن الثلاثة كافرة وقال السدي وغيره نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار قال السدي وهي كقوله تعالى في آخر السورة (وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك) الآية وهذا القول هو الاظهر والله أعلم قال الله تعالى (وما من إله الا إله واحد) أي ليس متعددا بل هو وحده لاشريك له إله جميع الكائنات، وسائر الموجودات ثم قال تعالى متوعدا لهم ومتهددا (وان لم ينتهوا عما يقولون) أي من هذا الافتراء والكذب (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم) أي في الا خرة من الاغلال والنكال ثم قال (افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) وهذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم وهذا الافتراء والكذب والافك يدعوهم الى التوبة والمغفرة فكل من تاب اليه تاب عليه

وقوله تعالى (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) أي له أسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه وانه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام كما قال (ان هو الا عبد

وما للظالمين من أنصار * لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ يعني المرقوسية وفيه اضمار معناه ثالث ثلاثة الآلهة لأنهم يقولون الآلهة مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى وكل واحد من هؤلاء إله فهم ثلاثة آلهة يبين هذا قوله عز وجل للمسيح (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) ومن قال إن الله ثالث ثلاثة ولم يرد به الآلهية لايكفر فان الله يقول (مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) وقال النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه « ماظنك باثنين الله ثالثهما » ثم قال رداً عليهم ﴿ وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن ﴾ ليصيبن ﴿ الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ خص الذين كفروا لعلمه أن بعضهم يؤمنون ﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ﴾ قال الفراء : هذا أمر بلفظ الاستفهام كقوله تعالى (فهل أنتم منتهون) أي انتهوا والمعنى أن الله يأمرهم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم ﴿ والله غفور رحيم * ماالمسيح ابن مريم إلا رسول

أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) وقوله(وأمه صديقة) أي مؤمنة به مصدقة له وهذا أعلى مقاماتها فدل على أنها ليست بنبية كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب الى نبوة سارة أم اسحق ونبوة أم موسى ونبوة ام عيسى استدلالا منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم وبقوله (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه) وهذا معنى النبوة والذي عليه الجمهور ان الله لم يبعث نبيا الا من الرجال قال الله تعالى (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى) وقد حكى الشيخ أبو الحسن الاشعري رحمه الله الاجماع على ذلك وقوله تعالى(كانا يأكلان الطعام) أي يحتاجان الى التغذية به والى خروجه منهما فهما عبدان كسائر الناس وليسا بالهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ثم قال تعالى (أنظر كيف نبين لهم الآيات) أي نوضحها ونظهرها(ثم انظر انى يؤفكون)أي ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء أين يذهبون وبأي قول يتمسكون والى أي مذهب من الضلال يذهبون

قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعا والله هو السميع العليم

(٧٦) قل ياأهل الكتب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل (٧٧)

يقول تعالى منكرا على من عبد غيره من الاصنام والانداد والاوثان ومبينا له انها لا تستحق شيئا من الالهية فقال تعالى (قل) اي يامحمد لهؤلاء العابدين غير الله من سائر فرق بني آدم ودخل في ذلك النصارى وغيرهم (أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا) اي لا يقدر على دفع ضر عنكم ولا إيصال نفع اليكم (والله هو السميع العليم) اي السميع لأقوال عباده العليم بكل شيء فلم عدلتم عنه الى عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئا ولا يملك ضرا ولا نفعا لغيره ولا لنفسه ثم قال(قل ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) اى لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة الى مقام الالهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الانبياء

قد خلت ﴾ مضت ﴿ من قبله الرسل ﴾ أي ليس هو باله، كالرسل الذين مضوا لم يكونوا آلهة ﴿ وأمه صديقة ﴾ أي كثيرة الصدق ، وقيل سميت صديقة لأنها صدقت بآيات الله كما قال عز وجل في وصفها (وصدقت بكلمات ربها) ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ أي كانا يعيشان بالطعام والغذاء كسائر الآدميين فكيف يكون إلها من لا يقيمه إلا أكل الطعام ، وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك أن من أكل أو شرب لابد له من البول والغائط ومن هذه صفته كيف يكون إلها ، ثم قال ﴿ انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ﴾ أي يصرفون عن الحق ﴿ قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم * قل ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ﴾ أي

فجعلتموه الها من دون الله وماذاك الا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديما (وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) اى وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال الى طريق الغواية والضلال وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا احمد بن عبدالرحمن حدثنا عبد الله بن ابي جعفر عن ابيه عن الربيع بن انس قال وقد كان قائم قام عليهم فأخذ بالكتاب والسنة زمانا فأتاه الشيطان فقال انما تركب اثراً أو أمراً قد عمل قبلك فلا تحمد عليه ولكن ابتدع أمراً من قبل نفسك وادع اليه وأجبر الناس عليه ففعل ثم اذكر بعد فعله زمانا فأراد أن يتوب منه فخلع سلطانه وملكه واراد ان يتعبد فلبث في عبادته اياما فأتي فقيل له لو انك تبت من خطيئة عملتها فيما بينك وبين ربك عسى ان يتاب عليك ولكن ضل فلان وفلان وفلان في سببك حتى فارقوا الدنيا وهم على الضلالة فكيف لك بهداهم فلا توبة لك ابدا ففيه سمعنا وفي اشباهه هذه الآية (ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل

لُعن الذين كفروا من بني اسرٰءيل علىٰ لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٧٨) كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون (٧٩) ترىٰ كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خٰلدون (٨٠) ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولٰكن كثيراً منهم فٰسقون (٨١)

يخبر تعالى انه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على داود نبيه عليه السلام وعلى لسان عيسى بن مريم بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه قال العوفي عن ابن عباس لعنوا في التوراة والانجيل وفي الزبور وفي الفرقان ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم فقال تعالى

لا تتجاوزوا الحد والغلو والتقصير كل واحد منهما مذموم في الدين ، وقوله (غير الحق)اي في دينكم المخالف للحق ، وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا فيه بالاصرار عليه ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم﴾ والاهواء جمع الهوى وهو ماتدعو اليه شهوة النفس ﴿ قد ضلوا من قبل ﴾ يعني رؤساء الضلالة من فريقي اليهود والنصارى والخطاب للذين كانوا في عصر النبي ﷺ نهوا عن اتباع أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم ﴿ وأضلوا كثيرا ﴾ يعني من اتبعهم على أهوائهم ﴿ وضلوا عن سواء السبيل ﴾ عن قصد الطريق أي بالاضلال فالضلال الاول من الضلالة ، والثاني باضلال من اتبعهم ﴿ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود ﴾ يعني أهل إيلة لما اعتدوا في السبت . وقال داود عليه

(كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) أي كان لاينهى أحد منهم أحداً عن ارتكاب المآثم والمحارم ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يركب مثل الذي ارتكبوه فقال لبئس ما كانوا يفعلون وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا يزيد حدثنا شريك بن عبدالله عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم قال يزيد وأحسبه قال في أسواقهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) وكان رسول الله ﷺ متكئا فجلس فقال « لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق اطرا » وقال أبو داود حدثنا عبدالله ابن محمد النفلي حدثنا يونس بن راشد عن علي بن بذيمة عن ابي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « ان أول مادخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول ياهذا اتق الله ودع ماتصنع فانه لايحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) الى قوله (فاسقون) ثم قال « كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق اطراً أو تقصرنه على الحق قصرا »

وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من طريق علي بن بذيمة به وقال الترمذي حسن غريب ثم رواه هو وابن ماجه عن بندار عن ابن مهدي عن سفيان عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة مرسلا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج وهارون بن إسحق الهمداني قالا حدثنا عبدالرحمن بن محمد المحاربي عن العلاء ابن المسيب عن عبـد الله بن عمر وابن مرة عن سالم الافطس عن بن أبي عبيدة عن عبـد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « ان الرجل من بني إسرائيل كان اذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعذيرا فاذا كان من الغد لم يمنعه مارأى منه أن يكون أكيله وخليطه وشريكه » وفي حديث هرون « وشريبه » ثم اتفقا في المتن فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ثم قال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذ على يد المسيء ولتأطرنه على الحق اطرا . أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم » والسياق لأبي سعيد كذا قال في رواية هذا الحديث وقد رواه أبو داود أيضا عن خلف بن هشام عن أبي شهاب الخياط عن العلاء

السلام : اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة وخنازير « وعيسى ابن مريم » أي على لسان عيسى عليه السلام يعني كفار أصحاب المائدة لما لم يؤمنوا . قال عيسى : اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا خنازير « ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه » أي لاينهى بعضهم بعضاً « لبئس ما كانوا يفعلون »

ابن المسيب عن ابن مرة عن سالم وهو ابن عجلان الافطس عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن النبي ﷺ بنحوه ثم قال أبو داود كذا رواه خالد عن العلاء عن عمرو بن مرة به ورواه المحاربي عن العلاء بن المسيب عن عبد الله بن عمرو بن مرة عن سالم الافطس عن أبي عبيدة عن عبد الله قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي وقد رواه خالد بن عبد الله الواسطي عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى والاحاديث في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدا ولنذكر منها ما يناسب هذا المقام قد تقدم حديث جابر عند قوله (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار) وسيأتي عند قوله (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم)حديث أبي بكر الصديق وأبي ثعلبة الخشني فقال الامام أحمد حدثنا سليمان الهاشمي أنبأنا اسمعيل بن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن عبدالله بن عبد الرحمن الاشهلي عن حذيفة بن اليمان ان النبي ﷺ قال « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم » ورواه الترمذي عن علي ابن حجر عن اسمعيل بن جعفر به وقال هذا حديث حسن وقال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام عن هشام بن سعد عن عمرو بن عثمان عن عاصم بن عمر بن عثمان عن عروة عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول « مروا بالمعروف وانهو عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم » تفرد به وعاصم هذا مجهول وفي الصحيح من طريق الاعمش عن اسمعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد وعن قيس ابن مسلم عن طارق بن شهاب عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان» رواه مسلم وقال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا سيف هو ابن أبي سليمان سمعت عدي بن عدي الكندي يحدث عن مجاهد قال حدثني مولى لنا انه سمع جدي يعني عدي بن عميرة رضي الله عنه يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله لايعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه فاذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة » ثم رواه أحمد عن أحمد بن الحجاج عن عبد الله بن المبارك عن سيف بن أبي سليمان عن عيسى بن عدي الكندي حدثني مولى لنا انه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره هكذا رواه الامام أحمد من هذين

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو الحسن محمد بن الحسين أنا احمد بن محمد بن اسحاق أنا أبو يعلى الموصلي أنا وهب بن بقية أنا خالد يعني ابن عبدالله الواسطي عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل اذا عمل العامل منهم الخطيئة نهاه الناهي تعزيراً ، فاذا كان من الغد جالسه

الوجهين قال أبو داود حدثنا أبو العلاء حدثنا أبو بكر حدثنا المغيرة بن زياد المصلي عن عدي بن عدي عن العرس يعني ابن عميرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا عملت الخطيئة في الارض كان من شهدها فكرهها» وقال مرة فأنكرها كان كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها تفرد به أبو داود ثم رواه عن أحمد بن يونس عن أبي شهاب عن مغيرة بن زياد عن عدي بن عدي مرسلا وقال أبو داود حدثنا سليمان بن حرب وحفص بن عمر قالا حدثنا شعبة وهذا لفظه عن عمرو بن مرة عن أبي البحتري قال أخبرني من سمع النبي ﷺ وقال سليمان حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال « لن يهلك الناس حتى يعذروا أو يعذروا من أنفسهم » وقال ابن ماجة حدثنا عمران ابن موسى حدثنا حماد بن زيد حدثنا علي ابن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قام خطيباً فكان فيما قال « ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول الحق اذا علمه» قال فبكى أبو سعيد وقال قد والله رأينا أشياء فهبناه وفي حديث اسرائيل عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب من هذا الوجه

وقال ابن ماجه حدثنا راشد بن سعيد الرملي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي امامة قال عرض لرسول الله ﷺ رجل عند الجمرة الأولى فقال يارسول الله اي الجهاد افضل فسكت عنه فلما رمى العقبة الثانية سأله فسكت عنه فلما رمي جمرة العقبة ووضع رجله في الغرز ليركب فقال أين السائل قال أنا يارسول الله قال « كلمة حق تقال عند ذي سلطان جائر» تفرد به وقال ابن ماجه حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الله بن نمير وأبو معاوية عن الاعمش عن عمرو ابن مرة عن أبي البحتري عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ « لايحقر أحدكم نفسه » قالوا يارسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه قال « يرى أمر الله فيه مقال ثم لايقول فيه فيقول الله يوم القيامة مامنعك أن تقول في كذا كذا وكذا فيقول خشية الناس فيقول فاياي كنت أحق أن تخشى » تفرد به وقال أيضا حدثنا علي بن محمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أبو طوالة حدثنا نهار العبدي انه سمع أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول مامنعك اذ رأيت المنكر أن تنكره فاذا لقن

وآكله وشاربه كأنه لم يره على الخطيئة بالامس « فلما رأى الله تبارك وتعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض وجعل منهم القردة والخنازير ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم

الله عبدا حجته قال يارب رجوتك وفرقت الناس » تفرد به أيضاً ابن ماجه واسناده لا بأس به
وقال الامام أحمد حدثنا عمرو بن عاصم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن جندب عن حذيفة عن النبي ﷺ قال « لاينبغي لمسلم ان يذل نفسه » قيل وكيف يذل نفسه قال يتعرض من البلاء لمالا يطيق وكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعا عن محمد بن يسار عن عمرو بن عاصم به وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب . وقال ابن ماجه حدثنا العباس بن الوليد الدمشقي حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي حدثنا الهيثم بن حميد حدثنا أبو معبد حفص بن غيلان الرعيني عن مكحول عن أنس بن مالك قال قيل يارسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال « اذا ظهر فيكم ماظهر في الامم قبلكم » قلنا يارسول الله وماظهر في الامم قبلنا قال « الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم في رذالكم » قال زيد تفسير معنى قول النبي ﷺ والعلم في رذالكم اذا كان العلم في الفساق تفرد به ابن ماجه وسيأتي في حديث أبي ثعلبة عند قوله (لايضركم من ضل اذا اهتديتم) شاهد لهذا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وقوله تعالى (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) قال مجاهد يعنى بذلك المنافقين وقوله (لبئس ما قدمت لهم انفسهم) يعني بذلك موالاتهم للكافرين وتركهم موالاة المؤمنين التي أعقبتهم نفاقا في قلوبهم وأسخطت الله عليهم سخطا مستمراً الى يوم معادهم ولهذا قال (ان سخط الله عليهم) وفسر بذلك ماذمهم به ثم أخبر عنهم انهم (في العذاب خالدون) يعنى يوم القيامة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا مسلم بن علي عن الاعمش باسناد ذكره قال « يامعشر المسلمين اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاثا في الدنيا وثلاثا في الآخرة فاما التي في الدنيا فانه يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما التي في الآخرة فانه يوجب سخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار » ثم تلا رسول الله ﷺ (لبئس ماقدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون) هكذا ذكره ابن أبي حاتم وقد رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عمار عن مسلم عن الاعمش عن شقيق عن حذيفة عن النبي ﷺ فذكره وساقه أيضا من طريق سعيد بن عفير عن مسلم عن أبي عبد الرحمن الكوفي عن الاعمش عن شقيق عن حذيفة عن النبي ﷺ فذكر مثله وهذا حديث ضعيف على كل حال والله أعلم وقوله تعالى (ولو كانو يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ماتخذوهم أولياء) أى لو آمنوا حق الايمان بالله والرسول والقرآن لما ارتكبوا

قوله تعالى ﴿ترى كثيراً منهم﴾ قيل من اليهود كعب بن الاشرف وأصحابه ﴿يتولون الذين كفروا﴾ مشركي مكة حين خرجوا اليهم يستجيشون على النبي ﷺ وقال ابن عباس ومجاهد والحسن منهم يعني من المنافقين يتولون اليهود ﴿لبئس ماقدمت لهم أنفسهم﴾ بئس ماقدموا من العمل لمعادهم في الآخرة ﴿أن سخط الله عليهم﴾ غضب الله عليهم ﴿ وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي ﴾ محمد ﷺ ﴿ وما أنزل اليه ﴾ يعني القرآن ﴿ ما اتخذوهم ﴾ يعني الكفار ﴿ أولياء ولكن كثيراً منهم

ما ارتكبوه من موالاة الكافرين في الباطن ومعاداة المؤمنين بالله والنبي وما أنزل اليه (ولكن كثيرا منهم فاسقون) أي خارجون عن طاعة الله ورسوله مخالفون لآيات وحيه وتنزيله

لتجدن أشد الناس عدوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصرى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون (٨٢) وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشهدين (٨٣) وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصلحين (٨٤) فأثبهم الله بما قالوا جنت تجري من تحتها الأنهر خلدين فيها وذلك جزاء المحسنين (٨٥) والذين كفروا وكذبوا بآيتنا أولئك أصحب الجحيم (٨٦)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة القرآن بكوا حتى أخضلوا لحاهم وهذا القول فيه نظر لأن هذه الآية مدنية وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة[1] وقال سعيد بن جبير والسدي وغيرهما نزلت في وفد بعثهم النجاشي الى النبي ﷺ ليسمعوا كلامه ويروا صفاته فلما رأوه وقرأ عليهم القرآن أسلموا وبكوا وخشعوا ثم رجعوا الى النجاشي فاخبروه قال السدي فهاجر النجاشي فمات بالطريق وهذا من افراد السدي فان النجاشي مات وهو ملك الحبشة وصلى عليه النبي ﷺ يوم مات واخبر به أصحابه واخبر انه مات بارض الحبشة . ثم اختلف في عدة هذا الوفد فقيل اثنا عشر سبعة قساقسة وخمسة رهابين وقيل بالعكس وقيل خمسون وقيل بضع وستون وقيل سبعون رجلا فالله أعلم وقال عطاء بن أبي رباح هم قوم من أهل الحبشة أسلموا حين قدم عليهم مهاجرة الحبشة من المسلمين وقال قتادة هم قوم كانو على دين عيسى بن مريم فلما رأوا المسلمين وسمعوا القرآن أسلموا ولم يتلعثموا واختار ابن جرير أن هذه الآيات نزلت في صفة أقوام بهذه المثابة سواء كانوا من الحبشة أو غيرها

فقوله تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) وماذاك الا لأن كفر اليهود كفر عناد وجحود ومباهتة للحق وغمط للناس وتنقص بحملة العلم ولهذا قتلوا كثيرا من الانبياء حتى هموا بقتل رسول الله ﷺ غير مرة وسموه وسحروه وألبوا عليه أشباههم من المشركين عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة قال الحافظ أبو بكر بن مردويه عند تفسير هذه الآية حدثنا أحمد

[1] «١» تأخر نزول الآية لا ينافي صدقها عليهم ووصفها لحالهم وحال امثالهم على انه روي انها نزلت في وصف من هاجر منهم من الحبشة الى المدينة مع جعفر ابن عم الرسول «ص»

فاسقون﴾ أي خارجون من أمر الله سبحانه وتعالى

قوله عز وجل ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ يعني مشركي

ابن محمد بن السري حدثنا محمد بن علي بن حبيب الرقي حدثنا علي بن سعيد العلاف حدثنا أبو النضر عن الاشجعي عن سفيان عن يحيي بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ماخلا يهودي بمسلم قط الا هم بقتله » ثم رواه عن محمد بن أحمد بن إسحاق العسكري حدثنا أحمد بن سهل بن أيوب الاهوازي حدثنا فرج بن عبيد حدثنا عباد بن العوام عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «ماخلا يهودي بمسلم الا حدث نفسه بقتله» وهذا حديث غريب جدا

وقوله تعالى (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) أي الذين زعموا أنهم نصارى من اتباع المسيح وعلى منهاج انجيله فيهم مودة للاسلام وأهله في الجملة وما ذاك الا لما في قلوبهم اذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة كما قال تعالى (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية)

العرب﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ لم يرد به جميع النصارى لانهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم لا ولا كرامة لهم، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه. وقيل نزلت في جميع اليهود وجميع النصارى لأن اليهود أقسى قلبا والنصارى ألين قلبا منهم وكانوا أقل مظاهرة للمشركين من اليهود قال أهل التفسير ائتمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء ومنع الله تعالى رسوله بعمه أبي طالب فلما رأى رسول الله ﷺ ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج الى أرض الحبشة وقال «إن بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا» وأراد به النجاشي واسمه أصحمة وهو بالحبشة عطية وانما النجاشي اسم الملك كقولهم قيصر وكسرى فخرج اليها سرا أحد عشر رجلا وأربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الاسد وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي خيثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء رضي الله عنهم فخرجوا الى البحر وأخذوا سفينة الى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله ﷺ وهذه الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون اليها وكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بالهدايا الى النجاشي وبطارقته ليردوهم اليهم فعصمه الله ، ذكرت القصة في سورة آل عمران في قوله تعالى (ان أولى الناس بابراهيم) الى آخر الآية فلما انصرفا خائبين أقام المسلمون هناك بخير دار وأحسن جوار الى أن هاجر رسول الله ﷺ وعلا أمره وذلك في سنة ست من الهجرة كتب رسول الله

وفي كتابهم: من ضربك على خدك الايمن فادر له خدك الايسر. وليس القتال مشروعا في ملتهم ولهذا قال تعالى (ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لايستكبرون) أي يوجد فيهم القسيسون وهم خطباؤهم

ﷺ الى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قد هاجرت اليه مع زوجها فمات زوجها ويبعث اليه من عنده من المسلمين فأرسل النجاشي الى أم حبيبة جارية يقال لها أبرهة تخبرها بخطبة رسول الله ﷺ إياها فاعطتها أوضاحا[1] لها سرورا بذلك فأذنت خالد بن سعيد بن العاص حتى أنكحها على صداق أربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله ﷺ النجاشي رحمه الله فانفذ اليها النجاشي أربعمائة دينار على يد أبرهة فلما جاءتها بها أعطتها خمسين دينارا فردته وقالت أمرني الملك أن لا آخذ منك شيئا وقالت أنا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت محمدا ﷺ رسول الله وآمنت به وحاجتي منك أن تقرئيه مني السلام قالت نعم قالت أبرهة وقد أمر الملك نساءه إن يبعثن اليك بما عندهم من عود وعنبر فكان رسول الله ﷺ يراه عندها فلا ينكر قالت أم حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر فخرج من خرج اليه وأقمت بالمدينة حتى قدم النبي ﷺ فدخلت عليه وكان يسألني عن النجاشي فقرأت عليه من أبرهة السلام فرد رسول الله ﷺ وأنزل الله عز وجل (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) يعني أبا سفيان مودة يعني بتزويج أم حبيبة ولما جاء أبا سفيان تزويج أم حبيبة قال ذلك الفحل لا يجدع أنفه وبعث النجاشي بعد قدوم جعفر الى رسول الله ﷺ ابنه أرهى بن أصحمة بن أبجر في ستين رجلا من الحبشة وكتب اليه يارسول الله أشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني أرهى وأنت ان شئت أن آتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يارسول الله، فركبوا سفينة في أثر جعفر وأصحابه حتى إذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر وأصحابه رسول الله ﷺ في سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا أصحاب الصوامع وقال مقاتل والكلبي كانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وقال عطاء كانوا ثمانين رجلا اربعون من أهل نجران من بني الحارث ابن كعب واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من أهل الشام وقال قتادة نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث الله محمدا ﷺ صدقوه وآمنوا به فأثنى الله عز وجل بذلك عليهم ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ﴾ أي علماء. قال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم ﴿ ورهبانا ﴾ الرهبان العباد أصحاب الصوامع وأحدهم راهب مثل

«١» الاوضاح جمع وضح وهو حلى من الفضة والخلخال

وعلماؤهم واحدهم قسيس وقس أيضا وقد يجمع على قسوس والرهبان جمع راهب وهو العابد مشتق من الرهبة وهي الخوف كراكب وركبان وفارس وفرسان قال ابن جرير وقد يكون الرهبان واحدا وجمعه رهابين مثل قربان وقرابين وجرذان وجراذين وقد يجمع على رهابنة ومن الدليل على انه يكون عند العرب واحدا قول الشاعر

لو عاينت رهبان دير في القلل لانحدر الرهبان يمشي ونزل

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا بشر بن آدم حدثنا نصير بن أبي الاشعث حدثني الصلت الدهان عن جاثمة بن رئاب قال سألت سلمان عن قول الله تعالى (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) فقال دع القسيسين في البيع والخرب أقرأني رسول الله ﷺ « ذلك بان منهم صديقين ورهبانا » وكذا رواه ابن مردويه من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني عن نضير بن زياد الطائي عن صلت الدهان عن جاثمة بن رئاب عن سلمان به، وقال ابن أبي حاتم ذكره ابي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني حدثنا نضير بن زياد الطائي حدثنا صلت الدهان عن جاثمة بن رئاب قال سمعت سلمان وسئل عن قوله (ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا) فقال هم الرهبان الذين هم في الصوامع والخرب فدعوهم فيها قال سلمان وقرأت على النبي ﷺ (ذلك بأن منهم قسيسين) فاقرأني « ذلك بان منهم صديقين ورهبانا » فقوله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون) تضمن وصفهم بان فيهم العلم والعبادة والتواضع ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والانصاف فقال (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) أي مما عندهم من البشارة ببعثة محمد ﷺ يقولون (ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) أي مع من يشهد بصحة هذا ويؤمن به وقد روى النسائي عن عمرو ابن علي القلاس عن عمر بن علي بن مقدم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال نزلت هذه الآية في النجاشي وفي أصحابه (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (فاكتبنا مع الشاهدين) أي مع محمد ﷺ وأمته هم الشاهدون يشهدون لنبيهم ﷺ انه قد بلغ وللرسل أنهم قد بلغوا ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وقال الطبراني حدثنا أبو شبيل عبد الله بن عبد الرحمن بن واقد

فارس وفرسان وراكب وركبان وقد يكون واحدا وجمعه رهابين مثل قربان وقرابين ﴿ وأنهم لا يستكبرون ﴾ لا يتعظمون عن الايمان والاذعان للحق ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ﴾ محمد ﷺ ﴿ ترى أعينهم تفيض ﴾ تسيل ﴿ من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء يريد النجاشي وأصحابه قرأ عليهم جعفر بالحبشة كهيعص فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة ﴿ يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ يعني أمة محمد ﷺ دليله قوله تعالى لتكونوا شهداء

حدثنا أبي حدثنا العباس بن الفضل عن عبد الجبار بن نافع الضبي عن قتادة وجعفر بن أياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله تعالى (واذا سمعوا ماأنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع) قال انهم كانوا كرابين يعنى فلاحين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة فلما قرأ رسول الله ﷺ عليهم القرآن آمنوا وفاضت أعينهم فقال رسول الله ﷺ « لعلكم اذا رجعتم الى أرضكم انتقلتم الى دينكم » فقالوا لن ننتقل عن ديننا فأنزل الله ذلك من قولهم (ومالنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) وهذا الصنف من النصارى هم المذكورون في قوله تعالى (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله) الآية وهم الذين قال الله فيهم (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) الى قوله (لانبتغي الجاهلين)[1] ولهذا قال تعالى ههنا (فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار) أى فجازاهم على ايمانهم وتصديقهم واعترافهم بالحق (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) أى ماكثين فيها أبدا لايحولون ولا يزولون (وذلك جزاء المحسنين) أى في اتباعهم الحق وانقيادهم له حيث كان واين كان ومع من كان، ثم أخبر عن حال الاشقياء فقال (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أى جحدوا بها وخالفوها (أولئك أصحاب الجحيم) أى هم أهلها والداخلون فيها

[1] « ١ » في النسخة الازهرية ذكر الآيات بنصها الى هنا

يأيها الذين آمنو لا تحرموا طيبت ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين (٨٧) وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون (٨٨)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب النبي ﷺ قالوا نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسيح في الارض كما يفعل الرهبان فبلغ ذلك النبي ﷺ فارسل اليهم فذكر لهم ذلك فقالوا نعم فقال النبي ﷺ « لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنكح النساء فمن أخذ بسنتي فهو مني ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني » رواه ابن أبي حاتم، وروى ابن مردويه

على الناس ﴿ وما لنا لا نؤمن بالله وماجاءنا من الحق ﴾ وذلك أن اليهود عيروهم وقالوا لهم لم آمنتم فأجابوهم بهذا ﴿ ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ أي في أمة محمد ﷺ بيانه أن الارض يرثها عبادي الصالحون ﴿ فأثابهم الله ﴾ أعطاهم الله ﴿ بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ وإنما أنجز قولهم وعلق الثواب بالقول لاقترانه بالاخلاص بدليل قوله ﴿ وذلك جزاء المحسنين ﴾ يعني الموحدين المؤمنين وقوله من قبل (ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) يدل أن الاخلاص والمعرفة بالقلب يكون ايمانا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم)

قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾ الآية قال أهل التفسير ذكر

من طريق العوفي عن ابن عباس نحو ذلك ، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر فقال بعضهم لا آكل اللحم، وقال بعضهم لا أتزوج النساء، وقال بعضهم لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال «مابال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا لكني أصوم وأفطر وأنام وأقوم وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الانصاري حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد عن عثمان يعني ابو سعد أخبرني عكرمة عن ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إني اذا أكلت من هذا اللحم انتشرت الى النساء واني حرمت علي اللحم فنزلت (يأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم) وكذا رواه الترمذي وابن جرير جميعا عن عمرو بن علي القلاس عن أبي عاصم النبيل به وقال حسن غريب وقد روي من وجه آخر مرسلا وروي موقوفا على ابن عباس فالله أعلم، وقال سفيان الثوري ووكيع عن اسمعيل ابن أبي خالد عن قيس بن ابي حازم عن عبد الله بن مسعود قال كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا نساء فقلنا الا نستخصي فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ورخص لنا ان تنكح المرأة بالثوب الى أجل ثم قرأ عبد الله (يأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم الآية) أخرجاه من حديث اسمعيل وهذا كان قبل تحريم نكاح المتعة والله أعلم . وقال الاعمش عن ابراهيم عن همام بن الحارث عن عمرو بن شرحبيل قال جاء معقل بن مقرن الى عبد الله بن مسعود فقال اني حرمت فراشي فتلا هذه الآية (يأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم) الآية وقال الثوري عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق قال كنا عند عبد الله بن مسعود فجيء بضرع فتنحى رجل فقال له عبدالله ادن فقال اني حرمت ان آكله فقال عبد الله ادن فاطعم وكفر عن يمينك

النبي ﷺ الناس يوما ووصف القيامة فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من أصحابه في بيت عثمان ابن مظعون الجمحي وهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر وأبوذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن رضي الله عنهم وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويسيحوا في الارض فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته أم حكيم بنت أبي أمية واسمها الخولاء وكانت عطارة « أحق مابلغني عن زوجك وأصحابه ؟ فكرهت أن تكذب رسول الله ﷺ وكرهت أن تبدي على[1] زوجها فقالت يارسول ان كان أخبرك عثمان فقد صدقك فانصرف رسول الله ﷺ فلما دخل عثمان اخبرته بذلك فأتى رسول الله ﷺ هو واصحابه فقال لهم رسول الله ﷺ ألم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا ؟ قالوا بلى يارسول الله وما اردنا الا الخير فقال ﷺ اني لم أومر

«١» في الخازن سر زوجها

وتلا هذه الآية (ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم) الآية رواهن ابن أبي حاتم وروى الحاكم هذا الاثر الاخير في مستدركه من طريق اسحاق بن راهويه عن جرير عن منصور به ثم قال على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا ابن وهب أخبرني هشام بن سعد أن زيد بن أسلم حدثه أن عبد الله بن رواحة أضافه ضيف من أهله وهو عند النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى أهله فوجدهم لم يطعموا ضيفهم انتظارا له فقال لامرأته حبست ضيفي من أجلي هو علي حرام فقالت امرأته هو علي حرام وقال الضيف هو علي حرام فلما رأى ذلك وضع يده وقال كلوا بسم الله ثم ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الذي كان منهم ثم انزل الله (ياأيها الذين امنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم) وهذا أثر منقطع

وفي صحيح البخاري في قصة الصديق مع أضيافه شبيه بهذا وفيه وفي هذه القصة دلالة لمن ذهب من العلماء كالشافعي وغيره إلى أن من حرم مأكلا أو ملبساً أو شيئاً ماعدا النساء انه لايحرم عليه ولا كفارة عليه أيضا ولقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ولأن الذي حرم اللحم على نفسه كما في الحديث المتقدم لم يأمره النبي ﷺ بكفارة وذهب آخرون منهم الامام احمد بن حنبل الى أن من حرم مأكلا أو مشربا أوملبسا أوشيئا من الاشياء فانه يجب عليه بذلك كفارة يمين كما اذا التزم تركه باليمين فكذلك يؤاخذ بمجرد تحريمه على نفسه الزاما له بما التزمه كما أفتى بذلك ابن عباس وكما في قوله تعالى (ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم) ثم قال (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) الآية وكذلك هاهنا لما ذكر هذا الحكم عقبه بالآية المبينة لتكفير اليمين فدل على أن هذا منزل منزلة اليمين في اقتضاء التكفير والله أعلم، وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو أن يتبتلوا ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح فنزلت هذه الآية إلى قوله (واتقوا الله الذي أنتم

بذلك ثم قال « ان لانفسكم عليكم حقاً فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » ثم جمع الناس وخطبهم فقال « ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات النساء؟ أما اني لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع « وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان، واستقيموا يستقم لكم، فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع » فأنزل الله عز وجل هذه الآية . أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن احمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود أنا ابراهيم بن عبدالله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن رشد بن سعد حدثني أبو نعيم عن سعد بن

به مؤمنون) قال ابن جريج عن عكرمة أن عثمان بن مظعون وعلي بن أبي طالب وابن مسعود والمقداد ابن الاسود وسالما مولى أبي حذيفة في أصحابه تبتلوا فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح وحرموا طيبات الطعام واللباس إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني اسرائيل وهموا بالاخصاء وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين) يقول لاتسيروا بغير سنة المسلمين يريد ماحرموا من النساء والطعام واللباس وما أجمعوا له من قيام الليل وصيام النهار وما هموا به من الاخصاء، فلما نزلت فيهم بعث اليهم رسول الله ﷺ فقال «إن لأنفسكم حقا وان لأعينكم حقا صوموا وأفطروا وصلوا وناموا فليس منا من ترك سنتنا » فقالوا اللهم سلمنا واتبعنا ما أنزلت، وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين مرسلة ولها شاهد في الصحيحين من رواية عائشة أم المؤمنين كما تقدم ذلك ولله الحمد والمنة وقال اسباط عن السدي في قوله (ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين) وذلك أن رسول الله ﷺ « جلس يوما فذكر الناس ثم قام ولم يزدهم على التخويف » فقال ناس من أصحاب النبي ﷺ كانوا عشرة منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون ماحقنا إن لم نحدث عملا فان النصارى قد حرموا على أنفسهم فنحن نحرم، فحرم بعضهم أن يأكل اللحم والودك وأن يأكل بالنهار وحرم بعضهم النوم وحرم بعضهم النساء فكان عثمان بن مظعون ممن حرم النساء فكان لايدنو من أهله ولايدنو منه فأتت امرأته عائشة رضي الله عنها وكان يقال لها الحولاء فقالت لها عائشة ومن عندها من أزواج النبي ﷺ مابالك ياحولاء متغيرة اللون لاتمتشطين ولاتتطيبين فقالت وكيف أمتشط وأتطيب وماوقع علي زوجي ومارفع عني ثوبا منذ كذا وكذا قال فجعلن يضحكن من كلامها فدخل رسول الله ﷺ وهن يضحكن فقال « مايضحككن » قالت يارسول الله ان الحولاء سألتها عن أمرها فقالت مارفع عني زوجي ثوبا منذ كذا وكذا فأرسل اليه فدعاه فقال مالك ياعثمان قال إني تركته لله لكي أتخلى للعبادة وقص عليه أمره وكان عثمان قد أراد أن يجب نفسه فقال رسول الله ﷺ

مسعود أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أتى النبي ﷺ فقال ائذن لنا في الاختصاء فقال رسول الله ﷺ « ليس منا من خصى ولا من اختصى ان خصاء أمتي الصيام » فقال يارسول الله ائذن لنا في السياحة فقال « ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله » فقال يارسول الله ائذن لنا في الترهب فقال « إن ترهب أمتي الجلوس في المساجد وانتظار الصلاة » وروي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم ان رجلا قال يارسول الله اني أصبت من اللحم فانتشرت وأخذتني شهوة فحرمت اللحم فانزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم) يعني اللذات التي تشتهيها النفوس مما أحل الله لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة ﴿ولا تعتدوا﴾ ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل جب المذاكير ﴿إن الله لا يحب المعتدين * وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا﴾ قال عبد الله بن المبارك الحلال ما أخذته

«أقسمت عليك إلا رجعت فواقعت أهلك» فقال يارسول الله إني صائم فقال «أفطر» قال فأفطر وأتى أهله فرجعت الحولاء إلى عائشة وقد امتشطت واكتحلت وتطيبت فضحكت عائشة وقالت مالك ياحولاء فقالت انه أتاها أمس وقال رسول الله ﷺ «مابال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم ألا إني أنام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء فمن رغب عني فليس مني» فنزلت (ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا) يقول لعثمان لاتجب نفسك فان هذا هو الاعتداء وأمرهم أن يكفروا عن ايمانهم فقال (لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) رواه ابن جرير

وقوله تعالى (ولاتعتدوا) يحتمل أن يكون المراد منه ولا تبالغوا في التضييق على أنفسكم بتحريم المباحات عليكم كما قاله من قاله من السلف ويحتمل أن يكون المراد كما لاتحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال بل خذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم ولاتجاوزوا الحد فيه كما قال تعالى (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) الآية وقال (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه لا افراط ولا تفريط ولهذا قال (لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين) ثم قال (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) أي في حال كونه حلالا طيبا (واتقوا الله) أي في جميع أموركم واتبعوا طاعته ورضوانه واتركوا مخالفته وعصيانه (واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون)

لايؤاخذكم الله باللغو في أيمٰنكم ولكن يؤاخذكم بما عقّدتم الأيمٰن فكفّٰرته إطعام عشرة مسٰكين من أوسط ماتطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة. فمن لم يجد فصيام ثلٰثة أيام ذٰلك كفّٰرة أيمٰنكم إذا حلفتم واحفظوا أيمٰنكم كذٰلك يبين الله لكم آيٰته لعلكم تشكرون (٨٩)

قد تقدم الكلام على اللغو في اليمين في سورة البقرة بما اغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والمنة

من وجه والطيب ما غذى وأنمى. فاما الجوامد كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه الا على وجه التداوى ﴿واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون﴾ اخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي انا أبو سعيد الهيثم بن كليب أنا ابو عيسى الترمذي أخبرنا أحمد ابن ابراهيم الدورقي وسلمة بن شبيب ومحمود بن غيلان قالوا أخبرنا أبو اسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يحب الحلواء والعسل

قوله عز وجل ﴿لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت (لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم) قالوا يارسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها وكانوا

وانه قول الرجل في الكلام من غير قصد : لا والله ، بلى والله . وهذا مذهب الشافعي وقيل هو في الهزل وقيل في المعصية وقيل على غلبة الظن وهو قول أبي حنيفة وأحمد وقيل اليمين في الغضب وقيل في النسيان وقيل هو الحلف على ترك المأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك واستدلوا بقوله (لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم) والصحيح انه اليمين من غير قصد بدليل قوله (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) أي بما صممتم عليه منها وقصدتموها (فكفارته اطعام عشرة مساكين) يعني محاويج من الفقراء ومن لايجد مايكفيه وقوله (من أوسط ماتطعمون أهليكم) قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة أي من أعدل ماتطعمون أهليكم وقال عطاء الخراساني من أمثل ماتطعمون أهليكم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد الاحمر عن حجاج عن أبي اسحاق السبيعي عن الحارث عن علي قال خبز ولبن وخبز وسمن، وقال ابن أبي حاتم أنبأنا يونس بن عبد الاعلى قراءة حدثنا سفيان بن عيينة عن سليمان يعني ابن ابي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان الرجل يقوت بعض اهله قوت دون وبعضهم قوتا فيه سعة فقال الله تعالى (من اوسط ماتطعمون اهليكم) من الخبز والزيت، وحدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن جابر عن عامر عن ابن عباس (من اوسط ماتطعمون اهليكم) قال من عسرهم ويسرهم وحدثنا

حلفوا على ماا تفقوا عليه فأنزل الله (لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عقدتم بالتخفيف ، وقرأ ابن عامر عاقدتم بالالف ، وقرأ الآخرون عقدتم بالتشديد أي وكدتم والمراد من الآية قصدتم وتعمدتم ﴿ فكفارته ﴾ أي كفارة ماعقدتم الايمان اذا حنثتم ﴿ اطعام عشرة مساكين ﴾ واختلفوا في قدره فذهب قوم إلى أنه يطعم كل مسكين مداً من الطعام بمد النبي ﷺ وهو رطل وثلث من غالب قوت البلد ، وكذلك في جميع الكفارات وهو قول زيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر ، وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم وسليمان ابن يسار وعطاء والحسن . وقال أهل العراق لكل مسكين مدان وهو نصف صاع . يروى ذلك عن عمر وعلي رضي الله عنهما . وقال أبو حنيفة رضي الله عنه : إن أطعم من الحنطة فنصف صاع ، وإن أطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والحكم، ولو غداهم وعشاهم لايجوز ، وجوزه أبو حنيفة رضي الله عنه ، ويروي ذلك عن علي رضي الله عنه ، ولا تجوز الدراهم والدنانير ولا الخبز ولا الدقيق ، بل يجب إخراج الحب اليهم ، وجوز أبو حنيفة رضي الله عنه كل ذلك ، ولو صرف الكل إلى مسكين واحد لايجوز ، وجوز أبو حنيفة أن يصرف طعام عشرة إلى مسكين واحد في عشرة أيام ولا يجوز أن يصرف إلا إلى مسلم حر محتاج ، فان صرف إلى ذمي أو عبد أو غني لايجوز ، وجوز أبو حنيفة رضي الله عنه صرفها إلى أهل الذمة واتفقوا على أن صرف الزكاة إلى أهل الذمة لايجوز . قوله تعالى ﴿ من أوسط ماتطعمون أهليكم ﴾ أي من خير قوت عيالكم وقال عبيدة السلماني الاوسط الخبز والخل، والاعلى الخبز واللحم، والادنى الخبز البحت والكل مجزىء

عبد الرحمن بن خلف الحمصي حدثنا محمد بن شعيب يعني ابن شابور حدثنا شيبان بن عبد الرحمن التميمي عن ليث بن ابي سليم عن عاصم الاحول عن رجل يقال له عبد الرحمن التميمي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال (من اوسط ماتطعمون اهليكم) قال الخبز واللحم والخبز والسمن والخبز واللبن والخبز والزيت والخبز والخل وحدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا ابو معاوية عن عاصم عن ابن سيرين عن ابن عمر في قوله (من اوسط ماتطعمون اهليكم) قال الخبز والسمن والخبز واللبن والخبز والزيت والخبز والتمر ومن افضل ماتطعمون اهليكم الخبز واللحم ورواه ابن جرير عن هناد وابن وكيع كلاهما عن ابى معاوية ثم روى ابن جرير عن عبيدة والاسود وشريح القاضي ومحمد بن سيرين والحسن والضحاك وابى رزين أنهم قالوا نحو ذلك وحكاه ابن ابى حاتم عن مكحول ايضا

واختار ابن جرير أن المراد بقوله (من أوسط ماتطعمون أهليكم) أي في القلة والكثرة ثم اختلف العلماء في مقدار مايطعمهم فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد حدثنا أبو خالد الاحمر عن حجاج عن حصين الحارثي عن الحارث عن علي رضي الله عنه في قوله (من اوسط ماتطعمون اهليكم) قال يغديهم ويعشيهم وقال الحسن ومحمد بن سيرين يكفيه ان يطعم عشرة مساكين اكلة واحدة خبزاً ولحما زاد الحسن فان لم يجد فخبزا وسمنا ولبنا فان لم يجد فخبزا وزيتا وخلا حتى يشبعوا

وقال آخرون يطعم كل واحد من العشرة نصف صاع من بر او تمر ونحوهما فهذا قول عمر وعلي وعائشة ومجاهد والشعبي وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي وميمون بن مهران وابى مالك والضحاك والحكم ومكحول وابى قلابة ومقاتل بن حيان، وقال ابو حنيفة نصف صاع بر وصاع مما عداه وقد قال ابو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن احمد بن الحسن الثقفي حدثنا عبيد بن الحسن بن يوسف حدثنا محمد بن معاوية حدثنا زياد بن عبد الله بن الطفيل بن سخبرة بن أخي عائشة لامه حدثنا عمر بن يعلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كفر رسول الله ﷺ بصاع من تمر وأمر الناس به ومن لم يجد فنصف صاع من بر، ورواه ابن ماجة عن العباس بن يزيد عن زياد بن عبد الله البكائي عن عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفي عن المنهال بن عمرو به. لا يصح هذا الحديث لحال عمر بن عبد الله هذا فانه مجمع على ضعفه وذكروا أنه كان يشرب الخمر وقال الدارقطني متروك، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن ادريس عن داود يعني بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال مداً من بر يعني لكل مسكين ومعه ادامه ثم قال وروي عن ابن عمر وزيد بن ثابت وسعيد

قوله تعالى ﴿ أو كسوتهم ﴾ كل من لزمته كفارة اليمين فهو فيها مخير إن شاء أطعم عشرة من المساكين وإن شاء كساهم، وإن شاء أعتق رقبة، فان اختار الكسوة فاختلفوا في قدرها فذهب قوم إلى أنه يكسو كل مسكين ثوبا واحداً مما يقع عليه اسم الكسوة إزار أو رداء، أو قميص، أو عمامة، أو كساء، أو نحوها وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس، واليه ذهب الشافعي رحمه

ابن المسيب ومجاهد وعطاء وعكرمة وأبى الشعثاء والقاسم وسالم وأبي سلمة بن عبد الرحمن وسليمان ابن يسار والحسن ومحمد بن سيرين والزهري نحو ذلك

وقال الشافعي الواجب في كفارة اليمين مد بمد النبي ﷺ لكل مسكين ولم يتعرض للادم واحتج بامر النبي ﷺ للذي جامع في رمضان بان يطعم ستين مسكينا من مكتل يسع خمسة عشر صاعا لكل واحد منهم مد وقد ورد حديث آخر صريح فى ذلك فقال أبو بكر بن مردويه حدثنا احمد بن علي بن المقري حدثنا محمد بن اسحق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا النضر بن زرارة الكوفي عن عبد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يقيم كفارة اليمين مداً من حنطة بالمد الاول اسناده ضعيف لحال النضر بن زرارة بن عبد الاكرم الذهلي الكوفي نزيل بلخ قال فيه أبو حاتم الرازي هو مجهول مع أنه قد روى عنه غير واحد وذكره ابن حبان في الثقات وقال روى عنه قتيبة بن سعيد أشياء مستقيمة فالله أعلم إن شيخه العمري ضعيف أيضا وقال أحمد بن حنبل الواجب مد من بر أو مدان من غيره والله أعلم

وقوله تعالى (أو كسوتهم) قال الشافعي رحمه الله لو دفع إلى كل واحد من العشرة مايصدق عليه اسم الكسوة من قميص أو سراويل أو إزار أو عمامة أو مقنعة أجزأه ذلك واختلف أصحابه في القلنسوة هل تجزىء أم لا على وجهين فمنهم من ذهب إلى الجواز احتجاجا بما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج وعمار بن خالد الواسطي قالا حدثنا القاسم بن مالك عن محمد بن الزبير عن أبيه قال سألت عمران بن الحصين عن قوله (أو كسوتهم) قال لو أن وفداً قدموا على أميركم فكساهم قلنسوة قلنسوة قلتم قد كسوا ولكن هذا اسناد ضعيف لحال محمد بن الزبير هذا والله أعلم وهكذا حكى الشيخ أبو حامد الاسفرايني في الخف وجهين أيضا والصحيح عدم الاجزاء وقال مالك واحمد بن حنبل لابد أن يدفع إلى كل واحد منهم من الكسوة مايصح أن يصلي فيه إن كان رجلا أو امرأة كل بحسبه والله أعلم

وقال العوفي عن ابن عباس عباءة لكل مسكين أو شملة وقال مجاهد أدناه ثوب وأعلاه ماشئت وقال ليث عن مجاهد يجزىء في كفارة اليمين كل شيء الا التبان . وقال الحسن وابو جعفر الباقر وعطاء وطاوس وابراهيم النخعي وحماد بن أبي سليمان وأبو مالك ثوب ثوب وعن ابراهيم النخعي أيضا ثوب جامع كالملحفة والرداء ولايرى الدرع والقميص والخمار ونحوه جامعا وقال الانصاري عن أشعث عن ابن سيرين والحسن ثوبان ثوبان وقال الثوري عن داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب عمامة يلف بها رأسه وعباءة يلتحف بها . وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا ابن المبارك عن عاصم الاحول عن ابن سيرين عن أبي موسى أنه حلف على يمين فكسا ثوبين من معقدة البحرين ، وقال ابن مردويه حدثنا سليمان بن احمد حدثنا

الله تعالى . وقال مالك : يجب لكل انسان ماتجوز فيه صلاته فيكسو الرجال ثوبا واحداً والنساء ثوبين : درعاً وخماراً . وقال سعيد بن المسيب : لكل مسكين ثوبان

أحمد بن المعلى حدثنا هشام بن عمار حدثنا اسماعيل بن عياش عن مقاتل بن سليمان عن أبي عثمان عن أبي عياض عن عائشة عن رسول الله ﷺ في قوله (أو كسوتهم) قال « عباءة لكل مسكين » حديث غريب

وقوله (أو تحرير رقبة) أخذ أبو حنيفة باطلاقها فقال تجزىء الكافرة كما تجزىء المؤمنة ، وقال الشافعي وآخرون لابد أن تكون مؤمنة، وأخذ تقييدها بالايمان من كفارة القتل لاتحاد الموجب وإن اختلف السبب ومن حديث معاوية بن الحكم السلمي الذي هو في موطأ مالك ومسند الشافعي وصحيح مسلم أنه ذكر أن عليه عتق رقبة وجاء معه بجارية سوداء فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « أين الله » قالت في السماء قال « من أنا » قالت رسول الله قال « اعتقها فانها مؤمنة » الحديث بطوله فهذه خصال ثلاث في كفارة اليمين أيها فعل الحانث أجزأ عنه بالاجماع، وقد بدأ بالاسهل فالاسهل فالاطعام أسهل وأيسر من الكسوة كما أن الكسوة أيسر من العتق فترقى فيها من الادنى إلى الاعلى فان لم يقدر المكلف على واحدة من هذه الخصال الثلاث كفر بصيام ثلاثة أيام ، كما قال تعالى (فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام) وروى ابن جرير عن سعيد بن جبير والحسن البصري أنهما قالا : من وجد ثلاثة دراهم لزمه الاطعام وإلا صام ، وقال ابن جرير حاكيا عن بعض متأخري متفقهة زمانه

قوله عز وجل ﴿ أو تحرير رقبة ﴾ واذا اختار العتق يجب اعتاق رقبة مؤمنة ، وكذلك جميع الكفارات مثل كفارة القتل والظهار والجماع في نهار رمضان يجب فيها اعتاق رقبة مؤمنة ، وأجاز أبو حنيفة رضي الله عنه والثوري رضي الله عنه اعتاق الرقبة الكافرة في جميعها إلا في كفارة القتل لان الله تعالى قيد الرقبة فيها بالايمان ، قلنا المطلق يحمل على المقيد كما أن الله تعالى قيد الشهادة بالعدالة في موضع فقال (وأشهدوا ذوي عدل منكم) وأطلق في موضع فقال (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) ثم العدالة شرط في جميعها حملا المطلق على المقيد كذلك هذا ولا يجوز اعتاق المرتد بالاتفاق عن الكفارة ويشترط أن يكون سليم الرق حتى لو أعتق عن كفارته مكاتباً ، أو أم ولد ، أو عبداً اشتري بشرط العتق ، أو اشترى قريبه الذي يعتق عليه بنية الكفارة يعتق ، ولكن لايجوز عن الكفارة ، وجوز أصحاب الرأي عتق المكاتب اذا لم يكن أدى شيئاً من النجوم وعتق القريب عن الكفارة ، ويشترط أن تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل ضرراً بيناً حتى لايجوز مقطوع إحدى اليدين ، أو إحدى الرجلين ، ولا الاعمى ، ولا الزمن ، ولا المجنون المطبق ، ويجوز الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لأن هذه العيوب لاتضر بالعمل ضرراً بيناً ، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه كل عيب يفوت جنساً من المنفعة يمنع الجواز حتى جوز مقطوع إحدى اليدين ولم يجوز مقطوع الاذنين .

قوله عز وجل ﴿ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ﴾ اذا عجز الذي لزمته كفارة اليمين عن الطعام والكسوة وتحرير الرقبة يجب عليه صوم ثلاثة أيام . والعجز أن لايفضل ما له عن قوته وقوت عياله وحاجته مايطعم أو يكسو أو يعتق فانه يصوم ثلاثة . وقال بعضهم : اذا ملك ما يمكنه الاطعام وإن

أنه جائز لمن لم يكن له فضل عن رأس مال يتصرف فيه لمعاشه ومن الفضل عن ذلك مايكفر به عن يمينه ، ثم اختار ابن جرير أنه الذي لايفضل عن قوته وقوت عياله في يومه ذلك مايخرج به كفارة اليمين ، واختلف العلماء هل يجب فيها التتابع أو يستحب ولا يجب ويجزىء التفريق ؟ قولان أحدهما لايجب وهذا منصوص الشافعي في كتاب الايمان وهو قول مالك لاطلاق قوله (فصيام ثلاثة أيام) وهو صادق على المجموعة والمفرقة كما في قضاء رمضان لقوله فعدة من أيام أخر

ونص الشافعي في موضع آخر في الأم على وجوب التتابع كما هو قول الحنفية والحنابلة لانه قد روى عن أبي بن كعب وغيره أنهم كانوا يقرؤنها (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) قال أبوجعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب أنه كان يقرؤها (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) وحكاها مجاهد والشعبي وأبو اسحق عن عبدالله بن مسعود وقال ابراهيم في قراءة أصحاب عبدالله بن مسعود (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) وقال الاعمش كان أصحاب ابن مسعود يقرؤنها كذلك وهذه إذا لم يثبت كونها قرآناً متواتراً فلا أقل أن يكون خبر واحد أو تفسيراً من الصحابة[1] وهو في حكم المرفوع وقال أبو بكر ابن مردويه حدثنا محمد بن علي حدثنا محمد بن جعفر الاشعري حدثنا الهيثم بن خالد القرشي حدثنا

[1] هذا هو الراجح المختار في هذه القراءة وأمثالها

لم يفضل عن كفايته فليس له الصيام وهو قول الحسن وسعيد بن جبير واختلفوا في وجوب التتابع في هذا الصوم فذهب جماعة إلى أنه لايجب فيه التتابع ، بل إن شاء تابع وإن شاء فرق ، والتتابع أفضل وهو أحد قولي الشافعي ، وذهب قوم إلى أنه يجب فيه التتابع قياساً على كفارة القتل والظهار وهو قول الثوري وأبي حنيفة ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فصيام ثلاثة أيام متتابعات ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك الذي ذكرت ﴿ كفارة أيمانكم اذا حلفتم ﴾ وحنثتم فان الكفارة لاتجب إلا بعد الحنث ، واختلفوا في تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم إلى جوازه لما روينا أن النبي ﷺ قال « من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير » وهو قول عمر وابن عباس وعائشة رضي الله عنها ، وبه قال الحسن وابن سيرين ، واليه ذهب مالك والاوزاعي والشافعي إلا أن الشافعي يقول : إن كفر بالصوم قبل الحنث لأنه بدني إنما يجوز بالاطعام أو الكسوة أو العتق كما يجوز تقديم الزكاة على الحول ولا يجوز تعجيل صوم رمضان قبل وقته ، وذهب قوم إلى أنه لايجوز تقديم الكفارة على الحنث ، وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه

قوله عز وجل ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾ قيل أراد به ترك الحلف أي لاتحلفوا وقيل وهو الاصح أراد به اذا حلفتم فلا تحنثوا ، فالمراد منه حفظ اليمين عن الحنث هذا اذا لم يكن يمينه على ترك مندوب أو فعل مكروه ، فان حلف على فعل مكروه أو ترك مندوب فالافضل أن يحنث نفسه ويكفر لما أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا حجاج بن منهال أنا جرير بن حازم عن الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال النبي ﷺ

يزيد بن قيس عن اسماعيل بن يحيي عن ابن جريج عن ابن عباس قال لما نزلت آية الكفارات قال حذيفة يارسول الله نحن بالخيار قال « أنت بالخيار إن شئت أعتقت وإن شئت كسوت وإن شئت أطعمت فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات » وهذا حديث غريب جداً ، وقوله (ذلك كفارة ايمانكم إذا حلفتم) أي هذه كفارة اليمين الشرعية (واحفظوا ايمانكم) قال ابن جرير معناه لاتتركوها بغير تكفير (كذلك يبين الله لكم آياته) اي يوضحها ويفسرها (لعلكم تشكرون)

يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلم رجس من عمل الشيطن فاجتنبوه لعلكم تفلحون (٩٠) إنما يريد الشيطن أن يوقع بينكم العدوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون (٩١) وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلغ المبين (٩٢) ليس على الذين آمنوا وعملوا الصلحات جناح فيما طعموا إذا مااتقوا وآمنوا وعملوا الصلحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين (٩٣)

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن تعاطى الخمر والميسر وهو القمار وقد ورد عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال الشطرنج من الميسر رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عيسى ابن مرحوم عن حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي به ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن ليث عن عطاء ومجاهد وطاوس قال سفيان أو اثنين منهم قالوا : كل شيء من القمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وروي عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب مثله وقالا حتى الكعاب والجوز والبيض التي تلعب بها الصبيان وقال موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال الميسر هو القمار وقال الضحاك عن ابن عباس قال الميسر هو القمار كانوا يتقامرون في الجاهلية الى مجيء الاسلام فنهاهم الله عن هذه الاخلاق القبيحة وقال مالك عن داود ابن الحصين انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ميسر أهل الجاهلية بيع اللحم بالشاة والشاتين

« ياعبد الرحمن بن سمرة لاتسأل الامارة ، فانك إن أوتيتها عن مسألة وكلت اليها » وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها » واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير » ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون ﴾

قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ﴾ أي القمار ﴿ والانصاب ﴾ يعني الاوثان سميت بذلك لأنهم كانوا ينصبونها واحدها نصب بفتح النون وسكون الصاد ، ونصب بضم النون

وقال الزهري عن الأعرج قال الميسر الضرب بالقداح على الاموال والثمار وقال القاسم بن محمد كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر رواهن ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الزيادي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة عن أبي موسى الاشعري عن النبي ﷺ قال « اجتنبوا هذه الكعاب الموسومة التي يزجر بها زجرا فانها من الميسر » حديث غريب وكأن المراد بهذا هو النرد الذي ورد الحديث به في صحيح مسلم عن بريدة بن الحصيب الاسلمي قال قال رسول الله ﷺ « من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه » وفي موطا مالك ومسند أحمد وسنني أبي داود وابن ماجه عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله ﷺ « من لعب بالنرد فقد عصي الله ورسوله » وروي موقوفا على أبي موسى من قوله فالله أعلم

وقال الامام أحمد حدثنا علي بن إبراهيم حدثنا الجعيد عن موسى بن عبد الرحمن الخطمي انه سمع محمد بن كعب وهو يسأل عبد الرحمن يقول أخبرني ماسمعت أباك يقول عن رسول الله ﷺ فقال عبد الرحمن سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله علية وسلم يقول « مثل الذي يلعب بالنرد ثم يقوم فيصلي مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي »

وأما الشطرنج فقد قال عبد الله بن عمر انه شر من النرد وتقدم عن علي انه قال هو من الميسر ونص على تحريمه مالك وأبو حنيفة وأحمد وكرهه الشافعي رحمهم الله تعالى، وأما الانصاب فقال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والحسن وغير واحد هي حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها، وأما الازلام فقالوا أيضا هي قداح كانوا يستقسمون بها رواه ابن حاتم، وقوله تعالى (رجس من عمل الشيطان) قال علي بن أبي طلحه عن ابن عباس أي سخط من عمل الشيطان وقال سعيد ابن جبير اثم وقال زيد بن أسلم أي شر من عمل الشيطان (فاجتنبوه) الضمير عائد على الرجس أي اتركوه (لعلكم تفلحون) وهذا أثر غريب ثم قال تعالى (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) وهذا تهديد وترهيب

مخففاً ومثقلا ﴿ والازلام ﴾ يعني القداح التي كانوا يستقسمون بها واحدها زلم وزلم ﴿رجس﴾ خبيث مستقذر ﴿ من عمل الشيطان ﴾ من تزيينه ﴿ فاجتنبوه ﴾ رد الكناية إلى الرجس ﴿ لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ﴾ أما العداوة في الخمر أن الشاربين اذا سكروا عربدوا وتشاجروا كما فعل الانصاري الذي شج سعد بن أبي وقاص بلحي الجمل ، وأما العداوة في الميسر قال قتادة : كان الرجل يقامر على الاهل والمال ، ثم يبقى حزيناً مسلوب الاهل والمال مغتاظاً على حرفائه ﴿ ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ﴾ وذلك أن من اشتغل بشرب الخمر والقمار ألهاه ذلك عن ذكر الله وشوش عليه صلاته كما فعل بأضياف عبد الرحمن بن عوف تقدم

﴿ ذكر الاحاديث الواردة في بيان تحريم الخمر ﴾

قال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا أبو معشر عن أبى وهب مولى أبى هريرة عن أبي هريرة قال حرمت الخمر ثلاث مرات[1] قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فأنزل الله (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس) الى آخر الآية فقال الناس ماحرما علينا انما قال(فيهما إثم كبير ومنافع للناس) وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوما من الايام صلى رجل من المهاجرين أم أصحابه في المغرب فخلط في قراءته فأنزل الله آية أغلظ منها (يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) فكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مغبق. ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك (ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) قالوا انتهينا ربنا وقال الناس يارسول الله ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فرسهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجساً من عمل الشيطان فأنزل الله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الى آخر الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لو حرم عليهم لتركوه كما تركتم » انفرد به أحمد

وقال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب انه قال لما نزل تحريم الخمر قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في البقرة (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير) فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة النساء (ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى) فكان منادي رسول الله ﷺ اذ قال حي على الصلاة نادى: لايقربن الصلاة سكران . فدعي عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا . فنزلت الآية التي في المائدة فدعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ قول الله تعالى (فهل أنتم منتهون) قال عمر انتهينا[1] وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن اسرائيل عن أبي إسحاق عمرو بن عبدالله السبيعي وعن أبي ميسرة واسمه عمرو بن شرحبيل الهمداني عن عمر به وليس له عنه سواه قال أبو زرعة ولم يسمع منه وصحح هذا

«١» الحديث صريح في أن التحريم لم يكن الا بآيات سورة المائدة ويقال مثله في أول ما قبله

« ١ » في الازهرية : انتهينا انتهينا

رجل ليصلي بهم صلاة المغرب بعدما شربوا فقرأ « قل ياأيها الكافرون أعبد » بحذف لا ﴿ فهل أنتم منتهون﴾ أي انتهوا لفظه استفهام ومعناه أمر كقوله تعالى (فهل أنتم شاكرون) ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ﴾ المحارم والمناهي ﴿ فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾

وفي وعيد شارب الخمر أخبرنا أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد القوراني أنا أبو الحسن علي بن عبدالله

الحديث علي بن المديني والترمذي ، وقد ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب انه قال في خطبته على منبر رسول الله ﷺ أيها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير ، والخمر ماخامر العقل. وقال البخاري حدثنا إسحاق بن ابراهيم حدثنا محمد بن بشر حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز حدثني نافع عن ابن عمر قال نزل تحريم الخمر وان بالمدينة يومئذ لخمسة أشربة مافيها شراب العنب

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود الطيالسي حدثنا محمد بن أبى حميد عن المصري يعني أبا طعمة قارىء مصر قال سمعت ابن عمر يقول نزلت في الخمر ثلاث آيات فاول شيء نزل (يسألونك عن الخمر والميسر) الآية فقيل حرمت الخمر فقالوا يارسول الله دعنا ننتفع بها كما قال الله تعالى قال فسكت عنهم ثم نزلت هذه الآية (لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى) فقيل حرمت الخمر فقالوا يارسول الله انا لانشربها قرب الصلاة، فسكت عنهم ثم نزلت (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) الا يتين فقال رسول الله ﷺ «حرمت الخمر »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يعلى حدثنا محمد بن إسحاق عن القعقاع بن حكيم ان عبد الرحمن بن وعلة قال سألت ابن عباس عن بيع الخمر فقال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صديق من ثقيف أو من دوس فلقيه يوم الفتح براوية خمر يهديها اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يافلان أما علمت أن الله حرمها » فاقبل الرجل على غلامه فقال اذهب فبعها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يافلان بماذا أمرته » فقال أمرته ان يبيعها قال « ان الذي حرم شربها حرم بيعها » فأمر بها فأفرغت في البطحاء رواه مسلم من طريق ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم ومن طريق ابن وهب أيضا عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد كلاهما عن عبد الرحمن بن وعلة عن ابن عباس به: ورواه النسائي عن قتيبة عن مالك به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن شهر بن حوشب عن تميم الداري انه كان يهدي لرسول الله ﷺ كل عام راوية من خمر[١] فلما أنزل الله تحريم الخمر جاء بها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك وقال « انها قد حرمت بعدك » قال يارسول الله فابيعها وأنتفع بثمنها فقال رسول الله

« ١ » في هذا الحديث هو أن تميما أسلم سنة تسع من الهجرة كما في الاصابة وقد حرمت الخمر سنة ثمان كما استظهره الحافظ في الفتح من حديث لابن عباس عند الامام احمد

الطيسفوني ثنا أبو الحسن محمد بن الحمودي أنا ابو العباس الماسرجسي بنيسابور أخبرنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلي أخبرنا صالح بن قدامة حدثنا أخي عبد الملك بن قدامة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ « كل مسكر حرام وأن حتما على الله أن لايشرب به عبد في الدنيا إلا سقاه الله تعالى يوم القيامة من طينة الخبال ، هل تدرون ماطينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار » وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن

صلى الله عليه وسلم «لعن الله اليهود حرمت عليهم شحوم البقر والغنم فاذابوه وباعوه والله حرم الخمر وثمنها» وقد رواه أيضا الامام أحمد فقال حدثنا روح حدثنا عبد الحميد بن بهرام قال سمعت شهر بن حوشب قال حدثني عبد الرحمن بن غنم ان الداري كان يهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل عام راوية من خمر فلما كان عام حرمت جاء براوية فلما نظر اليه ضحك فقال «أشعرت انها قد حرمت بعدك» فقال يارسول الله الا أبيعها وأنتفع بثمنها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لعن الله اليهود انطلقوا الى ماحرم عليهم من شحم البقر والغنم فاذابوه فباعوه إبه مايأكلون وإن الخمر حرام وثمنها حرام وان الخمر حرام وثمنها حرام وان الخمر حرام وثمنها حرام»

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن سليمان بن عبد الرحمن عن نافع بن كيسان أن أباه أخبره أنه كان يتجر في الخمر في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه أقبل من الشام ومعه خمر في الزقاق يريد بها التجارة فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني جئتك بشراب طيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ياكيسان انها قد حرمت بعدك» قال فأبيعها يارسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انها قد حرمت وحرم ثمنها» فانطلق كيسان الى الزقاق فأخذ بأرجلها ثم هراقها

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن حميد عن أنس قال كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح وأبي بن كعب وسهيل بن بيضاء ونفرا من أصحابه عند أبي طلحة حتى كاد الشراب يأخذ منهم فاتى آت من المسلمين فقال أما شعرتم أن الخمر قد حرمت؟ فقالوا حتى ننظر ونسأل فقالوا ياأنس اسكب مابقي في انائك فوالله ماعادوا فيها وما هي الا التمر والبسر وهي خمرهم يومئذ: أخرجاه في الصحيحين من غير وجه عن أنس وفي رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة وما شرابهم الا الفضيخ البسر والتمر فاذا مناد ينادي قال اخرج فانظر فاذا مناد ينادي الا ان الخمر قد حرمت فجرت في سكك المدينة قال فقال لي أبو طلحة اخرج فاهرقها فهرقتها فقالوا أو قال بعضهم قتل فلان وفلان

مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ قال «من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة» وأخبرنا أبو سعيد الشريحي انا أبو اسحاق الثعلبي انا احمد بن أبي اخبرنا ابو العباس الاصم انا محمد بن اسحق الصنعاني حدثنا ابو نعيم حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي من أهل مصر عن عبدالله بن عمر انه قال: اشهد اني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها، وبائعها ومبتاعها، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة اليه، وآكل ثمنها»

وهي في بطونهم قال فأنزل الله (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن يسار حدثني عبد الكبير بن عبد الحميد حدثنا عباد بن راشد عن قتادة عن أنس بن مالك قال بينما أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح وأبي دجانة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء حتى مالت رءوسهم من خليط بسر وتمر فسمعت مناديا ينادي ألا أن الخمر قد حرمت قال فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال، وتوضأ بعضنا واغتسل بعضنا وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا الى المسجد فاذا رسول الله ﷺ يقرأ (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) - إلى قوله - (فهل أنتم منتهون) فقال رجل يارسول الله فما ترى فيمن مات وهو يشربها فأنزل الله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية فقال رجل لقتادة أنت سمعته من أنس بن مالك؟ قال نعم وقال رجل لأنس بن مالك أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال نعم، أو حدثني من لم يكذب، ما كنا نكذب ولا ندري ما الكذب

﴿ حديث اخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق أخبرني يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن بكر بن سوادة عن قيس بن سعد بن عبادة أن رسول الله ﷺ قال « إن ربي تبارك وتعالى حرم الخمر والكوبة والقنين وإياكم والغبيراء فأنها ثلث خمر العالم »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا فرج بن فضالة عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن رافع عن أبيه عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله حرم على أمتي الخمر والميسر والمزر والكوبة والقنين وزادني صلاة الوتر » قال يزيد القنين البرابط تفرد به أحمد، وقال أحمد أيضا حدثنا أبو عاصم وهو النبيل أخبرنا عبد الحميد بن جعفر حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال علي مالم أقل فليتبوأ مقعده من جهنم » قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة والغبيراء وكل مسكر حرام » تفرد به أحمد أيضا

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن أبي طعمة مولاهم وعن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي انهما سمعا ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعنت الخمر على عشرة وجوه لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث وكيع به » وقال أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو طعمة سمعت ابن عمر يقول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المربد فخرجت معه فكنت عن يمينه وأقبل أبو بكر فتأخرت عنه

قوله عز وجل ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾ الآية سبب نزول

فكان عن يمينه وكنت عن يساره ثم أقبل عمر فتنحيت له فكان عن يساره فأتى رسول الله ﷺ المربد فاذا بزقاق على المربد فيها خمر قال ابن عمر فدعاني رسول الله ﷺ بالمدية قال ابن عمر وما عرفت المدية إلا يومئذ فأمر بالزقاق فشقت ثم قال « لعنت الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة اليه وعاصرها ومعتصرها وآكل ثمنها »

وقال أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب قال قال عبد الله بن عمر أمرني رسول الله ﷺ أن آتيه بمدية وهي الشفرة فأتيته بها فأرسل بها فأرهفت ثم أعطانيها وقال « اغد علي بها » ففعلت فخرج باصحابه إلى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام فأخذ المدية مني فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته ثم أعطانيها وأمر أصحابه الذين كانوا معه أن يمضوا معي وأن يعاونوني وأمرني أن آتي الاسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر الا شققته ففعلت فلم أترك في أسواقها زقا إلا شققته

﴿ حديث آخر ﴾ قال عبد الله بن وهب أخبرني عبد الرحمن بن شريح وابن لهيعة والليث بن سعد عن خالد بن زيد عن ثابت أن يزيد الخولاني أخبره أنه كان له عم يبيع الخمر وكان يتصدق قال فنهيته عنها فلم ينته فقدمت المدينة فلقيت ابن عباس فسألته عن الخمر وثمنها فقال هي حرام وثمنها حرام ثم قال ابن عباس رضي الله عنه يامعشر أمة محمد أنه لو كان كتاب بعد كتابكم ونبي بعد نبيكم لانزل فيكم كما أنزل فيمن قبلكم ولكن أخر ذلك من أمركم إلى يوم القيامة ولعمري لهو أشد عليكم . قال ثابت فلقيت عبد الله بن عمر فسألته عن ثمن الخمر فقال سأخبرك عن الخمر إني كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد فبينما هو محتب على حبوته ثم قال « من كان عنده من هذه الخمر فليأتنا بها » فجعلوا يأتونه فيقول أحدهم عندي راوية ويقول الآخر عندي زق أو ما شاء الله أن يكون عنده فقال رسول الله ﷺ « اجمعوه ببقيع كذا وكذا ثم آذنوني » ففعلوا ثم آذنوه فقام وقمت معه ومشيت عن يمينه وهو متكىء علي فلحقنا أبو بكر رضي الله عنه فأخرني رسول الله ﷺ فجعلني عن شماله وجعل أبا بكر في مكاني ثم لحقنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخرني وجعله عن يساره فمشى بينهما حتى اذا وقف على الخمر قال للناس « أتعرفون هذه؟ » قالوا نعم يارسول الله هذه الخمر قال « صدقتم » ثم قال « فان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها » ثم دعا بسكين فقال « اشحذوها » ففعلوا ثم أخذها رسول الله ﷺ يخرق بها الزقاق قال فقال الناس في هذه الزقاق منفعة فقال « أجل ولكني انما أفعل ذلك غضبا لله عز وجل لما فيها من سخطه » فقال عمر أنا أكفيك يارسول الله، قال لا ،قال ابن وهب وبعضهم يزيد على بعض في قصة الحديث رواه البيهقي

هذه الآية أن الصحابة رضوان الله عليهم قالوا لما نزل تحريم الخمر يارسول الله كيف باخواننا الذين

﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو الحسين بن بسران أنبأنا اسماعيل بن محمد الصفار حدثنا محمد بن عبيد الله المنادى حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن سماك عن مصعب بن سعد عن سعد قال أنزلت في الخمر أربع آيات فذكر الحديث قال وضع رجل من الانصار طعاما فدعانا فشربنا الخمر قبل أن تحرم حتى انتشينا فتفاخرنا فقالت الانصار نحن أفضل وقالت قريش نحن أفضل فأخذ رجل من الانصار لحي جزور فضرب به أنف سعد ففزره وكانت أنف سعد مفزورة فنزلت (انما الخمر والميسر) إلى قوله تعالى (فهل أنتم منتهون) أخرجه مسلم من حديث شعبة

﴿ حديث آخر ﴾ قال البيهقي وأخبرنا أبو نصر بن قتادة أنبأنا أبو علي الرفا حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا حجاج بن منهال حدثنا ربيعة بن كلثوم حدثني أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا فلما ان ثمل القوم عبث بعضهم ببعض فلما أن صحوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه ورأسه ولحيته فيقول صنع بي هذا أخي فلان وكانوا أخوة ليس في قلوبهم ضغائن فيقول والله لو كان بي رؤفا رحيما ماصنع بي هذا، حتى وقعت الضغائن في قلوبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية (يأأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان) إلى قوله تعالى (فهل أنتم منتهون) فقال أناس من المتكلفين هي رجس وهي في بطن فلان وقد قتل يوم أحد فأنزل الله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) إلى آخر الآية ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة عن حجاج بن منهال

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثني محمد بن خلف حدثنا سعيد بن محمد الحرمي عن أبي نميلة عن سلام مولى حفص أبي القاسم عن أبي بريدة عن أبيه قال بينا نحن قعود على شراب لنا ونحن على رملة ونحن ثلاثة أو أربعة وعندنا باطية لنا ونحن نشرب الخمر حلا إذ قمت حتى آتي رسول الله ﷺ فاسلم عليه اذ نزل تحريم الخمر (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر) الى آخر الآيتين (فهل أنتم منتهون) فجئت الى أصحابي فقرأتها عليهم الى قوله (فهل أنتم منتهون) قال وبعض القوم شربته في يده قد شرب بعضها وبقي بعض في الاناء فقال بالاناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجام ثم صبوا ما في باطيتهم فقالوا انتهينا ربنا

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن جابر قال صبح أناس غداة أحد الخمر [1] فقتلوا من يومهم جميعا شهداء وذلك قبل تحريمها هكذا رواه البخاري في تفسيره من صحيحه وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله يقول اصطبح ناس الخمر من أصحاب النبي ﷺ ثم قتلوا شهداء يوم أحد فقالت اليهود فقد مات بعض الذين قتلوا وهي في بطونهم فأنزل الله (ليس على الذين

ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون من مال الميسر فأنزل الله تعالى : ليس على الذين آمنوا وعملوا

« ١ » صبح بالتشديد ولفظه في كتاب المغازي : اصطبح الخمر يوم أحد ناس ثم قتلوا شهداء . والتصبيح والاصطباح الشرب في الصباح

آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا)ثم قال وهذا اسناد صحيح وهو كما قال ولكن في سياقه غرابة

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال لما نزل تحريم الخمر قالوا كيف بمن كان يشربها قبل أن تحرم؟ فنزلت (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية ورواه الترمذي عن بندار عن غندر عن شعبة به نحوه وقال حسن صحيح

﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا جعفر بن حميد الكوفي حدثنا يعقوب القمي عن عيسى بن جارية عن جابر بن عبد الله قال كان رجل يحمل الخمر من خيبر الى المدينة فيبيعها من المسلمين فحمل منها بمال فقدم بها المدينة فلقيه رجل من المسلمين فقال يافلان ان الخمر قد حرمت فوضعها حيث انتهى على تل وسجى عليها بأكسية ثم أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله بلغني أن الخمر قد حرمت قال «أجل» قال لي أن أردها على من ابتعتها منه قال «لا يصح ردها» قال لي أن أهديها الى من يكافئني منها؟ قال «لا» قال فان فيها مالا ليتامى في حجري قال «اذا أتانا مال البحرين فأتنا نعوض أيتامك من مالهم» ثم نادى بالمدينة فقال رجل يارسول الله الاوعية ينتفع بها قال «فحلوا أوكيتها» فانصبت حتى استقرت في بطن الوادي هذا حديث غريب

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن السدي عن أبي هبيرة وهو يحيى بن عباد الانصاري عن أنس بن مالك ان أبا طلحة سأل رسول الله ﷺ عن أيتام في حجره ورثوا خمرا فقال «أهرقها» قال أفلا نجعلها خلا؟ قال «لا» ورواه مسلم وأبو داود والترمذي من حديث الثوري به نحوه

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا عبد العزيز بن سلمة حدثنا هلال بن أبي هلال عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال إن هذه الآية التي في القرآن (يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) قال هي في التوراة : ان الله أنزل الحق ليذهب به الباطل ويبطل به اللعب والمزامير والزفن والكبارات يعني البرابط والزمارات يعني به الدف والطنابير والشعر، والخمر مرة لمن طعمها، أقسم الله بيمينه وعزته من شربها بعد ماحرمتها لأعطشنه يوم القيامة ومن تركها بعد ماحرمتها لاسقينه إياها في حظيرة القدس [1] وهذا إسناد صحيح

﴿ حديث آخر ﴾ قال عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث ان عمرو بن شعيب حدثهم عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال «من ترك الصلاة سكرا مرة واحدة فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسلبها، ومن ترك الصلاة سكرا أربع مرات كان حقا على

«١» الظاهر أن عبد الله سمع هذا من بعض اليهود ككعب الأحبار وليس في التوراة شيء منه وكانت المعازف مباحة لهم

الصالحات جناح فيما طعموا، وشربوا وأكلوا من ماء الميسر ﴿إذا مااتقوا﴾ الشرك ﴿وآمنوا﴾ وصدقوا

الله أن يسقيه من طينة الخبال » قيل وما طينة الخبال ؟ قال « عصارة أهل جهنم » ورواه أحمد من طريق عمرو بن شعيب

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود حدثنا محمد بن رافع حدثنا إبراهيم بن عمر الصنعاني قال سمعت النعمان هو ابن أبي شيبة الجندي يقول عن طاوس عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « كل مخمر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكراً بُخست[1] صلاته أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال » قيل وما طينة الخبال يارسول الله ؟ قال « صديد أهل النار . ومن سقاه صغيراً لا يعرف حلاله من حرامه كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال » تفرد به أبو داود

﴿ حديث آخر ﴾ قال الشافعي رحمه الله أنبأنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة » أخرجه البخاري ومسلم من حديث مالك به وروى مسلم عن أبي الربيع عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فمات وهو يدمنها ولم يتب منها لم يشربها في الآخرة »

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن وهب أخبرني عمر بن محمد عن عبد الله بن يسار انه سمع سالم بن عبد الله يقول قال عبد الله بن عمر قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة العاق لوالديه والمدمن الخمر والمنان بما أعطى » ورواه النسائي عن عمرو بن علي عن يزيد بن زريع عن عمر بن محمد العمري به وروى أحمد عن غندر عن شعبة عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر »

ورواه أحمد أيضا عن عبد الصمد عن عبد العزيز ابن أسلم عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد به وعن مروان ابن شجاع عن خصيف عن مجاهد به ورواه النسائي عن القاسم ابن زكريا عن حسين الجعفي عن زائدة عن يزيد بن ابي زياد عن سالم بن أبي الجعد ومجاهد كلاهما عن أبي سعيد به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن جابان عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر ولا منان ولا ولد زنية » وكذا رواه عن يزيد عن همام عن منصور عن سالم عن جابان عن عبد الله بن عمرو به

وقد رواه أيضاً عن غندر وغيره عن شعبة عن منصور عن سالم عن نبيط بن شريط عن جابان عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « لا يدخل الجنة منان ولا عاق والديه ولا مدمن خمر » ورواه النسائي من حديث شعبة كذلك ثم قال ولا نعلم أحدا تابع شعبة عن نبيط بن شريط وقال

﴿ وعملوا الصالحات ثم اتقوا ﴾ الخمر والميسر بعد تحريمها ﴿ وآمنوا ثم اتقوا ﴾ ماحرم الله عليهم كله

---

[1] « ١ » الخمر من التخمير ، وبخست بضم الباء بالبناء للمفعول من البخس أي نقصت

البخاري لايعرف لجابان سماع من عبد الله ولا لسالم من جابان ولا نبيط وقد روي هذا الحديث من طريق مجاهد عن ابن عباس ومن طريقه أيضا عن أبي هريرة فالله أعلم

وقال الزهري حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ان أباه قال سمعت عثمان بن عفان يقول اجتنبوا الخمر فانها أم الخبائث انه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته مرأة غوية فأرسلت اليه جاريتها أن تدعوه لشهادة فدخل معها فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أفضى الى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر فقالت اني والله مادعوتك لشهادة ولكن دعوتك لتقع علي أو تقتل هذا الغلام أو تشرب هذا الخمر فسقته كأسا فقال زيدوني فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فانها لاتجتمع هي والايمان أبدا إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه رواه البيهقي وهذا اسناد صحيح وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه ذم المسكر عن محمد بن عبد الله بن بزيع عن الفضيل ابن سليمان النميري عن عمر بن سعيد عن الزهري به مرفوعا والموقوف اصح والله اعلم وله شاهد في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق سرقة حين يسرقها وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »

وقال أحمد بن حنبل حدثنا أسود بن عامر حدثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما حرمت الخمر قال ناس يارسول الله أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها فأنزل الله (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الى آخر الآية ولما حولت القبلة قال ناس يارسول الله اخواننا الذي ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فأنزل الله (وماكان الله ليضيع ايمانكم) وقال الامام أحمد حدثنا داود بن مهران الدباغ حدثنا داود يعني العطار عن أبي خيثم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد انها سمعت النبي ﷺ يقول « من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة ان مات مات كافرا وان تاب تاب الله عليه وان عاد كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال » قال قلت يارسول الله وما طينة الخبال؟ قال «صديد أهل النار» وقال الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله ابن مسعود ان النبي ﷺ قال لما نزلت (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ماتقوا وآمنوا) فقال النبي ﷺ «قيل لي أنت منهم » وهكذارواه مسلم والترمذي والنسائي من طريقه . وقال عبد الله ابن الامام أحمد قرأت على أبي حدثنا علي بن عاصم حدثنا ابراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « اياكم وهاتان الكعبتان[1] الموسومتان اللتان تزجران زجرا فانها ميسر العجم »

﴿وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾ وقيل معنى الاول إذا ما اتقوا الشرك وآمنوا وصدقوا ثم اتقوا أي داوموا على ذلك التقوى وآمنوا وازدادوا إيمانا ثم اتقوا المعاصي كلها وأحسنوا .وقيل أي اتقوا بالاحسان وكل محسن متق والله يحب المحسنين

«١» الكعبتان والكعبان الفصان اللذان يلعب بهما بالنرد ، والمراد بوسمهما ما فيهما من النقط التي يعرف بها الرابح والخاسر في الميسر

يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (٩٤) يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم، ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره. عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام (٩٥)

قال الوالبي عن ابن عباس قوله (ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم) قال هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي الله به عباده في إحرامهم حتى لو شاؤا لتناولوه بأيديهم فنهاهم الله ان يقربوه وقال مجاهد (تناله ايديكم) يعني صغار الصيد وفراخه (ورماحكم) يعني كباره وقال مقاتل ابن حيان أنزلت هذه الآية في عمرة الحديبية فكانت الوحش والطير والصيد تغشاهم في رحالهم لم يروا مثله قط فيما خلا فنهاهم الله عن قتله وهم محرمون (ليعلم الله من يخافه بالغيب) يعني أنه تعالى يبتليهم بالصيد يغشاهم في رحالهم يتمكنون من أخذه بالايدي والرماح سرا وجهرا لتظهر طاعة من يطيع منهم في سره أو جهره كما قال تعالى (إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) وقوله ههنا (فمن اعتدى بعد ذلك) قال السدي وغيره يعني بعد هذا الاعلام والانذار والتقدم (فله عذاب أليم) أي لمخالفته أمر الله وشرعه ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) وهذا تحريم منه تعالى لقتل الصيد في حال الاحرام ونهي عن تعاطيه فيه وهذا إنما يتناول من حيث المعنى المأكول

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد ﴾ الآية نزلت عام الحديبية وكانوا محرمين ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشى رحالهم كثيرة فهموا بأخذها فنزلت (يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله) ليختبرنكم الله وفائدة البلوى إظهار المطيع من العاصي وإلا فلا حاجة له إلى البلوى بشيء من الصيد وإنما بعض فقال بشيء لانهم ابتلاهم بصيد البر خاصة ﴿ تناله أيديكم ﴾ يعني الفرخ والبيض وما لا يقدر أن يفر من صغار الصيد ﴿ورماحكم﴾ يعني الكبار من الصيد ﴿ليعلم الله﴾ ليرى الله لانه قد علمه ﴿من يخافه بالغيب﴾ أي يخاف الله ولم يره كقوله تعالى (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافه فلا يصطاد في حال الاحرام ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك ﴾ أي صاد بعد تحريمه ﴿ فله عذاب أليم ﴾ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال يوسع ظهره وبطنه جلداً ويسلب ثيابه

قوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ أي محرمون بالحج أو العمرة وهو جمع حرام يقال رجل حرام وامرأة حرام وقد يكون من دخول الحرم يقال أحرم الرجل إذا عقد

ولو ماتولد منه ومن غيره فأما غير المأكول من حيوانات البر فعند الشافعي يجوز للمحرم قتلها والجمهور على تحريم قتلها أيضا ولا يستثنى من ذلك الا ماثبت في الصحيحين من طريق الزهري عن عروة عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم :الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور» وقال مالك عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال «خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح : الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور» أخرجاه ورواه أيوب عن نافع عن ابن عمر مثله قال أيوب فقلت لنافع فالحية قال الحية لاشك فيها ولا يختلف في قتلها ومن العلماء كمالك واحمد من ألحق بالكلب العقور الذئب والسبع والنمر والفهد لأنها أشد ضررا منه فالله أعلم وقال زيد بن أسلم وسفيان بن عيينة الكلب العقور يشمل هذه السباع العادية كلها واستأنس من قال بهذا بما روي أن رسول الله ﷺ لما دعا على عتبة بن أبي لهب قال «اللهم سلط عليه كلبك بالشام» فأكله السبع بالزرقاء ،قالوا فان قتل ماعداهن فداه كالضبع والثعلب والوبر[1] ونحو ذلك قال مالك وكذا يستثنى من ذلك صغار هذه الخمس المنصوص عليها وصغار الملحق بها من السباع العوادي وقال الشافعي يجوز المحرم قتل كل مالا يؤكل لحمه ولا فرق بين صغاره وكباره وجعل العلة الجامعة كونها لاتؤكل وقال أبو حنيفة يقتل المحرم الكلب العقور والذئب لانه كلب بري فان قتل غيرهما فداه الا أن يصول عليه سبع غيرهما فيقتله فلا فداء عليه وهذا قول الاوزاعي والحسن بن صالح بن حي وقال زفر ابن الهذيل يفدي ماسوى ذلك وان صال عليه وقال بعض الناس المراد بالغراب ههنا الابقع وهو الذي في بطنه وظهره بياض دون الادرع وهو الاسود والاعصم وهو الابيض لما رواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس عن يحيى القطان عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة عن النبي ﷺ قال «خمس يقتلهن المحرم:الحية والفأرة والحدأة والغراب الابقع والكلب العقور» والجمهور على أن المراد به

[1] «١» كذا في المكية وفي الازهرية وهر البر

الاحرام وأحرم إذا دخل الحرم، نزلت في رجل يقال له أبو اليسر شد على حمار وحش وهو محرم فقتله

قوله تعالى ﴿ومن قتله منكم متعمداً﴾ اختلفوا في هذا العمد فقال قوم هو العمد لقتل الصيد مع نسيان الاحرام أما إذا قتله عمداً وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وأمره الى الله لانه أعظم من أن يكون له كفارة هذا قول مجاهد والحسن وقال الآخرون هو أن يعمد المحرم قتل الصيد ذاكراً لاحرامه فعليه الكفارة واختلفوا فيما لوقتله خطأ فذهب أكثر الفقهاء الى أن العمد والخطأ سواء في لزوم الكفارة وقال الزهري على المتعمد بالكتاب وعلى المخطيء بالسنة وقال سعيد بن جبير لا تجب كفارة الصيد بقتل الخطأ بل يختص بالعمد. قوله عز وجل ﴿فجزاء مثل﴾ قرأ أهل الكوفة ويعقوب فجزاء منون مثل رفع على البدل من الجزاء وقرأ الآخرون بالاضافة فجزاء مثل ﴿ماقتل من النعم﴾ معناه أنه يجب عليه مثل ذلك الصيد من النعم وأراد به مايقرب من الصيد المقتول شبها من حيث القيمة ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ أي يحكم بالجزاء رجلان عدلان وينبغي أن يكونا فقيهين ينظران الى

أعم من ذلك لما ثبت في الصحيحين من اطلاق لفظه وقال مالك رحمه الله لا يقتل المحرم الغراب الا اذا صال عليه وآذاه وقال مجاهد بن جبر وطائفة لا يقتله بل يرميه ويروى مثله عن علي وقد روى هشيم حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبدالرحمن بن أبي نعم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ انه سئل عما يقتل المحرم فقال «الحية والعقرب والفويسقة ويرمي الغراب ولا يقتله والكلب العقور والحدأة والسبع العادي» رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل والترمذي عن أحمد بن منيع كلاهما عن هشيم وابن ماجه عن أبي كريب وعن محمد بن فضيل كلاهما عن يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف به وقال الترمذي هذا حديث حسن

وقوله تعالى (ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن علية عن أيوب قال نبئت عن طاوس انه قال لا يحكم على من أصاب صيدا خطأ انما يحكم على من أصابه متعمدا وهذا مذهب غريب عن طاوس وهو متمسك بظاهر الآية وقال مجاهد بن جبر المراد بالمتعمد هنا القاصد الى قتل الصيد الناسي لاحرامه فاما المتعمد لقتل الصيد مع ذكره لاحرامه فذاك أمره أعظم من أن يكفر وقد بطل احرامه رواه ابن جرير عنه من طريق ابن أبي نجيح وليث بن أبي سليم وغيرهما عنه وهو قول غريب أيضا والذي عليه الجمهور ان العامد والناسي سواء في وجوب الجزاء عليه وقال الزهري دل الكتاب على العامد وجرت السنة على الناسي ومعنى هذا أن القرآن دل على وجوب الجزاء على المتعمد وعلى تأثيمه بقوله (ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه) وجاءت السنة من أحكام النبي ﷺ وأحكام أصحابه بوجوب الجزاء في الخطأ كما دل الكتاب عليه في العمد وأيضا فان قتل الصيد اتلاف والاتلاف مضمون في العمد وفي النسيان لكن المتعمد مأثوم والمخطىء غير ملوم وقوله تعالى (فجزاء مثل ما قتل من النعم) قرأ بعضهم بالاضافة وقرأ آخرون بعطفها (فجزاء مثل ما قتل من النعم) وحكى ابن جرير أن ابن مسعود قرأ (فجزاؤه مثل ما قتل من النعم) وفي قوله (فجزاء

أشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به وممن ذهب الى إيجاب المثل من النعم عمر وعثمان وعلي وعبدالرحمن ابن عوف وابن عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم حكموا في بلدان مختلفة وأزمان شتى بالمثل من النعم فحكم حاكمهم في النعامة ببدنة وهي لا تساوي بدنة وفي حمار الوحش ببقرة وهي لا تساوي بقرة وفي الضبع بكبش وهي لا تساوي كبشاً فدل أنهم نظروا إلى ما يقرب من الصيد شبهاً من حيث الخلقة وتجب في الحمام شاة وهو كل ماعب وهدر من الطير كالفاختة والقمري والدبسي وروي عن عمر وعثمان وابن عباس رضي الله عنهم أنهم قضوا في حمام مكة بشاة أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن احمد أنا ابو اسحاق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن ابي الزبير المكي عن جابر بن عبدالله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق وفي اليربوع بجفرة .قوله تعالى ﴿ هديا بالغ الكعبة ﴾ أي يهدي تلك الكفارة الى الكعبة فيذبحها بمكة ويتصدق بلحمها على مساكين الحرم ﴿او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك

مثل ماقتل من النعم) على كل من القراءتين دليل لما ذهب اليه مالك والشافعي وأحمد والجمهور من وجوب الجزاء من مثل ماقتله المحرم اذا كان له مثل من الحيوان الانسي خلافا لابي حنيفة رحمه الله حيث أوجب القيمة سواء كان الصيد المقتول مثليا أو غير مثلي قال وهو مخير إن شاء تصدق بثمنه وان شاء اشترى به هديا والذى حكم به الصحابة في المثل أولى بالاتباع فانهم حكموا في النعامة ببدنة وفي بقرة الوحش ببقرة وفي الغزال بعنز وذكر قضايا الصحابة واسانيدها مقرر في كتاب الاحكام واما اذا لم يكن الصيد مثليا فقد حكم ابن عباس فيه بثمنه يحمل الى مكة رواه البيهقي

وقوله تعالى (يحكم به ذوا عدل منكم) يعني أنه يحكم بالجزاء في المثل أو بالقيمة في غير المثل عدلان من المسلمين واختلف العلماء في القاتل هل يجوز أن يكون أحد الحكمين على قولين (أحدهما) لا لأنه قد يتهم في حكمه على نفسه وهذا مذهب مالك (والثاني) نعم لعموم الآية وهو مذهب الشافعي واحمد واحتج الاولون بأن الحاكم لايكون محكوما عليه في صورة واحدة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبونعيم الفضل بن دكين حدثنا جعفر هو ابن برقان عن ميمون ابن مهران أن أعرابياً أتى أبابكر فقال قتلت صيداً وأنا محرم فما ترى عليّ من الجزاء فقال أبو بكر رضي الله عنه لابي بن كعب وهو جالس عنده ماترى فيها قال فقال الاعرابي أتيتك وأنت خليفة رسول الله ﷺ أسألك فاذا أنت تسأل غيرك فقال أبو بكر وما تنكر ؟ يقول الله تعالى (فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم) فشاورت صاحبي حتى إذا اتفقنا على أمر أمرناك به ، وهذا إسناد جيد لكنه منقطع بين ميمون وبين الصديق ومثله يحتمل ههنا فبين له الصديق الحكم برفق وتؤدة لما رآه أعرابيا جاهلا وانما دواء الجهل التعليم. فاما إذا كان المعترض منسوبا إلى العلم فقد قال ابن جرير حدثنا هناد وأبو هشام الرفاعي قالا حدثنا وكيع بن الجراح عن المسعودي عن عبد الملك بن عمير عن

صياما﴾ قال الفراء رحمه الله العدل بالكسر المثل من جنسه والعدل بالفتح المثل من غير جنسه واراد به انه في جزاء الصيد مخير بين ان يذبح المثل من النعم فيتصدق بلحمه على مساكين الحرم وبين ان يقوم المثل دراهم والدراهم طعاما فيتصدق بالطعام على مساكين الحرم أو يصوم على كل مد من الطعام يوما وله أن يصوم حيث شاء لأنه لا نفع فيه المساكين ، وقال مالك ان لم يخرج المثل يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به أو يصوم وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لايجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة إلى شيء من النعم وإن شاء الى الطعام فيتصدق به وإن شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من شعير يوما وقال الشعبي والنخعي جزاء الصيد على الترتيب والآية حجة لمن ذهب الى التخيير . قوله تعالى ﴿ليذوق وبال أمره﴾ أي جزاء معصيته ﴿عفا الله عما سلف﴾ يعني قبل التحريم ونزول الآية ، قال السدي عفا الله عما سلف في الجاهلية ﴿ ومن عاد فينتقم الله منه﴾ في الآخرة ﴿والله عزيز ذو انتقام﴾ وإذا تكرر من المحرم قتل الصيد فيتعدد عليه الجزاء عند

قبيصة بن جابر قال خرجنا حجاجا فكنا إذا صلينا الغداة اقتدنا رواحلنا فتماشى نتحدث قال فبينا نحن ذات غداة إذ سنح لنا ظبي أو برح [١] فرماه رجل كان معنا بحجر فما أخطأ حشاه فركب وودعه [٢] ميتاً قال فعظمنا عليه فلما قدمنا مكة خرجت معه حتى أتينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقص عليه القصة قال واذا الى جنبه رجل كأن وجهه قلب فضة يعني عبدالرحمن بن عوف فالتفت عمر الى صاحبه فكلمه قال ثم أقبل على الرجل فقال أعمداً قتلته أم خطأ فقال الرجل لقد تعمدت رميه وما أردت قتله فقال عمر ما أراك الا قد أشركت بين العمد والخطأ اعمد إلى شاة فاذبحها وتصدق بلحمها واستبق إهابها قال فقمنا من عنده فقلت لصاحبي أيها الرجل عظم شعائر الله فما درى أمير المؤمنين ما يفتيك حتى سأل صاحبه اعمد الى ناقتك فانحرها ففعل ذلك يعني أن يجزىء عنك [١] قال قبيصة ولا أذكر الآية من سورة المائدة (يحكم به ذوا عدل منكم) فبلغ عمر مقالتي فلم يفجأنا منه الا ومعه الدرة قال فعلا صاحبي ضرباً بالدرة [٢] اقتلت في الحرم وسفهت الحكم ؟ [٣] قال ثم أقبل علي فقلت يا أمير المؤمنين لا أحل لك اليوم شيئاً يحرم عليك مني، فقال ياقبيصة ابن جابر إني أراك شاب السن فسيح الصدر بين اللسان وإن الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيء فيفسد الخلق السيء الاخلاق الحسنة، فاياك وعثرات الشباب . وروى هشيم هذه القصة عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بنحوه ورواها أيضاً عن حصين عن الشعبي عن قبيصة بنحوه وذكرها مرسلة عن عمر بكر بن عبد الله المزني ومحمد بن

«١» سنح مر من اليمين إلى اليسار وبرح عكسه
«٢» أي تركه

عامة أهل العلم قال ابن عباس رضي الله عنهما إذا قتل المحرم صيداً متعمدا يسأل هل قتلت قبله شيئاً من الصيد ؟ فان قال نعم لم يحكم عليه وقيل له إذهب ينتقم الله منك، وإن قال لم أقتل قبله شيئاً حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملأ ظهره وصدره ضربا وجيعا وكذلك حكم رسول الله ﷺ في وج وهو واد بالطائف، واختلفوا في المحرم هل يجوز له اكل لحم الصيد فذهب قوم إلى أنه لا يحل له بحال، يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس وبه قال سفيان الثوري واحتجوا بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن عبدالله بن عباس عن الصعب بن جثامة الليثي أنه أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشيا وهو بالابواء أو بودان [٤] فرده عليه رسول الله ﷺ قال فلما رأى رسول الله ﷺ مافي وجهي من الكآبة قال «إنا لم نرده عليك الا أنا حرم» وذهب الأكثرون الى أنه

«١» هذا نص النسختين المطبوعة والحجازية « فلعل ذلك » بحذف خبر لعل وذكر المؤلف له تفسيرا ،وهي كذلك في الدر المنثور وفي الازهرية وتفسير ابن جرير « ففعل ذلك »

«٢» أي « وجعل يقول » كما في تفسير ابن جرير. أو «وهو يقول» كما في الدر المنثور وحذف فعل القول كثير في التنزيل وغيره من الكلام الفصيح للعلم به

«٣» عبارة الدر المنثور « أقتلت الصيد في الحرم وسفهت الفتيا» «٤» هما موضعان بين مكة والمدينة

سيرين وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا شعبة عن منصور عن أبي وائل أخبرني ابن جرير البجلي قال أصبت ظبياً وأنا محرم فذكرت ذلك لعمر فقال ائت رجلين من اخوانك فليحكما عليك فأتيت عبد الرحمن وسعدا فحكما عليّ بتيس أعفر وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابن عيينة عن مخارق عن طارق قال أوطأ اربد ظبياً [1] فقتله وهو محرم فأتى عمر ليحكم عليه فقال له عمر احكم معي فحكما فيه جديا قد جمع الماء والشجر ثم قال عمر (يحكم به ذوا عدل منكم) وفي هذا دلالة على جواز كون القاتل أحد الحكمين كما قاله الشافعي واحمد رحمهما الله

واختلفوا هل تستأنف الحكومة في كل مايصيبه المحرم فيجب أن يحكم فيه ذوا عدل وإن كان قد حكم في مثله الصحابة أو يكتفى بأحكام الصحابة المتقدمة؟ على قولين فقال الشافعي وأحمد يتبع في ذلك ماحكمت به الصحابة وجعلاه شرعا مقرراً لا يعدل عنه ومالم يحكم فيه الصحابة يرجع فيه إلى عدلين وقال مالك وأبو حنيفة بل يجب الحكم في كل فرد فرد سواء وجد للصحابة في مثله حكم أم لا لقوله تعالى (يحكم به ذوا عدل منكم) وقوله تعالى (هديا بالغ الكعبة) أي واصلا إلى الكعبة والمراد وصوله الى الحرم بأن يذبح هناك ويفرق لحمه على مساكين الحرم وهذا أمر متفق عليه في هذه الصورة وقوله (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) أي اذا لم يجد المحرم مثل ماقتل من النعم أو لم يكن الصيد المقتول من ذوات الامثال أو قلنا بالتخيير في هذا المقام بين الجزاء والاطعام والصيام كما هو قول مالك وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وأحد قولي الشافعي والمشهور عن احمد رحمهم الله الظاهر «أو» بأنها للتخيير والقول الآخر أنها على الترتيب فصورة ذلك أن يعدل الى القيمة فيقوّم الصيد المقتول عند مالك وأبي حنيفة وأصحابه وحماد وابراهيم وقال الشافعي يقوم مثله من

يجوز للمحرم أكله إذا لم يصطد بنفسه ولا اصطيد لأجله أو باشارته وهو قول عمر وعثمان وأبي هريرة وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد واسحاق وأصحاب الرأي وإنما رد النبي صلى الله عليه وسلم على الصعب بن جثامة لأنه ظن أنه صيد من أجله والدليل على جوازه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله التيمي عن نافع مولى أبي قتادة عن أبي قتادة بن ربعي الانصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان ببعض طريق مكة تخلف مع أصحابه محرمين وهو غير محرم فرأى حمارا وحشياً فاستوى على فرسه وسأل اصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا فسأل رمحه فأبوا فأخذه ثم شد على الحمار فقتله فأكل منه بعض أصحاب رسول الله ﷺ وأبى بعضهم فلما أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن ذلك فقال «إنما هي طعمة أطعمكموها الله تعالى» أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أخبرنا

«١» في تفسير ابن جرير أوطأ أربد ضباً . وأربد اسم رجل ، ومعنى أوطأه رماه فأثبته

النعم لو كان موجوداً ثم يشترى به طعام فيتصدق به فيصرف لكل مسكين مد منه عند الشافعي ومالك وفقهاء الحجاز واختاره ابن جرير وقال أبو حنيفة وأصحابه يطعم كل مسكين مدين وهو قول مجاهد وقال احمد مدمن حنطة أو مدان من غيره فان لم يجد أو قلنا بالتخيير صام عن اطعام كل مسكين يوما وقال ابن جرير وقال آخرون يصوم مكان كل صاع يوما كما في جزاء المترفه بالحلق ونحوه فان الشارع أمر كعب بن عجرة أن يقسم فرقا بين ستة أو يصوم ثلاثة أيام والفرق ثلاثة آصع واختلفوا في مكان هذا الاطعام فقال الشافعي مكانه الحرم وهو قول عطاء وقال مالك يطعم في المكان الذي أصاب فيه الصيد أو أقرب الاماكن اليه وقال أبو حنيفة ان شاء أطعم في الحرم وان شاء أطعم في غيره

﴿ ذكر اقوال السلف في هذا المقام ﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة حدثنا جرير عن منصور عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس في قول الله تعالى (فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) قال اذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم فان لم يجد نظر كم ثمنه ثم قوم ثمنه طعاما فصام مكان كل نصف صاع يوما قال الله تعالى (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) قال انما أريد بالطعام الصيام أنه إذا وجد الطعام وجد جزاؤه، ورواه ابن جرير من طريق جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) فاذا قتل المحرم شيئا من الصيد حكم عليه فيه فان قتل ظبيا أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة فان لم يجد فاطعام ستة مساكين فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام فان قتل ايلا أو نحوه فعليه بقرة فان لم يجدها أطعم عشرين مسكينا فان لم يجد صام عشرين يوما وان قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الابل فان لم يجد أطعم ثلاثين مسكينا فان لم يجد صام ثلاثين يوما رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزادوا: الطعام مدمد يشبعهم، وقال جابر الجعفي عن عامر الشعبي وعطاء ومجاهد (أو عدل ذلك صياما) قالوا انما الطعام لمن لا يبلغ الهدي رواه ابن جرير وكذا روى ابن جريج عن مجاهد وأسباط عن السدي أنها على الترتيب

وقال عطاء وعكرمة ومجاهد في رواية الضحاك وابراهيم النخعي هي على الخيار وهي رواية الليث عن مجاهد عن ابن عباس واختار ذلك ابن جرير رحمه الله وقوله (ليذوق وبال أمره) أي أوجبنا عليه الكفارة ليذوق عقوبة فعله الذي ارتكب فيه المخالفة (عفا الله عما سلف) أي في زمان الجاهلية

الربيع أنا الشافعي أنا ابراهيم بن محمد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن حنطب عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لحم الصيد لكم في الاحرام حلال مالم تصيدوه أو يصاد لكم» قال أبو عيسى المطلب لانعرف له سماعا من جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وإذا أتلف المحرم شيئا من

لمن أحسن في الاسلام واتبع شرع الله ولم يرتكب المعصية ثم قال (ومن عاد فينتقم الله منه) أي ومن فعل ذلك بعد تحريمه في الاسلام وبلوغ الحكم الشرعي اليه (فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام)

قال ابن جريج قلت لعطاء ما (عفا الله عما سلف) ؟ قال عما كان في الجاهلية قال قلت وما (ومن عاد فينتقم الله منه) ؟ قال ومن عاد في الاسلام فينتقم الله منه وعليه مع ذلك الكفارة قال قلت فهل في العود من حد تعلمه ؟ قال لا ، قال قلت فترى حقا على الامام أن يعاقبه؟ قال لا هو ذنب أذنبه فيما بينه وبين الله عز وجل ولكن يفتدي ورواه ابن جرير . وقيل معناه فينتقم الله منه بالكفارة قاله سعيد بن جبير وعطاء . ثم الجمهور من السلف والخلف على أنه متى قتل المحرم الصيد وجب الجزاء ولا فرق بين الاولى والثانية والثالثة وان تكرر ما تكرر سواء الخطأ في ذلك والعمد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال من قتل شيئا من الصيد خطأ وهو محرم يحكم عليه فيه كلما قتله فان قتله عمداً يحكم عليه فيه مرة واحدة فان عاد يقال له ينتقم الله منك كما قال الله عز وجل وقال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عدي جميعا عن هشام هو ابن حسان عن عكرمة عن ابن عباس فيمن أصاب صيداً يحكم عليه ثم عاد قال لايحكم عليه ينتقم الله منه وهكذا قال شريح ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصري وابراهيم النخعي رواهن ابن جرير ثم اختار القول الأول وقال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن يزيد العبدي حدثنا المعتمر بن سليمان عن زيد أبي المعلى عن الحسن البصري أن رجلا أصاب صيداً فتجوز عنه ثم عاد فأصاب صيداً آخر فنزلت نار من السماء فأحرقته فهو قوله (ومن عاد فينتقم الله منه) وقال ابن جرير في قوله (والله عزيز ذو انتقام) يقول عز ذكره والله منيع في سلطانه لايقهره قاهر ولايمنعه من الانتقام ممن انتقم منه ولا من عقوبة من أراد عقوبته مانع لان الخلق خلقه والامر أمره له العزة والمنعة وقوله (ذو انتقام) يعني أنه ذو معاقبة لمن عصاه على معصيته اياه

(أحل لكم صيد البحر وطعامه متعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون (٩٦) جعل الله الكعبة البيت الحرام قيما للناس والشهر الحرام والهدي والقلئد ، ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموت وما في الارض

الصيد لامثل له من النعم مثل بيض أو طائر دون الحمام ففيه قيمة يصرفها الى الطعام فيتصدق به أو يصوم عن كل مد يوما واختلفوا في الجراد فرخص فيه قوم للمحرم وقالوا هو من صيد البحر روي ذلك عن كعب الاحبار والاكثرون على انها لاتحل فان أصابها فعليه صدقة قال عمر في الجراد تمرة وروي عنه وعن ابن عباس قبضة من طعام

قوله عز وجل ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة﴾ والمراد بالبحر جميع المياه

وأن الله بكل شيء عليم (٩٧) اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم (٩٨) ما على الرسول إلا البلغ والله يعلمُ ما تبدون وما تكتمون (٩٩)

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في رواية عنه وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وغيرهم في قوله تعالى (أحل لكم صيد البحر) يعني ما يصطاد منه طريا (وطعامه) ما يتزود منه مليحا يابسا، وقال ابن عباس في الرواية المشهورة عنه صيده ما أخذ منه حيا (وطعامه) ما لفظه ميتا، وهكذا روي عن أبي بكر الصديق وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو وأبي أيوب الانصاري رضي الله عنهم وعكرمة وأبي سلمة بن عبد الرحمن وابراهيم النخعي والحسن البصري، قال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن أبي بكر الصديق أنه قال (طعامه) كل ما فيه، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن سماك قال: حدثت عن ابن عباس قال خطب أبو بكر الناس فقال (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم) وطعامه ما قذف. قال وحدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجلز عن ابن عباس في قوله (أحل لكم صيد البحر وطعامه) قال (طعامه) ما قذف، وقال عكرمة عن ابن عباس قال طعامه ما لفظ من ميتة ورواه ابن جرير أيضا وقال سعيد بن المسيب طعامه ما لفظه حيا أو حسر عنه فمات رواه ابن أبي حاتم، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب عن نافع أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر فقال: ان البحر قد قذف حيتانا كثيرة ميتة أفنأكلها؟ فقال لا تأكلوها فلما رجع عبد الله إلى اهله أخذ المصحف فقرأ سورة المائدة فأتى هذه الآية (وطعامه متاعاً لكم وللسيارة) فقال اذهب فقل له فليأكله فانه طعامه وهكذا اختار ابن جرير أن المراد بطعامه ما مات فيه. قال وقد روي في ذلك خبر وإن بعضهم يرويه موقوفا حدثنا هناد بن السري قال حدثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم) قال «طعامه ما لفظه ميتا» ثم قال وقد وقف بعضهم هذا الحديث على أبي هريرة. حدثنا هناد حدثنا ابن أبي زائدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة في قوله (أحل لكم صيد البحر وطعامه) قال طعامه ما لفظه ميتا. وقوله (متاعا لكم وللسيارة) أي منفعة وقوتا لكم ايها المخاطبون (وللسيارة) وهم جمع سيار قال عكرمة

قال عمر رضي الله عنه صيده ما اصطيد وطعامه ما رمى به وعن ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة طعامه ماقذفه الماء الى الساحل ميتا وقال قوم هو المالح منه وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة وسعيد بن المسيب وقتادة والنخعي وقال مجاهد صيده طريه وطعامه مالحه متاعا لكم أي منفعة لكم وللسيارة يعني المارة وجملة حيوانات الماء على قسمين سمك وغيره. أما السمك فميتته حلال مع اختلاف أنواعها قال النبي صلى الله عليه وسلم «أحلت لنا ميتتان السمك والجراد» فلافرق بين أن يموت بسبب أو بغير

لمن كان بحضرة البحر والسفر وقال غيره الطري منه لمن يصطاده من حاضرة البحر وطعامه ما مات فيه أو اصطيد منه وملح وقدد يكون زاداً للمسافرين والنائين عن البحر وقد روي نحوه عن ابن عباس ومجاهد والسدى وغيرهم .وقد استدل الجمهور على حل ميتته بهذه الآية الكريمة وبما رواه الامام مالك ابن أنس عن ابن وهب وابن كيسان عن جابر بن عبدالله قال بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبل الساحل فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلثمائة وأنا فيهم قال فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع ذلك كله فكان مزودي تمر قال فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فني فلم يكن يصيبنا الا تمرة تمرة فقال فقد وجدنا فقدها حين فنيت قال ثم انتهينا الى البحر فاذا حوت مثل الظرب فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ثم أمر براحلة فرحلت ومرت تحتهما فلم تصبهما وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله طرق عن جابر وفي صحيح مسلم من رواية أبي الزبير عن جابر فاذا على ساحل البحر مثل الكثيب الضخم فأتيناه فاذا بدابة يقال لها العنبر قال قال أبو عبيدة ميتة ثم قال لانحن رسل رسول الله ﷺ وقد اضطررتم فكلوا قال فاقمنا عليه شهراً ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينيه بالقلال الدهن ويقتطع منه القدر كالثور قال ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقعدهم في وقب عينيه وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحته وتزودنا من لحمه وسائق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له فقال «هو رزق أخرجه الله لكم هل معكم من لحمه شيء فتطعمونا ؟ » قال فأرسلنا الى رسول الله ﷺ منه فأكله وفي بعض روايات مسلم أنهم كانوا مع النبي ﷺ حين وجدوا هذه السمكة فقال بعضهم هي واقعة أخرى وقال بعضهم بل هي قضية واحدة ولكن كانوا أولا مع النبي ﷺ ثم بعثهم سرية مع أبي عبيدة فوجدوا هذه في سريتهم تلك مع أبي عبيدة والله أعلم ،وقال مالك عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة من آل ابن الازرق أن المغيرة

سبب وعند أبي حنيفة لايحل الى أن يموت بسبب من وقوع على حجر أو انحسار الماء منه ونحو ذلك أما غير السمك فقسمان قسم يعيش في البر كالضفدع والسرطان فلا يحل أكله وقسم يعيش في الماء ولا يعيش في البر إلا عيش المذبوح فاختلف القول فيه فذهب قوم إلى أنه لايحل شيء منها الا السمك وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه وذهب قوم الى أن ميت الماء كلها حلال لأن كلها سمك وإن اختلفت صورتها كالجريث يقال لها حية الماء وهو على شكل الحية وأكله مباح بالاتفاق وهو قول عمر وأبي بكر وابن عباس وزيد بن ثابت وأبي هريرة وبه قال شريح والحسن وعطاء وهو قول مالك وظاهر مذهب الشافعي وذهب قوم الى أن ماله نظير في البر يؤكل فميتته من حيوانات البحر حلال مثل بقر الماء ونحوه وما لايؤكل نظيره في البر لايحل ميتته من حيوانات البحر مثل كلب الماء والخنزير والحمار ونحوها وقال الاوزاعي كل شيء عيشه في الماء فهو حلال قيل فالتمساح قال نعم وقال الشعبي

ابن أبي بردة وهو من بني عبد الدار أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول سأل رجل رسول الله ﷺ فقال يارسول الله انا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فان توضأنا به عطشنا أفنتوضأ بماء البحر فقال رسول الله ﷺ «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» وقد روى هذا الحديث الامامان الشافعي واحمد بن حنبل وأهل السنن الاربع وصححه البخاري والترمذي وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم وقد روي عن جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ بنحوه

وقد روى الامام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن حماد بن سلمة حدثنا أبو المهزم هو يزيد بن سفيان سمعت أبا هريرة يقول كنا مع رسول الله ﷺ في حج أو عمرة فاستقبلنا جراد فجعلنا نضربهن بعصينا وسياطنا فنقتلهن فسقط في أيدينا فقلنا ما نصنع ونحن محرمون فسألنا رسول الله ﷺ فقال « لا بأس بصيد البحر » أبو المهزم ضعيف والله أعلم وقال ابن ماجه حدثنا هارون بن عبدالله الجمال حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زياد بن عبدالله عن علام عن موسى بن محمد ابن ابراهيم عن ابيه عن جابر وأنس بن مالك أن النبي ﷺ كان إذا دعا على الجراد قال « اللهم أهلك كباره واقتل صغاره وافسد بيضه واقطع دابره وخذ بافواهه عن معايشنا وارزاقنا إنك سميع الدعاء » فقال خالد يارسول الله كيف تدعو على جند من أجناد الله بقطع دابره؟ فقال « ان الجراد نثرة الحوت في البحر » قال هاشم قال زياد فحدثني من رأى الحوت ينثره تفرد به ابن ماجه وقد روى الشافعي عن سعيد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أنه انكر على من يصيد الجراد في الحرم ، وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من الفقهاء الى أنه تؤكل دواب البحر ولم يستثن من ذلك شيئاً وقد تقدم عن الصديق أنه قال طعامه كل ما فيه . وقد استثنى بعضهم الضفادع وأباح ما سواها لما رواه الامام أحمد وابو داود والنسائي من رواية ابن أبي ذئب عن سعيد بن خالد عن سعيد بن المسيب عن أبي عبد الرحمن بن عثمان التيمي أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل الضفدع وللنسائي عن عبدالله بن عمرو

لو أن أهلي أكلوا الضفادع لاطعمتهم وقال سفيان الثوري أرجوا ان لايكون بالسرطان بأس وظاهر الآية حجة لمن أباح جميع حيوانات البحر وكذلك الحديث أخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر ابن احمد انا ابو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة من آل بني الازرق ان المغيرة بن ابي بردة وهو من بني عبد الدار اخبره انه سمع ابا هريرة رضى الله عنه يقول سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انا نركب في البحر ونحمل معنا القليل من الماء فان توضأنا به عطشنا أفنتوضأ بماء البحر فقال رسول الله ﷺ هو الطهور ماؤه الحل ميتته » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسدد أنا يحيى عن ابن جريج أخبرنا عمرو أنه سمع جابراً رضي الله عنه يقول غزوت جيش الخبط وأمر أبو عبيدة فجعنا جوعا شديداً فالقى البحر حوتاً ميتاً لم تر مثله يقال له العنبر فأكلنا منه

قال نهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع وقال نقيقها تسبيح وقال آخرون يؤكل من صيد البحر السمك ولا يؤكل الضفدع واختلفوا فيما سواهما فقيل يؤكل سائر ذلك وقيل لا يؤكل وقيل ما أكل شبهه من البر أكل مثله في البحر وما لا يؤكل شبهه لا يؤكل وهذه كلها وجوه في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ، وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يؤكل ما مات في البحر كما لا يؤكل ما مات في البر لعموم قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) وقد ورد حديث بنحو ذلك فقال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي هو ابن قانع حدثنا الحسين بن اسحاق التستري وعبدالله بن موسى بن أبي عثمان قالا حدثنا الحسين ابن يزيد الطحان حدثنا حفص بن غياث عن ابن أبي ذئب عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﷺ « ما صدتموه وهو حي فمات فكلوه وما ألقى البحر ميتاً طافياً فلا تأكلوه » ثم رواه من طريق اسماعيل بن أمية ويحيى بن أبي أنيسة عن أبي الزبير عن جابر به وهو منكر ، وقد احتج الجمهور من اصحاب مالك والشافعي وأحمد ابن حنبل بحديث العنبر المتقدم ذكره وبحديث « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » وقد تقدم أيضاً وروى الامام أبو عبدالله الشافعي عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « أحلت لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال » ورواه أحمد وابن ماجه والدارقطني والبيهقي وله شواهد وروي موقوفاً والله أعلم

وقوله (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) أي في حال احرامكم يحرم عليكم الاصطياد ففيه دلالة على تحريم ذلك فاذا اصطاد المحرم الصيد متعمداً أثم وغرم أو مخطئا غرم وحرم عليه أكله لانه في حقه كالميتة وكذا في حق غيره من المحرمين والمحلين عند مالك والشافعي في احد قوليه وبه يقول عطاء والقاسم وسالم وابو يوسف ومحمد بن الحسن وغيرهم فان اكله او شيئاً منه فهل يلزمه جزاء ثان؟ فيه قولان للعلماء (احدهما) نعم قال عبدالرازق عن ابن جريج عن عطاء قال ان ذبحه ثم اكله فكفارتان

نصف شهر فأخذ أبو عبيدة عظما من عظامه فمر الراكب تحته وأخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر يقول قال أبو عبيدة كلوا فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال « كلوا رزقا أخرجه الله اليكم اطعمونا إن كان معكم » فاتاه بعضهم بشيء منه فأكله قوله تعالى ﴿ وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون ﴾ صيد البحر حلال للمحرم كما هو حلال لغير المحرم . أما صيد البر فحرام على المحرم في الحرم والصيد هو الحيوان الوحشي الذي يحل أكله . أما ما لا يحل أكله فلا يحرم بسبب الاحرام ويحرم أخذه وقتله ولاجزاء على من قتله الا المتولد بين ما لا يؤكل لحمه وما يؤكل لحمه كالمتولد بين الذئب والظبي لا يحل أكله ويجب بقتله الجزاء على المحرم لأن فيه جزاء من الصيد أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور » وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن

واليه ذهب طائفة (والثاني) لا جزاء عليه في أكله نص عليه مالك بن أنس قال أبو عمر بن عبد البر وعلى هذا مذاهب فقهاء الامصار وجمهور العلماء ثم وجهه أبو عمر بما لو وطيء ثم وطيء ثم وطيء قبل أن يحد فانما عليه حد واحد، وقال أبوحنيفة عليه قيمة ما أكل، وقال أبو ثور إذا قتل المحرم الصيد فعليه جزاؤه وحلال أكل ذلك الصيد إلا أنني أكرهه للذي قتله للخبر عن رسول الله ﷺ «صيد البر لكم حلال وأنتم حرم مالم تصيدوه أو يصد لكم» وهذا الحديث سيأتي بيانه وقوله باباحته للقاتل غريب وأما لغيره ففيه خلاف قد ذكرنا المنع عمن تقدم وقال آخرون باباحته لغير القاتل سواء المحرمون والمحلون لهذا الحديث والله أعلم *

وأما إذا صاد حلال صيداً فأهداه الى محرم فقد ذهب ذاهبون الى اباحته مطلقا ولم يستفصلوا بين أن يكون قد صاده من أجله أم لا حكى هذا القول أبو عمر بن عبد البر عن عمر بن الخطاب وأبي هريرة والزبير بن العوام وكعب الاحبار ومجاهد وعطاء في رواية وسعيد بن جبير وبه قال الكوفيون قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبدالله بن بزيع حدثنا بشر بن الفضل حدثنا سعيد عن قتادة أن سعيد ابن المسيب حدثه عن أبي هريرة أنه سئل عن لحم صيد صاده حلال أيأكله المحرم قال فأفتاهم بأكله ثم لقي عمر بن الخطاب فاخبره بما كان من أمره فقال لو افتيتهم بغير هذا لاوجعت لك رأسك، وقال آخرون لايجوز أكل الصيد للمحرم بالكلية ومنعوا من ذلك مطلقاً لعموم هذه الآية الكريمة وقال عبد الرازق عن معمر عن ابن طاوس وعبد الكريم عن ابن أبي أمية عن طاوس عن ابن عباس أنه كره أكل الصيد للمحرم وقال هي مبهمة يعني قوله (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما) قال وأخبرني معمر عن الزهري عن ابن عمر أنه كان يكره للمحرم أن يأكل من لحم الصيد على كل حال قال معمر وأخبرني أيوب عن نافع عن ابن عمر مثله قال ابن عبد البر وبه قال طاوس وجابر بن زيد واليه ذهب الثوري واسحاق بن راهويه في رواية وقد روي نحوه عن علي بن أبي طالب رواه ابن جرير

رسول الله ﷺ أنه قال يقتل المحرم السبع العادي وعن أبي هريرة أن رسول الله قال ﷺ خمس قتلهن حلال في الحرم الحية والعقرب والحدأة والفأرة والكلب العقور وقال سفيان بن عيينة الكلب العقور كل سبع يعقر ومثله عن مالك رحمه الله وذهب أصحاب الرأى الى وجوب الجزاء في قتل مالا يؤكل لحمه كالفهد والنمر والخنزير ونحوها الا الاعيان المذكورة في الخبر وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه الكفارة وقاس الشافعي رحمه الله عليها جميع مالا يؤكل لحمه لأن الحديث يشتمل على أعيان بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لايدخل في معنى السباع ولا هي من جملة الهوام وانما هي حيوان مستخبث اللحم وتحريم الاكل يجمع الكل فاعتبره ورتب الحكم عليه

قوله عز وجل ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام﴾ قال مجاهد سميت كعبة لتربيعها والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة قال مقاتل سميت كعبة لانفرادها من البناء وقيل سميت كعبة لارتفاعها من

من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن علياً كره أكل لحم الصيد للمحرم على كل حال، وقال مالك والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه في رواية والجمهور ان كان الحلال قد قصد المحرم بذلك الصيد لم يجز المحرم أكله لحديث الصعب بن جثامة أنه أهدى للنبي ﷺ حماراً وحشيا وهو بالابواء أو بودان فرده عليه فلما رأى ما في وجهه قال «انا لم نرده عليك الا أنا حرم» وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله الفاظ كثيرة قالوا فوجهه أن النبي ﷺ ظن أن هذا إنما صاده من أجله فرده لذلك فاما اذا لم يقصده بالاصطياد فانه يجوز له الاكل منه لحديث أبي قتادة حين صاد حمار وحش وكان حلالا لم يحرم وكان أصحابه محرمين فتوقفوا في اكله ثم سألوا رسول الله ﷺ فقال « هل كان منكم أحد أشار اليها وأعان في قتلها ؟ » قالوا لا قال « فكلوا » وأكل منها رسول الله ﷺ وهذه القصة ثابتة أيضا في الصحيحين بألفاظ كثيرة

وقال الامام أحمد حدثنا سعيد بن منصور وقتيبة بن سعيد قالا حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ وقال قتيبة في حديثه سمعت رسول الله ﷺ يقول « صيد البر لكم حلال - قال سعيد وأنتم حرم - مالم تصيدوه أو يصد لكم » وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة وقال الترمذي لا نعرف للمطلب سماعا من جابر ورواه الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه من طريق عمرو بن ابي عمرو عن مولاه المطلب عن جابر ثم قال وهذا أحسن حديث روي في هذا الباب وأقيس وقال مالك رضي الله عنه عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال رأيت عثمان ابن عفان بالعرج وهو محرم في يوم صائف قد غطى وجهه بقطيفة ارجوان ثم أتي بلحم صيد فقال لاصحابه كلوا فقالوا أو لا تأكل أنت فقال إني لست كهيئتكم إنما صيد من أجلي[1]

الارض وأصلها من الخروج والارتفاع وسمي الكعب كعبا لنتوءه وخروجه من جانب القدم ومنه قيل للجارية إذا قاربت البلوغ وخرج ثديها تكعبت وسمي البيت الحرام لان الله تعالى حرمه وعظم حرمته قال النبي ﷺ إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض ﴿قياما للناس﴾ قرأ ابن عامر قيما بلا ألف والآخرون قياما بالالف أي قواما لهم في أمر دينهم ودنياهم . أما الدين لأن به يقوم الحج والمناسك . وأما الدنيا فيما يجبي اليه من الثمرات وكانوا يأمنون فيه من النهب والغارة فلا يتعرض لهم أحد في الحرم قال الله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) ﴿والشهر الحرام﴾ أراد به الاشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب أراد أنه جعل الأشهر الحرم قياما للناس يأمنون فيها القتال ﴿والهدي والقلائد﴾ أراد أنهم كانوا يأمنون بتقليد الهدي فذلك القوام فيه ﴿ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم﴾ فان قيل: لا اتصال لهذا الكلام بما قبله قيل أراد ان الله عز وجل الكعبة قياما للناس لان الله تعالى يعلم صلاح

«١» سقط من هذا الموضع تفسير الثلاث الآيات ٩٧ و٩٨ و٩٩ وترك لها بياض في النسخة المكية

قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يأولي الالبب لعلكم تفلحون (١٠٠) يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم (١٠١) قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كفرين (١٠٢)

يقول تعالى لرسوله ﷺ (قل) يامحمد (لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك) أي ياأيها الانسان (كثرة الخبيث) يعني أن القليل الحلال النافع خير من الكثير الحرام الضار كما جاء في الحديث «ماقل وكفى خير مما كثر وألهى» وقال أبو القاسم البغوي في معجمه حدثنا احمد بن زهير حدثنا الحوطي حدثنا محمد بن شعيب حدثنا معان بن رفاعة عن أبي عبد الملك علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة أن ثعلبة بن حاطب الانصاري قال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال النبي ﷺ «قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» (فاتقوا الله ياأولي الالباب) أي ياذوي العقول الصحيحة المستقيمة وتجنبوا الحرام ودعوه واقنعوا بالحلال وا كتفوا به لعلكم تفلحون أي في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين ونهي لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لافائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها لانها ان أظهرت لهم تلك الامور ربما ساءتهم وشق عليهم سماعها كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ

العباد كما يعلم مافي السموات ومافي الارض وقال الزجاج قد سبق في هذه السورة الاخبار عن الغيوب والكشف عن الاسرار مثل قوله (سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين) ومثل إخباره بتحريفهم الكتب ونحو ذلك فقوله ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات ومافي الارض راجع اليه

وقوله عز وجل ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ﴾ التبليغ ﴿والله يعلم ماتبدون وما تكتمون*قل لا يستوي الخبيث والطيب﴾ أي الحلال والحرام ﴿ولو أعجبك﴾ سرك ﴿كثرة الخبيث﴾ نزلت في شريح بن ضبعة البكري وحجاج بن بكر بن وائل ﴿فاتقوا الله﴾ ولا تتعرضوا للحجاج وإن كانوا مشركين وقد مضت القصة في أول السورة ﴿ياأولي الالباب لعلكم تفلحون*ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم﴾ الآية اخبرنا عبد الواحد المليحي انا محمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا حفص بن عمر انا هشام عن قتادة عن انس رضي الله عنه سألوا رسول الله ﷺ حتى احفوه بالمسألة فغضب فصعد المنبر فقال «لاتسألوني اليوم عن شيء الا بينته لكم» فجعلت انظر يمينا وشمالا فاذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي فاذا رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير ابيه فقال يارسول الله من أبي؟ قال حذافة ثم انشأ عمر فقال رضينا بالله

قال « لا يبلغني أحد عن أحد شيئا إني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر » وقال البخاري حدثنا منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي حدثنا أبي حدثنا شعبة عن موسى بن أنس عن أنس بن مالك قال خطب رسول الله ﷺ خطبة ماسمعت مثلها قط وقال فيها « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً » قال فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم حنين فقال رجل من أبي ؟ قال فلان فنزلت هذه الآية (لاتسألوا عن أشياء) رواه النضر وروح بن عبادة عن شعبة وقد رواه البخاري في غير هذا الموضع ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي من طرق عن شعبة بن الحجاج به وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة في قوله (ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) الآية قال فحدثنا أن أنس بن مالك حدثه أن رسول الله ﷺ سألوه حتى أحفوه بالمسألة فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال « لاتسألوني اليوم عن شيء الا بينته لكم » فأشفق أصحاب رسول الله ﷺ أن يكون بين يدي أمر قد حضر فجعلت لا التفت يمينا وشمالا الاوجدت كلا لافا رأسه في ثوبه يبكي فأنشأ رجل كان يلاحي فيدعى الى غير أبيه فقال يانبي الله من أبي قال « أبوك حذافة » قال ثم قام عمر أو قال فأنشأ عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا عائذا بالله أو قال أعوذ بالله من شر الفتن قال وقال رسول الله ﷺ « لم أر في الخير والشر كاليوم قط ، صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط » أخرجاه من طريق سعيد ورواه معمر عن الزهري عن أنس بنحو ذلك أو قريبا منه قال الزهري فقالت أم عبد الله بن حذافة مارأيت ولداً أعق منك قط أكنت تأمن أن تكون أمك قد قارفت ماقارف أهل الجاهلية فتفضحها على رؤوس الناس فقال والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته وقال ابن جرير أيضا حدثنا الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا قيس عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج رسول الله ﷺ وهو غضبان محمار وجهه حتى جلس على المنبر فقام اليه رجل فقال أين أنا قال « في النار » فقام آخر فقال من أبي فقال « أبوك حذافة » فقام عمر بن الخطاب فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا وبالقرآن اماما انا يارسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك والله أعلم من آباؤنا قال فسكن غضبه ونزلت هذه الآية (ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم) الآية اسناده جيد وقد ذكر

ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا نعوذ بالله من الفتن فقال رسول الله ﷺ « مارايت في الخير والشر كاليوم قط انه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط » وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية (ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء أن تبدلكم تسؤكم) وقال يونس عن ابن شهاب أخبرني عبيدالله بن عبد الله قال قالت أم عبدالله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ماسمعت بابن قط أعق منك أمنت أن تكون امك قد قارفت بعض ماتقارف نساء اهل الجاهلية فتفضحها على اعين الناس . قال عبدالله بن حذافة والله لوالحقني بعبد اسود للحقته وروى عن عمر قال يارسول

هذه القصة مرسلة غير واحد من السلف منهم أسباط عن السدي أنه قال في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبدلكم تسؤكم) قال غضب رسول الله ﷺ يوما من الايام فقام خطيبا فقال «سلوني فانكم لا تسألوني عن شيء الا أنبأتكم به» فقام اليه رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان يطعن فيه فقال يارسول الله من أبي ؟ فقال أبوك فلان فدعاه لأبيه فقام اليه عمر بن الخطاب فقبل رجله وقال يارسول الله رضينا بالله ربا وبك نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما فاعف عنا عفا الله عنك فلم يزل به حتى رضي فيومئذ قال «الولد للفراش وللعاهر الحجر» ثم قال البخاري حدثنا الفضل بن سهل حدثنا أبو النضر حدثنا أبو خيثمة حدثنا أبو الجويرية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل من أبي ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتي فأنزل الله فيهم هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم) حتى فرغ من الآية كلها تفرد به البخاري

وقال الامام أحمد حدثنا منصور بن وردان الاسدي حدثنا علي بن عبد الاعلى عن أبيه عن أبي البختري وهو سعيد بن فيروز عن علي قال لما نزلت هذه الآية (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) قالوا يارسول الله أفي كل عام؟ فسكت فقالوا في كل عام فسكت قال ثم قالوا أفي كل عام؟ فقال « لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم » فانزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم) الآية وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من طريق منصور بن وردان به وقال الترمذي غريب من هذا الوجه وسمعت البخاري يقول أبو البختري لم يدرك عليا

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن ابراهيم بن مسلم الهجري عن أبي عياض عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ان الله كتب عليكم الحج » فقال رجل أفي كل عام يارسول الله ؟ فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثا فقال «من السائل؟» فقال فلان فقال «والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت عليكم ما أطقتموه ولو تركتموه لكفرتم» فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم) حتى ختم الآية. ثم رواه ابن جرير من طريق الحسين بن واقد عن محمد بن زياد عن أبي هريرة وقال فقام محصن الاسدي وفي رواية من

الله انا حديثو عهد بجاهلية فاعف عنا يعف الله سبحانه وتعالى عنك فسكن غضبه، اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبدالله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا الفضل بن سهل انا خبرنا ابو النضر انا ابو خثيمة انا ابو جويرية عن ابن عباس قال كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل من ابي ويقول الرجل ضلت ناقته اين ناقتي فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية (يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم) حتى فرغ من الآية كلها وروى عن علي رضي الله عنه قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال رجل يارسول الله أفي كل عام فأعرض

هذه الطريق عكاشة بن محصن وهو أشبه وابراهيم بن مسلم الهجري ضعيف وقال ابن جرير أيضا حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري حدثنا أبو زيد عبدالعزيز أبي الغمر حدثنا ابن مطيع معاوية بن يحيى عن صفوان بن عمرو حدثني سليم بن عامر قال سمعت أبا امامة الباهلي يقول قام رسول الله ﷺ في الناس فقال « كتب عليكم الحج » فقام رجل من الاعراب فقال أفي كل عام ؟ قال فعلا كلام رسول الله ﷺ وأسكت وأغضب واستغضب ومكث طويلا ثم تكلم فقال « من السائل ؟ » فقال الاعرابي أنا ذا فقال « ويحك ماذا يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لكفرتم ألا انه انما أهلك الذين من قبلكم أئمة الحرج والله لو أني أحللت لكم جميع ما في الارض وحرمت عليكم منها موضع خف لوقعتم فيه » قال فأنزل الله عند ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم الى آخر الآية) في اسناده ضعف وظاهر الآية النهي عن السؤال عن الاشياء التي اذا علم بها الشخص ساءته فالاولى الاعراض عنها وتركها وما أحسن الحديث الذي رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا حجاج قال سمعت اسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هاشم مولى لهمدان عن زيد بن زائد عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ لاصحابه « لا يبلغني أحد عن أحد شيئا فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر » الحديث وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث اسرائيل قال أبو داود عن الوليد وقال الترمذي عن اسرائيل عن السدي عن الوليد بن أبي هاشم به ثم قال الترمذي غريب من هذا الوجه وقوله تعالى (وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) أى وان تسألوا عن هذه الاشياء التي نهيتم عن السؤال عنها حين ينزل الوحي على رسول الله ﷺ تبين لكم (وذلك على الله يسير) ثم قال (عفا الله عنها) أى عما كان منكم قبل ذلك (والله غفور حليم) وقيل المراد بقوله (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) أى لا تسألوا عن أشياء تستأنفون السؤال عنها فلعله قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد أو تضييق وقد ورد في الحديث « أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته » ولكن إذا نزل القرآن بها مجملة فسألتم عن بيانها بينت لكم حينئذ لاحتياجكم اليها (عفا الله عنها) أي ما لم يذكره في كتابه فهو مما عفا عنه فاسكتوا أنتم عنها كما سكت عنها وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

عنه فعاد مرتين أو ثلاثا فقال النبي ﷺ « ما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم فاتركوني ما تركتم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم) أي أن تظهر لكم تسؤكم أي ان أمرتم بالعمل بها فان من سأل عن الحج لم يأمن أن يؤمر به في كل عام فيسوءه ومن سأل عن نسبه لم يأمن من أن يلحقه بغيره فيفتضح . وقال مجاهد نزلت حين سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام الا تراه

أنه قال « ذروني ما تركتم فانما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم » وفي الحديث الصحيح أيضا « إن الله تعالى فرض فرائض فلاتضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها» ثم قال تعالى (قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) أي قد سأل هذه المسائل المنهي عنها قوم من قبلكم فأجيبوا عنها ثم لم يؤمنوا بها فأصبحوا بها كافرين أى بسببها أن بينت لهم فلم ينتفعوا بها لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد بل على وجه الاستهزاء والعناد وقال العوفي عن ابن عباس في الآية ان رسول الله ﷺ أذن في الناس« فقال ياقوم كتب عليكم الحج »فقام رجل من بني أسد فقال يارسول الله أفي كل عام فأغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا فقال « والذي نفسي بيده لوقلت نعم لوجبت ولو وجبت مااستطعتم واذاً لكفرتم فاتركوني ماتركتكم واذا أمرتكم بشيء فافعلوا واذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه» فأنزل الله هذه الآية نهاهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت عنه النصارى من المائدة فاصبحوا بها كافرين فنهى الله عن ذلك وقال لاتسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ولكن انتظروا فاذا نزل القرآن فانكم لاتسألون عن شيء الا وجدتم بيانه رواه ابن جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وأن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم)قال لما نزلت آية الحج نادى النبي ﷺ في الناس فقال « يا أيها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج فحجوا »فقالوا يارسول الله أعاما واحدا أم كل عام؟فقال «لابل عاماواحداً ولو قلت كل عام لوجبت ولو وجبت لكفرتم» ثم قال الله تعالى(يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء) الى قوله(ثم أصبحوا بها كافرين) رواه ابن جرير وقال خصيف عن مجاهد عن ابن عباس(لاتسألوا عن أشياء) قال هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام ألاترى أنه قال بعدها(ماجعل الله من بحيرة) ولاكذا ولا كذا قال وأما عكرمة فقال إنهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال(قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) رواه ابن جرير ،يعني عكرمة رحمه الله أن المراد بهذا النهي عن سؤال وقوع الآيات كما سألت قريش أن يجري لهم أنهاراً وأن يجعل لهم الصفا ذهبا وغير ذلك وكما سألت اليهود أن ينزل عليهم كتابا من السماء وقد قال الله تعالى (وما منعنا أن نرسل

ذكرها بعد ذلك ﴿وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم﴾ معناه إن صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أونهي أوحكم وليس في ظاهره شرح مابكم اليه حاجة ومست حاجتكم اليه فاذا سألتم عنها حينئذ تبد لكم ﴿عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم﴾ كما سألت ثمود صالحاً الناقة وسأل قوم عيسى المائدة ﴿ ثم أصبحوا بها كافرين﴾ فأهلكوا قال أبو ثعلبة الخشني أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها .

بالآيات الا أن كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ومانرسل بالآيات الاتخويفا) وقال تعالى (واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لايؤمنون* ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كالم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون* ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون)

ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون(١٠٣) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون (١٠٤)

قال البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لايحمل عليها شيء قال وقال أبوهريرة قال رسول الله ﷺ «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبة في النار كان أول من سيب السوائب» والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الابل ثم تثني بعد بانثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم ان وصلت احداهما بالاخرى ليس بينهما ذكر، والحام فحل الابل يضرب الضراب المعدود فاذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه عن الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث ابراهيم بن سعد به ثم قال البخاري وقال لي أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال سمعت سعيداً يخبر بهذا قال وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ نحوه ورواه ابن الهاد عن ابن شهاب عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال الحاكم أراد البخاري أن يزيد بن عبد الله بن الهاد رواه عن عبد الوهاب بن بخت عن الزهري كذا حكاه شيخنا أبو الحجاج المزني في الاطراف وسكت

قوله عز وجل ﴿ ماجعل الله من بحيرة ﴾ أي ما أنزل الله ولا أمر به ﴿ ولاسائبة ولاوصيلة ولا حام ﴾ قال ابن عباس في بيان هذه الاوضاع البحيرة هي الناقة التي كانت اذاولدت خمسة أبطن بحروا أذنها أي شقوها وتركوا الحمل عليها ولم يركبوها، ولم يجزوا وبرها، ولم يمنعوها الماء والكلأ ثم نظروا إلى خامس ولدها فان كان ذكراً نحروه وأكله الرجال والنساء، وإن كان أنثى بحروا أذنها أي شقوها وتركوها وحرم على النساء لبنها ومنافعها وكانت منافعها خاصة للرجال فاذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة اذا تابعت ثنتي عشرة سنة أناثا سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجزو برها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذنها ثم خلي سبيلها مع أمها في الابل فلم يركب ظهرها

ولم ينبه عليه وفيما قاله الحاكم نظر فان الامام احمد وأباجعفر بن جرير روياه من حديث الليث بن سعد عن ابن الهاد عن الزهري نفسه والله أعلم، ثم قال البخاري حدثنا محمد بن أبي يعقوب أبوعبدالله الكرماني حدثنا حسان بن ابراهيم حدثنا يونس عن الزهري عن عروة أن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ « رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب» تفرد به البخاري وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن اسحاق حدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجون « ياأكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا به منك » فقال أكثم تخشى أن يضرني شبهه يارسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ «لا، انك مؤمن وهو كافر انه أول من غير دين ابراهيم وبحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامي» ثم رواه عن هناد عن عبدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه أو مثله، ليس هذان الطريقان في الكتب وقال الامام أحمد حدثنا عمرو بن مجمع حدثنا ابراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « إن أول من سيب السوائب وعبد الاصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر وإني رأيته يجر أمعاءه في النار » تفرد به احمد من هذا الوجه وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله ﷺ «إني لأعرف أول من سيب السوائب وأول من غير دين ابراهيم عليه السلام » قالوا ومن هو يارسول الله ؟ قال « عمرو بن لحي أخو بني كعب ، لقد رأيته يجر قصبة في النار تؤذي رائحته أهل النار واني لأعرف أول من بحر البحائر » قالوا ومن هو يارسول الله قال « رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجدع آذانهما وحرم ألبانهما ثم شرب ألبانهما بعد ذلك فلقد رأيته في النار وهما يعضانه بأفواههما ويطآنه باخفافهما » فعمرو هذا هو ابن لحي بن قمعة أحد رؤساء خزاعة الذين ولوا البيت بعد جرهم وكان أول من غير دين ابراهيم الخليل فأدخل الاصنام إلى الحجاز ودعا الرعاع من الناس إلى عبادتها والتقرب بها وشرع لهم هذه الشرائع الجاهلية في الانعام وغيرها كما ذكره الله تعالى في سورة

ولم يجز وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها فهي البحيرة بنت السائبة . وقال أبو عبيد: السائبة البعير الذي يسيب وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية كان اذا مرض أو غاب له قريب نذر فقال : إن شفاني الله تعالى أو شفي مريضي أو عاد غائبي فناقتي هذه سائبة ثم يسيبها فلا تحبس عن رعي ولا ماء ولا يركبها أحد فكانت بمنزلة البحيرة . وقال علقمة : هي العبد يسيب على أن لاولاء عليه ، ولا عقل ، ولا ميراث ، وقال النبي ﷺ « إنما الولاء لمن أعتق » والسائبة فاعلة بمعنى المفعولة وهي المسيبة كقوله تعالى (ماء دافق) أي مدفوق (وعيشة راضية) وأما الوصيلة فمن الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة أبطن نظروا ، فان كان السابع ذكراً ذبحوه فأكل منه الرجال والنساء ، وإن

الانعام عند قوله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) إلى آخر الآيات في ذلك

فاما البحيرة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما هي الناقة إذا نتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس فان كان ذكراً ذبحوه فأكله الرجال دون النساء وإن كان أنثى جدعوا آذانها فقالوا هذه بحيرة وذكر السدي وغيره قريبا من هذا، وأما السائبة فقال مجاهد هي من الغنم نحو مافسر من البحيرة إلا أنها ماولدت من ولد كان بينها وبينه ستة أولاد كانت على هيئتها فاذا ولدت السابع ذكراً أو ذكرين ذبحوه فأكله رجالهم دون نسائهم وقال محمد بن اسحاق السائبة هي الناقة إذا ولدت عشر اناث من الولد ليس بينهن ذكر سيبت فلم تركب ولم يجز وبرها ولم يحلب لبنها إلا الضيف وقال أبو روق السائبة كان الرجل إذا خرج فقضيت حاجته سيب من ماله ناقة أو غيرها فجعلها للطواغيت فما ولدت من شيء كان لها وقال السدي كان الرجل منهم إذا قضيت حاجته أو عوفي من مرض أو كثر ماله سيب شيئا من ماله للأوثان فمن عرض له من الناس عوقب بعقوبة في الدنيا

وأما الوصيلة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هي الشاة اذا نتجت سبعة أبطن نظروا الى السابع فان كان ذكراً وهو ميت اشترك فيه الرجال دون النساء وان كان أنثى استحيوها وإن كان ذكرا وأنثى في بطن واحد استحيوهما وقالوا وصلته أخته فحرمته علينا رواه ابن أبي حاتم وقال عبدالرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب (ولا وصيلة) قال فالوصيلة من الابل كانت الناقة تبتكر من الانثى ثم ثنت بأنثى فسموها الوصيلة ويقولون وصلت اثنتين ليس بينهما ذكر فكانوا يجدعونها لطواغيتهم وكذا روي عن الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى وقال محمد بن إسحاق الوصيلة من الغنم اذا ولدت عشر أناث في خمسة أبطن توأمين توأمين في كل بطن سميت الوصيلة وتركت فما ولدت بعد ذلك من ذكر أو أنثى جعلت للذكور دون الاناث وإن كانت ميتة اشتركوا فيها. وأما الحامي فقال العوفي عن ابن عباس قال كان الرجل اذا لقح فحله عشرا قيل حام فاتركوه وكذا قال أبو روق وقتادة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وأما الحام فالفحل من الابل اذا ولد لولده قالوا حمى هذا

كانت أنثى تركوها في الغنم ، وإن كان ذكراً وأنثى استحيوا الذكر من أجل الانثى وقالوا وصلت أخاها فلم يذبحوه وكان لبن الانثى حراما على النساء ، فان مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعاً وأما الحام فهو الفحل اذا ركب ولد ولده ، ويقال اذا نتج من صلبه عشرة ابطن قالوا حمي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من كلأ ولا ماء ، فاذا مات أكله الرجال والنساء

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال : البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس ، والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لايحمل عليها

ظهره فلا يحملون عليه شيئاً ولا يجزون له وبراً ولا يمنعونه من حمى رعي ومن حوض يشرب منه وان كان الحوض لغير صاحبه وقال ابن وهب سمعت مالكا يقول أما الحام فمن الابل كان يضرب في الابل فاذا انقضى ضرابه جعلوا عليه ريش الطواويس وسيبوه وقد قيل غير ذلك في تفسير هذه الآية وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي إسحاق السبيعي عن أبي الاحوص الجشمي عن أبيه مالك بن نضلة قال أتيت النبي ﷺ في خلقان من الثياب فقال لي «هل لك من مال؟» فقلت نعم قال « من أي المال؟ » قال فقلت من كل المال من الابل والغنم والخيل والرقيق قال « فاذا آتاك الله مالا فكثر عليك » ثم قال « تنتج أبلك وافية آذانها ؟ » قال قلت نعم قال « وهل تنتج الابل الا كذلك؟» قال « فلعلك تأخذ الموسى فتقطع آذان طائفة منها وتقول هذه بحير وتشق آذان طائفة منها وتقول هذه حرم » قلت نعم قال « فلا تفعل ان كل ما آتاك الله لك حل » ثم قال (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) أما البحيرة فهي التي يجدعون آذانها فلا تنتفع امرأته ولا بناته ولا أحد من أهل بيته بصوفها ولا أوبارها ولا أشعارها ولا ألبانها فاذا ماتت اشتركوا فيها

وأما السائبة فهي التي يسيبون لآلهتهم ويذهبون الي آلهتهم فيسيبونها، وأما الوصيلة فالشاة تلد ستة أبطن فاذا ولدت السابع جدعت وقطع قرنها فيقولون قد وصلت فلا يذبحونها ولا تضرب ولا تمنع مهما وردت على حوض، هكذا يذكر تفسير ذلك مدرجا في الحديث

وقد روي من وجه آخر عن أبي إسحاق عن أبي الاحوص عوف بن مالك من قوله وهو أشبه، وقد روى هذا الحديث الامام أحمد عن سفيان بن عيينة عن أبي الزعراء عمرو بن عمرو عن عمه أبي الاحوص عوف بن مالك بن نضلة عن أبيه به وليس فيه تفسير هذه والله أعلم

وقوله تعالى (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون) أي ماشرع الله هذه الاشياء ولا هي عنده قربة ولكن المشركون افتروا ذلك وجعلوه شرعا لهم وقربة يتقربون بها اليه وليس ذلك بحاصل لهم بل هو وبال عليهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والي الرسول

شيء . قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ « رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار » وكان أول من سيب السوائب . روى محمد بن اسحاق عن محمد بن ابراهيم التيمي عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لاكثم بن جون الخزاعي « يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندق يجر قصبه في النار فما رأيت من رجل أشبه برجل منك به ، ولا به منك ، وذلك أنه أول من غير دين اسماعيل ، ونصب الاوثان ، وبحر البحيرة ، وسيب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحامي فلقد رأيته في النار يؤذي أهل النار بريح قصبه » فقال أكثم : أيضرني شبهه يارسول الله ؟ فقال « لا انك مؤمن وهو كافر » ﴿ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب﴾ في قولهم الله أمرنا بها ﴿ وأكثرهم لايعقلون ▪ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله وإلى الرسول ﴾

قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا) أي أذا دعوا الى دين الله وشرعه وما أوجبه وترك ماحرمه قالوا يكفينا ماوجدنا عليه الآباء والاجداد من الطرائق والمسالك قال الله تعالى (أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئا) أي لايفهمون حقا ولا يعرفونه ولا يهتدون اليه فكيف يتبعونهم والحالة هذه لايتبعهم الا من هو أجهل منهم وأضل سبيلا

يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون (١٠٥)

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم ومخبراً لهم انه من أصلح أمره لايضره فساد من فسد من الناس سواء كان قريبا منه أو بعيدا . قال العوفي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية يقول تعالى اذا ماالعبد أطاعني فيما أمرته به من الحلال ونهيته عنه من الحرام فلا يضره من ضل بعده اذا عمل بما أمرته به وكذا روى الوالبي عنه وهكذا قال مقاتل ابن حيان فقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) نصب على الاغراء (لايضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) أي فيجازي كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وليس فيها دليل على ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا كان فعل ذلك ممكنا .وقد قال الامام احمد رحمه الله حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زهير يعني ابن معاوية حدثنا اسماعيل ابن أبي خالد حدثنا قيس قال قام ابو بكر الصديق رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انكم تقرءون هذه الآية (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم) وانكم تضعونها على غير موضعها واني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الناس اذا رأوا المنكر

في تحليل الحرث والانعام وبيان الشرائع والاحكام ﴿ قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا ﴾ من الدين قال الله تعالى ﴿ أولوا كان آباؤهم لايعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴾

قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم ﴾ روينا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : ياأيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم) وتضعونها في غير موضعها ولا تدرون ماهي ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الناس اذا رأوا منكراً فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه » وفي رواية « لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله سبحانه عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب ، ثم ليدعون الله عز وجل خياركم فلا يستجاب لكم » قال أبو عبيدة : خاف الصديق أن يتأول الناس الآية غير متأولها فيدعوهم إلى ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فأعلمهم أنها ليست كذلك ، وأن الذي أذن في الامساك عن تغييره من المنكر هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون

ولا يغيرونه يوشك الله عز وجل ان يعمهم بعقابه » قال وسمعت أبا بكر يقول يا أيها الناس اياكم والـكذب فان الـكذب مجانب الايمان

وقد روى هذا الحديث اصحاب السنن الاربعة وابن حبان في صحيحه وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة عن اسماعيل بن أبي خالد به متصلا مرفوعا ومنهم من رواه عنه به موقوفا على الصديق وقد رجح رفعه الدارقطني وغيره وذكرنا طرقه والـكلام عليه مطولا في مسند الصديق رضي الله عنه. وقال ابو عيسى الترمذي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا عتبة بن ابي حكيم حدثنا عمرو بن حارثة اللخمي من ابي امية الشعباني قال اتيت ابا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع في هذه الاية ؟ قال أية آية قلت قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) قال أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ فقال « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورائكم أياما الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون كعملكم » قال عبد الله بن المبارك وزاد غير عتبة قيل يارسول الله أجر خمسين رجلا منا أو منهم قال « بل أجر خمسين منكم » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب صحيح وكذا رواه أبو داود من طريق ابن المبارك ورواه ابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم عن عتبة بن أبي حكيم

وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحسن ان ابن مسعود رضي الله عنه سأله رجل عن قول الله (عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكنه قد يوشك أن يأتي زمانها تأمرون فيصنع بكم كذا وكذا أو قال فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل، ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع عن ابي العالية عن ابن مسعود في قوله (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل) الآية قال كانوا عند عبدالله بن مسعود جلوسا فكان بين رجلين بعض مايكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما الى صاحبه فقال رجل من جلساء عبدالله

من أجل أنهم يتدينون به وقد صولحوا عليه ، فأما الفسوق والعصيان والذنب من أهل الاسلام فلا يدخل فيه . وقال مجاهد وسعيد بن جبير : الآية في اليهود والنصارى يعني(عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل) من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم » وعن ابن عباس قال : في هذه الآية مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ماقبل منكم ، فان رد عليكم فعليكم أنفسكم ثم قال : إن القرآن نزل منه آي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ، ومنه آي وقع تأويلهن على عهد رسول الله ﷺ ، ومنه آي وقع تأويلهن بعد رسول الله » ومنه آي يقع تأويلهن في آخر الزمان ، ومنه آي يقع تأويلهن يوم القيامة ماذكر من الحساب والجنة والنار ، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً » ولم يذق

ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وانهاهما عن المنكر فقال آخر الى جنبه عليك بنفسك فان الله يقول (عليكم أنفسكم) الآية قال فسمعها ابن مسعود فقال مه لم يجيء تأويل هذه بعد إن القرآن أنزل حيث انزل ومنه آي قد مضى تأويلهن قبل ان ينزلن ومنه آي قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله ﷺ ومنه آي قد وقع تأويلهن بعد النبي ﷺ بيسير ومنه آي يقع تأويلهن بعد اليوم ومنه آي تأويلهن عند الساعة ماذكر من الساعة ومنه آي يقع تأويلهن يوم الحساب ماذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واحدة واهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وانهوا واذا اختلفت القلوب والاهواء والبستم شيعاً وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه وعند ذلك جاءنا تأويل هذه الآية رواه ابن جرير

وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا شبابة بن سوار حدثنا الربيع بن صبيح عن سفيان ابن عقال قال قيل لابن عمر لو جلست في هذه الايام فلم تأمر ولم تنه فان الله قال (عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال ابن عمر انها ليست لي ولا لأصحابي لان رسول الله ﷺ قال « الا فليبلغ الشاهد الغائب » فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب ولكن هذه الآية لاقوام يجيئون من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم. وقال أيضا حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر وأبوعاصم قالا حدثنا عوف عن سوار بن شبيب قال كنت عند ابن عمر إذ أتاه رجل جليد في العين شديد اللسان فقال يا أبا عبد الرحمن نفر ستة كلهم قد قرأ القرآن فاسرع فيه وكلهم مجتهد لايألو وكلهم بغيض اليه أن يأتي دناءة الا الخير وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك فقال رجل من القوم وأي دناءة تريد أكثر من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك ؟ فقال الرجل اني لست اياك أسأل إنما أسأل الشيخ فأعاد على عبدالله الحديث فقال عبدالله لعلك ترى لاأبالك اني سآمرك أن تذهب فتقتلهم عظهم وانههم وان عصوك فعليك بنفسك فان الله عز وجل يقول (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) الآية .وقال أيضا حدثني احمد بن المقدام حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا قتادة عن أبي مازن قال انطلقت على عهد عثمان الى المدينة فاذا قوم من المسلمين جلوس فقرأ أحدهم هذه الآية (عليكم أنفسكم

بعضكم بأس بعض فأمروا وانهوا ، واذا اختلفت القلوب والاهواء وألبستم شيعاً وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبدالله النعيمي انا أبوجعفر احمد بن محمد العنبري اخبرنا أبو عيسى بن نصر انا عبدالله بن المبارك انا عتبة بن أبي حكيم حدثني عمرو بن جارية اللخمي انا أبو أمية الشعباني قال : أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت ياأبا ثعلبة كيف تصنع في هذه الاية ؟ قال أية آية ؟ قلت قوله عز وجل (عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ فقال « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا

لا يضركم من ضل) فقال أكثرهم لم يجيء تأويل هذه الآية اليوم .وقال حدثنا القاسم حدثنا الحسن حدثنا ابو فضالة عن معاوية بن صالح عن جبير بن نفير قال كنت في حلقة فيها أصحاب رسول الله ﷺ واني لاصغر القوم فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقلت أنا أليس الله يقول في كتابه (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم)؟ فاقبلوا عليّ بلسان واحد وقالوا تنزع آية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها فتمنيت أني لم أكن تكلمت وأقبلوا يتحدثون فلما حضر قيامهم قالوا انك غلام حديث السن وانك نزعت آية ولا تدري ما هي وعسى أن تدرك ذلك الزمان اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك لا يضرك من ضل اذا اهتديت ،وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا ضمرة بن ربيعة قال تلا الحسن هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال الحسن الحمد لله بها والحمد لله عليها ما كان مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقي الاوالى جنبه منافق يكره عمله . وقال سعيد بن المسيب اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فلا يضرك من ضل اذا اهتديت رواه ابن جرير وكذا روي من طريق سفيان الثوري عن أبي العميس عن أبي البختري عن حذيفة مثله وكذا قال غير واحد من السلف . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد الدمشقي حدثنا الوليد حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن كعب في قوله (عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم) قال اذا هدمت كنيسة مسجد دمشق فجعلت مسجداً وظهر لبس العصب فحينئذ تأويل هذه الآية

يا أيها الذين آمنوا شهٰدة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصٰبتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد

رأيت شحاً مطاعا ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، ورأيت أمراً لا بد لك منه فعليك نفسك ودع أمر العوام فان وراءكم أيام الصبر ، فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله » قال ابن المبارك وزادني غيره قالوا يارسول الله أجر خمسين منهم ، قال « أجر خمسين منكم » وقيل نزلت في أهل الاهواء : قال أبو جعفر الرازي : دخل على صفوان بن محرز شاب من أهل الاهواء فذكر شيئاً من أمره ، فقال صفوان : ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أولياءه (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم) قوله عز وجل ﴿ إلى الله مرجعكم جميعاً ﴾ الضال والمهتدي ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ﴾ سبب نزول هذه الاية ماروي أن تميم بن أوس الداري وعدي بن زيد قد خرجا من المدينة للتجارة إلى أرض الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل

الصلوٰة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربىٰ ولا نكتم شهٰدة الله إنا إذاً لمن الآثمين (١٠٦) فإن عثر علىٰ أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاولين فيقسمان بالله لشهٰدتنا أحق من شهٰدتهما وما اعتدينا إنا إذاً لمن الظٰلمين (١٠٧) ذٰلك أدنى أن يأتوا بالشهٰدة علىٰ وجهها أو يخافوا أن ترد أيمٰن بعد أيمٰنهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفٰسقين (١٠٨)

اشتملت هذه الآية الكريمة على حكم عزيز قيل إنه منسوخ رواه العوفي عن ابن عباس وقاله حماد بن أبي سليمان عن ابراهيم انها منسوخة وقال آخرون وهم الاكثرون فيما قاله ابن جرير بل هو محكم ومن ادعى نسخه فعليه البيان فقوله تعالى (يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان) هذا هو الخبر [1] لقوله شهادة بينكم فقيل تقدير شهادة اثنين حذف المضاف

مولي عمرو بن العاص وكان مسلماً ، فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع مامعه من المتاع وألقاه في جوالقه ولم يخبر صاحبيه بذلك ، فلما اشتد وجعه أوصى إلى تميم وعدي وأمرهما أن يدفعا متاعه إذا رجعا إلى أهله ومات بديل ففتشا متاعه وأخذا منه إناء من فضة منقوشاً بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة فغيباه ثم قضيا حاجتهما فانصرفا إلى المدينة فدفعا المتاع إلى أهل البيت ففتشوا وأصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان معه فجاؤا تميما وعديا فقالوا : هل باع صاحبنا شيئا من متاعه ؟ قالا لا ، قالوا فهل اتجر تجارة ؟ قالا لا ، قالوا هل طال مرضه فأنفق على نفسه ؟ قالا لا ، فقالوا إنا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية مامعه ، وإنا قد فقدنا منها إناء من فضة مموهاً بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة قالا ماندري انما أوصى لنا بشيء فأمرنا أن ندفعه إليكم فدفعناه وما لنا علم بالاناء فاختصموا إلى النبي ﷺ فأصرا على الانكار وحلفا فأنزل الله عز وجل هذه الاية (يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم) (اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان) أي ليشهد اثنان لفظه خبر ومعناه أمر ، وقيل إن معناه أن الشهادة فيما بينكم على الوصية عند الموت اثنان واختلفوا في هذين الاثنين فقال قوم : هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي . وقال الآخرون : هما الوصيان لأن الآية نزلت فيهما ، ولأنه قال (تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان) ولا يلزم الشاهد يمين وجعل الوصي اثنين تأكيداً فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى

---

(١) قوله هذا هو الخبر كذا بالنسخ التي بأيدينا وحرر اهـ

وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل دل الكلام على تقدير ان يشهد اثنان وقوله تعالى (ذوا عدل) وصف الاثنين بان يكونا عدلين وقوله (منكم) أي من المسلمين قاله الجمهور قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله (ذوا عدل منكم) قال من المسلمين رواه ابن أبي حاتم ثم قال وروى عن عبيدة وسعيد بن المسيب والحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر والسدى وقتادة ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وغيرهم نحو ذلك قال ابن جرير وقال آخرون غير ذلك (ذوا عدل منكم) أي من أهل الموصي وذلك قول روى عن عكرمة وعبيدة وعدة غيرهما ، وقوله (أو آخران من غيركم) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن عوف حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا حبيب ابن أبي عمرة عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس في قوله (أو آخران من غيركم) قال من غير المسلمين يعني أهل الكتاب ثم قال وروى عن عبيدة وشريح وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين ويحيى بن يعمر وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة وأبي مجلز والسدى ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم نحو ذلك وعلى ماحكاه ابن جرير عن عكرمة وعبيدة في قوله منكم أن المراد من قبيلة الموصي يكون المراد ههنا (أو آخران من غيركم) أي من غير قبيلة الموصي وروى ابن أبي حاتم مثله عن الحسن البصري والزهري رحمهما الله ، وقوله تعالى (إن أنتم ضربتم في الارض) أي سافرتم (فأصابتكم مصيبة الموت) وهذان شرطان لجواز استشهاد الذميين عند فقد المؤمنين

حضرت . قال تعالى (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) يريد الحضور ﴿ ذوا عدل ﴾ أي أمانة وعقل ﴿ منكم ﴾ أي من أهل دينكم يامعشر المؤمنين ﴿ أو آخران من غيركم ﴾ أي من غير دينكم وملتكم في قول أكثر المفسرين . قاله ابن عباس وأبو موسى الاشعري وهو قول سعيد بن المسيب وابراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وعبيدة ، ثم اختلف هؤلاء في حكم الآية فقال النخعي وجماعة هي منسوخة ، وكانت شهادة أهل الذمة مقبوله في الابتداء ثم نسخت ، وذهب قوم إلى أنها ثابتة وقالوا : اذا لم نجد مسلمين فنشهد كافرين . قال شريح من كان بأرض غربة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته فأشهد كافرين على أي دين كانا من دين أهل الكتاب أو عبدة الاوثان فشهادتهم جائزة ولا يجوز شهادة كافر على مسلم إلا على وصية في سفر

وعن الشعبي أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة بتركته وأتيا الاشعري فأخبراه بتركته ووصيته فقال الاشعري هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد النبي ﷺ فأحلفهما وأمضى شهادتهما . وقال آخرون : قوله (ذوا عدل منكم) أي من حي الموصي (أو آخران من غيركم) أي من غير حيكم وعشيرتكم وهو قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا : لاتجوز شهادة كافر في شيء من الاحكام ﴿ إن أنتم ضربتم ﴾ سرتم وسافرتم ﴿ في الارض فأصابتكم مصيبة الموت ﴾ فأوصيتم اليهما ودفعتم اليهما مالكم فاتهمهما

أن يكون ذلك في سفر وأن يكون في وصية كما صرح بذلك شريح القاضي ، قال ابن جرير حدثنا عمرو ابن علي حدثنا أبو معاوية ووكيع قالا حدثنا الأعمش عن ابراهيم عن شريح قال لاتجوز شهادة اليهود والنصارى الا في سفر ولا تجوز في سفر الا في الوصية ثم رواه عن أبي كريب عن أبي بكر بن عياش عن أبي اسحاق السبيعي قال قال شريح فذكر مثله وروى نحوه عن الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى وهذه المسئلة من أفراده وخالفه الثلاثة فقالوا لاتجوز شهادة أهل الذمة على المسلمين وأجازها أبو حنيفة فيما بين بعضهم بعضا ، وقال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو داود حدثنا صالح بن أبي الاخضر عن الزهري قال مضت السنة أن لاتجوز شهادة الكافر في حضر ولا سفر انما هي في المسلمين وقال ابن زيد نزلت هذه الآية في رجل توفي وليس عنده أحد من أهل الاسلام وذلك في أول الاسلام والارض حرب والناس كفار وكان الناس يتوارثون بالوصية ثم نسخت الوصية وفرضت الفرائض وعمل الناس بها رواه ابن جرير وفي هذا نظر والله أعلم ، وقال ابن جرير اختلف في قوله (شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم) هل المراد به أن يوصي اليهما أو يشهدهما على قولين (أحدهما) أن يوصي اليهما كما قال محمد ابن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية قال هذا رجل سافر ومعه مال فأدركه قدره فان وجد رجلين من المسلمين دفع اليهما تركته واشهد عليهما عدلين من المسلمين رواه ابن أبي حاتم وفيه انقطاع ، (والقول الثاني) انهما يكونان شاهدين وهو ظاهر سياق الآية الكريمة فان لم يكن وصي ثالث معهما اجتمع فيهما الوصفان الوصاية والشهادة كما في قصة تميم الداري وعدي بن بداء كما سيأتي ذكرهما آنفا ان شاء الله وبه التوفيق ، وقد استشكل ابن جرير كونهما شاهدين قال لأنا لانعلم حكما يحلف فيه الشاهد وهذا لايمنع الحكم الذي تضمنته هذه الآية الكريمة وهو حكم مستقل بنفسه لايلزم أن يكون جاريا على قياس جميع الاحكام على أن هذا حكم خاص بشهادة خاصة في محل خاص وقد اغتفر فيه من الامور مالم يغتفر في غيره فاذا قامت قرينة الريبة حلف هذا الشاهد بمقتضى مادلت عليه هذه الآية الكريمة وقوله تعالى (تحبسونهما من بعد الصلاة) قال العوفي عن ابن عباس يعني صلاة العصر وكذا قال سعيد بن جبير وابراهيم النخعي وقتادة وعكرمة ومحمد بن سيرين وقال الزهري يعني صلاة المسلمين وقال السدي عن ابن عباس يعني صلاة أهل دينهما وروي عن عبد الرزاق عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة وكذا قال ابراهيم وقتادة وغير واحد ، والمقصود أن يقام هذان الشاهدان بعد صلاة

بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه أن ﴿ تحبسونهما ﴾ أي تسترقفونهما ﴿ من بعد الصلاة ﴾ أي بعد الصلاة ومن صلة يريد بعد صلاة العصر . هذا قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير وقتادة وعامة المفسرين لأن جميع أهل الاديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب . وقال الحسن : أراد من بعد الصلاة الظهر . وقال السدي : من بعد صلاة أهل دينهما وملتهما لأنهما

اجتمع الناس فيها بحضرتهم (فيقسمان بالله) أى فيحلفان بالله (ان ارتبتم) أى ان ظهرت لكم منهما ريبة انهما خانا أو غلا فيحلفان حينئذ بالله (لا نشتري به) أي بأيماننا قاله مقاتل بن حيان (ثمنا) أى لا نعتاض عنه بعوض قليل من الدنيا الفانية الزائلة (ولو كان ذا قربى) أى ولو كان المشهود عليه قريبا لنا لا نحابيه (ولا نكتم شهادة الله) أضافها الى الله تشريفا لها وتعظيما لامرها وقرأ بعضهم (ولا نكتم شهادة الله) مجرورا على القسم رواها ابن جرير عن عامر الشعبي وحكي عن بعضهم أنه قرأها(ولا نكتم شهادة الله) والقراءة الاولى هي المشهورة (إنا اذاً لمن الآثمين) أى ان فعلنا شيئاً من ذلك من تحريف الشهادة أو تبديلها أو تغييرها أو كتمها بالكلية ، ثم قال تعالى (فان عثر على أنهما استحقا اثما) أى فان اشتهر وظهر وتحقق من الشاهدين الوصيين أنهما خانا أو غلاّ شيأ من المال الموصى به اليهما وظهر عليهما بذلك (فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان) هذه قراءة الجمهور (استحق عليهم الاوليان)

لا يباليان بصلاة العصر ﴿ فيقسمان ﴾ يحلفان ﴿ بالله إن ارتبتم ﴾ أي شككتم ووقعت لكم الريبة في قول الشاهدين وصدقهما ، أي في قول اللذين ليسا من أهل ملتكم فان كانا مسلمين فلا يمين عليهما ﴿ لا نشتري به ثمناً ﴾ أي لا نحلف بالله كاذبين على عوض نأخذه ، أو مال نذهب به ، أو حق نجحده ﴿ ولو كان ذا قربى ﴾ ولو كان المشهود له ذا قرابة منا ﴿ ولا نكتم شهادة الله ﴾ أضاف الشهادة إلى الله لأنه أمر باقامتها ونهى عن كتمانها ، وقرأ يعقوب شهادة بتنوين آلله ممدود وجعل الاستفهام عوضاً عن حرف القسم ، ويروى عن أبي جعفر شهادة منونة الله بقطع الالف وكسر الهاء من غير استفهام على ابتداء اليمين أي والله ﴿ إنا اذاً لمن الآثمين ﴾ أي إن كتمناها كنا من الآثمين ، فلما نزلت هذه الآية صلى رسول الله ﷺ صلاة العصر ودعا تميما وعديا فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا إله إلا هو أنهما لم يختانا شيئاً مما دفع اليهما فحلفا على ذلك وخلى رسول الله ﷺ سبيلهما ثم ظهر الاناء واختلفوا في كيفية ظهوره ، فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم أنه وجد بمكة فقالوا إنا اشتريناه من تميم وعدي . وقال الآخرون : لما طالت المدة أظهروه فبلغ ذلك بني سهم فأتوهما في ذلك فقالا : إنا كنا قد اشتريناه منه هذا ، فقالوا ألم تزعما أن صاحبنا لم يبع شيئاً من متاعه ، قالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا أن نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعهما إلى رسول الله ﷺ

فأنزل الله عز وجل ﴿ فان عثر ﴾ أي اطلع على خيانتهما وأصل العثور الوقوع على الشيء ﴿ على أنهما ﴾ يعني الوصيين ﴿ استحقا ﴾ استوجبا ﴿ إثماً ﴾ بخيانتهما وبأيمانهما الكاذبة ﴿ فآخران ﴾ من أولياء الميت ﴿ يقومان مقامهما ﴾ يعني مقام الوصيين ﴿ من الذين استحق ﴾ بضم التاء على المجهول هذا قراءة العامة يعني الذين استحق ﴿ عليهم ﴾ أي فيهم ولأجلهم الاثم وهم ورثة الميت استحق الحالفان بسببهم الاثم ، وعلى بمعنى في كما قال الله (على ملك سليمان) وقرأ حفص استحق بفتح التاء والحاء وهي قراءة علي والحسن أي حق ووجب عليهم الاثم يقال حق واستحق بمعنى واحد ﴿ الاوليان ﴾ نعت للآخران ، أي فآخران الاوليان وانما جاز ذلك ، والاوليان معرفة ، والآخران

وروي عن علي وأبي الحسن البصري أنهم قرؤوها (استحق عليهم الاوليان) وروى الحاكم في المستدرك من طريق اسحاق بن محمد الفردي عن سليمان بن بلال عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبيدالله بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ (من الذين استحق عليهم الاوليان) ثم قال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقرأ بعضهم ومنهم ابن عباس (من الذين استحق عليهم الاولين) وقرأ الحسن (من الذين استحق عليهم الاولان) حكاه ابن جرير فعلى قراءة الجمهور يكون المعنى بذلك أى متى تحقق ذلك بالخبر الصحيح على خيانتهما فليقم اثنان من الورثة المستحقين للتركة وليكونا من أولى من يرث ذلك المال (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) أى لقولنا انهما خانا أحق وأصح وأثبت من شهادتهما المتقدمة (وما اعتدينا) أى فيما قلنا فيهما من الخيانة (انا اذاً لمن الظالمين) أى ان كنا قد كذبنا عليهما وهذا التحليف للورثة والرجوع الى قولهما والحالة هذه كما يحلف أولياء المقتول اذا ظهر لوث في جانب القاتل فيقسم المستحقون على القاتل فيدفع برمته اليهم كما هو مقرر في باب القسامة من الاحكام، وقد وردت السنة بمثل مادلت عليه هذه الآية الكريمة فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسين بن زياد حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق عن أبي النضر عن باذان يعني أبا صالح مولى أم هانيء بنت أبي طالب عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الآية (ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت) قال بريء الناس منها غيري وغير عدي بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام قبل الاسلام فأتيا الشام لتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة معه جام من فضة يريد به الملك وهو أعظم تجارته فمرض فاوصى اليهما وأمرهما أن يبلغا ماترك أهله قال تميم فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بالف درهم واقتسمناه أنا وعدي فلما قدمنا الى أهله دفعنا اليهم ماكان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا ماترك غير هذا وما دفع الينا غيره قال تميم فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة تأثمت من ذلك فأتيت أهله فاخبرتهم الخبر ودفعت اليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها فوثبوا عليه فامرهم النبي أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه فحلف فنزلت (ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم) الى قوله (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا فنزعت الخمسمائة من عدي بن بداء وهكذا رواه أبو عيسى

نكرة لأنه لما وصف الآخران فقال (من الذين) صار كالمعرفة في المعنى (والاوليان) تثنية الاولى والاولى هو أقرب. وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم ويعقوب الاولين بالجمع فيكون بدلا من الذين والمراد منهم أيضاً أولياء الميت، ومعنى الآية اذا ظهرت خيانة الحالفين يقوم اثنان آخران من أقارب الميت ﴿فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما﴾ يعنى يميننا أحق من يمينهما نظيره قوله تعالى في اللعان (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله) والمراد بها الايمان فهو كقول القائل: أشهد بالله، أي أقسم بالله ﴿وما اعتدينا﴾ في أيماننا وقولنا أن شهادتنا أحق من شهادتهما ﴿إنا إذاً لمن الظالمين﴾

الترمذي وابن جرير كلاهما عن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني عن محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق به فذكره وعنده فأتوا به رسول الله ﷺ فسألهم البينة فلم يجدوا فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه فحلف فأنزل الله هذه الآية الى قوله (أو يخافوا ان ترد أيمان بعد أيمانهم) فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة من عدي بن بداء، ثم قال هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح وأبو النضر الذي روى عنه محمد بن اسحاق هذا الحديث هو عندي محمد بن السائب الكلبي يكنى أبا النضر وقد تركه أهل العلم بالحديث وهو صاحب التفسير سمعت محمد بن اسمعيل يقول محمد بن السائب الكلبي يكني أبا النضر ثم قال ولا نعرف لأبي النضر رواية عن أبي صالح مولى أم هاني، وقد روي عن ابن عباس شيء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا يحيى بن ادم عن ابن أبي زائدة عن محمد ابن أبي القاسم عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب فأحلفهما رسول الله ﷺ ووجدوا الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدي فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وان الجام لصاحبهم وفيهم نزلت (ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم) الآية وكذا رواه أبو داود عن الحسن بن علي عن يحيى بن آدم به ثم قال الترمذى هذا حديث حسن غريب وهو حديث ابن أبى زائدة ومحمد بن أبي القاسم الكوفي قيل إنه صالح الحديث وقد ذكر هذه القصة مرسلة غير واحد من التابعين منهم عكرمة ومحمد بن سيرين وقتادة وذكروا ان التحليف كان بعد صلاة العصر رواه ابن جرير وكذا ذكرها مرسلة مجاهد والحسن والضحاك وهذا يدل على اشتهارها في السلف وصحتها، ومن الشواهد لصحة هذه القصة أيضا مارواه أبو جعفر بن جرير حدثني يعقوب حدثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبي أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه قال فحضرته الوفاة ولم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته فاشهد رجلين من أهل الكتاب قال فقدما الكوفة فأتيا الاشعري يعني أبا موسى الاشعرى رضي الله عنه فأخبراه وقدما الكوفة بتركته ووصيته فقال الاشعري هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله ﷺ قال فأحلفهما بعد العصر بالله ماخانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وأنها لوصية الرجل وتركته قال فامضي شهادتهما ثم رواه عن عمرو ابن علي الفلاس عن أبي داود الطيالسي عن شعبة عن مغيرة الازرق عن الشعبي أن أبا موسى قضى به

فلما نزلت هذه الآية قام عمر بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر فدفع الاناء اليهما وإلى أولياء الميت، وكان تميم الداري بعد ماأسلم يقول : صدق الله ورسوله أنا أخذت الاناء فأتوب إلى الله وأستغفره، وانما انتقل اليمين إلى الاولياء لأن الوصيين ادعيا أنهما ابتاعاه والوصي اذا أخذ شيئاً من مال الميت وقال إنه أوصى لي به حلف الوارث اذا أنكر ذلك ، وكذلك

وهذان اسنادان صحيحان الى الشعبي عن أبي موسى الاشعري، فقوله هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله ﷺ الظاهر والله أعلم انه انما أراد بذلك قصة تميم وعدي بن بداء وقد ذكروا أن إسلام تميم بن أوس الداري رضي الله عنه كان سنة تسع من الهجرة فعلى هذا يكون هذا الحكم متأخرا يحتاج مدعي نسخه الى دليل فاصل في هذا المقام والله أعلم

وقال أسباط عن السدي في الآية (ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) قال هذا في الوصية عند الموت يوصي ويشهد رجلين من المسلمين على ماله وما عليه قال هذا في الحضر (أو آخران من غيركم) في السفر (ان أنتم ضربتم في الارض فأصابتكم مصيبة الموت) هذا الرجل يدركه الموت في سفره وليس بحضرته أحد من المسلمين فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس فيوصي اليهما ويدفع اليهما ميراثه فيقبلان به فان رضي أهل الميت الوصية وعرفوا مالصاحبهم تركوهما وإن ارتابوا رفعوهما الى السلطان فذلك قوله تعالى (تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم) قال عبدالله بن عباس رضي الله عنه كأني انظر الى العلجين حين انتهي بهما الى أبي موسى الاشعري في داره ففتح الصحيفة فأنكر أهل الميت وخوفوهما فأراد أبو موسى أن يستحلفهما بعد العصر فقلت انهما لايباليان صلاة العصر ولكن استحلفهما بعد صلاتهما في دينهما فيوقف الرجلان بعد صلاتهما في دينهما فيحلفان بالله (لا نشتري به ثمنا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين) ان صاحبهم لبهذا أوصى وان هذه لتركته فيقول لهما الامام قبل أن يحلفا انكما ان كتمتما أو خنتما فضحتكما في قومكما ولم تجز لكما شهادة وعاقبتكما فاذا قال لهما ذلك (فان ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) رواه ابن جرير ـ وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا هشيم أخبرنا مغيرة عن إبراهيم وسعيد بن جبير انهما قال في هذه الآية(ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم) الآية قالا اذا حضر الرجل الوفاة في سفر فليشهد رجلين من المسلمين فان لم يجد رجلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب فاذا قدما بتركته فان صدقهما الورثة قبل قولهما وان اتهموهما حلفا بعد صلاة العصر بالله ماكتمنا ولا كذبنا ولا خنا ولا غيرنا، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية فان ارتيب في شهادتهما استحلفا بعد العصر بالله ما اشترينا بشهادتنا ثمنا قليلا فان اطلع الاولياء على أن الكافرين كذبا في شهادتهما قام رجلان من الاولياء فحلفا بالله ان شهادة الكافرين باطلة وانا لم نعتد فذلك قوله (فان عثر على انهما استحقا

لو ادعى رجل سلعة في يد رجل فاعترف ثم ادعى أنه اشتراها من المدعي حلف المدعي أنه لم يبعها منه ، ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن تميم الداري قال : كنا بعنا الاناء بألف درهم فقسمتها أنا وعدي ـ فلما أسلمت تأثمت فأتيت موالي الميت فأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها فأتوا به إلى رسول الله ﷺ وحلف عمرو والمطلب فنزعت الخمسمائة من عدي ورددت أنا الخمسمائة

اثما) يقول ان اطلع على أن الكافرين كذبا (فآخران يقومان مقامهما) يقول من الاولياء فحلفا بالله ان شهادة الكافرين باطلة وانا لم نعتد فترد شهادة الكافرين وتجوز شهادة الاولياء وهكذا روى العوفي عن ابن عباس رواهما ابن جرير وهكذا قرر هذا الحكم علي مقتضى هذه الآية غير واحد من أئمة التابعين والسلف رضي الله عنهم وهو مذهب الامام أحمد رحمه الله ، وقوله (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) اي شرعية هذا الحكم على هذا الوجه المرضي من تحليف الشاهدين الذميين واسترِيب بهما أقرب الى اقامتهما الشهادة على الوجه المرضي

وقوله (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) أن يكون الحامل لهم على الاتيان بها على وجهها هو تعظيم الحلف بالله ومراعاة جانبه واجلاله والخوف من الفضيحة بين الناس ان ردت اليمين على الورثة فيحلفون ويستحقون ما يدعون ولهذا قال (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) ثم قال (واتقوا الله) أي في جميع أموركم (واسمعوا) أي وأطيعوا (والله لايهدى القوم الفاسقين) أي الخارجين عن طاعته ومتابعة شريعته

يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب (١٠٩)

هذا إخبار عما يخاطب الله به المرسلين يوم القيامة عما أجيبوا به من أممهم الذين أرسلهم اليهم كما قال تعالى (فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين) وقال تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) وقول الرسل (لاعلم لنا) قال مجاهد والحسن البصري والسدي انما قالوا ذلك من هول ذلك اليوم قال عبد الرزاق عن الثوري عن الاعمش عن مجاهد (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) فيفزعون فيقولون (لاعلم لنا) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام حدثنا عنبسة قال سمعت شيخا يقول سمعت الحسن يقول في قوله (يوم يجمع الله الرسل) الآية قال من هول ذلك اليوم

فذلك قوله تعالى ﴿ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها﴾ ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين أجدر ، وأحرى أن يأتي الوصيان بالشهادة على وجهها وسائر الناس أمثالهم ، أي أقرب إلى الاتيان بالشهادة على ماكانت ﴿أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ أي أقرب إلى أن يخافوا رد اليمين بعد يمينهم على المدعين فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فلايحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم ﴿واتقوا الله﴾ أن تحلفوا أيمانا كاذبة وتخونوا أمانة ﴿واسمعوا﴾ الموعظة ﴿والله لايهدي القوم الفاسقين﴾

قوله عز وجل ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ وهو يوم القيامة ﴿فيقول﴾ لهم ﴿ماذا أجبتم﴾ أي ماالذي أجابتكم أمتكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم إلى توحيدي وطاعتي ﴿قالوا﴾ أي ﴿لاعلم لنا﴾ قال ابن عباس معناه لاعلم لنا إلا العلم الذي أنت أعلم به منا وقيل لاعلم لنا بوجه الحكمة

وقال أسباط عن السدي يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لاعلم لنا)ذلك انهم نزلوا منزلا ذهلت فيه العقول فلما سئلوا قالوا (لا علم لنا) ثم نزلوا منزلا آخر فشهدوا على قومهم رواه ابن جرير ثم قال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا الحجاج عن ابن جريج قوله (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) أي ماذا عملوا بعدكم وماذا أحدثوا بعدكم قالوا (لاعلم لنا انك أنت علام الغيوب) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لاعلم لنا إنك أنت علام الغيوب) يقولون للرب عز وجل لاعلم لنا الا علم أنت أعلم به منا رواه ابن جرير ثم اختاره على هذه الاقوال الثلاثة ولا شك انه قول حسن وهو من باب التأدب مع الرب جل جلاله أي لاعلم لنا بالنسبة الى علمك المحيط بكل شيء فنحن وإن كنا قد أجبنا وعرفنا من أجابنا ولكن منهم من كنا انما نطلع على ظاهره لاعلم لنا بباطنه وأنت العليم بكل شيء المطلع على كل شيء فعلمنا بالنسبة الى علمك كلا علم فانك (أنت علام الغيوب)

إذ قال الله يٰعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى وٰلدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتٰب والحكمة والتورٰة والانجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبريء الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتىٰ بإذني وإذ كففت بني إسرآءيل عنك إذ جئتهم بالبينٰت فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين (١١٠) وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون(١١١)

يذكر تعالى ما امتن به على عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام مما أجراه على يديه من المعجزات الباهرات وخوارق العادات فقال (اذكر نعمتي عليك)أي في خلقي إياك من أم بلا ذكر

عن سؤالك إيانا عن أمر أنت أعلم به منا . وقال ابن جريج : لاعلم لنا بعاقبة أمرهم وبما أحدثوا من بعد، دليله أنه قال﴿ انك أنت علام الغيوب ﴾ أي أنت الذي تعلم ماغاب ونحن لانعلم إلا مانشاهد أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسلم بن ابراهيم أنا وهيب أنا عبد العزيز عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى اذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي » فيقال لاتدري ماأحدثوا بعدك . وقال ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي : إن للقيامة أهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك اليوم و يذهلون عن الجواب ثم بعد ماثابت اليهم عقولهم يشهدون على أممهم قوله تعالى ﴿ إذ قال الله ياعيسي ابن مريم اذكر نعمتي عليك ﴾ قال الحسن : ذكر النعمة شكرها

وجعلي إياك آية ودلالة قاطعة على كمال قدرتي على الاشياء (وعلى والدتك) حيث جعلتك لها برهاناً على براءتها مما نسبه الظالمون والجاهلون اليها من الفاحشة (إذ أيدتك بروح القدس) وهوجبريل عليه السلام وجعلتك نبياً داعياً الى الله في صغرك وكبرك فأنطقتك في المهد صغيراً فشهدت ببراءة أمك من كل عيب واعترفت لي بالعبودية وأخبرت عن رسالتي إياك ودعوت الى عبادتي ولهذا قال (تكلم الناس في المهد وكهلا) أي تدعو الى الله الناس في صغرك وكبرك وضمن تكلم تدعو لأن كلامه الناس في كهولته ليس بأمر عجيب وقوله(وإذ علمتك الكتاب والحكمة) أي الخط والفهم (والتوراة) وهي المنزله على موسى بن عمران الكليم وقد يرد لفظ التوراة في الحديث ويراد به ماهو أعم من ذلك وقوله (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني) أي تصوره وتشكله على هيئة الطائر باذني لك في ذلك فتنفخ فيهافتكون طيراً باذني أي فتنفخ في تلك الصورة التي شكلتها باذني لك في ذلك فتكون طيراً ذا روح تطير باذن الله وخلقه

وقوله تعالى (وتبرىء الأكمه والابرص باذني) قد تقدم الكلام عليه في سورة آل عمران بما أغنى عن إعادته

وقوله (وإذ تخرج الموتى باذني) أي تدعوهم فيقومون من قبورهم باذن الله وقدرته وارادته ومشيئته، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مالك بن اسماعيل حدثنا محمد بن طلحة يعني ابن مصرف عن أبي بشر عن أبي الهذيل قال كان عيسى بن مريم عليه السلام اذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين يقرأ في الاولى (تبارك الذي بيده الملك) وفي الثانية (الم تنزيل) السجدة فاذا فرغ منهما مدح الله واثنى عليه ثم دعا بسبعة أسماء ياقديم ياخفي يادائم يافرد ياوتر ياأحد ياصمد وكان إذا اصابته شديدة دعا بسبعة أخر ياحي ياقيوم ياالله يارحمن ياذا الجلال والاكرام يانور السموات والارض وما بينهما ورب العرش العظيم يارب وهذا أثر عظيم[1] جداً

وقوله تعالى (وإذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان

«١» وفي المكية عجيب

وأراد بقوله (نعمتي) أي نعمي لفظه واحد ومعناه جمع كقوله تعالى(وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) ﴿ وعلى والدتك ﴾ مريم ثم ذكر النعم فقال ﴿ إذ أيدتك ﴾ قويتك ﴿ بروح القدس ﴾ يعني جبريل عليه السلام ﴿ تكلم الناس ﴾ يعني وتكلم الناس ﴿ في المهد ﴾ صبياً ﴿ وكهلا ﴾ نبياً . قال ابن عباس أرسله الله وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه الله اليه ﴿ وإذ علمتك الكتاب ﴾ يعني الخط ﴿ والحكمة ﴾ يعني العلم والفهم ﴿ والتوراة والانجيل * وإذ تخلق ﴾ تجعل وتصور ﴿ من الطين كهيئة الطير ﴾ كصورة الطير ﴿ باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً ﴾ حياً يطير ﴿ باذني وتبرىء ﴾ وتصحح ﴿ الاكمه والابرص باذني * وإذ تخرج الموتى ﴾ من قبورهم أحياء ﴿ باذني * وإذ كففت ﴾ منعت وصرفت ﴿ بني اسرائيل ﴾ يعني اليهود ﴿ عنك ﴾ حين هموا بقتلك ﴿ إذ جئتهم بالبينات ﴾

هذا الاسحر مبين) أي واذكر نعمتي عليك في كفي اياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله اليهم فكذبوك واتهموك بأنك ساحر وسعوا في قتلك وصلبك فنجيتك منهم ورفعتك الي وطهرتك من دنسهم وكفيتك شرهم وهذا يدل على أن هذا الامتنان كان من الله اليه بعد رفعه الى السماء الدنيا أو يكون هذا الامتنان واقعاً يوم القيامة وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة وهذا من اسرار الغيوب التي أطلع الله عليها نبيه محمداً ﷺ

وقوله (وإذ أوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي) وهذا أيضاً من الامتنان عليه عليه السلام بأن جعل له أصحاباً وأنصاراً ثم قيل المراد بهذا الوحي وحي الهام كما قال تعالى (وأوحينا الى أم موسى ان ارضعيه) الآية وهو وحي الهام بلا خلاف وكما قال تعالى (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا) الآية وهكذا قال بعض السلف في هذه الآية (وإذ أوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) أي الهموا ذلك فامتثلوا ما ألهموا قال الحسن البصري ألهمهم الله عز وجل ذلك وقال السدي قذف في قلوبهم ذلك ويحتمل أن يكون المراد واذ اوحيت اليهم بواسطتك فدعوتهم الى الايمان بالله وبرسوله واستجابوا لك وانقادوا وتابعوك فقالوا (آمنا بالله واشهد بأننا مسلمون)

اذ قال الحواريون يٰعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين (١١٢) قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشٰهدين (١١٣) قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرّٰزقين (١١٤) قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العٰلمين (١١٥)

هذه قصة المائدة واليها تنسب السورة فيقال سورة المائدة وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله

يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات وهي التي ذكرناه، وسميت بالبينات لأنها مما يعجز عنها سائر الخلق الذين ليسوا بمرسلين ﴿ فقال الذين كفروا منهم إن هـذا ﴾ ماهذا ﴿ إلا سحر مبين ﴾ يعني ماجاءهم به من البينات ، وقرأ حمزة والكسائي ساحر مبين ههنا وفي سورة هود والصف ، فيكون راجعاً إلى عيسى عليه السلام ، وفي هود يكون راجعاً إلى محمد ﷺ

﴿ واذ أوحيت إلي الحواريين ﴾ أي ألهمتهم وقذفت في قلوبهم . وقال أبو عبيدة : يعني أمرت وإلى صلة والحواريون خواص أصحاب عيسى عليه السلام ﴿ أن آمنوا بي وبرسولي ﴾ عيسى ﴿ قالوا ﴾ حين وفقتهم ﴿ آمنا واشهد بأننا مسلمون * إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ﴾

عيسى لما أجاب دعاءه بنزولها فانزلها الله آية باهرة وحجة قاطعة وقد ذكر بعض الائمة أن قصتها ليست مذكورة في الانجيل ولا يعرفها النصارى الا من المسلمين فالله أعلم فقوله تعالى (إذ قال الحواريون) وهم أتباع عيسى عليه السلام (ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك) هذه قراءة كثيرين وقرأ آخرون (هل تستطيع ربك) أي هل تستطيع أن تسأل ربك (أن ينزل علينا مائدة من السماء) والمائدة هي الخوان عليه طعام وذكر بعضهم أنهم إنما سألوا ذلك لحاجتهم وفقرهم فسألوه أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها ويتقوون بها على العبادة(قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) أي فاجابهم المسيح عليه السلام قائلا لهم اتقوا الله ولا تسألوا هذا فعساه أن يكون فتنة لكم وتوكلوا على الله في طلب الرزق ان كنتم مؤمنين (قالوا نريد أن نأكل منها) أي نحن محتاجون الى الاكل منها (وتطمئن قلوبنا) اذا شاهدنا نزولها رزقا لنا من السماء (ونعلم أن قد صدقتنا) أي ونزداد ايمانا بك وعلما برسالتك

قرأ الكسائي (هل تستطيع) بالتاء ربك بنصب الباء وهو قراءة علي وعائشة وابن عباس ومجاهد أي هل تستطيع أن تدعو وتسأل ربك . وقرأ الآخرون يستطيع بالياء وربك برفع الباء ولم يقولوا شاكين بقدرة الله عز وجل ، ولكن معناه هل ينزل ربك أم لا ؟ كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تنهض معي وهو يعلم أنه يستطيع، وانما يريد أن يفعل ذلك أم لا ؟ وقيل يستطيع بمعنى يطيع يقال أطاع واستطاع بمعنى واحد كقولهم أجاب واستجاب معناه هل يطيعك ربك باجابة سؤالك، وفي الآثار «من أطاع الله أطاعه الله» وأجرى بعضهم على الظاهر فقالوا غلط القوم وقالوه قبل استحكام المعرفة وكانوا بشراً فقال لهم عيسى عليه السلام عند الغلط استعظاما لقولهم (اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) أي لا تشكوا في قدرته «أن ينزل علينا مائدة من السماء» المائدة الخوان الذي عليه الطعام وهي فاعلة من ماده يميده اذا أعطاه وأطعمه كقوله ماره يميره وامتار افتعل منه ، والمائدة هي المطعمة المعطية للآكلين وسمي الطعام أيضاً مائدة على الجوار[1] لأنه يؤكل على المائدة . وقال أهل الكوفة : سميت مائدة لأنها تميد بالآكلين أي تميل . وقال أهل البصرة فاعلة بمعنى المفعولة يعني ميد بالآكلين اليها كقوله تعالى (عيشة راضية) أى مرضية ﴿ قال ﴾ عيسى عليه السلام مجيباً لهم ﴿ اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾ فلا تشكوا في قدرته ، وقيل اتقوا الله أن تسألوه شيئاً لم يسأله الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الايمان ﴿ قالوا نريد ﴾ أى انما سألنا لانا نريد ﴿ أن نأكل منها ﴾ أكل تبرك لا أكل حاجة فنستيقن قدرته ﴿ وتطمئن ﴾ وتسكن ﴿ قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ﴾ بأنك رسول الله ، أى نزداد إيماناً ويقيناً ، وقيل إن عيسى عليه السلام أمرهم أن يصوموا ثلاثين يوما فاذا أفطروا لايسألون الله شيئاً إلا أعطاهم ففعلوا وسألوا المائدة وقالوا : ونعلم أن قد صدقتنا في قولك أنا اذا صمنا ثلاثين يوما لا نسأل الله تعالى

[1] «١» في الهندية « الخوان » وما هنا أولى

(ونكون عليهامن الشاهدين) أي ونشهد أنها آية من عند الله ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به (قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) قال السدي اي نتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا وقال سفيان الثوري يعني يوما نصلي فيه وقال قتادة أرادوا أن يكون لعقبهم من بعدهم وعن سلمان الفارسي عظة لنا ولمن بعدنا وقيل كافية لأولنا وآخرنا (وآية منك) أي دليلا تنصبه على قدرتك على الاشياء وعلى اجابتك لدعوتي فيصدقوني فيما أبلغه عنك (وارزقنا) أي من عندك رزقا هنيئا بلا كلفة ولا تعب (وأنت خير الرازقين*قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم) أي فمن كذب بها من أمتك ياعيسى وعاندها (فاني أعذبه عذابا لا اعذبه أحدا من العالمين) اي من عالمي زمانكم كقوله تعالى (ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وكقوله (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) وقد روى ابن جرير من طريق عوف الاعرابي عن أبي المغيرة القواس عن عبد الله بن عمر قال ان اشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون

﴿ ذكر أخبار رويت عن السلف في نزول المائدة على الحواريين ﴾

قال أبو جعفر بن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن ليث عن عقيل عن ابن عباس أنه كان يحدث عن عيسى أنه قال لبني اسرائيل هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوما ثم تسألوه

شيئا إلا أعطانا ﴿ ونكون عليها من الشاهدين ﴾ لله بالوحدانية والقدرة ولك بالنبوة والرسالة ، وقيل ونكون من الشاهدين لك عند بني اسرائيل اذا رجعنا اليهم

﴿ قال عيسى ابن مريم ﴾ عند ذلك ﴿ اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ﴾ وقيل إنه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ رأسه وغض بصره وبكى ثم قال : اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ﴿ تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا ﴾ أى عائدة من الله علينا حجة وبرهاناً والعيد يوم السرور سمي به للعود من الترح إلى الفرح وهو اسم لما اعتدته ويعود اليك وسمي يوم الفطر والاضحى عيداً لأنهما يعودان في كل سنة . قال السدى : معناه نتخذ اليوم الذى أنزلت فيه عيداً لاولنا وآخرنا أى نعظمه نحن ومن بعدنا . وقال سفيان : نصلي فيه ، قوله (لأولنا) أى لأهل زماننا (وآخرنا) أى لمن يجيء بعدنا . وقال ابن عباس : يأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم ﴿ وآية منك ﴾ دلالة وحجة ﴿ وارزقنا وأنت خير الرازقين*قال الله ﴾ تعالى مجيباً لعيسى عليه السلام ﴿ إني منزلها عليكم ﴾ يعني المائدة. قرأ أهل المدينة وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد لأنها نزلت مرات والتفعيل يدل على التكرير وقرأ الآخرون بالتخفيف لقوله أنزل علينا ﴿ فمن يكفر بعد منكم ﴾ أي بعد نزول المائدة ﴿ فاني أعذبه عذابا ﴾ أي جنس عذاب ﴿ لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ يعني عالمي زمانه فجحدوا وكفروا بعد

فيعطيكم ماسألتم فان أجر العامل على من عمل له ،ففعلوا ثم قالوا يامعلم الخير قلت لنا أن أجر العامل على من عمل له وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوما ففعلنا ولم نكن نعمل لاحد ثلاثين يوما إلا أطعمنا حين نفرغ طعاما فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال عيسى (اتقوا الله ان كنتم مؤمنين* قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون عيداً لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ، قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين) قال فاقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم كذا رواه ابن جرير ، ورواه ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال كان ابن عباس يحدث فذكر نحوه .وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا سعيد بن عبدالله بن عبد الحكم حدثنا أبو زرعة وهبةالله ابن راشد حدثنا عقيل بن خالد أن ابن شهاب أخبره عن ابن عباس أن عيسى بن مريم قالوا له ادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء.قال فنزلت الملائكة بالمائدة يحملونها عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن جلاس عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ قال نزلت المائدة من السماء عليها خبز ولحم وأمروا أن لايخونوا ولا يرفعوا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن قزعة ثم رواه ابن جرير عن ابن بشار عن ابن أبي عون عن سعيد عن قتادة عن جلاس عن عمار قال نزلت المائدة وعليها ثمر من ثمار الجنة فأمروا أن لايخونوا ولايخبأوا ولا يدخروا قال فخان القوم وخبأوا وادخروا فمسخهم الله قردة وخنازير، وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا عبد الاعلى حدثنا داود عن سماك بن حرب عن رجل من بني عجل قال صليت الى جانب عمار بن ياسر فلما فرغ قال هل تدري كيف كان شأن مائدة بني اسرائيل ؟ قال قلت لا قال انهم سألوا عيسى بن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لاينفد قال فقيل لهم فانها مقيمة لكم مالم تخبأوا أو تخونوا أو ترفعوا فان فعلتم فاني معذبكم عذابا لاأعذبه أحدا من العالمين قال

نزول المائدة فمسخوا قردة وخنازير قال عبدالله بن عمرو : إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ، ومن كفر من أصحاب المائدة ، وآل فرعون ، واختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا؟ فقال مجاهد والحسن : لم تنزل فان الله عز وجل لما أوعدهم على كفرهم بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لانريدها فلم تنزل ، وقوله (إني منزلها عليكم) يعني إن سألتم ، والصحيح الذي عليه الاكثرون أنها نزلت لقوله تعالى (اني منزلها عليكم) ولا خلف في خبره

فما مضى يومهم حتى خبأوا ورفعوا وخانوا فعذبوا عذابا لم يعذبه أحد من العالمين وانكم يامعشر العرب كنتم تتبعون أذناب الابل والشاء فبعث الله فيكم رسولا من أنفسكم تعرفون حسبه ونسبه وأخبركم انكم ستظهرون على العجم ونهاكم أن تكنزوا الذهب والفضة وايم الله لايذهب الليل والنهار حتى تكنزوهما ويعذبكم الله عذابا أليما . وقال حدثنا القاسم حدثنا حسين حدثني حجاج عن أبي معشر عن إسحاق بن عبد الله أن المائدة نزلت على عيسى بن مريم عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات يأكلون منها ماشاؤا قال فسرق بعضهم منها وقال لعلها لاتنزل غدا فرفعت ، وقال العوفي عن ابن عباس نزل على عيسى بن مريم والحواريين خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أينما نزلوا اذا شاؤا . وقال خصيف عن عكرمة ومقسم عن ابن عباس كانت المائدة سمكة وأريغفة . وقال مجاهد هو طعام كان ينزل عليهم حيث نزلوا وقال أبو عبد الرحمن السلمي نزلت المائدة خبزا وسمكا وقال عطية العوفي المائدة سمك فيه طعم كل شيء وقال وهب بن منبه أنزلها من السماء على بني اسرائيل فكان ينزل عليهم في كل يوم في تلك المائدة من ثمار الجنة فأكلوا ماشاؤا من ضروب شتى فكان يقعد عليها أربعة آلاف وإذا أكلوا أنزل الله مكان ذلك لمثلهم فلبثوا على ذلك ماشاء الله عز وجل وقال وهب بن منبه نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات وحشا الله بين أضعافهن البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ثم يجيء آخرون فيأكلون ثم يخرجون حتى أكل جميعهم وأفضلوا . وقال الأعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير أنزل عليها كل شيء الا اللحم. وقال سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة وجرير عن عطاء عن ميسرة قال كانت المائدة اذا وضعت لبني اسرائيل اختلفت عليهم الايدي بكل طعام الا اللحم وعن عكرمة كان خبز المائدة من الارز رواه بن أبي حاتم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن علي فيما كتب إلي حدثنا اسمعيل بن أبي أويس حدثني أبو عبد الله عبد القدوس بن

ولتواتر الاخبار فيه عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين[1] واختلفوا في صفتها فروى خلاس بن عمرو عن عمار بن ياسر عن رسول الله ﷺ أنها نزلت خبزاً ولحماً ، وقيل لهم انها مقيمة لكم مالم تخونوا وتخبئوا فما مضى يومهم حتى خانوا وخبئوا فمسخوا قردة وخنازير . وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن عيسى عليه السلام قال لهم : صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ماشئتم يعطكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا ياعيسى انا لو عملنا لأحد فقضينا عمله لأطعمنا وسألوا الله المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم . قال كعب الاحبار : نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل الطعام إلا اللحم . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم وقال قتادة : كان عليها ثمر من ثمار الجنة . وقال عطية العوفي : نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء . وقال الكلبي : كان عليها خبز رز وبقل . وقال وهب بن منبه : أنزل الله أقرصة من شعير

«١» دعوى التواتر ممنوعة فلو تواترت ما خفيت عن الحسن ومجاهد من كبار مفسري التابعين وأكثر الآثار فيها من الاسرائيليات

ابراهيم بن أبي عبيد الله بن مرداس العبدري مولى بني عبد الدار عن ابراهيم بن عمر عن وهب بن منبه عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الخير أنه قال لما سأل الحواريون عيسى بن مريم المائدة كره ذلك جدا فقال اقنعوا بما رزقكم الله في الارض ولا تسألوا المائدة من السماء فانها ان نزلت عليكم كانت آية من ربكم وانما هلكت ثمود حين سألوا نبيهم آية فابتلوا بها حتى كان بوارهم فيها . فأبوا الا أن يأتيهم بها فلذلك (قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا) الآية فلما رأى عيسى أن قد أبوا الا أن يدعو لهم بها قام فالقى عنه الصوف ولبس الشعر الاسود وجبة من شعر وعباءة من شعر ثم توضأ واغتسل ودخل مصلاه فصلى ماشاء الله فلما قضى صلاته قام قائما مستقبل القبلة وصف قدميه حتى استويا فالصق الكعب بالكعب وحاذى الاصابع ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره وغض بصره وطأطأ رأسه خشوعا ثم أرسل عينيه بالبكاء فما زالت دموعه تسيل على خديه وتقطر من أطراف لحيته حتي ابتلت الارض حيال وجهه من خشوعه فلما رأى ذلك دعا الله فقال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) فانزل الله عليهم سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون اليها في الهواء منقضة من فلك السماء تهوي اليهم وعيسى يبكي خوفا من أجل الشروط التي أخذها الله عليهم فيها أنه يعذب من يكفر بها منهم بعد نزولها عذابا ، لم يعذبه أحدا من العالمين ، وهو يدعو الله في مكانه ويقول اللهم اجعلها رحمة لهم ولا تجعلها عذابا ، الهي كم من عجيبة سألتك فأعطيتني ، الهي اجعلنا لك شاكرين ، اللهم اني أعوذ بك أن تكون أنزلتها غضبا ورجزا الهي اجعلها سلامة وعافية ولا تجعلها فتنة ومثلة . فمازال يدعو حتى استقرت السفرة بين يدي عيسى والحواريين وأصحابه حوله يجدون رائحة طيبة لم يجدوا فيما مضى رائحة مثلها قط وخر عيسى والحواريون لله سجدا شكرا له لما رزقهم من حيث لم يحتسبوا ، وأراهم فيه آية عظيمة ذات عجب وعبرة ، وأقبلت اليهود ينظرون فرأوا

وحيتانا ، وكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجيء آخرون فيأكلون حتى أكلوا جميعهم وفضل ، وعن الكلبي ومقاتل أنزل الله خبزا وسمكا وخمسة أرغفة فأكلوا ماشاء الله تعالى والناس ألف ونيف فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد ، قالوا ويحكم انما سحر أعينكم فمن أراد الله به الخير ثبته على بصيرته ، ومن أراد فتنته رجع إلي كفره ومسخوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امرأة فمكثوا بذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ . وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل . وقال عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى عليه السلام صوفا وبكى وقال (اللهم أنزل علينا مائدة من السماء) الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي خافضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال : اللهم اجعلني من الشاكرين ، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون إلى شيء لم يروا مثله قط

أمرا عجيبا اورثهم كمدا وغما، ثم انصرفوا بغيظ شديد، وأقبل عيسى والحواريون وأصحابه حتى جلسوا حول السفرة فاذا عليها منديل مغطى فقال عيسى من أجرأنا على كشف المنديل عن هذه السفرة وأوثقنا بنفسه وأحسننا بلاء عند ربه فليكشف عن هذه الآية حتى نراها ونحمد ربنا ونذكر باسمه ونأكل من رزقه الذى رزقنا؟ فقال الحواريون ياروح الله وكلمته أنت أولانا بذلك وأحقنا بالكشف عنها. فقام عيسى عليه السلام واستأنف وضوأ جديدا ثم دخل مصلاه فصلى كذلك ركعات ثم بكى بكاء طويلا ودعا الله أن ياذن له في الكشف عنها ويجعل له ولقومه فيها بركة ورزقا ثم انصرف وجلس الى السفرة وتناول المنديل وقال بسم الله خير الرازقين، وكشف عن السفرة فاذا هو عليها بسمكة ضخمة مشوية ليس عليها بواسير وليس في جوفها شوك يسيل السمن منها سيلا قد تحدق بها بقول من كل صنف غير الكراث وعند رأسها خل وعند ذنبها ملح وحول البقول خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الآخر تمرات وعلى الآخر خمس رمانات. فقال شمعون رأس الحواريين لعيسى ياروح الله وكلمته أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى اما آن لكم أن تعتبروا بما ترون من الآيات وتنتهوا عن تنقير المسائل؟ ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا في سبب نزول هذه الآية! فقال له شمعون لا وإله اسرائيل ما أردت بها سؤالا ياابن الصديقة فقال عيسى عليه السلام ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة انما هو شيء ابتدعه الله في الهواء بالقدرة الغالبة القاهرة. فقال له كن فكان أسرع من طرفة عين، فكلوا مما سألتم بسم الله واحمدوا عليه ربكم يمدكم منه ويزدكم فانه بديع قادر شاكر. فقالوا ياروح الله وكلمته إنا نحب أن يرينا الله آية في هذه الآية فقال عيسى سبحان الله أما اكتفيتم بما رأيتم من هذه الآية حتى تسألوا فيها آية أخرى؟ ثم أقبل عيسى عليه السلام

ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحه. فقال عيسى عليه السلام: ليقم أحسنكم عملا فيكشف عنها ويذكر اسم الله تعالى، فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيراً ثم كشف المنديل عنها وقال: بسم الله خير الرازقين. فاذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوسها، ولا شوك عليها تسيل من الدسم وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خل، وحولها من ألوان البقول ماخلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد. فقال شمعون: ياروح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة؟ فقال ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة، ولكنه شيء افتعله الله تعالى بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله، فقالوا ياروح الله كن أول من يأكل منها، فقال عيسى عليه السلام: معاذ الله أن آكل منها، ولكن يأكل منها من سألها. فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمقعدين والمبتلين فقال: كلوا من رزق الله ولكم المهنأ ولغيركم البلاء. فأكلوا وصدر عنها ألف وثلاثمائة رجل

على السمكة فقال ياسمكة عودي باذن الله حية كما كنت فأحياها الله بقدرته فاضطربت وعادت باذن الله حية طرية تلمظ كما يتلمظ الاسد تدور عيناها لها بصيص وعادت عليها بواسيرها ففزع القوم منها وانحاسوا «١» فلما رأى عيسى منهم ذلك قال مالكم تسألون الآية فاذا أراكوها ربكم كرهتموها؟ ماأخوفني عليكم أن تعاقبوا بما تصنعون ، ياسمكة عودي باذن الله كما كنت فعادت باذن الله مشوية كما كانت في خلقها الاول، فقالوا ياعيسى كن أنت ياروح الله الذى تبدأ بالاكل منها ثم نحن بعد، فقال عيسى معاذ الله من ذلك . يبدأ بالاكل من طلبها . فلما رأى الحواريون وأصحابه امتناع عيسى منها خافوا أن يكون نزولها سخطة وفي أكلها مثلة فتحاموها فلما رأى ذلك عيسى منهم دعا لها الفقراء والزمنى وقال كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم واحمدوا الله الذي أنزلها لكم فيكون مهنؤها لكم وعقوبتها على غيركم وافتتحوا أكلكم باسم الله واختموه بحمد الله . ففعلوا فأكل منها ألف وثلثمائة انسان بين رجل وامرأة يصدرون عنها كل واحد منهم شبعان يتجشأ ، ونظر عيسى والحواريون فاذا ماعليها كهيئته إذ نزلت من السماء لم ينقص منها شيء، ثم انها رفعت الى السماء وهم ينظرون فاستغنى كل فقير أكل منها وبريء كل زمن أكل منها فلم يزالوا أغنياء أصحاء حتى خرجوا من الدنيا، وندم الحواريون وأصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا منها ندامة سالت منها أشفارهم وبقيت حسرتها في قلوبهم الى يوم الممات. قال وكانت المائدة اذا نزلت بعد ذلك أقبل بنو إسرائيل اليها يسعون من كل مكان يزاحم بعضهم بعضا الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والاصحاء والمرضى يركب بعضهم بعضا فلما رأى ذلك جعلها نوبا بينهم تنزل يوما ولا تنزل يوما فلبثوا على ذلك أربعين يوما تنزل عليهم غبا عند ارتفاع النهار فلا تزال موضوعة يؤكل منها حتى اذا قالوا ارتفعت عنهم الى جو السماء باذن الله وهم ينظرون الى ظلها في الارض حتى توارى عنهم قال فاوحى الله الى نبيه عيسى عليه السلام أن اجعل رزقي في المائدة للفقراء واليتامى والزمني دون الاغنياء من الناس، فلما فعل ذلك ارتاب بها الاغنياء من الناس وغمصوا ذلك حتى شكوا فيها في أنفسهم وشككوا فيها الناس وأذاعوا في أمرها القبيح والمنكر وادرك الشيطان منهم حاجته وقذف وسواسه في قلوب الربانيين حتى قالوا لعيسى أخبرنا عن المائدة ونزولها من السماء أحق فانه قد ارتاب بها منا بشر كثير؟ فقال عيسى عليه السلام

وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلي كلهم شبعان واذا السمكة كهيئتها حين نزلت ، ثم طارت المائدة صعداً وهم ينظرون اليها حتى توارت بالحجاب فلم يأكل منها زمن ولا مريض ولا مبتلي إلا عوفي ، ولا فقير إلا استغني ، وندم من لم يأكل منها فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى ، فاذا نزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء ، والصغار والكبار ، والرجال والنساء ، ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى إذا فاء الفيء طارت صعداً وهم ينظرون اليها في ظلها حتى توارت عنهم وكانت تنزل غباً تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون

«١» في النسخة الاميريه وانحازوا

هل كنتم وإله المسيح طلبتم المائدة الى نبيكم أن يطلبها لكم الى ربكم فلما أن فعل وأنزلها عليكم رحمة ورزقاً وأراكم فيها الآيات والعبر كذبتم بها وشككتم فيها فابشروا بالعذاب فانه نازل بكم الا أن يرحمكم الله . فأوحى الله الى عيسى اني آخذ المكذبين بشرطي فاني معذب منهم من كفر بالمائدة بعد نزولها عذابا لاأعذبه أحداً من العالمين . قال فلما أمسى المرتابون بها وأخذوا مضاجعهم في في أحسن صورة مع نسائهم آمنين فلما كان في آخر الليل مسخهم الله خنازير فأصبحوا يتبعون الاقذار في الكناسات ، هذا أثر غريب جداً قطعه ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة وقد جمعته أنا ليكون سياقه أتم وأكمل والله سبحانه وتعالى أعلم

وكل هذه الآثار دالة على أن المائدة نزلت على بني اسرائيل أيام عيسى بن مريم اجابة من الله لدعوته كما دل على ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم (قال الله إني منزلها عليكم) الآية ،

وقال قائلون انها لم تنزل فروى ليث ابن أبي سليم عن مجاهد في قوله أنزل علينا مائدة من السماء قال هو مثل ضربه الله ولم ينزل شيء رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ثم قال ابن جرير حدثنا الحارث حدثنا القاسم هو ابن سلام حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال مائدة عليها طعام أبوها حين عرض عليهم العذاب ان كفروا فأبوا أن تنزل عليهم ، وقال أيضاً حدثنا ابو المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن أنه قال في المائده انها لم تنزل. وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول لما قيل لهم(فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين)قالوا لاحاجة لنا فيها فلم تنزل ، وهذه أسانيد صحيحة الى مجاهد والحسن وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا يعرفه النصارى وليس هو في كتابهم ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله وكان يكون موجودا في كتابهم متواترا ولا أقل من الآحاد والله أعلم ولكن الذي عليه الجمهور انها نزلت وهو الذي اختاره ابن جرير قال لان الله تعالى أخبر بنزولها في قوله تعالى (إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) قال ووعد الله ووعيده حق وصدق وهذا القول هو والله أعلم الصواب كما دلت عليه الاخبار والآثار عن السلف وغيرهم وقد ذكر أهل التاريخ أن موسى بن نصير نائب بني أمية في فتوح بلاد

الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا : أترون المائدة حقاً تنزل من السماء؟ فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام إني شرطت أن من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين فقال عيسى عليه السلام (إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون القذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا

المغرب وجد المائدة هنالك مرصعة باللآلي، وأنواع الجواهر فبعث بها الى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق فمات وهي في الطريق فحملت الى أخيه سليمان بن عبدالملك الخليفة بعده فرآها الناس فتعجبوا منها كثيراً لما فيها من اليواقيت النفيسة والجواهر اليتيمة ويقال إن هذه المائدة كانت لسليمان بن داود عليهما السلام فالله أعلم . وقد قال الامام أحمد حدثنا عبدالرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن الحكم عن ابن عباس قال : قالت قريش للنبي ﷺ ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك قال « وتفعلون؟ » قالوا نعم قال فدعا فأتاه جبريل فقال ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك :ان شئت أصبح لهم الصفا ذهبا فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذابا لاأعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة. قال « بل باب التوبة و الرحمة » ثم رواه أحمد و ابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث سفيان الثوري به

وإذ قال الله يٰعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله؟ قال سبحٰنك مايكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علّٰم الغيوب (١١٦) ماقلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧) إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم (١١٨)

هذا أيضا مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام قائلا له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه الهين من دون الله (ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله) وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رءوس الاشهاد هكذا قاله قتادة وغيره واستدل قتادة على ذلك بقوله تعالى (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) وقال السدي هـذا الخطاب والجواب

إلى عيسى عليه السلام وبكوا ، فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف بعيسى عليـه السلام وجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم فيشيرون برءوسهم ويبكون ولا يقـدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا

قوله عز وجل ﴿ وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾ اختلفوا في أن هذا القول متى يكون؟ فقال السدي قال الله تعالى هذا القول لعيسى عليـه السلام حين رفعه إلى السماء لان حرف إذ يكون للماضي . وقال سائر المفسرين : انما يقول الله له هذا القول

في الدنيا قال ابن جرير هذا هو الصواب وكان ذلك حين رفعه الى السماء الدنيا . واحتج ابن جرير على ذلك بمعنيين (أحدهما) أن الكلام بلفظ المضي (والثاني) قوله : (إن تعذبهم) (إن تغفر لهم) وهذان الدليلان فيهما نظر لان كثيراً من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ المضي ليدل على الوقوع والثبوت ومعنى قوله (إن تعذبهم فانهم عبادك) الآية التبري منهم ورد المشيئة فيهم الى الله وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه كما في نظائر ذلك من الآيات والذي قاله قتادة وغيره هو الاظهر والله أعلم ان ذلك كائن يوم القيامة ليدل على تهديد النصارى وتقريعهم وتوبيخهم [1] على رءوس الاشهاد يوم القيامة وقد روي بذلك حديث مرفوع رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبد الله مولى عمر بن عبد العزيز وكان ثقة قال سمعت أبا بردة يحدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله ﷺ «إذا كان يوم القيامة دعي بالانبياء واممهم ثم يدعى بعيسى فيذكره الله نعمته عليه فيقر بها فيقول (ياعيسى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك) الآية ثم يقول (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله) فينكر أن يكون قال ذلك فيؤتى بالنصارى فيسئلون فيقولون نعم هو أمرنا بذلك قال فيطول شعر عيسى عليه السلام فيأخذ كل ملك من الملائكة بشعرة من شعر رأسه وجسده فيجاثيهم بين يدي الله عز وجل مقدار الف عام حتى ترفع عليهم الحجة ويرفع لهم الصليب وينطلق بهم الى النار» وهذا حديث غريب عزيز

(١) مابعد هذا ساقط من النسخة المكية الى نهاية الحديث

وقوله (سبحانك ما يكون لي أن اقول ماليس لي بحق) هذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن ابي عمر حدثنا سفيان عن عمرو عن طاوس عن ابي هريرة قال يلقى عيسى حجته ولقاه الله تعالى في قوله (وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله) قال ابو هريرة عن النبي ﷺ فلقاه الله (سبحانك مايكون لي أن اقول

يوم القيامة بدليل قوله من قبل (يوم يجمع الله الرسل) وقال من بعد (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) وأراد بهما يوم القيامة وقد تجيء إذ بمعنى اذا كقوله عز وجل (ولو ترى إذ فزعوا) أي اذا فزعوا يوم القيامة . والقيامة وإن لم تكن بعد ولكنها كالكائنة لأنها آتية لامحالة قوله (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) فان قيل فما وجه هذا السؤال عنه ؟ مع علم الله عز وجل أن عيسى لم يقله . قيل هذا السؤال عنه لتوبيخ قومه وتعظيم أمر هذه المقالة كما يقول القائل لآخر : أفعلت كذا وكذا ؟ فيما يعلم أنه لم يفعله اعلاما واستعظاما لا استخبارا واستفهاما ، وأيضاً أراد الله عز وجل أن يقر عيسى عليه السلام على نفسه بالعبودية فيسمع قومه منه ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك . قال أبو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب أرعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة على جسده عين من دم ثم يقول مجيباً لله عز وجل ﴿قال سبحانك﴾ تنزيها وتعظيما لك ﴿مايكون لي أن أقول ماليس

ما ليس لي بحق) الى آخر الآية وقد رواه الثوري عن معمر عن ابن طاوس عن طاوس بنحوه

وقوله (ان كنت قلته فقد علمته) اى إن كان صدر مني هذا فقد علمته يارب فانه لا يخفى عليك شيء فما قلته ولا اردته في نفسي ولا أضمرته ولهذا قال (تعلم ما في نفسي ولا اعلم مافي نفسك انك انت علام الغيوب ◼ ما قلت لهم الا ما امرتني به) بابلاغه (أن اعبدوا الله ربي وربكم) اي مادعوتهم الا الى الذي أرسلتني به وأمرتني بابلاغه (أن اعبدوا الله ربي وربكم) أي هذا هو الذى قلت لهم وقوله (وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم) اى كنت اشهد على اعمالهم حين كنت بين اظهرهم (فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) قال أبوداود الطيالسي حدثنا شعبة قال انطلقت أنا وسفيان الثوري الى المغيرة بن النعمان فأملى على سفيان وأنا معه فلما قام انتسخت من سفيان فحدثنا قال سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال « يا ايها الناس انكم محشورون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا (كما بدأنا اول خلق نعيده) وان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم الا وانه يجاء برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول « اصحابى » فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح (وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شي شهيد * ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم » ورواه البخاري عند هذه الآية عن أبي الوليد وعن شعبة وعن محمد بن كثير عن سفيان الثوري كلاهما عن المغيرة بن النعمان به

وقوله (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) هذا الكلام يتضمن رد المشيئة الى الله عز وجل فانه الفعال لما يشاء الذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ويتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلى رسوله وجعلوا لله نداً وصاحبة وولدا تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذه الآية لها شأن عظيم ونبأ عجيب وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قام بها ليلة حتى الصباح يرددها

لي بحق إن كنت قلته فقد علمته ◼ تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك ﴾ قال ابن عباس : تعلم مافي غيبي ولا أعلم مافي غيبك ◼ وقيل تعلم سري ولا أعلم سرك . وقال أبو روق : تعلم ماكان مني في دار الدنيا ◼ ولا أعلم مايكون منك في الآخرة . وقال الزجاج : النفس عبارة عن جملة الشيء، وحقيقته يقول تعلم جميع ماأعلم من حقيقة أمري ولا أعلم حقيقة أمرك ﴿ انك أنت علام الغيوب ﴾ ماكان وما يكون ﴿ ماقلت لهم إلا ماأمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ وحدوه ولا تشركوا به شيئا ﴿ وكنت عليهم شهيداً مادمت ﴾ أقمت ﴿ فيهم فلما توفيتنى ﴾ قبضتني ورفعتني اليك ﴿ كنت أنت الرقيب عليهم ﴾ الحفيظ عليهم تحفظ أعمالهم ﴿ وأنت على كل شيء شهيد ◼ إن تعذبهم فانهم عبادك ◼ وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ﴾ فان قيل كيف طلب المغفرة لهم ؟ وهم كفار وكيف قال ؟ ﴿ وإن تغفر لهم فانك

قال الامام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثني فليت العامري[1] عن جسرة العامرية عن أبي ذر رضي الله عنه قال صلى النبي ﷺ ذات ليلة فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فلما أصبح قلت يارسول الله مازلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها؟ قال «اني سألت ربي عز وجل الشفاعة لامتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله لمن لايشرك بالله شيئاً»

(طريق أخرى وسياق آخر) قال الامام أحمد حدثنا يحيى حدثنا قدامة بن عبدالله[2] حدثتني جسرة بنت دجاجة انها انطلقت معتمرة فانتهت الى الربذة فسمعت أبا ذر يقول قام رسول الله ﷺ ليلة من الليالي في صلاة العشاء فصلى بالقوم ثم تخلف أصحاب له يصلون فلما رأى قيامهم وتخلفهم انصرف الى رحله فلما رأى القوم قد أخلوا المكان رجع الى مكانه يصلي فجئت فقمت خلفه فأومأ الي بيمينه فقمت عن يمينه ثم جاء ابن مسعود فقام خلفي وخلفه فأومأ ليه بشماله فقام عن شماله فقمنا ثلاثتنا يصلي كل واحد منا بنفسه ونتلو من القرآن ماشاء الله ان نتلو وقام بآية من القرآن رددها حتى صلى الغداة فلما أصبحنا اومأت الى عبدالله بن مسعود أن سله ماأراد الى ماصنع البارحة فقال ابن مسعود بيده لاأسأله عن شيء حتى يحدث الي فقلت بأبي وأمي قمت بآية من القرآن ومعك القرآن لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه قال «دعوت لامتي» قلت فماذا أجبت أو ماذا رد عليك؟ قال «أجبت بالذي لواطلع عليه كثير منهم طلعة تركوا الصلاة» قلت أفلا أبشر الناس؟ قال «بلى» فانطلقت معنقاً قريبا من قذفة بحجر فقال عمر يارسول الله انك ان تبعث الى الناس بهذا نكلوا عن العبادات فناداه أن «ارجع» فرجع وتلك الآية (ان تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر

أنت العزيز الحكيم) وهذا لايليق بسؤال المغفرة، قيل أما الاول فمعناه إن تعذبهم باقامتهم على كفرهم وإن تغفر لهم بعد الايمان وهذا يستقيم على قول السدي أن هذا السؤال قبل يوم القيامة لان الايمان لاينفع في القيامة. وقيل هذا في الفريقين منهم معناه أن تعذب من كفر منهم وإن تغفر لمن آمن منهم وقيل ليس هذا على وجه طلب المغفرة، ولو كان كذلك لقال (أنت الغفور الرحيم) ولكنه على تسليم الامر وتفويضه إلى مراده، وأما السؤال الثاني فكان ابن مسعود رضى الله عنه يقرأ (وإن تغفر لهم فانك أنت الغفور الرحيم) وكذلك هو في مصحفه، وأما على القراءة المعروفة قيل فيه تقديم وتأخير تقديره إن تغفر لهم فانهم عبادك، وان تعذبهم فانك أنت العزيز. وقيل معناه: إن تعذبهم فانهم عبادك. وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز في الملك الحكيم في القضاء، لاينقص من عزك شيء ولا يخرج من حكمك. ويدخل في حكمته ومغفرته وسعة رحمته ومغفرته الكفار، ولكنه أخبر أنه لايغفر وهو لايخلف خبره

(١) ويقال أفلت أيضاً كما يقال الهذلي بدل العامري وثقه بعضهم وضعفه بعض وقالوا مجهول وتوسط أحمد فقال لا بأس به. وقد انفرد عن جسرة بحديث (لاأحل المسجد لجنب ولا حائض) فضعفوه بجهالته كما قال الخطابي وقال ابن حزم انه حديث باطل

(٢) قال بعضهم أن قدامة هذا هو فليت أو أفلت العامري ومنهم سفيان الثوري فتكون الطريق واحدة. وأن مثل الحديث المجرىء على المعاصي المخالف لمنهج القرآن أولى بالتضعيف من حديث المسجد الذي لاخلاف في معناه

ابن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول عيسى (ان تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فرفع يديه فقال « اللهم أمتي » وبكى فقال الله ياجبريل اذهب الى محمد — وربك أعلم — فاسأله ما يبكيه؟ فأتاه جبريل فسأله فاخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو اعلم فقال الله ياجبريل اذهب الى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك. وقال الامام أحمد حدثنا حسين قال حدثنا ابن لهيعة حدثنا ابن هبيرة انه سمع أبا تميم الجيشاني يقول حدثني سعيد بن المسيب سمعت حذيفة بن اليمان يقول غاب عنا رسول الله ﷺ يوما فلم يخرج حتى ظننا ان لن يخرج فلما خرج سجد سجدة ظننا أن نفسه قد قبضت فيها فلما رفع رأسه قال « ان ربي عز وجل استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم ؟فقلت ماشئت اي رب هم خلقك وعبادك فاستشارني الثانية فقلت له كذلك ، فقال لاأخزيك في أمتك يامحمد وبشرني ان أول من يدخل الجنة من أمتي معي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب، ثم أرسل الي فقال ادع تجب وسل تعط ، فقلت لرسوله أو يعطي ربي سؤلي ؟ فقال ما أرسلني اليك إلا ليعطيك ، ولقد أعطاني ربي ولا فخر وغفرلي ماتقدم من ذنبي وما تأخر وأنا امشي حياً صحيحاً واعطاني أن لاتجوع امتي ولا تغلب ،واعطاني الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في حوضي واعطاني العز والنصر والرعب يسعى بين يدي امتي شهراً ، واعطاني اني اول الانبياء يدخل الجنة وطيب لي ولامتي الغنيمة واحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج »[1]

(١) الحديث ضعيف السند وفي أحاديث الشفاعة وال٧٠ ألفاً في الصحاح غني عنه

قال الله هذا يوم ينفع الصدقين صدقهم لهم جنت تجري من تحتها الانهر خلدين فيهـا أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنـه ذلك الفوز العظيم (١١٩) لله ملك السموت والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير (١٢٠)

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغفار بن محمد الفارسي ثنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثني يونس بن عبد الاعلى الصيرفي حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في ابراهيم (رب انهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فانه مني) الآية ، وقول عيسى عليه السلام (إن تعذبهم فانهم عبادك ، وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فرفع يديه وقال « اللهم أمتي اللهم أمتي » وبكى ، فقال الله عز وجل ياجبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله مايبكيه فأتاه جبريل فسأله فأخبر رسول الله ﷺ بما قال فقال الله تعالى ياجبريل : اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك ﴿ قال الله هذا يوم

يقول تعالى مجيبا لعبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام فيما أنهاه اليه من التبري من النصارى الملحدين الكاذبين على الله وعلى رسوله ومن رد المشيئة فيهم الى ربه عز وجل فعند ذلك يقول تعالى (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) قال الضحاك عن ابن عباس يقول يوم ينفع الموحدين توحيدهم (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) أي ماكثين فيها لا يحولون ولا يزولون رضي الله عنهم ورضوا عنه كما قال تعالى (ورضوان من الله أكبر) وسيأتي ما يتعلق بتلك الآية من الحديث وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثا عن أنس فقال حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا المحاربي عن ليث عن عثمان يعني ابن عمير أخبرنا اليقظان عن أنس مرفوعا قال قال رسول الله ﷺ « ثم يتجلى لهم الرب جل جلاله فيقول سلوني سلوني أعطكم قال فيسألونه الرضا فيقول رضاي أحلكم داري وأنالكم كرامتي فسلوني أعطكم فيسألونه الرضا قال فيشهدهم انه قد رضي عنهم سبحانه وتعالى » وقوله (ذلك الفوز العظيم) أى هذا هو الفوز الكبير الذى لا أعظم منه كما قال تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون) وكما قال (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)

وقوله (لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير) أي هو الخالق للاشياء المالك لها المتصرف فيها القادر عليها فالجميع ملكه وتحت قهره وقدرته وفي مشيئته فلا نظير له ولا وزير ولا عديل ولا والد ولا ولد ولا صاحبة ولا إله غيره ولا رب سواه. قال ابن وهب سمعت حيي بن عبد الله يحدث عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر قال آخر سورة أنزلت سورة المائدة.

ينفع الصادقين صدقهم ﴾ قرأ نافع يوم بنصب الميم يعني تكون هذه الاشياء في يوم فحذف في فانتصب وقرأ الآخرون بالرفع على أنه خبر هذا أي ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة ولو كذبوا ختم الله على أفواههم ونطقت به جوارحهم فافتضحوا ، وقيل أراد بالصادقين النبيين . وقال الكلبي ينفع المؤمنين ايمانهم . قال قتادة : متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام وهو ماقص الله وعدو الله ابليس وهو قوله (وقال الشيطان لما قضي الامر) الآية فصدق عدو الله يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه ، وأما عيسى عليه السلام فكان صادقا في الدنيا والآخرة فنفعه صدقه . وقال بعضهم : هذا يوم من أيام الدنيا لان الدار الآخرة دار جزاء لا دار عمل ثم بين ثوابهم فقال ﴿ لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴾ ثم عظم نفسه فقال ﴿ لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير ﴾

تفسير سورة الانعام وهي مكية

قال العوفي وعكرمة وعطاء عن ابن عباس انزلت سورة الانعام بمكة . وقال الطبراني حدثنا علي ابن عبد العزيز حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد ابن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام بمكة ليلا جملة واحدة حولها سبعون الف ملك يجأرون حولها بالتسبيح . وقال سفيان الثوري عن ليث عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد قالت نزلت سورة الانعام على النبي ﷺ جملة وانا آخذة بزمام ناقة نبي ﷺ إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة. وقال شريك عن ليث عن شهر عن أسما قالت نزلت سورة الانعام على رسول الله ﷺ وهو في مسير في زجل من الملائكة وقد طبقوا ما بين السماء والارض . وقال السدي عن مرة عن عبدالله قال نزلت سورة الانعام يشيعها سبعون الفا من الملائكة وروي نحوه من وجه آخر عن ابن مسعود . وقال الحاكم في مستدركه حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ وأبو الفضل الحسن بن يعقوب العدل قالا حدثنا محمد بن عبد الوهاب العبدي أخبرنا جعفر بن عون حدثنا اسماعيل بن عبد الرحمن السدي حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر قال لما نزلت سورة الانعام سبح رسول الله ﷺ ثم قال «لقد شيع هذه السورة من الملائكة ماسد الافق» ثم قال صحيح على شرط مسلم . وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا ابراهيم بن درستويه الفارسي حدثنا أبو بكر بن أحمد بن محمد بن سالم حدثنا ابن أبي فديك حدثني عمر بن طلحة الرقاشي عن نافع بن مالك بن أبي سهيل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ «نزلت سورة الانعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والارض بهم ترتج» ورسول الله يقول «سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم» ثم روى ابن مردويه عن الطبراني عن ابراهيم بن نائلة عن اسماعيل بن عمر عن يوسف بن عطية عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «نزلت عليّ سورة الانعام جملة واحدة وشيعها سبعون الفا من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد»

﴿ سورة الانعام ﴾

مكية وهي مائة وخمس وستون آية نزلت بمكة جملة ليلا معها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتمجيد فقال النبي ﷺ «سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم» وخر ساجداً وروى مرفوعا «من قرأ سورة الانعام يصلي عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره» وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت سورة الانعام بمكة الا قوله (وما قدروا الله حق قدره) إلى آخر ثلاث آيات ، وقوله تعالى (قل تعالوا - إلى قوله - لعلكم تتقون) فهذه الست آيات مدنيات

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى خلق السموٰت والارض وجعل الظلمٰت والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (١) هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون (٢) وهو الله في السموٰت وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون (٣)

يقول الله تعالى مادحا نفسه الكريمة وحامدا لها على خلقه السموات والارض قرارا لعباده. وجعل الظلمات والنور منفعة لعباده في ليلهم ونهارهم فجمع لفظ الظلمات ووحد لفظ النور لكونه أشرف كقوله تعالى (عن اليمين والشمائل) وكما قال في آخر هذه السورة (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ثم قال تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) أي ومع هذا كله كفر به بعض عباده وجعلوا له شريكا وعدلا واتخذوا له صاحبة وولداً تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الحمد لله الذي خلق السموات والارض﴾ قال كعب الاحبار هذه الآية أول آية في التوراة. وآخر آية في التوراة قوله (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) الآية . وقال ابن عباس رضي الله عنهما افتتح الله الخلق بالحمد فقال (الحمد لله الذي خلق السموات) وختمه بالحمد فقال (وقضى بينهم بالحق) أي بين الخلائق وقيل (الحمد لله رب العالمين) قوله الحمد لله حمد الله نفسه تعليما لعباده ، أي احمدوا الله الذي خلق السموات والارض خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد وفيهما العبر والمنافع للعباد ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ والجعل بمعنى الخلق . وقال الواقدي : كل ما في القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والايمان إلا في هذه الاية فانه يريد بهما الليل والنهار . وقال الحسن (وجعل الظلمات والنور) يعني الكفر والايمان ، وقيل أراد بالظلمات الجهل وبالنور العلم . وقال قتادة : يعني الجنة والنار ، وقيل معناه خلق الله السموات والارض ، وقد جعل الظلمات والنور لانه خلق الظلمات والنور قبل السموات والارض. قال قتادة : خلق الله السموات قبل الارض ، وخلق الظلمة قبل النور ، والجنة قبل النار ، وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال « ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ أي ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون أي يشركون وأصله من مساواة الشيء بالشيء ، ومنه العدل أي يعدلون بالله غير الله تعالى يقال عدلت هذا بهذا اذا ساويته به ، وقال النضر ابن شميل : الباء بمعنى عن ، أي عن ربهم يعدلون ، أي يميلون وينحرفون من العدول ، قال الله تعالى (عيناً يشرب بها عباد الله) أي منها ، وقيل تحت قوله

وقوله تعالى(هو الذى خلقكم من طين) يعني أباهم آدم الذى هو اصلهم ومنه خرجوا فانتشروا في المشارق والمغارب وقوله (ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده)قال سعيد بن جبير عن ابن عباس (ثم قضى اجلا) يعني الموت (واجل مسمى عنده) يعني الآخرة وهكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك وزيد بن اسلم وعطية والسدي ومقاتل بن حيان وغيرهم وقول الحسن في رواية عنه (ثم قضى اجلا) وهو ما بين ان يخلق الى ان يموت (واجل مسمى عنده) وهو ما بين ان يموت الى ان يبعث هو يرجع الى ماتقدم وهو تقدير الاجل الخاص وهو عمر كل انسان وتقدير الاجل العام وهو عمر الدنيا بكمالها ثم انتهائها وانقضائها وزوالها وانتقالها والمصير الى الدار الآخرة وعن ابن عباس ومجاهد (ثم قضى اجلا) يعني مدة الدنيا (واجل مسمى عنده) يعني عمر الانسان الى حين موته وكأنه مأخوذ من قوله تعالى بعد هذا (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار) الآية وقال عطية عن ابن عباس (ثم قضى اجلا) يعني النوم يقبض فيه الروح ثم يرجع الى صاحبه عند اليقظة (واجل مسمى عنده) يعني اجل موت الانسان وهذا قول غريب .ومعنى قوله (عنده) اى لايعلمه الا هو كقوله(انما علمها عند ربي لايجليها لوقتها الا

(ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) معنى لطيف وهو مثل قول القائل : أنعمت عليكم بكذا وتفضلت عليكم بكذا ثم تكفرون بنعمتي

قوله عز وجل ﴿ هو الذي خلقكم من طين ﴾ يعني آدم عليه السلام خاطبهم به إذ كانوا من ولده قال السدي : بعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى الارض ليأتيه بطائفة منها ، فقالت الارض اني أعوذ بالله منك أن تنقص مني فرجع جبريل ولم يأخذ وقال : يارب انها عاذت بك فبعث ميكائيل فاستعاذت فرجع ، فبعث ملك الموت فعاذت منه بالله فقال : وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره ، فأخذ من وجه الارض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت ألوان بني آدم ثم عجن بالماء العذب والملح والمر كذا اختلفت أخلاقهم فقال الله تعالى لملك الموت رحم جبريل وميكائيل الأرض ولم ترحمها لاجرم أخرج أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه خلق الله آدم عليه السلام من تراب وجعله طيناً ثم تركه حتى كان حمأ مسنوناً ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان صلصالا كالفخار ثم نفخ فيه روحه

قوله عز وجل ﴿ ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ﴾ قال الحسن وقتادة والضحاك الاجل الاول من الولادة الى الموت والاجل الثاني من الموت الى البعث وهو البرزخ وروى ذلك عن ابن عباس وقال لكل أحد أجلان أجل من الولادة الى الموت وأجل من الموت الى البعث فان كان براً تقياً وصولاً للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر وإن كان فاجراً قاطعاً للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث .وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاجل الاول أجل الدنيا والاجل الثاني أجل الآخرة وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما (ثم قضى أجلا) يعني النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند

هو) وكقوله (يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها) وقوله تعالى (ثم انتم تمترون) قال السدي وغيره يعني تشكون في امر الساعة وقوله تعالى (وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم) اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال بعد اتفاقهم على انكار قول الجهمية الاول القائلين تعالى عن قولهم علوا كبيرا بأنه في كل مكان حيث حملوا الآية على ذلك فالاصح من الاقوال أنه المدعو الله في السموات وفي الارض أي يعبده ويوحده ويقر له بالالهية من في السموات ومن في الارض ويسمونه الله ويدعونه رغبا ورهبا الا من كفر من الجن والانس وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) أى هو اله من في السماء واله من في الارض وعلى هذا فيكون قوله (يعلم سركم وجهركم) خبرا أو حالا (والقول الثاني) أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الارض من سر وجهر فيكون قوله يعلم متعلقا بقوله (في السموات وفي الارض) تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض ويعلم ماتكسبون (والقول الثالث) ان قوله (وهو الله في السموات) وقف تام ثم استأنف الخبر فقال (وفي الارض يعلم سركم وجهركم) وهذا اختيار ابن جرير وقوله (ويعلم ماتكسبون) أى جميع أعمالكم خيرها وشرها

وما تأتيهم من آية من آيت ربهم إلا كانوا عنها معرضين (٤) فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزءون (٥) ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكنهم في الارض مالم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهر تجري من تحتهم فاهلكنهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين (٦)

يقول تعالى مخبرا عن المشركين المكذبين المعاندين أنهم كلما أتتهم آية أي دلالة ومعجزة وحجة من

اليقظة وأجل مسمى عنده هو أجل الموت وقيل هما واحدة ، معناه ثم قضى أجلا يعني جعل لأعماركم مدة تنتهون اليها وأجل مسمى عنده يعني وهو أجل مسمى عنده لا يعلمه غيره ﴿ ثم أنتم تمترون ﴾ تشكون فى البعث

قوله عز وجل ﴿ وهو الله في السموات والارض ﴾ يعني وهو اله السموات والأرض كقوله (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) وقيل هو المعبود في السموات وفي الارض وقال محمد بن جرير معناه وهو الله في السموات يعلم سركم وجهركم في الارض وقال الزجاج فيه تقديم وتأخير تقديره وهو الله ﴿يعلم سركم وجهركم﴾ في السموات والارض ﴿ ويعلم ماتكسبون ﴾ تعملون من الخير والشر ﴿وما تأتيهم﴾ يعني أهل مكة ﴿من آية من آيات ربهم﴾ مثل انشقاق القمر وغيره وقال عطاء يريد من

الدلالات على وحدانية الله وصدق رسله الكرام فانهم يعرضون عنها فلا ينظرون اليها ولا يبالون بها قال الله تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون)وهذاتهديدلهم ووعيد شديد على تكذيبهم بالحق بأنه لابد أن يأتيهم خبر ماهم فيه من التكذيب وليجدن غبه وليذوقن وباله ثم قال تعالى واعظا لهم ومحذراً لهم أن يصيبهم من العذاب والنكل الدنيوي ماحل بأشباههم ونظرائهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة وأكثر جمعا وأكثر أموالا وأولادا واستعلاء في الارض وعمارة لها فقال (ألم يرو كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض مالم نمكن لكم) أي من الاموال والاولاد والاعمار والجاه العريض والسعة والجنود ولهذا قال (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) أى شيئا بعد شيء (وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم) أى كثرنا عليهم أمطار السماء وينابيع الارض أي استدراجا واملاء لهم (فأهلكناهم بذنوبهم) أى بخطاياهم وسيآتهم التي اجترموها (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) أى فذهب الاولون كامس الذاهب وجعلناهم احاديث (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) أى جيلا آخر لنختبرهم فعملوا مثل أعمالهم فأهلكوا كاهلاكهم فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم مثل ماأصابهم فماأنتم باعز على الله منهم والرسول الذي كذبتموه أكرم على الله من رسولهم فأنتم أولى بالعذاب ومعاجلة العقوبة منهم لولا لطفه واحسانه

آيات القرآن ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ لها تاركين وبهامكذبين ﴿فقد كذبوا بالحق﴾ بالقرآن وقيل بمحمد ﷺ ﴿لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن﴾ أي اخبار استهزائهم وجزاؤه أي سيعلمون عاقبة استهزائهم إذا عذبوا

وقوله عز وجل ﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ يعني الامم الماضية والقرن الجماعة من الناس وجمعه قرون وقيل القرن مدة من الزمان يقال ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل أربعون سنة وقيل ثلاثون سنة ويقال مائة سنة لما روى أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن بشر المازني انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فيكون معناه على هذه الاقاويل من أهل قرن ﴿ مكناهم في الارض مالم نمكن لكم ﴾ أي أعطيناهم مالم نعطكم وقال ابن عباس أمهلناهم في العمر مثل قوم نوح وعاد وثمود يقال مكنته ومكنت له ﴿وأرسلنا السماء عليهم مدراراً﴾ يعني المطر مفعال من الدر قال ابن عباس مدراراً أي متتابعاً في أوقات الحاجات وقوله مالم نمكن لكم من خطاب التلوين رجع من الخبر من قوله ألم يروا إلى الخطاب كقوله (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم) وقال أهل البصرة أخبر عنهم بقوله ألم يروا وفيهم محمد ﷺ وأصحابه ثم خاطبهم معهم والعرب تقول قلت لعبدالله ماأكرمه وقلت لعبد الله ما أكرمك ﴿ وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا ﴾ خلقنا وابتدأنا ﴿من بعدهم قرنا آخرين﴾

ولو نزلنا عليك كتبا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا الا سحر مبين (٧) وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون (٨) ولو جعلنه ملكا لجعلنه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون (٩) ولقد استهزيء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون (١٠) قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عقبة المكذبين (١١)

يقول تعالى مخبرا عن المشركين وعنادهم ومكابرتهم للحق ومباهتتهم ومنازعتهم فيه (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم) أي عاينوه ورأوا نزوله وباشروا ذلك لقال (الذين كفروا إن هذا الا سحر مبين) وهذا كما قال تعالى مخبرا عن مكابرتهم للمحسوسات (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وكقوله تعالى (وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم) (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) أي ليكون معه نذيرا قال الله تعالى (ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون) أي لو نزلت الملائكة على ماهم عليه لجاءهم من الله العذاب كما قال الله تعالى (ماننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذاً منظرين) وقوله (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) الآية وقوله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا

قوله عز وجل ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس﴾ الآية قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر ابن الحارث وعبدالله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عندالله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عندالله وأنك رسوله فأنزل الله عز وجل (ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس) مكتوبا من عنده ﴿فلمسوه بأيديهم﴾ أى عاينوه ومسوه بأيديهم وذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لان اللمس أبلغ في إيقاع العلم من المعاينة فان السحر يجرى على المرئى ولا يجرى على الملموس ﴿لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ معناه أنه لا ينفعهم شيء لما سبق فيهم من علمي ﴿وقالوا لولا أنزلنا عليه﴾ على محمد ﷺ ﴿ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر﴾ أى لوجب العذاب وفرغ من الامر وهذا سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية فأنزلت ثم لم يؤمنوا استؤصلوا بالعذاب ﴿ثم لاينظرون﴾ أى لايؤجلون ولايمهلون وقال قتادة لو أنزلنا ملكا ثم لم يؤمنوا لعجل لهم العذاب ولم يؤخروا طرفة عين وقال مجاهد لقضى الامر أى لقامت القيامة وقال الضحاك لوأتاهم ملك في صورته لماتوا ﴿ولو جعلناه ملكا﴾ يعني لو ارسلنا اليهم ملكا ﴿لجعلناه رجلا﴾ يعنى في صورة رجل آدمي لانهم لايستطيعون النظر الى الملائكة وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي وجاء الملكان الي داود في صورة رجلين

وللبسنا عليهم مايلبسون) أي لو أنزلنا مع الرسول البشري ملكا أي لو بعثنا الى البشر رسولا ملكيا لكان على هيئة الرجل ليمكنهم مخاطبته والانتفاع بالاخذ عنه ولو كان كذلك لالتبس عليهم الامر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشري كقوله تعالى (قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) فمن رحمته تعالى بخلقه أنه يرسل الى كل صنف من الخلائق رسلا منهم ليدعوا بعضهم بعضا وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال كما قال تعالى (لقد منَّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم) الآية قال الضحاك عن ابن عباس في الآية يقول لوأتاهم ملك ماأتاهم الا في صورة رجل لانهم لايستطيعون النظر الى الملائكة من النور (وللبسنا عليهم مايلبسون) أى ولخلطنا عليهم مايخلطون وقال الوالبي عنه ولشبهنا عليهم وقوله (ولقد استهزيء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزءون) هذه تسلية للنبي ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى (قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي فكروا في أنفسكم وانظروا ماأحل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوهم من العذاب والنكال والعقوبة في الدنيا مع ماادخر لهم من العذاب الاليم في الآخرة وكيف نجى رسله وعباده المؤمنين

قل لمن مافي السموٰت والارض ؟قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لاريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لايؤمنون (١٢) وله ماسكن في الليل والنهار وهو السميع العليم (١٣) قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموٰت والارض وهو

قوله عز وجل ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ أى خلطنا عليهم مايخلطون وشبهنا عليهم فلا يدرون أملك هو أو آدمي وقيل معناه شبهوا على ضعفائهم فشبه عليهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال هم أهل الكتاب فرقوا دينهم وحرفوا الكلم عن مواضعه فلبس الله عليهم مالبسوا على أنفسهم وقرأ الزهرى للبسنا بالتشديد على التكرير والتأكيد ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ كما استهزىء بك يامحمد فعزى نبيه ﷺ ﴿فحاق﴾ قال الربيع بن أنس فنزل وقال عطاء حل وقال الضحاك أحاط ﴿بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون﴾ أى جزاء استهزائهم من العذاب والنقمة ﴿قل﴾ يامحمد لهؤلاء المكذبين المستهزئين ﴿سيروا في الارض﴾ معتبرين يحتمل هذا السير بالعقول والفكر ويحتمل السير بالاقدام ﴿ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ أى جزاء أمرهم وكيف أورثهم الكفر والتكذيب الهلاك يحذر كفار مكة عذاب الامم الخالية

قوله عز وجل ﴿قل لمن مافي السموات والارض﴾ فان أجابوك والا ف ﴿قل﴾ أنت ﴿لله﴾ أمره

يطعم ولا يطعم قل اني أُمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين (١٤)

قل اني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم (١٥) من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه

وذلك الفوز المبين (١٦)

يخبر تعالى انه مالك السموات والارض ومن فيهما وانه قد كتب على نفسه المقدسة الرحمة كما ثبت في الصحيحين من طريق الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ « ان الله لما خلق الخلق كتب كتابا عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وقوله (ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه) هذه اللام هي الموطئة للقسم فاقسم بنفسه الكريمة ليجمعن عباده (الى ميقات يوم معلوم) وهو يوم القيامة الذى لاريب فيه أي لاشك عند عباده المؤمنين فاما الجاحدون المكذبون فهم في ريبهم يترددون وقال ابن مردويه عند تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا عبيد الله بن أحمد

بالجواب عقيب السؤال ليكون أبلغ في التأثير وآكد في الحجة ﴿كتب﴾ أى قضى ﴿على نفسه الرحمة﴾ هذا استعطاف منه تعالى للمتولين عنه الى الاقبال عليه واخبار بأنه رحيم بالعباد ولا يعجل بالعقوبة ويقبل الانابة والتوبة أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أخبرنا أبوطاهر الزيادى أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن هشام بن منبه قال ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عند الله فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي » وروى ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة عن النبي ﷺ ان رحمتي سبقت غضبي ، أخبرنا أبوالقاسم عبد الله بن علي الكركاني أنا ابوطاهر الزيادى أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبدالرحمن المروزى اخبرنا عبدالله بن المبارك أنا عبدالملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «أن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحوش على أولادها وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابن ابي مريم ثنا ابو غسان حدثني زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم قال قدم على النبي ﷺ سبي فاذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسعى إذ وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي ﷺ « أترون هذه طارحة ولدها في النار » فقلنا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال «لله ارحم بعباده من هذه بولدها»

قوله عز وجل ﴿ليجمعنكم﴾ اللام فيه لام القسم والنون نون التأكيد مجازه والله ليجمعنكم ﴿الى يوم القيامة﴾ أي في يوم القيامة وقيل معناه ليجمعنكم في قبوركم الى يوم القيامة ﴿لاريب فيه الذين

ابن عقبة حدثنا عباس بن محمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا محصن بن عتبة اليماني عن الزبير بن شبيب عن عثمان بن حاضر عن ابن عباس قال سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء قال « والذي نفسي بيده ان فيه لماء ، ان أولياء الله ليردون حياض الانبياء ويبعث الله تعالى سبعين الف ملك في أيديهم عصي من نار يذودون الكفار عن حياض الانبياء » هذا حديث غريب وفي الترمذي « إن لكل نبي حوضا وأرجو أن أكون أكثرهم واردا » وقوله (الذين خسروا أنفسهم) أي يوم القيامة (فهم لايؤمنون) أي لايصدقون بالمعاد ولا يخافون شر ذلك اليوم ثم قال تعالى (وله ماسكن في الليل والنهار) أى كل دابة في السموات والارض الجميع عباده وخلقه وتحت قهره وتصرفه وتدبيره (لا اله الا هو وهو السميع العليم) أي السميع لاقوال عباده العليم بحركاتهم وضمائرهم وسرائرهم ثم قال تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ الذي بعثه بالتوحيد العظيم وبالشرع القويم وأمره أن يدعو الناس الى صراط الله المستقيم (قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض؟) كقوله (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) والمعنى لا اتخذ وليا الا الله وحده لاشريك له فانه فاطر السموات والارض أي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق (وهو يطعم ولا يطعم) أي وهو الرزاق لخلقه من غير احتياج اليهم كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) الآية وقرأ بعضهم ههنا (وهو يطعم ولا يطعم) أي لايأكل وفي حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال دعا رجل من الانصار من أهل قباء النبي ﷺ على طعام فانطلقنا معه فلما طعم النبي ﷺ وغسل يديه قال « الحمد لله الذى يطعم ولا يطعم ومن علينا فهدانا واطعمنا وسقانا من الشراب وكسانا من العرى وكل بلاء حسن أبلانا ، الحمد لله غير مودع ربي ولا مكافأ ولا مكفور ولا مستغني عنه الحمد لله الذي أطعمنا من الطعام وسقانا من الشراب وكسانا من العرى وهدانا من الضلال وبصرنا من العمى وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا الحمد لله رب العالمين » (قل أني أمرت أن اكون أول من أسلم)

خسروا ﴾ غبنوا ﴿ أنفسهم فهم لايؤمنون وله ماسكن في الليل والنهار ﴾ أي استقر قيل أراد ما سكن وماتحرك كقوله (سرابيل تقيكم الحر) أي الحر والبرد وقيل انما خص السكون بالذكر لان النعمة فيه أكثر وقال محمد بن جبير كل ماطلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار والمراد منه جميع مافي الارض وقيل معناه وله مايمر عليه الليل والنهار ﴿ وهو السميع ﴾ لاصواتهم ﴿ العليم ﴾ باسرارهم

قوله تعالى ﴿ قل أغير الله اتخذ وليا ﴾ وهذا حين دعى الى دين آبائه فقال تعالى قل يامحمد أغير الله اتخذ وليا ربا ومعبوداً وناصراً ومعينا ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ أي خالقهما ومبدعهما ومبتديهما ﴿ وهو يطعم ولايطعم ﴾ أي وهو يرزق ولا يرزق كما قال (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون)

قوله تعالى ﴿ قل اني امرت أن أكون أول من أسلم ﴾ يعني من هذه الامة والإسلام بمعنى

أي من هذه الامة (ولا تكونن من المشركين قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) يعني يوم القيامة (من يصرف عنه) أي العذاب (يومئذ فقد رحمه) يعني فقد رحمه الله (وذلك هو الفوز المبين) كقوله (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) والفوز حصول الربح ونفي الخسارة

وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير (١٧) وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير (١٨) قل أي شيء أكبر شهدة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله وحد وإنني بريء مما تشركون (١٩) الذين آتينهم الكتب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون (٢٠) ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآيته إنه لا يفلح الظلمون (٢١)

يقول تعالى مخبراً أنه مالك الضر والنفع وانه المتصرف في خلقه بما يشاء لامعقب لحكمه ولاراد لقضائه (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير) كقوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) وفي

الاستسلام لامر الله وقيل أسلم أخلص ﴿ولاتكونن﴾ يعني وقيل لي ولاتكونن ﴿من المشركين قل اني أخاف إن عصيت ربي﴾ فعبدت غيره ﴿عذاب يوم عظيم﴾ يعني عذاب يوم القيامة ﴿من يصرف عنه يعني من يصرف العذاب عنه قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب يصرف بفتح الياء وكسر الراء أي من يصرف الله عنه العذاب فقدرحمه وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء ﴿يومئذ﴾ يعني يوم القيامة ﴿فقد رحمه وذلك الفوز المبين﴾ أي النجاة البينة

قوله عز وجل ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف﴾ لارافع ﴿له إلا هو وأن يمسسك بخير﴾ عافية ونعمة ﴿فهو على كل شيء قدير﴾ من الخير والضر أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو عبد الله السلمي أنا أبو العباس الاصم أنا احمد بن شيبان الرملي أنا عبدالله بن ميمون القداح أنا شهاب بن خراش عن عبد الملك بن عمير عن ابن عباس قال أهدى للنبي ﷺ بغلة أهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم أردفني خلفه ثم سار بي مليا ثم التفت الي فقال «ياغلام» فقلت لبيك يارسول الله قال «احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك . تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سألت فاسأل الله. واذا استعنت فاستعن بالله. قد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله تعالى لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله تعالى عليك ماقدروا عليه فان استطعت أن تعمل بالصبر

الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول « لامانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » ولهذا قال تعالى (وهو القاهر فوق عباده) أي هو الذي خضعت له الرقاب وذلت له الجبابرة[1] وعنت له الوجوه وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته على الاشياء واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه (وهو الحكيم) أي في جميع أفعاله (الخبير) بمواضع الاشياء ومحالها فلا يعطي الامن يستحق ولا يمنع إلا من يستحق ثم قال (قل أي شيء أكبر شهادة) أي من أعظم الاشياء شهادة (قل الله شهيد بيني وبينكم) أي هو العالم بما جئتكم به وما أنتم قائلون لي (وأوحي اليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) أي وهو نذير لكل من بلغه كقوله تعالى (ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا وكيع وأبو أسامة وأبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب في قوله (ومن بلغ) من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي ﷺ زاد أبو خالد وكلمه . ورواه ابن جرير من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب قال من بلغه القرآن فقد أبلغه محمد ﷺ وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى (لأنذركم به ومن بلغ) أن رسول

«١» في المكية الجباه

مع اليقين فافعل . فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ماتكره خيراً كثيراً . وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا » ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ القاهر الغالب وفي القهر زيادة معنى على القدرة وهو منع غيره عن بلوغ المراد وقيل هو المتفرد بالتدبير يجبر الخلق على مراده (فوق عباده) هو صفة الاستعلاء الذي تفرد به الله عز وجل ﴿ وهو الحكيم ﴾ في أمره ﴿ الخبير ﴾ باعمال عباده

قوله عز وجل ﴿ قل أي شيء أكبر شهادة ﴾ الآية قال الكلبي أتى أهل مكة رسول الله ﷺ فقالوا أرنا من يشهد أنك رسول الله فانا لانرى أحداً يصدقك ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس عندهم ذكر فأنزل الله تعالى قل أي شيء أكبر أعظم شهادة فان أجابوك والا ﴿ قل الله شهيد بيني وبينكم ﴾ على ماأقول ويشهد لي بالحق وعليكم بالباطل ﴿ وأوحي إلي هذا القرآن لانذركم به ﴾ لاخوفكم به ياأهل مكة ﴿ ومن بلغ ﴾ ومن بلغه القرآن من العجم وغيرهم من الامم الى يوم القيامة حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن الحنفي أنا محمد بن بشر بن محمد المزني أنا أبو بكر محمد بن الحسين بن بشر النقاش أنا ابو شعيب الحراني أنا يحيي بن عبد الله بن الضحاك البابلي أنا الاوزاعي حدثني حسان بن عطية عن ابي كبشة السلولي عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولاحرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » أخبرنا ابو الحسن عبد الوهاب بن محمد الخطيب اخبرنا عبد العزيز بن احمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي انا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود عن ابيه ان رسول الله ﷺ قال « نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها واداها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم أبدا

الله ﷺ قال « بلغوا عن الله فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله » وقال الربيع بن أنس حق على من اتبع رسول الله ﷺ أن يدعو كالذي دعا رسول الله ﷺ وأن ينذر بالذي أنذر وقوله (أئنكم لتشهدون) أيها المشركون أي (ان مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد) كقوله «فان شهدوا فلا تشهد معهم » (قل انما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون) ثم قال تعالى مخبراً عن أهل الكتاب انهم يعرفون هذا الذي جئتهم به كما يعرفون ابناءهم بما عندهم من الاخبار والانباء عن المرسلين المتقدمين والانبياء فان الرسل كلهم بشروا بوجود محمد ﷺ ونعته[1] وصفته وبلده ومهاجره وصفة أمته ولهذا قال بعده (الذين خسروا أنفسهم) أى خسروا كل الخسارة (فهم لا يؤمنون) بهذا الامر الجلي الظاهر الذى بشرت به الانبياء ونوهت به في قديم الزمان وحديثه ثم قال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) أى لا أظلم ممن تقول على الله فادعى أن الله أرسله ولم يكن أرسله ثم لا أظلم ممن كذب بآيات الله وحججه وبراهينه ودلالاته (انه لا يفلح الظالمون) أي لا يفلح هذا ولا هذا لا المفتري ولا المكذب

[1] في النسخة الاميرية ومبعثه

ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون (٢٢) ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (٢٣) انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٢٤) ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاءوك يجادلونك

إخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين ومعبود ولزوم جماعتهم فان دعوتهم تحيط من ورائهم » قال مقاتل من بلغه القرآن من الجن والانس فهو نذير لهم وقال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً ﷺ وسمع منه ﴿أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى﴾ ولم يقل آخر لان الجمع يلحقه التأنيث كقوله عز وجل (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وقال فما بال القرون الاولى ﴿قل﴾ يامحمد إن شهدتم أنتم ﴿لا أشهد﴾ أنا ان معه إلها ﴿قل انما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون﴾

قوله تعالى ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ يعني التوراة والانجيل ﴿يعرفونه﴾ يعني محمداً ﷺ بنعته وصفته ﴿كما يعرفون ابناءهم﴾ من بين الصبيان ﴿الذين خسروا﴾ غبنوا ﴿أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ وذلك ان الله جعل لكل آدمي منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة ولاهل النار منازل أهل الجنة في النار وذلك الخسران

قوله تعالى ﴿ومن أظلم﴾ أكفر ﴿ممن افترى﴾ اختلق ﴿على الله كذبا﴾ فأشرك به غيره ﴿أو كذب بآياته﴾ يعني القرآن ﴿انه لا يفلح الظالمون﴾ الكافرون ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ أي العابدين

يقول الذين كفروا إنْ هذا إلا أسطير الأوّلين (٢٥) وهم ينهون عنه وينئون عنه وإن يُهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون (٢٦)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين (يوم نحشرهم جميعاً)يوم القيامة فيسألهم عن الاصنام والانداد التي كانوا يعبدونها من دونه قائلا لهم (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) كقوله تعالى في سورة القصص (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون)

وقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) أي حجتهم الا أن قالوا (والله ربنا ماكنا مشركين) قال الضحاك عن ابن عباس (ثم لم تكن فتنتهم) أي حجتهم. وقال عطاء الخراساني عنه أي معذرتهم وكذا قال قتادة وقال ابن جريج عن ابن عباس أي قيلهم وكذا قال الضحاك وقال عطاء الخراساني (ثم لم تكن فتنتهم) بليتهم حين ابتلوا (الا أن قالوا والله ربنا ماكنا مشركين) وقال ابن جرير والصواب ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا اياهم اعتذارا عما سلف منهم الشرك بالله (الا أن قالوا والله ربنا ماكنا مشركين) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو يحيى الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن مطرف عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أتاه رجل فقال ياابن عباس سمعت الله يقول (والله ربنا ماكنا مشركين) قال أما قوله (والله ربنا ما كنا مشركين) فانهم رأوا انه لايدخل الجنة إلا أهل الصلاة فقالوا تعالوا فلنجحد فيجحدون فيختم الله على أفواههم

والمعبودين يعني يوم القيامة ، قرأ يعقوب يحشرهم هنا وفي سبأ بالياء ووافق حفص في سبأ ، وقرأ الآخرون بالنون ﴿ ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ﴾ أنها تشفع لكم عند ربكم ﴿ ثم لم تكن فتنتهم ﴾ قرأ حمزة والكسائي ويعقوب يكن بالياء لأن الفتنة بمعنى الافتتان فجاز تذكيره ، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الفتنة ، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم فتنتهم بالرفع جعلوه اسم كان ، وقرأ الآخرون بالنصب فجعلوا الاسم قوله أن قالوا وفتنتهم الخبر ، ومعنى فتنتهم أي قولهم وجوابهم . وقال ابن عباس وقتادة : معذرتهم ، والفتنة التجربة ، فلما كان سؤالهم تجربة لاظهار مافي قلوبهم قيل له فتنة . وقال الزجاج في قوله : ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك مثل الرجل يفتن بمحبوب ثم يصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال : لم تكن فتنته إلا هذا ، كذلك الكفار فتنوا بمحبة الاصنام ولما رأوا العذاب تبرأوا منها ، يقول الله عز وجل ﴿ ثم لم تكن فتنتهم﴾ ومحبتهم للاصنام ﴿ إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ قرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء المضاف ، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت والله ، وقيل إنهم اذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن أهل التوحيد ، قالوا بعضهم لبعض : تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجوا مع أهل التوحيد فيقولون والله ربنا ماكنا مشركين فيختم على أفواههم ويشهد عليهم جوارحهم بالكفر

وتشهد أيديهم وأرجلهم (ولا يكتمون الله حديثا) فهل في قلبك الآن شيء ؟ إنه ليس من القرآن شيء إلا ونزل فيه شيء ولكن لاتعلمون وجهه . وقال الضحاك عن ابن عباس هذه في المنافقين وفيه نظر فان هذه الآية مكية والمنافقون انما كانوا بالمدينة والتي نزلت في المنافقين آية المجادلة (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) الآية وهكذا قال في حق هؤلاء (انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون) كقوله « ثم قيل لهم أين ماكنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا» الآية

وقوله (ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لايؤمنوا بها) أي يجيئون ليستمعوا قراءتك ولا تجزي عنهم شيئا لان الله (جعل على قلوبهم أكنة) أي أغطية لئلا يفقهوا القرآن (وفي آذانهم وقرا) أي صمما عن السماع النافع لهم كما قال تعالى « ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء » الآية . وقوله (وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها) أي مهما رأوا من الآيات والدلالات والحجج البينات والبراهين لايؤمنوا بها فلا فهم عندهم ولا انصاف كقوله تعالى «ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم» الآية

وقوله تعالى (حتى إذا جاؤك يجادلونك) أي يحاجونك ويناظرونك في الحق بالباطل (يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الاولين) أي ماهذا الذي جئت به الا مأخوذ من كتب الاوائل ومنقول

فقال عز وجل ﴿ انظر كيف كذبوا على أنفسهم ﴾ باعتذارهم بالباطل وتبريهم عن الشرك ﴿ وضل عنهم ماكانوا يفترون ﴾ أي زال وذهب عنهم ما كانوا يفترون من الاصنام وذلك أنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها فبطل كله في ذلك اليوم

قوله عز وجل ﴿ ومنهم من يستمع اليك ﴾ الآية . قال الكلبي : اجتمع أبو سفيان بن حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابناء ربيعة وأمية وأبي بن خلف والحارث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر: ياأبا قبيلة مايقول محمد ؟ قال ماأدري مايقول إلا أني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ماكنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون وأخبارها فقال أبوسفيان اني أرى بعض مايقول حقاً فقال أبو جهل كلا لاتقرَّ بشيء من هذا وفي رواية الموت أهون علينا من هذا، فأنزل الله عز وجل (ومنهم من يستمع اليك) وإلى كلامك ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ أغطية جمع كنان كالاعنة جمع عنان ﴿ أن يفقهوه ﴾ أن يعلموه قيل معناه أن لايفقهوه وقيل كراهة أن يفقهوه ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ صمماً وثقلاً، وهذا دليل على أن الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى ويجعل بعضها في أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن ﴿وإن يروا كل آية﴾ من المعجزات والدلالات ﴿لايؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الاولين ﴾ يعني أحاديثهم وأقاصيصهم والأساطير جمع أسطورة

عنهم وقوله (وهم ينهون عنه وينأون عنه) في معنى ينهون عنه قولان (أحدهما) ان المراد أنهم ينهون الناس عن اتباع الحق وتصديق الرسول والانقياد للقرآن (وينأون عنه) أي ويبعدونهم عنه فيجمعون بين الفعلين القبيحين لا ينتفعون ولا يدعون أحداً ينتفع قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وهم ينهون عنه) يردون الناس عن محمد ﷺ أن يؤمنوا به . وقال محمد بن الحنفية كان كفار قريش لا يأتون النبي ﷺ وينهون عنه وكذا قال قتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد وهذا القول أظهر والله أعلم وهو اختيار ابن جرير (والقول الثاني) رواه سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس يقول في قوله (وهم ينهون عنه) قال نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن النبي ﷺ أن يؤذى وكذا قال القاسم بن مخيمرة وحبيب بن أبي ثابت وعطاء ابن دينار وغيره أنها نزلت في أبي طالب وقال سعيد بن أبي هلال نزلت في عمومة النبي ﷺ وكانوا عشرة فكانوا أشد الناس معه في العلانية وأشد الناس عليه في السر رواه ابن أبي حاتم . وقال محمد بن كعب القرظي (وهم ينهون) عنه أي ينهون الناس عن قتله وقوله (وينأون عنه) أي يتباعدون منه (وإن يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون) أي وما يهلكون بهذا الصنيع ولا يعود وباله الا عليهم وهم لا يشعرون

وإسطارة وقيل الاساطير هي الترهات والاباطيل وأصلها من سطرت أي كتبت ﴿ وهم ينهون عنه ﴾ أي ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ ﴿وينأون عنه﴾ أي يتباعدون عنه بانفسهم نزلت في كفار مكة قاله محمد بن الحنفية والسدي والضحاك وقال قتادة ينهون عن القرآن وعن النبي ﷺ ويتباعدون عنه وقال ابن عباس ومقاتل نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن أذى النبي ﷺ ويمنعهم وينأى عن الايمان به أي يبعد حتى روي أنه اجتمع اليه رءوس المشركين وقالوا خذ شابا من أصبحنا وجها وادفع الينا محمدا فقال أبو طالب ما أنصفتموني ادفع اليكم ولدي لتقتلوه وأربي ولدكم وروي أن النبي ﷺ دعاه الى الايمان فقال لولا أن تعيرني قريش لاقررت بها عينك ولكن أذب عنك ماحييت وقال فيه أبيات شعر

والله ان يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة * وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت انك ناصحي * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا
وعرضت دينا قد علمت بأنه * من خير أديان البرية دينا

﴿وإن يهلكون﴾ أي مايهلكون ﴿الا أنفسهم﴾ أي لايرجع وبال فعلهم الا اليهم وأوزار الذين يصدونهم عليهم ﴿ ومايشعرون ﴾

ولو ترىٰ إذ وُقفوا على النار فقالوا يٰليتنا نُرَدُّ ولا نُكذِّبَ بآيٰت ربنا ونكونَ من المؤمنين (٢٧) بل بدا لهم ما كانوا يُخفون من قبل ولو رُدوا لعادوا لما نُهوا عنه وإنهم لكٰذبون (٢٨) وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (٢٩) ولو ترى إذ وُقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق ؟ قالو بلىٰ وربنا، قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (٣٠)

يذكر تعالى حال الكفار اذا وقفوا يوم القيامة على النار وشاهدوا مافيها من السلاسل والاغلال ورأوا بأعينهم تلك الامور العظام والاهوال فعند ذلك قالوا (ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) يتمنون أن يردوا الى الدار الدنيا ليعملوا عملا صالحاً ولا يكذبوا بآيات ربهم ويكونون من المؤمنين قال الله تعالى (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) أي بل ظهر لهم حينئذ ما كانوا يخفون في أنفسهم من الكفر والتكذيب والمعاندة وان أنكروها في الدنيا أو في الآخرة كما قال قبله بيسير « ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم » ويحتمل أنهم ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءتهم به الرسل في الدنيا وان كانوا يظهرون لاتباعهم خلافه كقوله مخبراً عن موسى أنه قال لفرعون « لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر » الآية وقوله تعالى مخبراً عن فرعون وقومه « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » ويحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان للناس ويبطنون الكفر ويكون هذا اخباراً عما يكون يوم القيامة من كلام طائفة من الكفار ولا ينافي هذا كون هذه السورة مكية والنفاق انما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب فقد ذكر الله وقوع النفاق في سورة مكية وهي العنكبوت فقال « وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين » وعلى هذا فيكون إخباراً عن قول المنافقين في الدار الآخرة حين يعاينون العذاب فظهر لهم حينئذ غب ماكانوا يبطنون من الكفر والنفاق والشقاق والله أعلم، وأما معنى الاضراب في قوله (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) فانهم ماطلبوا العود

قوله عز وجل ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ يعني في النار كقوله تعالى (على ملك سليمان) أي أي في ملك سليمان وقيل عرضوا على النار وجواب لو محذوف معناه لو تراهم في تلك الحالة لرأيت عجبا ﴿ فقالوا ياليتنا نرد﴾ يعني الى الدنيا ﴿ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ قرأ العامة كلها بالرفع على معنى ياليتنا نرد نحن ولا نكذب ونكون من المؤمنين ، وقرأ حمزة وحفص ويعقوب ولا نكذب بنصب الباء والنون على جواب التمني أي ليت ردنا وقع وان لا نكذب ونكون ، والعرب تنصب جواب التمني بالواو كما تنصب بالفاء، وقرأ ابن عامر نكذب بالرفع ونكون بالنصب لأنهم تمنوا أن يكونوا من المؤمنين وأخبروا عن أنفسهم أنهم لا يكذبون بآيات ربهم ان يردوا الى الدنيا ﴿بل بدا لهم﴾ قوله « بل » تحته رد كقولهم كلا أي ليس الامر على ماقالوا أنهم لو ردوا لآمنوا « بدا لهم » ظهر لهم

الى الدنيا رغبة ومحبة في الايمان بل خوفا من العذاب الذي عاينوه جزاء على ماكانوا عليه من الكفر فسألوا الرجعة الى الدنيا ليتخلصوا مما شاهدوا من النار ولهذا قال(ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) أي في طلبهم الرجعة رغبة ومحبة في الايمان ثم قال مخبرا عنهم أنهم لو ردوا الى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمخالفة (وانهم لكاذبون) أي في قولهم ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين أي لعادوا لما نهوا عنه ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا أي ما هي الا هذه الحياة الدنيا لامعاد بعدها ولهذا قال وما نحن بمبعوثين • ثم قال (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) أي أوقفوا بين يديه قال (أليس هذا بالحق؟) أي أليس هذا المعاد بحق وليس بباطل كما كنتم تظنون ، (قالوا بلى وربنا ؟ قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أي بما كنتم تكذبون به فذوقوا اليوم مسه (أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون)

قد خسر الذين كذَّبوا بلقاء الله حتىٰ اذا جاءتهم الساعة بغتةً قالوا يٰحسرتنا على ما فرَّطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء مايزرون (٣١) وما الحيوٰة الدنيا الا لعب ولهو والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون (٣٢)

يقول تعالى مخبراً عن خسارة من كذب بلقائه وعن خيبته اذا جاءته الساعة بغتة وعن ندامته على ما فرط من العمل وما أسلف من قبيح الفعل ولهذا قال (حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا

﴿ ما كانوا يخفون ﴾ يسرون ﴿ من قبل ﴾ في الدنيا من كفرهم ومعاصيهم وقيل ما كانوا يخفون وهو قولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) فأخفوا شركهم وكتموا حتى شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا لانهم كانوا لايخفون كفرهم في الدنيا الا أن تجعل الآية في المنافقين وقال المبرد بل بدا لهم جزاء ما كانوا يخفون وقال النضر بن شميل بل بدا لهم بدا عنهم ثم قال ﴿ ولو ردوا ﴾ الى الدنيا ﴿ لعادوا لما ﴾ يعني الى ما ﴿ نهوا عنه ﴾ من الكفر ﴿وانهم لكاذبون﴾ في قولهم لو ردوا الى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴿وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴾ هذا اخبار عن انكارهم البعث وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم هذا من قولهم لو ردوا لقالوه

قوله تعالى ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ﴾ أي على حكمه وقضائه ومشيئته وقيل عرضوا على ربهم ﴿قال﴾ لهم وقيل تقول لهم الخزنة بأمر الله ﴿أليس هذا بالحق؟﴾ يعني أليس هذا البعث والعذاب بالحق؟ ﴿قالوا بلى وربنا﴾ أنه حق قال ابن عباس هذا في موقف وقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) في موقف آخر وفي يوم القيامة مواقف ففي موقف يقرون وفي موقف ينكرون ﴿ قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون* قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ﴾ أي خسروا أنفسهم بتكذيبهم المصير الى الله والبعث بعد الموت﴿حتى إذا جاءتهم الساعة﴾ أي القيامة ﴿ بغتة ﴾ أي فجأة ﴿قالوا ياحسرتنا﴾ ندامتنا

على مافرطنا فيها) وهذا الضمير يحتمل عوده على الحياة وعلى الاعمال وعلى الدار الآخرة أي في أمرها وقوله (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء مايزرون) أي يحملون وقال قتادة يعملون ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد الاحمر عن عمرو بن قيس عن أبي مرزوق قال يستقبل الكافر أو الفاجر عند خروجه من قبره كاقبح صورة رأيتها وأنتنه ريحا فيقول من أنت فيقول أوما تعرفني فيقول لا والله الا أن الله قبح وجهك وأنتن ريحك فيقول أنا عملك الخبيث هكذا كنت في الدنيا خبيث العمل منتنه فطال ما ركبتني في الدنيا هلم أركبك فهو قوله (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) الآية

وقال أسباط عن السدي انه قال : ليس من رجل ظالم يدخل قبره الا جاءه رجل قبيح الوجه اسود اللون منتن الريح وعليه ثياب دنسة حتى يدخل معه قبره فاذا رآه قال ما أقبح وجهك قال كذلك كان عملك قبيحا ، قال ما أنتن ريحك قال كذلك كان عملك منتنا ، قال ما أدنس ثيابك ، قال فيقول إن عملك كان دنسا ، قال له من أنت ؟ قال عملك ، قال فيكون معه في قبره فاذا بعث يوم القيامة قال له : اني كنت أحملك في الدنيا باللذات والشهوات وأنت اليوم تحملني ، قال فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار ، فذلك قوله (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون) وقوله (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) أي انما غالبها كذلك (وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون)

ذكر على وجه النداء للمبالغة قال سيبويه كأنه يقول أيتها الحسرة هذا أوانك ﴿على مافرطنا﴾ أى قصرنا ﴿فيها﴾ أى في الطاعة وقيل تركنا في الدنيا من عمل الآخرة وقال محمد بن جرير الهاء راجعة الى الصفقة وذلك أنه لما تبين لهم خسران صفقتهم ببيعهم الآخرة بالدنيا (قالوا ياحسرتنا على مافرطنا فيها) أى في الصفقة فترك ذكر الصفقة اكتفاء بذكره بقوله قد خسر لان الخسران إنما يكون في صفقة بيع ، والحسرة شدة الندم حتي يحسر النادم كما يحسر الذى تقوم به دابته في السفر البعيد ﴿وهم يحملون أوزارهم﴾ أثقالهم وآثامهم ﴿على ظهورهم﴾ قال السدى وغيره أن المؤمن اذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا عملك الصالح فاركبني فقد طالما ركبتك في الدنيا فذلك قوله عز وجل (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) أى ركبانا وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورة وأنتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا فأنا اليوم أركبك فهذا معنى قوله (وهم يحملون أوزارهم علي ظهورهم)﴿ألا ساء ما يزرون﴾ يحملون قال ابن عباس أى بئس الحمل حملوا﴿ وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو ﴾ باطل وغرور ولا بقاء لها ﴿ وللدار الآخرة﴾ قرأ ابن عامر ولدار الآخرة مضافا أضاف الدار إلى الآخرة ويضاف الشيء إلى نفسه عند اختلاف اللفظين كقوله (وحب الحصيد)وقولهم ربيع الأول ومسجد الجامع . سميت الدنيا لدنوها وقيل لدناءتها وسميت الآخرة لانها بعد الدنيا ﴿ خير للذين يتقون ﴾ الشرك ﴿ أفلا تعقلون﴾ أن الآخرة أفضل من الدنيا قرأ اهل المدينة وابن عامر ويعقوب أفلا تعقلون

قد نعلم إنه ليَحزُنك الذي يقولون فانهم لا يُكذِّبونك، ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون (٣٣) ولقد كُذِّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كُذِّبوا وأُوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإى المرسلين (٣٤) وإن كان كبُر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سُلّما في السماء فتأتيهم بآية، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين (٣٥) إنما يستجيبُ الذين يسمعون، والموتى يبعثهم الله ثم إليه يُرجعون (٣٦)

يقول تعالى مسليا لنبيه ﷺ في تكذيب قومه له ومخالفتهم اياه (قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون) أي قد أحطنا علما بتكذيبهم لك وحزنك وتأسفك عليهم كقوله «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» كما قال تعالى في الآية الاخرى «لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين» «فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا» وقوله «فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون» أي لا يتهمونك بالكذب في نفس الامر (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) أي ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم كما قال سفيان الثوري عن أبي اسحاق عن ناجية بن كعب عن علي قال قال أبو جهل للنبي ﷺ إنا لا نكذبك ولكن نكذب ماجئت به فأنزل الله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون « رواه الحاكم من طريق اسرائيل عن أبي اسحاق ثم قال صحيح

بالتاء هاهنا وفي الاعراف وسورة يوسف ويس ووافق أبو بكر في سورة يوسف ووافق حفص الا في سورة يس وقرأ الآخرون بالياء فيهن

قوله عز وجل ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ﴾ قال السدي التقي الاخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام فقال الاخنس لابي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد بن عبد الله أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا أحد يسمع كلامك غيري قال أبو جهل والله ان محمداً لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقال ناجية بن كعب قال أبو جهل للنبي ﷺ لا نتهمك ولا نكذبك ولكنا نكذب الذي جئت به فأنزل الله تعالى (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون) بأنك كاذب ﴿فانهم لا يكذبونك﴾ قرأ نافع والكسائي بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد من التكذيب والتكذيب هو أن تنسبه إلى الكذب وتقول له كذبت والا كذاب هو أن تجده كاذبا تقول العرب أجدبت الارض وأخصبتها إذا وجدتها جدبة ومخصبة ﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ يقول إنهم لا يكذبونك

على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن الوزير الواسطي بمكة حدثنا بشر بن المبشر الواسطي عن سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدني أن النبي ﷺ لقي أبا جهل فصافحه فقال له رجل ألا أراك تصافح هذا الصابي؟ فقال والله إني لاعلم إنه لنبي ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعا؟ وتلا أبو يزيد (فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقال أبو صالح وقتادة يعلمون أنك رسول الله ويجحدون، وذكر محمد بن اسحاق عن الزهري في قصة أبي جهل حين جاء يستمع قراءة النبي ﷺ من الليل هو وأبو سفيان صخر بن حرب والاخنس بن شريق ولايشعر أحد منهم بالآخر فاستمعوها إلى الصباح فلما هجم الصبح تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال كل منهم للآخر ماجاء بك؟ فذكر له ماجاء به ثم تعاهدوا أن لايعودوا لما يخافون من علم شباب قريش بهم لئلا يفتتنوا بمجيئهم، فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم ظنا أن صاحبيه لايجيئان لما سبق من العهود فلما أصبحوا جمعتهم الطريق فتلاوموا ثم تعاهدوا أن لايعودوا فلما كانت الليلة الثالثة جاءوا أيضاً فلما أصبحوا تعاهدوا أن لايعودوا لمثلها ثم تفرقوا، فلما أصبح الاخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد قال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف مايراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا مايراد بها، قال الاخنس وأنا والذي حلفت به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه في بيته فقال ياأبا الحكم ماراًيك فيما سمعت من محمد؟ قال ماذا سمعت؟ قال تنازعنا نحن وبنو عبدمناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه؟ والله لانؤمن به أبداً ولا نصدقه، قال فقام عنه الاخنس وتركه.

وروى ابن جرير من طريق أسباط عن السدي في قوله (قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) لما كان يوم بدر قال الاخنس بن شريق لبني زهرة يابني زهرة ان محمداً بن أختكم فأنتم أحق من ذب عن ابن اخته فانه إن كان نبيا لم تقاتلوه اليوم وإن كان كاذبا كنتم أحق من كف عن ابن اخته، قفوا حتى ألقى أبا الحكم فان غلب محمد رجعتم سالمين، وإن غُلب محمد فان قومكم لم يصنعوا بكم شيئا - فيومئذ سمي الاخنس وكان اسمه أبي - فالتقى الاخنس بأبي جهل فخلا به فقال ياأبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا من قريش غيري وغيرك يستمع كلامنا؟ فقال أبو جهل ويحك والله ان محمداً لصادق وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ فذلك قوله (فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) فآيات الله محمد ﷺ

في السر لأنهم عرفوا صدقك فيما مضى وإنما يكذبون وحيي ويجحدون آياتي كما قال « وجحدوا بها

وقوله (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) هذه تسلية للنبي ﷺ وتعزية له فيمن كذبه من قومه، وأمر له بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل، ووعد له بالنصر كما نصروا، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ ثم جاءهم النصر في الدنيا كما لهم النصر في الآخرة، ولهذا قال (ولا مبدل لكلمات الله) أي التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين كما قال (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * انهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) وقوله (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) أي من خبرهم كيف نصروا وأيدوا على من كذبهم من قومهم فلك فيهم أسوة وبهم قدوة

ثم قال تعالى (وان كان كبر عليك إعراضهم) أي إن كان شق عليك اعراضهم عنك (فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس النفق السرب فتذهب فيه فتأتيهم بآية أو تجعل لك سلما في السماء فتصعد فيه فتأتيهم بآية أفضل مما أتيتهم به فافعل، وكذا قال قتادة والسدي وغيرهما، وقوله (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) كقوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) قال ان رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبر الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الاول، وقوله تعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون) أي إنما يستجيب لدعائك يا محمد من يسمع

واستيقنتها أنفسهم» ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك﴾ كذبهم قومهم كما كذبتك قريش ﴿فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾ بتعذيب من كذبهم ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾ لا ناقض لما حكم به وقد حكم في كتابه بنصر أنبيائه عليهم السلام فقال (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) وقال (انا لننصر رسلنا) وقال (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) وقال الحسن بن الفضل: لا خلف لعدته ﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ ومن صلة كما تقول أصابنا من مطر ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم﴾ أي عظم عليك وشق أن أعرضوا عن الايمان بك وكان رسول الله ﷺ يحرص على إيمان قومه أشد الحرص وكانوا اذا سألوا آية أحب أن يريهم الله تعالى ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله عز وجل ﴿فان استطعت أن تبتغي نفقا﴾ تطلب تتخذ نفقا سربا ﴿في الارض﴾ ومنه نافقاء اليربوع وهو أحد جحريه فتذهب فيه ﴿أو سلما﴾ أي درجا ومصعداً ﴿في السماء﴾ فتصعد فيه ﴿فتأتيهم بآية﴾ فافعل ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ فآمنوا كلهم ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ أي بهذا الحرف وهو قوله (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) وان من يكفر يكفر لسابق علم الله فيه ﴿انما يستجيب الذين يسمعون﴾ يعني المؤمنين الذين يسمعون الذكر فيتبعونه وينتفعون به دون

الكلام ويعيه ويفهمه كقوله (لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) وقوله (والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون) يعني بذلك الكفار لانهم موتى القلوب فشبههم الله بأموات الاجساد فقال (والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون) وهذا من باب التهكم بهم والازراء عليهم

وقالوا لولا نُزِّلَ عليه آيةٌ من ربه قل إن الله قادر على ان ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون (٣٧) وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون (٣٨) والذين كذبوا بآيتنا صم وبكم في الظلمت من يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (٣٩)

يقول تعالى مخبرا عن المشركين أنهم كانوا يقولون لولا نزل عليه آية من ربه أي خارق على مقتضى ماكانوا يريدون ومما يتعنتون كقولهم (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) الآيات (قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لايعلمون) أي هو تعالى قادر على ذلك ولكن حكمته تعالى تقتضي تأخير ذلك لانه لو أنزل وفق ماطلبوا ثم لم يؤمنوا لعاجلهم بالعقوبة كما فعل بالامم السالفة كما قال تعالى (ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون*وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ومانرسل بالآيات إلا تخويفاً) وقال تعالى (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) وقوله (وما من دابة في الارض ولاطائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) قال مجاهد أي أصناف مصنفة تعرف باسمائها

وقال قتادة الطير أمة والانس أمة والجن أمة وقال السدي (الا أمم امثالكم) أي خلق أمثالكم

من ختم الله على سمعه ﴿والموتى﴾ يعني الكفار ﴿يبعثهم الله ثم اليه يرجعون﴾ فيجزيهم بأعمالهم

قوله عز وجل ﴿وقالوا﴾ يعني رؤساء قريش ﴿لولا﴾ هلا ﴿نزل عليه آية من ربه قال ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ماعليهم في انزالها

قوله عز وجل ﴿ومامن دابة في الارض ولاطائر يطير بجناحيه﴾ قيد الطيران بالجناح تأكيدا كما يقال نظرت بعيني وأخذت بيدي ﴿الا أمم أمثالكم﴾ قال مجاهد أصناف مصنفة تعرف بأسمائهم يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والهوام أمة والذباب أمة والسباع أمة تعرف بأسمائها مثل بني آدم يعرفون بأسمائهم يقال الانس والناس أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو عبد الرحمن ابن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا المبارك هو ابن فضالة عن الحسن عن عبد الله بن مغفل عن النبي ﷺ قال « لولا أن الكلاب أمة من الامم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم » وقيل أمم أمثالكم يفقه بعضهم عن بعض، وقيل أمم أمثالكم في الخلق والموت والبعث وقال

وقوله [مافرطنافي الكتاب من شيء] أي الجميع علمهم عند الله ولاينسى واحدا من جميعها من رزقه وتدبيره سواء كان بريا أو بحريا كقوله (وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) أي مفصح باسمائها وأعدادها ومظانها وحاصر لحركاتها وسكناتها وقال تعالى (وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) وقد قال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد ابن المثنى حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد حدثني محمد بن عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قل الجراد في سنة من سني عمر رضي الله عنه التي ولي فيها فسأل عنه فلم يخبر بشيء فاغتم لذلك فأرسل راكبا الى كذا وآخر الى الشام وآخر الى العراق يسأل هل رؤي من الجراد شيء أم لا ؟ قال فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه فلما رآها كبر ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « خلق الله عز وجل ألف أمة منها ستمائة في البحر واربعمائة في البر وأول شيء يهلك من هذه الامم الجراد فاذا هلكت تتابعت مثل النظام اذا قطع سلكه »

وقوله (ثم الى ربهم يحشرون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (ثم الى ربهم يحشرون) قال حشرها الموت وكذا رواه ابن جرير من طريق اسرائيل عن سعيد بن مسروق عن عكرمة عن ابن عباس قال موت البهائم حشرها وكذا رواه العوفي عنه قال ابن أبي حاتم وروي عن مجاهد والضحاك مثله (والقول الثاني) ان حشرها هو بعثها يوم القيامة لقوله (واذا الوحوش حشرت) وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان عن منذر الثوري عن أشياخ لهم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان فقال « ياأبا ذر هل تدري فيم تنتطحان ؟ » قال لا قال « لكن الله يدري وسيقضي بينهما » ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الاعمش عمن ذكره عن أبي ذر قال بينا نحن عند رسول الله ﷺ اذ انتطحت عنزان فقال رسول الله ﷺ « أتدرون فيم انتطحتا ؟ » قالوا لاندري قال « لكن الله يدري وسيقضي بينهما » رواه ابن جرير ثم رواه من طريق منذر الثوري عن أبي ذر فذكره وزاد قال أبو ذر ولقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما وقال عبد الله بن الامام أحمد في مسند أبيه حدثني عباس بن محمد وأبو يحيى البزاز قالا حدثنا حجاج بن نصير حدثنا شعبة عن العوام بن مزاحم من بني قيس بن ثعلبة عن أبي عثمان النهدي عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن جعفر بن برقان عن

عطاء أمم أمثالكم في التوحيد والمعرفة ، قال ابن قتيبة أمم أمثالكم في الغذاء وابتغاء الرزق وتوقي المهالك ﴿ مافرطنا في الكتاب ﴾ أي في اللوح المحفوظ ﴿ من شيء ثم الى ربهم يحشرون ﴾ قال ابن عباس والضحاك حشرها موتها وقال أبو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيقتص للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فحينئذ يتمنى الكافر ويقول ياليتني كنت ترابا

يزيد بن الاصم عن أبي هريرة في قوله (الا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون) قال يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ ان يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فلذلك يقول الكافر (ياليتني كنت ترابا) وقد روي هذا مرفوعا في حديث الصور

وقوله (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات) أي مثلهم في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل أصم وهو الذي لايسمع أبكم وهو الذى لايتكلم وهو مع هذا في ظلمات لايبصر فكيف يهتدي مثل هذا الى الطريق أو يخرج مما هو فيه كقوله (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايبصرون * صم بكم عمي فهم لايرجعون) وكما قال تعالى (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) ولهذا قال (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) أي هو المتصرف في خلقه بما يشاء.

قل أرءيتكم إن أتيكم عذابُ الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صٰدقين؟ (٤٠) بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون إليه إن شاء وتنسون ماتشركون (٤١) ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذنٰهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون (٤٢) فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا، ولٰكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطٰن ماكانوا يعملون (٤٣) فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبوٰب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذنٰهم بغتة فإذا هم مبلسون (٤٤) فقُطع دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العٰلمين (٤٥)

يخبر تعالى أنه الفعال لما يريد المتصرف في خلقه بما يشاء وأنه لامعقب لحكمه ولا يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه بل هو وحده لاشريك له الذي اذا سئل يجيب لمن يشاء ولهذا قال

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهرى أنا احمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لتردن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء »

قوله عز وجل ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم﴾ لايسمعون الخير ولايتكلمون به ﴿في الظلمات﴾ فى ضلالات الكفر ﴿من يشأ الله يضلله﴾ فيموت على الكفر ﴿ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ هو الاسلام

قوله تعالى ﴿قل أرأيتكم﴾ هل رأيتم؟ والكاف فيه للتأكيد، وقال الفراء رحمه الله العرب تقول أرأيتك وهم يريدون أخبرنا كما يقول أرأيتك ان فعلت كذا ماذا تفعل أى اخبرني وقرأ أهل المدينة

(قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة) أى أتاكم هذا أو هذا (أغير الله تدعون ان كنتم صادقين) أى لاتدعون غيره لعلمكم انه لايقدر احد على رفع ذلك سواه ولهذا قال (إن كنتم صادقين) أي في اتخاذكم آلهة معه (بل إياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه ان شاء وتنسون ماتشركون) اي في وقت الضرورة لاتدعون أحدا سواه وتذهب عنكم أصنامكم وأندادكم كقوله (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا إياه) الآية وقوله (ولقد أرسلنا الى امم من قبلك فأخذناهم بالبأساء) يعني الفقر والضيق في العيش (والضراء) وهي الامراض والاسقام والآلام (لعلهم يتضرعون) أي يدعون الله ويتضرعون اليه ويخشعون، قال الله تعالى (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) أي فهلا اذ ابتليناهم بذلك تضرعوا الينا وتمسكنوا لدينا (ولكن قست قلوبهم) أي مارقت ولا خشعت (وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون) أي من الشرك والعاندة والمعاصي (فلما نسوا ماذكروا به) أي أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) أي فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل مايختارون وهذا استدراج منه تعالى واملاء لهم، عياذا بالله من مكره، ولهذا قال (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) من الاموال والاولاد والارزاق (أخذناهم بغتة) أي على غفلة (فاذاهم مبلسون) أى آيسون من كل خير قال الوالبي عن ابن عباس المبلس الآيس، وقال الحسن البصرى من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له

أرأيتكم وأرأيتم وأرأيت بتليين الهمزة الثانية والكسائي بحذفها، قال ابن عباس قل يامحمد لهؤلاء المشركين أرأيتكم «ان آتاكم عذاب الله» قبل الموت «أو أتتكم الساعة» يعني يوم قيامة «أغير الله تدعون» في صرف العذاب عنكم «ان كنتم صادقين» وأراد أن الكفار يدعون الله في أحوال الاضطرار كما أخبر الله عنهم (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين) ثم قال ﴿بل اياه تدعون﴾ أى تدعون الله ولا تدعون غيره ﴿فيكشف ماتدعون اليه ان شاء﴾ قيد الاجابة بالمشيئة والامور كلها بمشيئته ﴿وتنسون﴾ وتتركون ﴿ماتشركون * ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء﴾ بالشدة والجوع ﴿والضراء﴾ المرض والزمانة ﴿لعلهم يتضرعون﴾ أى يتوبون ويخضعون والتضرع السؤال بالتذلل ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿إذ جاءهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿تضرعوا﴾ آمنوا فيكشف عنهم أخبر الله عز وجل أنه قد أرسل الى قوم بلغوا من القسوة الى أنهم أخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا فذلك قوله ﴿ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فلما نسوا ماذكروا به﴾ تركوا ماوعظوا وأمروا به ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ قرأ ابو جعفر فتحنا بالتشديد في كل القرآن وقرأ ابن عامر كذلك اذا كان عقيبه جمع والباقون بالتخفيف وهذا فتح استدراج ومكر أى بدلنا مكان البلاء والشدة الرخاء والصحة ﴿حتى اذا فرحوا بما أوتوا﴾ وهذا فرح بطر مثل فرح قارون بما أصاب من الدنيا ﴿أخذناهم بغتة﴾ فجأة آمن ما كانوا وأعجب ما كانت الدنيا اليهم ﴿فاذاهم مبلسون﴾ آيسون من كل خير وقال ابو عبيدة المبلس النادم الحزين

ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأي له ثم قرأ (فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون) قال مكر بالقوم ورب الكعبة اعطوا حاجتهم ثم أخذوا ، رواه ابن أبي حاتم ، وقال قتادة بغت القوم أمر الله وما اخذ الله قوما قط الا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله فانه لايغتر بالله الا القوم الفاسقون رواه ابن أبي حاتم أيضا

وقال مالك عن الزهري (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) قال أرجاء الدنيا وسترها، وقد قال الامام أحمد حدثنا يحيي بن غيلان حدثنا رشدين - يعني ابن سعد أبا الحجاج المهري - عن حرملة بن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال « اذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه مايحب فانما هو استدراج » ثم تلا رسول الله ﷺ (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حرملة وابن لهيعة عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر به « وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا عراك بن خالد بن يزيد حدثني أبي عن ابراهيم بن أبي عبلة عن عبادة ابن الصامت أن رسول الله ﷺ كان يقول « اذا أراد الله بقوم بقاء أو نماء رزقهم القصد والعفاف واذا أراد الله بقوم اقتطاعا فتح لهم أو فتح عليهم باب خيانة حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون » كما قال (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) ورواه أحمد وغيره

قل أرءيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيت ثم هم يصدفون (٤٦) قل أرءيتكم إن أتكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظلمون (٤٧) وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٤٨) والذين كذبوا بآيتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون (٤٩)

وأصل الابلاس الاطراق من الحزن والندم وروى عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال « اذا رأيت الله يعطي العبد مايحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلا (فلما نسوا ماذكروا به) الآية ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ أي آخرهم الذين يدبرهم يقال دبر فلان اليوم يدبرهم دبراً ودبورا اذا كان آخرهم ومعناه أنهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ حمد الله نفسه على إن قطع دابرهم لانه نعمة على رسله فذكر الحمد لله تعليما لهم ولمن آمن بهم أن يحمدوا الله على كفايته شر الظالمين وليحمد محمد ﷺ وأصحابه ربهم اذا أهلك المكذبين

قوله تعالى ﴿ قل أرأيتم ﴾ أيها المشركون ﴿ أن أخذ الله سمعكم ﴾ حتى لاتسمعون شيئاً أصلا

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ قل لهؤلاء المكذبين المعاندين (أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم) أي سلبكم إياها كما أعطاكموها ، كما قال تعالى (هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار) الآية ويحتمل أن يكون هذا عبارة عن منع الانتفاع بهما الانتفاع الشرعي ولهذا قال (وختم على قلوبكم) كما قال (أمّن يملك السمع والابصار) وقال (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) وقوله (من إله غير الله يأتيكم به) أي هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك اليكم اذا سلبه الله منكم ؟ لايقدر على ذلك أحد سواه ولهذا قال (انظر كيف نصرف الآيات) أي نبينها و نوضحها ونفسرها دالة على انه لا إله إلا الله وان مايعبدون من دونه باطل وضلال (ثم هم يصدفون)أي ثم هم مع هذا البيان يصدفون أي يعرضون عن الحق ويصدون الناس عن اتباعه قال العوفي عن ابن عباس يصدفون أي يعدلون وقال مجاهد وقتادة يعرضون ، وقال السدي يصدون، وقوله تعالى (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة) أي وأنتم لا تشعرون به حتى بغتكم وفجأكم (أو جهرة) اي ظاهراً عيانا (هل يهلك إلا القوم الظالمون) أي انما كان يحيط بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله وينجو الذين كانوا يعبدون الله وحده لاشريك له فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الآية ، وقوله (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) أي مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات، ومنذرين من كفر بالله النقمات والعقوبات ، ولهذا قال (فمن آمن وأصلح) أي فمن آمن قلبه بما جاؤا به وصلح عمله باتباعه اياهم (فلا خوف عليهم) أي بالنسبة لما يستقبلونه(ولاهم يحزنون) أي بالنسبة الى مافاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا وصنيعها ، الله وليهم فيما خلفوه، وحافظهم فيما تركوه . ثم قال (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون) أي ينالهم العذاب بما كفروا بما جاءت به الرسل وخرجوا عن أوامر الله وطاعته وارتكبوا من مناهيه ومحارمه وانتهاك حرماته

قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني مَلَكٌ إن اتبع

﴿ وأبصاركم ﴾ حتى لاتبصروا شيئاً أصلا ﴿ وختم على قلوبكم ﴾ حتى لاتفقهوا شيئاً ولا تعرفوا مما تعرفون من أمور الدنيا شيئاً ﴿ من إله غير الله يأتيكم به؟ ﴾ ولم يقل بها مع أنه ذكر أشياء قيل معناه بما أخذ منكم ، وقيل الكناية ترجع إلى السمع الذي ذكر أولا ويندرج غيره تحته كقوله تعالى (والله ورسوله أحق أن يرضوه) فالهاء راجعة إلى الله ورضى رسوله يندرج في رضا الله تعالى ﴿ انظر كيف نصرف الآيات ﴾ أي نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة ﴿ ثم هم يصدفون ﴾ يعرضون عنها مكذبين ﴿ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة ﴾ فجأة ﴿ أو جهرة ﴾ معاينة ترونه عند نزوله . قال ابن عباس والحسن : ليلا ونهاراً ﴿ هل يهلك إلا القوم الظالمون ﴾ المشركون ؟

قوله عز وجل ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين . فمن آمن وأصلح ﴾ العمل ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ حين يخاف أهل النار ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ اذا حزنوا ﴿ والذين كذبوا بآياتنا يمسهم ﴾ يصيبهم ﴿ العذاب بما كانوا يفسقون ﴾ يكفرون ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ﴾ نزل حين

إلا مايوحىٰ الي قل هل يستوي الاعمى والبصير أفلا تتفكرون (٥٠) وأنذر به الذين يخافون أن يُحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون (٥١) ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدٰوة والعشي يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظٰلمين (٥٢) وكذٰلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ أليس الله بأعلم بالشٰكرين؟ (٥٣) واذا جاءك الذين يؤمنون بآيٰتنا فقل سلٰم عليكم كتب ربكم علىٰ نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهٰلة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم (٥٤)

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله) أي لست أملكها ولا أتصرف فيها (ولا أعلم الغيب) أي ولا أقول لكم اني أعلم الغيب انما ذاك من علم الله عز وجل ولا أطلع منه الا على ماأطلعني عليه (ولا أقول لكم اني ملك) أي ولا أدعي أني ملك انما أنا بشر من البشر يوحى اليَّ من الله عز وجل شرفني بذلك وأنعم علي به ولهذا قال (ان اتبع الا مايوحى الي) أى لست أخرج عنه قيد شبر ولا أدنى منه (قل هل يستوي الاعمى والبصير) أي هل يستوى من اتبع الحق وهدي اليه ومن ضل عنه فلم ينقد له (أفلا تتفكرون) وهذه كقوله تعالى «أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الالباب» وقوله (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) أي وأنذر بهذا القرآن يا محمد «الذين هم من خشية ربهم مشفقون *الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب» (الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم) أي يوم القيامة (ليس لهم) أى يومئذ (من دونه ولي ولا شفيع) أى لاقريب لهم ولا شفيع فيهم

اقترحوا الآيات فأمره أن يقول لهم «لاأقول لكم عندي خزائن الله» أي خزائن رزقه فأعطيكم ماتريدون ﴿ولا أعلم الغيب﴾ فأخبركم بما غاب مما مضى ومما سيكون ﴿ولا أقول لكم اني ملك﴾ قال ذلك لأن الملك يقدر على مالا يقدر عليه الآدمي، ويشاهد مالا يشاهده الآدمي، يريد لاأقول لكم شيئاً من ذلك فتنكرون قولي وتجحدون أمري ﴿إن أتبع إلا مايوحى إليّ﴾ أي ماآتيكم به فمن وحي الله تعالى وذلك غير مستحيل في العقل مع قيام الدليل والحجج البالغة ﴿قل هل يستوي الاعمى والبصير﴾ قال قتادة: الكافر والمؤمن. وقال مجاهد: الضال والمهتدي. وقيل الجاهل والعالم ﴿أفلا تتفكرون﴾ أي أنهما لا يستويان

قوله عز وجل ﴿وأنذر به﴾ خوف به أي بالقرآن ﴿الذين يخافون أن يحشروا﴾ يجمعوا ويبعثوا ﴿إلى ربهم﴾ وقيل يخافون أي يعلمون لأن خوفهم انما كان من علمهم ﴿ليس لهم من دونه﴾ من

من عذابه إن أراده بهم (لعلهم يتقون) أي أنذر هذا اليوم الذي لا حاكم فيه إلا الله عز وجل [لعلهم يتقون] فيعملون في هذه الدار عملا ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه ، ويضاعف لهم به الجزيل من ثوابه

وقوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) أي لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفات عنك بل اجعلهم جلساءك واخصاءك كقوله « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » وقوله (يدعون ربهم) أي يعبدونه ويسألونه (بالغداة والعشي) قال سعيد بن المسيب ومجاهد والحسن وقتادة المراد به الصلاة المكتوبة

دون الله ﴿ ولي ﴾ قريب ينفعهم ﴿ ولا شفيع ﴾ يشفع لهم ﴿ لعلهم يتقون ﴾ فينتهون عما نهوا عنه ، وانما نفى الشفاعة لغيره مع أن الانبياء والاولياء يشفعون لأنهم لا يشفعون إلا باذنه

﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ قرأ ابن عامر بالغدوة بضم الغين وسكون الدال وواو بعدها ههنا وفي سورة الكهف ، وقرأ الآخرون بفتح الغين والدال وألف بعدها . قال سلمان وخباب بن الارتّ فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي ﷺ قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فقالوا يارسول الله : لو جلست في صدر المجلس نفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم -وكان عليهم جباب صوف لم يكن عليهم غيرها- لجالسناك وأخذنا عنك ، فقال النبي ﷺ لهم « ما أنا بطارد المؤمنين » قالوا : فانا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف به العرب فضلنا ، فان وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الاعبد ، فاذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت ، قال « نعم » قالوا اكتب لنا عليك بذلك كتاباً قال : فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب قال : ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل بقوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه — إلى قوله — بالشاكرين) فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه وهو يقول [سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة] فكنا نقعد معه ، فاذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله عز وجل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا بعد وندنو منه حتى كانت ركبنا تمس ركبته ، فاذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا « الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات » وقال الكلبي قالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما فقال «لا أفعل» قالوا : فاجعل المجلس واحداً فأقبل علينا وول ظهرك عليهم » فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولا تطرد الذين) قال مجاهد قالت قريش: لولا بلال وابن أم عبد لبايعنا محمداً فأنزل الله هذه الآية (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) يعني صلاة

وهذا كقوله (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) أي أتقبل منكم وقوله (يريدون وجهه) أي يريدون بذلك العمل وجه الله الكريم وهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات وقوله (ماعليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) كقول نوح عليه السلام في جواب الذين (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون * قال وما علمي بما كانوا يعملون * ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون) أي انما حسابهم على الله عز وجل وليس عليّ من حسابهم من شيء كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء ، وقوله (فتطردهم فتكون من الظالمين) أي ان فعلت هذا والحالة هذه، قال الامام أحمد حدثنا اسباط هو ابن محمد حدثني أشعث عن كردوس عن ابن مسعود قال مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء ؟ فنزل فيهم القرآن (وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) الى قوله (أليس الله بأعلم بالشاكرين) ورواه ابن جرير من طريق أشعث عن كردوس عن ابن مسعود قال : مر الملأ من قريش برسول الله ﷺ وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يامحمد أرضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ؟ أنحن نصير تبعا لهؤلاء؟ اطردهم فلعلك ان طردتهم أن نتبعك ، فنزلت هذه الآية (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وكذلك فتنا بعضهم ببعض) الى آخر الآية ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن سعيد بن يحى بن سعيد القطان حدثنا عمرو بن محمد العنقزي حدثنا أسباط بن نصر عن السدي عن أبي سعيد الازدي ـ وكان قارىء الازد ـ عن أبي الكنود عن خباب في قول الله عز وجل (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي] قال جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم في نفر في أصحابه فأتوه فخلوا به وقالوا إنا نريد أن تجعل لنا منك

الصبح وصلاة العصر ، ويروى عنه أن المراد منه الصلوات الخمس ، وذلك أن أناسا من الفقراء كانوا مع النبي ﷺ فقال ناس من الاشراف : اذا صلينا فأخر هؤلاء فليصلوا خلفنا فنزلت هذه الآية وقال مجاهد : صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص ، فقال سعيد : ماأسرع الناس إلى هذا المجلس . قال مجاهد فقلت : يتأولون قوله (يدعون ربهم بالغداة والعشي) قال أفي هذا هو؟ انما ذلك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن . وقال ابراهيم النخعي : يعني يذكرون ربهم ، وقيل المراد منه حقيقة الدعاء ﴿ يريدون وجهه ﴾ أي يريدون الله بطاعتهم . قال ابن عباس رضي الله عنهما : يطلبون ثواب الله فقال ﴿ ماعليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ﴾ أي لا تكلف أمرهم ولايكلفون أمرك ، وقيل ليس رزقهم عليك فتملهم ﴿ فتطردهم ﴾ ولا رزقك عليهم قوله (فتطردهم) جواب لقوله (ماعليك من حسابهم من شيء) وقوله ﴿ فتكون من

مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال «نعم» قالوا فا كتب لنا عليك كتابا قال فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل فقال (ولا تطرد الذين يدعون ربهم)الآية فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه ،ورواه ابن جرير من حديث أسباط به ،وهذا حديث غريب فان هذه الآية مكية والاقرع بن حابس وعيينة انما أسلما بعد الهجرة بدهر وقال سفيان الثوري عن المقدام ابن شريح عن أبيه قال قال سعد نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي ﷺ منهم ابن مسعود قال كنا نستبق الى رسول الله ﷺ وندنوا منه ونسمع منه فقالت قريش تدني هؤلاء دوننا فنزلت(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) رواه الحاكم في مستدركه من طريق سفيان وقال على شرط الشيخين وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق المقدام بن شريح به

وقوله (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أي ابتلينا واختبرنا وامتحنا بعضهم ببعض (ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا)وذلك أن رسول الله ﷺ كان غالب من اتبعه في أول بعثته ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والاماء ولم يتبعه من الاشراف الا قليل كما قال قوم نوح لنوح (وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) الآية وكما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان حين سأله عن تلك المسائل فقال له فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقال بل ضعفاؤهم فقال هم اتباع الرسل .والغرض أن مشركي قريش كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفائهم ويعذبون من يقدرون عليه منهم وكانوا يقولون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ أي ماكان الله ليهدي هؤلاء الى الخير لو كان ماصاروا اليه خيرا ويدعنا كقولهم (لو كان خيرا ماسبقونا اليه) وكقوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) قال الله تعالى في جواب ذلك(وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا) وقال في جوابهم حين قالوا (اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ أليس الله باعلم بالشاكرين؟) أي أليس هو أعلم بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم

الظالمين ﴾ جواب لقوله (ولا تطرد) أحدهما جواب النفي والآخر جواب النهي ﴿ وكذلك فتنا ﴾ أي ابتلينا ﴿ بعضهم ببعض ﴾ أراد ابتلى الغني بالفقير ، والشريف بالوضيع ، وذلك أن الشريف اذا نظر إلى الوضيع قد سبقه بالايمان امتنع من الاسلام بسببه فكان فتنة له فذلك قوله « ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا » فقال الله تعالى « أليس الله بأعلم بالشاكرين » فهو جواب لقولهم « أهؤلاء من الله عليهم من بيننا » فهو استفهام بمعنى التقرير أي الله أعلم بمن شكر الاسلام إذ هداه الله عزوجل

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو العباس عبدالله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام ثنا أبو الحسن بن أحمد بن شاذان القرشي أنا مسدد أنا جعفر بن سليمان عن المعلى بن زياد عن العلاء بن بشير المزني عن

وضمائرهم فيوفقهم ويهديهم سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم كما قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) وفي الحديث الصحيح «ان الله لاينظر الى صوركم ولا الى ألوانكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم» وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين عن حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله [وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم] الآية قال جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة ابن عبد عمرو بن نوفل في أشراف من بني عبد مناف من أهل الكفر الى أبي طالب فقالوا ياأبا طالب لو ان ابن أخيك محمدا يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فانما هم عبيدنا وعتقاؤنا كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له قال فأتى أبوطالب النبي ﷺ فحدثه بذلك فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذى يريدون والى مايصيرون من قولهم فانزل الله عز وجل هذه الآية [وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم] الى قوله [أليس الله بأعلم بالشاكرين] قال وكانوا بلالا وعمار بن ياسر وسالما مولى أبي حذيفة وصبيحا مولى أسيد ومن الحلفاء ابن مسعود والمقداد بن عمرو ومسعود بن القاريء وواقد بن عبدالله الحنظلي وعمرو بن عبد عمرو وذو الشمالين ومرثد بن أبي مرثد وأبو مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب وأشباههم من الحلفاء فنزلت في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء [وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا] الآية فلما نزلت أقبل عمر رضي الله عنه فأتى النبي ﷺ فاعتذر من مقالته فأنزل الله عز وجل [وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا] الآية

وقوله [واذا جاءك الذين يؤمنون بآتنا فقل سلام عليكم] أي فأكرمهم برد السلام عليهم

أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال : جلست في نفر من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستتر ببعض من العرى وقاريء يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا ، فلما قدم رسول الله ﷺ سكت القارىء فسلم رسول الله ﷺ وقال « ماكنتم تصنعون » قلنا يارسول الله كان قاريء يقرأ علينا فكنا نستمع إلى كتاب الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ « الحمد لله الذى جعل من أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم » قال ثم جلس وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم له . قال فما رأيت رسول الله ﷺ عرف منهم أحداً غيرى ، فقال رسول الله ﷺ « أبشروا يامعشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة »

﴿ واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ﴾ قال عكرمة : نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم ، وكان النبي ﷺ اذا رآهم بدأهم بالسلام . وقال عطاء : نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وأبي عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون

وبشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم ولهذا قال [كتب ربكم على نفسه الرحمة] أي أوجبها على نفسه الكريمة تفضلا منه وإحسانا وامتنانا [انه من عمل منكم سوءاً بجهالة] قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل، وقال معتمر بن سليمان عن الحكم عن إبان عن عكرمة في قوله (من عمل منكم سوءاً بجهالة) قال الدنيا كلها جهالة رواه ابن أبي حاتم [ثم تاب من بعده وأصلح] أى رجع عما كان عليه من المعاصي وأقلع وعزم على أن لايعود وأصلح العمل في المستقبل [فانه غفور رحيم] قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ماحدثنا به أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله على الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي » أخرجاه في الصحيحين وهكذا رواه الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ورواه موسى عن عقبة عن الاعرج عن أبي هريرة وكذا رواه الليث وغيره عن محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي بذلك

وقد روي ابن مردويه من طريق الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « اذا فرغ الله من القضاء بين الخلق أخرج كتابا من تحت العرش ان رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيقبض قبضة أو قبضتين فيخرج من النار خلقا لم يعملوا خيراً مكتوب بين أعينهم عتقاء الله » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن سليمان عن أبي عثمان النهدي عن سلمان في قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) قال انا نجد في التوراة عطفتين ان الله خلق السموات والارض وخلق مائة رحمة أو جعل مائة رحمة قبل أن يخلق الخلق ثم خلق الخلق فوضع بينهم رحمة واحدة وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة قال فبها يتراحمون وبها يتعاطفون وبها يتباذلون وبها يتزاورون وبها تحن الناقة وبها تبج البقرة وبها تثغو الشاة وبها تتابع الطير وبها تتابع الحيتان في البحر فاذا كان يوم القيامة جمع الله تلك الرحمة الى ماعنده و حمته أفضل وأوسع ، وقد روي هذا مرفوعا من وجه آخر وسيأتي كثير من الاحاديث الموافقة لهذه عند قوله (ورحمتي وسعت كل شيء) ومما يناسب هذه الآية من الاحاديث أيضاً قوله ﷺ لمعاذ بن جبل « أتدري ماحق الله على العباد ؟ أن يعبدوه ولايشركوا به شيئا » ثم قال « أتدري ماحق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك ؟ أن لايعذبهم » وقد رواه الامام أحمد من طريق كميل بن رياد عن أبي هريرة رضي الله عنه

وعمار بن ياسر والارقم بن أبي الارقم وأبي سلمة بن عبد الاسد رضي الله عنهم أجمعين ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ أى قضى على نفسه الرحمة ﴿ أنه من عمل منكم سوأ بجهالة ﴾ قال مجاهد . لايعلم حلالا من حرام فمن جهالته ركب الذنب وقيل جاهل بما يورثه ذلك الذنب وقيل جهالته من حيث أنه آثر المعصية على الطاعة والعاجل القليل على الآجل الكثير ﴿ ثم تاب من بعده ﴾ رجع عن ذنبه ﴿ وأصلح ﴾ عمله وقيل اخلص توبته ﴿ فانه غفور رحيم ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب أنه من عمل فانه غفور رحيم بفتح الالف فيهما بدلا من الرحمة أى كتب على نفسه أنه من عمل منكم ثم جعل الثانية

وكذلك نفصل الآيت ولتستبين سبيل المجرمين (٥٥) قل إني نُهيتُ أن أعبدَ الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين (٥٦) قل إني على بينة من ربي وكذَّبتم به ماعندي ماتستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفصلين (٥٧) قل لو أن عندي ماتستعجلون به لقُضيَ الأمرُ بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين (٥٨) وعندهُ مفاتحُ الغيب لا يعلمها إلا هوَ ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبةٍ في ظلمت الأرض ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتب مبين (٥٩)

يقول تعالى وكما بينا ماتقدم بيانه من الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد وذم المجادلة والعناد [كذلك نفصل الآيات] أي التي يحتاج المخاطبون الى بيانها [ولتستبين سبيل المجرمين] أي ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسل وقرئ. (ولتستبين سبيل المجرمين) أي ولتستبين يا محمد أو يا مخاطب سبيل المجرمين وقوله [قل إني على بينة من ربي] أي على بصيرة من شريعة الله التي أوحاها الله الي [وكذبتم به] أي بالحق الذي جاءني من الله [ماعندي ماتستعجلون به] أي من العذاب [إن الحكم

بدلا عن الاولى كقوله تعالى (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) وفتح أهل المدينة الاولى منهما وكسروا الثانية على الاستئناف وكسرهما الآخرون على الاستئناف ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ أي وهكذا وقيل معناه وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا وإعلامنا على المشركين كذلك نفصل الآيات أي نميز ونبين لك حجتنا في كل حق ينكره أهل الباطل ﴿ولتستبين سبيل المجرمين﴾ أي طريق المجرمين وقرأ أهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل المجرمين نصب على خطاب النبي ﷺ أي ولتعرف يامحمد سبيل المجرمين يقال استبنت الشيء وتبينته إذا عرفته وقرأ حمزة والكسائي وأبوبكر وليستبين بالياء سبيل بالرفع وقرأ الآخرون ولتستبين بالتاء سبيل رفع أي ليظهر ويتضح والسبيل يذكر ويؤنث فدليل التذكير قوله تعالى (وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا) ودليل التأنيث قوله تعالى (لم تصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا)

قوله عز وجل ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم﴾ في عبادة الاوثان وطرد الفقراء ﴿قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين﴾ يعني ان فعلت ذلك فقد تركت سبيل الحق وسلكت غير طريق الهدى ﴿قل إني على بينة﴾ أي على بيان وبصيرة وبرهان ﴿من ربي وكذبتم به﴾ أي بما جئت به ﴿ماعندي ماتستعجلون به﴾ قيل أراد به استعجالهم بالعذاب كانوا يقولون (ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة) الآية وقيل أراد به القيامة قال الله تعالى (يستعجل

إلا لله] أي إنما يرجع أمر ذلك الى الله ان شاء عجل لكم ماسألتموه من ذلك وإن شاء أنظركم وأجلكم لما له في ذلك من الحكمة العظيمة ولهذا قال[يقص الحق وهو خير الفاصلين] أي وهو خير من فصل القضايا وخير الفاتحين في الحكم بين عباده ، وقوله [قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم) أي لو كان مرجع ذلك الي لاوقعت لكم ماتستحقونه من ذلك[والله أعلم بالظالمين] فان قيل فما الجمع بين هذه الآية وبين ماثبت في الصحيحين من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت لرسول الله ﷺ يارسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال« لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت منه يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبدياليل ابن عبد كلال فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق الا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد ظللتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يامحمد ان الله قد سمع قول قومك لك وقد بعثني ربك اليك لتأمرني بأمرك فيما شئت ان شئت أطبقت عليهم الاخشبين فقال رسول الله ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لايشرك به شيئاً » وهذا لفظ مسلم فقد عرض عليه عذابهم واستئصالهم فاستأنى بهم وسأل لهم التأخير لعل الله أن يخرج من اصلابهم من لايشرك به شيئاً فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى في هذه الآية الكريمة [قل لو أن عندي ماتستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين] فالجواب والله أعلم ان هذه الآية دلت على انه لو كان اليه وقوع العذاب الذى يطلبونه حال طلبهم له لأوقعه بهم واما الحديث فليس فيه انهم سألوه وقوع العذاب بهم بل عرض عليه ملك الجبال انه ان شاء اطبق عليهم الاخشبين وهما جبلا مكة اللذان يكتنفانها جنوبا وشمالا فلهذا استأنى بهم وسأل الرفق لهم

وقوله تعالى [وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلا هو] قال البخاري حدثنا عبدالعزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن ابيه ان رسول الله ﷺ قال

بها الذين لايؤمنون بها ﴿ان الحكم الا لله يقص الحق﴾ قرأ أهل الحجاز وعاصم يقص بضم القاف والصاد مشدداً أي يقول الحق لانه في جميع المصاحف بغيرياء ولانه قال الحق ولم يقل بالحق وقرأ الاخرون يقضي بسكون القاف والضاد مكسورة من قضيت أي يحكم بالحق بدليل أنه قال ﴿وهو خير الفاصلين والفصل يكون في القضاء وانما حذفوا الياء لاستثقال الالف واللام كقوله تعالى (صال الجحيم) ونحوها ولم يقل بالحق لان الحق صفة المصدر كانه قال يقضي القضاء الحق ﴿ قل لو أن عندي ﴾ وبيدي ﴿ ما تستعجلون به ﴾ من العذاب ﴿لقضي الامر بيني وبينكم﴾ أى فرغ من العذاب وأهلكتم أي لعجلته حتى أتخلص منكم ﴿ والله أعلم بالظالمين ﴾

قوله تعالى ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو ﴾ مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح واختلفوا في

« مفاتيح الغيب خمس [1] لا يعلمهن الا الله : ان الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الارحام ، وماتدري نفس ماذا تكسب غداً ، وماتدري نفس بأي أرض تموت ، إن الله عليم خبير) وفي حديث عمر أن جبريل حين تبدى له في صورة أعرابي فسأل عن الايمان والاسلام والاحسان فقال له النبي ﷺ فيما قال له « خمس لا يعلمهن إلا الله » ثم قرأ (إن الله عنده علم الساعة) الآية

وقوله (ويعلم مافي البر والبحر) أي محيط علمه الكريم بجميع الموجودات بريها وبحريها لا يخفى عليه من ذلك شيء ولا مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وما أحسن ماقال الصرصري

فلا يخفى عليه الذر إمّا تراءى للنواظر أو توارى

وقوله (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) أي ويعلم الحركات حتى من الجمادات فما ظنك بالحيوانات ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وانسهم كما قال تعالى (يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن سعيد بن مسروق حدثنا حسان النمري عن ابن عباس في قوله (وماتسقط من ورقة إلا يعلمها) قال ما من شجرة في بر ولا بحر إلا وملك موكل بها يكتب ما يسقط منها رواه ابن أبي حاتم وقوله (ولا حبة في ظلمات الارض

مفاتح الغيب أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني انا عبدالله بن عمر الجوهري أنا احمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسمعيل بن جعفر أنا عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول قال رسول الله ﷺ « مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله ، لا يعلم ما تغيض الارحام الا الله تعالى ، ولا يعلم مافي الغد الا الله عز وجل ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد الا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم متى تقوم الساعة أحد الا الله » وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب ، وقال عطاء ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل انقضاء الآجال وقيل أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم وقيل هي ما لم يكن بعد أنه يكون أم لا يكون وما يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون . وقال ابن مسعود أوتي نبيكم علم كل شيء الا علم مفاتيح الغيب ﴿ ويعلم ما في البر والبحر ﴾ قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيهما بشيء الا يعلمه وقيل هو البر والبحر المعروف ﴿وما تسقط من ورقة الا يعلمها﴾ يريد ساقطة وثابتة يعني يعلم عدد مايسقط من ورق الشجر ومايبقي عليه وقيل يعلم كم انقلبت ظهر البطن الى أن سقطت على الارض ﴿ولا حبة في ظلمات الارض﴾ قيل هو الحب المعروف في بطون الارض وقيل هو تحت الصخرة التي في أسفل الارضين ﴿ولا رطب ولا يابس قال ابن عباس رضي الله عنهما الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ماينبت ومالا ينبت وقيل ولا حي ولا موات وقيل هو عبارة عن كل شيء ﴿ الا في كتاب مبين ﴾ يعني الكل مكتوب في اللوح المحفوظ

[1] «١» وجه كون مفاتح خزائن علم الغيب خمساً أن المغيب عن المكلفين ثلاثة أنواع علم الآخرة ومفتاحها علم الساعة وعلم البرزخ ومفتاحه الموت - وما يتجدد في الدنيا من نبات ومفتاحه نزول الغيث ومن حيوان وهو المعبر عنه بما في الارحام . ومن عمل وهو المعبر عنه بكسب الغد . والله أعلم بمراده وكتبه محمد رشيد رضا

ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) قال ابن أبي حاتم حدثنا عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن المسور الزهري حدثنا مالك بن سعير حدثنا الاعمش عن يزيد بن أبي زياد عن عبدالله بن الحارث قال ما في الارض من شجرة ولا مغرز إبرة الا وعليها ملك موكل يأتي الله بعلمها رطوبتها اذا رطبت ويبوستها اذا يبست وكذا رواه ابن جرير عن أبي الخطاب زياد بن عبد الله الحساني عن مالك بن سعير به. ثم قال ابن أبي حاتم ذكر عن أبي حذيفة حدثنا سفيان عن عمرو بن قيس عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خلق الله النون وهي الدواة وخلق الالواح فكتب فيها أمر الدنيا حتى ينقضي ما كان من خلق مخلوق أو رزق حلال أو حرام أو عمل بر أو فجور وقرأ هذه الآية (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) الى آخر الآية قال محمد بن اسحاق عن يحيى بن النضر عن أبيه سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول ان تحت الارض الثالثة وفوق الرابعة من الجن مالوا انهم ظهروا يعني لكم لم تروا معهم نورا على كل زاوية من زوايا الارض خاتم من خواتيم الله عز وجل على كل خاتم ملك من الملائكة يبعث الله عز وجل اليه في كل يوم ملكا من عنده أن احتفظ بما عندك

وهو الذي يتوفٰكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجلٌ مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون (٦٠) وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظةً حتى إذا جاء أحدَكم الموتُ توفتهُ رسلنا وهم لا يُفرِّطون (٦١) ثم رُدوا الى الله مولٰهمُ الحقّ. ألا له الحكم وهو أسرع الحٰسبين (٦٢)

يقول تعالى انه يتوفى عباده في منامهم بالليل وهذا هو التوفي الاصغر كما قال تعالى (اذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك اليّ) وقال تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) فذكر في هذه الآية الوفاتين الكبرى والصغرى وهكذا ذكر في هذا المقام حكم الوفاتين الصغرى ثم الكبرى فقال (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) أي ويعلم ما كسبتم من الاعمال بالنهار وهذه جملة معترضة دلت على احاطة علمه تعالى بخلقه في ليلهم ونهارهم في حال سكونهم وحال حركتهم كما قال (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) وكما قال تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) أي في الليل (ولتبتغوا من فضله) أي في النهار كما قال (وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا) ولهذا قال تعالى ههنا (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار) أي ما كسبتم من

قوله تعالى ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ أي يقبض أرواحكم اذا نمتم بالليل ﴿ويعلم ماجرحتم﴾

الاعمال فيه (ثم يبعثكم فيه) أي في النهار قاله مجاهد وقتادة والسدي ، وقال ابن جريج عن عبدالله ابن كثير أي في المنام والاول أظهر وقد روى ابن مردويه بسنده عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « مع كل انسان ملك اذا نام أخذ نفسه ويرد اليه فان أذن الله في قبض روحه قبضه والا رد اليه » فذلك قوله (وهو الذي يتوفاكم بالليل)

وقوله (ليقضى أجل مسمى) يعني به أجل كل واحد من الناس (ثم اليه مرجعكم) أي يوم القيامة (ثم ينبئكم) أي فيخبركم (بما كنتم تعملون) أي ويجزيكم على ذلك إن خيراً فخيراً وان شراً فشراً وقوله (وهو القاهر فوق عباده) أي وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء [ويرسل عليكم حفظة] أي من الملائكة يحفظون بدن الانسان كقوله [له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله] وحفظة يحفظون عمله ويحصونه كقوله [وان عليكم لحافظين] الآية وكقوله (عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وقوله [اذ يتلقى المتلقيان] الآية وقوله [حتى اذا جاء أحدكم الموت] أي احتضر وحان أجله [توفته رسلنا] أي ملائكة موكلون بذلك قال ابن عباس وغير واحد : لملك الموت أعوان من الملائكة يخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت اذا انتهت الى الحلقوم ، وسيأتي عند قوله تعالى [يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت] الاحاديث المتعلقة بذلك الشاهدة لهذا المروي عن ابن عباس وغيره بالصحة ، وقوله [وهم لا يفرطون] أي في حفظ روح المتوفى بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله عز وجل إن كان من الابرار ففي عليين وان كان من الفجار ففي سجين عياذا بالله من ذلك

وقوله (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) قال ابن جرير (ثم ردوا) يعني الملائكة (الى الله مولاهم الحق) ونذكر ههنا الحديث الذي رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن أبي ذئب

كسبتم ﴿ بالنهار ثم يبعثكم فيه ﴾ أي يوقظكم في النهار ﴿ ليقضي أجل مسمى ﴾ يعني أجل الحياة الى الموت يريد استيفاء العمر على التمام ﴿ ثم اليه مرجعكم ﴾ في الآخرة ﴿ ثم ينبئكم ﴾ يخبركم ﴿ بما كنتم تعملون * وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ﴾ يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم وهو جمع حافظ نظيره (وان عليكم لحافظون كراما كاتبين) ﴿ حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته ﴾ قرأ حمزة توفيه واستهواه بالياء وأمالها ﴿ رسلنا ﴾ يعني أعوان ملك الموت يقبضونه فيدفعونه الى ملك الموت فيقبض روحه كما قال (قل يتوفاكم ملك الموت) وقيل الاعوان يتوفونه بأمر ملك الموت فكان ملك الموت توفاه لانهم يصدرون عن أمره وقيل أراد بالرسل ملك الموت وحده فذكر الواحد بلفظ الجمع وجاء في الاخبار ان الله تعالى جعل الدنيا بين يدى ملك الموت كالمائدة الصغيرة فيقبض من ههنا ومن ههنا فاذا كثرت الارواح فيدعوها فتجيب له ﴿ وهم لا يفرطون ﴾ لا يقصرون ﴿ ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ﴾ يعني الملائكة وقيل يعني العباد يردون بالموت الى الله مولاهم الحق فان قيل

عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها الى السماء التى فيها الله عز وجل واذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لامرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانه لايفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير الى القبر فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ماقيل في الحديث الاول ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ماقيل في الحديث الثاني » هذا حديث غريب ويحتمل أن يكون المراد بقوله (ثم ردوا) يعني الخلائق كلهم الى الله يوم القيامة فيحكم فيهم بعدله كما قال (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) وقال (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) الى قوله (ولا يظلم ربك أحدا) ولهذا قال (مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين)

قل مَن يُنجّيكم من ظلمٰت البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشٰكرين (٦٣) قل الله يُنجّيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون (٦٤) قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرّف الآيٰت لعلهم يفقهون (٦٥)

يقول تعالى ممتنا على عباده في انجائه المضطرين منهم من ظلمات البر والبحر أي الحائرين الواقعين في المهامه البرّية وفي اللجج البحرية اذا هاجت الرياح العاصفة فحينئذ يفردون الدعاء له وحده لاشريك

الآية في المؤمنين والكفار جميعاً وقد قال في آية أخرى (وأن الكافرين لامولى لهم) فكيف وجه الجمع فقيل المولى في تلك الآية بمعنى الناصر ولاناصر للكفار والمولى هنا بمعنى المالك الذي يتولى أمورهم والله عز وجل مالك الكل ومتولي الامور وقيل أراد هنا المؤمنين خاصة يردون الى مولاهم والكفار فيه تبع ﴿الاله الحكم﴾ أي القضاء دون خلقه ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ أي اذا حاسب فحسابه سريع لانه لايحتاج الى فكرة وروية وعقديد

قوله تعالى ﴿قل من ينجيكم﴾ قرأ يعقوب بالتخفيف ، وقرأ العامة بالتشديد ﴿من ظلمات البر

له كقوله (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا إياه) لآية وقوله (هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) الآية وقوله (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) وقال في هذه الآية الكريمة (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية) أي جهراً وسراً (لئن أنجانا) أي من هذه الضائقة (لنكونن من الشاكرين) أي بعدها قال الله (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون) أي تدعون معه في حال الرفاهية آلهة أخرى وقوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) لما قال ثم أنتم تشركون عقبه بقوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا) أي بعد انجائه اياكم كقوله في سورة سبحان (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما* واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا إياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا ، أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لاتجدوا لكم وكيلا* أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) قال ابن أبي حاتم ذكر عن مسلم ابن ابراهيم حدثنا هارون الاعور عن جعفر بن سليمان عن الحسن في قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قال هذه المشركين. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) لأمة محمد ﷺ وعفي عنهم ، ونذكر هنا الاحاديث الواردة في ذلك والآثار وبالله المستعان وعليه التكلان وبه الثقة

قال البخاري رحمه الله تعالى في قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت

والبحر ﴾ أي من شدائدها وأهوالها كانوا اذا سافروا في البر والبحر فضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم فذلك قوله تعالى ﴿ تدعونه تضرعا وخفية ﴾ أي علانية وسراً قرأ أبو بكر عن عاصم وخفية بكسر الخاء هنا وفي الاعراف ، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان ﴿ لئن أنجيتنا ﴾ أي يقولون لئن أنجيتنا ، وقرأ أهل الكوفة لئن أنجانا أي أنجانا الله ﴿من هذه﴾ يعني من هذه الظلمات ﴿ لنكونن من الشاكرين ﴾ والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها ﴿ قل الله ينجيكم منها ﴾ قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر ينجيكم بالتشديد مثل قوله تعالى (قل من ينجيكم)وقرأ الآخرون هذا بالتخفيف ﴿ ومن كل كرب ﴾ والكرب غاية الغم الذي يأخذ النفس ﴿ ثم أنتم تشركون ﴾ يريد أنهم يقرون أن الذي يدعونه عند الشدة هو الذي ينجيهم ثم يشركون معه الاصنام التي قد علموا أنها لاتضر ولا تنفع

قوله عز وجل ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ﴾ قال الحسن وقتادة : نزلت

أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) يلبسكم يخلطكم من الالتباس يلبسوا يخلطوا شيعا فرقا. حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عمرو ابن دينار عن جابر بن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال رسول الله ﷺ «أعوذ بوجهك» (أو من تحت أرجلكم) قال «أعوذ بوجهك» (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) قال رسول الله ﷺ «هذه أهون أو أيسر» وهكذا رواه أيضا في كتاب التوحيد عن قتيبة عن حماد به، ورواه النسائي أيضا في التفسير عن قتيبة ومحمد بن نصر ابن مساور ويحيى بن حبيب بن عدي أربعتهم عن حماد بن زيد به، وقد رواه الحميدي في مسنده عن سفيان ابن عيينة عن عمرو بن دينار سمع جابرا عن النبي ﷺ به. ورواه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى الموصلي عن أبي خيثمة عن سفيان بن عيينة به، ورواه ابن جرير في تفسيره عن أحمد بن الوليد القرشي وسعيد بن الربيع وسفيان بن وكيع كلهم عن سفيان بن عيينة به، ورواه أبو بكر بن مردويه من حديث آدم بن أبي إياس ويحيى بن عبد الحميد وعاصم بن علي عن سفيان بن عيينة به، ورواه سعيد بن منصور عن حماد بن زيد وسفيان بن عيينة كلاهما عن عمرو بن دينار به

(طريق آخر) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا مقدام ابن داود حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا عبدالله بن لهيعة عن خالد بن يزيد عن أبي الزبير عن جابر قال لما نزلت (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال رسول الله ﷺ «أعوذ بالله من ذلك» (أو من تحت أرجلكم) قال رسول الله ﷺ «أعوذ بالله من ذلك» (أو يلبسكم شيعا) قال «هذا أيسر» وان استعاذه لأعاذه. ويتعلق بهذه الآية أحاديث كثيرة

(أحدها) قال الامام احمد بن حنبل في مسنده حدثنا أبو اليمان حدثنا أبو بكر يعني ابن أبي مريم عن راشد هو ابن سعد المقرائي عن سعد بن أبي وقاص قال سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) فقال «اما انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد» وأخرجه الترمذي عن الحسن بن عرفة عن اسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن أبي مريم به ثم قال هذا حديث غريب

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا يعلى هو ابن عبيد حدثنا عثمان بن حكيم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن ابيه قال أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مررنا على مسجد بني معاوية فدخل فصلى ركعتين فصلينا معه فناجى ربه عز وجل طويلا ثم قال «سألت ربي ثلاثا سألته أن لايهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لايهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته أن لايجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» انفرد باخراجه مسلم فرواه في كتاب الفتن عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عبد الله بن نمير

الآية في أهل الايمان. وقال قوم: نزلت في المشركين، قوله (عذابا من فوقكم) يعني الصيحة

كلاهما عن عبد الله بن نمير وعن محمد بن يحيى بن أبي عمرو عن مروان بن معاوية كلاهما عن عثمان بن حكيم به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد قرأت على عبد الرحمن بن مهدي عن مالك عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك عن جابر بن عتيك أنه قال جاءنا عبد الله بن عمر في حرة بني معاوية - قرية من قرى الانصار - فقال لي هل تدري أين صلى رسول الله ﷺ في مسجدكم هذا؟ فقلت نعم فاشرت إلى ناحية منه فقال هل تدري ما الثلاث التي دعاهن فيه؟ فقلت نعم فقال أخبرني بهن فقلت دعا أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم ولا يهلكهم بالسنين فاعطيهما، ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها. قال صدقت فلا يزال الهرج إلى يوم القيامه. ليس هو في شيء من الكتب الستة وإسناده جيد قوي ولله الحمد والمنة

﴿ حديث آخر ﴾ قال محمد بن اسحاق عن حكيم بن حكيم بن عباد عن خصيف عن عباده بن حنيف عن علي بن عبد الرحمن أخبرني حذيفة بن اليمان قال خرجت مع رسول الله ﷺ إلى حرة بني معاوية قال فصلى ثماني ركعات فأطال فيهن ثم التفت إلي فقال «حبستك يا حذيفة» قلت الله ورسوله أعلم قال «اني سألت الله ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألته أن لا يسلط على أمتي عدوا من غيرهم فأعطاني وسألته أن لا يهلكهم بغرق فأعطاني وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني» رواه ابن مردويه من حديث محمد بن اسحاق

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا عبيدة بن حميد حدثني سليمان بن الاعمش عن رجاء الانصاري عن عبد الله بن شداد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال أتيت رسول الله ﷺ فقيل لي خرج قبل. قال فجعلت لا أمر باحد الا قال مر قبل، حتى مررت فوجدته قائما يصلي قال فجئت حتى قمت خلفه قال فأطال الصلاة فلما قضى صلاته قلت يارسول الله قد صليت صلاة طويلة فقال رسول الله ﷺ «إني صليت صلاة رغبة ورهبة إني سألت الله عز وجل ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألته أن لا يهلك أمتي غرقا فأعطاني وسألته أن لا يظهر عليهم عدوا ليس منهم فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردها علي» ورواه ابن ماجه في الفتن عن محمد بن عبد الله بن نمير وعلى بن محمد كلاهما عن أبي معاوية عن الاعمش به ورواه ابن مردويه من حديث أبي عوانة عن عبد الله بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ بمثله أو نحوه

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا هارون بن معروف حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن بكر بن الاشج أن الضحاك بن عبد الله القرشي حدثه عن أنس بن مالك أنه قال رأيت رسول الله ﷺ في سفر صلى سبحة الضحى ثماني ركعات فلما انصرف قال «إني صليت صلاة رغبة ورهبة وسألت ربي ثلاثا فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يبتلي أمتي بالسنين ففعل وسألته

والحجارة والريح والطوفان كما فعل بعاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾

أن لايظهر عليهم عدوهم ففعل وسألته أن لايلبسهم شيعا فأبى علي» ورواه النسائي في الصلاة عن محمد ابن سلمة عن ابن وهب به

﴿حديث آخر﴾ قال الامام احمد حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب بن أبي حمزة قال قال الزهري حدثني عبدالله بن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن عبدالله بن خباب عن أبيه خباب بن الارت مولى بني زهرة وكان قد شهد بدراً مع رسول الله ﷺ أنه قال وافيت رسول الله ﷺ في ليلة صلاها كلها حتى كان مع الفجر فسلم رسول الله ﷺ من صلاته فقلت يارسول الله لقد صليت الليلة صلاة مارأيتك صليت مثلها فقال رسول الله ﷺ « أجل انها صلاة رغب ورهب سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي عز وجل أن لايهلكنا بما أهلك به الامم قبلنا فاعطانيها وسألت ربي عز وجل أن لايظهر علينا عدوا من غيرنا فاعطانيها وسألت ربي عز وجل أن لايلبسنا شيعا فمنعنيها» ورواه النسائي من حديث شعيب بن أبي حمزة به . ومن وجه آخر وابن حبان في صحيحه باسناديهما عن صالح بن كيسان والترمذي في الفتن من حديث النعمان بن راشد كلاهما عن الزهري به وقال حسن صحيح

﴿حديث آخر﴾ قال أبو جعفر بن جرير في تفسيره حدثني زياد بن عبدالله المزني حدثنا مروان ابن معاوية الفزاري حدثنا أبو مالك حدثني نافع بن خالد الخزاعي عن أبيه أن النبي ﷺ صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود فقال «قد كانت صلاة رغبة ورهبة سألت الله عز وجل فيها ثلاثا أعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت الله أن لايصيبكم بعذاب أصاب به من كان قبلكم فاعطانيها وسألت الله أن لايسلط عليكم عدوا يستبيح بيضتكم فاعطانيها وسألت الله أن لايلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها» قال أبو مالك فقلت له أبوك سمع هذا من في رسول الله ﷺ ؟ فقال نعم سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها من في رسول الله ﷺ

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا عبد الرازق قال قال معمر أخبرني أيوب عن أبي قلابة عن الاشعث الصنعاني عن أبي أسماء الرحبي عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال« ان الله زوى لي الارض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وان ملك أمتي سيبلغ مازوي لي منها واني أعطيت الكنزين الابيض والاحمر واني سألت ربي عز وجل أن لايهلك أمتي بسنة عامة وأن لايسلط عليهم عدواً فيهلكهم بعامة وأن لايلبسهم شيعا وأن لايذيق بعضهم بأس بعض فقال يامحمد إني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني قد اعطيتك لامتك أن لا اهلكهم بسنة عامة وان لا اسلط عليهم عدوا ممن سواهم فيهلكهم بعامة حتى يكون بعضهم يهلك بعضا وبعضهم يقتل بعضا وبعضهم يسبي بعضاً » قال وقال النبي ﷺ « اني لا اخاف على امتي الا الائمة المضلين فاذا وضع السيف في امتي لم يرفع عنهم

يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون . وعن ابن عباس ومجاهد (عذابا من فوقكم)

الى يوم القيامة » ليس في شيء من الـكتب الستة واسناده جيد قوي وقد رواه ابن مردويه من حديث حماد بن زيد وعباد بن منصور وقتادة ثلاثتهم عن ايوب عن ابي قلابة عن ابي اسماء عن ثوبان عن رسول الله ﷺ بنحوه والله اعلم

﴿ حـديث ﴾ قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم الهاشمي وميمون بن اسحاق بن الحسن الحنفي قالا حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا محمد بن فضيل عن أبي مالك الاشجعي عن نافع بن خالد الخزاعي عن أبيه قال وكان أبوه من أصحاب رسول الله ﷺ وكان من أصحاب الشجرة قال كان رسول الله ﷺ اذا صلى والناس حوله صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود قال فجلس يوما فأطال الجلوس حتى أومأ بعضنا الى بعض أن اسكتوا إنه ينزل عليه فلما فرغ قال له بعض القوم يارسول الله لقد أطلت الجلوس حتى أومأ بعضنا الى بعض انه ينزل عليك قال « لا ولكنها كانت صلاة رغبة ورهبة سألت الله فيها ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت الله أن لا يعذبكم بعذاب عذب به من كان قبلكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يسلط على أمتي عدواً يستبيحها فأعطانيها وسألته أن لا يلبسكم شيعاً وأن لا يذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها » قال قلت له أبوك سمعها من رسول الله ﷺ ؟ قال نعم سمعته يقول إنه سمعها من رسول الله ﷺ عدد أصابعي هذه عشر أصابع

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد حدثنا يونس هو ابن محمد المؤدب حدثنا ليث هو ابن سعد عن أبي وهب الخولاني عن رجل قد سماه عن أبي بصرة الغفاري صاحب رسول الله ﷺ أن رسول الله صلعم قال « سألت ربي عز وجل أربعاً فاعطاني ثلاثاً ومنعني واحدة سألت الله أن لا يجمع أمتي على ضلالة فاعطانيها وسألت الله أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألت الله أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلك الامم قبلهم فأعطانيها وسألت الله عز وجل أن لا يلبسهم شيعا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها » لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة

﴿حديث آخر﴾ قال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا أبو حذيفة الثعلبي عن زياد بن علاقة عن جابر بن سمرة السوائي عن علي أن رسول الله ﷺ قال « سألت ربي ثلاث خصال فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة فقلت يارب لا تهلك أمتي جوعا فقال هذه لك قلت يارب لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم يعني أهل الشرك فيجتاحهم قال ذلك لك قلت يارب لا تجعل بأسهم بينهم قال فمنعني هذه

﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن احمد بن ابراهيم عن احمد بن محمد ابن عاصم حدثنا أبو الدرداء المروذى حدثنا اسحاق بن عبد الله بن كيسان حدثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « دعوت ربي عز وجل ان يرفع عن أمتي اربعا فرفع الله عنهم ثنتين وأبى

السلاطين الظلمة (ومن تحت أرجلكم) العبيد السوء . وقال الضحاك (من فوقكم) من قبل كباركم

عليّ أن يرفع عنهم ثنتين ،دعوت ربي أن يرفع الرجم من السماء والغرق من الارض وان لايلبسهم شيعا وان لايذيق بعضهم بأس بعض، فرفع الله عنهم الرجم من السماء والغرق من الارض،وأبى الله ان يرفع اثنتين القتل والهرج

﴿ طريق أخرى ﴾ عن ابن عباس ايضا قال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد بن يزيد حدثني الوليد بن ابان حدثنا جعفر بن منير حدثنا ابو بدر شجاع بن الوليد حدثنا عمرو بن قيس عن رجل عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) قال فقام النبي ﷺ فتوضأ ثم قال «اللهم لاترسل على امتي عذابا من فوقهم ولا من تحت ارجلهم ولاتلبسهم شيعا ولا تذيق بعضهم بأس بعض» قال فأتاه جبريل فقال يامحمد ان الله قد اجار امتك ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم اومن تحت ارجلهم

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله البزار حدثنا عبد الله بن أحمد ابن موسى حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد حدثنا عمرو بن محمد العنقزي حدثنا أسباط عن السدي عن أبي المنهال عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « سألت ربي لامتي أربع خصال فاعطاني ثلاثا ومنعني واحدة سألته أن لاتكفر أمتي واحدة فاعطانيها وسألته أن لايعذبهم بما عذب به الأمم قبلهم فاعطانيها وسألته ان لايظهر عليهم عدوا من غيرهم فاعطانيها وسألته أن لايجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد بن يحيى بن سعيد القطان عن عمرو بن محمد العنقزي به نحوه

﴿ طريق أخرى ﴾ وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا كثير بن زيد الليثي المدني حدثني الوليد بن رباح مولى آل

(أو من تحت أرجلكم) أي من أسفل منكم ﴿ أويلبسكم شيعاً ﴾ أي يخلطكم فرقا ويبث فيكم الاهواء المختلفة ﴿ ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ يعني السيوف المختلفة يقتل بعضكم بعضاً

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا أبو اليمان أنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر قال : لما نزلت هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال رسول الله ﷺ « أعوذ بوجهك الكريم » قال (أو من تحت أرجلكم) قال « أعوذ بوجهك » قال (أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) قال رسول الله ﷺ « هذا أهون أو هذا أيسر » .أخبرنا احمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو بكر احمد بن حسن الحيري أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي عرفة أنا يعلى بن عبيد الطنافسي أنا عثمان بن حكيم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مررنا على مسجد بني معاوية فدخل فصلى ركعتين وصلينا معه فناجى ربه طويلا ثم

أبي ذئاب سمع أبا هريرة يقول قال النبي ﷺ «سألت ربي ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لايسلط على أمتي عدوا من غيرهم فاعطاني وسألته أن لايهلكهم بالسنين فاعطاني وسألته أن لايلبسهم شيعا وأن لايذيق بعضهم بأس بعض فمنعني» ثم رواه ابن مردويه باسناده عن سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه ورواه البزار من طريق عمرو ابن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه

﴿ أثر آخر ﴾ قال سفيان الثوري عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال أربعة في هذه الامة قد مضت اثنتان وبقيت اثنتان (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال الرجم (أو من تحت أرجلكم) قال الخسف (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) قال سفيان يعني الرجم والخسف، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) قال فهي أربع خلال منها اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة ألبسوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان لابد منها واقعتان الرجم والخسف، ورواه أحمد عن وكيع عن أبي جعفر. ورواه ابن أبي حاتم، وقال ابن أبي حاتم حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا أحمد ابن إسحاق حدثنا أبو الاشهب عن الحسن في قوله (قل هو القادر على أن يبعث) الآية قال حبست عقوبتها حتى عمل ذنبها فلما عمل ذنبها أرسلت عقوبتها. وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك والسدي وابن زيد وغير واحد في قوله (عذابا من فوقكم) يعني الرجم (أو من تحت) أرجلكم يعني الخسف وهذا هو اختيار ابن جرير، ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم في قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت ارجلكم) قال كان عبد الله بن مسعود يصيح وهو في المسجد أو على المنبر يقول ألا أيها الناس انه قد نزل بكم « ان الله يقول (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحداً (أو من تحت أرجلكم) لو خسف بكم الارض أهلككم ولم يبق منكم أحدا (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) الا انه نزل بكم أسوأ الثلاث

قال « سألت ربي ثلاثا : سألته أن لايهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن لايهلك أمتي بالسنة فأعطانيها ، وسألته أن لايجعل بأسهم بينهم فمنعنيها »

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا السيد أبو الحسن محمد الحسين بن داود العلوي أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن دلوية الدقاق ثنا محمد بن اسمعيل البخاري ثنا اسماعيل بن أبي أويس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عبد الرحمن الانصاري أن عبد الله بن عمر جاءهم ثم قال : إن النبي ﷺ دعا في مسجد فسأل الله ثلاثا فأعطاه اثنتين ومنعه واحدة : سأله أن لايسلط

(قول ثان) قال ابن جرير وابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الاعلى اخبرنا ابن وهب سمعت خلاد بن سليمان يقول سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول ان ابن عباس كان يقول في هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) فأئمة السوء (أو من تحت أرجلكم)فخدم السوء وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(عذابا من فوقكم)يعني امراءكم(أومن تحت ارجلكم)يعني عبيدكم وسفلتكم ، وحكى بن أبي حاتم عن ابي سنان وعمرو بن هانيء نحو ذلك . قال ابن جرير وهذا القول وان كان له وجه صحيح لكن الاول أظهر وأقوى، وهو كما قال ابن جرير رحمه الله ويشهد له بالصحة قوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور أم أمنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) وفي الحديث« ليكونن في هذه الامة قذف وخسف ومسخ » وذلك مذكور مع نظائره في أمارات الساعة وأشراطها وظهور الآيات قبل يوم القيامة وستأتي في موضعها إن شاء الله تعالى وقوله (او يلبسكم شيعا) يعني يجعلكم ملتبسين شيعا فرقا متخالفين . قال الوالبي عن ابن عباس يعني الاهواء، وكذا قال مجاهد وغير واحد وقد ورد في الحديث المروي من طرق عنه ﷺ انه قال« وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة » وقوله تعالى (ويذيق بعضكم بأس بعض) قال ابن عباس وغير واحد يعني يسلط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل وقوله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات) اي نبينها ونوضحها مرة ونفسرها (لعلهم يفقهون) أي يفهمون ويتدبرون عن الله آياته وحججه وبراهينه. قال زيد بن أسلم لما نزلت (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) الآية قال رسول الله ﷺ « لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف» قالوا ونحن نشهد ان لااله الا الله وانك رسول الله قال« نعم » فقال بعضهم لايكون هذا أبدا أن يقتل بعضنا بعضا ونحن مسلمون فنزلت (انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) رواه ابن ابي حاتم وابن جرير

وكذَّب به قومُك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل (٦٦) لكل نبإٍ مستقرٌ وسوف تعلمون (٦٧) وإذا رأيت الذين يخوضون في آيٰتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره وإما يُنسينَّكَ الشيطٰنُ فلا تقعد بعدَ الذكرى مع القوم الظٰلمين (٦٨) وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون (٦٩)

يقول تعالى(وكذب به)أي بالقرآن الذي جئتهم به والهدى والبيان(قومك)يعني قريشا(وهو الحق)

على أمته عدواً من غيرهم يظهر عليهم فأعطاه ذلك ، وسأله أن لايهلكهم بالسنين فأعطاه ذلك،وسأله أن لايجعل بأس بعضهم على بعض فمنعه ذلك. قوله تعالى ﴿ انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك ﴾ أي بالقرآن ، وقيل بالعذاب ﴿ وهو الحق قل لست عليكم بوكيل ﴾ برقيب

اي الذي ليس وراءه حق (قل لست عليكم بوكيل) أي لست عليكم بحفيظ ولست بموكل بكم كقوله (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أي إنما علي البلاغ وعليكم السمع والطاعة فمن اتبعني سعد في الدنيا والآخرة ومن خالفني فقد شقي في الدنيا والآخرة ولهذا قال (لكل نبأ مستقر) قال ابن عباس وغير واحد أي لكل نبأ حقيقة اي لكل خبر وقوع ولو بعد حين كما قال (ولتعلمن نبأه بعد حين) وقال (لكل اجل كتاب) وهذا تهديد ووعيد أكيد ولهذا قال بعده (وسوف تعلمون) وقوله (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) اي بالتكذيب والاستهزاء (فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) اي حتى يأخذوا في كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب (وإما ينسينك الشيطان) والمراد بذلك كل فرد فرد من آحاد الامة أن لا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير موضعها فان جلس احد معهم ناسيا (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد التذكر (مع القوم الظالمين) ولهذا ورد في الحديث « رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »

وقال السدي عن أبي مالك وسعيد بن جبير في قوله (وإما ينسيك الشيطان) قال ان نسيت فذكرت (فلا تقعد)معهم وكذا قال مقاتل بن حيان وهذه الآية هي المشار اليها في قوله (وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذاً مثلهم) الآية أي انكم اذا جلستم معهم وأقررتموهم على ذلك فقد ساويتموهم فيما هم فيه وقوله (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) أي اذا تجنبوهم فلم يجلسوا معهم في ذلك فقد برأوا من عهدتهم وتخلصوا من إثمهم ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عبد الله ابن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبي مالك عن سعيد بن جبير قوله (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) قال ما عليك أن يخوضوا في آيات الله اذا فعلت ذلك أي إذا تجنبتهم وأعرضت

وقيل بمسلط ألزمكم الاسلام شئتم أو أبيتم إنما أنا رسول ﴿ لكل نبأ ﴾ خبر من أخبار القرآن ﴿ مستقر ﴾ حقيقة ومنتهى ينتهي اليه فيتبين صدقه من كذبه ، وحقه من باطله ، إما في الدنيا وإما في الآخرة ﴿ وسوف تعلمون ﴾ وقال مقاتل : لكل خبر يخبره الله وقت وقته ، ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير . وقال الكلبي : لكل قول وفعل حقيقة إما في الدنيا وإما في الآخرة وسوف تعلمون ماكان في الدنيا فستعرفونه ، وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم

قوله عز وجل ﴿ واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا ﴾ يعني في القرآن بالاستهزاء ﴿ فأعرض عنهم ﴾ فاتركهم ولا تجالسهم ﴿ حتى يخوضوا في حديث غيره ، وإما ينسينك ﴾ قرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد السين ، وقرأ الآخرون بسكون النون وتخفيف السين ﴿ الشيطان ﴾ نهينا ﴿ فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ يعني اذا جلست معهم ناسياً فقم من عندهم بعد ماتذكرت ﴿ وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ﴾ روي عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت هذه الآية (واذا رأيت

عنهم ، وقال آخرون بل معناه وان جلسوا معهم فليس عليهم من حسابهم من شيء وزعموا أن هذا منسوخ بآية النساء المدنية وهي قوله (انكم اذاً مثلهم) قاله مجاهد والسدي وابن جريج وغيرهم . وعلى قولهم يكون قوله (ولكن ذكرى لعلهم يتقون) أي ولكن أمرناكم بالاعراض عنهم حينئذ تذكيراً لهم عما هم فيه لعلهم يتقون ذلك ولا يعودون اليه

وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون(٧٠)

يقول تعالى (وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا) أي دعهم وأعرض عنهم وأمهلهم قليلا فانهم صائرون الى عذاب عظيم ولهذا قال وذكر به أي ذكر الناس بهذا القرآن وحذرهم نقمة الله وعذابه الاليم يوم القيامة، وقوله تعالى (أن تبسل نفس بما كسبت) أي لئلا تبسل قال الضحاك عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن والسدي تبسل تسلم وقال الوالبي عن ابن عباس تفتضح .وقال قتادة تحبس وقال مرة وابن زيد تؤاخذ . وقال الكلبي تجزى وكل هذه الاقوال والعبارات متقاربة في المعنى وحاصلها الاسلام للهلكة والحبس عن الخير والارتهان عن درك المطلوب كقوله

الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم) قال المسلمون كيف نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبداً . وفي رواية قال المسلمون : فانا نخاف الاثم حين نتركهم ولا ننهاهم فأنزل الله عز وجل (وما على الذين يتقون) الخوض (من حسابهم) أي من اثم الخائضين من شيء ﴿ ولكن ذكرى ﴾ أي ذكروهم وعظوهم بالقرآن، والذكر والذكرى واحد، يريد ذكروهم ذكرى فيكون في محل النصب ﴿ لعلهم يتقون ﴾ الخوض اذا وعظتموهم فرخص في مجالستهم على الوعظ لعلهم يمنعهم من ذلك الخوض ، وقيل لعلهم يستحيون

قوله عز وجل ﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ﴾ يعني الكفار الذين اذا سمعوا آيات الله استهزؤا بها وتلاعبوا عند ذكرها ، وقيل إن الله تعالى جعل لكل قوم عيداً فاتخذ كل قوم دينهم أي عيدهم لعباً ولهواً ، وعيد المسلمين الصلاة وتكبيراتها وفعل الخير مثل الجمعة والفطر والنحر ﴿وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به﴾ أي وعظ بالقرآن ﴿ أن تبسل ﴾ أي لأن لا تبسل أي لا تسلم ﴿نفس﴾ للهلاك ﴿ بما كسبت ﴾ قال مجاهد وعكرمة والسدي . قال ابن عباس : تهلك . وقال قتادة : أن تحبس . وقال الضحاك : تحرق . وقال ابن زيد : تؤخذ ، ومعناه ذكرهم ليؤمنوا كيلا تهلك نفس بما كسبت وقال الاخفش : تبسل تجازي وقيل تفتضح . وقال الفراء : ترتهن وأصل الابسال التحريم والبسل

(كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) وقوله (ليس لها من دون الله من ولي ولا شفيع) أي لاقريب ولا أحد يشفع فيها كقوله (من قبل أن يأتي يوم لابيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) وقوله (وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) أي ولو بذلت كل مبذول ماقبل منها كقوله (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا) الآية وكذا قال ههنا (أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون)

قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدينا الله كالذي استهوته الشيطين في الأرض حيران له أصحب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العلمين (٧١) وأن أقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون (٧٢) وهو الذي خلق السموت والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور علم الغيب والشهدة وهو الحكيم الخبير (٧٣)

قال السدي قال المشركون للمسلمين اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد فأنزل الله عز وجل (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا) أي في الكفر (بعد إذ هدانا الله) فيكون مثلنا كمثل الذي استهوته الشياطين في الارض يقول مثلكم ان كفرتم بعد ايمانكم كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق فضل الطريق فحيرته الشياطين واستهوته في الارض وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه اليهم يقولون ائتنا فانا على الطريق فأبى أن يأتيهم فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد ﷺ ومحمد هو الذي يدعو الى الطريق والطريق هو الاسلام رواه ابن جرير، وقال قتادة استهوته (الشياطين في الارض) أضلته في الارض يعني استهوته سيرته كقوله (تهوي اليهم) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا) الآية هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو اليها والدعاة الذين يدعون الى هدى الله عز وجل كمثل رجل ضل عن الطريق تائها إذ ناداه مناديا فلان بن فلان هلم الى الطريق وله أصحاب يدعونه يافلان هلم الى الطريق فان اتبع الداعي

الحرام * ثم جعل نعتاً لكل شدة تتقى وتترك ﴿ ليس لها ﴾ لتلك النفس ﴿ من دون الله ولي ﴾ قريب ﴿ ولا شفيع ﴾ يشفع لها في الآخرة ﴿ وان تعدل كل عدل ﴾ أي تفد كل فداء ﴿ لا يؤخذ منها ﴾ هنا ﴿ أولئك الذين أبسلوا ﴾ أسلموا للهلاك ﴿ بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون * قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ﴾ إن عبدناه ﴿ ولا يضرنا ﴾ إن تركناه يعني الاصنام ليس اليها نفع ولا ضر ﴿ ونرد على أعقابنا ﴾ إلى الشرك مرتدين ﴿ بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته

الاول انطلق به حتى يلقيه الى الهلكة وان أجاب من يدعوه الى الهدى اهتدى الى الطريق وهذه الداعية التي تدعو في البرية من الغيلان، يقول مثل من يعبد هذه الآلهة من دون الله فانه يرى أنه في شيء حتى يأتيه الموت فيستقبل الندامة والهلكة وقوله (كالذي استهوته الشياطين في الارض) هم الغيلان (يدعونه) باسمه واسم أبيه وجده فيتبعها وهو يرى أنه في شيء فيصبح وقد رمته في هلكة وربما أكلته أو تلقيه في مضلة من الارض يهلك فيها عطشا فهذا مثل من أجاب الآلهة التي تعبد من دون الله عز وجل رواه ابن جرير وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد كالذي (استهوته الشياطين في الارض حيران) قال رجل حيران يدعوه أصحابه الى الطريق وذلك مثل من يضل بعد أن هدي . وقال العوفي عن ابن عباس قوله كالذي (استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب) هو الذي لايستجيب لهدى الله وهو رجل أطاع الشيطان وعمل في الارض بالمعصية وحاد عن الحق وضل عنه وله أصحاب يدعونه الى الهدى ويزعمون أن الذي يأمرونه به هدى يقول الله ذلك لاوليائهم من الانس يقول الله (إن الهدى هدى الله) والضلال مايدعو اليه الجن، رواه ابن جرير ثم قال وهذا يقتضي أن أصحابه يدعونه الى الضلال ويزعمون أنه هدى قال وهذا خلاف ظاهر الآية فان الله أخبر انهم يدعونه الى الهدى فغير جائز أن يكون ضلالا وقد أخبر الله أنه هدى وهو كما قال ابن جرير فان السياق يقتضي أن هذا الذي استهوته الشياطين في الارض حيران وهو منصوب على الحال أي في حال حيرته وضلاله وجهله توجه المحجة وله أصحاب على المحجة سائرون فجعلوا يدعونه اليهم والى الذهاب معهم على الطريقة المثلى وتقدير الكلام فيأبى عليهم ولايلتفت اليهم ولو شاء الله لهداه ولرد به الى الطريق ولهذا قال قل (إن هدى الله هو الهدى) كما قال (ومن يهد الله فماله من مضل) وقال (إن تحرص على هداهم فان الله لايهدي من يضل وما لهم من ناصرين) وقوله (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) أي نخلص له العبادة وحده لاشريك له (وان أقيموا الصلاة واتقوه) أي وأمرنا باقامة

الشياطين ﴾ أي يكون مثلنا كمثل الذي استهوته الشياطين أي أضلته « في الارض حيران ﴾ قال ابن عباس : كالذي استغوته الغيلان في المهامه فأضلوه فهوحائر بائر ؛ والحيران المتردد في الامر لايهتدي إلى مخرج منه ﴿ له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا ﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى لمن يدعو إلى الآلهة ولمن يدعو إلى الله تعالى كمثل رجل في رفقة ضل به الغول عن الطريق يدعوه أصحابه من أهل الرفقة هلم إلى الطريق ، ويدعوه الغول فيبقى حيران لايدري أين يذهب ، فان أجاب الغول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة ، وإن أجاب من يدعوه إلى الطريق اهتدى ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى ﴾ يزجر عن عبادة الاصنام كأنه يقول : لاتفعل ذلك فان الهدى هدى الله لايهدي غيره ﴿ وأمرنا لنسلم ﴾ أي أن نسلم ﴿ لرب العالمين ﴾ والعرب تقول أمرتك لتفعل ، وأن تفعل ، وبأن تفعل ﴿ وأن أقيموا الصلاة واتقوه ﴾ أي وأمرنا باقامة الصلاة والتقوى ﴿ وهو الذي اليه تحشرون ﴾ أي تجمعون في

الصلاة وبتقواه في جميع الاحوال (وهو الذي اليه تحشرون) أي يوم القيامة (وهو الذي خلق السموات والارض بالحق) أي بالعدل[1] فهو خالقهما ومالكهما والمدبر لهما ولمن فيهما وقوله (ويوم يقول كن فيكون) يعني يوم القيامة الذي يقول الله كن فيكون عن أمره كلمح البصر أو هو أقرب، ويوم منصوب إما على العطف على قوله واتقوه وتقديره واتقوا يوم يقول كن فيكون وإما على قوله (خلق السموات والارض) أي وخلق يوم يقول كن فيكون فذكر بدء الخلق واعادته وهذا مناسب. وإما على اضمار فعل تقديره واذكر يوم يقول كن فيكون وقوله (قوله الحق وله الملك) جملتان محلهما الجر على أنهما صفتان لرب العالمين، وقوله (ويوم ينفخ في الصور) يحتمل أن يكون بدلا من قوله (ويوم يقول كن فيكون يوم ينفخ في الصور) ويحتمل أن يكون ظرفا لقوله (وله الملك يوم ينفخ في الصور) كقوله (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) وكقوله (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيرا) وما أشبه ذلك، واختلف المفسرون في قوله (يوم ينفخ في الصور) فقال بعضهم المراد بالصور هنا جمع صورة أى يوم ينفخ فيها فتحيا . قال ابن جرير كما يقال سور لسور البلد وهو جمع سورة والصحيح أن المراد بالصور القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام. قال ابن جرير والصواب عندنا ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال « ان اسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ » رواه مسلم في صحيحه. وقال الامام احمد حدثنا اسماعيل حدثنا سليمان التيمي عن اسلم العجلي عن بشر بن شغاف عن عبدالله بن عمرو قال قال اعرابي يارسول الله ما الصور ؟ قال « قرن ينفخ فيه ».

وقد روينا حديث الصور بطوله[2] من طريق الحافظ أبي القاسم الطبراني في كتابه المطولات قال حدثنا احمد بن الحسن المصري الايلي حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا اسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من اصحابه فقال « ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على

(١) هذا غلط بل الحق بمعناه الاصلي وهو ضد الباطل لقوله (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) الآية وقوله (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) ويتضمن امثال هذه الآيات الاستدلال على البعث لمنافاة الحق للعبث وترك الناس سدى وهي كثيرة

(٢) هذا الحديث ملفق لا يصح ولبعض ما فيه شواهد صحيحة وبعضها مخالف للصحاح ولبعض الآيات أيضاً ويتكلم المؤلف عليه بعد اتمام سياقه

الموقف للحساب ﴿ وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ﴾ قيل الباء بمعنى اللام أي اظهاراً للحق لأنه جعل صنعه دليلا على وحدانيته ﴿ ويوم يقول كن فيكون ﴾ قيل هو راجع إلى خلق السموات والارض ، والخلق بمعنى القضاء والتقدير ، أي كل شيء قضاه وقدره قال له كن فيكون . وقيل يرجع إلى القيامة يدل على سرعة أمر البعث والساعة كأنه قال . ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون ، وقوموا فيقومون ﴿ قوله الحق ﴾ أي الصدق الواقع لامحالة يريد أن ماوعده حق كائن ﴿ وله الملك يوم ينفخ في الصور ﴾ يعني ملك الملوك يومئذ زائل كقوله (مالك يوم الدين) وكما قال (والامر يومئذ لله) والامر لله في كل وقت ولكن لا أمر في ذلك اليوم لأحد مع أمر الله ، والصور قرن ينفخ فيه . قال مجاهد : كهيئة البوق ، وقيل هو بلغة أهل اليمن . وقال أبو عبيدة : الصور هو الصور وهو جمع الصورة وهو قول الحسن والاول أصح والدليل عليه ما أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا

فيه شاخصا بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر » قلت يارسول وما الصور ؟ قال« القرن » قلت كيف هو؟
قال « عظيم والذي بعثني بالحق ان عظم دارة فيه كعرض السموات والارض ينفخ فيه ثلاث نفخات
النفخة الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله تعالى إسرافيل
بالنفخة الاولى فيقول انفخ فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والارض الامن شاء الله ويأمره
فيطيلها ويديمها ولا يفتر وهي كقول الله (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق) فيسير الله
الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا ثم ترتج الارض باهلها رجاً فتكون كالسفينة المرمية في البحر تضربها
الامواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق في العرش ترجرجه الرياح وهو الذي يقول (يوم ترجف الراجفة *
تتبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة) فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب
الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الاقطار فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع
ويولي الناس مدبرين مالهم من أمر الله من عاصم ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله تعالى
(يوم التناد) فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الارض من قطر إلى قطر فرأوا أمراً عظيما لم يروا مثله
وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم ثم نظروا إلى السماء فاذا هي كالمهل ثم انشقت
السماء فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الاموات
لايعلمون بشيء من ذلك » قال أبو هريرة يارسول الله من استثنى الله عز وجل حين يقول (ففزع من
في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله) ؟ قال « أولئك الشهداء » وإنما يصل الفزع إلى الاحياء
وهم أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه
- قال - وهو الذي يقول الله عز وجل (ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها
تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى
ولكن عذاب الله شديد) فيقومون في ذلك العذاب ماشاء الله الا أنه يطول ثم يأمر الله اسرافيل بنفخة
الصعق فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والارض الا من شاء الله فاذا هم قد خمدوا وجاء
ملك الموت الى الجبار عز وجل فيقول يارب قد مات أهل السموات والارض الا من شئت فيقول
الله وهو أعلم بمن بقي : فمن بقي ؟ فيقول يارب بقيت أنت الحي الذي لاتموت وبقيت حملة العرش وبقي
جبريل وميكائيل وبقيت أنا فيقول الله عز وجل : ليمت جبريل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول يارب يموت
جبريل وميكائيل فيقول اسكت فاني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي فيموتان ثم يأتي ملك
الموت الى الجبار فيقول يارب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم بمن بقي : فمن بقي ؟ فيقول
بقيت أنت الحي الذي لاتموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله لتمت حملة العرش فتموت

أبو طاهر المحاربي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا أبو عبدالله بن محمود انا ابراهيم بن عبدالله الخلال أنا
عبدالله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أسلم عن بشر بن شغاف عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : جاء

ويأمر الله العرش فيقبض الصور من اسرافيل ثم يأتي ملك الموت فيقول يارب قد مات حملة عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن بقي فمن بقي؟ فيقول يارب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا فيقول الله أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد القهار الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد كان آخراً كما كان أولا طوى السموات والارض طي السجل للكتب ثم دحاهما ثم يلقفهما ثلاث مرات ثم يقول أنا الجبار أنا الجبار أنا الجبار ثلاثا ثم هتف بصوته (لمن الملك اليوم؟) ثلاث مرات فلا يجيبه أحد ثم يقول لنفسه (لله الواحد القهار) يقول الله (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) فيبسطها ويسطحهما ثم يمدهما مد الاديم العكاظي (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فاذا هم في هذه الارض المبدلة مثل ما كانوا فيها من الاولى من كان في بطنها كان في بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوما حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعا ثم يأمر الله الاجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل حتى اذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت قال الله عز وجل ليحي حملة عرشي فيحيون ويأمر الله اسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول ليحي جبريل وميكائيل فيحييان ثم يدعو الله بالارواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نوراً وأرواح الكافرين ظلمة فيقبضها جميعا ثم يلقيها في الصور ثم يأمر الله اسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والارض فيقول وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح الى جسده فتدخل الارواح في الارض الى الاجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الاجساد كما يمشي السم في اللديغ ثم تنشق الارض عنهم وأنا أول من تنشق الارض عنه فتخرجون سراعا الى ربكم تنسلون (مهطعين الى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر) حفاة عراة غلفا غرلا فتقفون موقفا واحداً مقداره سبعون عاما لا ينظر اليكم ولا يقضى بينكم فتبكون حتى تنقطع الدموع ثم تدمعون دما وتعرقون حتى يلجمكم العرق أو يبلغ الاذقان وتقولون من يشفع لنا الى ربنا فيقضي بيننا فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا فيأتون آدم فيطلبون ذلك اليه فيأبى ويقول ما أنا بصاحب ذلك فيستقرؤن الانبياء نبيا نبيا كلما جاؤا نبيا أبى عليهم ـ قال رسول الله ﷺ ـ حتى يأتوني فانطلق الى الفحص فأخر ساجداً ـ قال أبو هريرة يا رسول الله وما الفحص؟ قال ـ قدام العرش حتى يبعث الله الي ملكا فيأخذ بعضدي ويرفعني فيقول لي يا محمد فاقول نعم يارب، فيقول الله عز وجل ما شأنك؟ وهو أعلم ـ فاقول يارب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فاقض بينهم قال الله قد شفعتك أنا آتيكم أقضي بينكم ـ قال رسول الله ﷺ ـ فارجع فاقف مع الناس فبينما نحن وقوف اذ سمعنا من السماء حساً شديدا فهالنا فينزل أهل

اعرابي إلى النبي ﷺ فقال ما الصور؟ فقال « قرن ينفخ فيه »

اخبرنا احمد بن عبدالله الصالحي انا ابو سعيد محمد بن موسى الصيرفي انا ابو عبدالله بن محمد

السماء الدنيا بمثلي من في الارض من الجن والانس حتى اذا دنوا من الارض أشرقت الارض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم أفيكم ربنا ؟ قالوا لا وهو آت، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلي من نزل من الملائكة وبمثلي من فيهما من الجن والانس، حتى اذا دنوا من الارض أشرقت الارض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم أفيكم ربنا ؟ فيقولون لا وهو آت، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة فيحمل عرشه يومئذ ثمانية - وهم اليوم أربعة - أقدامهم في تخوم الارض السفلى، والارض والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم لهم زجل في تسبيحهم يقولون سبحان ذي العرش والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت سبوح قدوس قدوس قدوس سبحان ربنا الاعلى رب الملائكة والروح سبحان ربنا الاعلى الذي يميت الخلائق ولا يموت فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه ثم يهتف بصوته فيقول يا معشر الجن والانس اني قد أنصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا أسمع قولكم وأبصر أعمالكم فانصتوا الي فانما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه، ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم، ثم يقول (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين* وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم* ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون* هذه جهنم التي كنتم توعدون) أو - بها تكذبون - شك أبو عاصم (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) فيميز الله الناس وتجثو الامم. يقول الله تعالى (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون) فيقضي الله عز وجل بين خلقه الا الثقلين الجن والانس فيقضي بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقضي للجماء من ذات القرن، فاذا فرغ من ذلك فلم تبق تبعة عند واحدة للأخرى قال الله لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر (ياليتني كنت ترابا) ثم يقضي الله بين العباد فكان أول مايقضي فيه الدماء، ويأتي كل قتيل في سبيل الله ويأمر الله عز وجل كل من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه فيقول يارب فيم قتلني هذا ؟ فيقول - وهو أعلم - فيم قتلتهم ؟ فيقول قتلتهم لتكون العزة لك فيقول الله له صدقت فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس ثم تمر به الملائكة الى الجنة، ثم يأتي كل من قتل على غير ذلك يحمل رأسه وتشخب أوداجه فيقول يارب فيم قتلني هذا؟ فيقول - وهو أعلم - لم قتلتهم؟ فيقول يارب قتلتهم لتكون العزة لي فيقول تعست، ثم لا تبقى نفس قتلها الا قتل بها ولا مظلمة ظلمها الا أخذ بها، وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه، ثم يقضي الله تعالى بين من بقي من خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء، فاذا فرغ الله من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق كلهم: ألا ليلحق كل

ابن عبد الله الصفار انا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي انا أبو حذيفة انا سفيان عن الاعمش عن عطية ابن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه

قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى بن مريم ، ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى ثم قادتهم آلهتهم الى النار ،وهو الذي يقول (لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون) فاذا لم يبق الا المؤمنون فيهم المنافقون جاءهم الله فيما شاء من هيئته فقال : ياأيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون. فيقولون والله مالنا إله الا الله وما كنا نعبد غيره فينصرف عنهم وهو الله الذي يأتيهم فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يأتيهم فيقول : ياأيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون . فيقولون والله مالنا إله الا الله وما كنا نعبد غيره فيكشف لهم عن ساقه ويتجلي لهم من عظمته ما يعرفون انه ربهم فيخرون للاذقان سجدا على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه ويجعل الله أصلابهم كصياصي البقر ، ثم يأذن الله لهم فيرفعون ويضرب الله الصراط بين ظهراني جهنم كحد الشفرة أو كحد السيف عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان دونه جسر دحض مزلة فيمرون كطرف العين أو كلمح البرق أو كمر الريح أو كجياد الخيل أو كجياد الركاب أو كجياد الرجال، فناج سالم وناج مخدوش ومكدوس على وجهه في جهنم ، فاذا أفضى أهل الجنة الى الجنة قالوا من يشفع لنا الى ربنا فندخل الجنة ؟فيقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم عليه السلام خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا فيأتون آدم فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فانه أول رسل الله فيؤتي نوح فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنباً ويقول ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بابراهيم فان الله اتخذه خليلا ، فيؤتى ابراهيم فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنبا ويقول ماأنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بموسى فان الله قربه نجيا وكلمه وأنزل عليه التوراة ، فيؤتى موسى فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنبا ويقول لست بصاحب ذلك ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى بن مريم ، فيؤتى عيسى بن مريم فيطلب ذلك اليه فيقول ماأنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد» قال رسول الله ﷺ «فيأتوني ولي عند ربي ثلاث شفاعات وعدنيهن فأنطلق فآتي الجنة فآخذ بحلقة الباب فأستفتح فيفتح لي فأحيا ويرحب بي فاذا دخلت الجنة فنظرت الى ربي خررت ساجدا فيأذن الله لي من تحميده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه ثم يقول ارفع رأسك يامحمد واشفع تشفع وسل تعط فاذا رفعت رأسي يقول الله ـ وهو أعلم ـ ماشأنك؟ فأقول يارب وعدتني الشفاعة فشفعني في اهل الجنة فيدخلون الجنة فيقول الله قد شفعتك وقد أذنت لهم في دخول الجنة» وكان رسول الله ﷺ يقول« والذي نفسي بيده ماأنتم في الدنيا بأعرف بازواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بازواجهم ومساكنهم فيدخل كل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة

وأصغى سمعه ، وحني جبهته ينتظر متى يؤمر » فقالوا يارسول الله وما تأمرنا ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » وقال أبو العلاء عن عطية متي يؤمر بالنفخ فينفخ ، قوله تعالى ﴿ عالم الغيب

سبعين مما ينشيء الله عز وجل وثنتين آدميتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله في الدنيا فيدخل على الاولى في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليها سبعون زوجا من سندس واستبرق ثم انه يضع يده بين كتفيها ثم ينظر الى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وانه لينظر الى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت، كبدها له مرآة وكبده لها مرآة، فبينا هو عندها لايملها ولا تمله ما يأتيها من مرة الا وجدها عذراء ما يفتر ذكره وما تشتكي قبلها، فبينا هو كذلك اذ نودي انا قد عرفنا انك لاتمل ولا تمل الا انه لا مني ولا منية الا أن لك أزواجا غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما أتى واحدة قالت له والله ما أرى في الجنة شيئا أحسن منك ولا في الجنة شيء أحب الي منك. واذا وقع أهل النار في النار وقع فيها خلق من خلق ربك أوبقتهم أعمالهم فمنهم من تأخذ النار قدميه لاتجاوز ذلك ومنهم من تأخذه الى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه الى ركبتيه ومنهم من تأخذه الى حقويه ومنهم من تأخذ جسده كله الا وجهه حرم الله صورته عليها» قال رسول الله ﷺ «فاقول يارب شفعني فيمن وقع في النار من أمتي فيقول اخرجوا من عرفتم فيخرج أولئك حتى لايبقى منهم أحد ثم يأذن الله في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد الا شفع فيقول الله اخرجوا من وجدتم في قلبه زنة دينار ايمانا فيخرج اولئك حتى لايبقى منهم أحد ثم يشفع الله فيقول أخرجوا من وجدتم في قلبه إيمانا ثلثي دينار ثم يقول ثلث دينار ثم يقول ربع دينار ثم يقول قيراط ثم يقول حبة من خردل فيخرج أولئك حتى لايبقى منهم أحد وحتي لايبقى في النار من عمل لله خيراً قط ولا يبقى أحد له شفاعة الا شفع حتى ان ابليس يتطاول مما يرى من رحمة الله رجاء ان يشفع له، ثم يقول بقيت وأنا أرحم الراحمين فيدخل يده في جهنم فيخرج منها مالا يحصيه غيره كأنهم حمم فيلقون على نهر يقال له نهر الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل فما يلي الشمس منها أخيضر وما يلي الظل منها أصيفر، فينبتون كنبات الطراثيث حتى يكونوا أمثال الذر مكتوب في رقابهم الجهنميون عتقاء الرحمن يعرفهم اهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا خيرا لله قط فيمكثون في الجنة ماشاء الله وذلك الكتاب في رقابهم ثم يقولون ربنا امح عنا هذا الكتاب فيمحوه الله عز وجل عنهم »

ثم ذكره بطوله ثم قال هذا حديث مشهور وهو غريب جدا ولبعضه شواهد في الاحاديث المتفرقة وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به اسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة وقد اختلف فيه فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه ونص على نكارة حديثه غير واحد من الائمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو ابن علي الفلاس ومنهم من قال فيه هو متروك وقال ابن عدي أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء، قلت وقد اختلف عليه في اسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة وأما سياقه فغريب جدا ويقال انه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقا واحداً

والشهادة ﴾ يعني يعلم ماغاب عن العباد وما يشاهدونه لايغيب عن علمه شيء ﴿ وهو الحكيم الخبير ﴾

فأنكر عليه بسبب ذلك وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول انه رأى للوليد بن مسلم مصنفا قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث فالله أعلم

وإذ قال إبرٰهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أرٰيك وقومك في ضلٰل مبين (٧٤) وكذلك نُري إبراهيمَ ملكوتَ السموٰت والأرض وليكونَ من الموقنين (٧٥) فلما جنَّ عليه الليل رآى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رآى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكوننَّ من القوم الضالين (٧٧) فلما رآى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يٰقوم إني بريء مما تشركون (٧٨) إني وجهتُ وجهيَ للذي فطر السموٰت والأرضَ حنيفاً وما أنا من المشركين (٧٩)

قال الضحاك عن ابن عباس ان أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وانما كان اسمه تارخ رواه ابن أبي حاتم وقال أيضا حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل حدثنا أبي حدثنا أبو عاصم شبيب حدثنا عكرمة عن ابن عباس في قوله (وإذ قال إبراهيم لابيه آزر) يعني بآزر الصنم، وأبو ابراهيم اسمه تارخ وأمه اسمها شاني وامرأته اسمها سارة وأم اسماعيل اسمها هاجر وهي سرية ابراهيم وهكذا قال غير واحد من علماء النسب ان اسمه تارخ وقال مجاهد والسدي آزر اسم صنم قلت كأنه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم فالله أعلم . وقال ابن جرير وقال آخرون هو سب وعيب بكلامهم ومعناه معوج ولم يسنده ولا حكاه عن أحد . وقد قال ابن أبي حاتم ذكر عن معتمر بن سليمان سمعت أبي يقرأ (وإذ قال إبراهيم لابيه آزر) قال بلغني أنها أعوج وانها أشد كلمة قالها إبراهيم عليه السلام ثم قال ابن جرير والصواب أن اسم أبيه آزر ثم أورد على نفسه قول النسابين ان اسمه تارخ ثم أجاب بأنه قد يكون له اسمان كما لكثير من الناس أو يكون أحدهما لقبا وهذا الذي قاله جيد قوي والله أعلم ، واختلف القراء في أداء قوله تعالى (وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر) فحكى ابن جرير عن الحسن البصري وأبي يزيد المدني انهما كانا يقرآن (وإذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة) معناه يا آزر أتتخذ أصناما آلهة، وقرأ الجمهور بالفتح اما على انه علم أعجمي لاينصرف وهو بدل من قوله لابيه أو عطف بيان وهو أشبه وعلى قول من جعله نعتاً لاينصرف أيضاً كأحمر وأسود فأما من زعم انه منصوب لكونه معمولا

قوله عزو جل ﴿وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر﴾ قرأ يعقوب آزر بالرفع يعني يا آزر والقراءة المعروفة بالنصب وهو اسم أعجمي لاينصرف فينصب في موضع الخفض . قال محمد بن اسحق والضحاك والكلبي آزر اسم أبي ابراهيم وهو تارخ أيضاً مثل اسرائيل ويعقوب وكان من كوثى قرية من سواد الكوفة وقال مقاتل بن حيان وغيره : آزر لقب لأبي ابراهيم واسمه تارخ . وقال سليمان التيمي : هو سب

لقوله (أتتخذ أصناما) تقديره ياأبت أتتخذ آزر أصناما آلهة فانه قول بعيد في اللغة فان مابعد حرف الاستفهام لايعمل فيا قبله لان له صدر الكلام كذا قرره ابن جرير وغيره وهو مشهور في قواعد العربية والمقصود ان ابراهيم وعظ اباه في عبادة الاصنام وزجره عنها ونهاه فلم ينته كما قال (واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة؟)أي أتتأله لصنم تعبده من دون الله (اني أراك وقومك) أي السالكين مسلكك (في ضلال مبين) أي تائهين لايهتدون أين يسلكون بل في حيرة وجهل وأمركم في الجهالة والضلال بين واضح لكل ذي عقل سليم ■ وقال تعالى (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا* إذ قال لابيه ياأبت لم تعبد مالايسمع ولايبصر ولا يغني عنك شيئا* ياأبت اني قد جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا* ياأبت لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا* ياأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا * قال أراغب أنت عن آلهتي ياابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا* قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا* واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى أن لاأكون بدعاء ربي شقيا) فكان ابراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه مدة حياته فلما مات على الشرك وتبين إبراهيم ذلك رجع عن الاستغفار له وتبرأ منه كما قال تعالى (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه (ان ابراهيم لأواه حليم) وثبت في الصحيح أن إبراهيم يلقى أباه آزر يوم القيامة فيقول له آزر يابني اليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم أي رب ألم تعدني انك لاتخزني يوم الدين وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقال يا إبراهيم انظر ماوراءك فاذا هو بذيح متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار وقوله (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والارض) أي نبين له وجه الدلالة في نظره الى خلقهما على وحدانية الله عز وجل في ملكه وخلقه وانه لاإله غيره ولا رب سواه كقوله (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وقوله (أفلم ينظروا في ملكوت السموات والارض) وقال (أفلم يروا الى مابين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أونسقط

وعيب ومعناه في كلامهم المعوج ■ وقيل معناه الشيخ الهرم بالفارسية . وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم فعلى هذا يكون في محل النصب تقديره أتتخذ آزر إلها ■ قوله ﴿ أتتخذ أصناما آلهة﴾ دون الله ﴿ اني أراك وقومك في ضلال مبين ﴾ أي في خطأ بين ﴿ وكذلك نرى ابراهيم ﴾ أي كما أريناه البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه كذلك نريه ﴿ ملكوت السموات والارض ﴾ والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالجبروت والرحموت والرهبوت . قال ابن عباس : يعني خلق السموات والارض . وقال مجاهد وسعيد بن جبير : يعني آيات السموات والارض وذلك أنه أقيم على صخرة وكشف له عن ملكوت السموات والارض حتى العرش وأسفل الارضين ونظر إلى مكانه في الجنة فذلك قوله تعالى (وآتيناه أجره في الدنيا) يعني أريناه مكانه في الجنة ، وروي عن سلمان رضي الله عنه ورفعه بعضهم عن علي رضي الله عنه لما أرى ابراهيم ملكوت السموات والارض أبصر رجلا

عليهم كسفاً من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب) وأما ماحكاه ابن جرير وغيره عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم قالوا واللفظ لمجاهد فرجت له السموات فنظر الى مافيهن حتى انتهى بصره الى العرش وفرجت له الارضون السبع فنظر الى مافيهن وزاد غيره فجعل ينظر الى العباد على المعاصي ويدعو عليهم فقال الله له اني أرحم بعبادي منك لعلهم أن يتوبوا أو يرجعوا

وروى ابن مردويه في ذلك حديثين مرفوعين عن معاذ وعلي ولكن لا يصح اسنادهما والله أعلم وروى ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) فانه تعالى جلا له الامر سره وعلانيته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله انك لا تستطيع هذا فرده كما كان قبل ذلك فيحتمل أن يكون كشف له عن بصره حتى رأى ذلك عيانا ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه وعلم مافي ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة كما رواه الامام أحمد والترمذي وصححه عن معاذ بن جبل في حديث المنام «أتاني ربي في أحسن صورة فقال يامحمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ فقلت لاأدري يارب ، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت ذلك» وذكر الحديث. وقوله (وليكون من الموقنين) قيل الواو زائدة تقديره وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والارض ليكون من الموقنين كقوله (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين) وقيل بل هي على بابها أي نريه ذلك ليكون عالما وموقنا وقوله تعالى (فلما جن عليه الليل) أي تغشاه وستره (رأى كوكبا) أي نجما (قال هذا ربي فلما أفل)

على فاحشة فدعا عليه فهلك ، ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلك ، ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال له الرب عز وجل ياإبراهيم : انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعون على عبادي ، فانما أنا من عبدي على ثلاث خصال : إما أن يتوب إليّ فأتوب عليه ، وإما أن أخرج منه نسمة تعبدني ، وإما أن يبعث إليّ فان شئت عفوت عنه : وإن شئت عاقبته ، وفي رواية وإما أن يتولى فان جهنم من ورائه . وقال قتادة : ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم ، وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار ﴿ وليكون من الموقنين ﴾ عطف على المعنى ومعناه نريه ملكوت السموات والارض ليستدل به وليكون من الموقنين ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً ﴾ الآية . قال أهل التفسير : ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له : انه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ، ويقال إنهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء عليهم السلام فقال السدي : رأى نمرود في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعاً شديداً فدعا السحرة والكهنة فسألهم عن ذلك فقالوا : هو مولود يولد في

أي غاب قال محمد ابن اسحاق بن يسار الافول الذهاب وقال ابن جرير يقال افل النجم يأفل ويأفل، أفولا وأفلا اذا غاب ومنه قول ذي الرمة

ناحيتك في هذه السنة فيكون هلاكك وهلاك ملكك وأهل بيتك على يديه ، قالوا فأمر بذبح كل غلام يولد في ناحيته في تلك السنة ، وأمر بعزل الرجال عن النساء ، وجعل على كل عشرة رجلا ، فاذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لأنهم كانوا لايجامعون في الحيض ، فاذا طهرت حال بينهما فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بابراهيم عليه السلام . وقال محمد بن اسحاق: بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقرينه فحبسها عنده إلا ماكان من أم ابراهيم عليه السلام فانه لم يعلم بحبلها لأنها كانت جارية حديثة السن لم يعرف الحبل في بطنها . وقال السدي : خرج نمرود بالرجال إلى المعسكر ونحاهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود أن يكون فمكث بذلك ماشاء الله ، ثم بدت له حاجة إلى المدينة فلم يأمن عليها أحداً من قومه إلا آزر فبعث اليه ، ودعاه وقال له : إن لي حاجة أريد أن أوصيك بها ولا أبعثك إلا لثقتي بك فأقسمت عليك أن لاتدنو من أهلك ، فقال آزر أنا أشح على ديني من ذلك فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال: لو دخلت على أهلي فنظرت اليهم، فلما نظر إلى أم ابراهيم عليه السلام لم يتمالك حتى واقعها فحملت بابراهيم عليه السلام . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لما حملت أم ابراهيم قال الكهان لنمرود : إن الغلام الذي أخبرناك به قد حملته أمته الليلة فأمر نمرود بقتل الغلمان ، فلما دنت ولادة أم ابراهيم عليه السلام وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء فرجعت فأخبرت زوجها بأنها ولدت وأن الولد في موضع كذا وكذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سربا عند نهر فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع ، وكانت أمه تختلف اليه فترضعه . وقال محمد بن اسحاق : لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريبة منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه مايصلح بالمولود ، ثم سدت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها ، ثم كانت تطالعه لتنظر مافعل فتجده حيا يمص ابهامه . وقال أبو روق : قالت أم ابراهيم ذات يوم لأنظرن إلى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ، ومن أصبع لبنا ، ومن أصبع عسلا ، ومن أصبع تمراً ، ومن أصبع سمناً . وقال محمد بن اسحاق : كان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها مافعل فقالت: قد ولدت غلاما فمات فصدقها فسكت عنها ، وكان اليوم على ابراهيم في الشباب كالشهر ، والشهر كالسنة ، فلم يمكث ابراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهراً حتى قال لأمه : أخرجيني فأخرجته عشاء ، فنظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال : إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي الذي مالي إله غيره ثم نظر إلى السماء فرأى كوكبا فقال هذا ربي، ثم أتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما أفل قال لاأحب الآفلين، ثم لما رأى القمر بازغا قال هذا ربي،

مصابيح ليست باللواتي يقودها ▪ دياج[1] ولا بالآفلات الزوائل[2]

ثم أتبعه بصره حتى غاب ▪ ثم طلعت الشمس هكذا إلى آخره ثم رجع إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبريء من دين قومه إلا أنه لم ينادهم بذلك فأخبره أنه ابنه ، وأخبرته أم ابراهيم أنه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت في شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديداً ، وقيل إنه كان في السرب سبع سنين ، وقيل ثلاث عشرة سنةً ، وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم عليه السلام وهو في السرب قال لأمه : من ربي ؟ قالت أنا ، قال فمن ربك ؟ قالت أبوك ، قال فمن رب أبي ؟ قالت نمرود ، قال فمن ربه ؟ قالت له اسكت فسكت ، ثم رجعت إلى زوجها فقالت : أرأيت الغلام الذي كنا نحدث أنه يغير دين أهل الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال فأتاه أبوه آزر فقال له ابراهيم عليه السلام ياأبتاه : من ربي ؟ قال أمك ؟ قال فمن رب أمي ؟ قال أنا ، قال فمن ربك ؟ قال نمرود ، قال فمن رب نمرود ؟ فلطمه لطمة وقال له : اسكت ، فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فأبصر كوكباً قال هذا ربي ▪ ويقال إنه قال لأبويه : أخرجاني فأخرجاه من السرب وانطلقا به حين غابت الشمس فنظر ابراهيم إلى الابل والخيل والغنم فسأل أباه ماهذه ؟ فقال ابل وخيل وغنم ، فقال مالهذه بدمن أن يكون لها رب وخالق ، ثم نظر فاذا المشتري قد طلع ويقال الزهرة فكانت تلك الليلة في آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فيها فرأى الكوكب قبل القمر ، فذلك قوله عز وجل (فلما جن عليه الليل) اي دخل الليل يقال جنّ الليل ▪ واجن الليل ، وجنه الليل ، وأجنه واجن عليه الليل يجن جنوناً وجناناً اذا اظلم وغطى كل شيء وجنون الليل سواده (رأى كوكباً) قرأ ابو عمرو رأى بفتح الراء وكسر الالف وبكسرهما ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ، فان اتصل بكاف او هاء فتحهما ابن عامر ، وإن لقيهما ساكن كسر الراء وفتح الهمزة حمزة وابو بكر وفتحهما الآخرون ﴿ قال هذا ربي ﴾ واختلفوا في قوله ذلك فأجراه بعضهم على الظاهر وقالوا : كان ابراهيم مسترشداً طالباً للتوحيد حتى وفقه الله وآتاه رشده فلم يضره ذلك في حال الاستدلال ، وايضاً كان ذلك في حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه فلم يكن كفراً ، وانكر الآخرون هذا القول وقالوا : لايجوز ان يكون لله رسول يأتي عليه وقت من الاوقات إلا وهو موحد لله وبه عارف ، ومن كل معبود سواه بريء ، وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل ، واخبر عنه وقال (اذ جاء ربه بقلب سليم) وقال (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض) افتراه اراه الملكوت ليوقن فلما ايقن رأى كوكباً قال هذا ربي معتقداً فهذا مالا يكون ابداً ، ثم قال فيه اربعة اوجه من التأويل (احدها) أن ابراهيم اراد ان يستدرج القوم بهذا القول ويعرفهم خطأهم وجهلهم في تعظيم ما عظموه وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويرون ان الامور

(١) في المكية: نجوم
(٢) وفيها ايضا: الدوالك

ويقال أين أفلت عنا بمعنى أين غبت عنا: قال (لا أحب الآفلين) قال قتادة علم أن ربه دائم لا يزول فلما رأى القمر بازغا أي طالعاً قال هذا ربي فلما أفل قال (لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين* فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي) أي هذا المنير الطالع (ربي هذا أكبر) أي جرما من النجم ومن القمر وأكثر إضاءة (فلما أفلت) أي غابت (قال ياقوم اني بريء مما تشركون* اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) أي أخلصت ديني وأفردت عبادتي للذي فطر السموات والارض) أي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق (حنيفا) أي في حال كوني حنيفاً أي مائلا عن الشرك الى التوحيد ولهذا قال (وما أنا من المشركين) وقد اختلف المفسرون في هذا المقام هل هو مقام نظر أو مناظرة فروى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر واختاره ابن جرير مستدلا بقوله (لئن لم يهدني ربي) الآية وقال محمد بن اسحاق قال ذلك حين خرج من السرب الذى ولدته فيه أمه حين تخوفت عليه من نمرود بن كنعان لما كان قد أخبر بوجود مولود يكون ذهاب ملكه على يديه فأمر بقتل الغلمان عامئذ فلما حملت أم ابراهيم به وحان

كلها الها فاراهم انه معظم ما عظموه وملتمس الهدى من حيث ما التمسوه فلما افل اراهم النقص الداخل على النجوم ليثبت خطأ ما يدعون ومثل هذا مثل الحواري الذي ورد على قوم يعبدون الصنم فأظهر تعظيمه فأكرموه حتى صدروا في كثير من الامور عن رأيه الى أن دهمهم عدو فشاوروه في أمره فقال الرأي أن تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد أظلنا فاجتمعوا حوله يتضرعون فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يدفع دعاهم الى أن يدعوا الله فدعوه فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فأسلموا (والوجه الثاني) من التأويل أنه قاله على وجه الاستفهام تقديره أهذا ربي كقوله تعالى (فان مت فهم الخالدون) أي أفهم الخالدون وذكره على وجه التوبيخ منكراً لفعلهم يعني أمثل هذا يكون ربا أي ليس هذا ربي (والوجه الثالث) انه ذكره على وجه الاحتجاج عليهم يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها لما غاب كما قال (ذق انك أنت العزيز الكريم) أي عند نفسك وبزعمك وكما أخبر عن موسى أنه قال (وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه) يريد إلهك بزعمك. (والوجه الرابع) فيه اضمار وتقديره يقولون هذا ربي كقوله تعالى (وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا) أي يقولان ربنا تقبل منا ﴿فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ وما لا يدوم ﴿فلما رأى القمر بازغا﴾ طالعا ﴿قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي﴾ قيل لئن لم يثبتني ربي على الهدى ليس انه لم يكن مهتديا والانبياء لم يزالوا يسألون الله تعالى الثبات على الايمان وكان ابراهيم يقول واجنبني وبني أن نعبد الاصنام ﴿لأكونن من القوم الضالين﴾ أي عن الهدى ﴿فلما رأى الشمس بازغة﴾ طالعة ﴿قال هذا ربي هذا أكبر﴾ أي أكبر من الكوكب والقمر ولم يقل هذه مع أن الشمس مؤنثة لانه أراد هذا الطالع أو رده الى المعنى وهو الضياء والنور لانه رآه أضوأ من النجوم والقمر ﴿فلما أفلت﴾ غربت ﴿قال ياقوم إني

وضعها ذهبت به الى سرب ظاهر البلد فولدت فيه إبراهيم وتركته هناك وذكر أشياء من خوارق العادات كما ذكرها غيره من المفسرين من السلف والخلف والحق ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظراً لقومه مبينا لهم بطلان ماكانوا عليه من عبادة الهياكل والاصنام فبين في المقام الاولين مع أبيه خطأهم في عبادة الاصنام الارضية التي هي على صور الملائكة السماوية ليشفعوا لهم الى الخالق العظيم الذي هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه وانما يتوسلون اليه بعبادة ملائكته ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر وغير ذلك مما يحتاجون اليه . وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة وهي القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل وأشدهن اضاءة وأشرفهن عندهم الشمس ثم القمر ثم الزهرة فبين أولا صلوات الله وسلامه عليه ان هذه الزهرة لاتصلح للآلهية فانها مسخرة مقدرة بسير معين لاتزيغ عنه يمينا ولا شمالا ولا تملك لنفسها تصرفا بل هي جرم من الاجرام خلقها الله منيرة لماله في ذلك من الحكم العظيمة وهي تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الابصار فيه ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال ومثل هذه لاتصلح للآلهية ثم انتقل الى القمر فبين فيه مثل مابين في النجم ثم انتقل الى الشمس كذلك فلما انتفت الآلهية عن هذه الاجرام الثلاثة التي هي أنور ماتقع عليه الابصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع (قال ياقوم اني بريء مما تشركون) أي أنا بريء من عبادتهن وموالاتهن فان كانت آلهة فكيدوني بها جميعا ثم لا تنظرون (اني وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين) اي انما أعبد خالق هذه الاشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها الذى بيده ملكوت كل شيء وخالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه كما قال تعالى(ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) وكيف يجوز أن يكون ابراهيم ناظراً في هذا المقام وهو الذي قال الله في حقه (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين * إذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل التي انتم لها عاكفون) الآيات وقال تعالى(ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « كل مولود يولد على الفطرة » وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول الله ﷺ قال « قال الله إني خلقت عبادي حنفاء » وقال الله في كتابه العزيز (فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله) وقال تعالى (وإذ

بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين

أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى) ومعناه على أحد القولين كقوله فطرة الله التي فطر الناس عليها) كما سيأتي بيانه. فاذا كان هذا في حق سائر الخليقة فكيف يكون ابراهيم الخليل الذي جعله الله أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين ناظراً في هذا المقام بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب ، ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظراً لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظراً قوله تعالى

وحاجّه قومه قال أتحجُّونّي في الله وقد هدٰين ولا أخاف ماتشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كلَّ شيء علما أفلا تتذكرون (٨٠) وكيف أخاف ماأشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم يُنزّل به عليكم سلطٰنا فأيُّ الفريقين أحقُّ بالأمن إن كنتم تعلمون (٨١) الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمٰنهم بظلم أولئك لهم الأمنُ وهم مهتدون (٨٢) وتلك حُجّتُنا آتينٰها إبراهيم على قومه نرفعُ درجٰت من نشاء إن ربَّك حكيم عليم (٨٣)

يقول تعالى مخبراً عن خليله ابراهيم حين جادله قومه فيما ذهب اليه من التوحيد وناظروه بشبه من القول أنه قال (اتحاجوني في الله وقد هدان) أي تجادلونني في أمر الله وانه لا إله إلا هو وقد بصرني وهداني الى الحق وأنا على بينة منه فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة وقوله (ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا) أي ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم اليه أن هذه الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئا وأنا لا أخافها ولا أباليها فان كان لها كيد فكيدوني بها ولا تنظرون بل عاجلوني بذلك. وقوله تعالى (إلا أن يشاء ربي شيئا) استثناء منقطع أي لا يضر ولا

قوله تعالى ﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ﴾ ولما رجع ابراهيم عليه السلام الى أبيه وصار من الشباب بحالة سقط عنه طمع الذباحين وضمه آزر الى نفسه جعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم عليه السلام وينادي من يشتري مايضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فصوب فيه رؤسها وقال اشربي استهزاء بقومه وبما هم فيها من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه وأهل قريته فحاجه أي خاصمه وجادله قومه في دينه قال أتحاجوني في الله قرأ اهل المدينة وابن عامر بتخفيف النون وقرأ الآخرون بتشديدها إدغاما لاحدى النونين في الاخرى ومن خفف حذف احدى النونين تخفيفا يقول أتجادلونني في توحيد الله وقد هداني للتوحيد والحق ﴿ ولا أخاف ماتشركون به ﴾ وذلك أنهم قالوا له احذر الاصنام فانا نخاف أن تمسك بسوء من خبل أو جنون لعيبك إياها فقال لهم ﴿ولا أخاف ماتشركون به الا أن يشاء ربي شيئا﴾ وليس هذا

ينفع الا الله عز وجل (وسع ربي كل شيء علما) أي أحاط علمه بجميع الاشياء فلا يخفى عليه خافية (أفلا تتذكرون) أي فيما بينته لكم أفلا تعتبرون أن هذه الآلهة باطلة فتنزجروا عن عبادتها وهذه الحجة نظير ما احتج بها نبي الله هود عليه السلام على قومه عاد فيما قص عنهم في كتابه حيث يقول (قالوا ياهود ماجئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * ان نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لاتنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) الآية وقوله (وكيف أخاف ما أشركتم) أي كيف أخاف من هذه الاصنام التي تعبدونها من دون الله (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا) قال ابن عباس وغير واحد من السلف أي حجة وهذا كقوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) وقوله تعالى (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) وقوله (فأي الفريقين أحق بالامن إن كنتم تعلمون) أي فأي الطائفتين أصوب الذي عبد من بيده الضر والنفع أو الذي عبد من لايضر ولاينفع بلا دليل أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة لاشريك له قال الله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون) أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لاشريك له ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة

قال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال لما نزلت (ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) قال أصحابه وأينا لم يظلم نفسه ؟ فنزلت (إن الشرك لظلم عظيم) وقال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على الناس فقالوا يارسول الله أينا لايظلم نفسه؟ قال انه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ماقال العبد الصالح (يابني لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) انما هو الشرك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا وكيع وابن ادريس عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال لما نزلت (ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ

باستثناء من الاول بل هو استثناء منقطع معناه لكن (إن يشاء ربي شيئا) أي سوأ فيكون ماشاء ﴿وسع ربي كل شيء علما﴾ أي احاط علمه بكل شيء ﴿أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم﴾ يعني الاصنام وهي لاتبصر ولا تسمع ولاتضر ولاتنفع ﴿ولاتخافون انكم اشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا﴾ حجة وبرهانا وهو القاهر القادر على كل شيء ﴿فأي الفريقين أحق﴾ أولي ﴿بالامن﴾ أنا وأهل ديني أم انتم ﴿ان كنتم تعلمون﴾ فقال الله تعالى قاضيا بينهما ﴿الذين آمنوا ولم يلبسو إيمانهم بظلم﴾ لم يخلطوا إيمانهم بشرك ﴿أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ أخبرنا عبد الواحد بن حمد المليحي

قالوا وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ ليس كما تظنون انما قال لابنه (يابني لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) وحدثنا عمر بن تغلب النمري حدثنا أبو احمد حدثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فنزلت (ان الشرك لظلم عظيم) رواه البخاري وفي لفظ قالوا أينا لم يظلم نفسه فقال النبي ﷺ « ليس بالذي تعنون ألم تسمعوا ماقال العبد الصالح (ان الشرك لظلم عظيم) انما هو الشرك » ولابن أبي حاتم عن عبد الله مرفوعا قال (ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) قال « بشرك » قال وروي عن أبي بكر الصديق وعمر وأبي بن كعب وسلمان وحذيفة وابن عباس وابن عمر وعمرو بن شرحبيل وأبي عبد الرحمن السلمي ومجاهد وعكرمة والنخعي والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد نحو ذلك ، وقال ابن مردويه حدثنا الشافعي حدثنا محمد بن شداد المسمعي حدثنا أبو عاصم حدثنا سفيان الثوري عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) قال رسول الله ﷺ « قيل لي أنت منهم » وقال الامام احمد حدثنا اسحاق بن يوسف حدثنا أبو جناب عن زاذان عن جرير بن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله ﷺ فلما برزنا من المدينة اذا راكب يوضع نحونا فقال رسول الله ﷺ « كأن هذا الراكب اياكم يريد » فانتهى الينا الرجل فسلم فرددنا عليه فقال له النبي ﷺ « من أين أقبلت ؟ » قال من أهلي وولدي وعشيرتي قال « فأين تريد؟ » قال أريد رسول الله ﷺ قال « فقد أصبته » قال يارسول الله علمني ما الايمان قال « أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت » قال قد أقررت قال ثم إن بعيره دخلت يده في شبكة جرذان فهوى بعيره وهوى الرجل فوقع على هامته فمات فقال رسول الله ﷺ « عليّ بالرجل » فوثب اليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأقعداه فقالا يارسول الله قبض الرجل قال فأعرض عنهما رسول الله ﷺ ثم قال لهما رسول الله ﷺ « أما رأيتما إعراضي عن الرجل فاني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة فعلمت أنه مات جائعا » ثم قال رسول الله ﷺ « هذا من الذين قال الله عز وجل فيهم (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) الآية » ، ثم قال « دونكم أخاكم » فاحتملناه الى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه الى القبر فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس على شفير القبر فقال « الحدوا ولا تشقوا فان اللحد لنا والشق لغيرنا » ثم رواه أحمد عن أسود بن عامر عن عبد الحميد بن جعفر الفراء عن ثابت عن زاذان عن جرير بن عبد الله فذكر نحوه وقال فيه هذا ممن عمل قليلا وأجر كثيرا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن موسى القطان حدثنا مهران بن أبي عمر حدثنا علي بن عبد الله عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

أنا احمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا اسحاق ثنا عيسى بن يونس أنا الاعمش انا ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق

قال كنا مع رسول الله ﷺ في مسير ساره إذ عرض له أعرابي فقال يارسول الله والذي بعثك بالحق لقد خرجت من بلادي وتلادي ومالي لاهتدي بهداك وآخذ من قولك وما بلغتك حتى مالي طعام الا من خضر الارض فاعرض علي فعرض عليه رسول الله ﷺ فقبل فازدحمنا حوله فدخل خف بكره في بيت جرذان فتردى الاعرابي فانكسرت عنقه فقال رسول الله ﷺ «صدق والذي بعثني بالحق لقد خرج من بلاده وتلاده وماله ليهتدي بهداي ويأخذ من قولي وما بلغني حتى ماله طعام إلا من خضر الارض أسمعتم بالذي عمل قليلا وأجر كثيرا ؟ هذا منهم. أسمعتم بالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون؟ فان هذا منهم» وفي لفظ قال «هذا عمل قليلا وأجر كثيراً» وروى ابن مردويه من حديث محمد بن يعلى الكوفي وكان نزل الري حدثنا زياد بن خيثمة عن أبي داود عن عبد الله بن سخبرة قال قال رسول الله صلم « من أعطي فشكر ومنع فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر» وسكت قال فقالوا يارسول الله ماله؟ قال (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) وقوله (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) أي وجهنا حجته عليهم قال مجاهد وغيره يعني بذلك قوله (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن) الآية وقد صدقه الله وحكم له بالأمن والهداية فقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) ثم قال بعد ذلك كله (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء) قرئ بالاضافة وبلا إضافة كما في سورة يوسف وكلاهما قريب في المعنى وقوله (إن ربك حكيم عليم) أي حكيم في أقواله وافعاله عليم أي بمن يهديه ومن يضله وان قامت عليه الحجج والبراهين كما قال (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) ولهذا قال ههنا (ان ربك حكيم عليم)

ووهبنا له إسحٰق ويعقوب كلاًّ هدينا ونوحاً هدينا من قبلُ ومن ذرّيته داوٗدَ وسليمٰن وأيوبَ ويوسفَ وموسٰى وهٰرون وكذٰلك نجزي المحسنين(٨٤) وزكريا ويحيٰى وعيسى

ذلك على المسلمين فقالوا يارسول الله فأينا لا يظلم نفسه؟ فقال « ليس ذلك، انما هو الشرك ، ألم تسمعوا الى ماقال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم »

قوله عز وجل ﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه﴾ حتى خصمهم وغلبهم بالحجة. قال مجاهد هي قوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن) وقيل اراد به الحجاج الذي حاج به نمرود على ماسبق في سورة البقرة ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ بالعلم قرأ اهل الكوفة ويعقوب (درجات) بالتنوين ههنا وفي سورة يوسف اى نرفع درجات من نشاء بالعلم والفهم والفضيلة والعقل كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى وحاج قومه في التوحيد ﴿إن ربك حكيم عليم﴾ ووهبنا له اسحاق ويعقوب

وإلياس كلٌّ من الصَّلحين (٨٥) وإسمعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاًّ فضّلنا على العلمين (٨٦) ومن آبائهم وذرّيّتهم وإخوٰنهم واجتبينٰهم وهدينٰهم إلى صرٰط مستقيم (٨٧) ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون (٨٨) أولئك الذين آتينٰهم الكتٰب والحكم والنبوّة فإن يكفر بها هٰؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكٰفرين (٨٩) أولئك الذين هدى الله فبهدٰهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعٰلمين (٩٠)

يذكر تعالى أنه وهب لابراهيم اسحاق بعد أن طعن في السن وأيس هو وامرأته سارة من الولد فجاءته الملائكة وهم ذاهبون الى قوم لوط فبشروهما باسحاق فتعجبت المرأة من ذلك وقالت (ياويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد) فبشروهما معوجوده بنبوته وبأن له نسلا وعقبا كما قال تعالى (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) وهذا أكمل في البشارة وأعظم في النعمة وقال (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) أي ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما فتقر أعينكما به كما قرت بوالده فان الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه وقعت البشارة به وبولده باسم يعقوب الذي فيه اشتقاق العقب والذرية وكان هذا مجازاة لابراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه وتركهم ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهبا الى عبادة الله في الارض فعوضه الله عز وجل عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه لتقر بهم عينه كما قال تعالى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا) وقال هينا (ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا) وقوله (ونوحا هدينا من قبل) أي من قبله هديناه كما هديناه، ووهبنا له ذرية صالحة وكل منهما له خصوصية عظيمة، أما نوح عليه السلام فان الله تعالى لما أغرق أهل الارض الا من آمن به وهم الذين صحبوه في السفينة جعل الله ذريته هم الباقين فالناس كلهم من ذريته، واما الخليل ابراهيم عليه السلام فلم يبعث الله عز وجل بعده نبيا الا من ذريته كما قال تعالى (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) الآية وقال تعالى (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) وقال تعالى (اولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا) وقوله في هذه الآية الكريمة (ومن ذريته) أي وهدينا من ذريته داود وسليمان الا يعود الضمير

كلا هدينا﴾ وفقنا وأرشدنا ﴿ونوحا هدينا من قبل﴾ أي من قبل ابراهيم ﴿ومن ذريته﴾ أي من ذرية

الى نوح لانه أقرب المذكورين ظاهر لا اشكال فيه وهو اختيار ابن جرير . وعوده الى ابراهيم لانه الذى سيق الكلام من أجله حسن لكن يشكل عليه لوط فانه ليس من ذرية ابراهيم بل هو ابن أخيه هاران بن آزر اللهم الا أن يقال إنه دخل في الذرية تغليبا كما في قوله (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسمعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون) فاسماعيل عمه دخل في آبائه تغليبا ، وكما قال في قوله (فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس) فدخل ابليس فى أمر الملائكة بالسجود وذم على المخالفة لأنه كان في تشبه بهم فعومل معاملتهم ودخل معهم تغليبا والا فهو كان من الجن وطبيعته من النار والملائكة من النور وفي ذكر عيسى عليه السلام في ذرية ابراهيم أو نوح على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل لان عيسى عليه السلام انما ينسب الى ابراهيم عليه السلام بأمه مريم عليها السلام فانه لا أب له . قال ابن أبي حاتم حدثنا سهل بن يحيى العسكري حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا علي بن عابس عن عبد الله بن عطاء المكى عن أبي حرب بن أبي الاسود قال أرسل الحجاج الى يحيى بن يعمر فقال بلغني انك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي ﷺ تجده في كتاب الله ـ وقد قرأته من أوله الى آخره فلم اجده ؟ قال أليس تقرأ سورة الانعام (ومن ذريته داود وسليمان) حتى بلغ (ويحيى وعيسى) قال بلى . قال أليس عيسى من ذرية ابراهيم و ليس له أب ؟ قال صدقت. فلهذا إذا أوصى الرجل لذريته أو وقف على ذريته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم فاما اذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم فانه يختص بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه واحتجوا بقول الشاعر العربي

بنونا بنو أبنائنا ، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الاجانب

وقال آخرون : ويدخل بنو البنات فيهم أيضاً لما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ

نوح عليه السلام ولم يرد من ذرية ابراهيم لانه ذكر في جملتهم يونس ولوطا ولم يكونا من ذرية ابراهيم ﴿داود﴾ هو داود بن ايشا ﴿وسليمان﴾ يعني ابنه ﴿وأيوب﴾ وهو أيوب بن اموص بن رازخ بن روم ابن عيص بن اسحاق بن ابراهيم ﴿ ويوسف ﴾ هو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام ﴿ وموسى ﴾ وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ﴿وهارون﴾ هو اخو موسى اكبر منه بسنة ﴿ وكذلك ﴾ اي كما جزينا ابراهيم على توحيده بأن رفعنا درجته ووهبنا له اولاداً انبياء اتقياء كذلك ﴿نجزي المحسنين﴾ على احسانهم وليس ذكرهم على ترتيب ازمانهم ﴿وزكريا ﴾ هو زكريا بن آذن ﴿ويحيى﴾ وهوابنه ﴿وعيسى﴾ وهوابن مريم بنت عمران ﴿ والياس ﴾ واختلفوا فيه قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل والصحيح انه غيره لأن الله تعالى ذكره في ولد نوح وادريس جد ابي نوح وهو الياس بن بشر ابن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران ﴿كل من الصالحين واسماعيل ﴾ وهو ولد ابراهيم ﴿واليسع﴾

قال الحسن بن علي «ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فسماه ابناً فدل على دخوله في الابناء . وقال آخرون : هذا تجوز ، وقوله (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم) ذكر أصولهم وفروعهم « وذوي طبقتهم ، وأن الهداية والاجتباء شملهم كلهم ولهذا قال (واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم) ثم قال تعالى (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) أي انما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايته إياهم (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) تشديد لأمر الشرك وتغليظ لشأنه وتعظيم لملابسته كقوله تعالى (ولقد أوحي اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) الآية ، وهذا شرط والشرط لايقتضي جواز الوقوع كقوله (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) وكقوله (ولو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) وكقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار)

وقوله تعالى (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) أي أنعمنا عليهم بذلك رحمة للعباد بهم ولطفا منا بالخليقة (فان يكفر بها) أي بالنبوة ، ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على هذه الاشياء الثلاثة الكتاب والحكم والنبوة ، وقوله (هؤلاء) يعني أهل مكة . قاله ابن عباس وسعيد ابن المسيب والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد (فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) أي إن يكفر بهذه النعم من كفر بها من قريش وغيرهم من سائر أهل الارض من عرب وعجم ومليين وكتابيين فقد وكلنا بها قوما آخرين ، أي المهاجرين والانصار وأتباعهم إلى يوم القيامة (ليسوا بها بكافرين) أي لايجحدون منها شيئاً ولا يردون منها حرفا واحداً « بل يؤمنون بجميعها محكمها ومتشابهها جعلنا الله منهم بمنه وكرمه واحسانه ، ثم قال تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ (أولئك) يعني الانبياء

وهو ابن اخطوب بن العجوز وقرأ حمزة والكسائي والليسع بتشديد اللام وسكون الياء هنا وفي ص ﴿ويونس﴾ وهو يونس بن متى ﴿ولوطا﴾ وهو لوط بن هاران بن اخي ابراهيم ﴿وكلا فضلنا على العالمين﴾ اي عالمي زمانهم ﴿ومن آبائهم﴾ من فيه للتبعيض لان آباء بعضهم كانوا مشركين ﴿ وذرياتهم ﴾ أي ومن ذرياتهم وأراد ذرية بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد . وكان في ذرية بعضهم من كان كافراً ﴿واخوانهم واجتبيناهم﴾ اخترناهم واصطفيناهم ﴿وهديناهم﴾ ارشدناهم ﴿الى صراط مستقيم « ذلك هدى الله﴾ دين الله ﴿يهدي به﴾ يرشد به ﴿من يشاء من عباده ولو اشركوا﴾ أي هؤلاء الذين سميناهم ﴿لحبط﴾ لبطل وذهب ﴿عنهم ماكانوا يعملون * أولئك الذين آتيناهم الكتاب﴾ أي الكتب المنزلة عليهم ﴿والحكم﴾ يعنى العلم والفقه ﴿والنبوة فان يكفر بها هؤلاء﴾ يعنى أهل مكة ﴿فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين﴾ يعني الانصار وأهل المدينة قاله ابن عباس ومجاهد وقال قتادة ﴿فان يكفر بها هؤلاء الكفار فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين﴾ يعني الانبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم الله ههنا وقال أبو رجاء العطاردي معناه فان يكفر بها أهل الارض فقد وكلنا بها أهل السماء وهم الملائكة قوما

المذكورين مع من أضيف اليهم من الآباء والذرية والاخوان وهم الاشباه (الذين هدى الله) أي هم أهل الهدى لاغيرهم (فبهداهم اقتده) أي اقتد واتبع ، واذا كان هذا أمراً للرسول ﷺ فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به قال البخاري عند هذه الآية : حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرني سليمان الاحول أن مجاهدا أخبره أنه سأل ابن عباس أفي (ص) سجدة ؟ فقال نعم ثم تلا (ووهبنا له اسحق ويعقوب — إلى قوله — فبهداهم اقتده) ثم قال هو منهم ، زاد يزيد بن هارون ومحمد بن عبيد وسهل بن يوسف عن العوام عن مجاهد قلت لابن عباس فقال نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدى بهم ، وقوله تعالى (قل لاأسألكم عليه أجراً) أي لاأطلب منكم على ابلاغي إياكم هذا القرآن أجراً ، أي أجرة ولا أريد منكم شيئاً (إن هو إلا ذكرى للعالمين) أي يتذكرون به فيرشدوا من العمى إلى الهدى ، ومن الغي إلى الرشاد ، ومن الكفر إلى الايمان

وما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قدره إذ قالوا ماأنزل اللهُ على بَشرٍ من شيء . قل من أنزل الكتٰبَ الذي جاء به موسىٰ نوراً وهدًى للناس تجعلونه قَراطيسَ تُبدونها وتُخفون كثيراً وعُلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ؟ قُلِ اللهُ ثم ذرهم في خوضهم يلعبون (٩١) وهذا كتٰبٌ أنزلنٰه مباركٌ مصدِّقُ الذى بين يديه ولتُنذِرَ أُمَّ القرى ومَن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم علىٰ صلاتهم يحافظون (٩٢)

يقول تعالى[1] وماعظموا الله حق تعظيمه إذ كذبوا رسله اليهم : قال ابن عباس ومجاهد وعبدالله ابن كثير نزلت في قريش واختاره ابن جرير ، وقيل نزلت في طائفة من اليهود ، وقيل في فنحاص رجل منهم ، وقيل في مالك بن الصيف (قالوا ماأنزل الله على بشر من شيء) والاول أصح لأن الآية مكية واليهود لاينكرون انزال الكتب من السماء وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون ارسال محمد ﷺ لأنه من البشر كما قال (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن انذر الناس) وكقوله

«١» لم يذكر هنا: نص الآية قبل تفسيرها كعادته فلعله سهو

ليسوا بها بكافرين ﴿أولئك الذين هدى الله﴾ أي هداهم الله ﴿فبهداهم﴾ فبسنتهم وسيرتهم ﴿اقتده﴾ الهاء فيها هاء الوقف وحذف حمزة والكسائي ويعقوب الهاء في الوصل والباقون باثباتها وصلا ووقفا وقرأ ابن عامر اقتده باشباع الهاء كسراً ﴿قل لا أسألكم عليه اجراً ان هو﴾ ما هو ﴿الا ذكرى﴾ أي تذكرة وموعظة ﴿للعالمين﴾

قوله عز وجل ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أي ماعظموه حق عظمته وقيل ماوصفوه حق صفته ﴿إذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شيء﴾ قال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن

تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا؟ قل لوكان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين انزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) وقال ههنا (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) قال الله تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس) أي قل يامحمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عندالله في جواب سلبهم العام بإثبات قضية جزئية موجبة (من انزل الكتاب الذي جاء به موسى) وهو التوراة التي قد علمتم وكل أحد أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران نوراً وهدى للناس أي ليستضاء بها في كشف المشكلات ويهتدى بها من ظلم الشبهات ، وقوله (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) أي تجعلون جملتها قراطيس أي قطعاً تكتبونها من الكتاب الاصلي الذي بأيديكم وتحرفون منها ماتحرفون، وتبدلون وتتأولون، وتقولون هذا من عند الله ، أي في كتابه المنزل وما هو من عند الله ولهذا قال (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً) وقوله تعالى (وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) أي ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ماسبق ونبأ مايأتي مالم تكونوا تعلمون ذلك لا أنتم ولا آباؤكم ، وقد قال قتادة: هؤلاء مشركو العرب[1] وقال مجاهد هذه للمسلمين ، وقوله تعالى (قل الله) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي قل الله أنزله، وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير

الصيف يخاصم النبي ﷺ بمكة فقال له النبي ﷺ أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟ ـ وكان حبراً سمينا ـ فغضب فقال والله (ما أنزل الله على بشر من شيء) وقال السدى نزلت في فنحاص بن عازوراء وهو قائل هذه المقالة وفي القصة ان مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا أليس ان الله أنزل التوراة على موسى؟ فلم قلت (ما أنزل الله على بشر من شيء)؟ قال فقال مالك بن الصيف أغضبني محمد ففلت ذلك فقالوا له وأنت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف، وقال ابن عباس رضى الله عنهما قالت اليهود يامحمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما أنزل الله من السماء كتابا فأنزل الله (وما قدروا الله حق قدره إذقالوا ماأنزل الله على بشر من شيء) قال الله ﴿قل﴾ لهم ﴿من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس﴾ يعني التوراة ﴿تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً﴾ أي تكتبون عنه دفاتر وكتبا مقطعة تبدونها أي تبدون ماتحبون وتخفون كثيراً من نعت محمد ﷺ وآية الرجم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يجعلونه ويبدونها ويخفونها بالياء جميعا لقوله تعالى (وما قدروا الله) وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى) وقوله ﴿وعلمتم مالم تعلموا﴾ الاكثرون على أنها خطاب لليهود يقول علمتم على لسان محمد ﷺ مالم تعلموا ﴿أنتم ولا آباؤكم﴾ قال الحسن جعل لهم علم ماجاء به محمد ﷺ فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطاب المسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان محمد ﷺ ﴿قل الله﴾ هذا راجع الى

«١» قيل ان هذه نزلت مرتين مرة بمكة والخطاب فيها للمشركين ولعلها قراءة ابن كثير وأبي عمرو (يجعلونه قراطيس يبدونها) بالياء التحتانية . ومرة بالمدينة ولعلها قراءة (تجعلونه) بالفوقانية لانه خطاب لليهود والمراد أن النبي (ص) لما قرأها واحتج بها على اليهود قرأ الافعال بالتاء

هذه الكلمة ، لا ما قاله بعض المتأخرين من أن المعنى (قل الله) أي لايكون خطابك لهم إلا هذه الكلمة كلمة «الله» وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمراً بكلمة مفردة من غير تركيب والاتيان بكلمة مفردة لايفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها ، وقوله (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) أي ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون حتى يأتيهم من الله اليقين فسوف يعلمون ألهم العاقبة أم لعباد الله المتقين ؟ وقوله (وهذا كتاب) يعني القرآن (أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى) يعني مكة (ومن حولها) من أحياء العرب ومن سائر طوائف بني آدم من عرب وعجم كما قال في الآية الاخرى (قل ياأيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا) وقال (لأنذركم به ومن بلغ) وقال (ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده) وقال (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وقال (وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم ، فان أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي » وذكر منهن « وكان النبي ﷺ يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة » ولهذا قال (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) أي كل من آمن بالله واليوم الآخر يؤمن بهذا الكتاب المبارك الذى أنزلناه اليك يامحمد وهو القرآن (وهم على صلاتهم يحافظون) أى يقيمون بما فرض عليهم من أداء الصلوات في أوقاتها

ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال اوحيَ إليَّ ولم يُوحَ إليه شيء، ومن قال سأنزل مثل ماأنزل الله؟ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزوْن عذابَ الهونِ بما كنتم تقولون على الله غيرَ الحق وكنتم عن آيته تستكبرون (٩٣) ولقد جئتمونا فُرَادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخوَّلناكم وراء

قوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) فان اجابوك والا فقل أنت الله أي قل أنزله الله ﴿ ثم ذرهم في خوضهم يلعبون* وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ أي القرآن كتابا مبارك أنزلناه ﴿مصدق الذي بين يديه ولتنذر﴾ يامحمد قرأ ابو بكر عن عاصم ولينذر بالياء أي ولينذر الكتاب ﴿أم القرى ﴾ يعني مكة سميت أم القرى لان الارض دحيت من تحتها فهي أصل الارض كلها[1] كالام أصل النسل وأراد أهل أم القرى ﴿ومن حولها﴾ أي أهل الارض كلها شرقا وغربا ﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به﴾ بالكتاب ﴿وهم على صلوتهم﴾ يعني الصلوات الخمس ﴿ يحافظون ﴾ يداومون يعني المؤمنين

قوله عز وجل ﴿ومن أظلم ممن افترى﴾ اختلق ﴿على الله كذبا﴾ فزعم أن الله تعالى مثه نبيا ﴿أو

«١» الأرض لاتسمى قرى وإنما القرى البلاد ذات المساكن الجامعة وأمها هي الكبرى التي يتبعها غيرها وتسمى العاصمة فمكة عاصمة البلاد العربية

ظهورِكم وما نرىٰ معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركـٰؤا. لقد تقطع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون (٩٤)

يقول تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله فجعل له شركاء أو ولداً أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يرسله ولهذا قال تعالى (أو قال أوحي إلي ولم يوح اليه شيء) قال عكرمة وقتادة نزلت في مسيلمة الكذاب (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) أي ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي مما يفتريه من القول كقوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) الآية قال الله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت) أي في سكراته وغمراته وكرباته (والملائكة باسطو أيديهم) أي بالضرب كقوله (لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني) الآية وقوله (يبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) الآية وقال الضحاك وأبو صالح

قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء ﴾ قال قتادة نزلت في مسيلمة الكذاب وكان يسجع ويتكهن فادعى النبوة وزعم ان الله أوحى اليه وكان قد أرسل الى رسول الله ﷺ رسولين فقال النبي ﷺ لهما «أتشهدان أن مسيلمة نبي؟» قالا نعم فقال النبي ﷺ «لولا أن الرسل لاتقتل لضربت أعناقكما» أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا ابو طاهر الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا احمد بن يوسف السلمي أنا عبدالرزاق انا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ «بينا أنا نائم إذ أوتيت من خزائن الارض فوضع في يدي سواران ذهب فكبرا علي وأهماني فأوحي الي أن انفخهما فنفختهما فذهبا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة» أراد بصاحب صنعاء الاسود العنسي وبصاحب اليمامة مسيلمة الكذاب ﴿ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ قيل نزلت في عبدالله بن سعد بن أبي سرح وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي ﷺ وكان إذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفوراً رحيما[1] فلما نزلت (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) أملاها عليه رسول الله ﷺ فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال (تبارك الله أحسن الخالقين) فقال النبي ﷺ اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي الي كما أوحي اليه . فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله الى الاسلام قبل فتح مكة إذ نزل النبي ﷺ بمر الظهران ، وقال ابن عباس قوله (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) يريد المستهزئين وهو جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا

قوله عز وجل ﴿ولو ترى﴾ يامحمد ﴿إذ الظالمون في غمرات الموت﴾ سكراته وهي جمع غمرة وغمرة كل شيء معظمه وأصلها الشيء الذي يغمر الاشياء فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدائد والمكاره ﴿ والملائكة باسطو أيديهم ﴾ بالعذاب والضرب يضربون وجوههم وأدبارهم وقيل بقبض الأرواح

(١) قد حققنا في تفسيرنا ان الآيات المختتمة بهذه الاسماء كلها نزلت بعد ردته

باسطو أيديهم) أي بالعذاب كقوله (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) ولهذا قال (والملائكة باسطو أيديهم) أي بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ولهذا يقولون لهم (أخرجوا أنفسكم)وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والاغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم فتتفرق روحه في جسده وتعصي وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم (أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق) الآية أي اليوم تهانون غاية الاهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون على اتباع آياته والانقياد لرسله ، وقد وردت الاحاديث المتواترة في كيفية احتضار المؤمن والكافر عند الموت وهي مقررة عند قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) وقد ذكر ابن مردويه ههنا حديثاً مطولا جداً من طريق غريبة عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا فالله أعلم ، وقوله (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) أي يقال لهم يوم معادهم هذا كما قال (وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) أي كما بدأناكم أعدناكم وقد كنتم تنكرون ذلك وتستبعدونه فهذا يوم البعث ، وقوله (وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم) أي من النعم والاموال التي اقتنيتموها في الدار الدنيا وراء ظهوركم، وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك ، من مالك الا ما أكلت فأفنيت . أو لبست فأبليت . أو تصدقت فأمضيت. وماسوى ذلك فذاهب وتاركه للناس» وقال الحسن البصري يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بذخ فيقول الله عز وجل أين ماجمعت؟ فيقول يارب جمعته وتركته أوفر ما كان ، فيقول له يا ابن آدم أين ماقدمت لنفسك ؟ فلا يراه قدم شيئا » وتلا هذه الآية (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم) الآية رواه ابن أبي حاتم ، وقوله (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) تقريع لهم وتوبيخ على ماكانوا اتخذوا في الدنيا من الانداد والاصنام والاوثان ظانين أنها تنفعهم في معاشهم ومعادهم ان كان ثم معاد فاذا كان

﴿أخرجوا﴾ أي يقولون أخرجوا ﴿ أنفسكم ﴾ أي ارواحكم كرها لان نفس المؤمن تنشط للقاء ربه والجواب محذوف يعني ولو تراهم في هذه الحال لرأيت عجباً ﴿اليوم تجزون عذاب الهون ﴾ أي الهوان ﴿ بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ تتعظمون عن الايمان بالقرآن ولا تصدقونه ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ هذا خبر من الله أنه يقول للكفار يوم القيامة (ولقد جئتمونا فرادى) وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم، وفرادى جمع فردان مثل سكران وسكارى وكسلان وكسالى وقرأ الاعرج فردى بغير الف مثل سكرى ﴿ كما خلقناكم أول مرة ﴾ عراة حفاة غرلا ﴿وتركتم﴾ وخلفتم ﴿ ماخولناكم ﴾ أعطيناكم من الاموال والأولاد والخدم ﴿ وراء ظهوركم ﴾ خلف ظهوركم في الدنيا ﴿ وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ﴾ وذلك ان المشركين زعموا أنهم

يوم القيامة تقطعت بهم الاسباب وانزاح الضلال وضل عنهم ما كانوا يفترون ويناديهم الرب جل جلاله على رءوس الخلائق: (أين شركائي الذين كنتم تزعمون؟) وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون؟ ولهذا قال ههنا (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) أي في العبادة لهم فيكم قسط في استحقاق العبادة لهم، ثم قال تعالى (لقد تقطع بينكم) قريء بالرفع أي شملكم وبالنصب أي لقد تقطع[1] ما بينكم من الاسباب والوصلات والوسائل (وضل عنكم) أي ذهب عنكم (ما كنتم تزعمون) من رجوى الاصنام والانداد كقوله تعالى (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب* وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) وقال تعالى (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وقال تعالى (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) وقال (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) الآية وقال (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا) الى قوله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) والآيات في هذا كثيرة جداً

إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيتِ وَمُخرِجُ المَيتِ مِنَ الحَيِّ. ذٰلِكُم اللهُ فَأَنَّىٰ تُؤفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الإِصبَاحِ وَجَعَلَ الَّيلَ سَكَنًا وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ حُسبَانًا ذٰلِكَ تَقدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمٰتِ البَرِّ وَالبَحرِ قَد فَصَّلنَا الآيٰتِ لِقَومٍ يَعلَمُونَ (٩٧)

يخبر تعالى أنه فالق الحب والنوى أي يشقه في الثرى فتنبت منه الزروع على اختلاف أصنافها من الحبوب والثمار على اختلاف ألوانها وأشكالها وطعومها من النوى ولهذا فسر قوله (فالق الحب والنوى) بقوله

يعبدون الاصنام لانهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده ﴿لقد تقطع بينكم﴾ قرأ أهل المدينة والكسائي وحفص عن عاصم بنصب النون على معنى لقد تقطع ما بينكم من الوصل أو تقطع الامر بينكم، وقرأ الباقون بينكم برفع النون أي لقد تقطع وصلكم وذلك مثل قوله (وتقطعت بهم الاسباب) أي الوصلات والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجراً ﴿وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾

قوله عز وجل ﴿ان الله فالق الحب والنوى﴾ الفلق الشق قال الحسن وقتادة والسدى معناه يشق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة فيخرجها منها والحب جمع الحبة وهي اسم لجميع البذور والحبوب من البر والشعير والذرة وكل ما لم يكن له نوى وقال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منهما ورقا أخضر وقال مجاهد يعني الشقين اللذين فيهما أي يشق الحب عن النبات ويخرجه منه ويشق

[1] «١» وفي الازهرية: انقطع

(يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي) أي يخرج النبات الحي من الحب والنوى الذي هو كالجماد الميت كقوله (وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) الى قوله (ومن أنفسهم ومما لايعلمون) وقوله (ومخرج الميت من الحي) معطوف على (فالق الحب والنوى) ثم فسره ثم عطف عليه قوله (ومخرج الميت من الحي) وقد عبروا عن هذا وهذا بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى، فمن قائل يخرج الدجاجة من البيضة وعكسه، ومن قائل يخرج الولد الصالح من الفاجر وعكسه وغير ذلك من العبارات التي تنتظمها الآية وتشملها

ثم قال تعالى (ذلكم الله) أي فاعل هذا هو الله وحده لاشريك له (فاني تؤفكون) أي كيف تصرفون عن الحق وتعدلون عنه الى الباطل فتعبدون معه غيره وقوله (فالق الاصباح وجعل الليل سكنا) أي خالق الضياء والظلام كما قال في أول السورة (وجعل الظلمات والنور) أي فهو سبحانه يفلق ظلام الليل عن غرة الصباح فيضيء الوجود، ويستنير الافق، ويضمحل الظلام، ويذهب الليل بسواده وظلام رواقه، ويجيء النهار بضيائه واشراقه، كقوله (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا) فبين تعالى قدرته على خلق الاشياء المتضادة المختلفة الدالة على كمال عظمته وعظيم سلطانه، فذكر أنه فالق الاصباح وقابل ذلك بقوله (وجعل الليل سكنا) أي ساجيا مظلما لتسكن فيه الاشياء كما قال (والضحى والليل اذا سجى) وقال (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) وقال (والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها) وقال صهيب الرومي رضي الله عنه لامرأته وقد عاتبته في كثرة سهره: إن الله جعل الليل سكنا الا لصهيب، إن صهيبا اذا ذكر الجنة طال شوقه، واذ ذكر النار طار نومه. رواه ابن أبي حاتم. وقوله (والشمس والقمر حسبانا) أي يجريان بحساب مقنن مقدر لايتغير ولا يضطرب بل لكل منهما منازل يسلكها في الصيف والشتاء فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولا وقصرا كما قال (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل) الآية وكما قال (لاالشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وقال (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) وقوله (ذلك تقدير العزيز

النوى عن النخل ويخرجها منه والنوى جمع النواة وهي كل مالم يكن له حب كالتمر والمشمش والخوخ ونحوها وقال الضحاك (فالق الحب والنوى) يعني خالق الحب والنوى ﴿يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فاني تؤفكون﴾ تصرفون عن الحق ﴿فالق الاصباح﴾ شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وكاشفه وقال الضحاك خالق النهار والاصباح مصدر كالاقبال والادبار وهو الاضاءة وأراد به الصبح وهو أول مايبدو من النهار يريد ومبدي الصبح وموضحه ﴿وجعل الليل سكنا﴾ يسكن فيه خلقه وقرأ اهل الكوفة وجعل على الماضي الليل نصب اتباعا للمصحف وقرأ ابراهيم النخعي فلق الاصباح وجعل الليل سكنا ﴿والشمس والقمر حسبانا﴾ أي جعل الشمس والقمر بحساب معلوم لايجاوزانه حتى ينتهيا الى أقصى منازلهما والحسبان مصدر كالحساب وقيل جمع حساب ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾

العليم) أي الجميع جار بتقدير العزيز الذي لايمانع ولا يخالف ، العليم بكل شيء فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ، وكثيراما اذا ذكرالله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر يختم الكلام بالعزة والعلم كما ذكر في هذه الآية وكما في قوله (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون* والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) ولما ذكر خلق السموات والارض وما فيهن في أول سورة حم السجدة قال(وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ،ذلك تقدير العزيز العليم) وقوله تعالى (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) قال بعض السلف من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله سبحانه :أن الله جعلها زينة للسماء ورجوما للشياطين ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر وقوله (قد فصلنا الآيات) أي قد بيناها ووضحناها لقوم يعلمون) أى يعقلون ويعرفون الحق ويتجنبون الباطل

وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيٰت لقوم يفقهون (٩٨)

وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنٰت من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشٰبه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذٰلكم لآيٰت لقوم يؤمنون (٩٩)

يقول تعالى (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) يعني آدم عليه السلام قال (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وقوله (فمستقر ومستودع) اختلفوا في معنى ذلك فعن ابن مسعود وابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي وقيس بن أبي حازم ومجاهد وعطاء وابراهيم النخعي والضحاك وقتادة والسدي وعطاء الخراساني وغيرهم فمستقر) أي في الارحام قالوا أوأكثرهم (ومستودع) أي في الاصلاب وعن ابن مسعود وطائفة عكسه

قوله عز وجل ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم﴾ أي خلقها لكم ﴿لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ والله تعالى خلق النجوم لفوائد (أحدها) هذا وهو أن راكب السفينة والسائر في القفار يهتدي بها في الليالي الى مقاصدهم (والثاني) أنها زينة للسماء كما قال (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) ومنها رمي الشيطان كما قال (وجعلناها رجوما للشياطين) ﴿ قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي أنشأكم ﴾ خلقكم وابتدأكم ﴿من نفس واحدة﴾ يعني آدم عليه السلام ﴿فمستقر ومستودع﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة فمستقر بكسر القاف يعني فمنكم مستقر ومنكم مستودع وقرأ الآخرون بفتح القاف أي فلكم مستقر ومستودع واختلفوا في المستقر والمستودع قال عبدالله بن مسعود فمستقر في الرحم الى أن يولد ومستودع في القبر الى أن يبعث وقال سعيد بن جبير وعطاء فمستقر في أرحام الامهات ومستودع في أصلاب

وعن ابن مسعود أيضا وطائفة فمستقر في الدنيا ومستودع حيث يموت ، وقال سعيدبن جبير فمستقر في الارحام وعلى ظهر الارض وحيث يموت، وقال الحسن البصري المستقر الذى قد مات فاستقر به عمله، وعن ابن مسعود ومستودع في الدار الآخرة والقول الاول أظهر والله أعلم، وقوله تعالى (قدفصلنا الآيات لقوم يفقهون) أي يفهمون ويعون كلام الله ومعناه . وقوله تعالى (وهو الذى أنزل من السماء ماء) أي بقدر مباركا ورزقا للعباد وإحياء وغياثا للخلائق رحمة من الله بخلقه (فأخرجنا به نبات كل شيء) كقوله «وجعلنا من الماء كل شيء حي» (فأخرجنا منه خضرا) أي زرعا وشجرا أخضر ثم بعد ذلك نخلق فيه الحب والثمر ولهذا قال تعالى (نخرج منه حبا متراكبا) اى يركب بعضه بعضا كالسنابل ونحوها (ومن النخل من طلعها قنوان) أى جمع قنو وهي عذوق الرطب (دانية) أى قريبة من المتناول كما قال علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس (قنوان دانية) يعني بالقنوان الدانية قصار النخل اللاصقة عذوقها بالارض رواه ابن جرير . قال ابن جرير وأهل الحجاز يقولون قُنوان وقيس يقولون قِنوان. قال امرؤ القيس:

فأتت أعاليه وآدت أصوله ومال بقنوان من البسر أحمرا

قال وتميم يقولون قنيان بالياء قال وهي جمع قنو كما أن صنوان جمع صنو وقوله تعالى (وجناتٍ من

الآباء وهو رواية عكرمة عن ابن عباس قال سعيد بن جبير قال لي ابن عباس هل تزوجت قلت لا قال اما أنه ماكان مستودعا في ظهرك فسيخرجه الله عز وجل وروي عن أبي أنه قال مستقر في أصلاب الآباء ومستودع في أرحام الامهات وقيل مستقر في الرحم ومستودع فوق الارض قال الله تعالى (ونقر في الارحام مانشاء) وقال مجاهد مستقر على ظهر الارض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة ويدل عليه قوله تعالى (ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم أنت وديعة في أهلك ويوشك أن تلحق بصاحبك وقيل المستودع القبر والمستقر الجنة والنار لقوله عز وجل في صفة أهل الجنة (حسنت مستقراً ومقاما) وفي صفة أهل النار (ساءت مستقراً ومقاما) ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون * وهو الذي أنزل من السماء ماء فاخرجنا به﴾ أي بالماء ﴿نبات كل شيء فاخرجنا منه﴾ من الماء وقيل من النبات ﴿خضراً﴾ يعني أخضر مثل العور والاعور يعني ما كان رطبا اخضر مما ينبت من القمح والشعير ونحوهما ﴿نخرج منه حبا متراكبا﴾ أي متراكبا بعضه على بعض مثل سنابل البر والشعير والارز وسائر الحبوب ﴿ومن النخل من طلعها﴾ والطلع أول مايخرج من ثمر النخل ﴿قنوان﴾ جمع قنو وهو العذق مثل صنو وصنوان ولا نظير لهما في الكلام ﴿دانية﴾ أي قريبة المتناول ينالها القائم والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار ملتزقة بالارض وفيه اختصار معناه ومن النخل ماقنوانها دانية ومنها ما هي بعيدة فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لسبقه الى الافهام كقوله تعالى (سرابيل تقيكم الحر) يعني الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما ﴿وجنات من أعناب﴾ أي واخرجنا منه جنات وقرأ الاعمش عن عاصم وجنات بالرفع

أعناب) أى ونخرج منه جنات من أعناب وهذان النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز وربما كانا خيار الثمار في الدنيا كما امتن الله بهما على عباده في قوله تعالى (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) وكان ذلك قبل تحريم الخمر وقال (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) وقوله تعالى (والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه) قال قتادة وغيره متشابه في الورق والشكل قريب بعضه من بعض ومتخالف في الثمار شكلا وطعما وطبعا وقوله تعالى (انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه) أي نضجه قاله البراء بن عازب وابن عباس والضحاك وعطاء الخراساني والسدي وقتادة وغيرهم، أي فكروا في قدرة خالقه من العدم الى الوجود بعد أن كان حطبا صار عنبا ورطبا وغير ذلك مما خلق سبحانه وتعالى من الالوان والاشكال والطعوم والروائح كقوله تعالى (وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل) الآيه ولهذا قال ههنا (إن في ذلكم) أيها الناس (لآيات) أى دلالات على كمال قدرة خالق هذه الاشياء وحكمته ورحمته (لقوم يؤمنون) أى يصدقون به ويتبعون رسله

وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنت بغير علم سبحنه وتعالى عما يصفون (١٠٠)

هذا رد على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره وأشركوا به في عبادته أن عبدوا الجن فجعلوهم شركاء له في العبادة تعالى الله عن شركهم وكفرهم . فان قيل فكيف عبدت الجن مع أنهم انما كانوا يعبدون الاصنام؟ فالجواب أنهم ماعبدوها إلا عن طاعة الجن وأمرهم أياهم بذلك كقوله (إن يدعون من دونه إلا إناثا وان يدعون إلا شيطانا مريدا * لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا* ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا * يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) وكقوله تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني) الآية وقال ابراهيم لابيه (ياأبت لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا) وكقوله (ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو

نسقا على قوله قنوان وعامة القراء على خلافه ﴿والزيتون والرمان﴾ يعني وشجر الزيتون وشجر الرمان ﴿مشتبها وغير متشابه﴾ قال قتادة معناه مشتبها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان وقيل مشتبه في المنظر مختلف في الطعم ﴿انظروا الى ثمره﴾ قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم هذا وما بعده وفي يس على جمع الثمار وقرأ الآخرون بفتحها على جمع الثمرة مثل بقرة وبقر ﴿إذا أثمر وينعه﴾ ونضجه وادراكه ﴿ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾

قوله عز وجل ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ يعني الكافرين جعلوا لله الجن شركاء ﴿وخلقهم﴾

مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) وتقول الملائكة يوم القيامة (سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) ولهذا قال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم) أي وقد خلقهم فهو الخالق وحده لاشريك له فكيف يعبد معه غيره كقول ابراهيم (أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون) ومعنى الآية انه سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق وحده فلهذا يجب أن يفرد بالعبادة وحده لاشريك له وقوله تعالى (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) ينبه به تعالى على ضلال من ضل في وصفه تعالى بأن له ولداً كما يزعم من قاله من اليهود في عزير ومن قال من النصارى في عيسى ومن قال من مشركي العرب في الملائكة انها بنات الله (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا) ومعنى خرقوا أي اختلقوا وائتفكوا وتخرصوا وكذبوا كما قاله علماء السلف قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وخرقوا يعني تخرصوا وقال العوفي عنه (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) قال كذبوا وكذا قال الحسن وقال الضحاك وضعوا وقال السدي قطعوا قال ابن جرير وتأويله اذاً وجعلوا لله الجن شركاء في عبادتهم اياهم وهو المتفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) بحقيقة مايقولون ولكن جهلا بالله وبعظمته فانه لاينبغي لمن كان إلها أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ولا أن يشركه في خلقه شريك ولهذا قال (سبحانه وتعالى عما يصفون) أي تقدس وتنزه وتعاظم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من الاولاد والانداد والنظراء والشركاء

بديع السموٰت والأرض أنّىٰ يكونُ له ولد ولم تكن له صٰحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم (١٠١)

(بديع السموات والارض) أي مبدعهما وخالقهما ومنشئهما ومحدثهما على غير مثال سبق كما قال مجاهد والسدي ومنه سميت البدعة بدعة لانه لانظير لها فيما سلف (أني يكون له ولد) أي كيف يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) أي والولد إنما يكون متولداً بين شيئين متناسبين والله تعالى لايناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه لانه خالق كل شيء فلا صاحبة له ولا ولد كما قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئا إدّا) الى قوله (وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) (وخلق كل شيء وهو بكل

يعني وهو خلق الجن قال الكلبي نزلت في الزنادقة أثبتوا الشركة لابليس في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب وهذا كقوله (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وإبليس من الجن ﴿ وخرقوا﴾ قرأ أهل المدينة وخرقوا بتشديد الراء على التكثير وقرأ الآخرون بالتخفيف أي اختلقوا ﴿ له بنين وبنات بغير علم ﴾ وذلك مثل قول اليهود عزير بن الله وقول النصارى المسيح بن الله وقول كفار مكة الملائكة بنات الله ثم نزه نفسه فقال ﴿سبحانه وتعالى عما يصفون ■ بديع السموات والارض ﴾ أي مبدعهما لاعلى مثال سبق ﴿ أنى يكون له ولد﴾ أي كيف يكون له ولد ﴿ ولم تكن له صاحبة ﴾ زوجة ﴿ وخلق كل شيء وهو

شيء عليم) فبين تعالى أنه الذي خلق كل شيء وأنه بكل شيء عليم فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه وهو الذي لانظير له فأنى يكون له ولد (تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا)

ذٰلكم الله ربكم لا إله إلا هو خلق كل شيء فاعبدوه. وهو على كل شيء وكيل (١٠٢)

لا تدركه الأبصر وهو يدرك الأبصر وهو اللطيف الخبير (١٠٣)

يقول تعالى (ذلكم الله ربكم) أي الذي خلق كل شيء ولا ولد له ولا صاحبة (لا إله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه) أي فاعبدوه وحده لاشريك له وأقروا له بالوحدانية وانه لا إله إلا هو وانه لاولد له ولا والد ولا صاحبة له ولا نظير ولا عديل (وهو على كل شيء وكيل) أي حفيظ ورقيب يدبر كل ماسواه ويرزقهم ويكلأهم بالليل والنهار وقوله (لاتدركه الابصار) فيه أقوال للأئمة من السلف (أحدها) لاتدركه في الدنيا وان كانت تراه في الآخرة كما تواترت به الاخبار عن رسول الله ﷺ من غير ماطريق ثابت في الصحاح والمسانيد والسنن كما قال مسروق عن عائشة أنها قالت من زعم أن محمداً أبصر ربه فقد كذب وفي رواية على الله فان الله تعالى قال (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن أبي الضحى عن مسروق ورواه غير واحد عن مسروق وثبت في الصحيح وغيره عن عائشة من غير وجه وخالفها ابن عباس فعنه إطلاق الرؤية وعنه انه رآه بفؤاده مرتين والمسئلة تذكر في أول سورة النجم ان شاء الله، وقال ابن أبي حاتم ذكر محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا يحيى بن معين قال سمعت اسماعيل بن علية يقول في قول الله (لاتدركه الابصار) قال هذا في الدنيا، وذكر أبي عن هشام بن عبيد الله انه قال نحو ذلك. وقال آخرون (لاتدركه الابصار) أي جميعها وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدار الآخرة، وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى مافهموه من الآية انه لايرى في الدنيا ولا في الآخرة فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك مع ماارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله. أما الكتاب فقوله تعالى [وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة] وقال تعالى عن الكافرين (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال الامام الشافعي فدل هذا على أن المؤمنين

بكل شيء عليم * ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾ فأطيعوه ﴿ وهو على كل شيء وكيل ﴾ بالحفظ له والتدبير ﴿ لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار ﴾ يتمسك أهل الاعتزال بظاهر هذه الآية في نفي رؤية الله عز وجل، ومذهب أهل السنة إثبات رؤية الله عز وجل عيانا كما جاء به القرآن والسنة قال الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال مالك رضي الله عنه لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب وقرأ النبي عليه السلام (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وفسره بالنظر الى وجه الله عز وجل أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد

لايحجبون عنه تبارك وتعالى. وأما السنة فقد تواترت الاخبارعن أبي سعيد وأبي هريرة وأنس وجرير وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات وفي روضات الجنات جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين. وقيل المراد بقوله [لا تدركه الابصار] أي العقول رواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين عن الفلاس عن ابن مهدى عن أبي الحصين يحيى بن الحصين قاري أهل مكة أنه قال ذلك، وهذا غريب جداً وخلاف ظاهر الآية وكانه اعتقد أن الادراك في معنى الرؤية والله أعلم

وقال آخرون لامنافاة بين اثبات الرؤية ونفي الادراك فان الادراك أخص من الرؤية ولايلزم من نفي الاخص انتفاء الاعم. ثم اختلف هؤلاء في الادراك المنفي ماهو فقيل معرفة الحقيقة فانهذا لايعلمه إلا هو وان رآه المؤمنون كما أن من رأى القمر فانه لايدرك حقيقته وكنهه وماهيته فالعظيم أولى بذلك وله المثل الأعلى. قال ابن علية في الآية هذا في الدنيا رواه ابن أبي حاتم

وقال آخرون الادراك أخص من الرؤية وهو الاحاطة قالوا ولا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية كما لايلزم من إحاطة العلم عدم العلم قال تعالى (ولا يحيطون به علما) وفي صحيح مسلم «لاأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» ولا يلزم منه عدم الثناء فكذلك هذا. قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قال لايحيط بصر أحد بالملك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد حدثنا اسباط عن سماك عن عكرمة انه قيل له (لاتدركه الابصار) قال ألست ترى السماء؟ قال بلى قال فكلها ترى؟ وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في الآية (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) هو أعظم من أن تدركه الابصار

وقال ابن جرير حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا أبو عرفجة عن عطية العوفي في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) قال هم ينظرون الى الله لاتحيط أبصارهم به من عظمته وبصره محيط بهم فذلك قوله (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) وورد في تفسير هذه الآية حديث رواه بن أبي حاتم ههنا فقال حدثنا أبو زرعة حدثنا منجاب بن الحارث السهمي حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري

ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يوسف ابن موسى حدثنا عاصم ابن يوسف اليربوعي أنا ابن شهاب عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس ابن حازم عن جرير بن عبد الله قال قال النبي ﷺ «انكم سترون ربكم عيانا» وأما قوله (لاتدركه الابصار) اعلم أن الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الوقوف على كنه الشيء والاحاطة به والرؤية المعاينة وقد تكون الرؤية بلا إدراك قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون

عن رسول الله ﷺ في قوله (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) « قال لو ان الجن والانس والشياطين والملائكة منذ خلقوا الى أن فنوا صفوا صفاً واحدا ما أحاطوا بالله أبدا» غريب لايعرف إلا من هذا الوجه ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة والله أعلم

وقال آخرون في الآية بما رواه الترمذي في جامعه وابن أبي عاصم في كتاب السنة له وابن أبي حاتم في تفسيره وابن مردويه أيضا والحاكم في مستدركه من حديث الحكم بن ابان قال سمعت عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول رأى محمد ربه تبارك وتعالى فقلت أليس الله يقول (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) الآية، فقال لي لاأم لك ذلك نوره الذي هو نوره إذا تجلى بنوره لايدركه شيء ،وفي رواية لايقوم له شيء، قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وفي معنى هذا الاثر ماثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الاشعري رضي الله عنه مرفوعاً «ان الله لاينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل النهار قبل الليل وعمل الليل قبل النهار حجابه النور –أو النار– لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه» وفي الكتب المتقدمة ان الله تعالى قال لموسى لما سأل الرؤية: ياموسى انه لايراني حي الامات ولايابس الا تدهده. أي تدعثر وقال تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) ونفي هذا الاثر الادراك الخاص لاينفي الرؤية يوم القيامة يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء فاما جلاله وعظمته على ماهو عليه تعالى وتقدس وتنزه فلا تدركه الابصار ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تثبت الرؤية في الدار الآخرة وتنفيها في الدنيا وتحتج بهذه الآية (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) فالذي نفته الادراك الذي هو بمعنى رؤية العظمة والجلال على ماهو عليه فان ذلك غير ممكن للبشر ولا للملائكة ولا لشيء وقوله (وهو يدرك الابصار) أي يحيط بها ويعلمها على ماهي عليه لانه خلقها كما قال تعالى (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) وقد يكون عبر بالابصار عن المبصرين كما قال السدي في قوله (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) لايراه شيء وهو يرى الخلائق وقال أبو العالية في قوله تعالى (وهو اللطيف الخبير) قال اللطيف لاستخراجها الخبير بمكانها والله أعلم

قال كلا) وقال (لاتخاف دركا ولا تخشي) فنفى الادراك مع إثبات الرؤية فالله عز وجل يجوز أن يرى من غير إدراك واحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به قال الله تعالى (ولا يحيطون به علما) فنفى الاحاطة مع ثبوت العلم قال سعيد بن المسيب لاتحيط به الابصار وقال عطاء كلت أبصار المخلوقين عن الاحاطة به وقال ابن عباس ومقاتل لاتدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة قوله (وهو يدرك الابصار) أي لايخفى على الله شيء ولا يفوته ﴿ والله اللطيف الخبير ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقال الزهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل اللطيف الموصل

وهذا كما قال تعالى إخباراً عن لقمان فيما وعظ به ابنه (يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأتي بها الله ان الله لطيف خبير)

قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤) وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون (١٠٥)

البصائر هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن وما جاء به الرسول ﷺ (فمن أبصر فلنفسه) كقوله (فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) ولهذا قال (ومن عمي فعليها) لما ذكر البصائر قال (ومن عمي فعليها) أي انما يعود وباله عليه كقوله « فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » (وما أنا عليكم بحفيظ) أي بحافظ ولا رقيب بل انما أنا مبلغ والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وقوله (وكذلك نصرف الآيات) أي وكما فصلنا الآيات في هذه السورة من بيان التوحيد وانه لا إله الا هو هكذا نوضح الآيات ونفسرها ونبينها في كل موطن لجهالة الجاهلين وليقول المشركون والكافرون المكذبون دارست يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقارأتهم وتعلمت منهم هكذا قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم وقال الطبراني حدثنا عبدالله بن احمد حدثنا أبي حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن كيسان قال سمعت ابن عباس يقول دارست تلوت خاصمت جادلت وهذا كقوله تعالى إخباراً عن كذبهم وعنادهم (وقال الذين كفروا ان هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلماً وزوراً

للشيء باللين والرفق وقيل اللطيف الذي ينسي العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا وأصل اللطف دقة النظر في الاشياء

قوله عز وجل ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾ يعني الحجج البينة التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل ﴿فمن أبصر﴾ أي فمن عرفها وآمن بها ﴿فلنفسه﴾ عمله ونفعه له ﴿ومن عمي فعليها﴾ أي من عمي عنها فلم يعرفها ولم يصدقها فعليها أي فبنفسه ضر ووبال العمى عليها ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ برقيب أحصي عليكم أعمالكم انما انا رسول أبلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أفعالكم ﴿وكذلك نصرف الآيات﴾ نفصلها ونبينها في كل وجه ﴿وليقولوا﴾ قيل معناه لئلا يقولوا ﴿درست﴾ وقيل اللام لام العاقبة أي عاقبة أمرهم أن يقولوا درست أي قرأت على غيرك وقيل قرأت كتب أهل الكتاب كقوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) ومعلوم انهم لم يلتقطوه لذلك ولكن أراد ان عاقبة أمرهم أن كان عدوا لهم قال ابن عباس وليقولوا يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست أي تعلمت من يسار وجبر كانا عبدين من سبي الروم ثم قرأت علينا تزعم انه من عند الله من قولهم درست الكتاب أدرس درسا ودراسة، وقال الفراء رحمه الله يقولون تعلمت من اليهود وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دارست بالألف أي

وقالوا أساطير الاولين اكتتبها الآية) وقال تعالى اخباراً عن زعيمهم وكاذبهم (إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر ،فقال ان هذا الا سحر يؤثر ،ان هذا الا قول البشر)

وقوله (ولنبينه لقوم يعلمون) أي ولنوضحه لقوم يعلمون الحق فيتبعونه والباطل فيتجنبونه فلله تعالى الحكمة البالغة في اضلال أولئك وبيان الحق لهؤلاء كقوله تعالى (يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً)الآية وكقوله (ليجعل مايلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم) وقال تعالى (وماجعلنا أصحاب النار الا ملائكة وماجعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتو الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكفرون ماذا أراد الله بهذا مثلا * كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو) وقال (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خسارا) وقال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) الى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى أنزل القرآن هدى للمتقين وانه يضل به من يشاء ويهدي به من يشاء ولهذا قال ههنا (وكذلك نصرف الآيات ولنبينه لقوم يعلمون)وقرأ بعضهم (وليقولوادرست)قال التميمي عن ابن عباس درست أي قرأت وتعلمت وكذا قال مجاهد والسدي والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقال عبد الرزاق عن معمر قال الحسن(وليقولوادرست) يقول تقادمت وانمحت وقال عبد الرزاق أيضاً أنبأنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار سمعت ابن الزبير يقول إن صبيانا يقرءون ههنا دارست وانما هي درست وقال شعبة حدثنا أبو اسحاق الهمداني قال هي في قراءة ابن مسعود درست يعني بغير الف بنصب السين ووقف على التاء قال ابن جرير ومعناه انمحت وتقادمت أي ان هذا الذي تتلوه علينا قد مر بنا قديمًا وتطاولت مدته وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة انه قرأها دُرِسَتْ أي قرئت وتعلمت وقال معمر عن قتادة ودرست قرئت وفي حرف ابن مسعود ودرس وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا حجاج عن هارون قال هي في حرف أبي بن كعب وابن مسعود وليقولوا درس قال يعنون النبي ﷺ أنه قرأ وهذا غريب فقد روي عن أبي بن كعب خلاف هذا قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا الحسن بن ليث حدثنا أبو سلمة

قارأت أهل الكتاب من المدارسة بين الاثنين يقول قرأت عليهم وقرؤا عليك وقرأ ابن عامر ويعقوب درست بفتح السين وسكون التاء أي هذه الاخبار التى تتلوها علينا قديمة قد درست وانمحت من قولهم درس الاثر يدرس دروسا ﴿ ولنبينه لقوم يعلمون ﴾ أي القرآن وقيل (نصرف الآيات لقوم يعلمون) قال ابن عباس يريد أولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل يعني

حدثنا احمد بن ابي بزة المكي حدثنا وهب بن زمعة عن أبيه عن حميد الاعرج عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال أقرأني رسول الله ﷺ (وليقولوا درست) ورواه الحاكم في مستدركه من حديث وهب بن زمعة وقال يعني بجزم السين ونصب التاء ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه

اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين (١٠٦) ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل (١٠٧)

يقول تعالى آمراً لرسوله ﷺ ولمن انبع طريقته (اتبع ما أوحي اليك من ربك) أي اقتد به واقتف أثره واعمل به فان ماأوحي اليك من ربك هو الحق الذي لا مرية فيه لأنه لا إله إلا هو (وأعرض عن المشركين) أي اعف عنهم واصفح واحتمل أذاهم حتى يفتح الله لك وينصرك ويظفرك عليهم واعلم ان لله حكمة في اضلالهم فانه لوشاء لهدى الناس كلهم جميعا ولو شاء لجمعهم على الهدى (ولو شاء الله ماأشركوا) أي بل له المشيئة والحكمة فيما يشاؤه ويختاره لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

وقوله تعالى (وما جعلناك عليهم حفيظا) اي حافظاً تحفظ أقوالهم وأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) أي موكل على أرزاقهم وأمورهم إن عليك إلا البلاغ كما قال تعالى (فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وقال (انما عليك البلاغ وعلينا الحساب)

ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (١٠٨)

يقول الله تعالى ناهياً لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة لا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو (الله لا إله إلا هو) كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قالوا يامحمد لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم (فيسبوا الله عدواً بغير علم) وقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله عدوا بغير علم فأنزل الله (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي انه قال في تفسير هذه الآية لما حضر

أن تصريف الآيات ليشقى بها قوم ويسعد بها قوم آخرون فمن قال درست فهو شقي ومن تبين له الحق فهو سعيد ﴿اتبع ماأوحي اليك من ربك﴾ يعني القرآن اعمل به ﴿لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين﴾ فلا تجادلهم ﴿ ولو شاء الله ماأشركوا ﴾ أي ولو شاء لجعلهم مؤمنين ﴿ وما جعلناك عليهم حفيظا﴾ رقيبا قال عطاء وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم مني أي لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب انما بعثت مبلغاً ﴿ وماأنت عليهم بوكيل ﴾ قوله عزوجل ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ الآية قال ابن عباس

أبا طالب الموت قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فانا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعهم فلما مات قتلوه فانطلق أبوسفيان وأبوجهل والنضر بن الحرث وأمية وأبي ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البختري وبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب قالوا استأذن لنا على أبي طالب فأتى أبا طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك فأذن لهم عليه فدخلوا عليه فقالوا ياأبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وان محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه وإلهه فدعاه فجاء النبي ﷺ فقال له أبوطالب هؤلاء قومك وبنو عمك قال رسول الله ﷺ «ماتريدون؟» قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا ولندعك وإلهك فقال النبي ﷺ «أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم بها العرب ودانت لكم بها العجم وأدت لكم الخراج» قال أبو جهل وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها قالوا فما هي؟ قال «قولوا لاإله إلا الله» فأبوا واشمأزوا قال أبو طالب ياابن أخي قل غيرها فان قومك قد فزعوا منها قال «ياعم ماأنا بالذي يقول غيرها حتى يأتوا بالشمس فيضعوها في يدي ولو أتوا بالشمس فوضعوها في يدي ماقلت غيرها» ارادة أن يؤيسهم فغضبوا وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنشتمنك ونشتمن من يأمرك فذلك قوله (فيسبوا الله عدواً بغير علم) ومن هذا القبيل وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها ماجاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «ملعون من سب والديه» قالوا يارسول

لما نزلت (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم الله تعالى أن يسبوا أوثانهم وقال قتادة كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فنهاهم الله عز وجل عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة وقال السدي لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمرنه ان ينهى عنا ابن أخيه فانا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه عمه فلمامات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبيّ ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن أبي البختري الى أبي طالب فقالوا ياأبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وأن محمداً قد آذانا وآلهتنا فنحب أن تدعوه وتنهاه عن ذلك وعن ذكر آلهتنا ولندعنه وإلهه فدعاه فقال يامحمد هؤلاء قومك يقولون نريد ان تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك وقد أنصفك قومك فاقبل منهم فقال النبي ﷺ «أرأيتم ان أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم» فقال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها قال فما هي قال «قولوا لاإله إلا الله» فأبوا وتفرقوا فقال أبو طالب قل غيرها ياابن أخي فقال ياعم ماأنا بالذي أقول غيرها ولو آتوني بالشمس فوضعوها في يدي فقالوا له لتكفن عن سبك آلهتنا أو لنشتمنك ونشتمن من يأمرك فأنزل الله عز وجل (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) يعني الاوثان ﴿فيسبوا الله عدوا﴾ أي اعتداء وظلما ﴿بغير علم﴾ وقرأ يعقوب

وكيف يسب الرجل والديه ؟ قال «يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه» أو كما قال ﷺ وقوله (كذلك زينا لكل أمة عملهم) أي وكما زينا لهؤلاء القوم حب أصنامهم والمحاماة لها والانتصار كذلك زينا لكل أمة أي من الامم الخالية على الضلال عملهم الذي كانوا فيه ولله الحجة البالغة والحكمة التامة فيما يشاؤه ويختاره (ثم الى ربهم مرجعهم) أي معادهم ومصيرهم (فينبئهم بما كانوا يعملون) أي يجازيهم أعمالهم إن خيراً فخيرا وان شراً فشراً

وأقسموا بالله جهد أيمنهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون (١٠٩) ونقلب أفئدتهم وأبصرهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغينهم يعمهون (١١٠)

يقول تعالى إخبارا عن المشركين أنهم أقسموا بالله جهد ايمانهم أي حلفوا أيمانا مؤكدة (لئن جاءتهم آية) أي معجزة وخارق (ليؤمنن بها) أي ليصدقنها (قل إنما الآيات عند الله) أي قل يامحمد

عدواً بضم العين والدال وتشديد الواو فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لاصحابه «لاتسبوا ربكم» فأمسك المسلمون عن سب آلهتهم وظاهر الآية وان كان نهياعن سب الاصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالى لانه سبب لذلك ﴿ كذلك زينا لكل أمة عملهم ﴾ أي كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخزلان كذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية ﴿ ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم ﴾ ويجازيهم ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ قوله عز وجل ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ الآية قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت قريش يامحمد انك تخبرنا أن موسى عليه السلام كان معه عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه الماء اثنتا عشرة عينا وتخبرنا أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى فأتنا من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله ﷺ «أي شيء تحبون» قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسأله عنك أحق ماتقول أم باطل أو أرنا الملائكة يشهدون فقال رسول الله ﷺ «فان فعلت بعض ماتقولون أتصدقونني» قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله ﷺ أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله ﷺ يدعو الله أن يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبريل عليه السلام فقال له ماشئت إن شئت أصبح ذهبا ولكن إن لم يصدقوا عذبتهم وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بل يتوب تائبهم» فأنزل الله عز وجل (وأقسموا بالله جهد إيمانهم) أي حلفوا بالله جهد إيمانهم أي بجهد أيمانهم يعني أوكد ماقدروا عليه من الايمان وأشدها قال الكلبي ومجاهد اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه ﴿ لئن جاءتهم آية ﴾ كما جاءت من قبلهم من الامم ﴿ ليؤمنن بها قل ﴾ يامحمد ﴿ انما الآيات

لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تعنتا وكفرا وعناداً لا على سبيل الهدى والاسترشاد انما مرجع هذه الآيات الى الله ان شاء جاءكم بها وإن شاء ترككم قال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير حدثنا أبومعشر عن محمد بن كعب القرظي قال كلم رسول الله ﷺ قريش فقالوا يامحمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة فأتنا من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله ﷺ « أي شيء تحبون ان آتيكم به ؟ » قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا فقال لهم « فان فعلت تصدقوني؟» قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعك أجمعين فقام رسول الله ﷺ يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال له ماشئت ان شئت أصبح الصفا ذهبا ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك ليعذبنهم، وان شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم. فقال رسول الله ﷺ «بل يتوب تائبهم» فأنزل الله تعالى (وأقسموا بالله جهد ايمانهم) الى قوله تعالى [ولكن أكثرهم يجهلون] وهذا مرسل وله شواهد من وجوه أخر

وقال الله تعالى (ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون) الآية وقوله تعالى (وما يشعركم أنها اذا جاءت لايؤمنون) قيل المخاطب بما يشعركم المشركون، واليه ذهب مجاهد كأنه يقول لهم ومايدريكم بصدقهم في هذه الايمان التي تقسمون بها وعلى هذا فالقراءة (إنها إذا جاءت لايؤمنون) بكسر انها على استئناف الخبر عنهم بنفي الايمان عندمجيء الآيات التي طلبوها، وقرأ بعضهم (أنها إذا جاءت لاتؤمنون) بالتاء المثناة من فوق وقيل المخاطب بقوله ومايشعركم المؤمنون يقول ومايدريكم أيها المؤمنون وعلى هذا فيجوز في قوله (أنها) الكسر كالاول والفتح على أنه معمول يشعركم وعلى هذا فتكون لا في قوله (أنها إذا جاءت لايؤمنون) صلة كقوله (مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك) وقوله (وحرام على قرية أهلكناها انهم لايرجعون) أي مامنعك أن تسجد اذ أمرتك وحرام أنهم يرجعون

عند الله ﴾ والله قادر على انزالها ﴿ وما يشعركم ﴾ ومايدريكم واختلفوا في المخاطبين بقوله ومايشعركم فقال بعضهم الخطاب للمشركين الذين أقسموا وقال بعضهم الخطاب للمؤمنين وقوله تعالى ﴿ انها اذا جاءت لايؤمنون ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم ، ثم من جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم أيها المشركون انها لو جاءت آمنتم ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه ومايشعركم أيها المؤمنون انها لو جاءت آمنوا لان المسلمين كانوا يسألون رسول الله ﷺ ان يدعو الله حتى يريهم مااقترحوا حتى يؤمنوا فخاطبهم بقوله ومايشعركم ،ثم ابتدأ فقال جل ذكره (انها اذا جاءت لايؤمنون) وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عليهم بأنهم لايؤمنون وقرأ الآخرون انها بفتح الالف وجعلوا الخطاب للمؤمنين واختلفوا في قوله لايؤمنون فقال الكسائي لاصلة ومعنى الآية وما يشعركم أيها المؤمنون ان الآيات اذا جاءت المشركين يؤمنون كقوله وحرام على قرية أهلكناها انهم لايرجعون أي

وتقديره في هذه الآية وما يدريكم أيها المؤمنون الذين تودون لهم ذلك حرصا على إيمانهم أنها إذا جاءتهم الآيات يؤمنون قال بعضهم «أنها» بمعنى لعلها قال ابن جرير وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبي ابن كعب قال وقد ذكر عن العرب سماعا اذهب إلى السوق انك تشتري لنا شيئا بمعنى لعلك تشتري قال وقد قيل إن قول عدي بن زيد العبادي من هذا

أعاذل ما يدريك أن منيتي إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد

وقد اختار هذا القول ابن جرير وذكر عليه شواهد من أشعار العرب والله أعلم

وقوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء وردت عن كل أمر وقال مجاهد في قوله (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) ونحول بينهم وبين الايمان ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون كما حلنا بينهم وبين الايمان أول مرة وكذا قال عكرمة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال أخبر الله ماالعباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه وقال(ولاينبئك مثل خبير)جل وعلا وقال(أن تقول نفس ياحسرتى على مافرطت في جنب الله- الى قوله- لوأن لي كرة فأكون من المحسنين) فأخبر الله سبحانه انهم لوردوا لم يقدروا على الهدى وقال (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) وقال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) وقال ولو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول

يرجعون وقيل انها بمعنى لعل وكذلك هو في قراءة أبي . تقول العرب اذهب الى السوق انك تشتري شيئا أي لعلك وقال عدي بن بزيد

أعاذل ما يدريك أن منيتي * الى ساعة في اليوم أوفي ضحى الغد

أي لعل منيتي وقيل فيه حذف وتقديره ومايشعركم انها إذا جاءت لايؤمنون أو يؤمنون . وقرأ ابن عامر وحمزة لاتؤمنون بالتاء على الخطاب للكفار واعتبروا بقراءة أبي اذاجاءتكم لاتؤمنون وقرأ الآخرون بالياء على الخبر دليلها قراءة الاعمش أنها إذاجاءتهم لايؤمنون ﴿ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالآيات التي سألوا ما آمنوا بها (كما لم يؤمنوا به أول مرة) أي كما لم يؤمنوا بما قبلها من الآيات من انشقاق القمر وغيره وقيل كما لم يؤمنوا به أول مرة يعني معجزات موسى وغيره من الانبياء عليهم السلام كقوله تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) وفي الآية محذوف تقديره فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس المرة الأولى دار الدنيا يعنى لو ردوا من الآخرة الى الدنيا نقلب أفئدتهم وأبصارهم عن الايمان كما لم يؤمنو في الدنيا قبل مماتهم كما قال(ولو ردوا لعادوا

مرة وهم في الدنيا وقوله (ونذرهم) أي نتركهم (في طغيانهم) قال ابن عباس والسدي في كفرهم ، وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة في ضلالهم (يعمهون) قال الاعمش يلعبون وقال ابن عباس ومجاهد وابو العالية والربيع وأبو مالك وغيره في كفرهم يترددون

ولو أننا نزلنا إليهم الملٰئكة وكلمهم الموتىٰ وحشرنا عليهم كل شيء قبُلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولٰكن أكثرهم يجهلون (١١١)

يقول تعالى ولو أننا أجبنا سؤال هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فنزلنا عليهم الملائكة تخبرهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل كما سألوا فقالوا (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) (وقالوا لن نؤمن لك حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله) (وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيرا) (وكلمهم الموتى) أي فأخبروهم بصدق ماجاءتهم به الرسل (وحشرنا عليهم كل شيء قبلا) قرأ بعضهم قبلا بكسر القاف وفتح الباء من المقابلة والمعاينة وقرأ آخرون بضمهما قيل معناه من المقابلة والمعاينة أيضا كما رواه علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال مجاهد قبلا أي أفواجا قبيلا قبيلا أي تعرض عليهم كل أمة بعد أمة فيخبرونهم بصدق الرسل فيما جاؤهم به (ماكانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله) أي إن الهداية اليه لا اليهم بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون لعلمه وحكمته وسلطانه وقهره وغلبته وهذه الآية كقوله تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم)

وكذٰلك جعلنا لكل نبي عدوا شيٰطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف

لما نهوا عنه) ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ قال عطاء نخذلهم وندعهم في ضلالتهم يتمادون ﴿ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة﴾ فرأوهم عيانا ﴿وكلمهم الموتى﴾ باحيائنا اياهم فشهدوا لك بالنبوة كما سألوا ﴿وحشرنا﴾ وجمعنا ﴿عليهم كل شيء قبلا﴾ قرأ اهل المدينة وابن عامر قبلا بكسر القاف وفتح الباء أي معاينة وقرأ الاخرون بضم القاف والباء قيل هو جمع قبيل وهو الكفيل مثل رغيف ورغف وقضيب وقضب أي ضمناء وكفلاء وقيل هو جمع قبيل وهو القبيلة أي فوجا فوجا وقيل هو بمعنى المقابلة والمواجهة من قولهم أتيتك قبلا لادبراً إذا أتاه من قبل وجهه ﴿ ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله﴾ ذلك ﴿ولكن أكثرهم يجهلون﴾

قوله عز وجل ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً ﴾ أي أعداء فيه تعزية للنبي ﷺ يعني كما

القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون (١١٢) ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون (١١٣)

يقول تعالى وكما جعلنا لك يامحمد أعداء يخالفونك ويعادونك ويعاندونك جعلنا لكل نبي من قبلك أيضا أعداء فلا يحزنك ذلك كما قال تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) الآية وقال تعالى (مايقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين) الآية وقال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ إنه لم يأت أحد بمثل ماجئت به الا عودي ، وقوله (شياطين الانس والجن) بدل من (عدوا) أي لهم أعداء من شياطين الانس والجن ، والشيطان كل من خرج عن نظيره بالشر ولا يعادي الرسل إلا الشياطين من هؤلاء وهؤلاء قبحهم الله ولعنهم ، قال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة في قوله (شياطين الانس والجن) قال من الجن شياطين ومن الانس شياطين يوحي بعضهم إلى بعض ، قال قتادة وبلغني أن أباذر كان يوما يصلي فقال النبي ﷺ « تعوذ يا أبا ذر من شياطين الانس والجن » فقال أوان من الانس شياطين فقال رسول الله ﷺ « نعم » وهذا منقطع بين قتادة وأبي ذر وقد روي من وجه آخر عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح عن أبي عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة عن ابن عائذ عن أبي ذر قال أتيت رسول الله ﷺ في مجلس قد أطال فيه الجلوس قال فقال « يا أباذر هل صليت » قلت لا يارسول الله قال « قم فاركع ركعتين » قال ثم جئت فجلست اليه فقال « يا أباذر هل تعوذت بالله من شياطين الجن والانس » قال قلت لا يارسول الله وهل للانس من شياطين ؟ قال « نعم هم شر من شياطين الجن » وهذا أيضا فيه انقطاع ، وروي متصلا كما قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا المسعودي أنبأنا ابن أبي عمر الدمشقي عن عبيد بن الحسيحاس عن أبي ذر قال أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال

ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك أعداء ثم فسرهم فقال ﴿ شياطين الانس والجن ﴾ قال عكرمة والضحاك والسدي والكلبي : معناه شياطين الانس التي مع الانس ، وشياطين الجن التي مع الجن وليس للانس شياطين ، وذلك أن ابليس جعل جنده فريقين : فبعث فريقاً منهم إلى الانس وفريقاً منهم إلى الجن ، وكلا الفريقين أعداء للنبي ﷺ ولأوليائه وهم يلتقون في كل حين فيقول شيطان الانس لشيطان الجن : أضللت صاحبي بكذا فأضل صاحبك بمثله ، ويقول شياطين الجن لشياطين الانس كذلك ، فذلك وحي بعضهم إلى بعض . قال قتادة ومجاهد والحسن : إن من الانس شياطين كما ان من الجن شياطين ، والشيطان العاتي المتمرد من كل شيء ، قالوا : إن الشيطان اذا أعياه المؤمن وعجز عن اغوائه ذهب إلى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فأغواه بالمؤمن ليفتنه يدل

أفغيرَ اللهِ أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتٰب مفصلاً والذين آتينٰهم الكتٰب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونَنَّ من الممترين (١١٤) وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدّل لكلمٰته وهو السميع العليم (١١٥)

يقول تعالى لنبيه ﷺ قل لهؤلاء المشركين بالله غيره الذين يعبدون غيره (أفغير الله ابتغي حكما) أي بيني وبينكم (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا) أي مبينا (والذين آتيناهم الكتاب) أي من اليهود والنصارى يعلمون أنه منزل من ربك بالحق أي بما عندهم من البشارات بك من الانبياء المتقدمين (فلا تكونن من الممترين) كقوله (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) وهذا شرط والشرط لا يقتضي وقوعه ولهذا جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا أشك ولا أسأل » وقوله تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) قال قتادة صدقا فيما قال وعدلا فيما حكم يقول صدقا في الاخبار وعدلا في الطلب فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه وكل ما نهى عنه فباطل فانه لا ينهى إلا عن مفسدة كما قال تعالي (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) الى آخر الآية (لا مبدل لكلماته) أي ليس أحد يعقب حكمه تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة (وهو السميع) لاقوال عباده (العليم) بحركاتهم وسكناتهم الذي يجازي كل عامل بعمله

قوله عز وجل ﴿ أفغير الله ﴾ فيه اضمار أي قل لهم يا محمد أفغير الله ﴿ أبتغي ﴾ أطلب ﴿ حكماً ﴾ قاضياً بيني وبينكم ، وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ : اجعل بيننا وبينك حكماً فأجابهم به ﴿ وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا ﴾ مبينا فيه أمره ونهيه يعني القرآن ، وقيل مفصلا أي خمسا خمسا ، وعشراً عشراً كما قال (لنثبت به فؤادك) ﴿ والذين آتيناهم الكتاب ﴾ يعني علماء اليهود والنصارى الذين آتيناهم التوراة والانجيل ، وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب. وقال عطاء : هم رءوس أصحاب النبي ﷺ والمراد بالكتاب هو القرآن ﴿ يعلمون أنه منزل ﴾ يعني القرآن ، قرأ ابن عامر وحفص منزل بالتشديد من التنزيل لأنه أنزل نجوما متفرقة ، وقرأ الآخرون بالتخفيف من الانزال كقوله تعالي (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب) ﴿ من ربك بالحق ، فلا تكوننَّ من الممترين ﴾ من الشاكين أنهم يعلمون ذلك

قوله عز وجل ﴿ وتمت كلمة ربك ﴾ قرأ أهل الكوفة ويعقوب كلمة على التوحيد ، وقرأ الآخرون كلمات بالجمع ، وأراد بالكلمات أمره ونهيه ووعده ووعيده ﴿ صدقا وعدلا ﴾ أي صدقا في الوعد والوعيد ، وعدلا في الامر والنهي . قال قتادة ومقاتل : صدقا فيما وعد ، وعدلا فيما حكم ﴿ لا مبدل لكلماته ﴾ قال ابن عباس : لا رادّ لقضائه ، ولا مغير لحكمه ، ولا خلف لوعده ﴿ وهو السميع العليم ﴾ قيل أراد بالكلمات القرآن (لا مبدل له) يريد لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون (١١٦) إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١١٧)

يخبر تعالى عن حال اكثر أهل الأرض من بني آدم انه الضلال كما قال تعالى (ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين) وقال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وهم في ضلالهم ليسوا على يقين من أمرهم وإنما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل (ان يتبعون إلا الظن وانهم إلا يخرصون) فان الخرص هو الحزر ومنه خرص النخل وهو حزر ماعليها من التمر وذلك كله عن قدر الله ومشيئته (هو أعلم من يضل عن سبيله) فييسره لذلك (وهو أعلم بالمهتدين) فييسرهم لذلك وكل ميسر لما خلق له

فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآيته مؤمنين (١١٨) وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصّل لكم ماحرّم عليكم إلا ما اضطُرِرتم إليه وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين(١١٩)

هذا اباحة من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ماذكر عليه اسمه ومفهومه انه لايباح مالم يذكر اسم الله عليه كما كان يستبيحه كفار قريش من أكل الميتات وأكل ماذبح على النصب وغيرها ثم ندب الى الاكل مما ذكر اسم الله عليه فقال (وما لكم أن لاتأكلوا مماذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ماحرم عليكم) أي قد بين لكم ماحرم عليكم ووضحه وقرأ بعضهم فصل بالتشديد وقرأ آخرون

﴿ وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ﴾ عن دين الله وذلك أن أكثر أهل الارض كانوا على الضلالة ، وقيل أراد أنهم جادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين في أكل الميتة وقالوا تأكلون ماتقتلون ولا تأكلون ماقتله الله عز وجل فقال (وإن تطع أكثر من في الارض) أي وإن تطعهم في أكل الميتة يضلوك عن سبيل الله ﴿ إن يتبعون إلا الظن ﴾ يريد أن دينهم الذي هم عليه ظن وهوى لم يأخذوه عن بصيرة ﴿ وإن هم إلا يخرصون ﴾ يكذبون ﴿ إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله ﴾ قيل موضع مَن ، نصب بنزع حرف الصفة أي بمن يضل . وقال الزجاج : موضعه رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والمعنى ان ربك هو أعلم أيُّ الناس يضل عن سبيله ﴿ وهو أعلم بالمهتدين ﴾ أخبر أنه أعلم بالفريقين بالضالين والمهتدين فيجازي كلا بما يستحقون

قوله تعالى ﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴾ أي كلوا مما ذبح على اسم الله ﴿ إن كنتم بآياته مؤمنين ﴾ وذلك أنهم كانوا يحرمون أصنافا من النعم ويحلون الاموات فقيل لهم أحلوا ماأحل الله وحرموا ماحرم الله ثم قال ﴿وما لكم﴾ يعني أي شيء لكم من ﴿ أن لاتأكلوا ﴾ وما يمنعكم من أن تأكلوا ﴿ مما ذكر اسم الله عليه ﴾ من الذبائح ﴿ وقد فصل لكم ماحرم عليكم ﴾ قرأ أهل المدينة ويعقوب

بالتخفيف والكل بمعنى البيان والوضوح (إلا ما اضطررتم اليه) أي الا في حال الاضطرار فانه يباح لكم ماوجدتم ثم بين تعالى جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة من استحلالهم الميتات وماذكر عليه غير اسم الله تعالى وقال (وان كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين) أي هو أعلم باعتدائهم وكذبهم وافترائهم

وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون (١٢٠)

قال مجاهد (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) معصيته في السر والعلانية وفي رواية عنه هو ماينوي مما هو عامل، وقال قتادة (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) أي سره وعلانيته قليله وكثيره، وقال السدي: ظاهره الزنا مع البغايا ذوات الرايات وباطنه الزنا مع الخليلة والصدائق والاخدان وقال عكرمة ظاهره نكاح ذوات المحارم والصحيح ان الآية عامة في ذلك كله وهي كقوله تعالى (قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن) الآية ولهذا قال تعالى (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون) أي سواء كان ظاهراً أو خفيا فان الله سيجزيهم عليه قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاثم فقال «الاثم ماحاك في صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه»

وحفص فصل وحرم بالفتح فيهما، أي فصل الله ماحرمه عليكم لقوله (اسم الله) وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبو عمرو بضم الفاء والحاء، وكسر الصاد والراء على غير تسمية الفاعل لقوله (ذكر) وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر فصل بالفتح وحرم بالضم وأراد بتفصيل المحرمات ماذكر في قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم) ﴿إلا ما اضطررتم اليه﴾ من هذه الاشياء فانه حلال لكم عند الاضطرار ﴿وإن كثيراً ليضلون﴾ قرأ أهل الكوفة بضم الياء، وكذلك قوله (ليضلوا) في سورة يونس لقوله تعالى (يضلوك عن سبيل الله) وقيل أراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين الذين اتخذوا البحائر والسوائب، وقرأ الآخرون بالفتح لقوله (من يضل) ﴿بأهوائهم بغير علم﴾ حين امتنعوا من أكل ماذكر اسم الله عليه ودعوا إلى أكل الميتة ﴿إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ الذين يجاوزون الحلال إلى الحرام ﴿وذروا ظاهر الاثم وباطنه﴾ يعني الذنوب كلها لأنها لاتخلو من هذين الوجهين وقال قتادة: علانيته وسره. وقال مجاهد: ظاهره مايعمله الانسان بالجوارح من الذنوب، وباطنه ماينويه ويقصده بقلبه كالمصر على الذنب القاصد له. قال الكلبي: ظاهره الزنا وباطنه المخالّة. وأكثر المفسرين على أن ظاهر الاثم الاعلان بالزنا وهم أصحاب الرايات وباطنه الاستسرار به، وذلك أن العرب كانوا يحبون الزنا. وكان الشريف منهم يتشرف فيسر به وغير الشريف لايبالي به فيظهره فحرمهما الله عز وجل

وقال سعيد بن جبير: ظاهر الاثم نكاح المحارم وباطنه الزنا. وقال ابن زيدان: ظاهر الاثم التجرد من الثياب والتعري في الطواف، والباطن الزنا، وروى حبان عن الكلبي ظاهر الاثم طواف الرجال بالبيت نهاراً عراة، وباطنه طواف النساء بالليل عراة ﴿إن الذين يكسبون الاثم سيجزون﴾ في الآخرة ﴿بما كانوا يقترفون﴾ يكتسبون في الدنيا

ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشيطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون (١٢١)

استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب الى أن الذبيحة لا تحل اذا لم يذكر اسم الله عليها وان كان الذابح مسلماً، وقد اختلف الأئمة رحمهم الله في هذه المسئلة على ثلاثة أقوال ، فمنهم من قال لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصفة وسواء متروك التسمية عمداً أو سهواً وهو مروي عن ابن عمر ونافع مولاه وعامر الشعبي ومحمد بن سيرين وهو رواية عن الامام مالك ورواية عن احمد بن حنبل نصرها طائفة من أصحابه المتقدمين والمتأخرين وهو اختيار أبي ثور وداود الظاهري واختار ذلك أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي من متأخري الشافعية في كتابه الاربعين واحتجوا لمذهبهم هذا بهذه الآية وبقوله في آية الصيد (فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) ثم قد أكد في هذه الآية بقوله (وانه لفسق) والضمير قيل عائد على الأكل وقيل عائد على الذبح لغير الله. وبالاحاديث الواردة في الامر بالتسمية عند الذبيحة والصيد كحديثي عدي بن حاتم وأبي ثعلبة « اذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك » وهما في الصحيحين، وحديث رافع ابن خديج « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه » وهو في الصحيحين أيضاً ، وحديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال للجن « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه » رواه مسلم ، وحديث جندب بن سفيان البجلي قال قال رسول الله ﷺ « من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى ومن لم يكن ذبح حتى صلينا فليذبح باسم الله » أخرجاه ، وعن عائشة رضي الله عنها ان ناساً قالوا يا رسول الله ان قوما يأتوننا باللحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا؟ قال « سموا عليه أنتم وكلوا » قالت وكانوا حديثي عهد بالكفر رواه البخاري ، ووجه الدلالة انهم فهموا أن التسمية لا بد منها وخشوا أن لا تكون وجدت من أولئك لحداثة إسلامهم فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح إن لم تكن وجدت وأمرهم باجراء أحكام المسلمين على السداد والله أعلم ،

والمذهب الثاني في المسئلة انه لا يشترط التسمية بل هي مستحبة فان تركها عمدا أو نسيانا لا تضر وهذا مذهب الامام الشافعي رحمه الله وجميع أصحابه ورواية عن الامام أحمد نقلها عنه حنبل وهو رواية عن الامام مالك ونص على ذلك أشهب بن عبد العزيز من أصحابه وحكي عن ابن عباس وأبي هريرة وعطاء بن أبي رباح والله

قوله عز وجل ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها . وقال عطاء : الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام . واختلف أهل العلم في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم إلى تحريمها سواء ترك التسمية عامداً أو ناسياً وهو قول ابن سيرين والشعبي واحتجوا بظاهر هذه

أعلم : وحمل الشافعي الآية الكريمة (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) على ما ذبح لغير الله كقوله تعالى (أو فسقا أهل لغير الله به) وقال ابن جريج عن عطاء (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) قال ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش للأوثان وينهى عن ذبائح المجوس وهذا المسلك الذي طرقه الامام الشافعي قوي وقد حاول بعض المتأخرين أن يقويه بأن جعل الواو في قوله (وانه لفسق) حالية أي . لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه في حال كونه فسقا ولايكون فسقا حتى يكون قد أهل به لغير الله، ثم ادعى أن هذا متعين ولا يجوز أن تكون الواو عاطفة لانه يلزم منه عطف جملة اسمية خبرية على جملة فعلية طلبية وهذا ينتقض عليه بقوله (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) فانها عاطفة لامحالة فان كانت الواو التي ادعى انها حالية صحيحة على ماقال امتنع عطف هذه عليها فان عطفت على الطلبية ورد عليه ما أورد على غيره وإن لم تكن الواو حالية بطل ماقال من أصله والله أعلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أنبأنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الآية (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال هي الميتة . ثم رواه عن أبي زرعة عن يحيى بن أبي كثير عن ابن لهيعة عن عطاء وهو ابن السائب به ، وقد استدل لهذا المذهب بما رواه أبو داود في المراسيل من حديث ثور بن يزيد عن الصلت السدوسي مولى سويد بن ميمون أحد التابعين الذين ذكرهم أبو حاتم بن حبان في كتاب الثقات قال قال رسول الله ﷺ « ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر انه ان ذكر لم يذكر إلا اسم الله » وهذا مرسل يعضد بما رواه الدارقطني عن ابن عباس انه قال « اذا ذبح المسلم ولم يذكر اسم الله فليأكل فان المسلم فيه اسم من أسماء الله » واحتج البيهقي أيضا بحديث عائشة رضي الله عنها المتقدم ان ناسا قالوا يارسول الله ان قوما حديثي عهد بجاهلية يأتوننا بلحم لاندري أذكروا اسم الله عليه أم لا ؟ فقال «سموا أنتم وكلوا» قالوا فلو كان وجود التسمية شرطا لم يرخص لهم إلا مع تحققها والله أعلم

المذهب الثالث في المسئلة ان ترك البسملة على الذبيحة نسيانا لم يضر وان تركها عمداً لم تحل هذا هو المشهور من مذهب الامام مالك وأحمد بن حنبل وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه وإسحاق ابن راهويه وهو محكي عن علي وابن عباس وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس والحسن البصري وأبي مالك وعبد الرحمن بن أبي ليلى وجعفر بن محمد وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، ونقل الامام أبو الحسن المرغيناني في كتابه الهداية الاجماع قبل الشافعي على تحريم متروك التسمية عمداً فلهذا قال أبو يوسف

الآية وذهب قوم إلى تحليلها ، يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مالك والشافعي وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين ، وذهب قوم إلى أنه إن ترك التسمية عامداً لايحل ، وإن تركها ناسياً يحل ، حكى الخرقي من أصحاب أحمد أن هذا مذهبه وهو قول الثوري وأصحاب الرأي، ومن أباحها قال : المراد من الآية الميتات أوما ذبح على اسم غير الله بدليل أنه قال ﴿ وانه لفسق ﴾ والفسق في ذكر اسم

والمشايخ لو حكم حاكم بجواز بيعه لم ينفذ لمخالفة الاجماع ، وهذا الذي قاله غريب جدا وقد تقدم نقل الخلاف عمن قبل الشافعي والله أعلم

وقال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله من حرم ذبيحة الناسي فقد خرج من قول جميع الحجة وخالف الخبر الثابت عن رسول الله ﷺ في ذلك يعني مارواه الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا أبو أمية الطرسوسي حدثنا محمد بن يزيد حدثنا معقل بن عبيد الله عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « المسلم يكفيه اسمه ان نسي أن يسمي حين يذبح فليذكر اسم الله وليأكله » وهذا الحديث رفعه خطأ، أخطأ فيه معقل ابن عبيد الله الجزري فانه وإن كان من رجال مسلم الا أن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدي روياه عن سفيان بن عيينة عن عمرو عن أبي الشعثاء عن عكرمة عن ابن عباس من قوله فزادا في اسناده أبا الشعثاء ووقفاه وهذا أصح نص عليه البيهقي وغيره من الحفاظ ثم نقل ابن جرير وغيره عن الشعبي ومحمد بن سيرين انهما كرها متروك التسمية نسيانا والسلف يطلقون الكراهة على التحريم كثيرا والله أعلم ، الا أن من قاعدة ابن جرير أنه لا يعتبر قول الواحد ولا الاثنين مخالفا لقول الجمهور فيعده اجماعا فليعلم هذا والله الموفق قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو أسامة عن جهير بن يزيد قال سئل الحسن سأله رجل أتيت بطير كذا فمنه ماقد ذبح فذكر اسم الله عليه ومنه مانسي ان يذكر اسم الله عليه واختلط الطير فقال الحسن كله كله ، قال وسألت محمد بن سيرين فقال قال الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) واحتج لهذا المذهب بالحديث المروي من طرق عند ابن ماجه عن ابن عباس وابي هريرة وأبي ذر وعقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » وفيه نظر والله أعلم ، وقد روى الحافظ أبو أحمد بن عدي من حديث مروان بن سالم القرقساني عن الاوزاعي عن يحيى بن أبى كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يارسول الله أرأيت الرجل منا يذبح وينسي أن يسمي؟ فقال النبي ﷺ « اسم الله على كل مسلم » ولكن هـذا اسناده ضعيف فان مروان بن سالم القرقساني أبا عبد الله الشامي ضعيف تكلم فيه غير واحد من الائمة والله أعلم ، وقد أفردت هـذه المسئلة على حدة وذكرت مذهب الائمة ومأخذهم وأدلتهم ووجه الدلالات والمناقضات والمعارضات والله أعلم ،

قال ابن جرير وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية هل نسخ من حكمها شيء أم لا ؟ فقال بعضهم لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عنيت به ، وعلى هذا قول مجاهد وعامة أهل العلم ، وروي عن الحسن

غير الله كما قال في آخر السورة (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم — الى قوله — أو فسقا أهل لغير الله به) واحتج من أباحها بما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يوسف بن موسى ثنا أبو خالد الاحمر قال . سمعت هشام بن عروة

البصري وعكرمة ماحدثنا به ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن عكرمة والحسن البصري قالا قال الله (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) وقال (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) فنسخ واستثنى من ذلك فقال (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم) وقال ابن ابي حاتم قرأ على العباس بن الوليد بن يزيد حدثنا محمد بن شعيب أخبرني النعمان يعني ابن المنذر عن مكحول قال أنزل الله في القرآن (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ثم نسخها الرب ورحم المسلمين فقال (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتو الكتاب حل لكم) فنسخها بذلك وأحل طعام أهل الكتاب، ثم قال ابن جرير والصواب أنه لاتعارض بين حل طعام أهل الكتاب وبين تحريم مالم يذكر اسم الله عليه ، وهذا الذي قاله صحيح ومن أطلق من السلف النسخ ههنا فانما أراد التخصيص والله سبحانه وتعالى أعلم ، وقوله تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي اسحاق قال قال رجل لابن عمر ان المختار يزعم أنه يوحى اليه قال صدق وتلا هذه الآية (وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم) وحدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي زميل قال كنت قاعدا عند ابن عباس وحج المختار ابن أبي عبيد فجاءه رجل فقال يا ابن عباس زعم أبو اسحاق انه أوحي اليه الليلة فقال ابن عباس صدق ، فنفر وقلت يقول ابن عباس صدق فقال ابن عباس هما وحيان وحي الله ووحي الشيطان فوحي الله إلى محمد ﷺ ووحي الشيطان إلى أوليائه ثم قرأ (وان الشيطان ليوحون إلى أوليائهم) وقد تقدم عن عكرمة في قوله (يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً) نحو هذا وقوله (ليجادلوكم) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير قال خاصمت اليهود النبي ﷺ فقالوا نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله ؟ فأنزل الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) هكذا رواه مرسلا ورواه أبو داود متصلا فقال حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جاءت اليهود الى النبي ﷺ فقالوا نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله؟ فأنزل الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) الآية وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الاعلى وسفيان بن وكيع كلاهما عن عمران بن عيينة به . ورواه البزار عن محمد بن موسى الحرشي عن عمران بن عيينة به وهذا فيه نظر من وجوه (ثلاثة) أحدها أن اليهود لايرون إباحة الميتة حتى يجادلوا (الثاني) أن الآية من الانعام وهي مكية

يحدث عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : إن قوما قالوا يارسول الله : إن هنا أقواما حديث عهدهم بشرك يأتون بلحمان لاندري يذكرون اسم الله عليها أم لا ؟ قال « اذكروا أنتم اسم الله وكلوا » ولو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك في وجودها مانعاً من أكلها كالشك في أصل الذبح . قوله ﴿ وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم ﴾ أراد إن الشياطين ليوسوسون الى

(الثالث) أن هذا الحديث رواه الترمذي عن محمد بن موسى الحرشي عن زياد بن عبد الله البكائي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ورواه الترمذي بلفظ أتى ناس النبي ﷺ فذكره وقال حسن غريب وروي عن سعيد بن جبير مرسلا وقال الطبراني حدثنا علي بن المبارك حدثنا زيد بن المبارك حدثنا موسى بن عبد العزيز حدثنا الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً وقولوا له فما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال وما ذبح الله عز وجل بشمشير من ذهب يعني الميتة فهو حرام فنزلت هذه الآية (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون) أي وان الشياطين من فارس ليوحون إلى أوليائهم من قريش، وقال أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا اسرائيل حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) يقولون ماذبح الله فلا تأكلوه وماذبحتم أنتم فكلوه فأنزل الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ورواه ابن ماجه وابن أبي حاتم عن عمرو بن عبد الله عن وكيع عن اسرائيل به وهذا اسناد صحيح ورواه ابن جرير من طرق متعددة عن ابن عباس وليس فيه ذكر اليهود، فهذا هو المحفوظ لان الآية مكية واليهود لايحبون الميتة وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) إلى قوله (ليجادلوكم) قال يوحي الشياطين إلى أوليائهم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله؟ وفي بعض ألفاظه عن ابن عباس ان الذي قتلتم ذكر اسم الله عليه وان الذي قد مات لم يذكر اسم الله عليه، وقال ابن جريج قال عمرو بن دينار عن عكرمة ان مشركي قريش كاتبوا فارس على الروم وكاتبتهم فارس فكتبت فارس اليهم ان محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكلونه وماذبحوه هم يأكلونه فكتب بذلك المشركون إلى أصحاب رسول الله ﷺ فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء فأنزل الله (وانه لفسق وإن الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) ونزلت (يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) وقال السدي في تفسير هذه الآية إن المشركين قالوا للمسلمين كيف تزعمون انكم تتبعون مرضاة الله فما قتل الله فلا تأكلونه وما ذبحتم أنتم تأكلونه؟ فقال الله تعالى (وان أطعتموهم) في أكل الميتة (انكم لمشركون) وهكذا قاله مجاهد والضحاك وغير واحد من علماء السلف

وقوله تعالى (وان أطعتموهم انكم لمشركون) أي حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه الى قول غيره فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك كقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)

أوليائهم من المشركين ليجادلوكم، وذلك أن المشركين قالوا يا محمد: أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها؟ فقال الله قتلها، قالوا افتزعم أن ماقتلت أنت وأصحابك حلال وماقتله الكلب والصقر والفهد حلال، وماقتله الله حرام؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿ وان أطعتموهم ﴾ في أكل الميتة ﴿ انكم لمشركون ﴾ قال الزجاج : وفيه دليل

الآية وقد روى الترمذي في تفسيرها عن عدي بن حاتم أنه قال يارسول الله ماعبدوهم فقال «بلى انهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم».

أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا؟ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)

هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتا أي في الضلالة هالكا حائراً فأحياه الله أي أحيا قلبه بالايمان وهداه له ووفقه لاتباع رسله وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس أي يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به والنور هو القرآن كما رواه العوفي وابن أبي طلحة عن ابن عباس وقال السدي الاسلام والكل صحيح (كمن مثله في الظلمات) أي الجهالات والاهواء والضلالات المتفرقة (ليس بخارج منها) أي لايهتدي الى منفذ ولا مخلص مما هو فيه، وفي مسند الامام أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال «ان الله خلق خلقه فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل» كما قال تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقال تعالى (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم) وقال تعالى (مثل الفريقين كالأعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون) وقال تعالى (وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ، ان أنت الا نذير) والآيات في هذا كثيرة ووجه المناسبة في ضرب المثلين ههنا بالنور والظلمات ماتقدم في أول السورة (وجعل الظلمات والنور) وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلان معينان فقيل عمر بن الخطاب هو الذي كان

على أن من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم ماأحل الله فهو مشرك

قوله ﴿أومن كان ميتاً فاحييناه﴾ قرأ نافع ميتاً، ولحم أخيه ميتاً، والارض الميتة أحييناها، بالتشديد فيهن وقرأ الآخرون بالتخفيف (فاحييناه) أي كان ضالا فهديناه كان ميتاً بالكفر فاحييناه بالايمان ﴿وجعلنا له نوراً﴾ يستضيء به ﴿يمشي به في الناس﴾ على قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لقوله تعالى (يخرجهم من الظلمات الى النور) وقال قتادة هو كتاب الله بينة من الله مع المؤمن بها يعمل وبها يأخذ واليها ينتهي ﴿كمن مثله في الظلمات﴾ المثل صلة أي كمن هو في الظلمات ﴿ليس بخارج منها﴾ يعني من ظلمة الكفر قيل نزلت هذه الآية في رجلين باعيانهما ثم اختلفوا فيهما قال ابن عباس جعلنا له نوراً يدير حمزة بن عبد المطلب كمن مثله في الظلمات يريد أباجهل بن هشام وذلك أن أباجهل رمي

ميتا فأحياه الله وجعل له نوراً يمشي به في الناس وقيل عمار بن ياسر وأما الذي في الظلمات ليس بخارج منها أبوجهل عمرو بن هشام لعنه الله . والصحيح أن الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر وقوله تعالى (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) أي حسنا لهم ما كانوا فيه من الجهالة والضلالة قدراً من الله وحكمة بالغة لا إله الا هو وحده لا شريك له

وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون (١٢٣)وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتي رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون (١٢٤)

يقول تعالى وكما جعلنا في قريتك يامحمد أكابر من المجرمين ورؤساء ودعاة الى الكفر والصد عن سبيل الله وإلى مخالفتك وعداوتك كذلك كانت الرسل من قبلك يبتلون بذلك ثم تكون لهم العاقبة كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) الآية وقال تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) الآية قيل معناه أمرناهم بالطاعة فخالفوا فدمرناهم وقيل أمرناهم أمراً قدريا كما قال ههنا (ليمكروا فيها) وقوله تعالى (أكابر مجرميها ليمكروا فيها) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس (أكابر مجرميها ليمكروا فيها) قال سلطنا شرارهم فعصوا فيها فاذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب.وقال مجاهد وقتادة (أكابر مجرميها) عظماؤها وقلت وهكذا قوله تعالى (وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال

رسول الله ﷺ بفرث فاخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس وحمزة لم يؤمن بعد فاقبل غضبان حتى رمي ابا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول ياأبا يعلي أماترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا إله الا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله فانزل الله هذه الآية ، وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وابي جهل ، وقال عكرمة والكلبي نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل ﴿ كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون ﴾ من الكفر والمعصية قال ابن عباس يريد زين لهم الشيطان عبادة الاصنام

قوله عز وجل ﴿ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ﴾ أي كما أن فساق مكة أكابرها كذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها أى عظماءها جمع أكبر مثل أفضل وأفاضل وأسود وأساود وذلك سنة الله تعالى انه جعل في كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم كما قال في قصة نوح عليه السلام (أنؤمن لك واتبعك الارذلون) وجعل فساقهم أكابرهم ﴿ ليمكروا فيها ﴾ وذلك أنهم أجلسوا على كل طريق

مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون*وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا ومانحن بمعذبين)وقال تعالى(وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) والمراد بالمكر ههنا دعاؤهم الى الضلالة بزخرف من المقال والفعال كقوله تعالى إخبارا عن قوم نوح (ومكروا مكراً كبارا)وكقوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان قال كل مكر في القرآن فهو عمل. وقوله تعالى (وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون) أي وما يعود وبال مكرهم ذلك واضلالهم من أضلوه الا على أنفسهم كما قال تعالى (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم)وقال(ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء مايزرون)

وقوله تعالى (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتي رسل الله) أي اذا جاءتهم آية وبرهان وحجة قاطعة قالوا : لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتي رسل الله : أي حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة كما تأتي إلى الرسل كقوله جل وعلا (وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) الآية ، وقوله (الله أعلم حيث يجعل رسالته) أي هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه كقوله تعالى (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم * أهم يقسمون رحمة ربك) الآية ، يعنون لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير جليل مبجل في أعينهم (من القريتين) أي من مكة والطائف وذلك أنهم قبحهم الله كانوا يزدرون بالرسول

من طرق مكة أربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد ﷺ يقولون لكل من يقدم اياك وهذا الرجل فانه كاهن ساحر كذاب ﴿ وما يمكرون الا بانفسهم ﴾ لأن وبال مكرهم يعود عليهم ﴿ وما يشعرون ﴾ أنه كذلك

قوله تعالى ﴿وإذ جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله﴾ يعني مثل ماأوتي رسل الله من النبوة وذلك أن الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال مقاتل نزلت في أبي جهل وذلك أنه قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى انا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لانؤمن به ولا نتبعه أبداً الا أن يأتينا وحي كما يأتيه فانزل الله عز وجل واذا جاءتهم آية حجة على صدق محمد ﷺ قالوا يعني أباجهل لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله يعني محمداً ﷺ ثم قال الله تعالى ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ قرأ ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد وقرأ الآخرون

صلوات الله وسلامه عليه بغياً وحسداً، وعناداً واستكباراً كقوله تعالى مخبراً عنه (واذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً، أهـذا الذي بعث الله رسولا) وقال تعالى (واذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون) وقال تعالى (ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزئون) هـذا وهم معترفون بفضله وشرفه ونسبه، وطهارة بيته ومرباه، ومنشئه صلى الله وملائكته والمؤمنون عليه، حتى إنهم كانوا يسمونه بينهم قبل أن يوحى اليه الامين وقد اعترف بذلك رئيس الكفار أبو سفيان حين سأله هرقل ملك الروم وكيف نسبه فيكم؟ قال هو فينا ذو نسب، قال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال؟ قال لا ـ الحديث بطوله الذي استدل به ملك الروم بظاهر صفاته عليه السلام على صدق نبوته وصحة ماجاء به. وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الاوزاعي عن شداد أبي عمار عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال «إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من بني اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم» انفرد باخراجه مسلم من حديث الاوزاعي وهو عبد الرحمن بن عمرو امام أهل الشام به نحوه. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتي بعثت من القرن الذي كنت فيه» وقال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن المطلب بن أبي وداعة قال قال العباس بلغه ﷺ بعض مايقول الناس فصعد المنبر فقال «من أنا؟» قالوا أنت رسول الله فقال «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا، فانا خيركم بيتا وخيركم نفسا» صدق صلوات الله وسلامه عليه. وفي الحديث أيضا المروي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ «قال لي جبريل قلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد، وقلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم» رواه الحاكم والبيهقي. وقال الامام أحمد حدثنا أبو بكر حدثنا عاصم عن زر ابن حبيش عن عبدالله بن مسعود قال: ان الله نظر في قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ومارآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء. وقال أحمد حدثنا شجاع بن الوليد قال ذكر قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن سلمان قال قال لي رسول الله ﷺ «ياسلمان لاتبغضني فتفارق دينك» قلت يارسول الله كيف أبغضك وبك هدانا الله؟ قال «تبغض العرب فتبغضني» وذكر ابن أبي حاتم في تفسير هـذه الآية ذكر عن محمد بن منصور الجراح حدثنا

رسالاته بالجمع يعني الله أعلم بمن هو أحق بالرسالة ﴿سيصيب الذين أجرموا صغار﴾ ذل وهوان ﴿عند

سفيان عن ابن ابي حسين قال أبصر رجل ابن عباس وهو داخل من باب المسجدفلمانظر اليه راعه فقال من هذا قالوا ابن عباس ابن عم رسول الله ﷺ فقال(الله أعلم حيث يجعل رسالته)

وقوله تعالى(سيصيب الذين أجرموا صغار عندالله وعذاب شديد) الآية هذا وعيد شديدمن الله وتهديد أكيد لمن تكبر عن اتباع رسله والانقياد لهم فيما جاؤا به فانه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله صغار وهو الذلة الدائمة كما انهم استكبروا أعقبهم ذلك ذلا يوم القيامة لما استكبروا في الدنيا كقوله تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) اي صاغرين ذليلين حقيرين وقوله تعالى (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) لما كان المكر غالبا انما يكون خفيا وهو التلطف في التحيل والخديعة قوبلوا بالعذاب الشديد من الله يوم القيامة جزاء وفاقا (ولا يظلم ربك أحدا) كما قال تعالى (يوم تبلى السرائر) أي تظهر المستترات والمكنونات والضمائر وجاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال« ينصب لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان بن فلان» والحكمة في هذا انه لما كان الغدر خفيا لا يطلع عليه الناس فيوم القيامة يصير علما منشوراً على صاحبه بما فعل

فمن يُرِدِ الله أنْ يهديه يشرحْ صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعَّد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون (١٢٥)

يقول تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام أي ييسره له وينشطه ويسهله لذلك فهذه علامات على الخير كقوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) الآية وقال تعالى (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله(فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام) يقول تعالى يوسع قلبه للتوحيد والايمان به وكذا قال أبو مالك وغير واحد وهو ظاهر. وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال سئل رسول الله ﷺ أي المؤمنين أكيس؟ قال «أكثرهم ذكراً للموت وأكثرهم لما بعده استعداداً» قال وسئل النبي ﷺ عن هذه الآية (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) قالوا كيف يشرح صدره يارسول الله؟ قال «نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح » قالوا فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال «الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت» وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا قبيصة عن سفيان يعني الثوري عن عمرو بن مرة عن رجل يكني أبا جعفر كان يسكن المدائن قال

الله﴾ أي من عند الله ﴿وعذاب شديد بما كانوا يمكرون﴾ قيل صغار في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة

قوله عز وجل ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام﴾ أي يفتح قلبه وينوره حتى يقبل الاسلام، ولما نزلت هذه الآية سئل رسول الله ﷺ عن شرح الصدر قال « نور يقذفه الله في قلب

سئل النبي ﷺ عن قول الله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) فذكر نحو ما تقدم. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن ادريس عن الحسن بن الفرات القزاز عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال قال رسول الله ﷺ (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) قال رسول الله ﷺ «اذا دخل الايمان القلب انفسح له القلب وانشرح» قالوا يارسول الله هل لذلك من أمارة؟ قال «نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت» وقد رواه ابن جرير عن سوار بن عبد الله العنبري حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن عبدالله بن مرة عن أبي جعفر فذكره. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن مسعود قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) قالوا يارسول الله ماهذا الشرح؟ قال «نور يقذف به في القلب» قالوا يارسول الله فهل لذلك من أمارة تعرف؟ قال «نعم» قالوا وما هي؟ قال «الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت»

وقال ابن جرير أيضا حدثني هلال بن العلاء حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد حدثنا محمد ابن مسلم عن أبي عبد الرحمن عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح» قالوا فهل لذلك من علامة يعرف بها؟ قال «الانابة الى دار الخلود والتنحي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت» وقد رواه من وجه آخر عن ابن مسعود متصلا مرفوعا فقال حدثني ابن سنان القزاز حدثنا محبوب ابن الحسن الهاشمي عن يونس عن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) قالوا يارسول الله وكيف يشرح صدره؟ قال «يدخل فيه النور فينفسح» قالوا وهل لذلك علامة يارسول الله؟ قال «التجافي عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت» فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضا والله أعلم

وقوله تعالى (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) قرئ بفتح الضاد وتسكين الياء والاكثرون ضيقا بتشديد الياء وكسرها وهما لغتان كهين وهين وقرأ بعضهم حرجا بفتح الحاء وكسر

المؤمن فينشرح له وينفسح» قيل فهل لذلك أمارة؟ قال «نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت»

قوله تعالى ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا﴾ قرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ههنا وفي الفرقان والباقون بالتشديد وهما لغتان مثل هين وهين ولين ولين ﴿حرجا﴾ قرأ أهل المدينة وأبو بكر بكسر الراء والباقون بفتحها وهما لغتان أيضا مثل الدنف والدنف قال سيبويه الحرج بالفتح المصدر

الراء قيل بمعنى أثم قاله السدي وقيل بمعنى القراءة الاخرى حرجا بفتح الحاء والراء وهو الذي لايتسع لشيء من الهدى ولايخلص اليه شيء ماينفعه من الايمان ولاينفذ فيه . وقدسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا من الاعراب من أهل البادية من مدلج عن الحرجة فقال هي الشجرة تكون بين الاشجار لاتصل اليها راعية ولا وحشية ولاشيء فقال عمر رضي الله عنه كذلك قلب المنافق لايصل اليه شيء من الخير . وقال العوفي عن ابن عباس يجعل الله عليه الاسلام ضيقا والاسلام واسع وذلك حين يقول (ماجعل عليكم في الدين من حرج) يقول ماجعل عليكم في الاسلام من ضيق وقال مجاهد والسدي ضيقا حرجا شاكا . وقال عطاء الخراساني ضيقا حرجا أي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن المبارك عن ابن جريج ضيقا حرجا بلا إله إلا الله حتى لايستطيع أن تدخل قلبه كأنما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه . وقال سعيد بن جبير يجعل صدره ضيقا حرجا قال لايجد فيه مسلكا الا صعداً وقال السدي كأنما يصعد في السماء من ضيق صدره

وقال عطاء الخراساني(كأنما يصعد في السماء)يقول مثله كمثل الذي لايستطيع أن يصعد إلى السماء وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس (كأنما يصعد في السماء) يقول فكما لايستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء فكذلك لايستطيع أن يدخل التوحيد والايمان قلبه حتى يدخله الله في قلبه وقال الاوزاعي (كانما يصعد في السماء) كيف يستطيع من جعل الله صدره ضيقا أن يكون مسلما. وقال الامام أبو جعفر بن جرير وهذا مثل ضربه الله لقلب هذا الكافر في شدة ضيقه عن وصول الايمان اليه يقول فمثله في امتناعه من قبول الايمان وضيقه عن وصوله اليه مثل امتناعه عن الصعود إلى السماء وعجزه عنه لانه ليس في وسعه وطاقته. وقال في قوله (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون)يقول كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقا حرجا كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الايمان بالله ورسوله فيغويه ويصده عن سبيل الله وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس الرجس الشيطان

كالطلب ومعناه ذا حرج وبالكسر الاسم وهو اشد الضيق يعني يجعل قلبه ضيقا حتى لايدخله الايمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ قال ابن عباس اذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه وإذا ذكر شيء من عبادة الاصنام ارتاح الى ذلك ، وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية فسأل اعرابيا من كنانة ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لاتصل اليها راعية ولا وحشية ولاشيء فقال عمر رضي الله عنه كذلك قلب المنافق لايصل اليه شيء من الخير ﴿ كأنما يصعد في السماء ﴾ قرأ ابن كثير يصعد بالتخفيف وسكون الصاد وقرأ أبو بكر عن عاصم يصاعد بالالف أي يتصاعد وقرأ الآخرون يصعد بتشديد الصاد والعين أي يتصعد يعني يشق عليه الايمان كما يشق عليه صعود السماء واصل الصعود المشقة ومنه قوله تعالى سأرهقه صعوداً أي عقبة شاقة (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون ﴾ قال ابن عباس الرجس هو الشيطان أي يسلط به عليه وقال الكلبي هو المأثم وقال

وقال مجاهد: الرجس كل مالا خير فيه وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الرجس العذاب

وهذا صرٰط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذّكرون (١٢٦) لهم دارُ السلام عند ربهم وهو وليُّهم بما كانوا يعملون (١٢٧)

لما ذكر تعالى طريق الضالين عن سبيله الصادين عنها نبه على شرف ما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق فقال تعالى (وهذا صراط ربك مستقيما) منصوب على الحال أي هذا الدين الذي شرعناه لك يامحمد بما أوحينا اليك هذا القرآن هو صراط الله المستقيم كما تقدم في حديث الحارث عن علي في نعت القرآن : هو صراط الله المستقيم وحبل الله المتين وهو الذكر الحكيم رواه أحمد والترمذي بطوله (قد فصلنا الآيات) أي وضحناها وبيناها وفسرناها (لقوم يذكرون) أي لمن له فهم ووعي يعقل عن الله ورسوله (لهم دار السلام) وهي الجنة (عند ربهم) أي يوم القيامة وإنما وصف الله الجنة ههنا بدار السلام لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم المقتفى أثر الانبياء وطرائقهم فكما سلموا من آفات الاعوجاج أفضوا إلى دار السلام (وهو وليهم) أي [1] حافظهم وناصرهم ومؤيدهم (بما كانوا يعملون) أي جزاء على أعمالهم الصالحة تولاهم وأثابهم الجنة بمنه وكرمه

(١) في النسختين المطبوعة والازهرية زيادة: والسلام وهو الله وليهم الخ

ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس

مجاهد الرجس مالا خير فيه وقال عطاء الرجس العذاب مثل الرجز وقيل هو النجس روي أن رسول الله ﷺ كان اذا دخل الخلاء قال «اللهم اني أعوذ بك من الرجس النجس» وقال الزجاج الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة

قوله عز وجل ﴿وهذا صراط ربك مستقيما﴾ أي هذا الذي بينا وقيل هذا الذي أنت عليه يامحمد طريق ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه مستقيما لاعوج فيه وهو الاسلام ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون * لهم دار السلام عند ربهم﴾ يعني الجنة قال اكثر المفسرين السلام هو الله وداره الجنة وقيل السلام هو السلامة أي لهم دار السلامة من الآفات وهي الجنة وسميت دار السلام لان كل من دخلها سلم من البلايا والرزايا وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مقرونة بالسلام فقال في الابتداء (ادخلوها بسلام آمنين) (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم) وقال (لايسمعون فيها لغواً إلا سلاما) وقال (تحيتهم فيها سلام) وقال (سلام قولا من رب رحيم) ﴿وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾ قال الحسين بن الفضل يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء

قوله عز وجل ﴿ويوم يحشرهم﴾ قرأ حفص يحشرهم بالياء ﴿جميعا﴾ يعني الجن والانس يجمعهم

ربَّنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا، قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم (١٢٨)

يقول تعالى واذكر يامحمد فيما تقصه عليهم وتنذرهم به (يوم يحشرهم جميعا) يعني الجن وأولياءهم من الانس الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا ويعوذون بهم ويطيعونهم ويوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا (يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس) أي ثم يقول يامعشر الجن وسياق الكلام يدل على المحذوف ومعنى قوله (قد استكثرتم من الانس) أي من اغوائهم واضلالهم كقوله تعالى (ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلا كثيراً أفلم تكونوا تعقلون) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس) يعني أضللتم منهم كثيراً وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة (وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) يعني ان أولياء الجن من الانس قالوا مجيبين لله تعالى عن ذلك بهذا. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الاشهب هوذة بن خليفة حدثنا عوف عن الحسن في هذه الآية قال استكثرتم أهل النار يوم القيامة فقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض، قال الحسن وما كان استمتاع بعضهم ببعض الا أن الجن أمرت وعملت الانس. وقال محمد بن كعب في قوله (ربنا استمتع بعضنا ببعض) قال الصحابة في الدنيا. وقال ابن جريج كان الرجل في الجاهلية ينزل الارض فيقول أعوذ بكبير هذا الوادي. فذلك استمتاعهم فاعتذروا به يوم القيامة وأما استمتاع الجن بالانس فانه كان فيما ذكر ماينال الجن من الانس من تعظيمهم اياهم في استعانتهم بهم فيقولون قد سدنا الانس والجن (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) قال السدي يعني الموت (قال النار مثواكم) أي

في موقف القيامة فيقول ﴿ يامعشر الجن ﴾ والمراد بالجن الشياطين ﴿ قد استكثرتم من الانس ﴾ أي استكثرتم من الانس بالاضلال والاغواء أي أضللتم كثيراً ﴿وقال أولياؤهم من الانس﴾ يعني أولياء الشياطين الذين أطاعوهم من الانس ﴿ ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾ قال الكلبي استمتاع الانس بالجن هو ان الرجل كان إذا سافر ونزل بارض قفر وخاف على نفسه من الجن قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في جوارهم وأما استمتاع الجن بالانس هو أنهم قالوا قد سدنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وهذا كقوله تعالى (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) وقيل استمتاع الانس بالجن ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الامور التي يهوونها حتى يسهل فعلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي قال محمد بن كعب هو طاعة بعضهم بعضاً وموافقة بعضهم لبعض ﴿ وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا ﴾ يعني القيامة والبعث ﴿ قال ﴾ الله تعالى

مأواكم ومنزلكم أنتم وإياهم وأولياؤكم (خالدين فيها) أي ماكثين فيها مكثا مخلدا الا ماشاء الله قال بعضهم يرجع معنى الاستثناء الى البرزخ وقال بعضهم هذا رد الى مدة الدنيا وقيل غير ذلك من الاقوال التي سيأتي تقريرها عند قوله تعالى في سورة هود (خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد) وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي حاتم بن أبي طلحة عن ابن عباس قال (النار مثوا كم خالدين فيها الا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم) قال ان هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا نارا

وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون (١٢٩)

قال سعيد عن قتادة في تفسيرها إنما يولي الله الناس بأعمالهم فالمؤمن ولي المؤمن اين كان وحيث كان والكافر ولي الكافر أينما كان وحيثما كان ليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي واختاره ابن جرير، وقال معمر عن قتادة في تفسير الآية يولي الله بعض الظالمين بعضا في النار يتبع بعضهم بعضاً. وقال مالك بن دينار قرأت في الزبور إني أنتقم من المنافقين بالمنافقين ثم أنتقم من المنافقين جميعا وذلك في كتاب الله قول الله تعالى (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) قال ظالمي الجن وظالمي الانس وقرأ (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) قال ونسلط ظلمة الجن على ظلمة الانس وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الباقي بن أحمد من طريق سعيد بن عبد الجبار الكرابيسي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن ذر عن ابن مسعود مرفوعا «من أعان ظالما سلطه الله عليه» وهذا حديث غريب وقال بعض الشعراء

وما من يد إلا يد الله فوقها * ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

﴿النار مثواكم﴾ مقامكم ﴿خالدين فيها إلا ماشاء الله﴾ اختلفوا في هذا الاستثناء كما اختلفوا في قوله (خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ماشاء ربك) قيل أراد إلا قدر مدة ما بين بعثهم إلى دخولهم جهنم يعني هم خالدون في النار الا هذا المقدار. وقيل الاستثناء يرجع إلى العذاب وهو قوله (النار مثواكم) أي خالدين في النار سوى ماشاء من أنواع العذاب، وقال ابن عباس الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون فيخرجون من النار و «ما» بمعنى «من» على هذا التأويل ﴿ان ربك حكيم عليم﴾ قيل حكيم بمن استثنى عليم بما في قلوبهم من البر والتقوى ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون﴾ قيل أي كما خذلنا عصاة الجن والانس حتى استمتع بعضهم ببعض نولي بعض الظالمين بعضا أي نسلط بعض الظالمين على بعض فنأخذ من الظالم بالظالم كما جاء «من أعان ظالما سلطه الله عليه» وقال قتادة نجعل بعضهم أولياء بعض فالمؤمن ولي المؤمن أين كان

ومعنى الآية الكريمة كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الانس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجن كذلك نفعل بالظالمين نسلط بعضهم على بعض ونهلك بعضهم ببعض وننتقم من بعضهم ببعض جزاء على ظلمهم وبغيهم .

يٰمعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصُّون عليكم آيٰتي وينذرونكم لقاء يومكم هٰذا؟ قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كٰفرين (١٣٠)

وهذا أيضا مما يقرع الله به كافري الجن والانس يوم القيامة حيث يسألهم وهو أعلم هل بلغتهم الرسل رسالاته وهذا استفهام تقرير (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) أي من جملتكم والرسل من الانس فقط وليس من الجن رسل كما قد نص على ذلك مجاهد وابن جريج وغير واحد من الائمة من السلف والخلف، وقال ابن عباس الرسل من بني آدم ومن الجن نذر. وحكى ابن جرير عن الضحاك ابن مزاحم انه زعم أن في الجن رسلا واحتج بهذه الآية الكريمة وفيه نظر لأنها محتملة وليست بصريحة وهي والله أعلم كقوله (مرج البحرين يلتقيان ▪ بينهما برزخ لايبغيان ▪ فبأي آلاء ربكما تكذبان) الى أن قال (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) ومعلوم أن اللؤلؤ والمرجان انما يستخرجان من الملح لا من الحلو[1] وهذا واضح ولله الحمد وقد ذكر هذا الجواب بعينه ابن جرير، والدليل على أن الرسل انما هم من الانس قوله تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده — الى قوله — رسلا مبشرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقوله تعالى (عن ابراهيم وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) فحصر النبوة والكتاب بعد ابراهيم في ذريته ولم يقل أحد من الناس ان النبوة كانت في

(١) هكذا كان المتقدمون يقولون ثم ثبت أن بعض الانهار الحلوة الماء قد استخرج منها اللؤلؤ

والكافر ولي الكافر حيث كان. وروى معمر عن قتادة يتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة، وقيل معناه نولي ظلمة الانس ظلمة الجن ونولي ظلمة الجن ظلمة الانس أي نكل بعضهم الى بعض كقوله تعالى (نوله ماتولى) وروى عن أبي صالح الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها هو أن الله تعالى اذا أراد بقوم خيراً ولى أمرهم خيارهم وإذا أراد بقوم شراً ولى أمرهم شرارهم

قوله عز وجل ﴿ يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ واختلفوا في أن الجن هل أرسل اليهم منهم رسول ▪ فسئل الضحاك عنه فقال بلى ألم تسمع الله يقول (ألم يأتكم رسل منكم) يعني بذلك رسلا من الانس ورسلا من الجن . قال الكلبي : كانت الرسل من قبل أن يبعث محمد ﷺ يبعثون إلى الجن والانس جميعا[1] ومحمد الرسول ﷺ يبعث إلى الجن والانس كافة قال مجاهد : الرسل من الانس ، والنذر من الجن ثم قرأ (ولوا إلى قومهم منذرين) وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ماسمعوا ، وليس للجن رسل فعلى هذا قوله (رسل منكم) ينصرف إلى أحد الصنفين وهم الانس كما قال (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وانما يخرج من الملح دون العذب وقال (وجعل القمر

(١) هكذا في الاصل وهو خطأ لان المعنى المراد غير مستقيم

الجن قبل ابراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم ببعثته وقال تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون في الطعام ويمشون في الاسواق) وقال (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى) ومعلوم ان الجن تبع للانس في هذا الباب ولهذا قال تعالى اخباراً عنهم (وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي وَلَّوْا الى قومهم منذرين * قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم * ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم * ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس من دونه أولياء، أولئك في ضلال مبين) وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره أن رسول الله ﷺ تلا عليهم سورة الرحمن وفيها قوله تعالى (سنفرغ لكم أيها الثقلان * فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقال تعالى في هذه الآية الكريمة (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا) أي أقررنا ان الرسل قد بلغونا رسالاتك وأنذرونا لقاءك وأن هذا اليوم كائن لا محالة وقال تعالى (وغرتهم الحياة الدنيا) أي وقد فرطوا في حياتهم الدنيا وهلكوا بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم المعجزات لما اغتروا به من زخرف الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها (وشهدوا على أنفسهم) أي يوم القيامة (أنهم كانوا كافرين) أي في الدنيا بما جاءتهم به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم

ذٰلك أن لم يكن ربك مهلك القرىٰ بظلم وأهلها غٰفلون (١٣١) ولكل درجاتٌ مما عملوا وما ربك بغٰفل عما يعملون (١٣٢)

يقول تعالى (ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) أى انما اعذرنا الى الثقلين بارسال الرسل وانزال الكتب لئلا يؤاخذ أحدا بظلمه وهو لم تبلغه دعوة ولكن أعذرنا الى الامم وما عذبنا احداً الا بعد ارسال الرسل اليهم كما قال تعالى (وان من قرية الا خلا فيها نذير) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) كقوله (وما كنا معذبين حتى نبعث

فيبن نوراً) ونما هو في سماء واحدة ﴿ يقصون عليكم ﴾ أي يقرؤن عليكم ﴿ آياتي ﴾ كتبي ﴿ وينذرونكم لقاء يومكم هـذا ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ قالوا شهدنا على أنفسنا ﴾ أنهم قد بلغوا . قال مقاتل : وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله عز وجل ﴿ وغرتهم الحياة الدنيا ﴾ حتى لم يؤمنوا ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين * ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ﴾ أي ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وعذاب من كذبهم لأنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ، أي لم يهلكهم بظلم ، أي بشرك من أشرك ﴿ وأهلها غافلون ﴾ لم ينذروا حتى يبعث اليهم رسلا ينذرونهم . وقال

رسولا) وقال تعالى (كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا) والآيات في هذا كثيرة قال الامام أبو جعفر بن جرير ويحتمل قوله تعالى بظلم وجهين (أحدهما) (ذلك) من أجل(ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) أهلها بالشرك ونحوه (وهم غافلون) يقول لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث اليهم رسولا ينبههم على حجج الله عليهم وينذرهم عذاب الله يوم معادهم ولم يكن بالذى يؤاخذهم غفلة فيقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير (والوجه الثاني) (ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) يقول لم يكن ربك ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر فيظلمهم بذلك والله غير ظلام لعبيده ثم شرع يرجح الوجه الاول ولاشك أنه أقوى والله أعلم .

قال وقوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) أي ولكل عامل من طاعة الله أو معصيته مراتب ومنازل من عمله يبلغه الله إياها ويثيبه بها إن خيراً فخيراً وان شراً فشراً (قلت) ويحتمل أن يعود قوله (ولكل درجات مما عملوا) أي من كافري الجن والانس أي ولكل درجة في النار بحسبه كقوله (قال لكل ضعف) وقوله (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون) (وما ربك بغافل عما يعملون) قال ابن جرير أي وكل ذلك من عملهم يامحمد بعلم من ربك يحصيها ويثبتها لهم عنده ليجازيهم عليها عند لقائهم اياه ومعادهم اليه

وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين (١٣٣) إن ماتوعدون لآت وما أنتم بمعجزين (١٣٤) قل يقوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لايفلح الظلمون (١٣٥)

يقول تعالى (وربك) يامحمد (الغني) أي عن جميع خلقه من جميع الوجوه وهم الفقراء اليه في جميع أحوالهم (ذو الرحمة) أي وهو مع ذلك رحيم بهم كما قال تعالى (إن الله بالناس لرؤف رحيم) (ان يشأ يذهبكم أي اذا خالفتم أمره (ويستخلف من بعدكم مايشاء) أي قوما آخرين أي يعملون بطاعته

الكلبي : لم يكن يهلكهم بذنوبهم من قبل أن يأتيهم الرسل، وقيل معناه لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل فيكون قد ظلمهم وذلك أن الله تعالى أجرى السنة أن لا يأخذ أحداً إلا بعد وجود الذنب ، وانما يكون مذنباً اذا أمر فلم يأتمر أو نهي فلم ينته ، وذلك يكون بعد انذار الرسل ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ يعني في الثواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا فمنهم من هو أشد عذابا ، ومنهم من هو أجزل ثوابا ﴿ وما ربك بغافل عما يعملون ﴾ قرأ ابن عامر تعملون بالتاء والباقون بالياء ﴿ وربك الغني ﴾ عن خلقه ﴿ ذو الرحمة ﴾ قال ابن عباس : بأوليائه وأهل طاعته . وقال الكلبي : بخلقه ذو التجاوز ﴿ ان يشأ يذهبكم ﴾ يهلككم وعيد لأهل مكة ﴿ ويستخلف ﴾ ويخلف وينشيء من ﴿ بعدكم مايشاء ﴾

(كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أي هو قادر على ذلك سهل عليه يسير لديه كما أذهب القرون الأولى وأتى بالذي بعدها كذلك هو قادر على اذهاب هؤلاء والاتيان بآخرين كما قال تعالى (ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً) وقال تعالى (ياأيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز)

وقال تعالى (والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم) وقال محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة قال سمعت أبان بن عثمان يقول في هذه الآية (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) الذرية الاصل والذرية النسل وقوله تعالى (انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين) أي أخبرهم يامحمد أن الذي يوعدون به من أمر المعاد كائن لامحالة (وما أنتم بمعجزين) أي ولاتعجزون الله بل هو قادر على اعادتكم وإن صرتم ترابا رفاتا وعظاما هو قادر لايعجزه شيء ؛ وقال ابن أبي حاتم في تفسيرها حدثنا أبي حدثنا محمد بن المصفى حدثنا محمد بن حسين عن أبي بكر بن ابراهيم عن عطاء ابن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « يابني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين »

وقوله تعالى (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون) هذا تهديد شديد ووعيد أكيد أي استمروا على طريقتكم وناحيتكم إن كنتم تظنون انكم على هدى فأنا مستمر على طريقتي ومنهجي كقوله (وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا إنا منتظرون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (على مكانتكم) ناحيتكم (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لايفلح الظالمون) أي أتكون لي أو لكم وقد أنجز الله موعوده لرسوله صلوات الله عليه أي فانه تعالى مكنه في البلاد وحكمه في نواصي مخالفيه من العباد وفتح له مكة وأظهره على من كذبه من قومه وعاداه وناوأه واستقر أمره على سائر جزيرة العرب وكذلك اليمن والبحرين وكل ذلك في حياته ثم

خلقاً غيركم أمثل وأطوع ﴿ كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾ أي من نسل آبائهم الماضين قرنا بعد قرن ﴿ انما توعدون ﴾ أي ماتوعدون من مجيء الساعة والحشر ﴿ لآت ﴾ كائن ﴿ وماأنتم بمعجزين ﴾ أي بفائتين يعني يدركم الموت حيث ماكنتم ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ ياقوم اعملوا على مكانتكم ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع حيث كان أي على تمكنكم . قال عطاء : على حالاتكم التي أنتم عليها قال الزجاج : اعملوا على ماأنتم عليه ، يقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يافلان ، أي اثبت على ماأنت عليه وهذا أمر وعيد على المبالغة ، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ (قل لهم اعملوا على ماأنتم عاملون ﴿ اني عامل ﴾ ماأمرني به ربي عز وجل ﴿ فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ﴾ أي الجنة ، قرأ حمزة والكسائي يكون بالياء هنا وفي القصص ، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث العاقبة ﴿ انه لايفلح الظالمون ﴾ قال ابن عباس : معناه لايسعد من كفر بي وأشرك . قال الضحاك : لايفوز

فتحت الامصار والاقاليم والرساتيق بعد وفاته في أيام خلفائه رضي الله عنهم أجمعين كما قال الله تعالى (كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي ان الله قوي عزيز) وقال (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وقال تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) وقال تعالى اخبارا عن رسله (فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) وقال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا) الآية وقد فعل الله ذلك بهذه الامة المحمدية وله الحمد والمنة أولا وآخراً وظاهراً وباطنا

وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعٰم نصيباً فقالوا هٰذا لله بزعمهم وهٰذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلىٰ شركائهم ساء ما يحكمون (١٣٦)

هذا ذم وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بدعا وكفرا وشركا وجعلوا لله شركا وجزأ من خلقه وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى ولهذا قال تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ) أي مما خلق وبرأ (من الحرث) أي من الزرع والثمار (والانعام نصيبا) أي جزأ وقسما (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) وقوله (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) قال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس أنه قال في تفسير هذه الآية ان أعداء الله كانو اذا حرثوا حرثا أو

قوله عز وجل ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا ﴾ الآية ، كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم وسائر أموالهم نصيباً ، وللأوثان نصيباً فما جعلوه لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين ، وما جعلوه للاصنام أنفقوه على الاصنام وخدمها ، فان سقط شيء مما جعلوه لله تعالى في نصيب الاوثان تركوه وقالوا : إن الله غني عن هذا ، وإن سقط شيء من نصيب الاصنام فيما جعلوه لله ردوه إلى الاوثان وقالوا أنها محتاجة ، وكان اذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به ، واذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوا للاصنام جبروه بما جعلوه لله فذلك قوله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من خلق الحرث والانعام نصيبا) وفيه اختصار مجاز وجعلوا نصيبا ، ولشركائهم نصيبا ﴿ فقالوا هذا لله بزعمهم ﴾ قرأ الكسائي بزعمهم بضم الزاي والباقون بفتحها وهما لغتان وهو القول من غير حقيقة ﴿ وهذا لشركائنا ﴾ يعني الاوثان ﴿ فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ﴾ ومعناه ماقلنا أنهم كانوا يتمون ماجعلوا للاوثان مما جعلوه لله ، ولا يتمون

كانت لهم ثمرة جعلوا لله منه جزأ وللوثن جزأ فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الاوثان حفظوه وأحصوه وان سقط منه شيء فيما سمي للصمد ردوه الى ماجعلوه للوثن وان سبقهم الماء الذي جعلوه للوثن فسقى شيئا جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن وان سقط شيء من الحرث والثمرة التي جعلوها لله فاختلط بالذي جعلوه للوثن قالوا هـذا فقير ولم يردوه الى ماجعلوه لله وان سبقهم الماء الذي جعلوه لله فسقي ماسمي للوثن تركوه للوثن وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فيجعلونه للأوثان ويزعمون انهم يحرمونه قربة لله فقال الله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) الآية وهكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وغير واحد ، وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم في الآية كل شيء يجعلونه لله من ذبح يذبحونه لايأكلونه أبدا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه وقرأ الآية حتى بلغ (ساء مايحكمون) أي ساء مايقسمون فانهم اخطأوا أولا في القسم لان الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وخالقه وله الملك وكل شيء له وفي تصرفه وتحت قدرته ومشيئته لاإله غيره ولا رب سواه ثم لما قسموا فيما زعموا القسمة الفاسدة لم يحفظوها بل جاروا فيها كقوله جل وعلا (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) وقال تعالى (وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين) وقال تعالى (ألكم الذكر وله الانثى) وقوله (تلك إذاً قسمة ضيزى)

وكذلك زيَّنَ لكثير من المشركين قتلَ أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله مافعلوه فذرهم وما يفترون (١٣٧)

يقول تعالى وكما زينت الشياطين لهؤلاء أن يجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الاملاق ووأد البنات خشية العار، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم زينوا لهم قتل أولادهم وقال مجاهد شركاؤهم شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خشية العيلة

ماجعلوه لله مما جعلوه للاوثان . وقال قتادة : كانوا اذا أصابتهم سنة استعانوا بما جزؤا لله وأكلوا منه فوفروا ماجزؤا لشركائهم ولم يأكلوا منه ﴿ ساء مايحكمون ﴾ أي بئس مايقضون ﴿ وكذلك زين لكثير من المشركين ﴾ أي كما زين لهم تحريم الحرث والانعام كذلك زين لكثير من المشركين ﴿ قتل أولادهم شركاؤهم ﴾ قال مجاهد : شركاؤهم أي شياطينهم زينوا وحسنوا لهم وأد البنات خيفة العيلة سميت الشياطين شركاء لأنهم أطاعوهم في معصية الله ، وأضيف الشركاء اليهم لانهم اتخذوها . وقال الكلبي شركاؤهم سدنة آلهتهم الذين كانوا يزينون للكفار قتل الاولاد ، وكان الرجل منهم يحلف لئن ولد له

وقال السدي أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات واما ليردهم فيهلكوهم ، وأما ليلبسوا عليهم دينهم أي فيخلطون عليهم دينهم ونحو ذلك ، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقتادة وهذا كقوله تعالى (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به) الآية وكقوله (واذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت) وقد كانوا أيضاً يقتلون الاولاد من الاملاق وهو الفقر أو خشية الاملاق أن يحصل لهم في تلف المال وقد نهاهم عن قتل أولادهم لذلك وانما كان هذا كله من تزيين الشياطين وشرعهم ذلك ، قوله تعالى (ولوشاء الله مافعلوه) أي كل هذا واقع بمشيئته تعالى وإرادته واختياره لذلك كوناً وله الحكمة التامة في ذلك فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (فذرهم وما يفترون) أي فدعهم واجتنبهم وما هم فيه فسيحكم الله بينك وبينهم

وقالوا هذه أنعٰم وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعٰم حرمت ظهورها وأنعٰم لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه، سيجزيهم بما كانوا يفترون (١٣٨)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الحجر الحرام مما حرموا من الوصيلة وتحريم ماحرموا وكذلك قال مجاهد والضحاك والسدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما وقال قتادة (وقالوا هذه انعام وحرث حجر) تحريم كان عليهم من الشياطين في أموالهم وتغليظ وتشديد ولم يكن من الله تعالى ، وقال ابن زيد بن أسلم (حجر) إنما احتجروها لآلهتهم، وقال السدي (لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم) يقولون حرام أن يطعم الا من شئنا وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم

كذا غلاما لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله ، وقرأ ابن عامر زين بضم الزاي وكسر الياء، قتل رفع أولادهم نصب شركائهم بالخفض على التقديم كأنه قال : زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم فصل بين الفعل وفاعله بالمفعول به وهو الاولاد كما قال الشاعر

فزججته متمكناً زج القلوص أبي مزاده

أي زج أبي مزادة القلوص فأضيف الفعل وهو القتل إلى الشركاء وإن لم يتولوا ذلك لأنهم هم الذين زينوا ذلك ودعوا اليه فكأنهم فعلوه ، قوله عز وجل ﴿ ليردوهم ﴾ ليهلكوهم ﴿ وليلبسوا عليهم ﴾ ليخلطوا عليهم ﴿ دينهم ﴾ قال ابن عباس : ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين اسماعيل فرجعوا بلبس الشياطين ﴿ ولو شاء الله مافعلوه ﴾ أي لو شاء الله لعصمهم حتى مافعلوا ذلك من تحريم الحرث والانعام وقتل الاولاد ﴿ فذرهم ﴾ يامحمد ﴿ وما يفترون ﴾ يختلقون من الكذب فان الله تعالى بالمرصاد ﴿ وقالوا ﴾ يعني المشركين ﴿ هذه أنعام وحرث حجر ﴾ أي حرام يعني ماجعلوا لله ولآلهتهم من الحرث والانعام على مامضى ذكره . وقال مجاهد : يعني بالانعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿ لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ﴾ يعنون الرجال دون النساء ﴿ وأنعام حرمت

من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون) وكقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) وقال السدي أما الانعام التي حرمت ظهورها فهي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، واما الانعام التي لا يذكرون اسم الله عليها لا إذا ولدوها ولا إن نحروها. وقال ابو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال لي أبو وائل أتدري ما في قوله (وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها؟) قلت لا قال هي البحيرة كانوا لا يحجون عليها، وقال مجاهد كان من ابلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها لا إن ركبوا ولا ان حلبوا ولا إن حملوا ولا ان نتجوا ولا ان عملوا شيئاً (افتراء عليه) أي على الله وكذباً منهم في اسنادهم ذلك الى دين الله وشرعه فانه لم يأذن لهم في ذلك ولا رضيه منهم (سيجزيهم بما كانوا يفترون) أي عليه ويسندون اليه

وقالوا مافي بطون هذه الانعم خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم (١٣٩)

قال أبو اسحاق السبيعي عن عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس وقالوا (ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا) الآية قال اللبن وقال العوفي عن ابن عباس (وقالوا مافي بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا) فهو اللبن كانوا يحرمونه على اناثهم ويشربه ذكرانهم وكانت الشاة اذا ولدت ذكراً ذبحوه وكان للرجال دون النساء وان كانت انثى تركت فلم تذبح وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء فنهى الله عن ذلك. وكذا قال السدي وقال الشعبي البحيرة لا يأكل من لبنها الا الرجال وإن مات منها شيء اكله الرجال والنساء وكذا قال عكرمة وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقال مجاهد في قوله (وقالوا مافي بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) قال هي السائبة والبحيرة وقال أبو العالية ومجاهد وقتادة في

ظهورها ﴾ يعني الحوامي كانوا لا يركبونها ﴿ وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ﴾ أي يذبحونها باسم الاصنام لا باسم الله . وقال أبو وائل : معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لأنه لما جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير عبر بذكر الله تعالى عن فعل الخير ﴿ افتراء عليه ﴾ يعني أنهم يفعلون ذلك ويزعمون أن الله أمرهم به افتراء ﴿ سيجزيهم بما كانوا يفترون * وقالوا مافي بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴾ أي نسائنا . قال ابن عباس وقتادة والشعبي : أراد أجنة البحائر والسوائب فما ولد منها حياً فهو خالص للرجال دون النساء ، وما ولد ميتاً أكله الرجال والنساء جميعاً ، وأدخل الهاء في الخالصة للتأكيد كالخاصة والعامة كقولهم نسابة وعلامة . وقال الفراء رحمه الله : أدخلت الهاء لتأنيث الانعام لأن مافي بطونها مثلها فأنث لتأنيثها . وقال الكسائي : خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة ﴿ وإن يكن ميتة ﴾ قرأ ابن عامر وأبو جعفر تكن بالتاء ميتة رفع

قول الله (سيجزيهم وصفهم) أي قولهم الكذب في ذلك يعني كقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع) الآية (انه حكيم) أي في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره (عليم) باعمال عباده من خير وشر وسيجزيهم عليها أتم الجزاء

قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين (١٤٠)

يقول تعالى قد خسر الذين فعلوا هذه الافاعيل في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم وضيقوا عليهم في أموالهم فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم وأما في الآخرة فيصيرون الى أسوأ المنازل بكذبهم على الله وافترائهم كقوله (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون* متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن احمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن أيوب حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) وهكذا رواه البخاري منفرداً في كتاب مناقب قريش من صحيحه عن أبي النعمان محمد بن الفضل عارم عن أبي عوانة واسمه الوضاح بن عبد الله اليشكري عن أبي بشر واسمه جعفر بن ابي وحشية بن اياس به

ذكر الفعل بعلامة التأنيث لأن الميتة في اللفظ مؤنثة ، وقرأ أبو بكر عن عاصم تكن بالتاء ميتة نصب أي وإن تكن الاجنة ميتة ، وقرأ ابن كثير وإن يكن بالياء ميتة رفع لأن المراد بالميتة الميت ، أي وإن يقع مافي البطون ميتاً ، وقرأ الآخرون وإن يكن بالياء ميتة نصب رده إلى ما ، أي وإن يكن مافي البطون ميتة يدل عليه أنه قال ﴿ فهم فيه شركاء ﴾ ولم يقل فيها ، وأراد أن الرجال والنساء فيه شركاء ﴿ سيجزيهم وصفهم ﴾ أي بوصفهم أو على وصفهم الكذب على الله ﴿ انه حكيم عليم * قد خسر الذين قتلوا أولادهم ﴾ قرأ ابن عامر وابن كثير قتلوا بتشديد التاء على التكثير ، وقرأ الآخرون بالتخفيف ﴿ سفهاً ﴾ جهلا ﴿ بغير علم ﴾ نزلت في ربيعة ومضر وبعض من العرب من غيرهم كانوا يدفنون البنات أحياء مخافة السبي والفقر ، وكان بنو كنانة لا يفعلون ذلك ﴿ وحرموا مارزقهم الله ﴾ يعني البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿ افتراء على الله ﴾ حيث قالوا إن الله أمرهم بها ﴿ قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾

وهو الذي أنشأ جنّٰت معروشٰت وغير معروشٰت والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشٰبهاً وغير متشٰبه، كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين(١٤١) ومن الأنعٰم حمولةً وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوٰت الشيطٰن إنه لكم عدو مبين (١٤٢)

يقول تعالى مبيناً أنه الخالق لكل شيء من الزروع والثمار والانعام التي تصرف فيها هؤلاء المشركون بآرائهم الفاسدة وقسموها وجزؤوها فجعلوا منها حراما وحلالا فقال (وهوالذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس معروشات مسموكات وفي رواية فالمعروشات ماعرش الناس وغير معروشات ماخرج في البر والجبال من الثمرات، وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس معروشات ماعرش من الكرم وغير معروشات مالم يعرش من الكرم وكذا قال السدي وقال ابن جريج متشابها وغير متشابه قال متشابها في المنظر وغير متشابه في المطعم وقال محمد بن كعب (كلوا من ثمره اذا أثمر) قال من رطبه وعنبه، وقوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) قال ابن جرير قال بعضهم هي الزكاة المفروضة حدثنا عمرو حدثنا عبدالصمد حدثنا يزيد بن درهم قال سمعت أنس ابن مالك يقول (وآتوا حقه يوم حصاده) قال الزكاة المفروضة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وآتوا حقه يوم حصاده) يعني الزكاة المفروضة يوم يكال ويعلم كيله وكذا قال سعيد بن المسيب، وقال العوفي عن ابن عباس (وآتوا حقه يوم حصاده) وذلك ان الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده لم يخرج مما حصد شيئاً فقال الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) وذلك أن يعلم ماكيله وحقه من كل عشرة واحد وما يلقط الناس من سنبله، وقد روى الامام أحمد وأبوداود في سننه من حديث محمد بن اسحاق حدثني محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع بن حبان عن جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ أمر من كل جاذ عشرة أوسق من التمر بقنو يعلق في المسجد للمساكين وهذا إسناد جيد قوي، وقال طاوس وأبو الشعثاء

قوله تعالى ﴿ وهو الذي أنشأ جنات ﴾ بساتين ﴿ معروشات وغير معروشات ﴾ أي مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات . وقال ابن عباس : معروشات ماانبسط على وجه الارض فانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ وغيرها ، وغير معروشات ماقام على ساق ونسق مثل النخل والزرع وسائر الاشجار . وقال الضحاك . كلاهما من الكرم خاصة منها ماعرش ومنها مالم يعرش ﴿ والنخل والزرع ﴾ أي وأنشأ النخل والزرع ﴿ مختلفاً أكله ﴾ ثمره وطعمه ، منها الحلو والحامض ، والجيد والردي، ﴿ والزيتون والرمان متشابهاً ﴾ في المنظر ﴿ وغير متشابه ﴾ في المطعم مثل الرمانتين لونهما واحد والطعم مختلف ﴿ كلوا من ثمره اذا أثمر ﴾ هذا أمر اباحة ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾

قول الله (سيجزيهم وصفهم) أي قولهم الكذب في ذلك يعني كقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع) الآية (انه حكيم) أي في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره (عليم) باعمال عباده من خير وشر وسيجزيهم عليها أتم الجزاء

قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين (١٤٠)

يقول تعالى قد خسر الذين فعلوا هذه الافاعيل في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم وضيقوا عليهم في أموالهم فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم وأما في الآخرة فيصيرون الى أسوأ المنازل بكذبهم على الله وافترائهم كقوله (ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون* متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن احمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن أيوب حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) وهكذا رواه البخارى منفرداً في كتاب مناقب قريش من صحيحه عن أبي النعمان محمد بن الفضل عارم عن أبي عوانة واسمه الوضاح بن عبد الله اليشكري عن أبي بشر واسمه جعفر بن ابي وحشية بن اياس به

ذكر الفعل بعلامة التأنيث لأن الميتة في اللفظ مؤنثة ، وقرأ أبو بكر عن عاصم تكن بالتاء ميتة نصب أي وإن تكن الاجنة ميتة ، وقرأ ابن كثير وإن يكن بالياء ميتة رفع لأن المراد بالميتة الميت ، أي وإن يقع مافي البطون ميتاً ، وقرأ الآخرون وإن يكن بالياء ميتة نصب رده إلى ما ، أي وإن يكن مافي البطون ميتة يدل عليه أنه قال ﴿ فهم فيه شركاء ﴾ ولم يقل فيها ، وأراد أن الرجال والنساء فيه شركاء ﴿ سيجزيهم وصفهم ﴾ أي بوصفهم أو على وصفهم الكذب على الله ﴿ انه حكيم عليم * قد خسر الذين قتلوا أولادهم ﴾ قرأ ابن عامر وابن كثير قتلوا بتشديد التاء على التكثير ، وقرأ الآخرون بالتخفيف ﴿ سفهاً ﴾ جهلا ﴿ بغير علم ﴾ نزلت في ربيعة ومضر وبعض من العرب من غيرهم كانوا يدفنون البنات أحياء مخافة السبي والفقر ، وكان بنو كنانة لا يفعلون ذلك ﴿ وحرموا مارزقهم الله ﴾ يعني البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿ افتراء على الله ﴾ حيث قالوا إن الله أمرهم بها ﴿ قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾

وهو الذي أنشأ جنّٰت معروشٰت وغير معروشٰت والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشبها وغير متشبه، كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (١٤١) ومن الأنعٰم حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوٰت الشيطٰن إنه لكم عدو مبين (١٤٢)

يقول تعالى مبيناً أنه الخالق لكل شيء من الزروع والثمار والانعام التي تصرف فيها هؤلاء المشركون بآرائهم الفاسدة وقسموها وجزؤوها فجعلوا منها حراما وحلالا فقال (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس معروشات مسموكات وفي رواية فالمعروشات ماعرش الناس وغير معروشات ماخرج في البر والجبال من الثمرات، وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس معروشات ماعرش من الكرم وغير معروشات مالم يعرش من الكرم وكذا قال السدي وقال ابن جريج متشابها وغير متشابه قال متشابها في المنظر وغير متشابه في المطعم وقال محمد بن كعب (كلوا من ثمره اذا أثمر) قال من رطبه وعنبه، وقوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) قال ابن جرير قال بعضهم هي الزكاة المفروضة حدثنا عمرو حدثنا عبدالصمد حدثنا يزيد بن درهم قال سمعت أنس ابن مالك يقول (وآتوا حقه يوم حصاده) قال الزكاة المفروضة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وآتوا حقه يوم حصاده) يعني الزكاة المفروضة يوم يكال ويعلم كيله وكذا قال سعيد بن المسيب، وقال العوفي عن ابن عباس (وآتوا حقه يوم حصاده) وذلك ان الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده لم يخرج مما حصد شيئاً فقال الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) وذلك أن يعلم ما كيله وحقه من كل عشرة واحد وما يلقط الناس من سنبله، وقد روى الامام أحمد وأبو داود في سننه من حديث محمد بن اسحاق حدثني محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع بن حبان عن جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ أمر من كل جاذ عشرة أوسق من التمر بقنو يعلق في المسجد للمساكين وهذا إسناد جيد قوي، وقال طاوس وأبو الشعثاء

قوله تعالى ﴿ وهو الذي أنشأ جنات ﴾ بساتين ﴿ معروشات وغير معروشات ﴾ أي مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات . وقال ابن عباس : معروشات ماانبسط على وجه الارض فانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ وغيرها ، وغير معروشات ماقام على ساق ونسق مثل النخل والزرع وسائر الاشجار . وقال الضحاك . كلاهما من الكرم خاصة منها ماعرش ومنها مالم يعرش ﴿ والنخل والزرع ﴾ أي وأنشأ النخل والزرع ﴿ مختلفاً أكله ﴾ ثمره وطعمه ، منها الحلو والحامض والجيد والردي، ﴿ والزيتون والرمان متشابهاً ﴾ في المنظر ﴿ وغير متشابه ﴾ في المطعم مثل الرمانتين لونهما واحد والطعم مختلف ﴿ كلوا من ثمره اذا أثمر ﴾ هـذا أمر اباحة ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾

وقتادة والحسن والضحاك وابن جريج هي الزكاة ، وقال الحسن البصري هي الصدقة من الحب والثمار وكذا قال ابن زيد بن أسلم وقال آخرون هو حق آخر سوى الزكاة وقال أشعث عن محمد بن سيرين ونافع عن ابن عمر في قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) قال كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة رواه ابن مردويه وروى عبد الله بن المبارك وغيره عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح في قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) قال يعطى من حضره يومئذ ماتيسر وليس بالزكاة وقال مجاهد اذا حضرك المساكين طرحت لهم منه وقال عبد الرزاق عن ابن قتيبة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (وآتوا حقه يوم حصاده) قال عند الزرع يعطي القبضة وعند الصرام يعطي القبضة ويتركهم فيتبعون آثار الصرام ، وقال الثوري عن حماد عن ابراهيم النخعي قال يعطي مثل الضغث وقال ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير (وآتوا حقه يوم حصاده) قال كان هذا قبل الزكاة للمساكين القبضة والضغث لعلف دابته وفي حديث ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعاً (وآتوا حقه يوم حصاده) قال (ما سقط من السنبل) رواه ابن مردويه وقال آخرون هذا شيء كان واجباً ثم نسخه الله بالعشر أو نصف العشر حكاه ابن جرير عن ابن عباس ومحمد ابن الحنفية وابراهيم النخعي والحسن والسدي وعطية العوفي وغيرهم واختاره ابن جرير رحمه الله ، قلت وفي تسمية هذا نسخا نظر لانه قد كان شيئاً واجبا في الاصل ثم انه فصل بيانه وبين مقدار المخرج وكميته قالوا وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة فالله أعلم ، وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة «ن» (إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فاصبحت كالصريم) اي كالليل المدلهم سوداء محترقة (فتنادوا مصبحين * أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين * فانطلقوا وهم يتخافتون * أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين * وغدوا على حرد) أي قوة وجلد وهمة (قادرين * فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون * قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون * قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون * قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها انا الى ربنا راغبون * كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

قرأ أهل البصرة وابن عامر وعاصم حصاده بفتح الحاء وقرأ الآخرون بكسرها ومعناهما واحد كالصرام ، والصرام والجداد والجذاذ ، واختلفوا في هذا الحق فقال ابن عباس وطاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب انها الزكاة المفروضة من العشر ونصف العشر . وقال علي بن الحسين وعطاء ومجاهد وحماد والحكم هو حق في المال سوى الزكاة أمر باتيانه لأن الآية مكية وفرضت الزكاة بالمدينة . قال ابراهيم : هو الضغث . وقال الربيع : لقاط السنبل . وقال مجاهد : كانوا يعلقون العذق عند الصرام فيأكل منه من مر . وقال يزيد بن الاصم : كان أهل المدينة اذا أصرموا يجيئون بالعذق فيعلقونه في جانب المسجد فيجيء المسكين يضربه بعصاه فيسقط منه فيأخذه . وقال سعيد

وقوله تعالى (ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين) قيل معناه لاتسرفوا في الاعطاء فتعطوا فوق المعروف، وقال أبوالعالية كانوا يعطون يوم الحصاد شيئاً ثم تباروا فيه وأسرفوا فأنزل الله (ولا تسرفوا) وقال ابن جريج نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جذ نخلا له فقال لا يأتيني اليوم أحد الا أطعمته فاطعم حتى أمسى وليست له ثمرة فأنزل الله تعالى (ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين) رواه ابن جرير عنه وقال ابن جريج عن عطاء نهوا عن السرف في كل شيء ، وقال اياس بن معاوية ماجاوزت به أمر الله فهو سرف، وقال السدي في قوله ولا تسرفوا قال لا تعطوا أموالكم فتقعدوا فقراء ، وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن كعب في قوله (ولا تسرفوا) قال لا تمنعوا الصدقة فتعصوا ربكم، ثم اختار ابن جرير قول عطاء أنه نهي عن الاسراف في كل شيء ولاشك أنه صحيح لكن الظاهر والله أعلم من سياق الآية حيث قال تعالى (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا) أن يكون عائداً على الأكل أي لاتسرفوا في الاكل لما فيه من مضرة العقل والبدن كقوله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) الآية، وفي صحيح البخاري تعليقاً «كلوا واشربوا والبسوا من غير اسراف ولا مخيلة» وهذا من هذا والله أعلم وقوله عز وجل (ومن الانعام حمولة وفرشا) أي وأنشأ لكم من الانعام ماهو حمولة وماهو فرش قيل المراد بالحمولة مايحمل عليه من الابل والفرش الصغار منها كما قال الثوري عن أبي اسحاق عن أبي الاحوص عن عبدالله في قوله حمولة ماحمل عليه من الابل وفرشا الصغار من الابل رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وقال ابن عباس الحمولة هي الكبار والفرش

ابن جبير : كان هذا حقاً يؤمر باتيانه في ابتداء الاسلام فصار منسوخا بايجاب العشر . قال مقسم عن ابن عباس : نسخت الزكاة كل نفقة في القرآن ﴿ ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين ﴾ قيل أراد بالاسراف اعطاء الكل . قال ابن عباس في رواية الكلبي : عمد ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة وقسمها في يوم واحد ولم يترك لأهله شيئاً فأنزل الله تعالى هذه الآية . قال السدي : لاتسرفوا أي لاتعطوا أموالكم فتقعدوا فقراء . قال الزجاج : على هذا اذا أعطى الانسان كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئاً فقد أسرف لأنه جاء في الخبر « ابدأ بمن تعول » وقال سعيد بن المسيب : معناه لاتمنعوا الصدقة فتأويل هذه الآية على هذا لاتتجاوزوا الحد في البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة . وقال مقاتل : لاتشركوا الاصنام في الحرث والانعام . وقال الزهري : لاتنفقوا في المعصية . وقال مجاهد : الاسراف ماقصرت به عن حق الله عز وجل وقال : لو كان أبوقبيس ذهباً لرجل فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفا ، ولو أنفق درهما أو مداً في معصية الله كان مسرفا[1] وقال إياس بن معاوية : ماجاوزت به أمر الله فهو سرف واسراف ، وروى ابن وهب عن أبي زيد قال الخطاب للسلاطين يقول : لاتأخذوا فوق حقكم

قوله عز وجل ﴿ ومن الانعام ﴾ أي وأنشأ من الانعام ﴿ حمولة ﴾ وهي كل مايحمل عليها من

«١» ومن المعصية أن يضيع أو يؤخر حقاً عليه لعياله أو غيرهم من أصحاب الحقوق الخاصة بسبب النفقة على من لا حق لهم عليه

الصغار من الابل وكذا قال مجاهد . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ومن الانعام حمولة وفرشا) أما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه وأما الفرش فالغنم واختاره ابن جرير قال وأحسبه إنما سمي فرشاً لدنوه من الارض ، وقال الربيع بن أنس والحسن والضحاك وقتادة وغيره الحمولة الابل والبقر والفرش الغنم ، وقال السدي أما الحمولة فالابل وأما الفرش فالفصلان والعجاجيل والغنم وما حمل عليه فهو حمولة وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم الحمولة ماتركبون والفرش ما تأكلون وتحلبون : شاة لاتحمل تأكلون لحمها وتتخذون من صوفها لحافا وفرشا وهذا الذي قاله عبد الرحمن في تفسير هذه الآية الكريمة حسن يشهد له قوله تعالى (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) وقال تعالى (وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغا للشاربين) إلى أن قال (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين) وقال تعالى (الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون * ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون) وقوله تعالى (كلوا مما رزقكم الله) أي من الثمار والزروع والانعام فكلها خلقها الله وجعلها رزقا لكم (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي طريقه وأوامره كما اتبعها المشركون الذين حرموا مارزقهم الله أي من الثمار والزروع افتراء على الله (انه لكم) أي ان الشيطان أيها الناس لكم (عدومبين) اي مبين ظاهر العداوة كما قال (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال تعالى (يابني آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) الآية وقال تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) والآيات في هذا كثيرة في القرآن

ثَمٰنِيَةَ أَزْوٰجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ ؟ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصّٰكُمُ اللَّهُ بِهٰذَا ؟ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِينَ (١٤٤)

الابل ﴿ وفرشاً ﴾ وهي الصغار من الابل التي لاتحمل ﴿ كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ لاتسلكوا طريقه وآثاره في تحريم الحرث والانعام ﴿ إنه لكم عدو مبين ﴾ ثم بين الحمولة والفرش فقال ﴿ ثمانية أزواج ﴾ نصبها على البدل من الحمولة والفرش ، أي وأنشأ من الانعام ثمانية

هذا بيان لجهل العرب قبل الاسلام فيما كانوا حرموا من الانعام وجعلوها أجزاء وأنواعا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاما وغير ذلك من الانواع التي ابتدعوها في الانعام والزروع والثمار فبين تعالى أنه أنشأ جنات معروشات، وغير معروشات وأنه أنشأ من الانعام حمولة وفرشا، ثم بين أصناف الانعام الى غنم وهو بياض وهو الضأن وسواد وهو المعز[1] ذكره وأنثاه والى ابل ذكورها وإناثها وبقر كذلك وأنه تعالى لم يحرم شيئا من ذلك ولا شيئا من أولادها بل كلها مخلوقة لبني آدم أكلا وركوبا وحمولة وحلبا وغير ذلك من وجوه المنافع كما قال (وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج) الآية وقوله تعالى (أما اشتملت عليه أرحام الانثيين) رد عليهم في قولهم (مافي بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) الآية وقوله تعالى (نبئوني بعلم إن كنتم صادقين) أي اخبروني عن يقين كيف حرم الله عليكم مازعمتم تحريمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام[2] ونحو ذلك . وقال العوفي عن ابن عباس قوله (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) فهذه أربعة أزواج (قل آلذكرين حرم أم الانثيين) يقول لم أحرم شيئا من ذلك (أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين) يعني هل يشتمل الرحم إلا على ذكر أو انثى فلم تحرمون بعضا وتحلون بعضا؟ [نبئوني بعلم إن كنتم صادقين]

«١» ليس كل الضأن أبيض ولا كل المعز أسود وليس في الآية ذكر للبياض والسواد

«٢» الحامي من الحماية يقولون حمى ظهره أن يركب فيكتب معرفاً بالياء

أزواج أصناف﴿ من الضأن اثنين ﴾ أي الذكر والانثى ، فالذكر زوج والانثى زوج ، والعرب تسمي الواحد زوجاً اذا كان لاينفك عن الآخر ، والضأن النعاج وهي ذوات الصوف من الغنم ، والواحد ضائن ، والانثى ضائنة ، والجمع ضوائن ﴿ ومن المعز اثنين ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأهل البصرة من المعز بفتح العين والباقون بسكونها والمعز والمعزى جمع لاواحد له من لفظه وهي ذوات الشعر من الغنم ، وجمع الماعز معزى، وجمع الماعزة مواعز ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ آلذكرين حرم ﴾ الله عليكم يعني ذكر الضأن والمعز ﴿ أم الانثيين ﴾ يعني أنثى الضأن والمعز ﴿ أم مااشتملت عليه أرحام الانثيين ﴾ منهما فانها لاتشتمل إلا على ذكر أو أنثى ﴿ نبئوني ﴾أخبروني ﴿ بعلم ﴾ قال الزجاج : فسروا ماحرمتم بعلم ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ ان الله تعالى حرم هذا

﴿ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أم مااشتملت عليه أرحام الانثيين﴾ وذلك أنهم كانوا يقولون هذه انعام وحرث حجر وقالوا : مافي بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء . وبعضها على النساء دون الرجال ، فلما قام الاسلام وثبت الاحكام جادلوا النبي ﷺ وكان خطيبهم مالك بن عوف أبو الاحوص الجشمي قالوا يامحمد : بلغنا أنك تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلونه . فقال لهم رسول الله ﷺ « انكم قد حرمتم أصنافا من النعم على غير أصل . وانما خلق الله هذه الازواج الثمانية للأكل والانتفاع بها ، فمن أين جاء هذا التحريم من قبل الذكر أم من قبل الانثى » فسكت مالك بن عوف وتحير فلم يتكلم . فلو قال جاء هذا التحريم بسبب الذكورة وجب

يقول تعالى كله حلال وقوله تعالى [أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا] تهكم بهم فيما ابتدعوه وافتروه على الله من تحريم ماحرموه من ذلك [فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم] أي لا أحد أظلم منه [إن الله لا يهدي القوم الظالمين] وأول من دخل في هذه الآية عمرو بن لحي بن قمعة لأنه أول من غير دين الانبياء، وأول من سيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحامي كما ثبت ذلك في الصحيح

قل لا أجد في مآ أُوحي اليّ محرَّماً على طاعمٍ يَطعمُهُ إلا أن يكون ميتةً أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أُهِلَّ لغير الله به فمن اضطُرَّ غير باغ ولا عاد فإنّ ربَّكَ غفور رحيم (١٤٥)

يقول تعالى آمراً عبده ورسوله محمداً ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء الذين حرموا مارزقهم الله افتراء على الله، [لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه] أي آكل يأكله قيل معناه لا أجد شيئا مما حرمتم حراما سوى هذه وقيل معناه لا أجد من الحيوانات شيئا حراما سوى هذه فعلى هذا يكون ماورد من التحريمات بعد هذا في سورة المائدة وفي الاحاديث الواردة رافعا لمفهوم هذه الآية [١] ومن الناس من يسمي هذا نسخا والاكثرون من المتأخرين لايسمونه نسخاً لانه من باب رفع مباح الاصل والله أعلم، وقال العوفي عن ابن عباس (أو دما مسفوحا) يعني المهراق، وقال عكرمة في قوله (أو دما مسفوحا) لولا هذه الآية لتتبع الناس مافي العروق كما تتبعه اليهود، وقال حماد عن عمران بن جرير قال سألت أبا مجلز عن الدم ومايتلطخ من الذبيح من الرأس وعن القدر يرى فيها الحمرة فقال إنما

أن يحرم جميع الذكور، وإن كان بسبب الانوثة وجب أن يحرم جميع الاناث، وإن كان باشتمال الرحم عليه فينبغي أن يحرم الكل لأن الرحم لايشتمل إلا على ذكر أو أنثى، فأما تخصيص التحريم بالولد الخامس والسابع، أو بالبعض دون البعض فمن أين ؟ ويروى أن النبي ﷺ قال لمالك «مالك يامالك لاتتكلم» قال له مالك : بل تكلم وأنا أسمع منك ﴿ أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا ؟ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ؟﴾ قيل أراد به عمرو بن لحي ومن جاء بعده على طريقته ﴿ إن الله لايهدي القوم الظالمين ﴾ ثم بين أن التحريم والتحليل يكون بالوحي والتنزيل فقال

﴿ قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرما ﴾ أي شيئاً محرما، وروي أنهم قالوا : فما المحرم اذاً ؟ فنزل (قل) يامحمد (لا أجد فيما أوحي إليّ محرما) ﴿ على طاعم يطعمه ﴾ آكل يأكله ﴿ إلا أن يكون ميتة ﴾ قرأ ابن عامر وأبو جعفر تكون بالتاء ميتة رفع أي إلا أن تقع ميتة ، وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء ميتة نصب على تقدير اسم مؤنث، أي إلا أن تكون النفس أي الجثة ميتة ، وقرأ الباقون بالياء ميتة نصب، يعني إلا أن يكون المطعوم ميتة ﴿ أو دما مسفوحا ﴾ أي مهراقا سائلا . قال ابن عباس

«١» في هذا الكلام أغلاط منها إن حصر المحرمات فيما ذكر يدل على إباحة غيرها بالمنطوق لا بالمفهوم ومنها أن المائدة ليس فيها محرمات زائدة عما هنا وإنما فيها تفصيل في الميتة بادخال المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وأكيلة السبع فيها إذا تم موتها بغير تذكية . وأما منهيات الأحاديث كسباع الوحش والطير ولحم الحمر الأهلية فحمل النهي مالك على الكراهة ليتفق مع هذه الآية وما في معناها في البقرة والمائدة. ومافي بعض الروايات من لفظ التحريم محمول على الرواية بمعنى ما فهم الراوي . ومن يقول بنسخ السنة للقرآن لا يأبى القول بنسخ الآيات على تأكيد بعضها لبعض بصيغتي الحصر والتحقيق عند مجوزي ذلك أنه لم يقع إلا بسنة متواترة، وأين هي ؟

نهى الله عن الدم المسفوح وقال قتادة حرم من الدماء ما كان مسفوحا فاما اللحم خالطه الدم فلا بأس به ، وقال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت لاترى بلحوم السباع بأسا والحمرة والدم يكونان على القدر وقرأت هذه الآية صحيح غريب

وقال الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال قلت لجابر بن عبدالله انهم يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحمر الاهلية زمن خيبر فقال قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو عن رسول الله ﷺ ولكن أبى ذلك البحر يعني ابن عباس وقرأ (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه) الآية وكذا رواه البخاري عن علي بن المديني عن سفيان به، وأخرجه أبوداود من حديث ابن جريج عن عمرو بن دينار ورواه الحاكم في مستدركه مع انه في صحيح البخاري كما رأيت، وقال أبو بكر بن مردويه والحاكم في مستدركه حدثنا محمد بن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا محمد بن شريك عن عمر بن دينار عن أبي الشعثاء عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا فبعث الله نبيه وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه فما أحل فهو حلال وماحرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو وقرأ هذه الآية (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه) الآية وهذا لفظ بن مردويه ورواه أبوداود منفردآبه عن محمد بن داود بن صبيح عن أبي نعيم به وقال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت يارسول الله ماتت فلانة تعني الشاة قال « فلم لا أخذتم مسكها » قالت نأخذ مسك شاة قد ماتت فقال لها رسول الله ﷺ « إنما قال الله (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مفسوحا أو لحم خنزير) وانكم لاتطعمونه ان تدبغوه

يريد ماخرج من الحيوان وهن أحياء ، وما يخرج من الاوداج عند الذبح ولا يدخل فيه الكبد والطحال لانهما جامدان وقد جاء الشرع باباحتها ، ولا مااختلط باللحم من الدم لأنه غير سائل . قال عمران بن جرير : سألت أبا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها حمرة الدم فقال لابأس به انما نهي عن الدم المسفوح . وقال ابراهيم : لابأس بالدم في عرق أو مخ إلا المسفوح الذي يعمد ذلك . وقال عكرمة : لولا هذه الآية لاتبع المسلمون من العروق ماتتبع اليهود ﴿ أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به ﴾ وهو ماذبح على غير اسم الله تعالى فذهب بعض أهل العلم إلى أن التحريم مقصور على هذه الاشياء، يروى ذلك عن عائشة وابن عباس قالوا : ويدخل في الميتة المنخنقة والموقوذة وما ذكر في أول سورة المائدة وأكثر العلماء على أن التحريم لايختص بهذه الاشياء ، بل المحرم بنص الكتاب ماذكر هنا وذلك معنى قوله تعالى (قل لا أجد فيما أوحي إلي

فتنتفعوا به » فأرسلت فسلخت مسكها فاتخذت منه قربة حتى تخرقت عندها » رواه أحمد ورواه البخاري والنسائي من حديث الشعبي عن عكرمة عن ابن عباس عن سودة بنت زمعة بذلك أو نحوه وقال سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز بن حجر عن عيسى ابن نميلة الفزاري عن أبيه قال كنت عند ابن عمر فسأله رجل عن أكل القنفذ فقرأ عليه (قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه) الآية فقال شيخ عنده سمعت أبا هريرة يقول ذكر عند النبي ﷺ فقال « خبيث من الخبائث » فقال ابن عمر: ان كان النبي ﷺ قاله فهو كما قال، ورواه أبو داود عن أبي ثور عن سعيد بن منصور به

وقوله تعالى (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) أي فمن اضطر الى أكل شيء مما حرم الله في هذه الآية الكريمة وهو غير متلبس ببغي ولا عدوان (فان ربك غفور رحيم) أي غفور له رحيم به وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة بما فيه كفاية والغرض من سياق هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه من تحريم المحرمات على أنفسهم بآرائهم الفاسدة من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك فأمر رسوله أن يخبرهم انه لا يجد فيما أوحاه الله اليه ان ذلك محرم وانما حرم ما ذكر في هذه الآية من الميتة والدم والمسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وما عدا ذلك فلم يحرم وانما هو عفو مسكوت عنه فكيف تزعمون أنتم انه حرام ومن أين حرمتموه ولم يحرمه الله؟ وعلى هذا فلا يبقى تحريم أشياء أخر فيما بعد هذا كما جاء النهي عن لحوم الحمر الاهلية ولحوم السباع وكل ذي مخلب من الطير على المشهور من مذاهب العلماء [1]

[1] لكنها مكروهة للنهي عنها فلا يحسن أن تؤكل مع وجود ما يغني عنها

محرما) وقد حرمت السنة أشياء يجب القول بها منها ما أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر ثنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج قال ثنا عبيد الله ابن معاذ العنبري أخبرنا أبي أنا شعبة عن الحكم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع » وكل ذي مخلب من الطير

أخبرنا أبو الحسن السرخسي ثنا زاهر بن احمد ثنا أبو اسحاق الهاشمي ثنا أبو مصعب عن مالك عن اسماعيل بن أبي حكيم عن عبيدة بن سفيان الحضرمي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « أكل كل ذي ناب من السباع حرام » والاصل عند الشافعي أن ما لم يرد فيه نص تحريم أو تحليل فان كان مما أمر الشرع بقتله كما قال « خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم » أو نهى عن قتله كما روي أنه نهى عن قطع النحلة وقتل النملة » فهو حرام - وما سوى ذلك فالمرجع فيه إلى الاغلب من عادات العرب فما يأكله الاغلب منهم فهو حلال ، وما لا يأكله الاغلب منهم فهو حرام لأن الله تعالى خاطبهم بقوله (اليوم أحل لكم الطيبات) فثبت أن ما استطابوه فهو حلال ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم ﴾ أباح الله أكل هذه المحرمات عند الاضطرار في غير العدوان

وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم. ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصدقون(١٤٦)

قال ابن جرير يقول تعالى وحرمنا على اليهود كل ذي ظفر وهو البهائم والطير مالم يكن مشقوق الاصابع كالابل والنعام والاوز والبط قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) وهو البعير والنعامة وكذا قال مجاهد والسدي في رواية وقال سعيد بن جبير هو الذي ليس منفرج الاصابع وفي رواية عنه كل متفرق الاصابع ومنه الديك وقال قتادة في قوله (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) وكان يقال البعير والنعامة وأشياء من الطير والحيتان وفي رواية البعير والنعامة وحرم عليهم من الطير البط وشبهه وكل شيء ليس بمشقوق الاصابع، وقال ابن جريج عن مجاهد كل ذي ظفر قال النعامة والبعير شقاشقا قلت للقاسم بن أبي بزة وحدثته ماشقاشقا؟ قال كل مالا ينفرج من قوائم البهائم قال وما انفرج أكلته قال انفرجت قوائم البهائم والعصافير قال فيهود تأكله قال ولم تنفرج قائمة البعير — خفه — ولا خف النعامة ولا قائمة الوز فلا تأكل اليهود الابل ولا النعامة ولا الوز ولا كل شيء لم تنفرج قائمته ولا تأكل حمار الوحش، وقوله تعالى (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) قال السدي يعني الثرب[1] وشحم الكليتين وكانت اليهود تقول انه حرمه اسرائيل فنحن نحرمه وكذا قال ابن زيد، وقال قتادة الثرب وكل شحم كان كذلك ليس في عظم، وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس (الا ماحملت ظهورهما) يعني ماعلق بالظهر من الشحوم، وقال السدي وأبو صالح الألية مما حملت ظهورهما وقوله تعالى (أو الحوايا) قال الامام أبو جعفر بن جرير الحوايا جمع واحدها حاوياء وحاوية وحوية وهو ماتحوّى من البطن فاجتمع واستدار وهي بنات اللبن وهي المباعر وتسمى المرابض وفيها الامعاء، قال ومعنى الكلام : ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ماحملت ظهورهما وما حملت الحوايا . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أو الحوايا وهي المبعر وقال مجاهد الحوايا المبعر والمربض وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك وقتادة وأبو مالك والسدي وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وغير واحد الحوايا المرابض التي تكون فيها الامعاء، تكون وسطها

«١» الثرب بالفتح الشحم الذي على الكرش والامعاء

قوله عز وجل ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا ﴾ يعني اليهود ﴿ كل ذي ظفر ﴾ وهو مالم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطير مثل البعير والنعامة والاوز والبط . قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب ، وحكاه عن بعض المفسرين سمى الحافر ظفراً على الاستعارة ﴿ ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما ﴾ يعني شحوم الجوف وهي الثروب وشحم الكليتين ﴿ إلا ماحملت ظهورهما ﴾ أي إلا ماعلق بالظهر والجنب من داخل بطونهما ﴿ أو الحوايا ﴾ وهي المباعر واحدتها

وهي بنات اللبن وهي في كلام العرب تدعى المرابض ، وقوله تعالى (أو مااختلط بعظم) يعنى إلا مااختلط من الشحوم بعظم فقد أحللناه لهم . وقال ابن جريج شحم الالية مااختلط بالعصعص فهو حلال وكل شيء في القوائم والجنب والرأس والعين وما اختلط بعظم فهو حلال ونحوه قاله السدي وقوله تعالى (ذلك جزيناهم ببغيهم) أي هذا التضييق إنما فعلناه بهم وألزمناهم به مجازاة على بغيهم ومخالفتهم أوامرنا كما قال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً) وقوله (وانا لصادقون) أي وانا لعادلون فيما جازيناهم به وقال ابن جرير وإنا لصادقون فيما أخبرناك به يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم لا كما زعموا من أن اسرائيل هو الذي حرمه على نفسه والله أعلم وقال عبدالله بن عباس بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن سمرة باع خمراً فقال قاتل الله سمرة ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها » أخرجاه من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس عن عمر به وقال الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب قال، قال عطاء بن أبي رباح سمعت جابر بن عبدالله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول عام الفتح إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يارسول الله أرأيت شحوم الميتة فانها يدهن بها الجلود وتطلى بها السفن ويستصبح بها الناس فقال « لاهو حرام » ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك « قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه وأكلوا ثمنه » رواه الجماعة من طرق عن يزيد بن أبي حبيب به . وقال الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها » ورواه البخاري ومسلم جميعا عن عبدان عن ابن المبارك عن يونس عن الزهري به . وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبدالله بن ابراهيم حدثنا اسماعيل بن اسحاق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا وهيب حدثنا خالد الحذاء عن بركة أبي الوليد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان قاعداً خلف المقام فرفع بصره إلى السماء فقال « لعن الله

حاوية وحوية أي ماحملته الحوايا من الشحم ﴿ أو ما اختلط بعظم ﴾ يعني شحم الالية هذا كله داخل في الاستثناء والتحريم مختص بالثرب وشحم الكلية . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة أنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح وهو بمكة « إن الله ورسوله حرما بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام » قيل يارسول الله : أرأيت شحوم الميتة فانه يطلى بها السفن ، ويدهن بها الجلود ، ويستضيء بها الناس فقال « لا هو حرام » ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك « قاتل الله اليهود » إن الله عز وجل لما حرم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه ﴿ ذلك جزيناهم ﴾ أي ذلك التحريم عقوبة لهم ﴿ ببغيهم ﴾ أي بظلمهم من قتلهم الانبياء وصدهم عن سبيل الله وأخذهم الربا واستحلال أموال الناس بالباطل

اليهود ثلاثا إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها وإن الله لم يحرم على قوم أكل شيء الا حرم عليهم ثمنه » وقال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم أنبأنا خالد الحذاء عن بركة أبي الوليد أنبأنا ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ قاعداً في المسجد مستقبلا الحجر فنظر إلى السماء فضحك فقال « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وان الله اذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه » ورواه أبو داود من حديث خالد الحذاء، وقال الاعمش عن جامع بن شداد عن كلثوم عن أسامة بن زيد قال دخلنا على رسول الله ﷺ وهو مريض نعوده فوجدناه نائما قد غطى وجهه ببرد عدني فكشف عن وجهه وقال « لعن الله اليهود يحرمون شحوم الغنم ويأكلون أثمانها » وفي رواية « حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها » وفي لفظ لأبي داود عن ابن عباس مرفوعا « ان الله اذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه »

فإن كذَّبوكَ فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يُرَدُّ بأسُهُ عن القوم المجرمين (١٤٧)

يقول تعالى فان كذبك يا محمد مخالفوك من المشركين واليهود ومن شابههم فقل (ربكم ذو رحمة واسعة) وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة واتباع رسوله (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) ترهيب لهم في مخالفتهم الرسول خاتم النبيين وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن كما قال تعالى في آخر هذه السورة (ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) وقال (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب) وقال تعالى (نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وان عذابي هو العذاب الاليم) وقال تعالى (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) وقال (ان بطش ربك لشديد * انه هو يبديء ويعيد * وهو الغفور الودود) والآيات في هذا كثيرة جداً

سيقول الذين أشركوا لو شاء اللهُ ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتىٰ ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون (١٤٨) قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهدىٰكم أجمعين (١٤٩) قل هلمَّ شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا، فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون (١٥٠)

﴿ وإنا لصادقون ﴾ في الاخبار عما حرمنا عليهم وعن بغيهم

﴿ فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ﴾ بتأخير العذاب عنكم ﴿ ولا يرد بأسه ﴾ عذابه ﴿ عن القوم المجرمين ﴾ اذا جاء وقته ﴿ سيقول الذين أشركوا ﴾ لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه

هذه مناظرة ذكرها الله تعالى وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ماحرموا فان الله مطلع على ماهم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الايمان و يحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره فدل على أنه بمشيئته وارادته ورضاه منا بذلك ولهـذا قالوا (لوشاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولاحرمنا من شيء) كما في قوله تعالى (وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم)الآية وكذلك الآية التي في النحل مثـل هذه سواء قال الله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم) أي بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء وهي حجة داحضة باطلة لانها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ودمر عليهم وأدال عليهم رسله الكرام وأذاق المشركين من أليم الانتقام(قل هل عندكم من علم

من الشرك بالله وتحريم مالم يحرمه الله قالوا ﴿ لو شاء الله ماأشركنا ﴾ نحن ﴿ ولا آباؤنا ﴾ من قبل ﴿ ولا حرمنامن شيء ﴾ من البحائر والسوائب وغيرهما أرادوا أن يجعلوا قوله (لو شاء الله ماأشركنا) حجة لهم على اقامتهم على الشرك وقالوا :إن الله تعالى قادر على أن يحول بيننا وبين مانحن عليه حتى لانفعله فلولا أنه رضي بما نحن عليه وأراده منا وأمرنا به لحال بيننا وبين ذلك فقال الله تعالى تكذيباً لهم ﴿ كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ من كفار الامم الخالية ﴿حتى ذاقوا بأسنا ﴾ عذابنا ،ويستدل أهل القدر بهذه الآية يقولون انهم لما قالوا : لو شاء الله ماأشركنا كذبهم الله ورد عليهم فقال (كذلك كذب الذين من قبلهم) قلناالتكذيب ليس في قولهم : لو شاء الله ماأشركنا ، بل ذلك القول صدق ولكن في قولهم إن الله تعالى أمرنا بها ورضي بما نحن عليـه كما أخبر عنهم في سورة الاعراف (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) فالرد عليهم في هذا كما قال تعالى (قل إن الله لايأمر بالفحشاء) والدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لافي قولهم : لو شاء الله ما أشركنا ، قوله (كذلك كذب الذين من قبلهم) بالتشديد ، ولو كان ذلك خبراً من الله عز وجل عن كذبهم في قولهم: لو شاء الله ماأشركنا لقال : كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف،فكان نسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب . وقال الحسن بن الفضل : لو ذكروا هذه المقالة تعظيما واجلالا لله عز وجل ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك لأن الله تعالى قال (ولو شاء الله ما أشركوا) وقال(وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) والمؤمنون يقولون ذلك ولكنهم قالوه تكذيباً وتخرصاً وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون . نظيره قوله عز وجل (وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم) قال الله تعالى (مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) وقيل في معنى الآية أنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة إلا أنهم كانوا يعدونه عذراً لأنفسهم ، ويجعـلونه حجة لأنفسهم في ترك الايمان ، ورد عليهم في هـذا لأن أمر الله بمعزل عن مشيئته وارادته فانه مريد لجميع الكائنات غـير آمر بجميع مايريد وعلى العبـد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته، فان مشيئته لاتكون عذراً لأحد ﴿ قل هل عندكم من علم ﴾ أي كتاب وحجة من الله

أي بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه (فتخرجوه لنا) أي فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه (إن تتبعون الا الظن) أي الوهم والخيال والمراد بالظن ههنا الاعتقاد الفاسد (وان أنتم الا تخرصون) تكذبون على الله فيما ادعيتموه ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولو شاء الله ما أشركنا وقال (كذلك كذب الذين من قبلهم) ثم قال (ولو شاء الله ما أشركوا) فانهم قالوا عبادتنا الآلهة تقربنا الى الله زلفى فأخبرهم الله أنها لاتقربهم فقوله (ولو شاء الله ما أشركوا) يقول تعالى لوشئت لجمعتهم على الهدى أجمعين ، وقوله تعالى (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) يقول تعالى لنبيه ﷺ (قل) لهم يامحمد [فلله الحجة البالغة] أي له الحكمة التامة والحجة البالغة في هداية من هدى واضلال من ضل [فلو شاء لهداكم أجمعين] فكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ويبغض الكافرين كما قال تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) وقال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض) وقوله (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) قال الضحاك لاحجة لأحد عصى الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده وقوله تعالى (قل هلم شهداءكم) أي أحضروا شهداءكم (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أي هذا الذي حرمتموه وكذبتم وافتريتم على الله فيه (فان شهدوا فلاتشهد معهم) أي لأنهم انما يشهدون والحالة هذه كذبا وزوراً (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لايؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) أي يشركون به ويجعلون له عديلا

قل تعالَوا أتلُ ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا . وبالوالدين إحسانا . ولا تقتلوا أولٰدكم من إملٰق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفوٰحش ما ظهر منها وما بطن . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذٰلكم وصّٰكم به لعلكم تعقلون (١٥١)

﴿ فتخرجوه لنا ﴾ حتى يظهر ماتدعون على الله تعالي من الشرك وتحريم ماحرمتموه ﴿ إن تتبعون ﴾ ماتتبعون فيما أنتم عليه ﴿ إلا الظن ﴾ من غير علم ويقين ﴿ وإن أنتم إلا تخرصون ﴾ تكذبون ﴿ قل فلله الحجة البالغة ﴾ التامة على خلقه بالكتاب والرسول والبيان ﴿ فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ فهذا يدل على انه لم يشأ ايمان الكافر ولوشاء لهداه ﴿ قل هلم ﴾ يقال للواحد والاثنين والجمع هلم ﴿ شهداءكم الذين يشهدون ﴾ أي ائتوا بشهدائكم الذين يشهدون ﴿ أن الله حرم هذا ﴾ هذا راجع الى ماتقدم من تحريمهم الاشياء على أنفسهم ودعواهم ان الله أمرهم به ﴿ فان شهدوا ﴾ وهم كاذبون ﴿ فلاتشهد ﴾ أنت ﴿ معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ﴾ أي يشركون

قوله عز وجل ﴿ قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئا ﴾ وذلك ان المشركين

قال داود الاودي عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال من أراد أن ينظر الى وصية رسول الله ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً — الى قوله — لعلكم تتقون) وقال الحاكم في مستدركه حدثنا بكر بن محمد الصيرفي بمرو حدثنا عبد الصمد بن الفضل حدثنا مالك بن اسماعيل المهدي حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن عبد الله بن خليفة قال سمعت ابن عباس يقول في الانعام آيات محكمات هن أم الكتاب ثم قرأ (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم) الآيات ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه. قلت ورواه زهير وقيس بن الربيع كلاهما عن أبي اسحاق عن عبدالله بن قيس عن ابن عباس به والله أعلم. وروى الحاكم أيضاً في مسنده من حديث يزيد بن هارون عن سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي ادريس عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ « أيكم يبايعنى على ثلاث » ثم تلا رسول الله ﷺ (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم) حتى فرغ من الآيات «فمن وفى فأجره على الله ومن انتقص منهن شيئاً فأدركه الله به في الدنيا كانت عقوبته ومن أخر الى الآخرة فأمره الى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه » ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه(١) وانما اتفقا على حديث الزهري عن أبي أدريس عن أبي عوانة «بايعوني على أن لاتشركوا بالله شيئاً» الحديث، وقد روى سفيان بن حسين كلا الحديثين فلا ينبغي أن ينسب الى الوهم في أحد الحديثين إذا جمع بينهما والله أعلم.

وأما تفسيرها فيقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله وحرموا مارزقهم الله وقتلوا أولادهم وكل ذلك فعلوه بآرائهم وتسويل الشياطين لهم (قل) لهم (تعالوا) أي هلموا واقبلوا (أتل ماحرم ربكم عليكم) أي اقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقاً لاتخرصا ولا ظنا بل وحياً منه وأمراً من عنده (ألا تشركوا به شيئاً) وكأن في الكلام محذوفا دل عليه السياق وتقديره وأوصاكم (ألا تشركوا به شيئاً) ولهذا قال في آخر الآية (ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) وكما قال الشاعر

حج وأوصى بسليمى الاعبدا * أن لاترى ولا تكلمْ أحداً * ولا يزلْ شرابها مبرداً

وتقول العرب أمرتك أن لاتقوم وفي الصحيحين من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لايشرك بالله شيئاً من أمتك دخل الجنة قلت وان زنى وإن سرق ؟ قال وإن زنى وإن سرق، قلت وان زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق ، قلت وان زنى وان سرق وإن شرب الخمر؟ قال وإن زنى وان سرق وإن شرب الخمر» وفي بعض الروايات

«١» لكنه غير صحيح المعنى فالوصايا في الآية خمس لا ثلاث على أنها نزلت مع مابعدها من الوصايا بل نزلت السورة كلها دفعة واحدة.

سألوا وقالوا : أي شيء حرم الله تعالى ؟فقال عز وجل (قل تعالوا أتل) أقرأ (ماحرم ربكم عليكم) حقا ويقينا لاظناو كذبا كما تزعمون ،فان قيل : مامعنى قوله (حرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئاً) والمحرم هو الشرك لا ترك الشرك ؟ قيل موضع (ان) رفع معناه هو أن لاتشركوا . وقيل محله نصب

أن قائل ذلك انما هو أبو ذر لرسول الله ﷺ وأنه عليه الصلاة والسلام قال في الثالثة «وان رغم أنف أبي ذر» فكان أبو ذر يقول بعد تمام الحديث «وان رغم أنف أبي ذر» وفي بعض المسانيد والسنن عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى (يا ابن آدم انك مادعوتني ورجوتني فاني أغفر لك على ماكان منك ولا أبالي ولو أتيتني بقراب الارض خطيئة أتيتك بقرابها مغفرة مالم تشرك بي شيئاً ، وان أخطأت حتى تبلغ خطاياك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك . ولهذا شاهد في القرآن قال الله تعالى (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود « من مات لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة) والآيات والاحاديث في هذا كثيرة جداً ، وروى ابن مردويه من حديث عبادة وابي الدرداء « لاتشركوا بالله شيئا وان قطعتم أو صلبتم أوحرقتم » وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثني سيار بن عبدالرحمن عن يزيد بن قوذر عن سلمة بن شريح عن عبادة بن الصامت قال أوصانا رسول الله ﷺ بسبع خصال « ألا تشركوا بالله شيئاً وان حرقتم وقطعتم وصلبتم » رواه ابن أبي حاتم . وقوله تعالى (وبالوالدين احساناً)أي وأوصاكم وأمركم بالوالدين احسانا أي أن تحسنوا اليهم كما قال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) وقرأ بعضهم « ووصى ربك ألا تعبدوا الا إياه وبالوالدين احساناً » أي احسنوا اليهم والله تعالى كثيراً مايقرن بين طاعته وبر الوالدين كما قال (أن اشكر لي ولوالديك الى المصير * وان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون) فأمر بالاحسان اليهما وان كانا مشركين بحسبهما وقال تعالى (وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لاتعبدون الا الله وبالوالدين احسانا) الآية والآيات في هذا كثيرة[1] وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل ؟ قال «الصلاة على وقتها» قلت ثم أي ؟ قال « برّ الوالدين » قلت ثم أي؟ قال «الجهاد في سبيل الله» قال ابن مسعود حدثني بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادني وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده عن أبي الدرداء وعن عبادة بن الصامت كل منهما يقول أوصاني خليلي رسول الله ﷺ « أطع والديك وان أمراك أن تخرج لهما من الدنيا فافعل » ولكن في اسناديهما ضعف والله أعلم .

وقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) لما أوصى تعالى بالوالدين[2]

واختلفوا في وجه انتصابه قيل معناه حرم عليكم أن تشركوا و(لا)صلة كقوله تعالى (مامنعك أن لاتسجد) أي منعك أن تسجد . وقيل تم الكلام عند قوله (حرم ربكم) ثم قال (عليكم أن لاتشركوا به شيئاً) على وجه الاغراء ، قال الزجاج يجوز أن يكون هذا محمولا على المعنى أي أتل عليكم تحريم الشرك . وجائز أن يكون على معني أوصيكم ألا تشركوا ﴿ وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق ﴾ فقر

«١» أي الآيات في الوصية بالوالدين متعددة منها ٣ بلفظ (ووصينا الانسان بوالديه) و٤ بلفظ (وبالوالدين إحسانا ذكرت هنا الآية النساء(واعبدوا الله ولاتشركوا به وبالوالدين إحسانا

«٢» في الازهرية: بر الآباء الخ

والاجداد عطف على ذلك الاحسان إلى الابناء والاحفاد فقال تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك فكانوا يئدون البنات خشية العار وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار ولهذا ورد في الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم ؟ قال «أن تجعل لله ندا وهو خلقك» قلت ثم أي ؟ قال «ان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت ثم أي ؟ قال «ان تزاني حليلة جارك» ثم تلا رسول الله ﷺ (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون) الآية وقوله تعالى (من إملاق) قال ابن عباس وقتادة والسدي وغيره هو الفقر أي ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل، وقال في سورة الاسراء [ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق] أي لا تقتلوهم خوفا من الفقر في الآجل ولهذا قال هناك (نحن نرزقهم وإياكم) فبدأ برزقهم للاهتمام بهم أي لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله وأما هنا فلما كان الفقر حاصلا قال نحن (نرزقكم وإياهم) لانه الاهم ههنا والله أعلم، وقوله تعالى (ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن) كقوله تعالى (قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وقد تقدم تفسيرها في قوله تعالى (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن» وقال عبدالملك بن عمير عن وراد عن مولاه المغيرة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت مع امرأتي رجلا لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال «أتعجبون من غيرة سعد؟ فوالله لأنا أغير من سعد والله أغير مني من أجل ذلك حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن» أخرجاه وقال كامل أبو العلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قيل يارسول الله انا نغار قال «والله اني لاغار والله أغير مني ومن غيرته نهى عن الفواحش» رواه ابن مردويه ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وهو على شرط الترمذي فقد روى بهذا السند «أعمار أمتي مابين الستين الى السبعين»

وقوله تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) وهذا مما نص تبارك وتعالى عن النهي عنه تأكيدا والا فهو داخل في النهي عن الفواحش ماظهر منها وما بطن فقد جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي

﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾ أي لا تئدوا بناتكم خشية العيلة فاني رازقكم وإياهم ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ ماظهر يعني العلانية ومابطن يعني السر . وكان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به بأساً في السر فحرم الله تعالى الزنا في العلانية والسر . وقال الضحاك (ماظهر) الخمر (ومابطن) الزنا ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ حرم الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد (إلا بالحق) إلا بما أبيح قتله من ردة أو قصاص أو زنا يوجب الرجم أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي ثنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري ثنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الاعمش

الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لا يحل دم امريء مسلم يشهد أن لا إله الا الله وأني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة» وفي لفظ لمسلم «والذي لا إله غيره لا يحل دم رجل مسلم» وذكره قال الاعمش فحدثت به ابراهيم فحدثني عن الاسود عن عائشة بمثله وروى أبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال «لا يحل دم امريء مسلم إلا باحدى ثلاث خصال: زان محصن يرجم، ورجل قتل متعمدا فيقتل. ورجل يخرج من الاسلام وحارب الله ورسوله فيقتل أو يصلب أو ينفى من الارض» وهذا لفظ النسائي وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو محصور سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يحل دم امريء مسلم إلا باحدى ثلاث: رجل كفر بعد اسلامه، أو زنى بعد احصانه، أو قتل نفسا بغير نفس» فوالله ما زنيت في جاهلية ولا اسلام، ولا تمنيت أن لي بديني بدلا منه بعد اذ هداني الله، ولا قتلت نفسا، فبم تقتلوني رواه الامام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن، وقد جاء النهي والزجر والوعيد في قتل المعاهد وهو المستأمن من أهل الحرب فروى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ مرفوعا «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما» وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا» رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح، وقوله (ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) أي هذا مما وصاكم به لعلكم تعقلون عن الله أمره ونهيه

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتىٰ يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، لا نكلف نفساً إلا وسعها، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربىٰ، وبعهد الله أوفوا، ذٰلكم وصّٰكم به لعلكم تذكّرون (١٥٢)

قال عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أنزل الله (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) (وإن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) الآية فانطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله ويفسد فاشتد ذلك

عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يحل دم امريء يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا باحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة» ﴿ ذلكم ﴾ الذي ذكرت ﴿ وصاكم به ﴾ أمركم به ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ يعني بما فيه صلاحه وتثميره. وقال مجاهد هو التجارة فيه.

عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله (ويسئلونك عن اليتامى قل أصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم)قال فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم رواه أبوداود ، وقوله تعالى (حتى يبلغ أشده) قال الشعبي ومالك وغير واحد من السلف يعني حتى يحتلم وقال السدي حتى يبلغ ثلاثين سنة وقيل أربعون سنة وقيل ستون سنة قال وهذا كله بعيد ههنا والله أعلم، وقوله تعالى(وأوفوا الكيل والميزان بالقسط)يأمر تعالى باقامة العدل في الاخذ والاعطاء كما توعد على تركه في قوله تعالى(ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) وقد أهلك الله أمة من الامم كانوا يبخسون المكيال والميزان وفي كتاب الجامع لابي عيسى الترمذي من حديث الحسين بن قيس أبي علي الرحبي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لاصحاب الكيل والميزان « انكم وليتم أمراً هلكت فيه الامم السالفة قبلكم » ثم قال لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث الحسين وهو ضعيف في الحديث : وقد روى باسناد صحيح عن ابن عباس موقوفا ،قلت وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن الاعمش عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «انكم معشر الموالي قد بشركم الله بخصلتين بها هلكت القرون المتقدمة المكيال والميزان » وقوله تبارك وتعالى (لا نكلف نفسا الا وسعها)أي من اجتهد في اداء الحق وأخذه فان أخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه وقد روى ابن مردويه من حديث بقية عن ميسرة بن عبيد عن عمرو بن ميمون بن مهران عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية (أوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها) فقال من أوفى على يده في الكيل والميزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما لم يؤاخذ وذلك تأويل وسعها هذا مرسل غريب وقوله(واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) كقوله

وقال الضحاك هو أن يبتغي له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئاً ﴿ حتى يبلغ أشده ﴾ قال الشعبي ومالك الاشد الحلم حتى يكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات . قال أبو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته . وقال الكلبي الاشد مابين الثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة . وقيل الى أربعين سنة وقيل الى ستين سنة . وقال الضحاك عشرون سنة . وقال السدي ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلاث وثلاثون سنة . والاشد جمع شد مثل قد وأقد وهو استحكام قوة شبابه وسنه ومنه شد النهار وهو ارتفاعه وقيل بلوغ الاشد أن يؤنس رشده بعد البلوغ . وتقدير الآية ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن على الابد حتى يبلغ أشده فادفعوا اليه ماله ان كان رشيداً ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ﴾ بالعدل ﴿ لا نكلف نفساً الا وسعها ﴾ أي طاقتها في ايفاء الكيل والميزان ،لم يكلف المعطي أكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل أمر كل واحد منهما بما يسعه مما لا حرج عليه فيه ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ﴾ فاصدقوا في الحكم والشهادة ﴿ ولو كان ذا قربى ﴾ ولو كان المحكوم والمشهود

(ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط)الآية وكذا التي تشبهها في سورة النساء يأمر تعالى بالعدل في الفعال والمقال على القريب والبعيد والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد في كل وقت وفي كل حال، وقوله (وبعهد الله أوفوا)قال ابن جرير يقول وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا و إيفاء لذلك بأن تطيعوه فيما أمركم ونهاكم وتعملوا بكتابه وسنة رسوله وذلك هو الوفاء بعهد الله (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) يقول تعالى هذا أوصاكم به وأمركم به وأكد عليكم فيه(لعلكم تذكرون) أي تتعظون وتنتهون مما كنتم فيه قبل هذا وقرأ بعضهم بتشديد الذال وآخرون بتخفيفها

وأن هٰذا صرٰطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذٰلكم وصٰكم به لعلكم تتقون (١٥٣)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وفي قوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ونحو هذا في القرآن قال أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة وأخبرهم انه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد

وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا الاسود بن عامر شاذان حدثنا أبو بكر هو ابن عياش عن عاصم هو ابن أبي النجود عن أبي وائل عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال « هذا سبيل الله مستقيما » وخط عن يمينه وشماله ثم قال « هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو اليه » ثم قرأ (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)وكذا رواه الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبي بكر بن عياش به وقال صحيح ولم يخرجاه، وهكذا رواه أبو جعفر الرازي وورقاء وعمرو بن أبي قيس عن عاصم عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود مرفوعا به نحوه، وكذا رواه يزيد بن هارون ومسدد والنسائي عن يحيى بن حبيب بن عربي وابن حبان من حديث ابن وهب أربعتهم عن حماد بن زيد عن عاصم عن أبي وائل عن بن مسعود به ،وكذا رواه ابن جرير عن المثنى عن الحماني عن حماد بن زيد به ،ورواه الحاكم

عليه ذاقرابة ﴿وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ تتعظون . قرأ حمزة والكسائي وحفص (تذكرون) خفيفة الذال في كل القرآن والآخرون بتشديدها . قال ابن عباس هذه الآيات محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شيء وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار ﴿ وأن هذا ﴾ أي الذي وصاكم به في هاتين الآيتين ﴿ صراطي ﴾ طريقي وديني ﴿مستقيما﴾ مستويا قويما ﴿فاتبعوه﴾ قرأ حمزه والكسائي (وان) بكسر الالف على الاستئناف وقرأ الآخرون بفتح الالف قال الفراء والمعنى وأتل عليكم ان هذا صراطي مستقيما وقرأ ابن عامر ويعقوب

عن أبي بكر بن اسحاق عن اسماعيل بن اسحاق القاضي عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد به كذلك وقال صحيح ولم يخرجاه ، وقد روى هذا الحديث النسائي والحاكم من حديث أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود به مرفوعا ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث يحيى الحماني عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر به فقد صححه الحاكم كما رأيت من الطريقين ولعل هذا الحديث عن عاصم بن أبي النجود عن زر وعن أبي وائل شقيق بن سلمة كلاهما عن ابن مسعود به والله أعلم . وقال الحاكم وشاهد هذا الحديث حديث الشعبي عن جابر من غير وجه معتمد . يشير الى الحديث الذي قال الامام أحمد وعبد بن حميد واللفظ لأحمد حدثنا عبدالله بن محمد وهو أبو بكر بن أبي شيبة أنبأنا أبو خالد الاحمر عن مجاهد عن الشعبي عن جابر قال كنا جلوسا عند النبي ﷺ فخط خطاً هكذا أمامه فقال « هذا سبيل الله » وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال « هذه سبل الشيطان » ثم وضع يده في الخط الاوسط ثم تلا هذه الآية (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ورواه أحمد وابن ماجه في كتاب السنة من سننه والبزار عن أبي سعيد عبد الله بن سعيد عن أبي خالد الاحمر به ، قلت ورواه الحافظ ابن مردويه من طريقين عن أبي سعيد الكندي حدثنا أبو خالد عن مجاهد عن الشعبي عن جابر قال خط رسول الله ﷺ خطاً وخط عن يمينه خطاً وخط عن يساره خطاً ووضع يده على الخط الاوسط وتلا هذه الآية (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه) ولكن العمدة على حديث ابن مسعود مع ما فيه من الاختلاف ان كان مؤثراً ، وقد روي موقوفا عليه قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الاعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبان بن عثمان أن رجلا قال لابن مسعود ما الصراط المستقيم ؟ قال تركنا محمد ﷺ في أدناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد ثم رجال يدعون من مر بهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به الى الجنة ثم قرأ ابن مسعود (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) الآية وقال ابن مردويه حدثنا أبو عمرو حدثنا محمد بن عبد الوهاب حدثنا آدم حدثنا اسماعيل بن عياش حدثنا أبان بن عياش

بسكون النون ﴿ ولا تتبعوا السبل ﴾ اي الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل وقيل الاهواء والبدع ﴿فتفرق ﴾ فتميل ﴿بكم﴾ وتتشتت ﴿عن سبيله﴾ عن طريقه ودينه الذي ارتضى وبه اوصى ﴿ ذلكم ﴾ الذي ذكرنا ﴿ وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ اخبرنا ابو بكر محمد بن عبدالصمد الترابي المعروف بأبي بكر بن الهيثم أخبرنا الحاكم أبوالفضل محمد بن الحسين الحدادي ثنا أبو بكر محمد بن يحيى بن خالد ثنا أبو يعقوب اسحق بن ابراهيم الحنظلي ثنا عبدالرحمن بن مهدي عن حماد

عن مسلم بن أبي عمران عن عبد الله بن عمر سأل عبد الله عن الصراط المستقيم فقال ابن مسعود تركنا محمد ﷺ في أدناه وطرفه في الجنة وذكر تمام الحديث كما تقدم والله أعلم

وقد روي من حديث النواس بن سمعان نحوه قال الامام أحمد حدثني الحسن بن سوار أبو العلاء حدثنا ليث يعني ابن سعد عن معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ قال « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعن جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها النـاس ادخـلوا الصراط المستقيم جميعا ولا تفرقوا وداع يدعو من فوق الصراط فاذا أراد الانسان أن يفتح شيئاً من تلك الابواب قال ويحك لاتفتحه فانك ان تفتحه تلجه فالصراط الاسلام والسوران حدود الله والابواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم » ورواه الترمذي والنسائي عن علي بن حجر زاد النسائي وعمرو بن عثمان كلاهما عن بقية بن الوليد عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان به ؛ وقال الترمذي حسـن غريب وقوله تعالى (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) انما وحد سبيله لان الحق واحدولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها كما قال تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي إدريس الخولاني عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ « أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث » ثم تلا (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم) حتى فرغ من ثلاث آيات ثم قال « ومن وفي بهن فأجره على الله ومن انتقص منهن شيئاً فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته ومن أخره الى الآخرة كان أمره الى الله ان شاء أخذه وإن شاء عفا عنه »

ثم آتينا موسى الكتٰب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون (١٥٤) وهذا كتٰب أنزلنه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون (١٥٥)

قال ابن جرير (ثم آتينا موسى الـكتاب) تقـديره ثم قل يامحمد مخبراً عنا بأنا آتينا موسى

ابن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله قال : خط رسول الله ﷺ خطا ثم قال « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال « هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ـ ثم قرأ ـ (وأن صراطي مستقيما فاتبعوه) » الآية

قوله عز وجل ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب ﴾ فان قيل : لم قال ثم آتينا وحرف ثم للتعقيب وإيتاء موسى الكتاب كان قبل مجيء القرآن ؟ قيل معناه : ثم أخبركم أنا آتينا موسى الكتاب فأدخل ثم لتأخير

الكتاب بدلالة قوله (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم) قلت وفي هذا نظر وثم ههنا انما هي لعطف الخبر بعد الخبر لاللترتيب ههنا كما قال الشاعر

قل لمن ساد ثم ساد أبوه * ثم من قبل ذلك قد ساد جده

وههنا لما أخبر الله سبحانه عن القرآن بقوله (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه) عطف بمدح التوراة ورسولها فقال (ثم آتينا موسى الكتاب) وكثيراً مايقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة كقوله تعالى (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا) وقوله أول هذه السورة (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً) الآية وبعدها (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) الآية وقال تعالى مخبرا عن المشركين (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ماأوتي موسى) قال تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون) وقال تعالى مخبراً عن الجن انهم قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق) الآية ، وقوله تعالى (تماما على الذي أحسن وتفصيلا) أي آتيناه الكتاب الذي أنزلناه اليه تماما كاملا جامعا لما يحتاج اليه في شريعته كقوله (وكتبنا له في الالواح من كل شيء) الآية وقوله تعالى (على الذي أحسن) أي جزاء على إحسانه في العمل وقيامه بأوامرنا وطاعتنا كقوله (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) وكقوله (واذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما) وكقوله (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن) يقول أحسن فيما أعطاه الله وقال قتادة من أحسن في الدنيا تمم له ذلك في الآخرة واختار ابن جرير أن تقديره (ثم آتينا موسى الكتاب تماما) على إحسانه فكأنه جعل الذي مصدرية كما قيل في قوله تعالى (وخضتم كالذي خاضوا) أي كخوضهم وقال ابن رواحة

وثبت الله ما آتاك من حسن * في المرسلين ونصرا كالذي نصروا

وقال آخرون الذي ههنا بمعنى الذين قال ابن جرير وذكر عن عبد الله بن مسعود انه كان

الخبر لا لتأخير النزول ﴿ تماما على الذي أحسن ﴾ اختلفوا فيه قيل تماما على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من أي على من أحسن من قومه وكان منهم محسن ومسيء يدل عليه قراءة ابن مسعود : على الذين أحسنوا . وقال أبو عبيدة معناه على كل من أحسن أي أتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين يعني أظهرنا فضله عليهم ، والمحسنون هم الانبياء والمؤمنون ، وقيل الذي أحسن هو موسى و (الذي) بمعنى ما أي على ما أحسن موسى . تقديره : آتيناه الكتاب يعني التوراة اتماماً عليه للنعمة لاحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الامر ، وقيل الاحسان بمعنى العلم وأحسن بمعنى علم ومعناه تماما على الذي

يقرؤها تماما على الذي أحسنوا، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد تماما على الذي أحسن قال على المؤمنين والمحسنين و كذا قال أبو عبيدة وقال البغوي المحسنون الانبياء والمؤمنون يعني أظهرنا فضله عليهم قلت كقوله تعالى (قال ياموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) ولا يلزم اصطفاؤه على محمد ﷺ خاتم الانبياء والخليل عليهما السلام لأدلة أخرى قال ابن جرير وروى أبو عمرو بن العلاء عن يحيى ابن يعمر انه كان يقرؤها تماما على الذي أحسن رفعا بتأويل على الذي هو أحسن قال وهذه قراءة لا استجيز القراءة بها وإن كان لها في العربية وجه صحيح ، وقيل معناه تماما على احسان الله اليه زيادة على ما أحسن اليه حكاه ابن جرير والبغوي ولا منافاة بينه وبين القول الاول وبه جمع ابن جرير كما بيناه ولله الحمد، وقوله تعالى (وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة) فيه مدح لكتابه الذي أنزله الله عليه (لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) فيه الدعوة الى اتباع القرآن يرغب سبحانه عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة اليه ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة لانه حبل الله المتين

أن تقولوا إنما أنزل الكتب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغفلين (١٥٦) أو تقولوا لو أنّا أنزل علينا الكتب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذّب بآيت الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آيتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون (١٥٧)

قال ابن جرير معناه وهذا كتاب أنزلناه لئلا تقولوا (إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) يعني لينقطع عذركم كقوله تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك) الآية وقوله تعالى (على طائفتين من قبلنا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هم اليهود والنصارى وكذا قال مجاهد والسدي وقتادة وغير واحد وقوله (وإن كنا عن دراستهم

أحسن موسى من العلم والحكمة أي آتيناه الكتاب زيادة على ذلك وقيل معناه تماما مني على احساني الى موسى ﴿وتفصيلا﴾ بيانا ﴿لكل شيء﴾ يحتاج اليه من شرائع الدين ﴿وهدى ورحمة﴾ هذا في صفة التوراة ﴿لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون﴾ قال ابن عباس كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب ﴿ وهذا ﴾ يعني القرآن ﴿ كتاب أنزلناه ﴾ اليك ﴿مبارك فاتبعوه﴾ فاعملوا بما فيه ﴿واتقوا﴾ وأطيعوا ﴿لعلكم ترحمون أن تقولوا ﴾ يعني لئلا تقولوا كقوله تعالى (يبين لكم أن تضلوا) أي لئلا تضلوا . وقيل معناه أنزلناه كراهة أن تضلوا أن تقولوا . قال الكسائي معناه واتقوا أن تقولوا يا أهل مكة ﴿ إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿ وان كنا﴾ وقد كنا ﴿ عن دراستهم﴾ قراءتهم ﴿ لغافلين ﴾

لغافلين) أي وما كنا نفهم مايقولون لانهم ليسوا بلساننا ونحن في غفلة وشغل مع ذلك عما هم فيه وقوله (أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لـكنا أهدى منهم) أى وقطعنا تعللكم أن تقولوا (لو أنا أنزل علينا ماأنزل عليهم لـكنا أهدى منهم فيما أوتوه كقوله (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم) الآية وهكذا قال ههنا (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) يقول فقد جاءكم من الله على لسان محمد ﷺ النبي العربي قرآن عظيم فيه بيان للحلال والحرام وهدى لما في القلوب ورحمة من الله لعباده الذين يتبعونه ويقتفون مافيه

وقوله تعالى (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أي لم ينتفع بما جاء به الرسول ولا اتبع ما أرسل به ولا ترك غيره بل صدف عن اتباع آيات الله أي صرف الناس وصدهم عن ذلك قاله السدي، وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة وصدف عنها أعرض عنها وقول السدي ههنا فيه قوة لانه قال (فمن أظلم ممن كذب بآيات وصدف الله عنها) كما تقدم في أول السورة (وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم) وقال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب) وقال في هذه الآية الكريمة (سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) وقد يكون المراد فيما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أي لا آمن بها ولا عمل بها كقوله تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) وغير ذلك من الآيات الدالة على اشتمال الكافر على التكذيب بقلبه وترك العمل بجوارحه ولـكن كلام السدي أقوى وأظهر والله أعلم لان الله قال (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) كقوله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون)

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملئكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيت ربك يوم يأتي بعض آيت ربك لاينفع نفساً إيمنها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمنها خيراً، قل انتظروا إنا منتظرون (١٥٨)

لانعلم ماهي، معناه أنزلنا عليكم القرآن لئلا تقولوا ان الكتاب الذي أنزل على من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف مافيه وغفلنا عن دراسته فتجعلوه عذراً لانفسكم ﴿ أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ﴾ وقد كان جماعة من الـكفار قالوا ذلك لو انا أنزل علينا ماأنزل على اليهود والنصارى لكنا خيراً منهم قال الله تعالى ﴿ فقد جاءكم بينة من ربكم ﴾ حجة واضحة بلغة تعرفونها ﴿ وهدى ﴾ بيان ﴿ورحمة ﴾ ونعمة لمن اتبعه ﴿ فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف ﴾ أعرض ﴿ عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب ﴾ أي شدة العذاب﴿ بما كانوا يصدفون ﴾ يعرضون

قوله تعالى ﴿ هل ينظرون ﴾ أي هل ينتظرون بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القرآن ﴿ إلا أن

يقول تعالى متوعداً للكافرين به والمخالفين لرسله والمكذبين آياته والصادين عن سبيله (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك) وذلك كائن يوم القيامة (أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها) وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة واشراطها كما قال البخاري في تفسيرهذه الآية حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا عبد الوحد حدثنا عمارة حدثنا أبو زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها» فذلك حين (لاينفع نفسها إيمانها لم تكن آمنت من قبل) حدثنا اسحاق حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها» وفي لفظ فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ثم قرأ هذه الآية. هكذا روي هذا الحديث من هذين الوجهين ومن الوجه الاول أخرجه بقية الجماعة في كتبهم الا الترمذي من طرق عن عمارة ابن القعقاع بن شبرمة عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة به.

وأما الطريق الثاني فرواه عن اسحاق غيرمنسوب وقيل هو ابن منصور الكوسج وقيل اسحاق ابن نصر والله أعلم. وقد رواه مسلم عن محمد بن رافع الجنديسابوري كلاهما عن عبدالرزاق به. وقد ورد هذا الحديث من طرق أخر عن أبي هريرة كما انفرد مسلم بروايته من حديث العلاء بن عبد

تأتيهم الملائكة﴾ لتقبض أرواحهم وقيل بالعذاب، قرأ حمزة والكسائي يأتيهم بالياء هنا وفي النحل والباقون بالتاء ﴿أو يأتي ربك﴾ بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة ﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾ يعني طلوع الشمس من مغربها وعليه أكثر المفسرين، ورواه أبوسعيد الخدري مرفوعا ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾ أي لاينفعهم الايمان عند ظهور الآية التي تضطرهم إلى الايمان ﴿أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ يريد لايقبل ايمان كافر ولا توبة فاسق ﴿قل انتظروا﴾ يا أهل مكة ﴿انا منتظرون﴾ بكم العذاب

أخبرنا أبوعلي حسان بن سعيد المنيعي ثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ثنا أبو بكر محمد ابن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لاتقوم الساعة حتي تطلع الشمس من مغربها، فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لاينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن أبي موسى

الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة به ، وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ثلاث إذا خرجن (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا) طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض ورواه احمد عن وكيع عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم سلمان عن أبي هريرة به وعنده والدخان ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب عن وكيع ورواه هو أيضا والترمذي من غير وجه عن فضيل بن غزوان به ورواه اسحاق بن عبدالله القروي عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة ولكن لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه لضعف القروي والله أعلم ، وقال ابن جرير حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا شعيب بن الليث عن أبيه عن جعفر بن ربيعة عن عبدالرحمن ابن هرمز الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت آمن الناس كلهم وذلك حين لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل » الآية ورواه ابن لهيعة عن الاعرج عن أبي هريرة به ورواه وكيع عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة به ، أخرج هذه الطرق كلها الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره ، وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن يحيى أخبرنا معمر عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « من تاب قبل ان تطلع الشمس من مغربها قبل منه » لم يخرجه احد من اصحاب الكتب الستة

﴿ حديث آخر ﴾ عن أبي ذر الغفاري في الصحيحين وغيرهما من طرق عن ابراهيم بن يزيد ابن شريك التيمي عن أبيه عن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أتدري اين تذهب الشمس اذا غربت ؟ » قلت لا أدري ! قال « إنها تنتهي دون العرش فتخر ساجدة ثم تقوم حتى يقال لها ارجعي فيوشك يا أبا ذر أن يقال لها ارجعي من حيث جئت » وذلك حين (لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل)

﴿ حديث آخر ﴾ عن حذيفة بن أسيد بن أبي شريحة الغفاري رضي الله عنه ، قال الامام احمد بن حنبل حدثنا سفيان عن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال رسول الله ﷺ « لاتقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى بن مريم ، وخروج الدجال ،

الاشعري قال : قال رسول الله ﷺ « يد الله يبسطان [1] لمسيء الليل ليتوب بالنهار ، ولمسيء النهار ليتوب بالليل حتى تطلع الشمس من مغربها » أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أبو منصور محمد بن محمد

---

(١) قوله يد الله يبسطان كذا في نسخة وفي أخرى بسيطتان والذي في الجامع الصغير عن أبي موسى الأشعري إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل فليحرر اه مصححه

وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا» وهكذا رواه مسلم وأهل السنن الاربعة من حديث فرات القزاز عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد به وقال الترمذي حسن صحيح

﴿حديث آخر﴾ عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال الثوري عن منصور عن ربعي عن حذيفة قال سألت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله ما آية طلوع الشمس من مغربها؟ فقال النبي ﷺ «تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين فينتبه الذين كانوا يصلون فيها فيعملون كما كانوا يعملون قبلها والنجوم لاترى قد غابت مكانها ثم يرقدون ثم يقومون فيصلون ثم يرقدون ثم يقومون تبطل عليهم جنوبهم حتى يتطاول عليهم الليل فيفزع الناس ولا يصبحون فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها فاذا رآها الناس آمنوا فلم ينفعهم إيمانهم» رواه ابن مردويه وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه والله أعلم.

﴿حديث آخر﴾ عن أبي سعيد الخدري واسمه سعد بن مالك بن سنان رضي الله عنه وأرضاه، قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا ابن أبي ليلى عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ «يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها» قال طلوع الشمس من مغربها ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع عن أبيه به وقال غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه وفي حديث طالوت بن عباد عن فضال بن جبير عن أبي امامة صدى بن عجلان قال قال رسول الله ﷺ «أن اول الآيات طلوع الشمس من مغربها» وفي حديث عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الله فتح بابا قبل المغرب عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه رواه الترمذي وصححه النسائي وابن ماجه في حديث طويل

﴿حديث آخر﴾ عن عبد الله بن أبي أوفى قال ابن مردويه حدثنا محمد بن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا ضرار بن صرد حدثنا ابن فضيل عن سليمان بن يزيد عن عبدالله بن أبي أوفى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ليأتين على الناس ليلة تعدل ثلاث ليال من لياليكم هذه فاذا كان ذلك يعرفها المتنفلون يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ثم ينام ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام فبينما هم كذلك إذ صاح الناس بعضهم في بعض فقالوا ماهذا فيفزعون الى المساجد فاذا هم بالشمس قد طلعت حتى اذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها قال حينئذ «لاينفع نفسا ايمانها» هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس هو في شيء من الكتب الستة

ابن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياتي أنا حميد بن زنجويه أنا النضر بن شميل أنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني

﴿ حديث آخر ﴾ عن عبدالله بن عمرو قال الامام أحمد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير قال جلس ثلاثة نفر من المسلمين إلى مروان بالمدينة فسمعوه وهو يحدث عن الآيات يقول ان أولها خروج الدجال قال فانصرفوا إلى عبد الله بن عمرو فحدثوه بالذي سمعوه من مروان في الآيات فقال لم يقل مروان شيئاً حفظت من رسول الله ﷺ يقول «ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحى فأيتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها» ثم قال عبد الله وكان يقرأ الكتب وأظن أولها خروجا طلوع الشمس من مغربها وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش وسجدت واستأذنت في الرجوع فأذن لها في الرجوع حتى إذا بدا الله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع فلم يرد عليها شيء ثم استأذنت في الرجوع فلا يرد عليها شيء حتى اذا ذهب من الليل ماشاء الله أن يذهب وعرفت أنه إذا أذن لها في الرجوع لم تدرك المشرق قالت رب ماأبعد المشرق من لي بالناس حتى إذا صار الافق كأنه طوق استأذنت في الرجوع فيقال لها من مكانك فاطلعي فطلعت على الناس من مغربها ثم تلا عبد الله هذه الآية (لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل) الآية وأخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجه في سننهما من حديث أبي حيان التيمي واسمه يحيى بن سعيد ابن حيان عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير به

﴿ حديث آخر عنه ﴾ قال الطبراني حدثنا احمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرقي حدثنا اسحاق ابن ابراهيم بن زريق الحمصي حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا ابن لهيعة عن حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال النبي ﷺ «اذا طلعت الشمس من مغربها خر ابليس ساجداً ينادي ويجهر إلهي مرني أن أسجد لمن شئت قال فيجتمع اليه زبانيته فيقولون كلهم ماهذا التضرع فيقول إنما سألت ربي أن ينظرني إلى الوقت المعلوم وهذا الوقت المعلوم قال ثم تخرج دابة الارض من صدع في الصفا قال فأول خطوة تضعها بانطاكيا فتأتي ابليس فتلطمه» هذا حديث غريب جداً وسنده ضعيف ولعله من الزاملتين اللتين أصابهما عبدالله بن عمرو يوم اليرموك فاما رفعه فمنكر والله أعلم

﴿ حديث آخر ﴾ عن عبدالله بن عمرو وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين قال الامام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا اسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد يرده إلى مالك بن يخامر عن ابن السعدي أن رسول الله ﷺ قال « لاتنقطع

أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا أحمد بن عبدالله أنا حماد بن زيد أنا عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال : أتيت صفوان بن عسال المرادي فذكر عن رسول الله ﷺ « إن الله عز وجل جعل بالمغرب بابا مسيرة عرضه سبعون عاما للتوبة لايغلق مالم تطلع الشمس من قبله » وذلك

الهجرة مادام العدو يقاتل » فقال معاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص إن رسول الله ﷺ قال « إن الهجرة خصلتان إحداهما تهجر السيئات والأخرى تهاجر إلى الله ورسوله ولا تنقطع ماتقبلت التوبة ولا تزال التوبة تقبل حتي تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت طبع على كل قلب بمافيه وكفي الناس العمل » هذا الحديث حسن الاسناد ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة والله أعلم

﴿ حديث آخر ﴾ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال عوف الاعرابي عن محمد بن سيرين حدثني أبو عبيدة عن ابن مسعود أنه كان يقول ماذكر من الآيات فقد مضى غير أربع طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الارض، وخروج يأجوج ومأجوج. قال وكان يقول الآية التي تختم بها الاعمال طلوع الشمس من مغربها ألم تر أن الله يقول (يوم يأتي بعض آيات ربك) الآية كلها يعني طلوع الشمس من مغربها حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث عبد المنعم بن ادريس عن أبيه عن وهب بن منبه عن ابن عباس مرفوعا فذكر حديثا طويلا غريبا منكرا رفعه، وفيه أن الشمس والقمر يطلعان يومئذ من المغرب مقرونين واذا انتصفا السماء رجعا ثم عادا إلى ماكانا عليه. وهو حديث غريب جداً بل منكر بل موضوع ان ادعى أنه مرفوع فأما وقفه على ابن عباس أو وهب بن منبه وهو الاشبه فغير مدفوع والله أعلم، وقال سفيان عن منصور عن عامر عن عائشة رضي الله عنها قالت اذا خرج أول الآيات طرحت وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال رواه ابن جرير رحمه الله تعالى، فقوله تعالى (لاينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل) أي اذا أنشأ الكافر ايمانا يومئذ لا يقبل منه فأما من كان مؤمنا قبل ذلك فان كان مصلحا في عمله فهو بخير عظيم وان لم يكن مصلحاً فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبته كما دلت عليه الاحاديث المتقدمة. وعليه يحمل قوله تعالى (أو كسبت في ايمانها خيراً) أي ولا يقبل منها كسب عمل صالح اذا لم يكن عاملا به قبل ذلك وقوله تعالى (قل انتظروا انا منتظرون) تهديد شديد للكافرين ووعيد أكيد لمن سوف بايمانه وتوبته الى وقت لاينفعه ذلك وانما كان هذا الحكم عند طلوع الشمس من مغربها لاقتراب الساعة وظهور اشراطها كما قال «فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم » وقوله تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا الآية

قول الله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل) وروى أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ثلاث اذا خرجن لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً : الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها»

إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون (١٥٩)

قال مجاهد وقتادة والضحاك والسدي نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل بعث محمد ﷺ فتفرقوا فلما بعث محمد ﷺ أنزل الله عليه (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) الآية، وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمر السكوني حدثنا بقية بن الوليد كتب الي عباد بن كثير حدثني ليث عن طاوس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ في هذه الآية (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وليسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الامة» لكن هذا اسناد لايصح فان عباد بن كثير متروك الحديث ولم يختلق هذا الحديث ولكنه وهم في رفعه فانه رواه سفيان الثوري عن ليث وهو ابن أبي سليم عن طاوس عن أبي هريرة في الآية أنه قال نزلت في هذه الامة، وقال أبو غالب عن أبي أمامة في قوله (وكانوا شيعا) قال هم الخوارج وروي عنه مرفوعا ولايصح وقال شعبة عن مجالد عن الشعبي عن شريح عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) قال «هم أصحاب البدع» وهذا رواه ابن مردويه وهو غريب أيضاً ولايصح رفعه والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفا له فان الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق فمن اختلف فيه (وكانوا شيعا) أي فرقا

قوله عز وجل ﴿ إن الذين فرقوا دينهم ﴾ قرأ حمزة والكسائي فارقوا بالألف هنا، وفي سورة الروم. أي خرجوا من دينهم وتركوه، وقرأ الآخرون فرقوا مشدداً، أي جعلوا دين الله وهو واحد دين ابراهيم عليه السلام الحنيفية أدياناً مختلفة فتهود قوم وتنصر قوم يدل عليه قوله عز وجل ﴿ وكانوا شيعاً ﴾ أي صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي، وقيل هم أصحاب البدع والشبهات من هذه الامة، وروي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال لعائشة «ياعائشة إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب البدع وأصحاب الاهواء من هذه الامة» حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الانصاري أنا أبو عبيد الله محمد بن عقيل الازهري البلخي أنا الزيادي أنا أحمد بن منصور أنا الضحاك بن مخلد أنا ثور بن يزيد أنا خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمر السلمي عن العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، وقال قائل يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً،

كأهل الملل والنحل والاهواء والضلالات فان الله تعالى قد برأ رسوله ﷺ مما هم فيه وهذه الآية كقوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك) الآية وفي الحديث « نحن معاشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد » فهذا هو الصراط المستقيم وهو ماجاءت به الرسل من عبادة الله وحده لاشريك له والتمسك بشريعة الرسول المتأخر وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء والرسل برآء منها كما قال الله تعالى (لست منهم في شيء) وقوله تعالى (انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) كقوله تعالي (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) الآية ثم بين لطفه سبحانه في حكمه وعدله يوم القيامة فقال تعالى

من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزىٰ إلا مثلها وهم لا يظلمون (١٦٠)

وهذه الآية الكريمة مفصلة لما أجمل في الآية الاخرى وهي قوله (من جاء بالحسنة) فله خير منها وقد وردت الاحاديث مطابقة لهذه الآية كما قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا عفان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا الجعد أبو عثمان عن أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى « ان ربكم عز وجل رحيم من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة الى أضعاف كثيرة ومن همّ بسيئة فلم

فان من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة »

وروي عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « إن بني اسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة ، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة » قالوا من هي يارسول الله ؟ قال « ماأنا عليه وأصحابي » قال عبدالله بن مسعود : فان أحسن الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الامور محدثاتها ، ورواه جابر مرفوعا إلى رسول الله ﷺ قوله عز وجل ﴿ لست منهم في شيء ﴾ قيل لست من قتالهم في شيء نسختها آية القتال وهذا على قول من يقول المراد منه اليهود والنصارى ، ومن قال أراد بالآية أهل الاهواء قال المراد من قوله (لست منهم في شيء) أي أنت منهم بريء وهم منك برآء يقول العرب : إن فعلت كذا فلست مني ولست منك أي كل واحد منا بريء من صاحبه ﴿ انما أمرهم إلى الله ﴾ يعني في الجزاء والمكافآت ﴿ ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾ اذا ردوا للقيامة

قوله تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ أي له عشر حسنات أمثالها ، وقرأ يعقوب عشر منون أمثالها بالرفع ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ﴾ أخبرنا حسان بن سعيد

يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله عز وجل ولا يهلك على الله إلا هالك »
ورواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث الجعد أبي عثمان به

وقال أحمد أيضا حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر ومن عمل قراب الارض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة ومن اقترب الي شبرا اقتربت اليه ذراعا ومن اقترب الي ذراعا اقتربت اليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » ورواه مسلم عن أبي كريب عن أبي معاوية به وعن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن الاعمش به ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع به ‌. وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا شيبان حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شيء فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة » واعلم أن تارك السيئة الذي لا يعملها على ثلاثة أقسام تارة يتركها لله فهذا تكتب له حسنة على كفه عنها لله تعالى وهذا عمل ونية ولهذا جاء أنه يكتب له حسنة كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح فانما تركها من جرائي أي من أجلي ، وتارة يتركها نسيانا وذهولا عنها فهذا لا له ولا عليه لأنه لم ينو خيرا ولا فعل شرا ، وتارة يتركها عجزاً وكسلا عنها بعد السعي في أسبابها والتلبس بما يقرب منها فهذا بمنزلة فاعلها كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » قالوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال « انه كان حريصاً على قتل صاحبه » وقال الامام أبو يعلى الموصلي حدثنا مجاهد بن موسى حدثنا مكي حدثنا الحسن بن الصباح وأبو خيثمة قالا حدثنا إسحاق بن سليمان كلاهما عن موسى بن عبيدة عن أبي بكر بن عبيد الله بن أنس عن جده أنس قال قال رسول الله ﷺ « من هم بحسنة كتب الله له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها فان عملها كتبت عليه

المنيعي ثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ثنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان ثنا محمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اذا أحسن أحدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله عز وجل » وأخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني ثنا عبد الغافر بن محمد الفارسي ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع ثنا الاعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وأزيد (ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر ‌. ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب مني ذراعا

سيئة فان تركها كتبت له حسنة يقول الله تعالى انما تركها من مخافتي » هذا لفظ حديث مجاهد يعني ابن موسى، وقال الامام أحمد حدثنا عبدالرحمن بن مهدي حدثنا شيبان بن عبدالرحمن عن الركين بن الربيع عن أبيه عن عمه فلان بن عميلة عن خريم بن فاتك الاسدي أن النبي ﷺ قال « ان الناس أربعة والاعمال ستة فالناس موسع له في الدنيا والآخرة وموسع له في الدنيا مقتور عليه في الآخرة ومقتور عليه في الدنيا موسع له في الآخرة وشقي في الدنيا والآخرة والاعمال موجبتان ومثل بمثل وعشرة أضعاف وسبعمائة ضعف فالموجبتان من مات مسلما مؤمنا لايشرك بالله شيئاً وجبت له الجنة ومن مات كافراً وجبت له النار ومن هم بحسنة فلم يعملها فعلم الله انه قد أشعرها قلبه وحرص عليها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة لم تكتب عليه ومن عملها كتبت واحدة ولم تضاعف عليه ومن عمل حسنة كانت عليه بعشر أمثالها ومن أنفق نفقة في سبيل الله عز وجل كانت بسبعمائة ضعف» ورواه الترمذي والنسائي من حديث الركين بن الربيع عن أبيه عن بشير بن عميلة عن خريم بن فاتك به ببعضه والله أعلم، وقال بن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حبيب بن المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال « يحضر الجمعة ثلاثة نفر رجل حضرها بلغو فهو حظه منها ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله فان شاء أعطاه وان شاء منعه ورجل حضرها بانصات وسكوت ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحداً فهي كفارة له الى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام » وذلك لان الله عز وجل يقول (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هاشم بن مرثد حدثنا محمد بن إسماعيل حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله ﷺ « الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة التي تليها[1] وزيادة ثلاثة أيام » وذلك لأن الله تعالى قال (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله » رواه الامام أحمد وهذا لفظه والنسائي وابن ماجه والترمذي وزاد: فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) اليوم بعشرة أيام. ثم قال هذا حديث حسن وقال ابن مسعود (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) من جاء بلا إله إلا الله ومن جاء بالسيئة يقول بالشرك وهكذا جاء عن جماعة من السلف رضي الله عنهم اجمعين وقد ورد فيه حديث مرفوع الله أعلم بصحته لكني لم أروه من وجه يثبت والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا وفيما ذكر كفاية ان شاء الله وبه الثقة

***

(١) في المكية «قبلها»

تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الارض خطيئة لايشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة » قال ابن عمر الآية في غير الصدقات من الحسنات، فأما الصدقات تضاعف سبعمائة ضعف

قلْ إنني هدٰني ربي الىٰ صرٰط مستقيم ديناً قِيَما ملة إبرٰهيم حنيفا وما كان من المشركين(١٦١) قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العٰلمين(١٦٢) لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين(١٦٣)

يقول تعالى آمراً نبيه ﷺ سيد المرسلين أن يخبر بما أنعم به عليه من الهداية الى صراطه المستقيم الذي لااعوجاج فيه ولا انحراف (دينا قيما) أي قائما ثابتا [ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين] كقوله [ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه] وقوله [وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم] وقوله (إن ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفا ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين) وليس يلزم من كونه ﷺ أمر باتباع ملة ابراهيم الحنيفية أن يكون ابراهيم أكمل منه فيها لأنه عليه السلام قام بها قياما عظيما وأكملت له إكمالا تاما لم يسبقه أحد الى هذا الكمال ، ولهذا كان خاتم الانبيا ، وسيد ولد آدم على الاطلاق، وصاحب المقام المحمود الذي يرغب اليه الخلق حتى الخليل عليه السلام . وقد قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن حفص حدثنا أحمد بن عصام حدثنا ابو داود الطيالسي حدثنا شعبة أنبأنا سلمة بن كهيل سمعت ذر بن عبد الله الهمداني يحدث عن ابن ابزى عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ اذا أصبح قال « أصبحنا على ملة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » وقال الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قيل لرسول الله ﷺ أي الاديان أحب الى الله تعالى ؟ قال « الحنيفية السمحة » وقال أحمد أيضا حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت وضع رسول الله ﷺ ذقني على منكبه لانظر الى زفن الحبشة حتى كنت التي مللت فانصرفت عنه . قال عبدالرحمن عن أبيه قال قال لي عروة إن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ يومئذ « لتعلم يهود أن في ديننا فسحة اني أرسلت بحنيفية سمحة » أصل الحديث مخرج في الصحيحين والزيادة لها شواهد من طرق عدة وقد استقصيت طرقها في شرح البخاري ولله الحمد والمنة، وقوله تعالى

قوله تعالى ﴿ قل انني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ﴾ قرأ أهل الكوفة والشام قيما بكسر القاف وفتح الياء خفيفة ، وقرأ الآخرون بفتح القاف وكسر الياء مشدداً ومعناهما واحد وهو القويم المستقيم وانتصابه على معنى هداني دينا قيما ﴿ ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين *

(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك فان صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لاشريك له وهذا كقوله تعالى (فصل لربك وانحر) أي اخلص له صلاتك وذبحك فان المشركين كانوا يعبدون الاصنام ويذبحون لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والاقبال بالقصد والنية والعزم على الاخلاص لله تعالى قال مجاهد في قوله (إن صلاتي ونسكي) النسك الذبح في الحج والعمرة وقال الثوري عن السدي عن سعيد بن جبير (ونسكي) قال ذبحي وكذا قال السدي والضحاك . وقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا أحمد بن خالد الذهبي حدثنا محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله قال ضحى رسول الله ﷺ في يوم عيد النحر بكبشين وقال حين ذبحهما[1] (وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين * قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين * لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) وقوله (وأنا أول المسلمين) قال قتادة أي من هذه الامة وهو كما قال فان جميع الانبياء قبله كلهم كانت دعوتهم الى الاسلام وأصله عبادة الله وحده لاشريك له كما قال (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لااله الا أنا فاعبدون) وقد أخبرنا تعالى عن نوح أنه قال لقومه (فان توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين * اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) وقال يوسف عليه السلام (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولبي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين) وقال موسى (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين * فقالوا على الله توكلنا ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين * ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) وقال تعالى (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) الآية وقال تعالى (واذ أوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) فاخبر تعالى أنه بعث رسله بالاسلام ولكنهم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضا الى أن نسخت بشريعة محمد ﷺ

(١) في المكية: وجههما

قل إن صلاتي ونسكي ﴾ قيل أراد بالنسك الذبيحة في الحج والعمرة . وقال مقاتل : نسكي حجي ، وقيل ديني ﴿ ومحياي ومماتي ﴾ أي حياتي ووفاتي ﴿ لله رب العالمين ﴾ أي هو يحييني ويميتني ، وقيل محياي بالعمل الصالح ، ومماتي اذا مت على الايمان لله رب العالمين ، وقيل طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله رب العالمين ، قرأ أهل المدينة محياي بسكون الياء ومماتي بفتحها ، وقراءة العامة محياي بفتح الياء لئلا يجتمع ساكنان

التي لا تنسخ أبد الآبدين ولا تزال قائمة منصورة وأعلامها منشورة الى قيام الساعة ولهذا قال عليه السلام « نحن معاشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد » فان اولاد العلات هم الاخوة من أب واحد وأمهات شتى فالدين واحد وهو عبادة الله وحده لاشريك له وان تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الامهات كما أن اخوة الأخياف عكس هذا بنو الأم الواحدة من آباء شتى والاخوة الاعيان الاشقاء من أب واحد وأم واحدة والله أعلم وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الماجشون حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الاعرج عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان اذا كبر استفتح ثم قال (وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين * — قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) الى الآية [1] « اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا لا يغفر الذنوب الا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها الا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا أنت ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب اليك » ثم ذكر تمام الحديث فيما يقوله في الركوع والسجود والتشهد وقد رواه مسلم في صحيحه

(١) كذا في النسختين المطبوعة والمكية.. والمراد إلى آخر الآية التي بعد هذه ، وقد اثبتت الآية الأخيرة في النسخة الأزهرية فلم تذكر فيها هذه العبارة

قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (١٦٥)

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في اخلاص العبادة له والتوكل عليه (أغير الله أبغي ربا) أي أطلب ربا سواه (وهو رب كل شيء) يربيني ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري، أي لا أتوكل الا عليه ولا أنيب الا اليه لانه رب كل شيء ومليكه وله الخلق والامر . ففي هذه الآية الامر باخلاص التوكل كما تضمنت التي قبلها إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وهذا المعنى يقرن بالآخر كثيراً في القرآن كقوله تعالى مرشداً لعباده أن يقولوا له (إياك نعبد وإياك نستعين) وقوله (فاعبده وتوكل عليه) وقوله (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) وقوله (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) وأشباه ذلك من الآيات ، وقوله تعالى (ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى) اخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله أن النفوس انما تجازى بأعمالها إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً ، وأنه

قوله تعالى ﴿ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ قال قتادة : وأنا أول المسلمين من هذه الامة ﴿ قل أغير الله أبغي ربا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : سيداً وإلها ﴿ وهو رب كل شيء ﴾ وذلك أن الكفار كانوا يقولون للنبي ﷺ : ارجع إلى ديننا. قال ابن عباس كان الوليد ابن المغيرة يقول : اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم ، فقال الله تعالى ﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ﴾ لا تجني كل نفس إلا ما كان اثمه على الجاني ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أي لا تحمل كل نفس حاملة حمل

لايحمل من خطيئة أحد على أحد وهذا من عدله تعالى كما قال (وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) وقوله تعالى (فلا يخاف ظلماً ولا هضما) قال علماء التفسير : أي فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره ولا يهضم بأن ينقص من حسناته، وقال تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) معناه كل نفس مرتهنة بعملها السيء إلا أصحاب اليمين فانه قد يعود بركة أعمالهم الصالحة على ذرياتهم وقراباتهم كما قال في سورة الطور (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) أي ألحقنا بهم ذريتهم في المنزلة الرفيعة في الجنة وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الاعمال ، بل في أصل الايمان ، وما ألتناهم أي انقصنا أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئاً حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم أنقص منهم منزلة ، بل رفعهم تعالى إلى منزلة الآباء ببركة أعمالهم بفضله ومنته ثم قال (كل امرىء بما كسب رهين) أي من شر ، وقوله (ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) أي اعملوا على مكانتكم انا عاملون على مانحن عليه فستعرضون ونعرض عليه ، وينبئنا واياكم بأعمالنا وأعمالكم وما كنا نختلف فيه في الدار الدنيا كقوله (قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون * قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم)

وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجت ليبلوكم في ما آتيكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم (١٦٥)

يقول تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) أي جعلكم تعمرونها جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن ، وخلفاً بعد سلف . قاله ابن زيد وغيره كقوله تعالى (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون) وكقوله تعالى (ويجعلكم خلفاء الارض) وقوله (اني جاعل في الارض خليفة) وقوله (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون) وقوله (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) أي فاوت بينكم في الارزاق والاخلاق والمحاسن والمساوي والمناظر والاشكال والالوان وله الحكمة في ذلك كقوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً) وقوله (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا)

أخرى ، أي لايؤاخذ أحد بذنب غيره ﴿ ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون * وهو الذي جعلكم خلائف الارض ﴾ يعني أهلك القرون الماضية وأورثكم الارض ياأمة محمد ﷺ من بعدهم فجعلكم خلائف منهم فيما تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم والخلائف جمع خليفة كالوصائف جمع وصيفة ، وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة لأنه يخلفه ﴿ ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾

وقوله تعالى (ليبلوكم فيما آتاكم) أي ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحنكم به ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره والفقير في فقره ويسأله عن صبره . وفي صحيح مسلم من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء » وقوله تعالى (إن ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) ترهيب وترغيب ان حسابه وعقابه سريع فيمن عصاه وخالف رسله (وانه لغفور رحيم) لمن والاه واتبع رسله فيما جاؤا به من خبر وطلب . وقال محمد بن اسحاق ليرحم العباد على مافيهم رواه ابن أبي حاتم وكثيراً مايقرن الله تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين كقوله (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم * وان ربك لشديد العقاب) وقوله (نبيء عبادي اني أنا الغفور الرحيم * وان عذابي هو العذاب الاليم) الى غير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب فتارة يدعو عباده اليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه وتارة يدعوهم اليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها وتارة بهما لينجع في كل بحسبه ، جعلنا الله ممن أطاعه فيما أمر، وترك ماعنه نهى وزجر، وصدقه فيما أخبر، انه قريب مجيب سميع الدعاء جواد كريم وهاب . وقد قال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا زهير عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا ان رسول الله ﷺ قال « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ماطمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ماعند الله من الرحمة ماقنط أحد من الجنة خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعة وتسعون » ورواه الترمذي عن قتيبة عن عبد العزيز الدراوردي عن العلاء به وقال حسن ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وقتيبة وعلي بن حجر ثلاثتهم عن اسماعيل بن جعفر عن العلاء وعنه أيضاً قال قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي » وعنه أيضاً قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الارض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية من أن تصيبه » رواه مسلم

آخر تفسير سورة الانعام ولله الحمد والمنة

أي خالف بين أحوالكم [1] فجعل بعضكم فوق بعض في الخلق والرزق ، والمعاش والقوة والفضل ﴿ ليبلوكم فيما آتاكم ﴾ ليختبركم فيما رزقكم ، يعني يبتلي الغني والفقير ، والشريف والوضيع ، والحر والعبد ، ليظهر منكم مايكون عليه من الثواب والعقاب ﴿ إن ربك سريع العقاب ﴾ لأن ماهو آت فهو سريع قريب * قيل هو الهلاك في الدنيا ﴿ وإنه لغفور رحيم ﴾ قال عطاء : سريع العقاب لأعدائه، غفور لأوليائه رحيم بهم

(١) في الهندية: خلف بين أموالكم

تفسير سورة الاعراف وهي مكية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

المص (١) كتٰبٌ أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرجٌ منه لتنذرَ به وذكرىٰ للمؤمنين (٢) اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون (٣)

قد تقدم الكلام في أول سورة البقرة على مايتعلق بالحروف وبسطه واختلاف الناس فيه قال ابن جرير حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا أبي عن شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس (المص) أنا الله أفصل وكذا قال سعيد بن جبير (كتاب أنزل اليك) أي هذا كتاب أنزل اليك أي من ربك (فلا يكن في صدرك حرج منه) قال مجاهد وقتادة والسدي شك منه وقيل لاتتحرج به في ابلاغه والانذار به فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولهذا قال (لتنذر به) أي أنزلناه اليك لتنذر به الكافرين (وذكرى للمؤمنين) ثم قال تعالى مخاطبا للعالم (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أي اقتفوا آثار النبي الامي الذي جاءكم بكتاب أنزل اليكم من رب كل شيء ومليكه (ولا تتبعوا من دونه أولياء) أي لاتخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره (قليلا ماتذكرون) كقوله (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقوله (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) الآية وقوله (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)

وكم من قرية أهلكنٰها فجاءها بأسنا بيٰتاً أو هم قائلون (٤) فما كان دعوٰهم إذ جاءهم

﴿تفسير سورة الاعراف﴾

مكية كلها الا خمس آيات أولها واسألهم عن القرية التي كانت

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿المص كتاب﴾ أي هذا كتاب ﴿أنزل اليك﴾ وهو القرآن ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ قال مجاهد هذا شك فالخطاب للرسول ﷺ والمراد به الامة وقال أبو العالية حرج أي ضيق معناه لا يضيق صدرك بالابلاغ وتأدية ماارسلت به ﴿لتنذر به﴾ أي كتاب أنزل اليك لتنذر به ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ إي عظة لهم وهو رفع مردود على الكتاب ﴿اتبعوا﴾ أي وقل لهم اتبعوا ﴿ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دون الله اولياء﴾ أي لاتتخذوا غيره أولياء تطيعونهم في معصية الله تعالى ﴿قليلا ماتذكرون﴾ تتعظون وقرأ ابن عامر يتذكرون بالياء والتاء ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ بالعذاب وكم للتكثير ورب

بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين (٥) فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين (٦) فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين (٧)

يقول تعالى (وكم من قرية أهلكناها) أي بمخالفة رسلنا وتكذيبهم فأعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولا بذل الآخرة كما قال تعالى (ولقد استهزيء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) وكقوله (فكأي من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد) وقال تعالى (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين) وقوله (فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون) أي فكان منهم من جاءه أمر الله وبأسه ونقمته بياتا أي ليلا أو هم قائلون من القيلولة وهي الاستراحة وسط النهار وكلا الوقتين وقت غفلة ولهو كما قال (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون) وقال (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون* أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين* أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرءوف رحيم) وقوله (فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين) أي فما كان قولهم عند مجيء العذاب الا أن اعترفوا بذنوبهم وانهم حقيقون بهذا كقوله تعالى (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة — الى قوله — خامدين) قال ابن جرير: في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ماجاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ من قوله «ماهلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم» حدثنا بذلك ابن حميد حدثنا جرير عن ابي سنان عن عبد الملك بن ميسرة الزراد قال قال عبد الله بن مسعود قال رسول الله ﷺ « ماهلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم » قال قلت لعبد الملك كيف يكون ذاك

للتقليل ﴿فجاءها بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتاً﴾ ليلا ﴿أوهم قائلون﴾ من القيلولة تقديره فجاءها بأسنا ليلا وهم نائمون أو نهارا وهم قائلون أو نائمون ظهيرة والقيلولة استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم ومعنى الآية أنهم جاءهم بأسهم وهم غير متوقعين اما ليلا واما نهاراً قال الزجاج وأو لتصريف العذاب أي مرة ليلا ومرة نهاراً وقيل معناه من أهل القرى من أهلكناهم ليلا ومنهم من أهلكناهم نهاراً أي حكمنا بهلاكها فان قيل مامعنى أهلكناها فجاءها بأسنا فكيف يكون مجيء البأس بعد الهلاك قيل معنى أهلكنا حكمنا بهلاكها فجاءها بأسنا وقيل فجاءها بأسنا هو بيان قوله أهلكناها مثل قول القائل اعطيتني فاحسنت الي الآخرة لافرق بينه وبين قوله أحسنت الي فأعطيتني فيكون أحدهما بدلا من الآخر ﴿ فما كان دعواهم ﴾ أي قولهم ودعاؤهم وتضرعهم والدعوى تكون بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء قال سيبويه تقول العرب اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين أى في دعائهم ﴿إذ جاءهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿ الا أن قالوا انا كنا ظالمين ﴾ معناه لم يقدروا على رد العذاب وكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية

قال فقرأ هذه الآية (فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين)

وقوله (فلنسئلن الذين أرسل اليهم) الآية كقوله (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) وقوله (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب) فيسأل الله الامم يوم القيامة عما أجابوا رسله فيما أرسلهم به ويسأل الرسل أيضاً عن ابلاغ رسالاته ولهذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية (فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين) قال عما بلغوا. وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن احمد بن ابراهيم حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا أبو سعيد الكندي حدثنا المحاربي عن ليث عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام يسأل عن رعيته والرجل يسأل عن أهله والمرأة تسأل عن بيت زوجها والعبد يسأل عن مال سيده » قال الليث وحدثني ابن طاوس مثله ثم قرأ (فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين) وهذا الحديث مخرج في الصحيحين بدون هذه الزيادة وقال ابن عباس في قوله (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون (وما كنا غائبين) يعني أنه تعالى يخبر عباده يوم القيامة بما قالوا وبما عملوا من قليل وكثير وجليل وحقير لانه تعالى الشهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يغفل عن شيء بل هو العالم بخائنة الاعين وما تخفي الصدور (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين)

والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون (٨) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآيتنا يظلمون (٩)

يقول تعالى (والوزن) أي للأعمال يوم القيامة (الحق) أي لا يظلم تعالى أحداً كقوله (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)

حين لا ينفع الاعتراف ﴿فلنسئلن الذين أرسل اليهم﴾ يعني الامم عن اجابتهم الرسل وهذا سؤال توبيخ لا سؤال استعلام يعني نسألهم عما عملوا فيما بلغتهم الرسل ﴿ولنسئلن المرسلين﴾ عن الابلاغ ﴿فلنقصن عليهم بعلم﴾ أي نخبرنهم عن علم قال ابن عباس رضي الله عنهما ينطق عليهم كتاب أعمالهم كقوله تعالى (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) ﴿وما كنا غائبين﴾ عن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما أجابوا

قوله تعالى ﴿ والوزن يومئذ الحق ﴾ يعني يومئذ السؤال قال مجاهد معناه : والقضاء يومئذ العدل وقال الآخرون أراد به وزن الاعمال بالميزان وذلك ان الله تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة بقدر مابين المشرق والمغرب واختلفوا في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال وروينا أن رجلا ينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها شهادة أن لا إله

وقال تعالى (ان الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما) وقال تعالى (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه فأمه هاوية * وما أدراك ماهيه * نار حامية) وقال تعالى (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون * فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون)

﴿ فصل ﴾ والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قيل الاعمال وإن كانت أعراضا الا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساما قال البغوي يروى نحو هذا عن ابن عباس كما جاء في الصحيح من أن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف . ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وانه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللون فيقول من أنت فيقول أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك. وفي حديث البراء في قصة سؤال القبر « فيأتي المؤمن شاب حسن اللون طيب الريح فيقول من أنت ؟ فيقول أنا عملك الصالح » وذكر عكسه في شأن الكافر والمنافق وقيل يوزن كتاب الاعمال كما جاء في حديث البطاقة في الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كفة تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها لا إله إلا الله فيقول يارب وماهذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول الله تعالى : انك لاتظلم . فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان قال رسول الله ﷺ « فطاشت السجلات وثقلت البطاقة » رواه الترمذي بنحو من هذا وصححه وقيل يوزن صاحب العمل كما في الحديث « يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة » ثم قرأ (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) وفي مناقب عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال « أتعجبون من دقة ساقيه والذي نفسي بيده

الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة . وقيل توزن الأشخاص وروينا عن رسول الله ﷺ أنه قال « ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة » وقيل توزن الاعمال روي ذلك عن ابن عباس فيؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان والحكمة في وزن الاعمال امتحان الله عباده بالايمان في الدنيا واقامة الحجة عليهم في العقبى ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ قال مجاهد حسناته ﴿ فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ يجحدون وقال أبو بكر رضي الله عنه حين حضره الموت في وصيته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم ، وحق الميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا ، وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحق الميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً. فان قيل فقد قيل(فمن ثقلت موازينه) ذكر بلفظ الجمع والميزان واحد قيل يجوز أن يكون لفظه جمعا ومعناه واحداً

لهما في الميزان أثقل من أحد » وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا فتارة توزن الاعمال وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها والله أعلم

ولقد مكّنّاكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معيش قليلا ماتشكرون (١٠)

يقول تعالى ممتنا على عبيده فيما مكن لهم من أنه جعل الارض قراراً وجعل فيها رواسي وأنهارا وجعل لهم فيها منازل وبيوتا أباح لهم منافعها وسخر لهم السحاب لاخراج أرزاقهم منها وجعل لهم فيها معايش أي مكاسب وأسبابا يكسبون بها ويتجرون فيها ويتسببون أنواع الاسباب وأكثرهم مع هذا قليل الشكر على ذلك كقوله (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار) وقد قرأ الجميع معايش بلا همز إلا عبد الرحمن بن هرمز الاعرج فانه همزها والصواب الذي عليه الأكثرون بلا همز لان معايش جمع معيشة من عاش يعيش عيشا ومعيشة أصلها معيشة فاستثقلت الكسرة على الياء فنقلت الى العين فصارت معيشة فلما جمعت رجعت الحركة الى الياء لزوال الاستثقال فقيل معايش ووزنه مفاعل لان الياء أصلية في الكلمة بخلاف مدائن وصحائف وبصائر جمع مدينة وصحيفة وبصيرة من مدن وصحف وأبصر فان الياء فيها زائدة ولهذا تجمع على فعائل وتهمز لذلك والله أعلم

ولقد خلقنكم ثم صورنكم ثم قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من السّجدين (١١)

ينبه تعالى بني آدم في هذا المقام على شرف أبيهم آدم ويبين لهم عداوة عدوهم ابليس وماهو منطو عليه من الحسد لهم ولابيهم آدم ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه فقال تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم

كقوله (ياأيها الرسل) وقيل لكل عبد ميزان وقيل الاصل ميزان واحد عظيم ولكل عبد فيه ميزان معلق به وقيل جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان ولا يتم الوزن الا باجتماعها

قوله تعالى ﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾ أي ملكناكم والمراد من التمكين التمليك والقدرة ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ أي اسبابا تعيشون بها أيام حياتكم من التجارات والمكاسب والمآكل والمشارب والمعايش جمع المعيشة ﴿قليلا ماتشكرون﴾ فيما صنعت اليكم

قوله عز ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ﴾ قال ابن عباس خلقناكم أي اصولكم وآباءكم ثم صورناكم في أرحام أمهاتكم وقال قتادة والضحاك والسدي اما خلقناكم فآدم واما صورناكم فذريته وقال مجاهد خلقناكم آدم ثم صورناكم في ظهر آدم بلفظ الجمع لانه أبو البشر ففي خلقه خلق من يخرج من صلبه وقيل خلقناكم في ظهر آدم ثم صورناكم يوم الميثاق حين أخرجكم كالذر وقال عكرمة خلقناكم في أصلاب الرجال وصورناكم في أرحام النساء وقال يمان: خلق الانسان في الرحم ثم صوره فشق سمعه وبصره

ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) وهذا كقوله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون * فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) وذلك انه تعالى لما خلق آدم عليه السلام بيده من طين لازب وصوره بشراً سويا ونفخ فيه من روحه أمر الملائكة بالسجود له تعظيما لشأن الله تعالى وجلاله فسمعوا كلهم وأطاعوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين وقد تقدم الكلام على إبليس في أول تفسير سورة البقرة وهذا الذي قررناه هو اختيار ابن جرير ان المراد بذلك كله آدم عليه السلام وقال سفيان الثوري عن الاعمش عن منهال بن عمرو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) قال خلقوا في أصلاب الرجال وصوروا في أرحام النساء رواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ونقل ابن جرير عن بعض السلف أيضاً أن المراد بخلقناكم ثم صورناكم الذرية

وقال الربيع بن أنس والسدي وقتادة والضحاك في هذه الآية (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) أي خلقنا آدم ثم صورنا الذرية وهذا فيه نظر لانه قال بعده (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فدل على أن المراد بذلك آدم وإنما قيل ذلك بالجمع لانه أبو البشر كما يقول الله تعالى لبني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي ﷺ (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى) والمراد بالآباء آباؤهم الذين كانوا في زمن موسى ولكن لما كان ذلك منة على الآباء الذين هم أصل صار كأنه واقع على الابناء وهذا بخلاف قوله (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) الآية فان المراد منه آدم المخلوق من السلالة وذريته مخلوقون من نطفة وصح هذا لأن المراد في خلقنا الانسان الجنس لامعينا والله أعلم

قال مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك؟ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين(١٢)

قال بعض النحاة في توجيه قوله تعالى (مامنعك أن لاتسجد إذ أمرتك) لاهنا زائدة وقال بعضهم زيدت لتأكيد الجحد كقول الشاعر * ما إن رأيت ولا سمعت بمثله * فأدخل «إن» وهي للنفي على ما النافية لتأكيد النفي قالوا وكذا هنا (مامنعك أن لاتسجد) مع تقدم قوله (لم يكن من الساجدين) حكاهما

وأصابعه وقيل الكل آدم خلقه وصوره وثم بمعنى الواو ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ فان قيل الامر بسجود الملائكة كان قبل خلق بني آدم فما وجه قوله ثم قلنا وثم للترتيب والتراخي قيل على قول من يصرف الخلق والتصوير الى آدم وحده يستقيم الكلام . أما على قول من يصرفه الى الذرية فعنه أجوبة (أحدها) ان ثم بمعنى الواو وقلنا للملائكة فلا تكون للترتيب والتعقيب وقيل أراد ثم أخبرناكم انا قلنا للملائكة اسجدوا وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره ولقد خلقناكم يعني آدم ثم قلنا للملائكة اسجدوا ثم صورناكم .قوله تعالى ﴿فسجدوا﴾ يعني الملائكة ﴿الا ابليس لم يكن من الساجدين﴾ لآدم ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿يا ابليس مامنعك أن لاتسجد إذ أمرتك﴾ أي مامنعك أن تسجد

ابن جرير وردهما واختار أن منعك مضمن معني فعل آخر تقديره ماأحرجك وألزمك واضطرك أن لاتسجد إذ أمرتك ونحوهذا. وهذا القول قوي حسن والله أعلم وقول إبليس لعنه الله (أنا خيرمنه) من العذر الذي هو أكبر من الذنب كأنه امتنع من الطاعة لانه لايؤمر الفاضل بالسجود للمفضول يعني لعنه الله وأنا خيرمنه فكيف تأمرني بالسجود له؟ ثم بين انه خيرمنه بأنه خلق من نار والنار أشرف مما خلقته منه وهو الطين فنظر اللعين الى اصل العنصر ولم ينظر الى التشريف العظيم وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه وقاس قياسا فاسداً في مقابلة نص قوله تعالى (فقعوا له ساجدين) فشذ من بين الملائكة لترك السجود فلهذا أبلس من الرحمة أي أويس من الرحمة فأخطأ قبحه الله في قياسه ودعواه ان النار أشرف من الطين أيضا فان الطين من شأنه الرزانة والحلم والاناة والتثبت والطين محل النبات والنمو والزيادة والاصلاح والنار من شأنها الاحراق والطيش والسرعة ولهذا خان ابليس عنصره ونفع آدم عنصره بالرجوع والانابة والاستكانة والانقياد والاستسلام لأمر الله والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ «خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار وخلق آدم بما وصف لكم» هكذا رواه مسلم وقال ابن مردويه حدثنا عبدالله بن جعفر حدثنا اسماعيل بن عبد الله ابن مسعود حدثنا نعيم بن حماد حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ «خلق الله الملائكة من نور العرش وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم» قلت لنعيم بن حماد أين سمعت هذا من عبد الرزاق؟ قال باليمن، وفي بعض ألفاظ هذا الحديث في غير الصحيح «وخلقت الحور العين من الزعفران» وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن كثير عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن الحسن في قوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) قال قاس ابليس وهو أول من قاس اسناده صحيح وقال حدثني عمر بن مالك حدثنا يحيى بن سليم الطائفي عن هشام

ولا زائدة كقوله تعالى ﴿وحرام على قرية أهلكناها انهم لايرجعون﴾ ﴿قال﴾ ابليس مجيباً له ﴿أنا خير منه﴾ لانك ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ والنار خير وأنور من الطين قال ابن عباس أول من قاس ابليس فاخطأ القياس فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع ابليس، قال ابن سيرين ما عبدت الشمس الا بالقياس قال محمد بن جرير ظن الخبيث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل لمن جعل الله له الفضل وقد فضل الطين على النار وقالت الحكماء للطين فضل على النار من وجوه منها أن من جوهر الطين الرزانة والوقار والحلم والصبر وهو الداعي لآدم بعد السعادة التي سبقت له الى التوبة والتواضع والتضرع فأورثه الاجتباء والتوبة والهداية ومن جوهر النار الخفة والطيش والجرأة والارتفاع وهو الداعي لابليس بعد الشقاوة التي سبقت له الى الاستكبار والاصرار فأورثه اللعنة والشقاوة ولأن الطين سبب جمع الاشياء والنار سبب تفرقها ولأن التراب سبب الحياة لأن حياة الاشجار

عن ابن سيرين قال أول من قاس إبليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقايس اسناد صحيح أيضاً

قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصٰغرين (١٣) قال أنظرني إلى يوم يبعثون (١٤) قال إنك من المنظرين (١٥)

يقول تعالى مخاطبا لابليس بأمر قدري كوني (فاهبط منها) أي بسبب عصيانك لأمري وخروجك عن طاعتي فما يكون لك أن تتكبر فيها قال كثير من المفسرين الضمير عائد الى الجنة ويحتمل أن يكون عائداً الى المنزلة التي هو فيها في الملكوت الاعلى (فاخرج انك من الصاغرين) أي الذليلين الحقيرين معاملة له بنقيض قصده ومكافأة لمراده بضده فعند ذلك استدرك اللعين وسأل النظرة الى يوم الدين قال (أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين) أجابه تعالى الى ما سأل لماله في ذلك من الحكمة والارادة والمشيئة التي لا تخالف ولا تمانع ولا معقب لحكمة (وهو سريع الحساب)

قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صرٰطك المستقيم (١٦) ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمٰنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شٰكرين (١٧)

يخبر تعالى انه لما أنظر ابليس (الى يوم يبعثون) واستوثق إبليس بذلك أخذ في المعاندة والتمرد فقال (فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم) أي كما أغويتني قال ابن عباس كما أضللتني

والنبات به والنار سبب الهلاك

قوله تعالى ﴿ قال فاهبط منها ﴾ أي من الجنة وقيل من السماء الى الأرض وكان له ملك الأرض فأخرجه منها الى جزائر البحر وعرشه في البحر الاخضر فلا يدخل الارض الا خائفا على هيئة السارق مثل شيخ عليه اطمار يروع فيها حتى يخرج منها

قوله تعالى ﴿فما يكون لك أن تتكبر﴾ بمخالفة الأمر ﴿فيها﴾ أي في الجنة ولا ينبغي أن يسكن الجنة ولا السماء متكبر مخالف لأمر الله ﴿فاخرج انك من الصاغرين﴾ من الاذلاء والصغار والذل والمهانه ﴿قال﴾ ابليس عند ذلك ﴿انظرني﴾ أخرني وأمهلني فلا تمتني ﴿الى يوم يبعثون﴾ من قبورهم وهو النفخة الآخرة عند قيام الساعة أراد الخبيث أن لا يذوق الموت ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿انك من المنظرين﴾ المؤخرين وبين مدة النظرة والمهلة في موضع آخر (فقال الى يوم الوقت المعلوم) وهو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم ﴿قال فبما أغويتني﴾ اختلفوا فيما قيل هو استفهام يعني فبأي شيء أغويتني ثم ابتدأ فقال لاقعدن لهم وقيل هو ما الجزاء أي لاجل انك أغويتني أقعدن لهم وقيل هو ما المصدر موضع القسم تقديره فباغوائك إياي لاقعدن لهم كقوله (بما غفر لي ربي) يعني بغفران ربي والمعنى بقدرتك علي ونفاذ سلطانك وقال ابن الانباري أي فيما أوقعت في قلبي من الغي الذي كان سبب هبوطي من السماء (أغويتني) أي أضللتني عن الهدى وقيل أهلكتني وقيل خيبتني ﴿لأقعدن

وقال غيره كما أهلكتني لأقعدن لعبادك الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه على (صراطك المستقيم) أي طريق الحق وسبيل النجاة ولاضلنهم عنها لئلا يعبدوك ولا يوحدوك بسبب اضلالك اياي وقال بعض النحاة الباء هنا قسمية كأنه يقول فبأغوائك اياي لأقعدن لهم صراطك المستقيم قال مجاهد صراطك المستقيم يعني الحق وقال محمد بن سوقة عن عون بن عبدالله يعني طريق مكة، قال ابن جرير الصحيح أن الصراط المستقيم أعم من ذلك (قلت) لما روى الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو عقيل يعني الثقفي عبد الله بن عقيل حدثنا موسى بن المسيب أخبرني سالم ابن أبي الجعد عن سبرة بن أبي الفاكه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان الشيطان قعد لابن آدم بطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك قال فعصاه وأسلم» قال «وقعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتدع أرضك وسماءك وانما مثل المهاجر كالفرس في الطول فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال فقال تقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال قال فعصاه وجاهد» وقال رسول الله ﷺ «فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة وان قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابة كان حقاً على الله أن يدخله الجنة» وقوله (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم) الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ثم لآتينهم من بين أيديهم) أشككهم في آخرتهم (ومن خلفهم) أرغبهم في دنياهم (وعن أيمانهم) أشبه عليهم أمر دينهم (وعن شمائلهم) أشهي لهم المعاصي وقال ابن أبي طلحة في رواية والعوفي كلاهما عن ابن عباس أما من بين أيديهم فمن قبل دنياهم وأما من خلفهم فأمر آخرتهم وأما عن أيمانهم فمن قبل حسناتهم وأما عن شمائلهم فمن قبل سيئاتهم وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها وعن أيمانهم من قبل حسناتهم بطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي

لهم صراطك المستقيم﴾ أي لاجلسن لبني آدم على طريقك القويم وهو الاسلام ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من بين أيديهم أي من قبل الآخرة فاشككهم فيها ﴿ومن خلفهم﴾ أرغبهم في دنياهم ﴿وعن أيمانهم﴾ أشبه عليهم أمر دينهم ﴿وعن شمائلهم﴾ أشهي لهم المعاصي وروى عطية عن ابن عباس من بين أيديهم من قبل دنياهم يعني أزينها في قلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فأقول لا بعث ولا جنة ولا نار وعن أيمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وقال الحكم من بين أيديهم من قبل الدنيا يزينها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة يثبطهم عنها وعن أيمانهم من قبل الحق يصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل يزينه لهم وقال قتادة أتاهم من بين أيديهم فاخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمور الدنيا يزينها لهم ويدعوهم اليها وعن أيمانهم من قبل حسناتهم بطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم اليها

ودعاهم اليها وأمرهم بها آتاك يابن آدم من كل وجه غير انه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله . وكذا روي عن إبراهيم النخعي والحكم بن عيينة والسدي وابن جريج إلا انهم قالوا من بين أيديهم الدنيا ومن خلفهم الآخرة وقال مجاهد من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لايبصرون واختار ابن جرير أن المراد جميع طرق الخير والشر فالخير يصدهم عنه والشر يحسنه لهم وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) ولم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل من فوقهم وقال علي أبي طلحة عن ابن عباس (ولا تجد أكثرهم شاكرين) قال موحدين وقول إبليس هذا إنما هو ظن منه وتوهم وقد وافق في هذا الواقع كما قال تعالى (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ) ولهذا ورد في الحديث الاستعاذة من تسلط الشيطان على الانسان من جهاته كلها كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا نصر بن علي حدثنا عمرو ابن مجمع عن يونس بن خباب عن ابن جبير بن مطعم يعني نافع بن جبير عن ابن عباس وحدثنا عمر بن الخطاب يعني السجستاني حدثنا عبدالله بن جعفر حدثنا عبدالله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن يونس بن خباب عن ابن جبير بن مطعم عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يدعو «اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك اللهم ان اغتال من تحتي» تفرد به البزار وحسنه وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبادة بن مسلم الفزاري حدثني جرير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم سمعت عبد الله بن عمر يقول لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك ان اغتال من تحتي» قال وكيع من تحتي يعني الخسف

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبادة بن مسلم به وقال الحاكم صحيح الاسناد

أتاك يابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله وقال مجاهد من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لايبصرون وقال ابن جريج معنى قوله (حيث لايبصرون) أي لايخطئون حيث يعلمون أنهم يخطئون وحيث لا لايبصرون أي لايعلمون أنهم يخطئون ﴿ولا تجد اكثرهم شاكرين﴾ مؤمنين فان قيل كيف علم الخبيث

قال اخرج منها مذءوماً مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين(١٨)

أكد تعالى عليه اللعنة والطرد والابعاد والنفي عن محل الملأ الأعلى بقوله (اخرج منها مذءوما مدحورا) قال ابن جرير أما المذءوم فهو المعيب والذأم غير مشدد العيب يقال ذأمه يذأمه ذأما فهو مذءوم ويتركون الهمز فيقول ذمته أذيمه ذيما وذاما ء والذام والذيم أبلغ في العيب من الذم قال والمدحور المقصي وهو المبعد المطرود وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم مانعرف المذءوم والمذموم إلا واحداً وقال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن التميمي عن ابن عباس اخرج منها مذءوماً مدحورا قال مقيتا وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس صغيراً مقيتاً وقال السدي مقيتاً مطروداً وقال قتادة لعيناً مقيتاً وقال مجاهد منفياً مطرودا وقال الربيع بن أنس مذءوماً منفيا والمدحور المصغر . وقوله تعالى (لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين) كقوله (قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً * واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا * ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا)

ويا ءادم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هـذه الشجرة فتكونا من الظـلمين(١٩) فوسوس لهما الشيطن ليبدي لهما ماوري عنهما من سوءتهما وقال ما نهكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملـكين أو تكونا من الخـلدين(٢٠) وقاسمهما إني لـكما لمن النـصحين (٢١)

يذكر تعالى أنه أباح لآدم عليه السلام ولزوجته حواء الجنة أن يأ كلا منها من جميع ثمارها إلا

ذلك قيل قاله ظناً فأصاب قال الله تعالى (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) ﴿قال﴾ الله تعالى لأبليس ﴿أخرج منها مذؤما مدحوراً﴾ أي معيباً والذأم اشد العيب يقال ذأمه يذأمه ذأما فهو مذؤم وذامه يذيمه ذاما فهو مذيم مثل سار يسير سيراً والمدحور المبعد المطرود يقال دحره يدحره دحراً إذا أبعده وطرده قال ابن عباس مذؤما أي ممقوتا قال قتادة مذؤما مدحوراً أي لعينا شقيا وقال الكلبي مذؤما ملوما مدحوراً مقصيا من الجنة ومن كل خير ﴿لمن تبعك منهم﴾ من بني آدم ﴿لاملأن جهنم﴾ اللام لام القسم ﴿منكم أجمعين﴾ أي منك ومن ذريتك ومن كفار ذريتك ومن كفار ذرية آدم أجمعين

قوله تعالى ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هـذه الشجرة

شجرة واحدة وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة فعند ذلك حسدهما الشيطان وسعى في المكر والوسوسة والخديعة ليسلبهما ماهما فيه من النعمة واللباس الحسن (وقال) كذبا وافتراء (مانهما كما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين) أي لئلا تكونا ملكين أو خالدين ههنا ولو أنكما أكلتما منها لحصل لكما ذلكما كقوله (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) أي لئلا تكونا ملكين كقوله (يبين الله لكم أن تضلوا) أي لئلا تضلوا وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم) أي لئلا تميد بكم وكان ابن عباس ويحيى بن أبي كثير يقرآن (الا أن تكونا ملكين) بكسر اللام وقرأه الجمهور بفتحها (وقاسمهما) أي حلف لهما بالله (إني لكما لمن الناصحين) فاني من قبلكما ههنا وأعلم بهذا المكان وهذا من باب المفاعلة والمراد أحد الطرفين كما قال خالد بن زهير بن عم أبي ذؤيب

وقاسمهم بالله جهداً لأنتم ألذ من السلوى إذا ماشورها

أي حلف لهما بالله على ذلك حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله

وقال قتادة في الآية حلف بالله اني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما وكان بعض أهل العلم يقول من خدعنا بالله انخدعنا له

فدلـٰهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءٰتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ونادٰهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطٰن لكما عدو مبين (٢٢) قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخٰسرين (٢٣)

قال سعيد بن أبي عروبه عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال كان آدم رجلا

فتكونا من الظالمين ● فوسوس لهما الشيطان ﴾ أي اليهما ، والوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب الانسان ﴿ ليبدي لهما ماووري عنهما من سوآتهما ﴾ أي ليظهر لهما ماغطى وستر عنهما من عوراتهما قيل اللام فيه لام العاقبة وذلك أن ابليس لم يوسوس لهذا ، ولكن كان عاقبة أمرهم ذلك وهوظهور عورتهما كقوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا) ثم بين الوسوسة فقال ﴿ وقال ﴾ ابليس لآدم وحواء ﴿ مانهاكما ربكما عن هذ الشجرة إلا أن تكونا ملكين ﴾ يعني إلا كراهية أن تكونا من الملائكة يعلمان الخير والشر ﴿ أو تكونا من الخالدين ﴾ من الباقين الذين لايموتون كما قال في موضع آخر (هل أدلك على شجرة الخلد) ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ أي وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد . وقال قتادة : حلف لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال : اني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما ، وابليس أول من حلف بالله كاذبا ، فلما حلف ظن آدم أن أحداً لايحلف بالله إلا صادقا فاغتر به ﴿ فدلاهما بغرور ﴾ أي خدعهما ، يقال

طوالا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع فيما وقع فيه من الخطيئة بدت له عورته عند ذلك وكان لايراها فانطلق هاربا في الجنة فتعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة فقال لها أرسليني فقالت إني غير مرسلتك فناداه ربه عز وجل يا آدم أمني تفر قال يارب إني استحييتك وقد رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عن الحسن عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ مرفوعا والموقوف أصح اسناداً وقال عبد الرزاق أنبأنا سفيان بن عيينة وابن المبارك أنبأنا الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما وكان الذي وارى عنهما من سوآتهما اظفارهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ورق التين يلزقان بعضه إلى بعض فانطلق آدم عليه السلام موليا في الجنة فعلقت برأسه شجرة من الجنة فناداه الله يا آدم أمني تفر ؟ قال لا ولكني استحييتك يارب قال أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يارب ولكن وعزتك ماحسبت أن أحداً يحلف بك كاذبا قال وهو قول الله عز وجل (وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) قال فبعزتي لاهبطنك إلى الارض ثم لاتنال العيش إلا كدا قال فاهبط من الجنة وكانا يأكلان منها رغداً فاهبط إلى غير رغد من طعام وشراب فعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصد ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه ماشاء الله أن يبلغ وقال الثوري عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة)قال ورق التين صحيح اليه وقال مجاهد جعلا يخصفان عليهما من ورق

مازال ابليس يدلي فلانا بالغرور يعني مازال يخدعه ويكلمه بزخرف باطل من القول ، وقيل حطهما من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية ، ولا يكون التدلي من علو إلى أسفل ، والتدلية ارسال الدلو في البئر يقال تدلى بنفسه ودعا غيره . وقال الازهري : أصله من تدلية العطشان في البئر ليروى من الماء ، ولا يجد الماء فيكون تدلى بالغرور عن اظهار النصح مع ابطان الغش ﴿ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما ﴾ قال الكلبي : فلما أكلا منها ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قبل أن ازدردا أخذتهما العقوبة ، والعقوبة أن بدت ظهرت لهما سوآتهما عوراتهما ، وتهافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ماووري عنه من عورة صاحبه وكانا لايريان ذلك . قال وهب : كان لباسهما من النور . وقال قتادة : كان ظفراً ألبسهما الله من الظفر لباساً ، فلما واقعا الذنب بدت لهما سوآتهما فاستحيا ﴿ وطفقا ﴾ أقبلا وجعلا ﴿ يخصفان ﴾ يرقعان ويلزقان ويصلان ﴿ عليهما من ورق الجنة ﴾ وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب . قال الزجاج : يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سوآتهما وروي عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ « كان آدم رجلا طوالا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس ، فلما وقع في الخطيئة بدت له سوأته وكان لايراها فانطلق هاربا في الجنة فعرضت له

الجنة قال كهيئة الثوب وقال وهب بن منبه في قوله ينزع عنهما لباسهما قال كان لباس آدم وحواء نوراً على فروجهما لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما أكلا من الشجرة بدت لهما سوآتهما رواه ابن جرير بسند صحيح اليه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال قال آدم أي رب أرأيت إن تبت واستغفرت قال اذاً أدخلك الجنة وأما ابليس فلم يسأله التوبة وسأله النظرة فأعطى كل واحد منهما الذي سأله وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا عباد بن العوام عن سفيان ابن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال حواء أمرتني قال فاني قد أعقبتها أن لاتحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت عند ذلك حواء فقيل لها الرنة عليك وعلى ولدك وقال الضحاك بن مزاحم في قوله (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه

قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتع إلى حين (٢٤) قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تُخرجون (٢٥)

قيل المراد بالخطاب في (اهبطوا) آدم وحواء وابليس والحية ومنهم من لم يذكر الحية والله أعلم والعمدة في العداوة آدم وابليس ولهذا قال تعالى في سورة طه قال (اهبطا منها جميعا) الآية وحواء تبع لآدم والحية إن كان ذكرها صحيحاً فهي تبع لابليس وقد ذكر المفسرون الاماكن التي هبط فيها كل منهم ويرجع حاصل تلك الاخبار الى الاسرائيليات والله أعلم بصحتها ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله ﷺ وقوله (ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) أي قرار وأعمار مضروبة الى آجال معلومة

شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها : أرسليني ، قالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا آدم أتفرّ مني ؟ قال لا يارب ولكن استحييتك ﴿ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ﴾ يعني عن الاكل منها ﴿ وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾ أي بين العداوة . قال محمد بن قيس : ناداه ربه يا آدم أكلت منها وقد نهيتك ، قال رب أطعمتني حواء ، قال لحواء لم أطعمتيه ؟ قالت أمرتني الحية قال للحية لم أمرتيها ؟ قالت أمرني ابليس فقال الله أما أنت ياحواء فكما أدميت الشجرة فتدمين كل شهر . وأما أنت ياحية فأقطع قوائمك فتمشين على بطنك ووجهك وسيشدخ رأسك من لقيك، وأما أنت ياابليس فملعون مدحور ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ ضررناها بالمعصية ﴿ وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ﴾ الهالكين ﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع

قد جرى بها القلم وأحصاها القدر وسطرت في الكتاب الاول وقال ابن عباس (مستقر) القبور وعنه قال (مستقر) فوق الارض وتحتها رواهما ابن أبي حاتم وقوله قال (فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) كقوله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) يخبر تعالى أنه جعل الارض داراً لبني آدم مدة الحياة الدنيا فيها محياهم وفيها مماتهم وقبورهم ومنها نشورهم ليوم القيامة الذي يجمع الله فيه الاولين والآخرين ويجازي كلا بعمله

يٰبني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوٰري سوءٰتكم وريشاً ولباسُ التقوى ذٰلك خير ، ذٰلك من آيٰت الله لعلهم يذّكرون (٢٦)

يمتن تعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش فاللباس ستر العورات وهي السوآت والرياش والريش مايتجمل به ظاهراً فالاول من الضروريات والريش من التكملات والزيادات قال ابن جرير الرياش في كلام العرب الأثاث وما ظهر من الثياب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وحكاه البخاري عنه الريش المال وهكذا قال مجاهد وعروة بن الزبير والسدي والضحاك وغير واحد وقال العوفي عن ابن عباس الرياش اللباس والعيش والنعيم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الرياش الجمال وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا اصبغ عن أبي العلاء الشامي قال لبس أبو أمامة ثوبا جديداً فلما بلغ ترقوته قال الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول قال رسول الله ﷺ « من استجد ثوبا فلبسه فقال حين يبلغ ترقوته الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم عمد إلى الثوب الخلق فتصدق به كان في ذمة الله وفي جوار الله وفي كنف الله حيا وميتا » رواه الترمذي وابن ماجه من رواية يزيد بن هارون عن اصبغ هو ابن زيد الجهني وقد وثقه يحيى بن معين وغيره وشيخه أبو العلاء الشامي لا يعرف إلا بهذا الحديث ولكن لم يخرجه أحد والله أعلم

إلى حين * قال فيها تحيون ﴾ يعني في الارض تعيشون ﴿ وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ أي من الارض تخرجون من قبوركم للبعث ، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء ههنا ، وفي الزخرف وافق يعقوب ههنا وزاد حمزة والكسائي ، وكذلك تخرجون في أول الروم والباقون بضم التاء ورفع الراء فيهن

قوله تعالى ﴿ يابني آدم قد أنزلنا عليكم ﴾ أي خلقنا لكم ﴿ لباساً ﴾ وقيل انما قال (أنزلنا) لأن اللباس يكون من نبات الارض ، والنبات يكون بما ينزل من السماء فمعنى قوله (أنزلنا) أي أنزلنا أسبابه ، وقيل كل بركات الارض منسوبة إلى السماء كما قال تعالى (وأنزلنا الحديد) وانما يستخرج الحديد من الارض ، وسبب نزول هذه الآية أنهم كانوا في الجاهلية يطوفون بالبيت عراة يقولون

وقال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبيد حدثنا مختار بن نافع التمار عن أبي مطر أنه رأى عليا رضي الله عنه أتى غلاما حدثا فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ولبسه ما بين الرصغين الى الكعبين يقول حين لبسه الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس وأواري به عورتي فقيل هذا شيء ترويه عن نفسك أو عن النبي ﷺ قال هذا شيء سمعته من رسول الله ﷺ يقول عند الكسوة « الحمد لله الذي رزقني من الريش ما أتجمل به في الناس وأواري به عورتي » رواه الامام أحمد وقوله تعالى (ولباس التقوى ذلك خير) قرأ بعضهم ولباس التقوى بالنصب وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء. وذلك خير خبره واختلف المفسرون في معناه فقال عكرمة يقال هو ما يلبسه المتقون يوم القيامة رواه ابن أبي حاتم وقال زيد بن علي والسدي وقتادة وابن جريج ولباس التقوى الايمان وقال العوفي عن ابن عباس العمل الصالح قال الديال بن عمرو عن ابن عباس هو السمت الحسن في الوجه وعن عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ولباس التقوى يتقي الله فيواري عورته فذاك لباس التقوى وكلها متقاربة ويؤيد ذلك الحديث الذي رواه ابن جرير حيث قال حدثني المثنى حدثنا اسحاق بن الحجاج حدثني اسحاق بن اسماعيل عن سليمان بن أرقم عن الحسن قال رأيت عثمان ابن عفان رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ عليه قميص فوهي محلول الزر وسمعته يأمر بقتل الكلاب وينهى عن اللعب بالحمام ثم قال يا أيها الناس اتقوا الله في هذه السرائر فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « والذي نفس محمد بيده ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله رداءها علانية إن خيراً

لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فكان الرجال يطوفون بالنهار ، والنساء بالليل عراة . قال قتادة : كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله   وما بدا منه فلا أحله

فأمر الله سبحانه بالستر فقال (قد أنزلنا عليكم لباساً) ﴿ يواري سوآتكم ﴾ يستر عوراتكم واحدتها سوأة سميت بها لأنه يسوء صاحبها انكشافها فلا تطوفوا عراة ﴿ وريشاً ﴾ يعني مالا في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي يقال تريش الرجل اذا تمول ، وقيل الريش الجمال أي ما تتجملون به من الثياب ، وقيل هو اللباس ﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴾ قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي ولباس بنصب السين عطفاً على قوله (لباساً) وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء، وخبره خير وجعلوا ذلك صلة في الكلام ، ولذلك قرأ ابن مسعود وأبيّ بن كعب ولباس التقوى خير واختلفوا في لباس التقوى قال قتادة والسدي : التقوى هو الايمان . وقال الحسن : هو الحياء لأنه يبعث على التقوى . وقال عطاء عن ابن عباس هو العمل الصالح ، وعن عثمان بن عفان أنه هو السمت الحسن . وقال عروة بن الزبير : لباس التقوى خشية الله . وقال الكلبي هو العفاف والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه اذا أخذ به مما خلق له من اللباس للتجمل . وقال ابن الانباري : لباس

فخير وإن شراً فشر » ثم قرأ هذه الآية (وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله) قال السمت الحسن هكذا رواه ابن جرير من رواية سليمان بن أرقم وفيه ضعف وقد روى الأئمة الشافعي وأحمد والبخاري في كتاب الادب من طرق صحيحة عن الحسن البصري أنه سمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان يأمر بقتل الكلاب وذبح الحمام يوم الجمعة على المنبر وأما المرفوع منه فقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير له شاهداً من وجه آخر حيث قال حدثنا (١)

يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون (٢٧)

يحذر تعالى بني آدم من ابليس وقبيله مبيناً لهم عداوته القديمة لأبي البشر آدم عليه السلام في سعيه في اخراجه من الجنة التي هي دار النعيم إلى دار التعب والعناء والتسبب في هتك عورته بعدما كانت مستورة عنه وماهذا إلا عن عداوة أكيدة وهذا كقوله تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا)

وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها . قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون (٢٨) قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون (٢٩) فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون (٣٠)

التقوى هو اللباس الاول ، وانما أعاده اخباراً أن ستر العورة خير من التعري في الطواف . وقال زيد بن علي لباس التقوى الآلات التي يتقى بها في الحرب كالدرع والمغفر والساعد والساقين، وقيل لباس التقوى هو الصوف والثياب الخشنة التي يلبسها أهل الورع ﴿ ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يابني آدم لايفتننكم الشيطان ﴾ لايضلنكم الشيطان ﴿ كما أخرج أبويكم ﴾ أي كما فتن أبويكم آدم وحواء فأخرجهما ﴿ من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ﴾ أي ليري كل واحد سوأة الآخر ﴿ أنه يراكم ﴾ يعني إن الشيطان يراكم يابني آدم ﴿ هو وقبيله ﴾ جنوده قال ابن عباس هو وولده وقال قتادة قبيله الجن والشياطين ﴿ من حيث لاترونهم ﴾ قال مالك بن دينار ان عدواً يراك ولاتراه لشديد المؤنة الا من عصم الله ﴿ انا جعلنا الشياطين أولياء ﴾ قرناء وأعوانا ﴿ للذين لايؤمنون ﴾ قال الزجاج سلطانهم عليهم يزيدون في غيهم كما قال (انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً) ﴿ وإذا فعلوا

قال مجاهد كان المشركون يطوفون بالبيت عراة يقولون نطوف كما ولدتنا أمهاتنا فتضع المرأة على قبلها النسعة أو الشيء وتقول

اليوم يبدو كله أو بعضه وما بدا منه فلا أحله

فأنزل الله (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) الآية قلت كانت العرب ماعدا قريشا لايطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها يتأولون في ذلك أنهم لايطوفون في ثياب عصوا الله فيها وكانت قريش وهم الحمس يطوفون في ثيابهم ومن أعاره أحمسي ثوبا طاف فيه ومن معه ثوب جديد طاف فيه ثم يلقيه فلا يتملكه أحد ومن لم يجد ثوبا جديداً ولا أعاره أحمسي ثوبا طاف عريانا وربما كانت امرأة فتطوف عريانة فتجعل على فرجها شيئاً ليستره بعض الستر فتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

وأكثر ماكان النساء يطفن عراة بالليل وكان هذا شيئا قد ابتدعوه من تلقاء أنفسهم واتبعوا فيه آباءهم ويعتقدون أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع فأنكر الله تعالى عليهم ذلك فقال (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) فقال تعالى ردا عليهم (قل) أي يامحمد لمن ادعى ذلك (ان الله لايأمر بالفحشاء) أي هذا الذي تصنعونه فاحشة منكرة والله لايأمر بمثل ذلك (أتقولون على الله مالا تعلمون) أي اتسندون الى الله من الاقوال مالا تعلمون صحته وقوله تعالى (قل أمر ربي بالقسط) أي بالعدل والاستقامة (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) أي أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيما أخبروا به عن الله وماجاءوا به من الشرائع وبالاخلاص له في عبادته فانه تعالى لايتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين أن يكون صوابا موافقا للشريعة وأن يكون خالصاً من الشرك وقوله تعالى كما بدأكم تعودون) الى قوله (الضلالة) اختلف في معنى قوله (كما بدأكم تعودون) فقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (كما بدأكم تعودون) يحييكم بعد موتكم وقال الحسن البصري كما بدأكم في الدنيا كذلك تعودون يوم

فاحشة﴾ قال ابن عباس ومجاهد هي طوافهم بالبيت عراة وقال عطاء الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح بلغ النهاية في القبح ﴿قالوا وجدنا عليهم آباءنا﴾ وفيه اضمار معناه واذا فعلوا فاحشة قالوا (وجدنا عليها آباءنا) واذا قيل ومن ابن اخذ آباؤكم قالوا ﴿ والله أمرنا بها قل ان الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون قل امر ربي بالقسط ﴾ قال ابن عباس بلا إله الا الله ، وقال الضحاك بالتوحيد وقال مجاهد والسدى بالعدل ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ قال مجاهد والسدى يعني توجهوا حيث ماكنتم في الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك اذا حضرت الصلاة وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم أصلى في مسجدي وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا ﴿وادعوه﴾ واعبدوه ﴿مخلصين له الدين﴾ الطاعة والعبادة ﴿ كما بدأكم تعودون﴾ قال ابن عباس ان الله بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا

القيامة أحياء وقال قتادة (كما بدأكم تعودون) قال بدأ فخلقهم ولم يكونوا شيئا ثم ذهبوا ثم يعيدهم وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم كما بدأكم أولا كذلك يعيدكم آخرا واختار هذا القول أبو جعفر بن جرير وأيده بما رواه من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج كلاهما عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال «يا أيها الناس إنكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين» وهذ الحديث مخرج في الصحيحين من حديث شعبة وفي حديث البخاري أيضا من حديث الثوري به وقال ورقاء بن إياس ابو يزيد عن مجاهد (كما بدأكم تعودون) قال يبعث المسلم مسلما والكافر كافرا وقال أبو العالية (كما بدأكم تعودون) ردوا الى علمه فيهم وقال سعيد بن جبير كما بدأكم تعودون كما كتب عليكم تكونون وفي رواية كما كنتم عليه تكونون وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى (كما بدأكم تعودون) من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار الى ما ابتدىء عليه خلقه وان عمل بأعمال أهل السعادة ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار الى ما ابتدىء خلقه عليه وان عمل بأعمال أهل الشقاء كما أن السحرة عملوا بأعمال أهل الشقاء ثم صاروا الى ما ابتدؤا عليه وقال السدي (كما بدأكم تعودون) فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة يقول (كما بدأكم تعودون) كما خلقناكم فريق مهتدون وفريق ضلال كذلك تعودون تخرجون من بطون أمهاتكم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (كما بدأكم تعودون) فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة قال ان الله تعالى بدأ خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا كما قال (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا قلت ويتأيد هذا القول بحديث ابن مسعود في صحيح البخاري «فوالذي لا إله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها الا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة»

كما قال (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافراً قال جابر يبعثون على ماماتوا عليه اخبرنا احمد بن عبدالله الصالحي حدثنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنبأنا محمد بن عبد الله الصفار حدثنا احمد بن محمد بن عيسى البزي حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن ابي سفيان عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ «يبعث كل عبد على مامات عليه المؤمن على إيمانه والكافر على كفره» وقال أبو العالية عادوا على علمه فيهم قال سعيد ابن جبير كما كتب عليكم تكونون قال محمد بن كعب من ابتدا الله خلقه على الشقاوة صار اليها وان عمل أعمال أهل السعادة كما أن ابليس كان يعمل باعمال أهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدا خلقه على السعادة صار اليها وإن عمل بعمل أهل الشقاوة وكما أن السحرة كانت تعمل بعمل أهل الشقاوة فصاروا الى السعادة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنبأنا ابو

وقال أبو القاسم البغوي حدثنا علي بن الجعد حدثنا أبو غسان عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ « ان العبد ليعمل فيما يرى الناس بعمل أهل الجنة وإنه من اهل النار وانه ليعمل فيما يرى الناس بعمل أهل النار وهو من أهل الجنة وانما الأعمال بالخواتيم » هذا قطعة من حديث البخاري من حديث أبي غسان محمد بن مطرف المدني في قصة قزمان يوم أحد وقال ابن جرير حدثني ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال « تبعث كل نفس على ماكانت عليه » وهذا الحديث رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه عن الاعمش به ولفظه « يبعث كل عبد على مامات عليه » وعن ابن عباس مثله قلت ويتأيد بحديث ابن مسعود قلت ولابد من الجمع بين هذا القول ان كان هو المراد من الآية وبين قوله تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) وماجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى « اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم » الحديث ووجه الجمع على هذا أنه تعالى خلقهم ليكون منهم مؤمن وكافر في ثاني الحال وان كان قد فطر الخلق كلهم على معرفته وتوحيده والعلم بانه لااله غيره كما أخذ عليهم الميثاق بذلك وجعله في غرائزهم وفطرهم ومع هذا قدران منهم شقيا ومنهم سعيدا (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) وفي الحديث « كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» وقدر الله نافذ في بريته فانه (هو الذي قدر فهدى) و(الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وفي الصحيحين « فاما من كان منكم من اهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة واما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة » ولهذا قال تعالى (فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة) ثم علل ذلك فقال (إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) قال ابن جرير وهذا من أبين الدلالة على خطأ من زعم ان الله لايعذب أحدا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها الا أن يأتيها بعد علم منه بصواب

القاسم البغوي حدثنا علي بن الجعد حدثنا أبو غسان عن أبي حازم قال سمعت سهل بن سعد يقول قال رسول الله ﷺ «إن العبد يعمل فيما يرى الناس بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنه ليعمل فيما يرى الناس بعمل أهل النار وإنه من اهل الجنة وإنما الاعمال بالخواتيم» وقال الحسن ومجاهد كما بدأكم وخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا كذلك تعودون أحياء يوم القيامة كما قال كما بدأنا أول خلق نعيده قال قتادة بدأهم من التراب والى التراب يعودون فنظيره قوله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم) قوله عز وجل ﴿فريقا هدى﴾ أي هداهم الله ﴿ وفريقا حق ﴾ وجب ﴿ عليهم الضلالة ﴾ أي بالارادة السابقة ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾ فيه دليل على أن الكافر الذي يظن انه في دينه على الحق والجاحد والمعاند سواء

وجهها فيركبها عناداً منه لربه فيها لانه لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه مهتد وفريق الهدى فرق وقد فرق الله تعالى بين اسمائهما وأحكامهما في هذه الآية

يٰبني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (٣١)

هذه الآية الكريمة رد على المشركين فيما كانوا يعتمدونه من الطواف بالبيت عراة كما رواه مسلم والنسائي وابن جرير واللفظ له من حديث شعبة عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانو يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء الرجال بالنهار والنساء بالليل وكانت المرأة تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

فقال الله تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد) وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) الآية قال كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة والزينة اللباس وهو مايوارى السوأة وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع فامروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد وهكذا قال مجاهد وعطاء وابراهيم النخعي وسعيد بن جبير وقتادة والسدى والضحاك ومالك عن الزهري وغير واحد من أئمة السلف في تفسيرها أنها نزلت في طواف المشركين بالبيت عراة . وقد روى الحافظ ابن مردويه من حديث سعيد بن بشير والاوزاعي عن قتادة عن أنس مرفوعاً أنها نزلت في الصلاة في النعال ولكن في صحته نظر والله أعلم، ولهذه الآية وما ورد في معناها من السنة يستحب التجمل عند الصلاة ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد والطيب لانه من الزينة والسواك لانه من تمام ذلك ومن أفضل اللباس البياض كما قال الامام احمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا عبدالله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن جبير وصححه عن ابن عباس مرفوعا قال قال رسول الله ﷺ « البسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم وإن خير أكحالكم الاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر » هذا حديث جيد الاسناد رجاله على شرط مسلم، ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عبدالله ابن عثمان بن خيثم به وقال الترمذي حسن صحيح ، وللامام أحمد ايضا واهل السنن باسناد جيد عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله ﷺ « عليكم بثياب البياض فالبسوها فانها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم » وروى الطبراني بسند صحيح عن قتادة عن محمد بن سيرين ان تميما الداري اشترى رداء بألف وكان يصلي فيه ، وقوله تعالى (وكلوا واشربوا) الآية قال بعض السلف جمع الله

قوله تعالى ﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ قال أهل التفسير كانت بنو عامر يطوفون بالبيت عراة فأنزل الله عز وجل (يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) يعني الثياب قال مجاهد ما يوارى عورتك ولو عباءة قال الكلبي الزينة مايواري العورة عند كل مسجد لطواف وصلاة ﴿وكلوا

الطب كله في نصف آية (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) وقال البخاري قال ابن عباس كل ماشئت والبس ماشئت ماأخطأتك خصلتان سرف ومخيلة « وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الاعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس قال (احل الله الاكل والشرب مالم يكن سرفا أو مخيلة اسناده صحيح « وقال الامام احمد حدثنا بهز حدثنا همام عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولاسرف فان الله يحب ان يرى نعمته على عبده » ورواه النسائي وابن ماجه من حديث قتادة عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي ﷺ قال « كلوا وتصدقوا والبسوا في غير اسراف ولا مخيلة » وقال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا سليمان بن سليم الكناني حدثنا يحيى بن جابر الطائي سمعت المقدام بن معد يكرب العبدي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان فاعلا لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه « ورواه النسائي والترمذي من طرق عن يحيى بن جابر به وقال الترمذي حسن وفي نسخة حسن صحيح وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا بقية عن يوسف بن أبي كثير عن نوح بن ذكوان عن الحسن عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ «إن من السرف أن تأكل كل ماشتهيت» ورواه الدارقطني في الافراد وقال هذا حديث غريب تفرد به بقية ، وقال السدي كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون عليهم الودك ما أقاموا في الموسم فقال الله تعالى لهم (كلوا واشربوا) الآية يقول (لاتسرفوا في التحريم) وقال مجاهد أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله ، وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم (ولا تسرفوا) يقول ولا تأكلوا حراماذلك الاسراف ، وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين) في الطعام والشراب ، وقال ابن جرير وقوله (انه لايحب المسرفين) يقول الله تعالى (ان الله لايحب المعتدين) حده في حلال أوحرام الغالين فيما أحل باحلال الحرام أو بتحريم الحلال ولكنه يحب أن يحلل ما أحل ويحرم ماحرم وذلك العدل الذي أمر به

قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبٰت من الرزق قل هي للذين آمنوا في

واشربوا﴾ قال الكلبي كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجهم من الطعام الا قوتاً ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن أحق أن نفعل ذلك يارسول الله فأنزل الله عز وجل (وكلوا) يعنى اللحم والدسم (واشربوا) ﴿ولا تسرفوا﴾ بتحريم ما أحل الله لكم من اللحم والدسم ﴿انه لايحب المسرفين﴾ الذين يفعلون ذلك قال ابن عباس كل ماشئت والبس ماشئت ماأخطأتك خصلتان سرف ومخيلة قال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله في نصف آية وقال (كلوا واشربوا)

قوله عز وجل ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده﴾ يعني لبس الثياب في الطواف ﴿والطيبات

الحيوٰة الدنيا خالصة يوم القيٰمة كذٰلك نفصل الآيٰت لقوم يعلمون(٣٢)

يقول تعالى رداً على من حرم شيئا من المآكل أو المشارب أو الملابس من تلقاء نفسه من غير شرع من الله قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما يحرمون بآرائهم الفاسدة وابتداعهم (من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) الآية أي هي مخلوقة لمن آمن بالله وعبده في الحياة الدنيا وان شركهم فيها الكفار حسا في الدنيا فهي لهم خاصة يوم القيامة لايشركهم فيها أحد من الكفار فان الجنة محرمة على الكافرين قال أبو القاسم الطبراني حدثنا أبوحصين محمد بن الحسين القاضي حدثنا يحيي الحماني حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون فأنزل الله(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده)فامروا بالثياب

قل إنما حرم ربي الفوٰحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطٰناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون (٣٣)

قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه المدح من الله » اخرجاه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن شقيق عن أبي وائل عن عبدالله بن مسعود وتقدم الكلام على مايتعلق بالفواحش ماظهر منها وما بطن في سورة الانعام

من الرزق﴾ يعني اللحم والدسم في أيام الحج وعن ابن عباس وقتادة والطيبات من الرزق ما حرم أهل الجاهلية من البحائر والسوائب ﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ فيه حذف تقديره هي للذين آمنوا والمشركين في الحياه الدنيا فان أهل الشرك يشاركون المؤمنين في طيبات الدنيا وهي في الآخرة خاصة للمؤمنين لاحظ للمشركين فيها وقيل هي خالصة يوم القيامة من التنغيص والغم وقرأ نافع خالصة رفع أي قل هي للذين آمنوا مشتركة في الدنيا خالصة يوم القيامة وقرأ الآخرون بالنصب على القطع ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن﴾ يعني الطواف عراة ماظهر طواف الرجال بالنهار وما بطن طواف النساء بالليل وقيل هو الزنا سراً وعلانية أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي وائل عن عبد الله قال قلت أنت سمعت هذا من عبدالله قال نعم رفعه قال لاأحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن ولاأحد احب اليه المدحة من الله فلذلك مدح نفسه

وقوله (والاثم والبغي بغير الحق) قال السدي أما الاثم فالمعصية والبغي أن تبغي على الناس بغير الحق وقال مجاهد الاثم المعاصي كلها واخبر أن الباغي بغيه على نفسه ، وحاصل مافسر به الاثم أنه الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه والبغي هو التعدي الى الناس فحرم الله هذا وهذا وقوله تعالى (وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) أي تجعلوا له شركا في عبادته (وان تقولوا على الله مالا تعلمون) من الافتراء والكذب من دعوى أن له ولدا ونحو ذلك مما لاعلم لكم به كقوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) الآية .

ولكل أمة أجل فاذاجاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون (٣٤) يابني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٥) والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٦)

يقول تعالى (ولكل أمة) أي قرن وجيل (أجل فاذا جاء أجلهم) أي ميقاتهم المقدر لهم (لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ثم أنذر تعالى بني آدم أنه سيبعث اليهم رسلا يقصون عليهم آياته وبشر وحذر فقال (فمن اتقى واصلح) أي ترك المحرمات وفعل الطاعات (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها) أي كذبت بها قلوبهم واستكبروا عن العمل بها

قوله عز وجل ﴿ والاثم ﴾ يعني الذنب والمعصية . وقال الضحاك : الذنب الذي لاحد فيه . وقال الحسن : الاثم الخمر ، قال الشاعر :

شربت الاثم حتى ضلّ عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول

﴿ والبغي ﴾ الظلم والكبر ﴿ بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ﴾ حجة وبرهانا ﴿ وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾ في تحريم الحرث والانعام في قول مقاتل . وقال غيره : هو عام في تحريم القول في الدين من غير تعين ﴿ ولكل أمة أجل ﴾ مدة وأكل وشرب . وقال ابن عباس وعطاء والحسن يعني وقتاً لنزول العذاب بهم ﴿ فاذا جاء أجلهم ﴾ وانقطع أكلهم ﴿ لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ أي لايتقدمون وذلك حين سألوا العذاب فأنزل الله هذه الآية

قوله تعالى ﴿ يابني آدم إما يأتينكم رسل منكم ﴾ أي أن يأتيكم قيل أراد جميع الرسل ، وقال مقاتل : أراد بقوله يابني آدم مشركي العرب وبالرسل محمداً ﷺ وحده ﴿ يقصون عليكم آياتي ﴾ قال ابن عباس فرائضي وأحكامي ﴿ فمن اتقى وأصلح ﴾ أي اتقى الشرك وأصلح عمله ، وقيل أخلص مابينه وبين ربه ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ اذا خاف الناس ﴿ ولاهم يحزنون ﴾ أي اذا حزنوا ﴿ والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ﴾ تكبروا عن الايمان بها ذكر الاستكبار لأن كل

(أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أي ماكثون فيها مكثاً مخلداً

فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآيته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كفرين(٣٧)

يقول (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) أي لا أحد أظلم ممن افترى الكذب على الله أو كذب بآياته المنزلة (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) اختلف المفسرون في معناه فقال العوفي ينالهم ماكتب عليهم وكتب لمن كذب على الله أن وجهه مسود وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول نصيبهم من الاعمال من عمل خيراً جزي به ومن عمل شراً جزي به وقال مجاهد ماوعدوا به من خير وشر وكذا قال قتادة والضحاك وغير واحد واختاره ابن جرير وقال محمد بن كعب القرظي (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) قال عمله ورزقه وعمره وكذا قال الربيع ابن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا القول قوي في المعنى والسياق يدل عليه وهو قوله (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) ونظير المعنى في هذه الآية كقوله (ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقوله (ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا) الآية وقوله (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) الآية يخبر تعالى أن الملائكة اذا توفت المشركين تفزعهم عند الموت وقبض أرواحهم الى النار يقولون لهم أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم

مكذب وكافر متكبر قال الله تعالى (انهم اذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾

قوله تعالى ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ جعل له شريكا ﴿أو كذب بآياته﴾ القرآن ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ نصيبهم أي حظهم مما كتب لهم في اللوح المحفوظ واختلفوا فيه . قال الحسن والسدي : ماكتب لهم من العذاب ، وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون قال عطية عن ابن عباس كتب لمن يفتري على الله أن وجهه مسود قال الله تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) وقال سعيد بن جبير ومجاهد : ماسبق لهم من الشقاوة والسعادة وقال ابن عباس وقتادة والضحاك : يعني أعمالهم التي عملوها وكتب عليهم من خير وشر يجري عليها وقال محمد بن كعب القرظي ماكتب لهم من الارزاق والاعمار فاذا فنيت ﴿حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾ يقبضون أرواحهم يعني ملك الموت وأعوانه ﴿قالوا﴾ يعني يقول الرسل للكفار ﴿أينما

وتعبدونهم من دون الله ادعوهم يخلصونكم مما أنتم فيه قالوا (ضلوا عنا) أي ذهبوا عنا فلا نرجوا نفعهم ولا خيرهم (وشهدوا على أنفسهم) أي أقروا واعترفوا على أنفسهم (انهم كانوا كافرين)

قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار . قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون (٣٨) وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون (٣٩)

يقول تعالى مخبراً عما يقوله لهؤلاء المشركين به المفترين عليه المكذبين بآياته (ادخلوا في أمم) أي من أمثالكم وعلى صفاتكم (قد خلت من قبلكم) أي من الامم السالفة الكافرة (من الجن والانس في النار) يحتمل أن يكون بدلا من قوله في امم ويحتمل أن يكون في أمم أي معامم وقوله (كلما دخلت أمة لعنت اختها) كما قال الخليل عليه السلام ثم (يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) الآية ، وقوله تعالى (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار) وقوله (حتى اذا اداركوا فيها جميعا) أي اجتمعوا فيها كلهم (قالت أخراهم لاولاهم) أي اخراهم دخولا

كنتم تدعون ﴾ تعبدون ﴿ من دون الله ﴾ سؤال تبكيت وتقريع ﴿ قالوا ضلوا عنا ﴾ بطلوا وذهبوا عنا ﴿ وشهدوا على أنفسهم ﴾ اعترفوا عند معاينة الموت ﴿ انهم كانوا كافرين * قال ادخلوا في أمم ﴾ يعني يقول الله يوم القيامة (ادخلوا في أمم) أي مع جماعات ﴿ قد خلت ﴾ مضت من قبلكم من الجن والانس في النار ﴾ يعني كفار الامم الخالية ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ يريد أختها في الدين لا في النسب فتلعن اليهود اليهود ، والنصارى النصارى وكل فرقة تلعن أختها ويلعن الاتباع القادة ولم يقل أخاها لأنه عني الامة والجماعة ﴿ حتى اذا اداركوا فيها ﴾ أي تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار ﴿ جميعاً قالت أخراهم ﴾ قال مقاتل يعني أخراهم دخولا النار وهم الاتباع ﴿لأولاهم﴾ أي لاولاهم دخولا وهم القادة لان القادة يدخلون النار أولا . وقال ابن عباس : يعني آخر كل أمة لاولاها . وقال السدي : أهل آخر الزمان لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين ﴿ ربنا هؤلاء ﴾ الذين ﴿ أضلونا ﴾ عن الهدى يعني القادة ﴿ فآتهم عذابا ضعفاً من النار ﴾ أي ضعف عليهم العذاب ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ لكل ضعف ﴾ يعني للقادة والاتباع ضعف من العذاب ﴿ ولكن لا تعلمون ﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب ، وقرأ أبو بكر لا يعلمون بالياء ، أي لا يعلم الاتباع ما للقادة ، ولا القادة ما للاتباع قوله عز وجل ﴿ قالت أولاهم ﴾ يعني القادة ﴿ لأخراهم ﴾ للاتباع ﴿ فما كان لكم علينا من فضل ﴾

وهم الاتباع لاولاهم وهم المتبوعون لانهم أشد جرما من اتباعهم فدخلوا قبلهم فيشكوهم الاتباع الى الله يوم القيامة لانهم هم الذين أضلوهم عن سواء السبيل فيقولون (ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفا من النار) أي اضعف عليهم العقوبة كما قال تعالى (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا * وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب) الآية وقوله (قال لكل ضعف) أي قد فعلنا ذلك وجازينا كلا بحسبه كقوله (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا) الآية وقوله (وليحملن أثقالهم واثقالا مع اثقالهم) وقوله (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) الآية وقالت (أولاهم لاخراهم) أي قال المتبوعون للاتباع (فما كان لكم علينا من فضل) قال السدي فقد ضللتم كما ضللنا (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) وهذه الحال كما أخبر الله تعالى عنهم في حال محشرهم في قوله (ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون)

إن الذين كذبوا بآيتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين (٤٠) لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين (٤١)

قوله (لا تفتح لهم أبواب السماء) قيل المراد لا يرفع لهم منها عمل صالح ولا دعاء قاله مجاهد وسعيد ابن جبير ورواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذا رواه الثوري عن ليث عن عطاء عن ابن عباس، وقيل المراد لا تفتح لارواحهم أبواب السماء رواه الضحاك عن ابن عباس وقاله السدي وغير واحد ويؤيده ما قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن المنهال هو ابن عمرو عن زاذان عن البراء أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح الفاجر وأنه يصعد بها الى السماء فيصعدون بها فلا تمر على ملأ من الملائكة إلا قالوا ماهذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون بابها له فلا يفتح له ثم

لأنكم كفرتم كما كفرنا فنحن وأنتم في الكفر سواء وفي العذاب سواء ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون * إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح ﴾ بالتاء خفيف أبو عمرو، وبالياء خفيف حمزة والكسائي والباقون بالتاء والتشديد ﴿لهم أبواب السماء﴾ لا لادعيتهم ولا لأعمالهم . وقال ابن عباس

قرأ رسول الله ﷺ (لاتفتح لهم أبواب السماء) الآية هكذا رواه وهو قطعة من حديث طويل رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن المنهال بن عمرو به وقد رواه الامام أحمد بطوله فقال حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الانصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الارض فرفع رأسه فقال «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثا ثم قال: ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال الى الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان (قال) فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له مادينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ماهذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله ﷺ فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلي ومالي (قال) وان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ماهذه الروح الخبيثة فيقولون

لاتفتح لارواحهم لأنها خبيثة لايصعد بها، بل يهوى بها إلى سجين ، انما تفتح أبواب السماء لأرواح

فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها الى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ (لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) فيقول الله عزوجل: اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى، فتطرح روحه طرحا ثم قرأ (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان مادينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ماهذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لاتقم الساعة » وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن يونس بن خباب عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى جنازة فذكر نحوه وفيه حتى إذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت له أبواب السماء ليس من أهل باب الا وهم يدعون الله عز وجل أن يعرج بروحه من قبلهم وفي آخره ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان ترابا فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين قال البراء ثم يفتح له باب من النار ويمهد له فرش من النار وفي الحديث الذي رواه الامام أحمد والنسائي وابن ماجه وابن جرير واللفظ له من حديث محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فيقولون ذلك حتى يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقولون لا مرحبا بالنفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث إرجعي ذميمة فانه لم يفتح لك أبواب السماء فترسل بين السماء والارض فتصير إلى القبر ، وقد قال ابن جريج في قوله (لاتفتح لهم أبواب السماء) لاتفتح لاعمالهم ولا لأرواحهم وهذا فيه جمع بين القولين والله أعلم ، وقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى

المؤمنين وأدعيتهم وأعمالهم ﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ أي حتى يدخل

يلج الجمل في سم الخياط) هكذا رواه الجمهور وفسروه بأنه البعير قال ابن مسعود هو الجمل ابن الناقة وفي رواية زوج الناقة وقال الحسن البصري حتى يدخل البعير في خرق الابرة وكذا قال أبو العالية والضحاك وكذا روى علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس وقال مجاهد وعكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرؤها يلج الجمل في سم الخياط بضم الجيم وتشديد الميم يعني الحبل الغليظ في خرق الابرة وهذا اختيار سعيد بن جبير وفي رواية أنه قرأ حتى يلج الجمل يعني قلوس السفن وهي الحبال الغلاظ. وقوله (لهم من جهنم مهاد) قال محمد بن كعب القرظي (لهم من جهنم مهاد) قال الفرش (ومن فوقهم غواش) قال اللحف وكذا قال الضحاك بن مزاحم والسدي (وكذلك نجزي الظالمين)

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٤٢) ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون (٤٣)

لما ذكر تعالى حال الاشقياء عطف بذكر حال السعداء فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي آمنت قلوبهم (وعملوا الصالحات) بجوارحهم ضد (أولئك الذين كفروا بآيات الله واستكبروا عنها) وينبه تعالى على أن الايمان والعمل به سهل لانه تعالى قال (لا نكلف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون* ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي من حسد وبغض كما جاء في صحيح البخاري

البعير في ثقب الابرة والخياط والمخيط واحد وهو الابرة والمراد منه أنهم لا يدخلون الجنة أبداً لان الشيء اذا علق بما يستحيل كونه دل ذلك على تأكيد المنع كما يقال: لا أفعل ذلك حتى يشيب الغراب أو يبيض القار، يريد لا أفعله أبداً ﴿وكذلك نجزي المجرمين* لهم من جهنم مهاد﴾ أي فراش ﴿ومن فوقهم غواش﴾ أي لحف وهي جمع غاشية يعني ما غشاهم وغطاهم يريد احاطة النار بهم من كل جانب كما قال الله لهم (من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) ﴿وكذلك نجزي الظالمين* والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ أي طاقتها وما لا تحرج فيه ولا تضيق عليه ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * ونزعنا﴾ أخرجنا ﴿ما في صدورهم من غل﴾ من غش وعداوة كانت بينهم في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضاً على شيء خص الله به بعضهم ﴿تجري من تحتهم الانهار﴾ روى الحسن عن علي رضي الله عنهم قال فينا والله أهل بدر نزلت (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) وقال علي رضي الله عنه أيضاً: اني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال لهم الله عز وجل (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن

من حديث قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أدل منه بمسكنه كان في الدنيا » وقال السدي وقوله (ونزعنا مافي صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار) الآية إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان فشربوا من إحداهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلم يشعثوا ولم يشحبوا بعدها أبدا ، وقد روى أبو اسحاق عن عاصم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نحوا من هذا كما سيأتي في قوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ، وقال قتادة قال علي رضي الله عنه إني لارجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم (ونزعنا مافي صدورهم من غل) رواه ابن جرير وقال عبدالرزاق أخبرنا ابن عيينة عن اسرائيل قال سمعت الحسن يقول قال علي: فينا والله أهل بدر نزلت (ونزعنا ما في صدورهم من غل) وروى النسائي وابن مردويه واللفظ له من حديث أبي بكر بن عياش عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني فيكون له شكر وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هداني

اسماعيل حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا » وقال السدي في هذه الآية إن أهل الجنة اذا سيقوا إلى الجنة وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان فشربوا من احداهما فينزع مافي صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يشحبوا بعدها أبداً ﴿ وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ أي إلى هذا يعني طريق الجنة . وقال سفيان الثوري : معناه هدانا لعمل هذا ثوابه ﴿ وما كنا ﴾ قرأ ابن عامر ما كنا بلا واو ﴿ لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ هذا قول أهل الجنة حين رأوا ماوعدهم الرسل عياناً ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ قيل هذا النداء اذا رأوا الجنة من بعيد نودوا أن تلكم الجنة ، وقيل هذا النداء يكون في الجنة

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة الخطيب أنبأنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبدالله الخلال حدثنا عبدالله بن المبارك عن سفيان عن أبي اسحاق عن الاغر عن أبي سعيد وعن أبي هريرة قالا « ينادي مناد إن لكم أن

فيكون له حسرة» ولهذا لما أورثوا مقاعد أهل النار من الجنة نودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون، أي بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة وتبوأتم منازلكم بحسب أعمالكم. وإنما وجب الحمل على هذا لما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال «واعلموا أن أحدكم لن يدخله عمله الجنة» قالوا ولا أنت يارسول الله قال «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»

ونادى أصحٰبُ الجنة أصحٰبَ النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا؟ قالوا نعم، فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظٰلمين (٤٤) الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كفرون (٤٥)

يخبر تعالى بما يخاطب به أهل الجنة أهل النار على وجه التقريع والتوبيخ اذا استقروا في منازلهم أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا «أن» ههنا مفسرة للقول المحذوف و«قد» للتحقيق أي قالوا لهم قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ماوعد ربكم حقاً قالوا نعم كما أخبر تعالى في سورة الصافات عن الذي كان له قرين من الكفار (فاطلع فرآه في سواء الجحيم* قال تالله ان كدت لتردين* ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين* أفما نحن بميتين إلا موتتنا الاولى ومانحن بمعذبين) أي ينكر عليه مقالته التي يقولها في الدنيا ويقرعه بما صار اليه من العذاب والنكال وكذلك تقرعهم الملائكة يقولون لهم (هذه النار التي كنتم بها تكذبون* أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون* اصلوها فاصبروا أو لاتصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون) وكذلك قرع رسول الله ﷺ قتلى القليب يوم بدر فنادى «ياأبا جهل بن هشام وياعتبة بن ربيعة وياشيبة بن ربيعة — وسمى رءوسهم — هل وجدتم ماوعد ربكم حقا فاني وجدت ماوعدني ربي حقا» وقال عمر يارسول الله تخاطب قوما قد جيفوا فقال «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لايستطيعون أن يجيبوا»

تصحوا فلا تسقموا أبداً، وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً — فذلك قوله (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) هذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج عن اسحاق بن ابراهيم وعبد الرحمن بن حميد عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري بهذا الاسناد مرفوعا، وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «مامن أحد إلا وله منزلة في الجنة ومنزلة في النار، فأما الكافر فانه يرث المؤمن منزله من النار، وأما المؤمن فيرث الكافر منزله من الجنة»

قوله تعالى ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا﴾ من الثواب ﴿حقاً﴾ أى صدقا ﴿فهل وجدتم ماوعد ربكم﴾ من العذاب ﴿حقاً؟ قالوا نعم﴾ قرأ الكسائي بكسر

وقوله (فأذن مؤذن بينهم) أي أعلم معلم ونادى مناد (أن لعنة الله على الظالمين) أي مستقرة عليهم ثم وصفهم بقوله (الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً) أي يصدون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وماجاءت به الانبياء ويبغون أن تكون السبيل معوجة غير مستقيمة حتى لا يتبعها أحد (وهم بالآخرة كافرون) أي وهم بلقاء الله في الدار الآخرة كافرون أي جاحدون مكذبون بذلك لا يصدقونه ولا يؤمنون به فلهذا لا يبالون بما يأتون من منكر من القول والعمل لانهم لا يخافون حسابا عليه ولا عقابا فهم شر الناس أقوالا واعمالا

وبينهما حجابٌ وعلى الاعراف رجال يعرفون كلاً بسيمٰهم ونادوا أصحٰب الجنة أن سلٰمٌ عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون (٤٦) وإذا صرفت أبصٰرهم تلقاء أصحٰب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظٰلمين (٤٧)

لما ذكر تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار نبه أن بين الجنة والنار حجابا وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار الى الجنة ، قال ابن جرير وهو السور الذي قال الله تعالى (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) وهو الاعراف الذي قال الله تعالى (وعلى الاعراف رجال) ثم روى باسناده عن السدي انه قال في قوله (وبينهما حجاب) هو السور وهو الاعراف وقال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار سور له باب ، قال ابن جرير والاعراف جمع عرف وكل مرتفع من الارض عندالعرب يسمى عرفا ، وإنما قيل لعرف الديك عرفا لارتفاعه. حدثنا سفيان ابن وكيع حدثنا ابن عيينة عن عبدالله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول الاعراف هو الشيء المشرف

العين حيث كان والباقون بفتحها وهما لغتان ﴿ فأذن مؤذن بينهم ﴾ أي نادى مناد أسمع الفريقين ﴿ أن لعنة الله على الظالمين ﴾ قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم «أن» خفيف «لعنة» رفع ، وقرأ الآخرون «أن» بالتشديد «لعنة الله» نصب «على الظالمين» أي الكافرين ﴿ الذين يصدون ﴾ أي يصرفون الناس ﴿ عن سبيل الله ﴾ طاعة الله ﴿ ويبغونها عوجا ﴾ أي يطلبونها زيغاً وميلا ، أي يطلبون سبيل الله جائرين عن القصد . قال ابن عباس : يصلون لغير الله ويعظمون مالم يعظمه الله والعوج بكسر العين في الدين والامر والارض وكل مالم يكن قائما ، وبالفتح كل ما كان قائماً كالحائط والرمح ونحوهما ﴿ وهم بالآخرة كافرون * وبينهما حجاب ﴾ يعني بين الجنة والنار ، وقيل بين أهل الجنة وأهل النار حجاب وهو السور الذي ذكر الله في قوله (فضرب بينهم بسور له باب)

قوله تعالى ﴿ وعلى الاعراف رجال ﴾ والاعراف هي ذلك السور الذى بين الجنة والنار وهي جمع عرف وهو اسم للمكان المرتفع ومنه عرف الديك لارتفاعه على ماسواه من جسده . وقال السدي

وقال الثوري عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الاعراف سور كعرف الديك » وفي رواية عن ابن عباس الأعراف جمع: تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار، وفي رواية عنه هو سور بين الجنة والنار، وكذا قال الضحاك وغير واحد من علماء التفسير، وقال السدي إنما سمي الاعراف أعرافا لان أصحابه يعرفون الناس، واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الاعراف من هم وكلها قريبة ترجع الى معنى واحد وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله، وقد جاء في حديث مرفوع رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا عبدالله بن اسماعيل حدثنا عبيد بن الحسن حدثنا سليمان بن داود حدثنا النعمان ابن عبد السلام حدثنا شيخ لنا يقال له أبو عباد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله ﷺ عمن استوت حسناته وسيئاته فقال « أولئك أصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون » وهذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه من وجه آخر عن سعيد بن سلمة عن أبي الحسام عن محمد بن المنكدر عن رجل من مزينة قال سئل رسول الله ﷺ عمن استوت حسناته وسيئاته وعن اصحاب الاعراف فقال « انهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم فقتلوا في سبيل الله » وقال سعيد بن منصور حدثنا أبو معشر حدثنا يحيى بن شبل عن يحيى بن عبدالرحمن المدني عن أبيه قال سئل رسول الله ﷺ عن اصحاب الاعراف قال « هم ناس قتلوا في سبيل الله، بمعصية آبائهم فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم ومنعهم من النار قتلهم في سبيل الله » ورواه ابن مردويه وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن أبي معشر به ، وكذا رواه ابن ماجه مرفوعا من حديث أبي سعيد الخدري وابن عباس والله أعلم بصحة هذه الاخبار المرفوعة وقصاراها أن تكون موقوفة وفيه دلالة على ماذكر. وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن الشعبي عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الاعراف قال فقال « هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار) قال فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم » وقد رواه من وجه آخر أبسط من هذا فقال حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يونس بن أبي اسحاق قال قال الشعبي أرسل الي عبد الحميد بن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش فاذا هما قد ذكرا من اصحاب الاعراف ذكراً ليس كما ذكرا فقلت لهما ان شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة فقالا هات فقلت ان حذيفة ذكر أصحاب الاعراف فقال هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة (فاذا صرفت ابصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين)

سمي ذلك السور أعرافا لأن أصحابه يعرفون الناس ، واختلفوا في الرجال الذين أخبر الله عنهم أنهم على الاعراف فقال حذيفة وابن عباس : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم مايشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته وهم آخر من يدخل الجنة. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة ثنا أبو طاهر

فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال لهم اذهبوا فادخلوا الجنة فاني قد غفرت لكم . وقال عبد الله ابن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال قال سعيد بن جبير وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ قول الله (فمن ثقلت موازينه) الآيتين ثم قال الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح قال ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فاذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أهل النار (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) تعوذوا بالله من منازلهم قال فأما أصحاب الحسنات فانهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نوراً وكل أمة نوراً فاذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة فلما رأى أهل الجنة مالقي المنافقون قالوا (ربنا أتمم لنا نورنا) وأما أصحاب الاعراف فان النور كان بأيديهم فلم ينزع فهنالك يقول الله تعالى (لم يدخلوها وهم يطمعون) فكان الطمع دخولا قال فقال ابن مسعود إن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة ثم يقول هلك من غلبت واحدته أعشاره رواه ابن جرير وقال أيضاً حدثني ابن وكيع حدثنا ابن حميد قالا حدثنا جرير عن منصور عن حبيب ابن أبي ثابت عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال الاعراف السور الذي بين الجنة والنار وأصحاب الاعراف بذلك المكان حتى إذا بدا لله أن يعافيهم انطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة

محمد بن أحمد بن الحارث حدثنا محمد بن يعقوب الكسائي حدثنا عبدالله بن محمود ثنا ابراهيم بن عبدالله الخلال ثنا عبدالله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال قال سعيد بن جبير يحدث عن ابن مسعود قال: يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ قوله (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) ثم قال : إن الميزان يخف بمثقال حبة أو يرجح قال ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار ، فاذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم ، واذا صرفوا أبصارهم إلى أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ، فأما أصحاب الحسنات فانهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نوراً فاذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة ، فلما رأى أهل الجنة مالقي المنافقون قالوا : ربنا أتمم لنا نورنا ، فأما أصحاب الاعراف فان النور لم ينزع من بين أيديهم ومنعتهم سيئاتهم أن يمضوا فبقي في قلوبهم الطمع اذ لم ينزع النور من بين أيديهم فهنالك يقول الله (لم يدخلوها وهم يطمعون) وكان الطمع للنور الذي بين أيديهم ثم أدخلوا الجنة وكانوا آخر أهل الجنة دخولا . وقال شرحبيل بن سعد : أصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو بغير

حافتاه قصب الذهب مكال باللؤلؤ ترابه المسك فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى إذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال« تمنوا ماشئتم » فيتمنون حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لهم « لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفا» فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين أهل الجنة وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يحيى بن المغيرة عن جرير به وقد رواه سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن مجاهد وعن عبدالله بن الحارث من قوله وهذا أصح والله أعلم وهكذا روي عن مجاهد والضحاك وغير واحد وقال سعيد بن داود حدثني جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير قال سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الاعراف قال «هم آخر من يفصل بينهم من العباد فاذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلوا الجنة فأنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم » وهذا مرسل حسن • وقيل هم أولاد الزنا حكاه القرطبي وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الوليد بن موسى عن شيبة بن عثمان عن عروة بن رويم عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ ان مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب فسألناه عن ثوابهم وعن مؤمنيهم فقال على الاعراف وليسوا في الجنة مع أمة محمد ﷺ فسألناه وما الاعراف فقال حائط الجنة تجري فيه الأنهار وتنبت فيه الاشجار والثمار رواه البيهقي عن ابن بشران عن علي بن محمد المصري عن يوسف ابن يزيد عن الوليد بن موسى به • وقال سفيان الثوري عن خصيف عن مجاهد قال أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجلز في قوله تعالى (وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) قال هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار قال (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون • وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين * ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ماأغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون* أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة) قال فيقال حين يدخل أهل الجنة الجنة (ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون)وهذا صحيح إلى أبي مجلز لاحق ابن حميد أحد التابعين وهو غريب من قوله وخلاف الظاهر من السياق وقول الجمهور مقدم على قوله بدلالة الآية على ماذهبوا اليه وكذا قول مجاهد إنهم قوم صالحون علماء فقهاء فيه غرابة أيضاً والله أعلم • وقد حكى القرطبي وغيره فيهم اثنى عشر قولا منها

اذن آبائهم • ورواه مقاتل في تفسيره مرفوعا قال « هم رجال غزوا في سبيل الله عصاة لآبائهم فقتلوا فأعتقوا من النار بقتلهم في سبيل الله وحبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم فهم آخر من يدخل الجنة » وروي عن مجاهد أنهم أقوام رضي عنهم أحد الابوين دون الآخر يحبسون على الاعراف إلى أن يقضي الله بين الخلق ثم يدخلون الجنة . وقال عبد العزيز بن يحيى الكتاني : هم الذين ماتوا في الفترة

انهم شهدوا أنهم صلحاء تهرعوا من فزع الآخرة وخلق يطلعون على أخبار الناس وقيل هم أنبياء وقيل ملائكة وقوله تعالى (يعرفون كلا بسيماهم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه وكذا روى الضحاك عنه ، وقال العوفي عن ابن عباس أنزلهم الله تلك المنزلة ليعرفوا في الجنة والنار وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه ويتعوذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين وهم في ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها وهم داخلوها إن شاء الله وكذا قال مجاهد والضحاك والسدي والحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ، وقال معمر عن الحسن انه تلا هذه الآية (لم يدخلوها وهم يطمعون) قال والله ماجعل ذلك الطمع في قلوبهم الا لكرامة يريدها بهم وقال قتادة قد أنبأكم الله بمكانهم من الطمع وقوله (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين) قال الضحاك عن ابن عباس ان أصحاب الاعراف اذا نظروا الى أهل النار وعرفوهم قالوا : ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين . وقال السدي واذا مروا بهم يعني بأصحاب الاعراف بزمرة يذهب بها الى النار قالوا : ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين . وقال عكرمة تجدد وجوههم للنار فاذا رأوا أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) فرأوا وجوههم مسودة وأعينهم مزرقة (قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين)

ونادى أصحٰبُ الاعراف رجالاً يعرفونهم بسيمٰهم قالوا ما أغنى عنكم جمعُكم وما كنتم تستكبرون (٤٨) أهٰؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة؟ ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون (٤٩)

يقول الله تعالى إخباراً عن تقريع أهل الاعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم

ولم يبدلوا دينهم وقيل هم أطفال المشركين . وقال الحسن : هم أهل الفضل من المؤمنين علوا على الاعراف فيطلعون على أهل الجنة وأهل النار جميعاً ويطالعون أحوال الفريقين

قوله تعالى ﴿ يعرفون كلا بسيماهم ﴾ أي يعرفون أهل الجنة ببياض وجوههم ، وأهل النار بسواد وجوههم ﴿ ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ﴾ أي اذا رأوا أهل الجنة قالوا سلام عليكم ﴿ لم يدخلوها ﴾ يعني أصحاب الاعراف لم يدخلوا الجنة ﴿ وهم يطمعون ﴾ في دخولها . قال أبو العالية : ما جعل الله ذلك الطمع فيهم الا كرامة يريدها بهم قال الحسن الذي جعل الطمع في قلوبهم يوصلهم الى مايطمعون ﴿وإذا صرفت ابصارهم تلقاء أصحاب النار﴾ تعوذوا بالله ﴿قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين﴾ يعني الكافرين في النار ﴿ونادى أصحاب الاعراف رجالا﴾ كانوا عظماء في الدنيا من أهل

يعرفونهم في النار بسيماهم (ما أغنى عنكم جمعكم) أي كثرتكم (وما كنتم تستكبرون) أي لاينفعكم كثرتكم ولاجموعكم من عذاب الله بل صرتم الى ما أنتم فيه من العذاب والنكال (أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني أصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقال ابن جرير حدثني محمد بن سعد حدثني أبي حدثني عمي حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس (قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) الآية قال فلما قالوا لهم الذي قضى الله أن يقولوا يعني أصحاب الاعراف لأهل الجنة وأهل النار قال الله لاهل التكبر والاموال (أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة؟ ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقال حذيفة ان أصحاب الاعراف قوم تكافئت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيئاتهم عن النار فجعلوا على الاعراف يعرفون الناس بسيماهم فلما قضى الله بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة فأتوا آدم فقالوا ياآدم أنت ابونا فاشفع لنا عند ربك فقال هل تعلمون أن أحداً خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسبقت رحمته اليه غضبه وسجدت له الملائكة غيري؟ فيقولون لا فيقول ماعلمت كنهه ما أستطيع أن اشفع لكم ولكن ائتوا ابني ابراهيم فيأتون ابراهيم ﷺ فيسألونه أن يشفع لهم عند ربهم فيقول تعلمون من أحد اتخذه الله خليلا هل تعلمون ان أحداً أحرقه قومه بالنار في الله غيري؟ فيقولون لا فيقول ماعلمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا ابني موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقول هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليما وقربه نجيا غيري فيقولون لا فيقول ماعلمت كنهه ماأستطيع أن اشفع لكم ولكن ائتوا عيسى فيأتونه عليه السلام فيقولون له اشفع لنا عند ربك فيقول هل تعلمون أحداً خلقه الله من غير أب[1] فيقولون لا فيقول هل تعلمون من أحد كان يبريء الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله غيري؟ قال فيقولون لا فيقول أنا حجيج نفسي ماعلمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا محمداً ﷺ فيأتوني فاضرب بيدي على صدري ثم أقول أنالها ثم أمشي حتى أقف بين يدي العرش فآتي ربي عز وجل فيفتح لي من الثناء مالم يستمع السامعون بمثله قط ثم أسجد فيقال لي يامحمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي ثم أثني على ربي عز وجل ثم أخر ساجدا

(١) لم يرد في النسخ هنا كلمة غيري

النار ﴿يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم﴾ في الدنيا من المال والولد ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ عن الايمان قال الكلبي ينادون وهم على السور ياوليد بن المغيرة ويا أبا جهل بن هشام ويافلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزئون بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال وأشباههم فيقول أصحاب الاعراف لاولئك الكفار ﴿أهؤلاء﴾ يعني هؤلاء الضعفاء ﴿الذين أقسمتم﴾ حلفتم ﴿لاينالهم الله برحمة﴾ أي حلفتم أنهم لايدخلون الجنة ثم يقال لاهل الاعراف ﴿ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ وفيه قول آخر أن أصحاب الاعراف اذا قالوا لاهل النار ما قالوا قال لهم أهل النار ان دخل أولئك الجنة فانتم لم تدخلوها فيعيرونهم بذلك ويقسمون أنهم يدخلون

فيقال لي ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول رب أمتي فيقول هم لك فلا يبقى نبي مرسل ولا ملك مقرب الا غبطني بذلك المقام وهو المقام المحمود فآتي بهم الجنة فاستفتح فيفتح لي ولهم فيذهب بهم الى نهر يقال له نهر الحيوان حافتاه قصب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك وحصباؤه الياقوت فيغتسلون منه فتعود اليهم ألوان أهل الجنة وريح أهل الجنة فيصيرون كأنهم الكواكب الدرية ويبقى في صدورهم شامات بيض يعرفون بها يقال مساكين أهل الجنة

ونادى أصحٰبُ النار اصحٰبَ الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله. قالوا إن الله حرمهما على الكٰفرين (٥٠) الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعبا وغرتهم الحيوٰة الدنيا فاليوم ننسٰهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآيٰتنا يجحدون (٥١)

يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم وطعامهم وانهم لا يجابون الى ذلك قال السدي (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن افيضوا علينا من الماء أومما رزقكم الله) يعني الطعام وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يستطعمونهم ويستسقونهم . وقال الثوري عن عثمان الثقفي عن سعيد بن جبير في هذه الآية قال ينادي الرجل أباه أوأخاه فيقول له قد احترقت فأفض علي من الماء فيقال لهم اجيبوهم فيقولون (ان الله حرمهما على الكافرين) وروي من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس مثله سواء. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ان الله حرمهما على الكافرين) يعني طعام الجنة وشرابها. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نصر بن علي أخبرنا موسى بن المغيرة حدثنا أبو موسى الصفار في دار عمرو بن مسلم قال سألت ابن عباس أو سئل أي الصدقة أفضل ؟ فقال قال رسول الله ﷺ «أفضل الصدقة الماء ألم تسمع الى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله» وقال ايضا حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبومعاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح قال لما مرض أبو طالب

النار فتقول الملائكة الذين حبسوا أصحاب الاعراف على الصراط لاهل النار أهؤلاء. يعني أصحاب الاعراف الذين أقسمتم بأهل النار أنه لا ينالهم الله برحمة ؟ ثم قالت الملائكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون فيدخلون الجنة

قوله تعالى ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن افيضوا﴾ أي صبوا ﴿ علينا من الماء أومما رزقكم الله﴾ أي أوسعوا علينا مما رزقكم الله من طعام الجنة قال عطاء، عن ابن عباس لما صار أصحاب الاعراف الى الجنة طمع أهل النار في الفرج وقالوا يارب إن لنا قرابات من أهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فنظروا الى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم ولم يعرفهم أهل الجنة لسواد وجوههم فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم واخبروهم بقراباتهم : أن أفيضوا علينا من الماء أومما رزقكم الله ﴿ قالوا ان الله حرمهما على الكافرين ﴾ يعني الماء والطعام ﴿ الذين اتخذوا دينهم لهواً

قالوا له لو أرسلت الى ابن أخيك هذا فيرسل اليك بعنقود من الجنة لعله أن يشفيك به فجاءه الرسول وابو بكر عند النبي ﷺ فقال أبو بكر ان الله حرمهما على الكافرين ثم وصف تعالى الكافرين بما كانوا يعتمدونه في الدنيا باتخاذهم الدين لهواً ولعباً واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفها عما أمروا به من العمل للآخرة ، وقوله (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) أي يعاملهم معاملة من نسيهم لانه تعالى لايشذ عن علمه شيء ولا ينساه كما قال تعالى (في كتاب لايضل ربي ولا ينسى) وانما قال تعالى هذا من باب المقابلة كقوله (نسوا الله فنسيهم) وقال(كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وقال تعالى (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) قال نسيهم الله من الخير ولم ينسهم من الشر ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا ، وقال مجاهد نتركهم في النار ، وقال السدى نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هـذا ، وفى الصحيح أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أزوجك ؟ ألم اكرمك ؟ ألم اسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول بلى فيقول أظننت أنك ملاقي ؟ فيقول لا فيقول الله تعالى فاليوم أنساك كما نسيتني

ولقد جئنهم بكتب فصلنه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون (٥٢) هل ينظرون إلا تأويله ؟ يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٥٣)

يقول تعالى مخبرا عن إعذاره الى المشركين بارسال الرسل اليهم بالكتاب الذى جاء به الرسول وأنه كتاب مفصل مبين كقوله (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) الآية ، وقوله (فصلناه على علم) للعالمين أي (على علم) منا بما فصلناه به كقوله (أنزله بعلمه) قال ابن جرير وهذه الآية مردودة على قوله (كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه) الآية (ولقد جئناهم بكتاب) الآية وهذا الذي قاله فيه نظر فانه قد طال الفصل ولا دليل عليه وانما الامر انه لما أخبر بما صاروا اليه من الخسارة في الآخرة ذكر أنه قد أزاح عللهم في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب كقوله (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)

ولعباً ﴾ وهو مازين لهم الشيطان من تحريم البحيرة واخواتها والمكاء والتصدية حول البيت وسائر الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل دينهم أي عيدهم ﴿ وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم ﴾ نتركهم في الدنيا ﴿ كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ أي كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ﴿ وماكانوا بآياتنا يجحدون * ولقد جئناهم بكتاب ﴾ يعني القرآن ﴿ فصلناه ﴾ بيناه ﴿ على علم ﴾ منا بما يصلحهم ﴿ هدي

ولهذا قال(هل ينظرون الا تأويله ؟)أي ماوعدوا به من العذاب والنكال والجنة والنار قاله مجاهد وغير واحد وقال مالك ثوابه وقال الربيع لا يزال يجيء من تأويله أمر حتى يتم يوم الحساب حتى يدخل أهل الجنة الجنة واهل النار النار فيتم تأويله يومئذ وقوله (يوم يأتي تأويله) أي يوم القيامة قاله ابن عباس (يقول الذين نسوه من قبل) أي تركوا العمل به وتناسوه في الدار الدنيا (قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) أي في خلاصنا مما صرنا اليه مما نحن فيه(أو نرد)الى الدنيا (فنعمل غير الذي كنا نعمل) كقوله (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) كما قال ههنا (قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون) أي خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي ذهب عنهم ماكانوا يعبدونهم من دون الله فلا يشفعون فيهم ولا ينصرونهم ولا ينقذونهم مما هم فيه

إن ربكم الله الذي خلق السموٰت والارض في ستة أيام ثم استوىٰ على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمسَ والقمرَ والنجومَ مسخَّرٰتٍ بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٥٤)

يخبر تعالى أنه خالق العالم سمواته وأرضه وما بين ذلك في ستة أيام كما أخبر بذلك في غير ما آية من القرآن والستة أيام هي الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة وفيه اجتمع الخلق كله وفيه خلق آدم عليه السلام واختلفوا في هذه الايام هل كل يوم منها كهذه الايام كما هو المتبادر الى الاذهان أو كل يوم كالف سنة كما نص على ذلك مجاهد والامام أحمد بن حنبل ويروى ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس ، فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق لانه اليوم السابع ومنه سمي السبت وهو

ورحمة﴾ أي جعلنا القرآن هاديا وذا رحمة ﴿لقوم يؤمنون هل ينظرون﴾ أي هل ينتظرون ﴿الا تأويله﴾ قال مجاهد جزاءه وقال السدى عاقبته ومعناه هل ينتظرون الا مايؤول اليه أمرهم من العذاب ومصيرهم الى النار ﴿ يوم يأتي تأويله ﴾ أي جزاؤه وما يؤول اليه امرهم ﴿يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ اعترفوا به حين لا ينفعهم الاعتراف ﴿فهل لنا﴾ اليوم ﴿ من شفعاء فيشفعوا لنا أونرد﴾ الى الدنيا ﴿ فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم ﴾ أهلكوها بالعذاب ﴿ وضل ﴾ وبطل ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾

قوله تعالى ﴿ ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام﴾ أراد به في مقدار ستة أيام لان اليوم من لدن طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن يومئذ يوم ولاشمس ولاسماء وقيل ستة أيام

القطم فاما الحديث الذي رواه الامام احمد في مسنده حيث قال حدثنا حجاج حدثنا ابن جريج أخبرني اسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال «خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل» فقد رواه مسلم بن الحجاج في صحيحه والنسائي من غير وجه عن حجاج وهو ابن محمد الاعور عن ابن جريج به وفيه استيعاب الايام السبعة والله تعالى قد قال في ستة أيام ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الاحبار ليس مرفوعا والله أعلم .

وأما قوله تعالى (ثم استوى على العرش) فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها وانما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والاوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد واسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا وهو امرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والظاهر المتبادر الى اذهان المشبهين منفي عن الله فان الله لايشبهه شيء من خلقه وليس كمثله شيء (وهو السميع البصير) بل الامر كما قال الائمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والاخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى ، وقوله تعالى (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً) أي يذهب ظلام هذا بضياء هذا وضياء هذا

كايام الآخرة وكل يوم كالف سنة وقيل كايام الدنيا قال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادراً على خلق السموات والارض في لمحة ولحظة فخلقهن في ستة أيام تعليما لخلقه التثبت والتأني في الامور وقد جاء في الحديث « التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان » ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ قال الكلبي ومقاتل استقر وقال أبو عبيدة صعد وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء ، فأما أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم فيه الى الله عز وجل وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ فاطرق رأسه مليا وعلاه الرحضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أظنك الا ضالا . ثم أمر به فاخرج وروي عن سفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهات أمروها كما جاءت بلا كيف ، والعرش في اللغة هو السرير وقيل هو ما علا فأظل ومنه عرش الكروم وقيل العرش الملك ﴿يغشي الليل النهار﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب يغشى بالتشديد

بظلام هذا وكل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا أي سريعا لا يتأخر عنه بل اذا ذهب هذا جاء هذا وعكسه كقوله (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) فقوله (ولا الليل سابق النهار) أي لا يفوته بوقت يتأخر عنه بل هو في أثره بلا واسطة بينهما ولهذا قال (يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) منهم من نصب ومنهم من رفع وكلاهما قريب المعنى أي الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته ولهذا قال منبها (ألا له الخلق والامر) أي له الملك والتصرف (تبارك الله رب العالمين) كقوله (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) الآية قال ابن جرير حدثني المثني حدثنا اسحاق حدثنا هشام أبو عبد الرحمن حدثنا بقية بن الوليد حدثنا عبد الغفار بن عبد العزيز الانصاري عن عبد العزيز الشامي عن أبيه وكانت له صحبة قال قال رسول الله ﷺ « من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه فقد كفر وحبط عمله ومن زعم ان الله جعل للعباد من الامر شيئاً فقد كفر بما أنزل الله على انبيائه لقوله (ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) وفي الدعاء المأثور عن أبي الدرداء وروي مرفوعاً « اللهم لك الملك كله ولك الحمد كله واليك يرجع الامر كله أسألك من الخير كله وأعوذ بك من الشر كله»

ادعوا ربكم تضرعاً وخفيةً إنه لا يحب المعتدين (٥٥) ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعا إنَّ رحمتَ الله قريبٌ من المحسنين (٥٦)

ها هنا وفي سورة الرعد والباقون بالتخفيف أي يأتي الليل على النهار فيغطيه وفيه حذف أي ويغشي النهار الليل ولم يذكره لدلالة الكلام عليه وذكر في آية أخرى فقال يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ﴿ يطلبه حثيثاً ﴾ أي سريعاً وذلك أنه اذا كان يعقب احدهم الآخر ويخلفه فكأنه يطلبه ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات﴾ قرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر والباقون بالنصب وكذلك في سورة النحل عطفا على قوله (خلق السموات والارض) أي خلق هذه الاشياء مسخرات اى مذللات ﴿ بأمره الا له الخلق والامر ﴾ له الخلق لانه خلقهم وله الامر يأمر في خلقه بما يشاء قال سفيان بن عيينة فرق الله بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر ﴿تبارك الله﴾ أي تعالى الله وتعظم وقيل ارتفع والمبارك المرتفع وقيل تبارك تفاعل من البركة وهي النماء والزيادة أي البركة تكتسب وتنال بذكره وعن ابن عباس قال جاء بكل بركة وقال الحسن تجيء البركة من عنده وقيل تبارك تقدس والقدس الطهارة وقيل تبارك الله أي باسمه يتبرك في كل شيء وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودام بما لم يزل ولا يزال وأصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه لم يرد به التوقيف ﴿رب العالمين * ادعوا ربكم تضرعا﴾ تذللا واستكانة ﴿ وخفية ﴾ أي سرا قال

أرشد تبارك وتعالى عباده الى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم واخراهم فقال (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) قيل معناه تذللا واستكانة كقوله (واذكر ربك في نفسك) الآية وفي الصحيحين عن أبي موسى الاشعري قال رفع الناس أصواتهم بالدعاء فقال رسول الله ﷺ « أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لاتدعون اصم ولا غائبا ان الذي تدعون سميع قريب» الحديث، وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله (تضرعا وخفية) قال السر وقال ابن جرير تضرعا تذللا واستكانة لطاعته وخفية يقول بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه لاجهاراً مراءاة وقال عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوّر وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همساً بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) وذلك ان الله ذكر عبداً صالحا رضي فعله فقال (إذ نادى ربه نداء خفيا) وقال ابن جريج يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء ويؤمر بالتضرع والاستكانة ثم روى عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله (انه لايحب المعتدين) في الدعاء ولا في غيره وقال أبو مجلز (انه لايحب المعتدين) لايسأل منازل الانبياء ، وقال احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن زياد بن مخراق سمعت أبا نعامة عن مولى لسعد أن سعداً سمع ابنا له يدعو وهو يقول اللهم اني أسألك الجنة ونعيمها واستبرقها ونحوا

الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ومايسمع لهم صوت ان كان الاهمسا بينهم وبين ربهم ذلك أن الله سبحانه يقول (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) وان الله ذكر عبداً صالحا ورضي فعله فقال (إذ نادى ربه نداء خفيا) ﴿ انه لايحب المعتدين ﴾ قيل المعتدين في الدعاء، وقال أبو مجلز هم الذين يسألون منازل الانبياء عليهم السلام ،أخبرنا عمر بن عبد العزيز القاشاني أنبأنا القاسم بن جعفر الهاشمي أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي ثنا أبو داود السجستاني حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد يعني ابن سلمة أنبأنا سعيد الجريري عن أبي نعامة أن عبد الله ابن مغفل سمع ابنه يقول اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها فقال يابني سل الله الجنة وتعوذ به من النار فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنه سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعاء »وقيل أراد به الاعتداء بالجهر ، قال ابن جريج من الاعتداء رفع الصوت والنداء بالدعاء والصياح روينا عن أبي موسى قال لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير فقال رسول الله ﷺ « اربعوا على أنفسكم انكم لاتدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا» وقال عطية هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لايحل فيقولون اللهم اخزهم

من هذا وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها فقال لقد سألت الله خيراً كثيراً وتعوذت به من شر كثير واني سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء» وفي لفظ «يعتدون في الطهور والدعاء» وقرأ هذه الآية (ادعوا ربكم تضرعا) الآية وان بحسبك ان تقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وماقرب اليها من قول أوعمل ورواه أبو داود من حديث شعبة عن زياد بن مخراق عن أبي نعامه عن ابن لسعد عن سعد فذكره والله أعلم ، وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا الحريري عن أبي نعامة أن عبدالله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم اني أسألك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها فقال يابني سل الله الجنة وعذ به من النار فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور» وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان به وأخرجه أبو داود عن موسى بن اسماعيل عن حماد ابن سلمة عن سعيد بن إياس الحريري عن أبي نعامة واسمه قيس بن عباية الحنفي البصري وهو اسناد حسن لا بأس به والله أعلم « وقوله تعالى (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) ينهى تعالى عن الافساد في الارض وما اضره بعد الاصلاح فانه إذا كانت الامور ماشية على السداد ثم وقع الافساد بعد ذلك كان اضر مايكون على العباد فنهى تعالى عن ذلك وأمر بعبادته ودعائه والتضرع اليه والتذلل لديه فقال (وادعوه خوفا وطمعا) أي خوفا مما عنده من وبيل العقاب وطمعا فيما عنده من جزيل الثواب ثم قال (ان رحمة الله قريب من المحسنين) أي ان رحمته مرصدة للمحسنين الذين يتبعون اوامره ويتركون زواجره كما قال تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون) الآية وقال قريب ولم يقل قريبة لانه ضمن الرحمة معنى الثواب أو لأنها مضافة الى الله فلهذا قال قريب من المحسنين وقال مطر الوراق استنجزوا موعود الله بطاعته فانه قضى أن رحمته قريب من المحسنين رواه ابن أبي حاتم .

اللهم العنهم ﴿ ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ﴾ أي لاتفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء الى طاعة الله وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي، وقال عطية لا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم فعلى هذا معنى قوله بعد إصلاحها أي بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب ﴿وادعوه خوفا وطمعاً ﴾ أي خوفا منه ومن عذابه وطمعا فيما عنده من مغفرته وثوابه . وقال ابن جريج : خوف العدل وطمع الفضل ﴿ إن رحمت الله قريب من المحسنين ﴾ ولم يقل قريبة . قال سعيد بن جبير :الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت إلى المعنى دون اللفظ كقوله (واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) ولم يقل منها لأنه أراد الميراث والمال . وقال الخليل بن أحمد : القريب والبعيد يستوي فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع . قال أبو عمرو بن العلاء : القريب في اللغة يكون بمعنى القرب وبمعنى المسافة تقول العرب هذه امرأة قريبة منك اذا كانت بمعنى القرابة ،وقريب منك اذا كانت بمعنى المسافة

وهو الذي يرسل الريح بشراً بين يدىْ رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكّرون (٥٧) والبلدُ الطيّبُ يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لايخرج إلا نكدا كذلك نصرّف الآيٰت لقوم يشكرون (٥٨)

لما ذكر تعالى أنه خالق السموات والارض وأنه المتصرف الحاكم المدبر المسخر وارشد الى دعائه لانه على ما يشاء قادر نبه تعالى على أنه الرزاق وأنه يعيد الموتى يوم القيامة فقال (وهو الذي يرسل الرياح نشراً) أي منتشرة بين يدي السحاب الحامل للمطر ومنهم من قرأ بشرا كقوله (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) وقوله (بين يدي رحمته) أي بين يدي المطر كما قال (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد) وقال (فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) وقوله (حتى إذا أقلت سحابا ثقالا) أي حملت الرياح سحابا ثقالا أي من كثرة مافيها من الماء تكون ثقيلة قريبة من الأرض مدلهمة كما قال زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الارض تحمل صخرا ثقالا

قوله تعالى ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرا ﴾ قرأ عاصم بالباء وضمها وسكون الشين ههنا ، وفي الفرقان وسورة النمل يعني أنها تبشر بالمطر بدليل قوله تعالى (الرياح مبشرات) وقرأ حمزة والكسائي نشراً بالنون وفتحها وهي الريح الطيبة اللينة ، قال الله تعالى (والناشرات نشراً) وقرأ ابن عامر بضم النون وسكون الشين وقرأ آخرون بضم النون والشين جمع نشور مثل صبور وصبر ، ورسول ورسل أي متفرقة وهي الرياح التي تهب من كل ناحية ﴿ بين يدي رحمته ﴾ أي قدام المطر . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنبأنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنبأنا أبو العباس الاصم أنبأنا الربيع أنبأنا الشافعي أنبأنا الثقة عن الزهري عن ثابت بن قيس عن أبي هريرة قال : أخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر رضي الله عنه لمن حوله: مابلغكم في الريح فلم يرجعوا اليه شيئاً فبلغني الذي سأل عمر عنه من أمر الريح فاستحثثت راحلتي حتى أدركت عمر وكنت في مؤخر الناس فقلت ياأمير المؤمنين :أخبرت أنك سألت عن الريح واني سمعت رسول الله ﷺ يقول « الريح من روح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب فلاتسبوها وسلوا الله من خيرها وتعوذوا به من شرها» ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري باسناده ﴿ حتى اذا أقلت ﴾ حملت الرياح ﴿ سحابا ثقالا ﴾ بالمطر ﴿ سقناه ﴾

وقوله (سقناه لبلد ميت) أي الى أرض ميتة مجدبة لا نبات فيها كقوله وآية لهم الارض الميتة أحييناها الآية ولهذا قال (فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى) أي كما أحيينا هذه الارض بعد موتها كذلك نحيي الاجساد بعد صيرورتها رميما يوم القيامة ينزل الله سبحانه وتعالى ماء من السماء فتمطر الارض أربعين يوما فتنبت منه الاجساد في قبورها كما ينبت الحب في الارض وهذا المعنى كثير في القرآن يضرب الله مثلا ليوم القيامة باحياء الارض بعد موتها ولهذا قال (لعلكم تذكرون) وقوله (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه) أي والارض الطيبة يخرج نباتها سريعا حسنا كقوله «وانبتها نباتا حسنا» (والذي خبث لا يخرج الا نكدا) قال مجاهد وغيره كالسباخ ونحوها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الاية هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، وقال البخاري حدثنا محمد بن العلاء حدثنا حماد بن أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ «مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب ارضا فكانت منها نقية قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا

ورد الكناية إلى السحاب ﴿لبلد ميت﴾ أي إلى بلد ميت محتاج إلى الماء، وقيل معناه لاحياء بلد ميت لا نبات فيه ﴿فأنزلنا به﴾ أي بالسحاب، وقيل بذلك البلد ﴿الماء﴾ يعني المطر فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى﴾ استدل باحياء الارض بعد موتها على احياء الموتى ﴿لعلكم تذكرون﴾ قال أبو هريرة وابن عباس : اذا مات الناس كلهم في النفخة الاولى أرسل الله عليهم مطراً كمني الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقي عليهم النوم فينامون في قبورهم ثم يحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم فعند ذلك يقولون (ياويلنا من بعثنا من مرقدنا)

قوله تعالى ﴿والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه﴾ هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فمثل المؤمن مثل البلد الطيب يصيبه المطر فيخرج نباته باذن ربه ﴿والذي خبث﴾ يريد الارض السبخة التي ﴿لا يخرج﴾ نباتها ﴿إلا نكدا﴾ قرأ أبو جعفر بفتح الكاف وقرأ الآخرون بكسرها أي عسرا قليلا بعناء ومشقة (فالاول) مثل المؤمن الذي اذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به (والثاني) مثل الكافر الذي يسمع القرآن فلا يؤثر فيه كالبلد الخبيث الذي لا يتبين أثر المطر فيه ﴿كذلك نصرف الآيات﴾ نبينها ﴿لقوم يشكرون﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا محمد بن العلاء حدثنا حماد بن أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة

وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى انما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه مابعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » رواه مسلم والنسائي من طرق عن أبي أسامة حماد بن أسامة به

لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (٥٩) قال الملأ من قومه إنا لنرىك في ضلل مبين (٦٠) قال يقوم ليس بي ضللة ولكني رسول من رب العلمين (٦١) أبلغكم رسلت ربي وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون (٦٢)

لما ذكر تعالى قصة آدم في أول السورة ومايتعلق بذلك وما يتصل به وفرغ منه شرع تعالى في ذكر قصص الانبياء عليهم السلام الاول فالاول فابتدأ بذكر نوح عليه السلام فانه أول رسول بعثه الله الى أهل الارض بعد آدم عليه السلام وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو ادريس النبي عليه السلام فيما يزعمون وهو أول من خط بالقلم ابن برد بن مهليل بن قنين بن يانش بن شيث بن آدم عليهم السلام هكذا نسبه محمد بن اسحاق وغير واحد من أئمة النسب قال محمد بن اسحاق ولم يلق نبي من قومه من الأذى مثل نوح الا نبي قتل وقال يزيد الرقاشي انما سمي نوحا لكثرة ماناح على نفسه وقد كان بين آدم الى زمن نوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الاسلام قال عبدالله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير وكان أول ماعبدت الاصنام أن قوما صالحين ماتوا فبنى قومهم عليهم مساجد وصوروا صور أولئك فيها ليتذكروا حالهم وعبادتهم فيتشبهوا بهم فلما طال الزمان جعلوا أجساداً على تلك الصور فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الاصنام وسموها باسماء أولئك الصالحين ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسراً فلما تفاقم الامر بعث الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة رسوله نوحا فأمرهم بعبادة الله وحده

أخرى انما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه مابعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به

قوله تعالى ﴿ لقد أرسلنا نوحا إلى قومه ﴾ وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو ادريس وهو أول نبي بعثه الله بعد ادريس وكان نجاراً بعثه الله إلى قومه وهو ابن خمسين سنة . وقال ابن عباس : ابن أربعين سنة ، وقيل بعث وهو ابن مائتين وخمسين سنة . وقال مقاتل : ابن مائة سنة . وقال ابن عباس : سمي نوحا لكثرة ماناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقال بعضهم لدعوته على قومه بالهلاك ، وقيل لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان ، وقيل لأنه مر بكلب مجذوم

لاشريك له فقال (ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره إني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أي من عذاب يوم القيامة إذا لقيتم الله وأنتم مشركون به قال (الملأ من قومه) أي الجمهور والسادة والقادة والكبراء منهم (إنا لنراك في ضلال مبين) أي في دعوتك ايانا الى ترك عبادة هـذه الاصنام التي وجدنا آباءنا عليها وهكذا حال الفجار انما يرون الابرار في ضلالة كقوله (وإذ رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ماسبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) الى غير ذلك من الآيات (قال ياقوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين) أي ما أنا ضال ولـكن أنا رسول من رب العالمين كل شيء ومليكه (أبلغكم رسالات ربي وأنصح لـكم واعلم من الله مالا تعلمون) وهذا شأن الرسول ان يكون مبلغا فصيحا ناصحاً عالما بالله لا يدركهم أحد من خلق الله في هذه الصفات كما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لاصحابه يوم عرفة وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعا « أيها الناس إنكم مسئولون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا نشهد إنك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع أصبعه الى السماء وينكسها عليهم ويقول « اللهم اشهد اللهم اشهد »

أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون (٦٣)

فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين (٦٤)

يقول تعالى اخبارا عن نوح إنه قال لقومه (أوعجبتم) الآية أي لا تعجبوا من هذا فان هـذا ليس بعجب أن يوحي الله إلى رجل منكم رحمة بكم ولطفا واحسانا اليكم لينذركم ولتتقوا نقمة الله

فقال اخسأ ياقبيح فأوحى الله تعالى اليه أعبتني أم عبت الكلب ﴿ فقال ﴾ لقومه ﴿ ياقوم اعبدوا الله مالـكم من إله غيره ﴾ قرأ أبو جعفر والكسائي من إله غيره بكسر الراء حيث كان على نعت الاله وافق حمزة في سورة فاطر (هل من خالق غير الله) وقرأ الآخرون برفع الراء على التقديم تقديره مالـكم غيره من إله ﴿ إني أخاف عليكم ﴾ ان لم تؤمنوا ﴿ عذاب يوم عظيم * قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال ﴾ خطأ وزوال عن الحق ﴿ مبين ﴾ بين ﴿ قال ﴾ نوح ﴿ ياقوم ليس بي ضلالة ﴾ ولم يقل ليست لأن معنى الضلالة الضلال أو على تقديم الفعل ﴿ ولـكني رسول من رب العالمين * أبلغكم ﴾ قرأ أبو عمرو أبلغكم بالتخفيف حيث كان من الابلاغ لقوله لقد أبلغتكم (رسالات ربي) ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وقرأ الآخرون بالتشديد من التبليغ لقوله تعـالى (بلغ ما أنزل اليك) ﴿ رسالات ربي وأنصح لـكم ﴾ يقال نصحته ونصحت له . والنصح أن يريد لغيره من الخير مايريد لنفسه ﴿ وأعلم من الله مالا تعلمون ﴾ أن عذابه لا يرد عن القوم المجرمين

قوله تعالى ﴿ أو عجبتم ﴾ ألف استفهام دخلت على واو العطف ﴿ أن جاءكم ذكر من ربكم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : موعظة وقيل بيان وقيل رسالة ﴿ على رجل منكم لينذركم ﴾ عذاب الله .

ولا تشركوا به (ولعلكم ترحمون) قال الله تعالى (فكذبوه) أي تمادوا على تكذيبه ومخالفته وما آمن معه منهم الاقليل كما نص عليه في موضع آخر (فانجيناه والذين معه في الفلك) أي السفينة كما قال فأنجيناه وأصحاب السفينة (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) كما قال (مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً) وقوله (إنهم كانوا قوما عمين) أي عن الحق لا يبصرونه ولا يهتدون له فبين تعالى في هذه القصة أنه انتقم لاوليائه من أعدائه وأنجى رسوله والمؤمنين وأهلك أعداءهم من الكافرين كقوله (انا لننصر رسلنا) الآية وهذه سنة الله في عباده في الدنيا والآخرة أن العاقبة فيهما للمتقين والظفر والغلب لهم كما أهلك قوم نوح بالغرق ونجى نوحا وأصحابه المؤمنين وقال مالك عن زيد بن أسلم كان قوم نوح قد ضاق بهم السهل والجبل وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ما عذب الله قوما الا والارض ملآى بهم وليس بقعة من الارض الا ولها مالك وحائز وقال ابن وهب بلغني عن ابن عباس أنه نجا مع نوح في السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم وكان لسانه عربيا رواه ابن أبي حاتم وروي متصلا من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما

وإلى عاد أخاهم هوداً قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون (٦٥) قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنرىك في سفاهة وإنا لنظنك من الكذبين (٦٦) قال يقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العلمين (٦٧) أبلغكم رسلت ربي وأنا لكم ناصح أمين (٦٨) أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون (٦٩)

يقول تعالى وكما أرسلنا إلى قوم نوح نوحا كذلك أرسلنا إلى عاد أخاهم هودا قال محمد بن اسحاق هم ولد عاد بن أرم بن عوص ابن سام بن نوح (قلت) هؤلاء هم عاد الاولى الذين ذكرهم

إن لم تؤمنوا ﴿ ولتتقوا ﴾ أي لكي تتقوا الله ﴿ ولعلكم ترحمون ﴾ لكي ترحموا ﴿ فكذبوه ﴾ يعني كذبوا نوحا ﴿ فأنجيناه ﴾ من الطوفان ﴿ والذين معه في الفلك ﴾ في السفينة ﴿ وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين ﴾ أي كفاراً . قال ابن عباس رضي الله عنهما : عميت قلوبهم عن معرفة الله . قال الزجاج : عموا عن الحق والايمان ، يقال رجل عم عن الحق وأعمى في البصر ، وقيل العمي والاعمى كالخضر والاخضر . قال مقاتل : عموا عن نزول العذاب وهو الغرق

قوله تعالى ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ﴾ أي وأرسلنا إلى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام ابن نوح عليه السلام وهي عاد الاولى أخاهم في النسب لا في الدين وهو هود بن عبدالله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص . وقال ابن اسحاق : هو ابن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ﴿ قال

الله وهم أولاد عاد بن أرم الذين كانوا يأوون إلى العمد في البر كما قال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد) وذلك لشدة بأسهم وقوتهم كما قال تعالى (فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون) وقد كانت مساكنهم باليمن بالاحقاف وهي جبال الرمل قال محمد بن اسحاق عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة سمعت عليا يقول لرجل من حضرموت: هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مدرة حمراء ذا أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت ؟ هل رأيته؟ قال نعم يا أمير المؤمنين والله إنك لتنعته نعت رجل قد رآه؟ قال لا ولكني قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما شأنه يا أمير المؤمنين قال فيه قبر هود عليه السلام رواه ابن جرير ، هذا فيه فائدة أن مساكنهم كانت باليمن فان هوداً عليه السلام دفن هناك وقد كان من أشرف قومه نسبا لان الرسل انما يبعثهم الله من أفضل القبائل وأشرفهم ولكن كان قومه كما شدد خلقهم شدد على قلوبهم وكانوا من أشد الامم تكذيبا للحق ولهذا دعاهم هود عليه السلام الى عبادة الله وحده لاشريك له والى طاعته وتقواه (قال الملأ الذين كفروا من قومه) والملأ هم الجمهور والسادة والقادة منهم (انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين) أي في ضلالة حيث تدعونا إلى ترك عبادة الاصنام والاقبال على عبادة الله وحده كما تعجب الملأ من قريش من الدعوة الى إله واحد فقالوا « أجعل الآلهة الها واحداً » الآية (قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين) أي ليست كما تزعمون بل جئتكم بالحق من الله الذي خلق كل شيء فهو رب كل شيء ومليكه (أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين) وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل البلاغ والنصح والامانة (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) أي لا تعجبوا أن بعث الله اليكم رسولا من أنفسكم لينذركم أيام الله ولقاءه بل احمدوا الله على ذاكم (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أي واذكروا نعمة الله عليكم في جعلكم من ذرية نوح الذي أهلك الله أهل الارض بدعوته لما خالفوه وكذبوه (وزادكم في الخلق

ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾ أفلا تخافون نقمته ﴿ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك ﴾ ياهود ﴿ في سفاهة ﴾ في حمق وجهالة . قال ابن عباس رضي الله عنهما : تدعو إلى دين لا نعرفه ﴿ وانا لنظنك من الكاذبين ﴾ أنك رسول الله الينا ﴿ قال ﴾ هود ﴿ ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴾ ناصح أدعوكم إلى التوبة أمين على الرسالة . قال الكلبي : كنت فيكم قبل اليوم أميناً ﴿ أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ﴾ يعني نفسه ﴿ لينذركم ؟ واذكروا إذ جعلكم خلفاء ﴾ يعني في الارض ﴿ من بعد قوم نوح ﴾ أي من بعد اهلاكهم ﴿ وزادكم في الخلق بسطة ﴾ أي طولا وقوة . قال الكلبي والسدي . كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع ، وقامة القصير ستون ذراعا . وقال أبو حمزة الثمالي سبعون ذراعا ،

بسطة أي زاد طولكم على الناس بسطة أي جعلكم أطول من أبناء جنسكم[١] كقوله في قصة طالوت وزاده بسطة في العلم والجسم (واذكروا آلاء الله) أي نعمه ومننه عليكم (لعلكم تفلحون) والآلاء جمع ألى وقيل ألي

قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٧٠) قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين (٧١) فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين (٧٢)

يخبر تعالى عن تمردهم وطغيانهم وعنادهم وانكارهم على هود عليه السلام (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده) الآية كقول الكفار من قريش (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) وقد ذكر محمد بن اسحاق وغيره انهم كانوا يعبدون أصناما فصنم يقال له صدا وآخر يقال له صمودا وآخر يقال له الهنا[٢] ولهذا قال هود عليه السلام (قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب) أي قد وجب عليكم بمقالتكم هذه من ربكم رجس قيل هو مقلوب من رجز وعن ابن عباس معناه سخط وغضب (أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) أي أتحاجوني في هذه الاصنام التي سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة وهي لا تضر ولا تنفع ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلا ولهذا قال (ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين) وهذا تهديد ووعيد من الرسول لقومه ولهذا عقبه بقوله (فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) وقد ذكر الله سبحانه صفة اهلاكهم في أماكن أخر من القرآن بأنه

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمانون ذراعاً . وقال مقاتل : كان طول كل رجل اثني عشر ذراعاً وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة ، وكان عين الرجل يفرخ فيها الضباع وكذلك مناخرهم ﴿ فاذكروا آلاء الله ﴾ نعم الله واحدها إلى وألى مثل معى وامعاء ، وقفا واقفاء ، ونظ‌اها آناء الليل واحدها أنى وإني ﴿ لعلكم تفلحون * قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ﴾ من الاصنام ﴿ فأتنا بما تعدنا ﴾ من العقاب ﴿ إن كنت من الصادقين * قال ﴾ هود ﴿ قد وقع ﴾ وجب ونزل ﴿ عليكم من ربكم رجس ﴾ أي عذاب والسين مبدلة من الزاي ﴿ وغضب ﴾ أي سخط ﴿ أتجادلونني في أسماء سميتموها ﴾ وضعتموها ﴿ أنتم وآباؤكم ﴾ قال أهل التفسير كانت لهم أصنام يعبدونها سموها أسماء مختلفة ﴿ ما نزل الله بها من سلطان ﴾ حجة وبرهان ﴿ فانتظروا ﴾ نزول العذاب ﴿ إني معكم من المنتظرين * فأنجيناه ﴾ يعني هوداً عند نزول العذاب ﴿ والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا ﴾ أي استأصلناهم وأهلكناهم عن آخرهم ﴿ وما كانوا مؤمنين ﴾

(١) لم يرج عند الحافظ ابن كثير شيء من خرافات وهب ابن منبه في قوم هود كما راجت عند البغوي عفا الله عنه

(٢) كذا في المكية وصوابها الهباء

أرسل عليهم (الريح العقيم ماتذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم) كما قال في الآية الاخرى (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية) لما تمردوا وعتوا أهلكهم الله بريح عاتية فكانت تحمل الرجل منهم فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتثلغ رأسه حتى تبينه من بين جثته ولهذا قال (كأنهم أعجاز نخل خاوية) وقال محمد بن اسحاق كانوا يسكنون باليمن بين عمان وحضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا في الارض وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله فبعث الله اليهم هودا عليه السلام وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا فأمرهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الها غيره وأن يكفوا عن ظلم الناس فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم ناس وهم يسير يكتمون ايمانهم فلما عتت عاد على الله وكذبوا نبيه وأكثروا في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية عبثا بغير نفع كلمهم هود فقال (أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * واذا بطشتم بطشتم جبارين * فاتقوا الله وأطيعون * قالوا ياهود ماجئتنا ببينة ومانحن بتاركي آلهتنا عن قولك ومانحن لك بمؤمنين * ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) أي بجنون (قال اني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم * مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) قال محمد بن اسحاق فلما أبوا الا الكفر به أمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين فيما يزعمون حتى جهدهم ذلك قال وكان الناس اذا جهدهم أمر في ذلك الزمان وطلبوا من الله الفرج فيه انما يطلبونه بحرمته ومكان بيته وكان معروفا عند اهل ذلك الزمان وبه العماليق مقيمون وهم من سلالة عمليق ابن لاوذ[1] بن سام بن نوح وكان سيدهم اذ ذاك رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت له أم

(١) في الازهرية لاوم بالميم

﴿ قصة عاد على ماذكره محمد بن اسحاق وغيره ﴾

إنهم كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم بالاحقاف وهي رمال بين عمان وحضرموت وكانوا قد فشوا في الارض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله عز وجل وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها صنم يقال له صداء، وصنم يقال له صمود، وصنم يقال له الهباء، فبعث الله اليهم هوداً نبياً وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسبا فأمرهم أن يوحدوا الله ويكفوا عن ظلم الناس لم يأمرهم بغير ذلك فكذبوه وقالوا من أشد منا قوة؟ وبنوا المصانع * وبطشوا بطشة الجبارين * فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك، وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء فطلبوا الفرج كانت طلبتهم إلى الله عز وجل عند بيته الحرام بمكة مسلمهم ومشركهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة، وأهل مكة يومئذ العماليق سموا عماليق لأن أباهم عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح * وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم

من قوم عاد واسمها جلهذة[١] ابنة الخبيري[٢] قال فبعثت عاد وفدا قريبا من سبعين رجلا الى الحرم ليستسقوا لهم عند الحرم فمروا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة فنزلوا عليه فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية وكانوا قد وصلوا اليه في شهر فلما طال مقامهم عنده وأخذته شفقة على قومه واستحيا منهم أن يأمرهم بالانصراف عمل شعرا يعرض لهم بالانصراف وأمر القينتين أن تغنيهم به فقال

ألا ياقيل ويحك قم فهينم … لعل الله يصبحنا غماما
فيسقي أرض عاد إن عاداً … قد امسوا لايبينون الكلاما
من العطش الشديد وليس نرجو … به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير … فقد أمست نساؤهم غيامى
وان الوحش تأتيهم جهارا … ولا تخشى لعاديّ سهاما

معاوية كلهدة بنت الخبيري رجل من عاد فلما قحط المطر عن عاد وجهدوا قالوا جهزوا وفداً منكم إلى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال بن هزيل وعقيل بن صندين بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلماً يكتم اسلامه وجلهمة بن الخبيري خال معاوية بن بكر ثم بعثوا لقمان بن عاد الاصغر بن ضمد بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلا ، فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهراً ومقامهم شهراً ، فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه ، وقال هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي والله ماأدري كيف أصنع بهم أستحي أن آمرهم بالخروج إلى مابعثوا اليه فيظنون أنه ضيق مني بمقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعراً نغنهم به لايدرون من قاله لعل ذلك أن يحركهم فقال معاوية بن بكر

ألا ياقيل ويحك قم فهينم … لعل الله يسقينا غماما
فيسقي أرض عاد إن عاداً … قد امسوا لايبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو … به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير … فقد أمست نساؤهم غيامى
وإن الوحش تأتيهم جهاراً … فلا تخشى لعاديّ سهاما

(١) في تفسير البغوي في النسخة الهندية : كلهدة
(٢) في الازهرية الخيبري

وأنتم ههنـا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفـدكم من وفـد قوم ولا لقوا التحيـة والسلاما

قال فعند ذلك تنبه القوم لما جاؤا له فنهضوا الى الحرم ودعوا لقومهم فدعا داعيهم وهو قيل بن عنز فأنشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وسوداء وحمراء ثم ناداه مناد من السماء اختر لنفسك أو لقومك من هذا السحاب فقال : اخترت هذه السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رماداً رمددا ، لاتبقي من عاد أحدا ، لا والدا يترك ولا ولدا ، إلا جعلته همدا ، الا بني الوذية المهندا ، قال وبنو الوذية بطن من عاد يقيمون بمكة فلم يصبهم ما أصاب قومهم قال وهم من بقي من أنسالهم وذراريهم عاد الآخرة قال وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التي اختارها قيل بن عنز بما فيها من النقمة

وأنتم ههنا فيما اشتهيتم نهاركو وليلكو التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان هذا قال بعضهم لبعض ياقوم انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير وكان قد آمن بهود سراً انكم والله لاتسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وأنبتم إلى ربكم سقيتم فأظهر اسلامه عند ذلك وقال شعراً

عصت عاد رسولهم فأمسوا عطاشا ماتبلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود يقابله صـداء والهبـاء
فبصرنا الرسول سبيل رشد فأبصرنا الهـدى وجلى العماء
وان إله هود هو إلهي على الله التوكل والرجاء

فقالوا لمعاوية بن بكر احبس عنا مرثد بن سعد فلا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا إلى مكة يستسقون لعاد فلما ولوا إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا له ، فلما انتهى اليهم قام يدعو الله وبها وفد عاد يدعون فقال : اللهم أعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد عاد ، وكان قيـل بن عنز رأس وفد عاد ، فقال وفد عاد اللهم اعط قيلا ماسألك واجعل سؤلنا مع سؤله ، وكان قد تخلف عن وفد عاد حين دعوا لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعوتهم فقال : اللهم اني جئتك وحدي في حاجتي فاعطني سؤلي . وسأل الله طول العمر فعمر عمر سبعة أنسر . وقال قيل بن عنز حين دعا ياإلهنا إن كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السحاب ياقيل اختر لنفسك وقومك من هذه السحائب ماشئت فقال : قيل اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رماداً رمدداً ، لا يبقي من آل عاد أحداً

الى عاد حتى تخرج عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ■ تدمر كل شيء) أي تهلك كل شيء مرت به فكان أول من أبصر مافيها وعرف انها ريح فيما يذكرون امرأة من عاد يقال لها مميد [١] فلما تبينت مافيها صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا ما رأيت يا مميد [١] قالت ريحا فيها شبه النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما كما قال الله تعالى والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك، واعتزل هود عليه السلام فيما ذكر لي ومن معه من المؤمنين في حظيرة مايصيبه ومن معه إلا ماتلين عليه الجلود وتلذ الانفس وانها لتمر على عاد بالظعن مابين السماء والارض ، وتدمغهم بالحجارة وذكر تمام القصة بطولها وهو سياق غريب فيه فوائد كثيرة وقد قال الله تعالى (ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ)

(١) في النسخة المكية : مهد ، وفي البغوي مهدد

وقد ورد في الحديث الذي رواه الامام أحمد في مسنده قريب مما أورده محمد بن اسحاق بن يسار رحمه الله ■ وقال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي حدثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث البكري قال خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي الى رسول الله ﷺ فمررت بالربذة فاذا بعجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي ياعبد الله ان لي الى رسول الله ﷺ حاجة هل أنت مبلغي اليه قال فحملتها فأتيت المدينة فاذا المسجد غاص بأهله واذا راية سوداء تخفق واذا بلال متقلد سيفا بين يدي رسول الله ﷺ فقلت ماشأن الناس ؟ قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها قال فجلست فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت وسلمت فقال هل بينكم وبين تميم شيء قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم ومررت بعجوز من بني

وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث ، فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم * تدمر كل شيء بأمر ربها) أي تهلك كل شيء مرت به وكان أول من أبصر مافيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد ، فلما تبينت مافيها صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا لها ماذا رأيت ؟ قالت رأيت ريحاً فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة مايصيبه ومن معه من الريح إلا ماتلين عليه الجلود وتلذ الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن فتحملهم بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة ، وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذ أقبل رجل على ناقة في ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر فقالوا له فأين فارقت هوداً وأصحابه ؟ فقال فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيلة بنت بكر صدق ورب مكة ، وذكروا أن مرثد بن سعد ولقمان بن

تميم منقطع بها فسألتني ان أحملها اليك وهاهي بالباب فأذن لها فدخلت فقلت يارسول الله ان رأيت أن تجعل بيننا و بين تميم حاجزاً فاجعل الدهناء فحميت العجوز واستوفزت وقالت يارسول الله فالى أين يضطر مضطرك قال قلت ان مثلي مثل ماقال الاول « معزى حملت حتفها » حملت هذه ولا أشعر انها كانت لي خصما أعوذ بالله وبرسوله ان أكون كوافد عاد قال لي « وما وافد عاد؟ » وهو أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه قلت إن عادا قحطوا فبعثوا وافداً لهم يقال له قيل فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان فلما مضى الشهر خرج الى جبال مهرة فقال اللهم انك تعلم أنى لم أجيء الى مريض فأداويه ولا الى أسير فأفاديه ، اللهم اسق عادا ما كنت تسقيه ، فمرت به سحابات سود فنودي منها اختر فأومأ الى سحابة منها سوداء فنودي منها خذها رماداً رمددا ، لاتبقي من عاد أحداً ، قال فما بلغني أنه بعث الله عليهم من الريح الا قدر مايجري في خاتمي هذا حتى هلكوا قال أبو وائل وصدق قال وكانت المرأة والرجل اذا بعثوا وافدا لهم قالوا لاتكن كوافد عاد هكذا رواه الامام أحمد في المسند ، ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن زيد بن الحباب به نحوه ، ورواه النسائي من حديث سلام ابن أبي المنذر عن عاصم وهو ابن بهدلة ومن طريقه رواه ابن ماجه ايضا عن أبي وائل عن الحارث بن حسان البكرى به ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن

عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم قد أعطيتم مناكم فاختاروا لأنفسكم إلا أنه لاسبيل إلى الخلود ولا بد من الموت ، فقال مرثد اللهم اعطني صدقا وبراً فأعطي ذلك ، وقال لقمان أعطني يارب عمراً فقيل له اختر فاختار عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته حتى اذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان آخرها لبداً ، فلما مات لبد مات لقمان معه ، وأما قيل فانه قال أختار أن يصيبني ما أصاب قومي فقيل له انه الهلاك ، فقال لاأبالي لاحاجة لي في البقاء بعدهم فأصابه الذي أصاب عاداً من البلاء والعذاب فهلك . قال السدي : بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض ، فلما رأوها تبادروا البيوت فدخلوها وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت أبوابهم فدخلت عليهم فأهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيراً سوداء فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه

وروي أن الله عز وجل أمر الريح فأهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين تحت الر[illegible] ، ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم في البحر ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها ، وفي الحديث إنها خرجت على قدر خرق الخاتم ، وروي عن علي أن قبر هود بحضرموت في كثيب أحمر وقال عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبياً ، وأن قبر هود وشعيب

زيد بن حباب به ووقع عنده عن الحارث بن يزيد البكري فذكره ورواه أيضاعن أبي كريب عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن الحارث بن حسان البكري فذكره ولم أر في النسخة أبا وائل والله أعلم

والى ثمود أخاهم صٰلحاً قال يٰقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آيةً فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم (٧٣) واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين (٧٤) قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صٰلحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون (٧٥) قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كٰفرون (٧٦) فعقروا الناقة وعتوْا عن أمر ربهم وقالوا يٰصٰلح ائتنا بما تعدُنا إن كنت من المرسلين (٧٧) فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جٰثمين (٧٨)

قال علماء التفسير والنسب ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عاثر وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله وقد مر رسول الله ﷺ على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب الى تبوك في سنة تسع قال الامام أحمد حدثنا عبدالصمد حدثنا صخر بن جويريه عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله ﷺ بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فعجنوا منها ونصبوا لها القدور فأمرهم النبي ﷺ فأهرقوا القدور وعلفوا العجين الابل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا وقال « إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلاتدخلوا عليهم » وقال أحمد أيضاً حدثنا عفان حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عبدالله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ وهو بالحجر (لاتدخلو على

وصالح واسماعيل في تلك البقعة ، ويروى أن النبي ﷺ قال « ان نبيا من الانبياء اذا هلك قومه جاء هو والصالحون معه إلى مكة يعبدون الله فيها حتى يموتوا»

قوله تعالى ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾ وهو ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح وأراد ههنا القبيلة . قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين

هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم » وأصل هـذا الحديث مخرج في الصحيحين من غير وجه . وقال الامام احمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون المسعودي عن اسماعيل بن اوسط عن محمد بن أبي كبشـة الانماري عن أبيه قال لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس الي اهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنادى في الناس «الصلاة جامعة» قال فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسك بعنزة وهو يقول ماتدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل منهم نعجب منهم يارسول الله ؟ قال «أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك: رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فان الله لا يعبأ بعذابكم شيئاً وسيأتي قوم لا يدفعون عن انفسهم شيئا» لم يخرجه أحد من أصحاب السـنن وأبو كبشة اسمه عمر بن سعد ويقال عامر بن سعد والله أعلم

وقال الامام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال « لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت - يعني الناقة - ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله من تحت أديم السماء منهم الا رجلا واحداً كان في حرم الله فقالوا من هو يارسول الله قال أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم

قوله تعالى (والى ثمود) أي ولقد أرسلنا الى قبيلة ثمود أخاهم صالحا (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) فجميع الرسل يدعون الى عبادة الله وحده لاشريك له كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله الا أنا فاعبدون) وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقوله (قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية) أي قد جاءتكم حجة من الله على صدق ما جئتكم به وكانوا هم الذين سألوا صالحا أن يأتيهم بآية واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة عشراء تمخض فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الله الى سؤالهم وأجابهم الى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام الى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنينها بين جنبيها كما سألوا فعند ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره وأراد بقية

الحجاز والشام إلى وادي القرى ﴿ أخاهم صالحاً ﴾ أي أرسلنا إلى ثمود أخاهم في النسب لا في الدين صالحاً وهو صالح بن عبيـد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة ﴾ حجة ﴿ من ربكم ﴾ على صدقي ﴿ هذه ناقة الله ﴾ أضافها

أشراف ثمود أن يؤمنوا فصدهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صمعر ابن جليس وكان جندع بن عمرو ابن عم له شهاب بن خليفة بن محلاة بن لبيد بن حراس وكان من أشراف ثمود وأفاضلها فاراد أن يسلم أيضاً فنهاه أولئك الرهط فاطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود يقال له مهوش بن عثمة بن الذميل رحمه الله

وكانت عصبة من آل عمرو الى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا فهم بأن يجيب فلو أجابا
لأصبح صالح فينا عزيزاً وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ذيابا

وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة تشرب من بئرها يوما وتدعه لهم يوماً وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملؤن ما شاؤا من أوعيتهم وأوانيهم كما قال في الآية الاخرى (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) وقال تعالى (هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) وكانت تسرح في بعض تلك الاودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها لانها كانت تتضلع من الماء وكانت على ما ذكر خلقا هائلا ومنظرا رائعاً اذا مرت بانعامهم نفرت منها فلما طال عليهم ذلك واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام عزموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم فيقال إنهم اتفقوا كلهم على قتلها قال قتادة بلغني أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في خدورهن وعلى الصبيان قلت وهذا هو الظاهر لقوله تعالى (فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها) وقال(وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها)وقال(فعقروا الناقة) فاشتد ذلك على مجموع القبيلة فدل على رضى جميعهم بذلك والله أعلم ، وذكر الامام أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التفسير أن سبب قتلها أن امرأة منهم يقال لها عنيزة ابنة غنم بن مجلز وتكنى أم عثمان كانت عجوز كافرة وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانت لها بنات حسان ومال جزيل وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود وامرأة أخرى يقال لها صدقة[1] بنت المحيا بن زهير بن المختار ذات حسب ومال وجمال وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقته فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة فدعت صدقة[1] رجلا يقال له الحباب فعرضت عليه نفسها ان هو عقر الناقة فأبى عليها

(١) في النسخة المكية: صروف

اليه على التفضيل والتخصيص كما يقال بيت الله ﴿ لكم آية ﴾ نصب على الحال ﴿ فذروها تأكل ﴾ العشب ﴿ في أرض الله ولا تمسوها بسوء ﴾ لا تصيبوها بعقر ﴿ فيأخذكم عذاب أليم * واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم ﴾ أسكنكم وأنزلكم ﴿ في الارض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً ﴾ كانوا ينقبون في الجبال البيوت ففي الصيف يسكنون بيوت الطين ، وفي الشتاء بيوت الجبل وقيل كانوا ينحتون البيوت في الجبل لأن بيوت الطين ما كانت تبقى مدة أعمارهم لطول

فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا فأجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار ابن سالف بن جذع وكان رجلا أحمر أزرق قصيرا يزعمون أنه كان ولد زنية وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب اليه وهو سالف وانما هو من رجل يقال له ضيان ولكن ولد على فراش سالف وقالت له أعطيك أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة فعند ذلك انطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغووا غواة من ثمود فاتبعهما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط وهم الذين قال الله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون) وكانوا رؤساء في قومهم فاستمالوا القبيلة الكافرة بكمالها فطاوعتهم على ذلك فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار بن سالف في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت بنت غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجهاً فسفرت عن وجهها لقدار ودمرته وشد عليها قدار بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرت ساقطة الى الارض ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها ثم طعن في لبتها فنحرها وانطلق سقبها وهو فصيلها حتى أتى جبلا منيعا فصعد أعلى صخرة فيه ورغا فروى عبدالرزاق عن معمر عمن سمع الحسن البصري أنه قال يارب أين أمي ويقال أنه رغا ثلاث مرات وأنه دخل في صخرة فغاب فيها ويقال إنهم اتبعوه فعقروه مع أمه فالله أعلم . فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة وبلغ الخبر صالحا عليه السلام فجاءهم وهم مجتمعون فلما رأى الناقه بكى وقال (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) الآية وكان قتلهم الناقة يوم الاربعاء فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا إن كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا ألحقناه بناقته (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا مكراً ومكرنا مكرا وهم لايشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم) الآية فلما عزموا على ذلك وتواطؤا عليه وجاؤا من الليل ليفتكوا بنبي الله فأرسل الله سبحانه وتعالى وله العزة ولرسوله عليهم حجارة فرضختهم سلفا وتعجيلا قبل قومهم وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الاول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح عليه السلام وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما أصبحوا من يوم الاحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه عياذاً بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل بهم

أعمارهم ﴿ فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين ﴾ والعثو أشد الفساد

قوله تعالى ﴿ قال الملأ ﴾ قرأ ابن عامر (وقال الملأ) بالواو ﴿ الذين استكبروا من قومه ﴾ يعني الاشراف والقادة الذين تعظموا عن الايمان بصالح (للذين استضعفوا ﴾ يعني الاتباع ﴿ لمن آمن منهم ﴾ يعني قال الكفار للمؤمنين ﴿ أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ﴾ اليكم ﴿ قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون * قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون ﴾ جاحدون ﴿ فعقروا الناقة ﴾ قال الازهري : العقر

ولا كيف يأتيهم العذاب وأشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الارواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي صرعى لأرواح فيهم ولم يفلت منهم أحد لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى قالوا الا جارية كانت مقعدة واسمها كلبة ابنة السلق ويقال لها الذريعة وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح عليه السلام فلما رأت مارأت من العذاب أطلقت رجلاها فقامت تسعى كأسرع شيء فأتت حياً من الاحياء فاخبرتهم بما رأت وما حل بقومها ثم استسقتهم من الماء فلما شربت ماتت قال علماء التفسير ولم يبق من ذرية ثمود أحد سوى صالح عليه السلام ومن تبعه رضي الله عنهم الا أن رجلا يقال له أبو رغال كان لما وقعت النقمة بقومه مقيما إذ ذاك في الحرم فلم يصبه شيء فلما خرج في بعض الايام الى الحل جاءه حجر من السماء فقتله وقد تقدم في أول القصة حديث جابر بن عبد الله في ذلك وذكروا أن ابا رغال هذا هو والد ثقيف الذين كانوا يسكنون الطائف قال عبدالرزاق عن معمر أخبرني اسماعيل بن أمية أن النبي ﷺ مرّ بقبر أبي رغال فقال «أتدرون من هذا ؟» قالوا الله ورسوله أعلم قال « هذا قبر أبي رغال رجل من ثمود كان في حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم فبحثوا عنه فاستخرجوا الغصن » وقال عبد الرزاق قال معمر قال الزهري أبو رغال أبو ثقيف هذا مرسل من هذا الوجه « وقد روي متصلا من وجه آخر كما قال محمد بن اسحاق عن اسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه الى الطائف فمررنا بقبر فقال « هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم فدفع عنه فلما خرج أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب ان أنتم نبشتم عنه أصبتموه فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن » وهكذا رواه أبو داود عن يحيى بن معين عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن ابن اسحاق به قال شيخنا أبو الحجاج المزي وهو حديث حسن عزيز (قلت) تفرد بوصله بجير بن أبي بجير هذا وهو شيخ لا يعرف الا بهذا الحديث قال يحيى بن معين ولم أسمع أحدا روى عنه غير اسماعيل بن أمية (قلت) وعلى هذا فيخشى أن يكون وهم في رفع هذا الحديث. وانما يكون من كلام عبدالله بن عمرو مما أخذه من الزاملتين قال شيخنا أبو الحجاج بعد أن عرضت عليه ذلك وهذا محتمل والله أعلم

هو قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقراً لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره ﴿ وعتوا عن أمر ربهم ﴾ والعتو الغلو في الباطل يقال عتا يعتو عتوا إذا استكبر . والمعنى عصوا الله وتركوا أمره في الناقة وكذبوا نبيهم ﴿ وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ﴾ أي من العذاب ﴿ ان كنت من المرسلين * فأخذتهم الرجفة ﴾ وهي زلزلة الارض وحركتها وأهلكوا بالصيحة والرجفة ﴿ فأصبحوا في دارهم ﴾ قيل أراد الديار وقيل أراد في أرضهم وبلدتهم ولذلك وحد الدار ﴿ جاثمين ﴾ خامدين ميتين . قيل سقطوا على وجوههم موتى

فتولىٰ عنهم وقال يٰقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون النّٰصحين (٧٩)

هذا تقريع من صالح عليه السلام لقومه لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه وتمردهم على الله وإبائهم عن قبول الحق واعراضهم عن الهدى الى العمى قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم تقريعا وتوبيخا وهم يسمعون ذلك كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل بدر أقام هناك ثلاثا ثم أمر براحلته فشدت بعد ثلاث من آخر الليل فركبها ثم سار حتى وقف على القليب قليب بدر فجعل يقول« ياأبا جهل بن هشام ياعتبة بن ربيعة ياشيبة بن ربيعة ويافلان بن فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني وجدت ماوعدني ربي حقا »فقال له عمر يارسول الله ماتكلم من أقوام قد جيفوا فقال« والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لايجيبون » وفي السيرة أنه عليه السلام قال لهم« بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس فبئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم» وهكذا صالح عليه السلام قال لقومه (لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم) أي فلم تنتفعوا بذلك لانكم لاتحبون الحق ولاتتبعون ناصحا ولهذا قال (ولكن لاتحبون

عن آخرهم ﴿ فتولى ﴾ أعرض صالح ﴿ عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين ﴾ فان قيل كيف خاطبهم بقوله (لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم) بعد ما أهلكوا بالرجفة قيل كما خاطب النبي ﷺ الكفار من قتلى بدر حين ألقاهم في القليب فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم « أيسركم انكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا ؟ » فقال عمر : يارسول الله ماتكلم من أجساد لا أرواح لها فقال النبي ﷺ « والذي نفس محمد بيده ماأنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لايجيبون» وقيل خاطبهم ليكون عبرة لمن خلفهم .وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديرها :فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغت رسالة ربي فأخذتهم الرجفة ، وكان قصة ثمود على ماذكره محمد بن اسحاق ووهب وغيرهما ان غادا لما هلكت وانقضى أمرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فدخلوا فيها وكثروا وعمروا حتى جعل أحدهم يبني المسكن من المدر فينهدم والرجل منهم حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا في سعة من معاشهم فعتوا وأفسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحاً وكانوا قوما عربا وكان صالح من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسبا وموضعا فبعثه الله اليهم غلاما شابا فدعاهم إلى الله حتى شمط وكبر لا يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر لهم التحذير والتخويف سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فقال لهم أي آية تريدون ؟ قالوا تخرج معنا الى عيدنا ، وكان لهم عيد يخرجون فيه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعو إلهك وندعوا آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها

الناصحين) وقد ذكر بعض المفسرين أن كل نبي هلكت أمته كان يذهب فيقيم في الحرم حرم مكة والله أعلم ، وقد قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن

أن لا يستجاب لصالح في شيء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن حراش وهو يومئذ سيد ثمود ياصالح اخرج لنا من هذه الصخرة ـ لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ـ ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ماشاكل البخت من الابل فان فعلت صدقناك وآمنا بك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقني ولتؤمنن بي قالوا نعم فصلى صالح ركعتين ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج ولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها عظما الا الله وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صمعر وكان كاهنهم وكانوا من أشراف ثمود فلما خرجت الناقة قال لهم صالح (هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) فمكثت الناقة ومعها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في بئر في الحجر يقال له بئر الناقة فما ترفع رأسها حتى تشرب كل ماء فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع رأسها فتفتح حتى تفحج لهم فيحلبون ماشاؤا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا أوانيهم كلها ثم تصدر من غير الفج الذي وردت منه لا تقدر أن تصدر من حيث ترد يضيق عنها حتى إذا كان يومها فيشربون ماشاؤا من الماء ويدخرون ماشاؤا ليوم الناقة من ذلك فهم في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف إذا كان الحر بظهر الوادي فتهرب منها المواشي أغنامهم وبقرهم وابلهم فتهبط الى بطن الوادي في حره وجدبه وذلك أن المواشي تنفر منها إذا رأتها وتشتو ببطن الوادي إذا كان الشتاء فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادي في البرد والجدب فأضر ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فاجمعوا على عقرها وكانت أمرأتان من ثمود احداها يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز تكنى بام غنم وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم وامرأة اخرى يقال لها صدوف بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة وكانتا من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا تحبان عقر الناقة لما أضرت بهما من مواشيهما فتحيلتا في عقر الناقة فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس واكثرهم مالا فأجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا احمر أزرق قصيرا يزعمون أنه كان لزنية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراش سالف فقالت أعطيك أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه. أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد

عباس قال لما مر رسول الله ﷺ بوادي عسفان حين حج قال «يا أبا بكر أي واد هذا؟» قال هذا

ابن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا وهيب حدثنا هشام عن أبيه أنه اخبره عبدالله بن زمعة أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله ﷺ «اذ انبعث أشقاها، انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في قومه مثل أبي زمعة» (رجعنا الى القصة) قالوا فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة رهط فانطلق قدار ومصدع واصحابهما فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في طريق آخر فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم بها في عضلة ساقها وخرجت أم غنم عنيزة وامرت ابنتها وكانت من أحسن الناس فأسفرت لقدار ثم زمرته فشد على الناقة بالسيف فكسف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها ثم طعن في لبتها فنحرها وخرج أهل البلد واقتسموا لحمها وطبخره فلما رأى سقبها ذلك انطلق حتى أتى جبلا منيعا يقال له صنو وقيل اسمه قارة وأتى صالح فقيل له أدرك الناقة فقد عقرت فأقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون اليه يانبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله الى الجبل فتطاول في السماء حتى لا تناله الطير وجاء صالح فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغوة أجل يوم (فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) وقال ابن اسحاق اتبع السقب اربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهرج وأخوه ذؤاب بن مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فأنزله فألقوا لحمه مع لحم أمه وقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزؤن به ومتى ذلك ياصالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيهم الاحد أول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنسا والجمعة العروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غداة يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا قد كنا ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم؟ ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبداً فقد وعدكم أن العذاب نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فأنتم من وراء ماتريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوف صغيرهم

وادي عسفان قال « لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات خطمهن الليف ازرهم العباء

وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فعند ذلك أيقنوا العذاب وعرفوا أن صالحاً قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه وخرج صالح هاربا منهم حتى جاء الى بطن من ثمود يقال لهم بني غنم فنزل على سيدهم رجل يقال له نفيل ويكني بأبي هدب وهو مشرك فغيبه عنهم ولم يقدروا عليه فغدوا على اصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يا نبي الله انهم ليعذبوننا لنهديهم عليك أفندلهم قال نعم فدلهم عليه وأتوا أبا هدب فكلموه في ذلك فقال نعم عندي صالح وليس لكم عليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة كانما خضبت بالدماء فصاحوا وبكوا فلما أمسوا وصاحوا بأجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كانما طليت بالقار فصاحوا بأجمعهم الا قد حضركم العذاب فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم ومن أسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما أصبح القوم تكفنوا وتحنطوا وألقوا أنفسهم بالارض يقلبون أبصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لايدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الأرض فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا هلك كما قال الله تعالى (فأصبحوا في دارهم جاثمين) الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سالف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فأطلق الله رجليها بعد ما عاينت العذاب فخرجت كأسرع مايرى شيء قط حتى أتت قرح وهو واد القرى من حد مابين الحجاز والشام فاخبرتهم بما عاينته من العذاب وما أصاب ثمود ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت .

وذكر السدي في عقر الناقة وأوحى الله إلى صالح عليه السلام أن قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك فقالوا : ماكنا نفعل ، فقال صالح انه يولد في شهركم هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه ، فقالوا لايولد لنا ولد في هـذا الشهر إلا قتلناه ، قال فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم ولد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك ، وكان ابنه أزرق أحمر فنبت نباتاً سريعا ، وكان اذا مر بالتسعة قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أولادهم فتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ، قالوا نخرج فترى الناس انا قد خرجنا إلى سفر فنأتي الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أتيناه فقتلناه ثم رجعنا إلى الغار فكنا فيه ثم انصرفنا إلى رحلنا فقلنا ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقوننا يظنون أنا

وأرديتهم النمار يلبون يحجون البيت العتيق » هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يخرجه أحد منهم

قد خرجنا الى سفر وكان صالح لاينام معهم في القرية ، وكان يبيت في مسجد يقال له مسجد صالح فاذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم ، واذا أمسى خرج الى المسجد فبات فيه فانطلقوا فدخلوا الغار فسقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم فاذا هم رضخ فرجعوا يصيحون في القرية أي عباد الله مارضي صالح أن أمرهم بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة . وقال ابن اسحاق : كان تقاسم التسعة على تبييت صالح بعد عقرهم الناقة كما ذكرنا . قال السدي وغيره : فلما ولد ابن العاشر يعني قدار شب في اليوم شباب غيره في الجمعة ، وشب في شهر شباب غيره في السنة ، فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نصنع نحن باللبن لو كنا نأخذ هذا الماء الذي تشربه هذه الناقة فنسقيه أنعامنا وحروثنا كان خيراً لنا ، فقال ابن العاشر هل لكم في أن أعقرها لكم ؟ قالوا نعم فعقرها ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن مسكين ثنا يحيى بن حسان بن حيان أبو زكريا ثنا سليمان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئر بها ولا يستقوا منها فقالوا : قد عجنا منها واستقينا فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء . وقال نافع عن ابن عمر فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من آبارها، وأن يعلفوا الابل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة ، وروي عن الزبير عن جابر قال : لما مرّ النبي ﷺ بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه « لا يدخل أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ، ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم » ثم قال « أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الناقة فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج ، وتصدر من هذا الفج ، وتشرب ماءهم يوم ورودها ، وأراهم مرتقى الفصيل من الجبل فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فأهلك الله من تحت أديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها إلا رجلا واحداً يقال له أبو رغال، وهو أبو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله ، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ودفن معه غصن من ذهب » وأراهم قبر أبي رغال فنزل القوم فابتدروا بأسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن، وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم إلى حضرموت ، فلما دخلوها مات صالح فسمي حضرموت ثم بنى الاربعة آلاف مدينة يقال لها حاضوراء . قال قوم من أهل العلم : توفى صالح بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة

ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفٰحشة ما سبقكم بها من أحد من العٰلمين ؟ (٨٠) إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ؟ بل أنتم قوم مسرفون (٨١)

يقول تعالى (و) لقد أرسلنا (لوطا) أو تقديره (و) اذكر (لوطا إذ قال لقومه) ولوط هو ابن هارون بن آزر وهو ابن أخي ابراهيم الخليل عليهما السلام وكان قد آمن مع ابراهيم عليه السلام وهاجر معه الى أرض الشام فبعثه الله الى أهل سدوم وما حولها من القرى يدعوهم الى الله عز وجل ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم وهو إتيان الذكور دون الاناث وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه ولا يخطر ببالهم حتى صنع ذلك أهل سدوم عليهم لعائن الله قال عمرو بن دينار في قوله (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) قال مانزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال الوليد بن عبد الملك الخليفة الاموي باني جامع دمشق لولا أن الله عز وجل قص علينا خبر قوم لوط ماظننت أن ذكرا يعلو ذكراً ولهذا قال لهم لوط عليه السلام (أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين* أئنكم لتأتون الرجال شهوة دون النساء) أي عدلتم عن النساء وما خلق لكم ربكم منهن الى الرجال وهذا إسراف منكم وجهل لانه وضع الشيء في غير محله ولهذا قال لهم في الآية الاخرى قال (هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين) فأرشدهم الى نسائهم فاعتذروا اليه بانهم لايشتهونهن (قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وإنك

قوله تعالى ﴿ ولوطا ﴾ أي وأرسلنا لوطا وقيل معناه واذكر لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ بن أخي إبراهيم ﴿ إذ قال لقومه ﴾ وهم أهل سدوم، وذلك أن لوطا شخصَ من أرض بابل مع عمه ابراهيم عليه السلام مؤمناً مهاجراً معه إلى الشام فنزل ابراهيم فلسطين وأنزل لوطا الاردن فأرسله الله عز وجل إلى أهل سدوم فقال لهم ﴿ أتأتون الفاحشة ﴾ يعني اتيان الذكر ﴿ ماسبقكم بها من أحد من العالمين؟ ﴾ قال عمرو بن دينار : مانزا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط ﴿ أئنكم ﴾ قرأ أهل المدينة وحفص انكم بكسر الالف على الخبر ، وقرأ الآخرون على الاستفهام ﴿ لتأتون الرجال ﴾ في أدبارهم ﴿ شهوة من دون النساء؟ ﴾ فسر تلك الفاحشة يعني أدبار الرجال أشهى اليكم من فروج النساء ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾ مجاوزون الحلال إلى الحرام . قال محمد بن اسحاق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الارض مثلها فقصدهم الناس لينالوا من ثمارهم فآذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ فقال : إن فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم فأبوا فلما ألح عليهم قصدوهم فأصابوهم غلمانا صباحا فأخذوهم وقهروهم على أنفسهم وأخبثوا بهم فاستحكم ذلك فيهم . قال الحسن : كانوا لاينكحون إلا الغرباء . وقال الكلبي إن أول من عمل عمل قوم لوط ابليس ثم دعاهم الى ذلك لأن بلادهم أخصبت فانتجعها أهل البلدان

لتعلم ما نريد) أي لقد علمت أنه لا أرب لنا في النساء ولا ارادة وإنك لتعلم مرادنا من أضيافك وذكر المفسرون أن الرجال كانوا قد استغنى بعضهم ببعض وكذلك نساؤهم كن قد استغنين بعضهن ببعض أيضا

وما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون (٨٢)

أي ما أجابوا لوطاً إلا أن هموا باخراجه ونفيه ومن معه من بين أظهرهم فأخرجه الله تعالى سالما وأهلكهم في أرضهم صاغرين مهانين ، وقوله تعالى (انهم أناس يتطهرون) قال قتادة : عابوهم بغير عيب . وقال مجاهد : انهم أناس يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء . وروي مثله عن ابن عباس أيضاً

فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغٰبرين (٨٣) وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عٰقبة المجرمين (٨٤)

يقول تعالى فأنجينا لوطاً وأهله ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط كما قال تعالى (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) إلا امرأته فانها لم تؤمن به ، بل كانت على دين قومها تمالئهم عليه وتعلمهم بمن يقدم عليه من ضيفانه باشارات بينها وبينهم ، ولهذا لما أمر لوط عليه السلام ليسري بأهله أمر أن لا يعلمها ولا يخرجها من البلد ، ومنهم من يقول بل اتبعتهم فلما جاء العذاب التفتت هي فأصابها ما أصابهم ، والاظهر أنها لم تخرج من البلد ولا أعلمها لوط بل بقيت معهم ، ولهذا قال ههنا (إلا امرأته كانت من الغابرين) أي الباقين وقيل من الهالكين وهو تفسير باللازم ، وقوله (وأمطرنا عليهم مطراً) مفسر بقوله (وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسوّمة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد) ولهذا قال (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) أي انظر يا محمد كيف كان عاقبة من يجتريء على معاصي الله عز وجل ويكذب رسله . وقد ذهب الامام أبو حنيفة رحمه الله إلى أن اللائط يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط ، وذهب

فتمثل لهم ابليس في صورة شاب ثم دعا إلى دبره فنكح في دبره فأمر الله تعالى السماء أن تحصبهم والارض أن تخسف بهم ﴿ وما كان جواب قومه إلا أن قالوا ﴾ قال بعضهم لبعض ﴿ أخرجوهم ﴾ يعني لوطا وأهل دينه ﴿ من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴾ يتنزهون عن أدبار الرجال ﴿ فأنجيناه ﴾ يعني لوطا ﴿ وأهله ﴾ المؤمنين ، وقيل أهله ابنتاه ﴿ إلا امرأته كانت من الغابرين ﴾ يعني الباقين في العذاب ، وقيل معناه كانت من الباقين المعمرين قد أتى عليها دهر طويل فهلكت مع من هلك من قوم لوط ، وانما قال من الغابرين لأنه أراد ممن بقي من الرجال ، فلما ضم ذكرها إلى ذكر الرجال قال (من الغابرين) ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً ﴾ يعني حجارة من سجيل . قال وهب : الكبريت والنار ﴿ فانظر كيف كان عاقبة

آخرون من العلماء إلى أنه يرجم سواء كان محصناً أو غير محصن وهو أحد قولي الشافعي رحمه الله والحجة ماروواه الامام احمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث الدراوردي عن عمرو بن أبي عمر عن عكرمة عن ابن عباس قل : قال رسول الله ﷺ « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » وقال آخرون هو كالزاني فان كان محصناً رجم ، وإن لم يكن محصنا جلد مائة جلدة وهو القول الآخر للشافعي ، وأما اتيان النساء في الادبار فهو اللوطية الصغرى وهو حرام باجماع العلماء إلا قولا شاذاً لبعض السلف وقد ورد في النهي عنه أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ وقد تقدم الكلام عليها في سورة البقرة

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يـٰقوم اعبدوا الله مالكم من إلـٰه غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد إصلـٰحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين (٨٥)

قال محمد بن اسحاق : هم من سلالة مدين بن ابراهيم وشعيب هو ابن ميكيل بن يشجر قال واسمه بالسريانية يثرون (قلت) مدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة وهي التي بقرب معان من طريق الحجاز قال الله تعالى (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون) وهم أصحاب الايكة كما سنذكره إن شاء الله وبه الثقة (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) هذه دعوة الرسل كلهم قد جاءتكم بينة من ربكم ، أي قد أقام الله الحجج والبينات على صدق ماجئتكم به ، ثم وعظهم في معاملتهم الناس بأن يوفوا المكيال والميزان ولا يبخسوا الناس أشياءهم ، أي لايخونوا الناس في

المجرمين ﴾ قال أبو عبيدة : يقال في العذاب أمطر ، وفي الرحمة مطر

قوله تعالى ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ أي وأرسلنا إلى ولد مدين وهو مدين بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وهم أصحاب الايكة أخاهم شعيبا في النسب لافي الدين . قال عطاء : هو شعيب ابن يويب بن ابراهيم . وقال اسحاق : هو شعيب بن ميكائيل بن يسجر بن مدين بن ابراهيم ، وأم ميكائيل بنت لوط ، وقيل هو شعيب بن يثرون بن بويب بن مدين بن ابراهيم وكان شعيب أعمى ، وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه ، وكان قومه أهل كفر وبخس المكيال والميزان ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ﴾ فان قيل مامعنى قوله تعالى (قد جاءتكم بينة من ربكم) ولم يكن لهم آية مذكورة : قيل قد كانت لهم الآية إلا أنها لم تذكر وليست كل الآيات مذكورة في القرآن ، وقيل أراد بالبينة مجيء شعيب ﴿ فأوفوا الكيل ﴾ أتموا الكيل ﴿ والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ لاتظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها ﴿ ولا

أموالهم ويأخذوها على وجه البخس وهو نقص المكيال والميزان خفية وتدليساً كما قال تعالى (ويل للمطففين — إلى قوله — لرب العالمين) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد نسأل الله العافية منه ، ثم قال تعالى اخباراً عن شعيب الذي يقال له خطيب الانبياء لفصاحة عبارته وجزالة موعظته

ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عقبة المفسدين (٨٦) وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحكمين (٨٧)

ينهاهم شعيب عليه السلام عن قطع الطريق الحسي والمعنوي بقوله (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) أي تتوعدون الناس بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم . قال السدي وغيره : كانوا عشارين ، وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) أي تتوعدون المؤمنين الآتين إلى شعيب ليتبعوه والاول أظهر لأنه قال (بكل صراط) وهو الطريق ، وهذا الثاني هو قوله (وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا) أي وتودون أن تكون سبيل الله عوجا مائلة (واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم) أي كنتم مستضعفين لقلتكم فصرتم أعزة لكثرة عددكم فاذكروا نعمة الله عليكم في ذلك (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) أي من الامم الخالية والقرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال باجترائهم على معاصي الله وتكذيب رسله ، وقوله (وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا) أي قد اختلفتم علي (فاصبروا) أي انتظروا

تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ﴾ أي يبعث الرسل والامر بالعدل . وكل نبي بعث إلى قوم فهو صلاحهم ﴿ ذلكم ﴾ الذي ذكرت لكم وأمرتكم به ﴿ خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ مصدقين بما أقول ﴿ ولا تقعدوا بكل صراط ﴾ أي على كل طريق ﴿ توعدون ﴾ تهددون ﴿ وتصدون عن سبيل الله ﴾ دين الله ﴿ من آمن به وتبغونها عوجا ﴾ زيغاً ، وقيل تطلبون الاعوجاج في الدين والعدول عن القصد وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيقولون لمن يريد الايمان بشعيب إن شعيباً كذاب فلا يفتنك عن دينك ويتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم . وقال السدي كانوا عشارين ﴿ واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم ﴾ فكثر عددكم ﴿ وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ أي آخر أمر قوم لوط ﴿ وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا ﴾ أي إن اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين مكذبين ومصدقين ﴿ فاصبروا حتى يحكم الله بيننا ﴾ بتعذيب المكذبين وانجاء المصدقين

(حتى يحكم الله بيننا) وبينكم أي يفصل (وهو خير الحاكمين) فانه سيجعل العاقبة للمتقين والدمار على الكافرين

قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا .قال أو لو كنا كرهين ؟(٨٨) قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجّنا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفتحين (٨٩)

هذا خبر من الله تعالى عما واجهت به الكفار نبيه شعيباً ومن معه من المؤمنين في توعدهم اياه ومن معه بالنفي عن القرية أو الاكراه على الرجوع في ملتهم والدخول معهم فيما هم فيه ، وهذا خطاب مع الرسول والمراد اتباعه الذين كانوا معه على الملة ، وقوله (أو لو كنا كارهين ؟) يقول أو أنتم فاعلو ذلك ولو كنا كارهين ماتدعونا اليه . فانا إن رجعنا إلى ملتكم ودخلنا معكم فيما أنتم فيه فقد أعظمنا الفرية على الله في جعل الشركاء معه أنداداً وهذا تنفير منه عن اتباعهم (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) وهذا رد إلى الله المسبب فانه يعلم كل شيء وقد أحاط بكل شيء. (على الله توكلنا) أي في أمورنا ماناتي منها وما نذر (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق)

﴿ وهو خير الحاكمين * قال الملأ الذين استكبروا من قومه ﴾ يعني الرؤساء الذين تعظموا عن الايمان به ﴿ لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا ﴾ لترجعن إلى ديننا الذي نحن عليه ﴿ قال ﴾ شعيب ﴿ أو لو كنا كارهين؟ ﴾ يعني أو لو كنا ، أي وإن كنا كارهين لذلك فتجبروننا عليه

قوله تعالى ﴿ قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها ﴾ بعد إذ أنقذنا الله منها ﴿ إلا أن يشاء الله ربنا ﴾ يقول إلا أن يكون قد سبق لنا في علم الله ومشيئته انا نعود فيها فحينئذ يمضي قضاء الله فينا وينفذ حكمه علينا فان قيل ما معنى قوله ﴿ أو لتعودن في ملتنا ـ وما يكون لنا أن نعود فيها) ولم يكن شعيب قط على ملتهم حتى يصح قولهم ترجع الى ملتنا ؟ قيل معناه أو لتدخلن في ملتنا فقال وما كان لنا أن ندخل فيها ؟ قيل معناه ان صرنا في ملتكم ومعنى عاد صار وقيل أراد به قوم شعيب لأنهم كانوا كفاراً فآمنوا فأجاب شعيب عنهم، قوله (وسع ربنا كل شيء علماً ﴾ أحاط علمه بكل شيء ﴿على الله توكلنا﴾ فيما توعدوننا فيه ثم عاد شعيب بعد ما أيس من فلاحهم فقال ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا﴾ أي أقض بيننا ﴿بالحق﴾ والفتاح القاضي ﴿وانت

أي احكم بيننا وبين قومنا وانصرنا عليهم (وأنت خير الفاتحين) أي خير الحاكمين ، فانك العادل الذي لايجور أبداً

وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخسرون (٩٠) فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جثمين (٩١) الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخسرين (٩٢)

يخبر تعالى عن شدة كفرهم وتمردهم وعتوهم وما هم فيه من الضلال وما جبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق ولهذا أقسموا وقالوا (لئن اتبعتم شعيباً انكم اذاً لخاسرون) فلهذا عقبه بقوله (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) أخبر تعالى أنهم أخذتهم الرجفة وذلك كما أرجفوا شعيباً وأصحابه وتوعدوهم بالجلاء كما أخبر عنهم في سورة هود فقال (ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين) والمناسبة هناك والله أعلم أنهم لما تهكموا به في قولهم (أصلاتك تأمرك؟) الآية فجاءت الصيحة فأسكتتهم ، وقال تعالى اخباراً عنهم في سورة الشعراء (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) وما ذاك إلا لأنهم قالوا له في سياق القصة (فأسقط علينا كسفاً من السماء) الآية ، فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظلة ، وقد اجتمع عليهم ذلك كله (أصابهم عذاب يوم الظلة) وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم ، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض شديدة من أسفل منهم فزهقت الارواح وفاضت النفوس

خير الفاتحين ﴾ أي الحاكمين * ﴿ وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً ﴾ تركتم دينكم ﴿انكم اذاً لخاسرون﴾ مغبونون قال عطاء جاهلون وقال الضحاك عجزة ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ قال الكلبي الزلزلة وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيرهم فتح الله عليهم بابا من جهنم فأرسل عليهم حراً شديدا فأخذ بأنفسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء فكانوا يدخلون الاسراب ليبردوا فيها فاذا دخلوها وجدوها أشد حراً من الظاهر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فأظلتهم فنادى بعضهم بعضا وهي الظلة فوجدوا لها برداً ونسيما حتى اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ألهبها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي وصاروا رماداً، وروي أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم سلط عليهم الحر قال يزيد الجريري سلط الله عليهم الحر سبعة أيام ثم رفع لهم جبل من بعيد فاتاه رجل فاذا تحته أنهار وعيون فاجتمعوا تحته كلهم فوقع ذلك الجبل عليهم فذلك قوله (عذاب يوم الظلة) قال قتادة بعث الله شعيبا الى أصحاب الايكة وأصحاب مدين فأما أصحاب الايكة فأهلكوا بالظلة وأما أصحاب مدين فأخذتهم الصيحة

وخمدت الاجسام (فأصبحوا في دارهم جاثمين) ثم قال تعالى (كأن لم يغنوا فيها) أي كأنهم لما أصابتهم النقمة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا اجلاء الرسول وصحبه منها ثم قال تعالى مقابلا لقيلهم (الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين)

فتولىٰ عنهم وقال يٰقوم لقد أبلغتكم رسٰلٰت ربي ونصحت لكم فكيف آسىٰ علىٰ قوم كٰفرين (٩٣)

أي فتولى عنهم شعيب عليه السلام بعد ماأصابهم ماأصابهم من العذاب والنقمة والنكال وقال مقرعا لهم وموبخاً (ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) أي قد أديت اليكم ماأرسلت به فلا آسف عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به فلهذا قال (فكيف آسى على قوم كافرين؟)

وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون (٩٤)

ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذنٰهم بغتة وهم لايشعرون (٩٥)

يقول تعالى مخبراً عما اختبر به الامم الماضية الذين أرسل اليهم الانبياء بالبأساء والضراء ،يعني

صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا جميعاً قال أبو عبدالله البجلي كان أبو جاد وهوذ وحطى وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب عليه السلام يوم الظلة كلمن فلما هلك قالت ابنته تبكيه

كلمن قد هدّ رُكني هلكه وسط المحلة
سيد القوم أتاه الحتف ناراً تحت ظله
جعلت ناراً عليهم دارهم كالمضمحلة

وقوله تعالى ﴿الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها﴾ أي لم يقيموا ولم ينزلوا فيها من قولهم غنيت بالمكان اذا أقمت به والمغاني المنازل واحدها مغنى وقيل كأن لم يتنعموا فيها ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ لا المؤمنين كما زعموا ﴿فتولى عنهم﴾ أعرض عنهم شعيب شاخصا من بين أظهرهم حين أتاهم العذاب ﴿ وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى ﴾ أحزن ﴿على قوم كافرين؟ ﴾ والاسى الحزن والاسى الصبر

قوله ﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي ﴾ فيه إضمار يعني فكذبوه ﴿الا أخذنا﴾ عاقبنا ﴿أهلها﴾ حين لم يؤمنوا ﴿بالبأساء والضراء﴾ قال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء المرض وهذا معنى قول من قال

بالبأساء مايصيبهم في أبدانهم من أمراض وأسقام ، والضراء مايصيبهم من فقر وحاجة ونحو ذلك « لعلهم يضرعون » أي يدعون ويخشعون ويبتهلون إلى الله تعالى في كشف مانزل بهم . وتقدير الكلام إنه ابتلاهم بالشدة ليتضرعوا فما فعلوا شيئاً من الذي أراد منهم فقلب عليهم الحال إلى الرخاء ليختبرهم فيه ولهذا قال (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي حولنا الحال من شدة إلى رخاء ومن مرض وسقم إلى صحة وعافيـة ومن فقر إلى غنى ليشكروا على ذلك فما فعلوا ، وقوله (حتى عفوا) أي كثروا وكثرت أموالهم وأولادهم يقال عفا الشيء اذا كثر ، (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لايشعرون) يقول تعالى ابتليناهم بهذا وهذا ليتضرعوا وينيبوا إلى الله فما نجع فيهم لاهذا ولا هذا ولا انتهوا بهذا ولا بهذا « وقالوا قد مسنا من البأساء والضراء » ثم بعـده من الرخاء مثل ماأصاب آباءنا في قديم الزمان والدهر ، وانما هو الدهر تارات وتارات » بل لم يتفطنوا لأمر الله فيهم ولا استشعروا ابتلاء الله لهم في الحالين وهـذا بخلاف حال المؤمنين الذين يشكرون الله على السراء ويصبرون على الضراء كما ثبت في الصحيحين « عجباً للمؤمن لايقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له » فالمؤمن من يتفطن لما ابتلاه الله به من الضراء والسراء » ولهذا جاء في الحديث « لايزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج نقياً من ذنوبه ، والمنافق مثله كمثل الحمار لايدري فيم ربطه أهله ولا فيم أرسلوه » أوكما قال ، ولهذا عقب هذه الصفة بقوله (فأخذناهم بغتة وهم لايشعرون) أي أخذناهم بالعقوبة بغتة ، أي على بغتة وعدم شعور منهم أي أخذناهم فجأة كما في الحديث « موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر »

ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركٰتٍ من السماء والارض ولـكن كذبوا فأخذنٰهم بما كانوا يكسبون (٩٦) أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بيٰتـاً وهم نائمون (٩٧)

البأساء في المال والضراء في النفس وقيل البأساء البؤس وضيق العيش والضراء والضر سوء الحال وقيل البأساء في الحزن والضراء في الجدب ﴿ لعلهم يضرعون ﴾ لـكي يتضرعوا فيتوبوا ﴿ ثم بدلنا مـكان السيئة الحسنة ﴾ يعني مكان البأساء والضراء الحسنة يعني النعمة والسعة والخصب والصحة ﴿حتى عفوا﴾ أي كثروا وازدادوا أو كثرت أموالهم يقال عفا الشعر اذا كثر قال مجاهد كثرت أموالهم وأولادهم ﴿وقالوا﴾ من غرتهم وغفلتهم بعد ماصاروا الى الرخاء ﴿ قد مس آباءنا الضراء والسراء ﴾ أي هكذا كانت عادة الدهر قديماً لنا ولآبائنا ولم يكن مامسنا من الضراء عقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم فانهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء قال الله تعالى عز وجل ﴿ فأخذناهم بغتة ﴾ فجأة آمن ما كانوا ﴿وهم لايشعرون﴾ بنزول العذاب ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم

أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحىً وهم يلعبون (٩٨) أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخسرون (٩٩)

يخبر تعالى عن قلة إيمان أهل القرى الذين أرسل فيهم الرسل كقوله تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) أي ما آمنت قرية بتمامها إلا قوم يونس فانهم آمنوا وذلك بعد ماعاينوا العذاب كما قال تعالى (وأرسلناه الى مائة الف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين) وقال تعالى (وما أرسلنا في قرية من نذير) الآية وقوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا) أي آمنت قلوبهم بما جاء به الرسل وصدقت به واتبعوه واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) أي قطر السماء ونبات الارض قال تعالى (ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) أي ولكن كذبوا رسلهم فعاقبناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم ثم قال تعالى مخوفا ومحذراً من مخالفة أوامره والتجرؤ على زواجره (أفأمن أهل القرى) أي الكفرة (أن يأتيهم بأسنا) أي عذابنا ونكالنا (بياتا) أي ليلا (وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون) أي في حال شغلهم وغفلتهم (أفأمنوا مكر الله) أي بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذه اياهم في حال سهوهم وغفلتهم (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن

أو لم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبنـهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لايسمعون (١٠٠)

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (أو لم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها) أولم يتبين

بركات من السماء والارض﴾ يعني المطر من السماء والنبات من الأرض وأصل البركة المواظبة على الشيء أي تابعنا عليهم المطر والنبات ورفعنا عنهم القحط والجدب ﴿ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ من الاعمال الخبيثة ﴿أفأمن أهل القرى﴾ الذين كفروا وكذبوا يعني مكة وما حولها ﴿أن يأتيهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتا﴾ ليلا ﴿ وهم نائمون أو أمن ﴾ قرأ اهل الحجاز والشام أوأمن بسكون الواو والباقون بفتحها ﴿أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى ﴾ أي نهاراً والضحى صدر النهار وقت انبساط الشمس ﴿وهم يلعبون﴾ ساهون لاهون ﴿أفأمنوا مكر الله فلايأمن مكر الله الاالقوم الخاسرون﴾ ومكر الله استدراجه اياهم بما أنعم عليهم في دنياهم وقال عطية يعني أخذه وعذابه ﴿ أولم يهد ﴾ قرأ قتادة ويعقوب نهد بالنون على التعظيم والباقون بالياء على التفريد يعني أولم يتبين ﴿ للذين يرثون الارض

لهم ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم وكذا قال مجاهد وغيره وقال أبو جعفر بن جرير في تفسيرها يقول تعالى أولم يتبين للذين يستخلفون في الارض من بعد اهلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها فساروا سيرتهم وعملوا أعمالهم وعتوا على ربهم (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) يقول ان لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم (ونطبع على قلوبهم) يقول ونختم على قلوبهم (فهم لا يسمعون) موعظة ولا تذكيرا (قلت) وهكذا قال تعالى (أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لأولي النهى) وقال تعالى (أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون) قال (أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) الآية وقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) أي هل ترى لهم شخصا أو تسمع لهم صوتا وقال تعالى (أو لم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض مالم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) وقال تعالى بعد ذكره اهلاك عاد (فأصبحوا لاترى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين * ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن * ولقد أهلكنا ماحولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) وقال تعالى (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) وقال تعالى (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) وقال تعالى (فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد * أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وقال تعالى (ولقد استهزيء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) الى غير ذلك من الآيات الدالة على حلول نقمه بأعدائه وحصول نعمه لأوليائه ولهذا عقب ذلك بقوله وهو أصدق القائلين ورب العالمين

تلك القرىٰ نقصُّ عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينٰت فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل كذٰلك يطبع الله على قلوب الكٰفرين (١٠١) وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفٰسقين (١٠٢)

من بعد﴾ هلاك ﴿أهلها﴾ الذين كانوا فيها ﴿أن لو نشاء أصبناهم﴾ أي أخذناهم وعاقبناهم ﴿بذنوبهم﴾ كما عاقبنا من قبلهم ﴿ونطبع﴾ نختم ﴿على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ الايمان ولا يقبلون الموعظة قال الزجاج قوله ونطبع منقطع عما قبله لأن قوله أصبناهم ماض ونطبع مستقبل ﴿تلك القرى﴾ أي هذه القرى التي ذكرت

لما قص تعالى على نبيه ﷺ خبر قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وما كان من اهلاكه الكافرين وانجائه المؤمنين وأنه تعالى أعذر اليهم بأن بين لهم الحق بالحجج على ألسنة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين قال تعالى (تلك القرى نقص عليك) أي يا محمد (من أنبائها) أي من أخبارها (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) أي الحجج على صدقهم فيما أخبروهم به كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد * وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم) وقوله تعالى (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) الباء سببية أي فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم حكاه ابن عطية رحمه الله وهو متجه حسن كقوله (وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون * ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) الآية ولهذا قال هنا (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم) أي لأكثر الامم الماضية (من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) أي ولقد وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والامتثال والعهد الذي أخذه هو ما جبلهم عليه وفطرهم عليه وأخذ عليهم في الاصلاب أنه ربهم ومليكهم وانه لا إله الا هو وأقروا بذلك وشهدوا على أنفسهم به وخالفوه وتركوه وراء ظهورهم وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة لا من عقل ولا شرع وفي النظر السليمة خلاف ذلك وجاءت الرسل الكرام من أولهم الى آخرهم بالنهي عن ذلك كما جاء في صحيح مسلم يقول الله تعالى «إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم» وفي الصحيحين «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» الحديث وقال تعالى في

لك أمرها وأمر أهلها يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب ﴿نقص عليك من انبائها﴾ أخبارها لما فيه من الاعتبار ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالآيات والمعجزات والعجائب ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ أي فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذبوا من قبل رؤيتهم تلك العجائب نظيره قوله عز وجل (قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) قال ابن عباس والسدي يعني فما كان هؤلاء الكفار الذين أهلكناهم ليؤمنوا عند ارسال الرسل بما كذبوا من قبل يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم فأقروا باللسان وأضمروا التكذيب وقال مجاهد معناه فما كانوا فيه لو أحييناهم بعد اهلاكهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم لقوله عز وجل (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) قال يمان بن رباب هذا على معنى أن كل نبي أنذر قومه بالعذاب فكذبوه يقول ما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الامم الخالية بل كذبوا بما كذب أوائلهم نظيره قوله عز وجل (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ أي كما طبع الله على قلوب الامم الخالية وأهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكفار الذين كتب أن لا يؤمنوا من قومك ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ أي وفاء بالعهد الذي

كتابه العزيز (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقوله تعالى (واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) إلى غير ذلك من الآيات وقد قيل في تفسير قوله تعالى (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) ماروى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) قال كان في علمه تعالى يوم أقروا له بالميثاق أي فما كانوا ليؤمنوا لعلم الله منهم ذلك وكذا قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن أنس واختاره ابن جرير وقال السدي (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) قال ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرها وقال مجاهد في قوله (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) هذا كقوله (ولو ردوا لعادوا) الآية

ثم بعثنا من بعدهم موسىٰ بآياتنا الى فرعون وملإيه فظلموا بها فانظر كيف كان عقبة المفسدين (١٠٣)

يقول تعالى (ثم بعثنا من بعدهم) أي الرسل المتقدم ذكرهم كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر أنبياء الله أجمعين (موسى بآياتنا) أي بحججنا ودلائلنا البينة إلى فرعون وهو ملك مصر في زمن موسى (وملئه) أي قومه (فظلموا بها) أي جحدوا وكفروا بها ظلما منهم وعناداً كقوله تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) أي الذين صدوا عن سبيل الله وكذبوا رسله أي انظر يا محمد كيف فعلنا بهم وأغرقناهم عن آخرهم بمرأى من موسى وقومه وهذا أبلغ في النكال بفرعون وقومه وأشفى لقلوب أولياء الله موسى وقومه من المؤمنين به

وقال موسى يفرعون اني رسول من رب العلمين (١٠٤) حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني اسرائيل (١٠٥) قال إن كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصدقين (١٠٦)

عاهدهم يوم الميثاق حين أخرجهم من صلب آدم ﴿ وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾ أي ما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين ناقضين للعهد

قوله تعالى ﴿ ثم بعثنا من بعدهم ﴾ أي من بعد نوح وهود وصالح وشعيب ﴿ موسى بآياتنا ﴾ بأدلتنا ﴿ إلى فرعون وملئه فظلموا بها ﴾ فجحدوا بها والظلم وضع الشيء في غير موضعه وظلمهم وضع الكفر موضع الايمان ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ كيف فعلنا بهم ﴿ وقال موسى ﴾ لما دخل

يخبر تعالى عن مناظرة موسى لفرعون وإلجامه إياه بالحجة وإظهاره الآيات البينات بحضرة فرعون وقومه من قبط مصر فقال تعالى (وقال موسى يافرعون إني رسول من رب العالمين) أي أرسلني الذي هو خالق كل شيء وربه ومليكه (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) فقال بعضهم معناه حقيق بأن لاأقول على الله إلا الحق أي جدير بذلك وحري به قالوا والباء وعلى يتعاقبان يقال رميت بالقوس وعلى القوس وجاء على حال حسنة وبحال حسنة وقال بعض المفسرين معناه حريص على أن لاأقول على الله إلا الحق وقرأ آخرون من أهل المدينة حقيق عليّ بمعنى واجب وحق علي ذلك أن لاأخبر عنه إلا بما هو حق وصدق لما أعلم من عز جلاله وعظيم شأنه (قد جئتكم ببينة من ربكم) أي بحجة قاطعة من الله أعطانيها دليلا على صدقي فيما جئتكم به (فأرسل معي بني اسرائيل)أي أطلقهم من أسرك وقهرك ودعهم وعبادة ربك وربهم فإنهم من سلالة نبي كريم اسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن(قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين) أي قال فرعون لست بمصدقك فيما قلت ولا بمطيعك فيما طلبت فان كانت معك حجة فاظهرها لنراها إن كنت صادقا فيما ادعيت

فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين (١٠٧) ونزع يده فاذا هي بيضاء للنّظرين(١٠٨)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله(ثعبان مبين)الحية الذكر وكذا قال السدي والضحاك وفي حديث الفتون من رواية يزيد بن هارون بن الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال(فألقى عصاه) فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون فلما رآها فرعون أنها قاصدة اليه اقتحم عن سريره واستغاث بموسى ان يكفها عنه ففعل وقال قتادة تحولت حية عظيمة مثل المدينة وقال السدي في قوله (فاذا هي ثعبان مبين) الثعبان الذكر من الحيات

على فرعون ﴿ يافرعون اني رسول من رب العالمين ﴾ اليك فقال فرعون كذبت ، فقال موسى ﴿ حقيق على أن لاأقول على الله الا الحق ﴾ أي أنا خليق بأن لاأقول على الله الا الحق فتكون على بمعنى الباء كما يقال رميت بالقوس ورميت عن القوس ، وجئت على حال حسنة وبحال حسنة يدل عليه قراءة أبي والاعمش حقيق بأن لاأقول ، وقال أبو عبيدة معناه حريص على أن لاأقول على الله الا الحق ، وقرأ نافع عليّ بتشديد الياء أي حق واجب علي أن لاأقول على الله الا الحق ﴿ قد جئتكم ببينة من ربكم ﴾ يعني العصا ﴿ فأرسل معي بني اسرائيل ﴾ أي أطلق عنهم وخلهم يرجعون إلى الارض المقدسة وكان فرعون قد استخدمهم في الاعمال الشاقة من ضرب اللبن ونقل التراب ونحوهما فقال فرعون مجيباً لموسى ﴿ قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين * فألقى ﴾ موسى ﴿ عصاه ﴾ من يده ﴿ فاذا هي ثعبان مبين ﴾ والثعبان الذكر العظيم من الحيات ، فان قيل أليس قد قال في موضع

فاتحة فاها واضعة لحيها الأسفل في الارض والآخر على سور القصر ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه فلما رآها ذعر منها ووثب وأحدث ولم يكن يحدث قبل ذلك وصاح ياموسى خذها وأنا أومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذها موسى عليه السلام فعادت عصا، وروي عن عكرمة عن ابن عباس نحو هذا ،وقال وهب بن منبه لما دخل موسى على فرعون قال له فرعون أعرفك قال نعم قال (ألم نربك فينا وليداً) قال فرد اليه موسى الذي رد فقال فرعون خذوه فبادر موسى (فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) فحملت على الناس فانهزموا منهافمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا وقام فرعون منهزما حتى دخل البيت رواه ابن جرير والامام أحمد في كتابه الزهد وابن أبي حاتم وفيه غرابة في سياقه والله أعلم وقوله (ونزع يده فاذاهي بيضاء للناظرين) أي أخرج يده من درعه بعد ما أدخلها فيه فاذا هي بيضاء تتلألأ من غير برص ولا مرض كما قال تعالى (وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) الآية وقال ابن عباس في حديث الفتون من غير سوء يعني من غير برص ثم أعادها إلى كمه فعادت إلى لونها الاول وكذا قال مجاهد وغير واحد

قال الملأ من قوم فرعون انّ هذا لسحر عليم (١٠٩) يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون (١١٠)

أي قال الملأ وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون موافقين لقول فرعون فيه بعد مارجع اليه روعه واستقر على سرير مملكته بعد ذلك قال الملأ حوله (إن هذا لساحر عليم) فوافقوه وقالوا

آخر (كأنها جان) والجان الحية الصغيرة ؟قيل إنها كانت كالجان في الحركة والخفة وهي في جثتها حية عظيمة . قال ابن عباس والسدي : إنه لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فاها مابين لحييها ثمانون ذراعا ارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت له على ذنبها واضعة لحيها الاسفل في الارض والاعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه ، وروي أنها أخذت قبة فرعون بين نابيها فوثب فرعون من سريره هاربا وأحدث قيل أخذه البطن في ذلك اليوم أربعمائة مرة وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا ومات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح ياموسى أنشدك بالله الذي أرسلك خذها وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت . ثم قال فرعون هل معك آية أخرى ؟ قال نعم ﴿ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين﴾ فأدخل يده في جيبه ثم نزعها منه وقيل أخرجها من تحت إبطه فاذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس . وكان موسى آدم اللون ثم أدخلها جيبه فصارت كما كانت

قوله تعالى ﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم﴾ يعنون أنه ليأخذ بأعين الناس حتى يخيل اليهم العصا حية والآدم أبيض ويرى أن الشيء بخلاف ماهو عليه ﴿يريد أن يخرجكم﴾ يامعشر

كمقالته وتشاوروا في أمره كيف يصنعون في أمره وكيف تكون حيلتهم في اطفاء نوره واخماد كلمته وظهور كذبه وافترائه وتخوفوا أن يستميل الناس بسحره فيما يعتقدون فيكون ذلك سببا لظهوره عليهم واخراجه إياهم من أرضهم والذي خافوا منه وقعوا فيه كما قال تعالى (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون) فلما تشاوروا في شأنه وائتمروا فيه اتفق رأيهم على ماحكاه الله تعالى عنهم في قوله تعالى

قالوا أرجِهْ وأخاه وارسل في المدائن حشرين (١١١) يأتوك بكل سحر عليم (١١٢)

قال ابن عباس (أرجه) أخره وقال قتادة احبسه (وارسل) أي ابعث (في المدائن) أي في الاقاليم ومدائن ملكك (حاشرين) أي من يحشر لك السحرة من سائر البلاد ويجمعهم وقد كان السحر في زمانهم غالبا كثيرا ظاهراً واعتقد من اعتقد منهم وأوهم من أوهم منهم أن ماجاء موسى به عليه السلام من قبيل ماتشعبذه سحرتهم فلهذا جمعوا له السحرة ليعارضوه بنظير ما أراهم من البينات كما أخبر تعالى عن فرعون حيث قال (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله

القبط ﴿ من أرضكم ﴾ مصر ﴿ فماذا تأمرون ﴾ أي تشيرون اليه ، هذا قول فرعون وإن لم يذكره ، وقيل هذا من قول الملأ لفرعون وخاصته ﴿ قالوا ﴾ يعني الملأ ﴿ أرجه ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة وابن عامر بالهمزة وضم الهاء ، وقرأ الآخرون بلا همز ثم نافع رواية ورش والكسائي يشبعان الهاء كسراً ويسكنها عاصم وحمزة ويختلسها أبو جعفر وقالون . قال عطاء : معناه أخره وقيل احبسه ﴿ وأخاه ﴾ معناه أنهم أشاروا عليه بتأخير أمره وترك التعرض اليه بالقتل ﴿ وأرسل في المدائن حاشرين ﴾ يعني الشرط في المدائن هي مدائن الصعيد من نواحي مصر ، قالوا أرسل إلى هذه المدائن رجالا يحشرون اليك من فيها من السحرة ، وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد ، فان غلبهم صدقناه ، وإن غلبوا علمنا أنه ساحر فذلك قوله ﴿ يأتوك بكل ساحر عليم ﴾ قرأ حمزة والكسائي سحار ههنا ، وفي سورة يونس ، ولم يختلفوا في الشعراء أنه سحار ، قيل الساحر الذي يعلم السحر ولا يعلّم ، والسحار الذي يعلم ويعمل[1] وقيل الساحر من يكون سحره في وقت دون وقت ، والسحار من يديم السحر . قال ابن عباس وابن اسحاق والسدي : قال فرعون لما رأى من سلطان الله في العصا مارأى انا لا نغالب الا بمن هو أعلم منه فاتخذ غلماناً من بني اسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الغوصاء يعلمونهم السحر فعلموهم سحراً كثيراً ووعد فرعون موسى موعداً فبعث الى السحرة فجاؤا ومعلمهم معهم فقال له ماذا صنعت ؟ قال قد علمتهم سحراً لا يطيقه سحرة أهل الارض إلا أن يكون أمر من السماء فانه لا طاقة لهم به ، ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحراً الا أتى به ، واختلفوا في عددهم فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين : اثنان منهم من القبط وهما رأسا القوم وسبعون من بني اسرائيل . وقال الكلبي : كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم . وقال

(١) وفي الخازن: ويعلم من التعليم

فاجعل بيننا وبينك موعداً لانخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى * قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى * فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى)وقال تعالى ههنا

وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لاجراً ان كنا نحن الغلبين (١١٣) قال نعم وانكم لمن المقربين (١١٤)

يخبر تعالى عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استدعاهم لمعارضة موسى عليه السلام ان غلبوا موسى ليثيبنهم وليعطينهم عطاء جزيلا فوعدهم ومناهم أن يعطيهم ماأرادوا ويجعلهم من جلسائه والمقربين عنده فلما توثقوا من فرعون لعنه الله

قالوا يموسى إما أن تلقيَ وإما أن نكون نحن الملقين (١١٥) قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم (١١٦)

هذه مبارزة من السحرة لموسى عليه السلام في قولهم (اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين) أي قبلك كما قال في الآية الاخرى (وإما أن نكون أول من ألقى) فقال لهم موسي عليه السلام القوا أي أنتم أولا قيل الحكمة في هذا والله أعلم ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه فاذا فرغوا من بهرجهم ومحالهم جاءهم الحق الواضح الجلي بعد التطلب له والانتظار منهم لمجيئه فيكون أوقع في النفوس وكذا كان ولهذا قال تعالى (فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم) أي خيلوا الى الابصار أن مافعلوه له حقيقة في الخارج ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال كما قال تعالى (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى * فأوجس في نفسه خيفة موسى * قلنا لاتخف إنك أنت الاعلى * وألق مافي يمينك تلقف ماصنعوا إن ماصنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) قال سفيان بن عيينة حدثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس: ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا قال فأقبلت يخيل اليه

كعب : كانوا اثنى عشر ألفاً . وقال السدي : كانوا بضعة وثلاثين ألفاً ، وقال عكرمة كانوا سبعين ألفا ، وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين ألفا ، وقال مقاتل كان رئيس السحرة شمعون . وقال ابن جريج كان رئيسهم يوحنا { وجاء السحرة فرعون } واجتمعوا { قالوا } لفرعون { ان لنا لأجراً } أي جعلا ومالا { إن كنا نحن الغالبين } قرأ أهل الحجاز وحفص ان لنا على الخبر . وقرأ الباقون بالاستفهام ولم يختلفوا في الشعراء أنه مستفهم { قال } فرعون { نعم وانكم لمن المقربين } في المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر . قال الكلبي : يعني أول من يدخل وآخر من يخرج { قالوا } يعني السحرة { ياموسى إما أن تلقي } عصاك { وإما أن نكون نحن الملقين } لعصينا وحبالنا { قال } موسى بل { ألقوا } أنتم { فلما ألقوا سحروا أعين الناس } أي صرفوا أعينهم عن ادراك حقيقة مافعلوه من

من سحرهم أنها تسعى وقال محمد بن اسحاق صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر حباله وعصيه وخرج موسى عليه السلام معه أخوه يتكيء على عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف أهل مملكته ثم قال السحرة (ياموسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى * قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم) فكان أول مااختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ثم أبصار الناس ، بعد ثم ألقى كل رجل منهم مافي يده من الحبال والعصي فاذا حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا وقال السدي كانوا بضعة وثلاثين الف رجل ليس رجل منهم الا ومعه حبل وعصا (فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم)يقول فرقوهم أي من الفرق وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن هشام الدستوائي حدثنا القاسم بن أبي برة قال جمع فرعون سبعين الف ساحر فألقوا سبعين الف حبل وسبعين الف عصا حتى جعل يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى ولهذا قال تعالى (وجاؤا بسحر عظيم)

وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون (١١٧) فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون (١١٨) فغلبوا هنالك وانقلبوا صٰغرين (١١٩) وأُلقي السحرة سٰجدين (١٢٠) قالوا آمنا برب العٰلمين (١٢١) رب موسى وهٰرون (١٢٢)

يخبر تعالى أنه أوحى الى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل يأمره بأن يلقي مافي يمينه وهي عصاه (فاذا هي تلقف) أي تأكل (مايأفكون) أي مايلقونه ويوهمون أنه حق وهو باطل قال ابن عباس فجعلت لاتمر بشيء من حبالهم

التمويه والتخييل وهذا هو السحر ﴿ واسترهبوهم ﴾ أي أرهبوهم وأفزعوهم ﴿ وجاؤا بسحر عظيم ﴾ وذلك أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً ، وفي القصة أن الارض كانت ميلا في ميل صارت حيات وأفاعي في أعين الناس

قوله تعالى ﴿ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك ﴾ فألقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق . قال ابن زيد : كان اجتماعهم بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة ، ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا ﴿ فاذا هي تلقف ﴾ قرأ حفص تلقف ساكنة اللام خفيفة حيث كان ، وقرأ الآخرون بفتح اللام وتشديد القاف أي تبتلع ﴿ مايأفكون ﴾ يكذبون من التخايل ، وقيل يزورون على الناس وكانت تلتقم حبالهم وعصيهم واحداً واحداً حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا فوقع الزحام عليهم فهلك منهم في الزحام خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت ﴿ فوقع الحق ﴾ قال الحسن ومجاهد ظهر الحق ﴿ وبطل ماكانوا يعملون ﴾ من السحر وذلك أن السحرة

ولا من خشبهم إلا التقمته فعرفت السحرة أن هذا شيء من السماء ليس هذا بسحر فخروا سجداً وقالوا (آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) وقال محمد بن اسحاق جعلت تتبع تلك الحبال والعصي واحدة واحدة حتى مايرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا ثم أخذها موسى فاذا هي عصا في يده كما كانت ووقع السحرة سجداً قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون لو كان هذا ساحراً ماغلبنا وقال القاسم بن أبي برة أوحى الله اليه أن ألق عصاك فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين فاغر فاه يبتلع حبالهم وعصيهم فألقي السحرة عند ذلك سجداً فما رفعوا رءوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها

قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون (١٢٣) لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين (١٢٤) قالوا إنا إلى ربنا منقلبون (١٢٥) وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين (١٢٦)

يخبر تعالى عما توعد به فرعون لعنه الله السحرة لما آمنوا بموسى عليه السلام وما أظهره للناس من كيده ومكره في قوله (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها) أي ان غلبته لكم في يومكم هذا انما كان عن تشاور منكم ورضا منكم لذلك كقوله في الآية الاخرى (انه لكبيركم الذي علمكم السحر) وهو يعلم وكل من له اب ان هذا الذي قاله من أبطل الباطل فان موسى عليه السلام بمجرد ماجاء من مدين دعا فرعون الى الله وأظهر المعجزات الباهرة والحجج القاطعة على صدق ماجاء به فعند ذلك أرسل فرعون في مدائن ملكه ومعاملة سلطنته فجمع سحرة متفرقين من سائر الاقاليم ببلاد مصر ممن اختار هو والملأ من قومه وأحضرهم عنده ووعدهم بالعطاء الجزيل ولهذا قد كانوا من أحرص الناس على ذلك وعلى الظهور في مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون وموسى عليه

قالوا : لو كان مايصنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصينا ، فلما فقدت علموا أن ذلك من أمر الله ﴿ فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ﴾ ذليلين مقهورين ﴿ وألقي السحرة ساجدين ﴾ لله . قال مقاتل: ألقاهم الله، وقيل ألهمهم الله أن يسجدوا فسجدوا . قال الاخفش : من سرعة ماسجدوا كأنهم ألقوا ﴿ قالوا آمنا برب العالمين ﴾ فقال فرعون اياي تعنون فقالوا ﴿ رب موسى وهارون ﴾ قال مقاتل: قال موسى لكبير السحرة تؤمن بي إن غلبتك ؟ فقال لآتين بسحر لايغلبه سحر ، ولئن غلبتني لأؤمنن بك وفرعون ينظر ﴿قال﴾ لهم ﴿ فرعون ﴾ حين آمنوا ﴿ آمنتم به ﴾ قرأ حفص (آمنتم) على الخبر ههنا وفي طه والشعراء ، وقرأ الآخرون بالاستفهام ،آمنتم به ﴿ قبل أن آذن لكم ﴾ أصدقتم موسى من غير أمري إياكم ﴿ ان هذا لمكر مكرتموه ﴾ أي صنع صنعتموه أنتم وموسى ﴿ في المدينة ﴾ في مصر

السلام لايعرف أحداً منهم ولارآه ولا اجتمع به وفرعون يعلم ذلك وانما قال هذا تستراً وتدليسا على رعاع دولته وجهلتهم كما قال تعالى (فاستخف قومه فأطاعوه) فان قوما صدقوه في قوله (أنا ربكم الاعلى) من أجهل خلق الله وأضلهم، وقال السدي في تفسيره باسناده المشهور عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة في قوله تعالى (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة) قال التقى موسى عليه السلام وأمير السحرة فقال له موسى أرأيتك ان غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ماجئت به حق قال الساحر لآتين غداً بسحر لايغلبه سحر والله لئن غلبتني لأومنن بك ولأشهدن أنك حق وفرعون ينظر اليهما قالوا فلهذا قال ماقال ، وقوله (لتخرجوا منها أهلها) أي تجتمعوا أنتم وهو وتكون لكم دولة وصولة وتخرجوا منها الاكابر والرؤساء وتكون الدولة والتصرف لكم (فسوف تعلمون) أي ما أصنع بكم ثم فسر هذا الوعيد بقوله (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) يعني يقطع يد الرجل اليمنى ورجله اليسرى أو بالعكس (ولأصلبنكم أجمعين) وقال في الآية الاخرى (في جذوع النخل) أي على الجذوع قال ابن عباس وكان أول من صلب وأول من قطع الايدي والارجل من خلاف فرعون وقول السحرة (انا الى ربنا منقلبون) أي قد تحققنا انا اليه راجعون وعذابه أشد من عذابك ونكاله على ماتدعونا اليه اليوم وما أكرهتنا عليه من السحر أعظم من نكالك فلنصبر اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله ولهذا قالوا (ربنا أفرغ علينا صبراً) أي عمنا بالصبر على دينك والثبات عليه (وتوفنا مسلمين) أي متابعين لنبيك موسى عليه السلام وقالوا لفرعون (فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا، انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى* انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لايموت فيها ولا يحيى، ومن يأته مؤمنا عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) فكانوا في أول النهار سحرة، فصاروا في آخره شهداء بررة، قال ابن عباس وعبيد بن عمير وقتادة وابن جريج كانوا في أول النهار سحرة وفي آخره شهداء

قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر ﴿ لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ﴾ ماأفعل بكم ﴿ لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴾ وهو أن يقطع من كل شق طرفا . قال الكلبي : لاقطعن أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى ﴿ ثم لاصلبنكم أجمعين ﴾ على شاطىء نهر مصر ﴿ قالوا ﴾ يعني السحرة لفرعون ﴿ انا الى ربنا منقلبون ﴾ راجعون في الآخرة ﴿ وما تنقم منا ﴾ أي ماتكره منا . وقال الضحاك وغيره : وما تطعن علينا . وقال عطاء : مالنا عندك من ذنب تعذبنا عليه ﴿ الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ﴾ ثم فزعوا الى الله عز وجل فقالوا ﴿ ربنا أفرغ ﴾ اصبب ﴿ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ﴾ ذكر الكلبي ان فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم ، وذكر غيره أنه لم يقدر عليهم لقوله تعالى (لايصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون)

وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك؟ قال سنقتّل ابناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون (١٢٧) قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعقبة للمتقين (١٢٨) قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوّكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون (١٢٩)

يخبر تعالى عما تمالأ عليه فرعون وملأه وما أضمروه لموسى عليه السلام وقومه من الاذى والبغضة (وقال الملأ من قوم فرعون) أي لفرعون(أتذر موسى وقومه) أي أتدعهم ليفسدوا في الارض أي يفسدوا أهل رعيتك ويدعوهم الى عبادة ربهم دونك . يالله العجب صار هؤلاء يشفقون من افساد موسى وقومه ! ألا إن فرعون وقومه هم المفسدون ولكن لايشعرون ولهذا قالوا (ويذرك وآلهتك) قال بعضهم الواو هاهنا حالية أى أتذره وقومه يفسدون في الارض وقد ترك عبادتك؟ وقرأ ذلك أبي ابن كعب وقد تركوك أن تعبد وآلهتك حكاه ابن جرير وقال آخرون هي عاطفة أى أتدعهم يصنعون من الفساد ماقد أقررتهم عليه وعلى ترك آلهتك وقرأ بعضهم الاهتك أى عبادتك وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وغيره وعلى القراءة الاولى قال بعضهم كان لفرعون إلـه يعبده قال الحسن البصري كان لفرعون إلـه يعبده في السر وقال في رواية أخرى كان له حنانة في عنقه معلقة يسجد لها وقال السدي في قوله تعالى (ويذرك وآلهتك) وآلهته فيما زعم ابن عباس كانوا اذا رأوا بقرة حسناء أمرهم فرعون أن يعبدوها فلذلك أخرج لهم السامريّ عجلا جسدا له خوار. فأجابهم فرعون فيما سألوه بقوله

قوله تعالى ﴿ وقال الملأ من قوم فرعون ﴾ له ﴿ أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ﴾ وأرادوا بالافساد في الارض دعاءهم الناس الى مخالفة فرعون في عبادته ﴿ ويذرك ﴾ أي وليذرك ﴿ وآلهتك ﴾ فلا يعبدك ولا يعبدها . قال ابن عباس : كان لفرعون بقرة يعبدها وكان اذا رأى بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها ، فلذلك أخرج السامري لهم عجلا . وقال الحسن : كان قد علق على عنقه صليبا يعبده . وقال السدي : كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناما وأمرهم بعبادتها وقال لقومه : هذه آلهتكم أراد بها وأنا ربها وربكم فذلك قوله أنا ربكم الاعلى، وقرأ ابن مسعود وابن عباس والشعبي والضحاك ويذرك وإلهتك بكسر الالف أي عبادتك فلا يعبدك لان فرعون كان يُعبد ولا يعبد ، وقيل أراد بالآلهة الشمس وكانوا يعبدونها . قال الشاعر :

تروحنا من اللعباء قصراً　　وأعجلنا الإلاهة أن تؤبا

سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وهذا أمر ثان بهذا الصنيع وقد كان نكل بهم قبل ولادة موسى عليه السلام حذراً من وجوده فكان خلاف مارامه وضد ما قصده فرعون. وهكذا عومل في صنيعه أيضا لما أراد اذلال بني اسرائيل وقهرهم فجاء الامر على خلاف ماأراد: أعزهم الله وأذله وأرغم أنفه وأغرقه وجنوده. ولما صمم فرعون على ماذكره من المساءة لبني اسرائيل (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) ووعدهم بالعاقبة وأن الدار ستصير لهم في قوله (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا) أي قد فعلوا بنامثل مارأيت من الهوان والاذلال من قبل ماجئت ياموسى ومن بعد ذلك فقال منبها لهم على حالهم الحاضر وما يصيرون اليه في ثاني الحال (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) الآية وهذا تحضيض لهم على العزم على الشكر عند حلول النعم وزوال النقم

ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقصٍ من الثمرات لعلهم يذّكرون (١٣٠) فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطّيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكنّ أكثرهم لايعلمون (١٣١)

﴿ قال ﴾ فرعون ﴿ سنقتل أبناءهم ﴾ قرأ أهل الحجاز سنقتل بالتخفيف من القتل، وقرأ الآخرون بالتشديد من التقتيل على التكثير ﴿ ونستحيي نساءهم ﴾ نتركهن أحياء ﴿ وانا فوقهم قاهرون ﴾ غالبون قال ابن عباس: كان فرعون يقتل أبناء بني اسرائيل في العام الذي قيل له إنه يولد مولود يذهب بملكك فلم يزل يقتلهم حتى أتاهم موسى بالرسالة وكان من أمره ما كان فقال فرعون أعيدوا عليهم القتل فأعادوا عليهم القتل فشكت ذلك بنو اسرائيل ﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الارض لله ﴾ يعني أرض مصر ﴿ يورثها ﴾ يعطيها ﴿ من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ النصر والظفر، وقيل السعادة والشهادة، وقيل الجنة ﴿ قالوا أوذينا ﴾ قال ابن عباس: لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني اسرائيل فقالوا يعني قوم موسى انا أوذينا: ﴿ من قبل أن تأتينا ﴾ بالرسالة بقتل الابناء ﴿ ومن بعد ماجئتنا ﴾ باعادة القتل علينا، وقيل المراد منه أن فرعون كان يستسخرهم قبل مجيء موسى إلى نصف النهار، فلما جاء موسى استسخرهم جميع النهار بلا أجر، وذكر الكلبي أنهم كانوا يضربون له اللبن بطين فرعون فلما جاء موسى أجبرهم أن يضربوه بطين من عندهم ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ عسى ربكم أن يهلك عدوكم ﴾ فرعون ﴿ ويستخلفكم في الارض ﴾ أي يسكنكم أرض مصر من بعدهم ﴿ فينظر كيف تعملون ﴾ فحقق الله ذلك فاغرق فرعون واستخلفهم في ديارهم وأموالهم فعبدوا العجل قوله تعالى ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ﴾ أي بالجدب والقحط تقول العرب مستهم السنة

يقول تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون) أي اختبرناهم وامتحناهم وابتليناهم (بالسنين) وهي سني الجوع بسبب قلة الزروع (ونقص من الثمرات) قال مجاهد وهو دون ذلك ، وقال أبو اسحاق عن رجاء ابن حيوة كانت النخلة لاتحمل الا ثمرة واحدة (لعلهم يذكرون،فاذا جاءتهم الحسنة) أي من الخصب والرزق (قالوا لنا هذه) أي هذا لنا بما نستحقه (وان تصبهم سيئة) أي جدب وقحط (يطيروا بموسى ومن معه) أي هذا بسببهم وما جاءوا به (الا انما طائرهم عند الله) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (الا انما طائرهم عند الله) يقول مصائبهم عند الله (ولكن أكثرهم لايعلمون) وقال ابن جريج عن ابن عباس قال (الا انما طائرهم عند الله) أي من قبل الله

وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (١٣٢) فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين(١٣٣)ولما وقع عليهم الرجز قالوا يموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل (١٣٤) فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون (١٣٥)

هذا اخبار من الله عز وجل عن تمرد قوم فرعون وعتوهم وعنادهم للحق واصرارهم على الباطل

أي جدب السنة وشدة السنة ، وقيل أراد بالسنين القحط سنة بعد سنة ﴿ ونقص من الثمرات ﴾ والغلات بالآفات والعاهات . قال قتادة : أما السنين فلأهل البوادي ، وأما نقص الثمرات فلأهل الامصار ﴿ لعلهم يذكرون ﴾ أي يتعظون وذلك لان الشدة ترقق القلوب وترغبها فيما عند الله عز وجل ﴿ فاذا جاءتهم الحسنة ﴾ يعني الخصب والسعة والعافية ﴿ قالوا لنا هذه ﴾ أي نحن أهلها ومستحقوها على العادة التي جرت لنا في سعة أرزاقنا ولم يروها تفضلا من الله عز وجل فيشكروا عليها ﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ جدب وبلاء ورأوا مايكرهون ﴿ يطيروا ﴾ يتشاءموا ﴿ بموسى ومن معه ﴾ وقالوا ماأصابنا بلاء حتى رأيناهم فهذا من شؤم موسى وقومه . وقال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر : كان ملك فرعون أربعمائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لايرى مكروها ، ولو كان له في تلك المدة جوع أو حمى ليلة أو وجع ساعة لما ادعى الربوبية قط

قال الله تعالى ﴿ ألا انما طائرهم عند الله ﴾ نصيبهم من الخصب والجدب والخير والشر كله من الله . وقال ابن عباس : طائرهم ماقضي عليهم وقدر لهم ، وفي رواية عنه شؤمهم عند الله ومن قبل الله أي انما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله ، وقيل معناه الشؤم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار ﴿ ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ ان الذي أصابهم من الله ﴿ وقالوا ﴾ يعني القبط لموسى ﴿ مهما ﴾ متى ما

في قولهم (مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) يقولون أي آية جئتنا بها ودلالة وحجة أقمتها رددناها فلا نقبلها منك ولا نؤمن بك ولا بما جئت به قال الله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) اختلفوا في معناه فعن ابن عباس في رواية كثرة الامطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار وبه قال الضحاك ابن مزاحم، وعن ابن عباس في رواية أخرى هو كثرة الموت وكذا قال عطاء ، وقال مجاهد الطوفان الماء والطاعون على كل حال ، وقال ابن جرير حدثنا ابن هشام الرفاعي حدثنا يحيى ابن يمان حدثنا المنهال بن خليفة عن الحجاج عن الحكم بن ميناء عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ «الطوفان الموت» وكذا رواه ابن مردويه من حديث يحيى بن يمان به وهو حديث غريب وقال ابن عباس في رواية أخرى هو أمر من الله طاف بهم ثم قرأ (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) وأما الجراد فمعروف مشهور وهو مأكول لما ثبت في الصحيحين عن أبي يعفور قال سألت عبدالله بن أبي أوفى عن الجراد فقال غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد ، وروى الشافعي واحمد بن حنبل وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر

كلمة تستعمل للشرط والجزاء ﴿ تأتنا به من آية ﴾ علامة ﴿ لتسحرنا بها ﴾ لتنقلنا عما نحن عليه من الدين ﴿ فما نحن لك بمؤمنين ﴾ بمصدقين

قوله تعالى ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحاق دخل كلام بعضهم في بعض لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه إلا الاقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليهم الآيات، وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ، فلما عالج منهم بالآيات الاربع العصا واليد والسنين ونقص الثمار فأبوا أن يؤمنوا فدعا عليهم فقال : يارب إن عبدك فرعون علا في الارض وطغى وعتا، وإن قومه قد نقضوا عهدك، رب فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ، ولقومي عظة ، ولمن بعدهم آية وعبرة . فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل الله عليهم الماء وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة من الماء، وركد الماء على أرضهم لايقدرون أن يحرثوا ولا يعملوا شيئاً ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت . وقال مجاهد وعطاء : الطوفان الموت . وقال وهب : الطوفان الطاعون بلغة اليمن . وقال أبو قلابة : الطوفان الجدري وهم أول من عذبوا به فبقي في الارض . وقال مقاتل : الطوفان الماء طغى فوق حروثهم

وروى ابن ظبيان عن ابن عباس قال : الطوفان أمر من الله طاف بهم ثم قرأ (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) قال نحاة الكوفة الطوفان مصدر لايجمع كالرجحان والنقصان . وقال أهل البصرة هو جمع واحدها طوفانة فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فرفع عنهم الطوفان فأنبت الله لهم في تلك السنة شيئاً لم ينبته لهم قبل

عن النبي ﷺ قال « أحلت لنا ميتتان ودمان: الحوت والجراد والكبد والطحال » ورواه أبو القاسم البغوي عن داود بن رشيد عن سويد بن عبد العزيز عن أبي تمام الايلي عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعا مثله ، وروى أبو داود عن محمد بن الفرج عن محمد بن زبرقان الاهوازي عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان قال سئل رسول الله ﷺ عن الجراد فقال « أكثر جنود الله لا آكله ولا أحرمه » وانما تركه عليه السلام لانه كان يعافه كما عافت نفسه الشريفة أكل الضب وأذن فيه ، وقد روى الحافظ ابن عساكر في جزء جمعه في الجراد من حديث أبي سعيد الحسن بن علي العدوي حدثنا نصر ابن يحيى بن سعيد حدثنا يحيى بن خالد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ لا يأكل الجراد ولا الكلوتين ولا الضب من غير أن يحرمها ، أما الجراد فرجز وعذاب . وأما الكلوتان فلقربهما من البول ، وأما الضب فقال « أتخوف أن يكون مسخا » ثم قال غريب لم أكتبه الا من هذا الوجه وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشتهيه ويحبه فروى عبد الله ابن دينار عن ابن عمر ان عمر سئل عن الجراد فقال ليت ان عندنا منه قفعة أوقفعتين نأكله ، وروى ابن ماجه حدثنا احمد بن منيع عن سفيان بن عيينة عن أبي سعد سعيد بن المرزبان البقال سمع أنس ابن مالك يقول كان أزواج النبي ﷺ يتهادين الجراد على الاطباق ، وقال أبو القاسم البغوي حدثنا داود بن رشيد حدثنا بقية بن الوليد عن يحيى بن يزيد القتبي حدثني أبي عن صدى بن عجلان عن أبي امامة قال قال رسول الله ﷺ « إن مريم بنت عمران عليها السلام سألت ربها عز وجل أن يطعمها لحما لا دم له فاطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شياع » وقال نمير الشياع الصوت

ذلك من الكلأ والزرع والثمر وأخصبت بلادهم فقالوا ما كان هـذا الماء الا نعمة علينا وخصباً فلم يؤمنوا وأقاموا شهراً في عافية فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زروعهم وثمارهم وأوراق الشجر حتى كانت تأكل الابواب وسقوف البيت والخشب والثياب والامتعة ومسامير الابواب من الحديد حتى تقع دورهم وابتلى الجراد بالجوع فكان لا يشبع ولم يصب بني اسرائيل شيء من ذلك فعجوا وضجوا وقالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وأعطوه عهد الله وميثاقه فدعا موسى عليه السلام فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم ويقال ان موسى برز إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت وكانت قد بقيت من زروعهم وغلاتهم بقيـة فقالوا قد بقي لنا ماهو كافينا فما نحن بتاركي ديننا فلم يفوا بما عاهدوا وعادوا إلى أعمالهم السوء فأقاموا شهراً في عافية ثم بعث الله عليهم القمل واختلفوا في القمل فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القمل السوس الذي يخرج من الحنطة . وقال مجاهد والسدي وقتادة والكلبي : القمل الدبى والجراد الطيارة التي لها أجنحة ، والدبى الصغار التي لا أجنحة لها ، وقال عكرمة هي بنات الجراد ، وقال أبو

وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا أبو تقي هشام بن عبد الملك المزني حدثنا بقية بن الوليد حدثنا اسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي زهير النميري قال قال رسول الله ﷺ « لاتقاتلوا الجراد فانه جند الله الاعظم » غريب جداً وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد) قال كانت تأكل مسامير ابوابهم وتدع الخشب ، وروى ابن عساكر من حديث علي بن زيد الفرائضي عن محمد بن كثير سمعت الاوزاعي يقول خرجت الى الصحراء فاذا أنا برجل من جراد في السماء فاذا برجل راكب على جرادة منها وهو شاك في الحديد وكلما قال بيده هكذا مال الجراد مع يده وهو يقول الدنيا باطل باطل مافيها الدنيا باطل باطل مافيها الدنيا باطل باطل ما فيها ، وروى الحافظ أبو الفرج المعافى بن زكريا الحريري حدثنا محمد بن الحسن بن زياد حدثنا أحمد بن عبد الرحيم أخبرنا وكيع عن الاعمش أنبأنا عامر قال سئل شريح القاضي عن الجراد فقال قبح الله الجرادة فيها خلقة سبعة جبابرة رأسها رأس فرس. وعنقها عنق ثور. وصدرها صدر أسد . وجناحها جناح نسر . ورجلاها رجلا جمل . وذنبها ذنب حية . وبطنها بطن عقرب . وقدمنا عند قوله تعالى (احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة) حديث حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في حج أو عمرة فاستقبلنا رجل جراد فجعلنا نضربه بالعصي ونحن محرمون فسألنا رسول الله ﷺ فقال « لابأس بصيد البحر » وروى ابن ماجه عن هارون الحمال عن هشام بن القاسم عن زياد بن عبد الله بن علاثة وعن موسى بن محمد بن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أنس وجابر عن رسول الله ﷺ انه كان إذا دعا على الجراد قال « اللهم اهلك كباره واقتل صغاره وافسد بيضه واقطع دابره وخذ بأفواهه عن معايشنا وارزاقنا إنك سميع الدعاء»

عبيدة هو الحمنان وهو ضرب من القراد ، وقال عطاء الخراساني هو القمل ، وبه قرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم قالوا امر الله موسى أن يمشي إلى كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى إلى ذلك الكثيب وكان أهيل فضربه بعصاه فانثال عليهم القمل فتتبع مابقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكله ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلئ قملا . قال سعيد بن المسيب : القمل السوس الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحا فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذت أشعارهم وأبشارهم ، وأشفار عيونهم وحواجبهم ، ولزم جلودهم كأنه الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار ، فصرخوا وصاحوا إلى موسى انا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا البلاء فدعا موسى عليه السلام فرفع الله القمل عنهم بعد ماأقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم وقالوا : ماكنا قط أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم يجعل الرمل دواب وقالوا : وعزة فرعون لانتبعه أبداً ولا نصدقه فأقاموا شهراً في عافية فدعا موسى عليه

فقال جابر[1] يارسول الله أتدعو على جند من أجناد الله بقطع دابره ؟ فقال « انما هو نثرة حوت في البحر » قال هشام أخبرني زياد أنه أخبره من رآه ينثره الحوت قال من حقق ذلك إن السمك اذا باض في ساحل البحر فنضب الماء عنه وبدا للشمس أنه يفقس كله جراداً طيارا . وقدمنا عند قوله (الا أمم أمثالكم) حديث عمر رضي الله عنه أن الله خلق ألف أمة ستمائة في البحر واربعمائة في البر وان أولها هلاكا الجراد، وقال أبوبكر بن أبي داود حدثنا يزيد بن المبارك حدثنا عبدالرحمن بن قيس حدثنا سلم بن سالم حدثنا أبوالمغيرة الجورجاني محمد بن مالك عن البراء بن عازب قال قال رسول الله ﷺ «لا وباء مع السيف ولا لحاء مع الجراد » حديث غريب »

وأما القمل فعن ابن عباس هو السوس الذي يخرج من الحنطة وعنه أنه الدبا وهو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة وعن الحسن وسعيد بن جبير القمل دواب سود صغار ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القمل البراغيث ، وقال ابن جرير القمل جمع واحدتها قملة وهي دابة تشبه القمل تأكلها الابل فيما بلغني وهي التي عناها الاعشى بقوله :

قوم يعالج قملا أبناءهو * وسلاسلا أجداً وبابا موصدا

قال وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن القمل عند العرب الحمنان واحدتها حمنانة وهي صغار القردان فوق القمقامة . وقال الامام أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابن حميد الرازي حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال : لما أتى موسى عليه السلام فرعون قال له : أرسل معي بني اسرائيل فأرسل الله عليهم الطوفان وهو المطر فصب عليهم منه شيئاً خافوا أن يكون عذابا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك

السلام بعد ما أقاموا شهراً في عافية فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منها بيوتهم وأفنيتهم وأطعمتهم وآنيتهم فلا يكشف أحد اناء ولا ولا طعاما إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس في الضفادع إلى ذقنه ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفيء نيرانهم وكان أحدهم يضطجع فتركبه الضفادع فتكون عليه ركاما حتي مايستطيع أن ينصرف إلى شقه الآخر ويفتح فاه لاكلته فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه ، ولا يعجن عجيناً إلا تشدخت فيه ، ولا يفتح قدراً الا امتلأت ضفادع ، فلقوا منها أذى شديداً ، وروى عكرمة عن ابن عباس قال : كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله على آل فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف نفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير ، وهي تفور فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء ، فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا إلى موسى وقالوا : هذه المرة نتوب إلى الله ولا نعود فأخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعد ماأقام سبعاً من السبت إلى السبت فأقاموا شهراً في عافية ثم نقضوا العهود وعادوا إلى كفرهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم فسال النيل عليهم دما ، وصارت مياههم دما ، وما

(١) في النسخة المكية: فقال له خالد

بني اسرائيل فدعا ربه فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل فأنبت لهم في تلك السنة شيئاً لم ينبته قبل ذلك من الزروع والثمار والكلأ فقالوا هذا ماكنا نتمنى فأرسل الله عليهم الجراد فسلطه على الكلأ ، فلما رأو أثره في الكلا عرفوا أنه لايبقي الزرع ، فقالوا ياموسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الجراد فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل فداسوا وأحرزوا في البيوت فقالوا قد أحرزنا فأرسل الله عليهم القمل وهو السوس الذي يخرج منه فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحي فلا يرد منها الا ثلاثة أقفزة فقالوا ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فأبوا أن يرسلوا معه بني اسرائيل فبينما هو جالس عند فرعون إذ سمع نقيق ضفدع فقال لفرعون ماتلقى أنت وقومك من هذا فقال وما عسى أن يكون كيد هذا فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع ويهم أن يتكلم فتثب الضفدع في فيه ، فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل [1] فلم يؤمنوا وأرسل الله عليهم الدم فكانوا مااستقوا من الانهار والآبار وما كان في أوعيتهم وجدوه دما عبيطا فشكوا إلى فرعون فقالوا انا قد ابتلينا بالدم وليس لنا شراب فقال : انه قد سحركم ، فقالوا من أين سحرنا ونحن لانجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا وجدناه دما عبيطا فأتوه وقالوا ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل ، وقد روي نحو هذا عن ابن عباس والسدي وقتادة وغير واحد من علماء السلف أنه أخبر بذلك

وقال محمد بن اسحاق بن يسار رحمه الله : فرجع عدو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوبا مغلولا

(١) كذا في جميع النسخ وقد سقط منه: فدعا ربه فكشف عنهم الضفادع

يستقون من الآبار والانهار إلا وجدوه دما عبيطا أحمر فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا : ليس لنا شراب فقال انه قد سحركم ، فقال القوم من أين سحرنا ونحن لانجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا دما عبيطا ، وكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرائيلي على الاناء الواحد فيكون مايلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويقومان إلى الجرة فيها الماء فيخرج للاسرائيلي ماء وللقبطي دم حتى كانت المرأة من آل فرعون تأتي المرأة من بني اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول اسقني من مائك فتصب لها من قربتها فيعود في الاناء دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيه في فيّ فتأخذ في فيها ماء فاذا مجته في فيها صار دما ، وان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة ، فاذا مضغها يصير ماؤها في فيه ملحاً أجاجا فمكثوا في ذلك سبعة أيام لايشربون الا الدم . قال زيد بن أسلم الدم الذي سلط عليهم كان الرعاف فأتوا موسى عليه السلام وقالوا ياموسى ادع لناربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه عز وجل فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله عز وجل (فأرسلنا عليهم الطوفان) ﴿ والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ﴾

ثم أبى إلا الاقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليه الآيات فأخذه بالسنين وأرسل عليه الطوفان، ثم الجراد ، ثم القمل، ثم الضفادع، ثم الدم، آيات مفصلات. فأرسل الطوفان وهو الماء ففاض على وجه الارض ، ثم ركد لا يقدرون على أن يحرثوا ولا أن يعملوا شيئاً حتى جهدوا جوعا فلما بلغهم ذلك (قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك و لنرسلن معك بني اسرائيل) فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فيما بلغني حتى إن كان ليأكل مسامير الابواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم فقالوا مثل ماقالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم القمل فذكر لي أن موسى عليه السلام أمر أن يمشي إلى كثيب حتى يضرب بعصاه فمشى إلى كثيب أهيل عظيم فضرب بها فانثال عليهم قملا حتى غلب على البيوت والاطعمة ومنعهم النوم والقرار ، فلما جهدهم قالوا له مثل ماقالوا له فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الضفادع فملأت البيوت والاطعمة والآنية فلا يكشف أحد ثوبا ولا طعاما إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه ، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ماقالوا فسأل ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دماً لايستقون من بئر ولا نهر ، ولا يغترفون من اناء الا عاد دما عبيطا .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور المروزي أنا النضر أنا اسرائيل أنا جابر بن يزيد عن عكرمة عن عبيد الله بن عمرو قال : لاتقتلوا الضفادع فانها لما أرسلت على قوم فرعون انطلق ضفدع منها فوقع في تنور فيه نار يطلب بذلك مرضاة الله فابدلهن الله من هذا أبرد شيء يعلمه من الماء وجعل نقيقهن التسبيح ، وروي من طريق عكرمة عن ابن عباس نحوه : وقال زيد بن أسلم : يعني بالدم الرعاف . رواه ابن أبي حاتم

يتبع بعضها بعضاً وتفصيلها أن كل عذاب كان يمتد أسبوعا وبين كل عذابين شهراً ﴿فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين * ولما وقع عليهم الرجز ﴾ أي نزل بهم العذاب وهو ماذكر الله عز وجل من الطوفان وغيرها . وقال سعيد بن جبير : الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس حتى مات منهم سبعون ألفاً في يوم واحد فامسوا وهم لايتدافنون ﴿ قالوا ﴾ لموسى ﴿ ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ﴾ أي بما أوصاك ، وقال عطاء بما نبأك ، وقيل بما عهد عندك من اجابة دعوتك ﴿ لئن كشفت عنا الرجز ﴾ وهو الطاعون ﴿ لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل ﴾

أخبرنا أبو الحسن السرخسي ثنا زاهر بن أحمد ثنا أبو اسحاق الهاشمي ثنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن المنكدر وعن أبي النضر مولى عمر بن عبيدالله عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد أسمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون ، فقال أسامة بن زيد: قال رسول الله ﷺ « الطاعون رجز أرسل على بني اسرائيل أو على من كان قبلكم ، فاذا سمعتم به

فانتقمنا منهم فأغرقنهم في اليم بأنهم كذبوا بآيتنا وكانوا عنها غفلين (١٣٦) وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشرق الارض ومغربها التي بركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرءيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون (١٣٧)

يخبر تعالى أنهم لما عتوا وتمردوا مع ابتلائه اياهم بالآيات المتواترة واحدة بعد واحدة انتقم منهم باغراقه اياهم في اليم وهو البحر الذي فرقه لموسى فجاوزه وبنو اسرائيل معه، ثم ورده فرعون وجنوده على أثرهم فلما استكملوا فيه ارتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وتغافلهم عنها، وأخبر تعالى أنه أورث القوم الذين كانوا يستضعفون وهم بنو اسرائيل مشارق الارض ومغاربها كما قال تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وقال تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوما آخرين) وعن الحسن البصري وقتادة في قوله (مشارق الارض ومغاربها) التي باركنا فيها يعني الشام، وقوله (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا) قال مجاهد وابن جرير وهي قوله تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وقوله (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) أي وخربنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع (وما كانو يعرشون)

بأرض فلا تقدموا عليه، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه »

قوله عز وجل ﴿فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه﴾ يعني الى الغرق في اليم ﴿ إذا هم ينكثون﴾ ينقضون العهد ﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم﴾ يعني البحر ﴿بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ أي عن النقمة قبل حلولها وقيل معناه عن آياتنا معرضين ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ﴾ يقهرون ويستذلون بذبح الابناء واستحياء النساء والاستعباد وهم بنو اسرائيل ﴿ مشارق الارض ومغاربها ﴾ يعني مصر والشام ﴿ التي باركنا فيها ﴾ بالماء والاشجار والثمار والخصب والسعة ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ﴾ يعني وتمت كلمة الله وهي وعده اياهم بالنصر والتمكين في الارض . وذلك قوله تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) الآية ﴿ بما صبروا ﴾ على دينهم وعلى عذاب فرعون ﴿ ودمرنا ﴾ وأهلكنا ﴿ ما كان يصنع فرعون وقومه ﴾ في أرض مصر من العمارات ﴿ وما كانوا يعرشون ﴾ قال مجاهد يبنون من البيوت والقصور . وقال

قال ابن عباس ومجاهد (يعرشون) يبنون:

وجٰوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يٰموسى اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون (١٣٨) إن هٰؤلاء متبر ما هم فيه وبٰطل ما كانوا يعملون (١٣٩)

يخبر تعالى عما قاله جهلة بني اسرائيل لموسى عليه السلام حين جاوزوا البحر وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه مارأوا فأتوا أي فمروا على قوم يعكفون على أصنام لهم . قال بعض المفسرين كانوا من الكنعانيين وقيل كانوا من لخم . قال ابن جرير وكانوا يعبدون أصناما على صور البقر فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك فقالوا (ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) أي تجهلون عظمة الله وجلاله وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل (ان هؤلاء متبر ماهم فيه) أي هالك (وباطل ما كانوا يعملون) وروى الامام أبو جعفر بن جرير في تفسير هذه الآية من حديث محمد بن اسحاق وعقيل ومعمر كلهم عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين قال وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال فمررنا بسدرة خضراء عظيمة قال فقلنا يارسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال « قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ، إن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون»

وقال الامام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الديلي عن

الحسن : يعرشون من الاشجار والثمار والاعناب ، وقرأ أبو بكر وابن عامر يعرشون بضم الراء ههنا وفي النحل ، وقرأ الآخرون بكسرها

قوله تعالى ﴿ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر ﴾ قال الكلبي عبر بهم موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكراً لله عز وجل ﴿ فأتوا ﴾ فمروا ﴿ على قوم يعكفون ﴾ يقيمون ، قرأ حمزة والكسائي (يعكفون) بكسر الكاف ، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان ﴿ على أصنام ﴾ أوثان ﴿ لهم ﴾ يعبدونها من دون الله . قال ابن جريج : كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل . قال قتادة : كان أولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة ، فقالت بنو اسرائيل لما رأوا ذلك ﴿ قالوا ياموسى اجعل لنا إلها ﴾ أي مثالا نعبده ﴿ كما لهم آلهة ﴾ ولم يكن ذلك شكاً من بني اسرائيل في وحدانية الله ، وإنما معناه اجعل لنا شيئاً نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ انكم قوم تجهلون ﴾ عظمة الله ﴿ إن هؤلاء متبر ﴾

أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين فمررنا بسدرة فقلت يانبي الله: اجعل لنا ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة ويعكفون حولها، فقال النبي ﷺ «الله أكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة انكم تركبون سنن من قبلكم» أورده ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث كثير بن عبدالله بن عمرو ابن عوف المزني عن أبيه عن جده مرفوعا

قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العلمين (١٤٠) وإذ أنجينكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (١٤١)

يذكرهم موسى عليه السلام نعم الله عليهم من انقاذهم من أسر فرعون وقهره وما كانوا فيه من الهوان والذلة وما صاروا اليه من العزة والاشتفاء من عدوهم والنظر اليه في حال هوانه وهلاكه وغرقه ودماره وقد تقدم تفسيرها في البقرة

وواعدنا موسى ثلثين ليلة وأتممنها بعشر فتم ميقت ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين (١٤٢)

يقول تعالى ممتنا على بني اسرائيل بما حصل لهم من الهداية بتكليمه موسى عليه السلام وإعطائه التوراة وفيها أحكامهم وتفاصيل شرعهم فذكر تعالى أنه واعد موسى ثلاثين ليلة قال المفسرون

مهلك ﴿ماهم فيه﴾ والتتبير الاهلاك ﴿وباطل﴾ مضمحل وزائل ﴿ماكانوا يعملون * قال﴾ يعني موسى ﴿أغير الله أبغيكم﴾ أي أبغي لكم وأطلب ﴿إلها وهو فضلكم على العالمين﴾ أي على عالمي زمانكم. أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري أنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبدالرحمن البزاز أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أنا اسحاق بن ابراهيم الدبري أنا عبدالرزاق أنا معمر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الديلي عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع النبي ﷺ قبل حنين فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما كان للكفار ذات أنواط - وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها - فقال النبي ﷺ «الله أكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة انكم لتركبن سنن من قبلكم»

قوله عز وجل ﴿وإذ أنجيناكم﴾ قرأ ابن عامر وإذ أنجاكم وكذلك هو في مصاحف أهل الشام ﴿من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم﴾ قرأ نافع يقتلون خفيفة التاء من القتل وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير من التقتيل ﴿ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم * وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾ ذا القعدة ﴿وأتممناها بعشر﴾ من ذي الحجة ﴿فتم ميقات ربه أربعين

فصامها موسى عليه السلام وطواها فلما تم الميقات استاك بلحاء شجرة فأمره الله تعالى أن يكمل العشرة أربعين وقد اختلف المفسرون في هذه العشر ماهي فالاكثرون على أن الثلاثين هي ذو القعدة والعشر عشر ذي الحجة قاله مجاهد ومسروق وابن جريج وروي عن ابن عباس وغيره فعلى هذا يكون قد كمل الميقات يوم النحر وحصل فيه التكليم لموسى عليه السلام وفيه أكمل الله الدين لمحمد ﷺ كما قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فلما تم الميقات وعزم موسى على الذهاب الى الطور كما قال تعالى (يابني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن) الآية فحينئذ استخلف موسى على بني اسرائيل أخاه هارون ووصاه بالاصلاح وعدم الافساد وهذا تنبيه وتذكير والا فهارون عليه السلام نبي شريف كريم على الله له وجاهة وجلالة صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء

ولما جاء موسى لميقـتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تريني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تريني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحنك تبت اليك وأنا أول المؤمنين (١٤٣)

يخبر تعالى عن موسى عليه السلام أنه لما جاء لميقات الله تعالى وحصل له التكليم من الله سأل الله تعالى أن ينظر اليه فقال (رب أرني أنظر اليك قال لن تراني) وقد أشكل حرف ان ههنا على كثير

ليلة ﴿ وقال موسى ﴾ عند انطلاقه إلى الجبل المناجاة ﴿ لاخيه هارون اخلفني ﴾ كن خليفتي ﴿ في قومي وأصلح ﴾ أي أصلحهم بحملك اياهم على طاعة الله . وقال ابن عباس : يريد الرفق بهم والاحسان اليهم ﴿ ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ أي لا تطع من عصى الله ولا توافقه على أمره ، وذلك أن موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر أن الله اذا أهلك عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان مايأتون وما يذرون ، فلما فعل الله ذلك بهم سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله عز وجل أن يصوم ثلاثين يوما فلما تمت ثلاثون أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب . وقال أبو العالية : أكل من لحاء شجرة فقالت له الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة وقال أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك » وكانت فتنتهم في العشر التي زادها

قوله عز وجل ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾ أي للوقت الذي ضربنا له أن نكلمه فيه قال أهل التفسير إن موسى تطهر وطهر ثيابه لميعاد ربه فلما أتى طور سيناء وفي القصة ان الله عز وجل أنزل ظلمة على أربعة[1] فراسخ وطرد عنه الشيطان وطرد هوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط له

(١) في النسخة الهندية سبعة

من العلماء لأنها موضوعة لنفي التأبيد فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة وهذا أضعف الاقوال لانه قد تواترت الاحاديث عن رسول الله ﷺ بان المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة كما سنوردها عند قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقوله تعالى إخباراً عن الكفار (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقيل إنها لنفي التأبيد في الدنيا جمعا بين هذه الآية وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة . وقيل إن هذا الكلام في هذا المقام كالكلام في قوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) وقد تقدم ذلك في الانعام وفي الكتب المتقدمة أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام « ياموسى انه لايراني حي الا مات ولا يابس إلا تدهده » ولهذا قال تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) قال أبو جعفر ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي حدثنا قرة بن عيسى حدثنا الاعمش عن رجل عن أنس عن النبي ﷺ قال لما تجلى ربه للجبل أشار بأصبعه فجعله دكا وأرانا أبو اسماعيل بأصبعه السبابة ، هذا الاسناد فيه رجل مبهم لم يسم ، ثم قال حدثني المثنى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد عن ليث عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال « هكذا باصبعه » ووضع النبي ﷺ أصبعه الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر « فساخ الجبل » هكذا وقع في هذه الرواية حماد بن سلمة عن ثابت عن ليث عن أنس كما قال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا هدبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال قرأ رسول الله ﷺ (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال « ووضع الابهام قريباً من طرف خنصره » قال « فساخ الجبل » قال حميد لثابت يقول هكذا

السماء فرأى الملائكة قياما في الهواء ورأى العرش بارزا وكلمه الله وناجاه حتى اسمعه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمعه ماكلمه ربه وأدناه حتى سمع صرير القلم فاستحلى موسى عليه السلام كلام ربه واشتاق الى رؤيته ﴿قال رب أرني أنظر اليك﴾ قال الزجاج فيه اختصار تقديره أرني نفسك أنظر اليك قال ابن عباس أعطني النظر اليك فان قيل كيف سأل الرؤية وقد علم ان الله تعالى لا يرى في الدنيا ؟ قال الحسن هاج به الشوق فسأل الرؤية وقيل سأل الرؤية ظنا منه أنه يجوز أن يرى في الدنيا ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿ لن تراني ﴾ وليس لبشر أن يطيق النظر الي في الدنيا من نظر الي في الدنيا مات قال الهي سمعت كلامك فاشتقت الى النظر اليك ولأن أنظر اليك ثم أموت أحب الي من أن اعيش ولا أراك فقال الله عز وجل (لن تراني ولكن انظر الى الجبل) وهو أعظم جبل بمدين يقال له زبير قال السدي لما كلم الله موسى غاص الخبيث ابليس في الارض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس اليه وقال ان من كلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى الرؤية فقال الله عز وجل (لن تراني) وتعلقت نفاة الرؤية بظاهر هذه الآية وقالوا قال الله (لن تراني) ولن تكون للتأبيد ، ولا حجة لهم فيها ومعنى الآية لن تراني في الدنيا أو في الحال لانه كان يسأل الرؤية في الحال ولن

فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد وقال يقوله رسول الله ﷺ ويقوله أنس وأنا أكتمه ؟ وهكذا رواه الامام أحمد في مسنده حدثنا أبو المثنى معاذ بن معاذ العنبري حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله (فلما تجلى ربه للجبل) قال قال هكذا يعني انه أخرج طرف الخنصر قال أحمد أرانا معاذ فقال له حميد الطويل ماتريد إلى هذا ياأبا محمد قال فضرب صدره ضربة شديدة وقال من أنت ياحميد وما أنت ياحميد يحدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ يقول ماتريد اليه؟ وهكذا رواه الترمذى في تفسير هذه الآية عن عبدالوهاب بن الحكم الوراق عن معاذ بن معاذ به وعن عبد الله بن عبدالرحمن الدارمي عن سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة به ثم قال هذا حديث حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من حديث حماد وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من طرق عن حماد بن سلمة به وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ; ورواه أبو محمد الحسن بن محمد بن علي الخلال عن محمد بن علي بن سويد عن أبي القاسم البغوي عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة فذكره وقال هذا إسناد صحيح لاعلة فيه وقد رواه داود بن المحبر عن شعبة عن ثابت عن أنس مرفوعا وهذا ليس بشيء لان داود بن المحبر كذاب رواه الحافظان أبوالقاسم الطبراني وأبوبكر ابن مردويه من طريقين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس مرفوعا بنحوه وأسنده ابن مردويه من طريق ابن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا ولايصح أيضاً رواه الترمذي وصححه الحاكم وقال على شرط مسلم وقال السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل) قال ماتجلى منه الا قدر الخنصر (جعله دكا) قال ترابا (وخر موسى صعقا) قال مغشياً عليه رواه ابن جرير وقال قتادة

لاتكون للتأبيد كقوله تعالى (وان يتمنوه أبدا) إخباراً عن اليهود ثم أخبر عنهم أنهم يتمنون الموت في الآخرة كما قال الله تعالى (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك) و (ياليتها كانت القاضية) والدليل عليه أنه لم ينسبه الى الجهل بسؤال الرؤية ولم يقل إني لا أرى حتى تكون لهم حجة بل علق الرؤية على استقرار الجبل واستقرار الجبل على التجلي غير مستحيل اذا جعل الله تعالى له تلك القوة والمعلق بما لايستحيل لا يكون محالا قال الله تعالى (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) قال وهب وابن اسحاق لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق وأحاطت بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب وأمر الله ملائكة السموات أن يعترضوا على موسى فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد ، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه أمثال الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وجسده ثم قال لقد ندمت على مسئلتي فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء ؟ فقال له خير الملائكة ورأسهم ياموسى اصبر لما سألت فقليل من كثير مارأيت ثم

وخر موسى صعقاً قال ميتا وقال سفيان الثوري ساخ الجبل في الارض حتى وقع في البحر فهو يذهب معه وقال سنيد عن حجاج بن محمد الاعور عن أبي بكر الهذلي (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) انقعر فدخل تحت الارض فلا يظهر الى يوم القيامة وجاء في بعض الاخبار أنه ساخ في الارض فهو يهوى فيها إلى يوم القيامة رواه ابن مردويه وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شيبه حدثنا محمد بن يحي أبو غسان الكناني حدثنا عبدالعزيز بن عمران عن معاوية بن عبد الله عن الجلد بن أيوب عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال « لما تجلى الله للجبال طارت لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة بالمدينة أحد وورقان ورضوى ووقع بمكة حراء وثبير وثور » وهذا حديث غريب بل منكر وقال ابن أبي حاتم ذكر عن محمد بن عبد الله بن أبي البلح حدثنا الهيثم بن خارجة حدثنا عثمان بن حصين بن العلاف عن عروة بن رويم قال كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى على الطور صما ملساء فلما تجلى الله لموسى على الطور دك وتفطرت الجبال فصارت الشقوق والكهوف وقال الربيع بن أنس (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) وذلك أن الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور صار مثل دك من الدكاك وقال بعضهم جعله دكا أي فتة وقال مجاهد في قوله (ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) فانه أكبر منك وأشد خلقا (فلما تجلى ربه للجبل) فنظر إلى الجبل لايتمالك وأقبل الجبل فدك على أوله ورأى موسى ما يصنع الجبل فخر صعقا وقال عكرمة جعله دكا قال نظر الله إلى الجبل فصار صحراً ترابا وقد قرأ بهذه القراءة بعض القراء واختارها ابن جرير وقد ورد فيها حديث مرفوع رواه ابن مردويه والمعروف أن الصعق هو الغشي ههنا كما فسره ابن

أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا أمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد ، وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كجلب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة ياابن عمران مكانك حتى ترى مالا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران فهبطوا عليه لايشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتقديس والتسبيح لايقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به من قبلهم فاصطكت ركبتاه وارتعد قلبه واشتد بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم ياابن عمران اصبر لماسألت فقليل من كثير مارأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة ان اهبطوا فاعترضوا على موسى فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره لم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم ياابن عمران مكانك حتي ترى بعض مالا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا علي موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة ناراً أشد ضوءا من الشمس ولباسهم كلهب النار إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان

عباس وغيره لا كما فسره قتادة بالموت وان كان ذلك صحيحاً في اللغة كقوله تعالى(ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون) فان هناك قرينة تدل على الموت كما أن هنا قرينة تدل على الغشي وهي قوله (فلما أفاق) والافاقة لاتكون الا عن غشي (قال سبحانك) تنزيهاً وتعظيما واجلالا أن يراه أحد في الدنيا الا مات وقوله (تبت اليك) قال مجاهد أن اسألك الرؤية (وأنا أول المؤمنين) قال ابن عباس ومجاهد من بني اسرائيل واختاره ابن جرير وفي رواية أخرى عن ابن عباس (وأنا أول المؤمنين)أنه لايراك أحد وكذا قال أبو العالية قد كان قبله مؤمنون ولكن يقول أنا أول من آمن بك أنه لايراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة وهذا قول حسن له اتجاه ، وقد ذكر محمد بن جرير في تفسيره ههنا أثرا طويلا فيه غرائب وعجائب عن محمد بن اسحاق بن يسار وكأنه تلقاه من الاسرائيليات والله أعلم ، وقوله (وخر موسى صعقا) فيه أبو سعيد وأبو هريرة عن النبي ﷺ ، فاما حديث أبي سعيد فأسنده البخاري في صحيحه ههنا فقال حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل من اليهود الى النبي ﷺ قد لطم وجهه ، وقال يامحمد إن رجلا من أصحابك من الانصار لطم وجهي قال « ادعوه » فدعوه قال « لم لطمت وجهه ؟ » قال يارسول الله اني مررت باليهودي فسمعته يقول والذي اصطفى موسى على البشر قال وعلى محمد؟ قال فقلت وعلى محمد وأخذتني غضبة فلطمته قال «لاتخيروني من بين الانبياء فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري افاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور»

قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب الملائكة والروح رب العزة أبدا لايموت، وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا وهو يبكي ويقول رب اذكرني ولا تنس عبدك لا أدري أأنفلت مما أنا فيه أم لا ان خرجت احترقت وان مكثت مت فقال له كبير الملائكة ورأسهم قد أوشكت ياابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سالت ثم امر الله أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فلما بدا نور العرش انفرج الجبل من عظمة الرب جل جلاله ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعاً يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لايموت بشدة أصواتهم فارتج الجبل واندكت كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه فارسل الله برحمته الروح فتغشاه وقلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى فأقامه موسى يسبح الله ويقول آمنت بك ربي وصدقت أنه لايراك أحد فيحيا من نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك واعظم ملائكتك أنت رب الارباب وإله الآلهة وملك الملوك ولايعدلك شيء ولا يقوم لك شيء رب تبت اليك الحمد لك لاشريك لك ما أعظمك وما أجلك رب العالمين فذلك قوله تعالى ﴿فلما تجلى ربه للجبل

وقد رواه البخاري في أماكن كثيرة من صحيحه ومسلم في أحاديث الانبياء من صحيحه وأبوداود في كتاب السنة من سننه من طرق عن عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبي الحسن المازني الانصاري المدني عن أبيه عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري به . وأما حديث أبي هريرة فقال الامام أحمد في مسنده حدثنا أبو كامل حدثنا ابراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبدالرحمن وعبد الرحمن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال استب رجلان رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم والذي اصطفى محمداً على العالمين فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين فغضب المسلم على اليهودي فلطمه فأتى اليهودي رسول الله ﷺ فسأله فاخبره فدعاه رسول الله ﷺ فاعترف بذلك فقال رسول الله ﷺ «لاتخيروني على موسى فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا موسى ممسك بجانب العرش فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله عز وجل» أخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به ، وقد روى الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا رحمه الله أن الذي لطم اليهودي في هذه القضية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولكن تقدم في الصحيحين أنه رجل من الانصار وهذا هو اصح واصرح والله أعلم والكلام في قوله عليه السلام «لاتخيروني على موسى» كالكلام على قوله «لا تفضلوني على الانبياء ولا على يونس بن متى» قيل من باب التواضع وقيل قبل أن يعلم بذلك ، وقيل نهي أن يفضل بينهم على وجه الغضب والتعصب وقيل على وجه القول بمجرد الرأي والتشهي والله أعلم ، وقوله «فان الناس يصعقون يوم القيامة» الظاهر أن هذا الصعق يكون في عرصات القيامة يحصل أمر يصعقون منه والله أعلم به ، وقد يكون ذلك اذا

جعله دكا) قال ابن عباس ظهر نور ربه للجبل جبل زبير وقال الضحاك أظهر الله من نور الحجب مثل منخر ثور وقال عبدالله بن سلام وكعب الاحبار ماتجلى من عظمة الله للجبل الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدي ماتجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ماروى ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية . وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل وحكي عن سهل ابن سعد الساعدي ان الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا أي مستويا بالارض قرأ حمزة والكسائي دكاء ممدودا غير منون هاهنا وفي سورة الكهف وافق عاصم في الكهف وقرأ الآخرون دكا مقصورا منونا فمن قصر فمعناه جعله مدقوقا والدك والدق واحد وقيل معناه دكه الله دكا أي فتته كما قال (إذا دكت الارض دكا دكا) ومن قرأ بالمد أي جعله مستويا أرضا دكاء وقيل معناه جعله مثل دكاء وهي الناقة التي لاسنام لها قال ابن عباس جعله ترابا ، وقال سفيان ساخ الجبل في الارض حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي صار رملا هائلا وقال الكلبي جعله دكا أي كسراً جبالا صغارا ووقع فى بعض التفاسير صارت لعظمته ستة أجبل وقعت ثلاثا بالمدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء قوله عزوجل ﴿وخر موسى

جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء، وتجلى للخلائق الملك الديان كما صعق موسى من تجلي الرب تبارك وتعالى ولهذا قال عليه السلام «فلا أدري افاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور» ، وقد روى القاضي عياض في أوائل كتابه الشفاء بسنده عن محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا قتادة حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال الله لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ثم قال ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى انتهى ما قاله وكأنه صحح هذا الحديث وفي صحته نظر ولا تخلو رجال اسناده من مجاهيل لا يعرفون ومثل هذا إنما يقبل من رواية العدل الضابط عن مثله حتى ينتهي الى منتهاه والله أعلم

قال يٰموسى إني اصطفيتك على الناس برسٰلٰتي وبكلٰمي فخذ ما آتيتك وكن من الشٰكرين (١٤٤) وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفٰسقين (١٤٥)

يذكر تعالى أنه خاطب موسى بانه اصطفاه على عالمي زمانه برسالاته وكلامه ولا شك أن محمداً ﷺ سيد ولد آدم من الاولين والآخرين ولهذا اختصه الله بأن جعله خاتم الانبياء والمرسلين الذي تستمر شريعته الى قيام الساعة واتباعه أكثر من اتباع الانبياء كلهم وبعده في الشرف والفضل ابراهيم الخليل ثم موسى بن عمران كليم الرحمن عليه السلام ولهذا قال الله تعالى له (فخذ ما آتيتك) أي من الكلام والمناجاة (وكن من الشاكرين) أي على ذلك ولا تطلب مالا طاقة لك به ثم أخبر تعالى

صعقاً ﴾ قال ابن عباس والحسن مغشيا عليه وقال قتادة ميتا ، وقال الكلبي (خر موسى صعقا) يوم الخميس يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر . قال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن عمران وسؤال الرؤية ، وفي بعض الكتب أن ملائكة السموات أتوا موسى وهو مغشي عليه فجعلوا يركلونه بأرجلهم ويقولون يابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة ﴿فلما أفاق﴾ موسى من صعقته وثاب اليه عقله عرف أنه قد سأل أمراً عظيما لا ينبغي له ﴿قال سبحانك تبت اليك﴾ عن سؤال الرؤية ﴿ وأنا أول المؤمنين ﴾ بأنك لا ترى في الدنيا وقال مجاهد والسدي وأنا أول من آمن بك من بني اسرائيل

قوله تعالى ﴿ قال ياموسى اني اصطفيتك على الناس ﴾ أي اخترتك ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو اني بفتح الياء وكذلك أخي أشدد ﴿ برسالاتي ﴾ قرأ أهل الحجاز برسالتي على التوحيد والآخرون بالجمع ﴿ وبكلامي فخذ ما آتيتك ﴾ أعطيتك ﴿ وكن من الشاكرين ﴾ لله على نعمه ، فان قيل فما معنى

أنه كتب له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء قيل كانت الالواح من جوهر وأن

قوله (اصطفيتك على الناس برسالاتي) وقد أعطى غيره الرسالة ، قيل لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله (اصطفيتك على الناس) وإن شاركه فيه غيره كما يقول الرجل خصصتك بمشورتي وإن شاور غيره اذا لم تكن المشورة على العموم يكون مستقيما . وفي القصة أن موسى كان بعد ما كلمه ربه لا يستطيع أحد أن ينظر اليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات ، وقالت له امرأته : أنا لم أرك[1] منذ كلمت ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت لله ساجدة وقالت : ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة ، قال ذلك لك إن لم تتزوجي بعدي فان المرأة لآخر أزواجها

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن علي المزني أنا أبو العباس محمد بن احمد بن اسحاق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا رشدين بن سعد عن سعيد بن عبد الرحمن المغافري عن أبيه عن كعب الاحبار أن موسى نظر في التوراة فقال : اني أجد أمة خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وبالكتاب الاول وبالكتاب الآخر ، ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال رب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد ياموسى ، فقال رب اني أجد أمة هم الحمادون لله على كل حال رعاة الشمس المحكمون اذا أرادوا أمراً قالوا نفعل إن شاء الله فاجعلهم أمتي ، قال هي أمة محمد ، فقال رب اني أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم ، وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم ، الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم أمتي ، قال هي أمة محمد . فقال يارب اني أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله . فاذا هبط واديا حمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيث ماكانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لايجدون الماء غر محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد ، قال يارب اني أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة مثلها ، وإن عملها كتبت بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ، وإن عملها كتبت له سيئة مثلها فاجعلهم أمتي ، قال هي أمة أحمد . فقال رب اني أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب من الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد . ومنهم سابق بالخيرات . فلا أجد أحداً منهم إلا مرحوما فاجعلهم أمتي . قال هي أمة أحمد ، قال رب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لايدخل النار أحد منهم أبداً إلا من يرى الحساب مثل ما يرى له الحجر من وراء البحر فاجعلهم أمتي ، قال هي أمة أحمد ، فلما عجب موسى من الخير الذي أعطى الله محمداً وأمته قال : ياليتني من أصحاب محمد ، فأوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيه بهن (ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي

(١) في النسخة الهندية أنا أيم منك

الله تعالى كتب له فيها مواعظ وأحكاماً مفصلة مبينة للحلال والحرام وكانت هذه الالواح مشتملة على التوراة التي قال الله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس) وقيل الالواح أعطيها موسى قبل التوراة فالله أعلم ، وعلى كل تقدير فكانت كالتعويض له عما سأل من الرؤيا ومنع منها والله أعلم (وقوله فخذها بقوة) أي بعزم على الطاعة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) قال سفيان بن عيينة ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال أمر موسى عليه السلام أن يأخذ بأشد ما أمر قومه وقوله (سأريكم دار الفاسقين) أي سترون عاقبة من خالف امري وخرج عن طاعتي

وبكلامي — إلى قوله — سأريكم دار الفاسقين * ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون) قال فرضي موسى كل الرضاء

قوله تعالى ﴿ وكتبنا له ﴾ يعني لموسى ﴿ في الالواح ﴾ قال ابن عباس يريد ألواح التوراة ، وفي الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعا ، وجاء في الحديث « خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده ، وغرس شجرة طوبى بيده » وقال الحسن : كانت الالواح من خشب ، قال الكلبي كانت من زبرجدة خضراء ، وقال سعيد بن جبير كانت من ياقوت أحمر ، وقال الربيع بن أنس كانت الالواح من برد ، وقال ابن جريج كانت من زمرد أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور . قال وهب أمر الله بقطع الالواح من صخرة صماء لينها الله له فقطعها بيده ثم شققها بيده وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشرة وكان ذلك في أول يوم من ذي القعدة وكانت الالواح عشرة أذرع على طول موسى . وقال مقاتل ووهب (وكتبنا له في الالواح) كنقش الخاتم . وقال الربيع بن أنس : نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأه الا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى . وقال الحسن : هذه الآية في التوراة ألف آية ، يعني وكتبنا له في الالواح ﴿ من كل شيء ﴾ مما أمروا به ونهوا عنه ﴿ موعظة ﴾ نهياً عن الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته ﴿ وتفصيلا لكل شيء ﴾ أي تبييناً لكل شيء من الامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام ﴿ فخذها بقوة ﴾ أي بجد واجتهاد ، وقيل بقوة القلب وصحة العزيمة لأنه اذا أخذه بضعف النية أداه إلى الفتور ﴿ وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾ قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ، ويتدبروا أمثالها ، ويعملوا بمحكمها ، ويقفوا عند متشابهها ، وكان موسى عليه السلام أشد عبادة من قومه فأمر بما لم يؤمروا به . قال قطرب (بأحسنها) أي بحسنها وكلها حسن ، وقيل أحسنها الفرائض والنوافل وهي مايستحق عليها الثواب وما دونها المباح لأنه لايستحق عليه الثواب ، وقيل (بأحسنها) بأحسن الامرين في كل شيء كالعفو أحسن من القصاص ، والصبر أحسن من الانتصار ﴿ سأريكم دار الفاسقين ﴾ قال مجاهد : مصيرهم في الآخرة ، قال الحسن وعطاء يعني جهنم يحذركم أن تكونوا مثلهم . وقال قتادة

يالله العجب من الذين تناقلوا هذه الخرافات الاسرائيلية ألم تكن عقولهم تدرك ان منها ما هو محال ؟ أو لم يضنوا بأعمارهم وأعمار الناس الذين شغلوهم بها

كيف يصير الى الهلاك والدمار والتباب قال ابن جرير وإنما قال (سأريكم دار الفاسقين) كما يقول القائل لمن يخاطبه سأريك غداً الى مايصير اليه حال من خالف امري على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف امره، نقل معنى ذلك عن مجاهد والحسن البصري وقيل معناه (سأريكم دار الفاسقين) أي من أهل الشام واعطيكم إياها وقيل منازل قوم فرعون والاول أولى والله أعلم لان هذا كان بعد انفصال موسى وقومه عن بلاد مصر وهو خطاب لبني اسرائيل قبل دخولهم التيه والله أعلم .

سأصرف عن آيٰتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بأيٰتنا وكانوا عنها غٰفلين (١٤٦) والذين كذبوا بأيٰتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمٰلهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون (١٤٧)

يقول تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) أي سأمنع فهم الحجج والادلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي ويتكبرون على الناس بغير حق أي كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل كما قال تعالى (ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) وقال تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقال بعض السلف لا ينال العلم حيي ولا مستكبر وقال آخر من لم يصبر على ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا . وقال سفيان بن عيينة في قوله (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) قال أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي قال ابن جرير وهذا يدل على أن هذا خطاب لهذه الامة. قلت ليس هـذا بلازم لأن ابن عيينة انما أراد أن هذا مطرد في حق كل أمة ولا فرق بين أحد وأحد في هذا والله أعلم، وقوله (وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها) كما قال تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم

وغيره : سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا أمر الله لتعتبروا بها ، وقال عطية العوفي أراد دار فرعون وقومه وهي مصر يدل عليه قراءة قسامة بن زهير (سأورثكم دار الفاسقين) مصارع الكفار . وقال الكلبي : ما مروا عليه اذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكوا

قوله تعالى ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق ﴾ قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون أوليائي حتى لا يؤمنوا بي ، يعني سأصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم للحق كقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) قال سفيان ابن عيينة سأمنعهم فهم القرآن ، قال ابن جريج يعني عن خلق السموات والارض وما فيهما أصرفهم أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها ، وقيل حكم الآية لأهل مصر خاصة وأراد بالآيات التسع

كل آية حتى يروا العذاب الاليم) وقوله (وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا) أي وان ظهر لهم سبيل الرشد أي طريق النجاة لا يسلكوها وإن ظهر لهم طريق الهلاك والضلال يتخذوه سبيلا ثم علل مصيرهم الى هذه الحال بقوله (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) أي كذبت بها قلوبهم (وكانوا عنها غافلين) أي لا يعلمون شيئا مما فيها وقوله (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم) أي من فعل منهم ذلك واستمر عليه الى الممات حبط عمله وقوله (هل يجزون الا ماكانوا يعملون) أي انما نجازيهم بحسب أعمالهم التي أسلفوها إن خيرا فخير وان شرا فشر وكما تدين تدان

واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين (١٤٨) ولما سُقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخسرين (١٤٩)

يخبر تعالى عن ضلال من ضل من بني اسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتخذه لهم السامري من حليّ القبط الذي كانوا استعاروه منهم فشكل لهم منه عجلا ثم القى فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار عجلا جسداً له خوار والخوار صوت البقر وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لميقات ربه تعالى فأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور حيث يقول تعالى إخبارا عن نفسه الكريمة قال (فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري) وقد اختلف المفسرون

التي أعطاها الله تعالى موسى والاكثرون على أن الآية عامة ﴿ وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها ، وإن يروا ﴾ يعني هؤلاء المتكبرين ﴿ سبيل الرشد ﴾ قرأ حمزة والكسائي الرشد بفتح الراء والشين ، والآخرون بضم الراء وسكون الشين وهما لغتان كالسقم والسقم ، والبخل والبخل ، والحزن والحزن وكان أبو عمرو يفرق بينهما فيقول الرشد بالضم الصلاح في الامر ، وبالفتح الاستقامة في الدين ، ومعنى الآية وإن يروا طريق الهدى والسداد ﴿ لايتخذوه ﴾ لانفسهم سبيلا ﴿ وإن يروا سبيل الغي ﴾ أي طريق الضلال ﴿ يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ عن التفكر فيها والاتعاظ بها غافلين ساهين ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ﴾ أي ولقاء الدار الآخرة التي هي موعد الثواب والعقاب ﴿ حبطت أعمالهم ﴾ بطلت وصارت كأن لم تكن ﴿ هل يجزون ﴾ في العقبى ﴿ إلا ماكانوا ﴾ أي إلا جزاء ماكانوا ﴿ يعملون ﴾ في الدنيا

قوله تعالى ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده ﴾ أي من بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿ من حليهم ﴾ التي استعاروها من قوم فرعون ، قرأ حمزة والكسائي من حليهم بكسر الحاء ، وقرأ يعقوب بفتح الحاء وسكون اللام خفيف اتخذ السامري منها ﴿ عجلا ﴾ وألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل فتحول

في هذا العجل هل صار لحماً ودما له خوار أو استمر على كونه من ذهب إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبقر على قولين والله أعلم ويقال إنهم لما صوت لهم العجل رقصوا حوله وافتتنوا به وقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي قال الله تعالى (أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولايملك لهم ضراً ولانفعا) وقال في هذه الآية الكريمة (ألم يروا أنه لايكلمهم ولا يهديهم سبيلا) ينكر تعالى عليهم في ضلالهم بالعجل وذهولهم عن خالق السموات والارض ورب كل شيء ومليكه أن عبدوا معه عجلا جسداً له خوار لايكلمهم ولايرشدهم الى خير ولكن غطى على أعين بصائرهم عمى الجهل والضلال كما تقدم من رواية الامام أحمد وأبو داود عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ «حبك الشيء يعمي ويصم» وقوله (ولما سقط في أيديهم) أي ندموا على مافعلوا (ورأوا أنهم قدضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) وقرأ بعضهم لئن لم ترحمنا بالتاء المثناة من فوق (ربنا) منادى (ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) أي من الهالكين وهذا اعتراف منهم بذنبهم والتجاء الى الله عز وجل

ولما رجع موسى إلى قومه غضْبن أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمرَ ربكم ؟ وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابنَ أمَّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تُشمت بيَ الأعداءَ ولا تجعلني مع القوم الظالمين (١٥٠) قال ربي اغفر لي ولاخي وأدخلْنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين (١٥١)

عجلا ﴿ جسداً ﴾ حياً لحما ودما ﴿ له خوار ﴾ وهو صوت البقر وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة وجماعة أهل التفسير ، وقيل كان جسداً مجسداً من ذهب لا روح فيه كان يسمع منه صوت ، وقيل كان صوت حفيف الريح يدخل في جوفه ويخرج والاول أصح ، وقيل إنه ماخار إلا مرة واحدة . وقيل إنه كان يخور كثيراً فكلما خار سجدوا له . واذا سكت رفعوا رؤوسهم . وقال وهب: كان يسمع منه الخوار وهو لايتحرك . وقال السدي : كان يخور ويمشي ﴿ ألم يروا ﴾ يعني الذين عبدوا العجل ﴿ أنه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا ﴾ قال الله عزوجل ﴿ اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾ أي اتخذوه إلها وكانوا كافرين ﴿ ولما سقط في أيديهم ﴾ أي ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على أمر قد سقط في يديه ﴿ ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ﴾ يتب علينا ربنا ﴿ ويغفر لنا ﴾ يتجاوز عنا ﴿ لنكوننّ من الخاسرين ﴾ قرأ حمزة والكسائي ترحمنا وتغفر لنا بالتاء فيهما ربنا بنصب الباء وكان هذا الندم والاستغفار منهم بعد رجوع موسى اليه

قوله تعالى ﴿ ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً ﴾ قال أبو الدرداء : الاسف شديد الغضب

يخبر تعالى أن موسى عليه السلام رجع الى قومه من مناجاة ربه تعالى وهو غضبان أسف .قال أبو الدرداء الاسف أشد الغضب (قال بئسما خلفتموني من بعدي) يقول بئس ماصنعتم في عبادة العجل بعد أن ذهبت وتركتم ، وقوله (أعجلتم أمر ربكم) يقول استعجلتم مجيئي اليكم وهو مقدر من الله تعالى وقوله (والقى الالواح وأخذ برأس اخيه يجره اليه) قيل كانت الالواح من زمرد وقيل من ياقوت وقيل من برد وفي هذا دلالة على ما جاء في الحديث« ليس الخبر كالمعاينة » ثم ظاهر السياق أنه انما القى الالواح غضبا على قومه وهذا قول جمهور العلماء سلفا وخلفا ، وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولا غريبا لايصح اسناده الى حكاية قتادة وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء وهو جدير بالرد وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة وقوله (وأخذ برأس أخيه يجره اليه) خوفا أن يكون قد قصر في نهيهم ، قال في الآية الاخرى (قال ياهارون مامنعك إذ رأيتهم ضلوا أن لاتتبعني أفعصيت أمري * قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي * اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي) وقال هاهنا (ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أي لاتسوقني سياقهم وتجعلني معهم وانما قال « ابن أم » ليكون أرق وأنجع عنده والا فهو شقيقه لابيه وأمه فلما تحقق موسى عليه السلام براءة

وقال ابن عباس والسدي : أسفاً أي حزينا والاسف أشد الحزن ﴿ قال بئسما خلفتموني من بعدي ﴾ أي بئس ماعملتم بعد ذهابي يقال خلفه بخير أو بشر اذا أولاه في أهله بعد شخوصه عنهم خيراً أو شراً ﴿ أعجلتم ﴾ أسبقتم ﴿ أمر ربكم ﴾ قال الحسن وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين ليلة . وقال الكلبي أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم ﴿ وألقى الارواح ﴾ التي فيها التوراة وكان حاملا لها رألقاها على الارض من شدة الغضب . قالت الرواة كانت التوراة سبعة أسباع ، فلما ألقى الالواح تكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع فرفع ما كان من أخبار الغيب وبقي مافيه الموعظة والاحكام والحلال والحرام ﴿ وأخذ برأس أخيه ﴾ بذوائبه ولحيته ﴿ يجره اليه ﴾ وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين وأحب إلى بني اسرائيل من موسى لأنه كان لين الغضب ﴿ قال ﴾ هارون عند ذلك ﴿ ابن أم ﴾ قرأ أهل الكوفة والشام ههنا وفي طه بكسر الميم يريد يا ابن أمي فحذف ياء الاضافة وأبقيت الكسرة لتدل على الاضافة كقوله ياعباد ، وقرأ أهل الحجاز والبصرة وحفص بفتح الميم على معنى يا ابن أماه ، وقيل جعله اسما واحداً وبناه على الفتح كقولهم حضرموت وخمسة عشر ونحوهما ، وانما قال ابن أم وكان هارون أخاه لأبيه وأمه ليرققه ويستعطفه ، وقيل كان أخاه لامه دون أبيه ﴿ إن القوم استضعفوني ﴾ يعني عبدة العجل ﴿ وكادوا يقتلونني ﴾ هموا وقاربوا أن يقتلوني فلا ﴿ تشمت بي الاعداء ولاتجعلني ﴾ في مؤاخذتك علي ﴿ مع القوم الظالمين ﴾ يعني عبدة العجل ﴿ قال ﴾

ساحة هارون عليه السلام كما قال تعالى (ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا أمري) فعندذلك (قال) موسى (رب اغفرلي ولأخي وادخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين) وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ثنا عفان ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « يرحم الله موسى ليس المعاين كالمخبر أخبره ربه عز وجل أن قومه فتنوا بعده فلم يلق الالواح فلما رآهم وعاينهم القى الالواح »

إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين (١٥٢) والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم (١٥٣)

أما الغضب الذي نال بني اسرائيل في عبادة العجل فهو أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة حتى قتل بعضهم بعضا كما تقدم في سورة البقرة (فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم) وأما الذلة فأعقبهم ذلك ذلة وصغارا في الحياة الدنيا وقوله (وكذلك نجزي المفترين) نائلة لكل من افترى بدعة فان ذل البدعة ومخالفة الرشاد متصلة من قلبه على كتفيه كما قال الحسن البصري: إن ذل البدعة على اكتافهم وان هملجت بهم البغلات وطقطقت بهم البراذين. وهكذا روى أيوب السختياني عن أبي قلابة الجرمي أنه قرأ هذه الاية (وكذلك نجزي المفترين) فقال هي والله لكل مفتر الى يوم القيامة وقال سفيان ابن عيينة كل صاحب بدعة ذليل، ثم نبه تعالى عباده وأرشدهم الى أنه يقبل توبة عباده من أي ذنب كان حتى ولو كان من كفر أو شرك أو نفاق أو

موسى لما تبين له عذر أخيه ﴿ رب اغفر لي ﴾ ماصنعت إلى أخي ﴿ ولاخي ﴾ ان كان منه تقصير في الانكار على عبدة العجل ﴿ وأدخلنا » جميعاً « في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ﴾

قوله تعالى ﴿ إن الذين اتخذوا العجل ﴾ أي اتخذوه إلها ﴿ سينالهم غضب من ربهم ﴾ في الآخرة ﴿ وذلة في الحياة الدنيا ﴾ قال أبو العالية : هو ماأمروا به من قتل أنفسهم » وقال عطية العوفي (إن الذين اتخذوا العجل) أراد اليهود الذين كانوا في عصر النبي ﷺ عيرهم بصنيع آبائهم فنسبه اليهم (سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا) أراد ما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هو الجزية ﴿ وكذلك نجزي المفترين ﴾ الكاذبين . قال أبو قلابة هو والله جزاء كل مفتر إلى يوم القيامة أن يذله الله » قال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع إلى يوم القيامة

شقاق ولهذا عقب هذه القصة بقوله (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك) أي يامحمد يارسول التوبة ونبي الرحمة (من بعدها) أي من بعد تلك الفعلة (لغفور رحيم). وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن ابراهيم ثنا أبان ثنا قتادة عن عزرة عن الحسن العرني عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن ذلك يعني عن الرجل يزني بالمرأة ثم يتزوجها فتلا هذه الآية (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) فتلاها عبدالله عشر مرات فلم يأمر بها ولم ينههم عنها

ولما سكت عن موسى الغضبُ أخذ الألواحَ وفي نُسختِها هدىً ورحمةٌ للذين هم لربهم يرهبون (١٥٤)

يقول تعالى (ولما سكت عن موسى الغضب) أي غضبه على قومه (أخذ الالواح) أي التي كان ألقاها من شدة الغضب على عبادتهم العجل غيرة لله وغضباً له (وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) يقول كثير من المفسرين إنها لما ألقاها تكسرت ثم جمعها بعد ذلك ولهذا قال بعض السلف فوجد فيها هدى ورحمة، وأما التفصيل فذهب وزعموا أن رضاضها لم يزل موجوداً في خزائن الملوك لبني اسرائيل إلى الدولة الاسلامية والله أعلم بصحة هذا وأما الدليل الواضح على أنها تكسرت حين ألقاها وهي من جوهر الجنة فقد أخبر تعالى أنه لما أخذها بعد ما ألقاها وجد فيها (هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) ضمن الرهبة معنى الخضوع ولهذا عداها باللام، وقال قتادة في قوله تعالى (أخذ الالواح قال رب أني أجد في الالواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد. قال رب أني أجد في الالواح أمة هم الآخرون أي آخرون في الخلق سابقون في دخول الجنة رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد. قال رب أني أجد في الالواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرءونها وكان من قبلهم يقرءون كتابهم نظراً حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعرفوه وإن الله أعطاهم من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الامم قال رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد. قال

قوله عز وجل ﴿ والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ قوله تبارك وتعالى ﴿ ولما سكت ﴾ أي سكن ﴿ عن موسى الغضب أخذ الالواح ﴾ التي كان ألقاها وقد ذهبت ستة أسباعها ﴿ وفي نسختها ﴾ اختلفوا فيه ، قيل أراد بها الالواح لأنها نسخت من اللوح المحفوظ ، وقيل إن موسى لما ألقى الالواح تكسرت فنسخ منها نسخة أخرى فهو المراد من قوله (وفي نسختها) وقيل أراد وفيما نسخ منها ، وقال عطاء فيما بقي منها . وقال ابن عباس وعمرو بن دينار : لما ألقى موسى الالواح فتكسرت صام أربعين يوما فردت عليه في لوحين فكان فيه ﴿ هدى ورحمة ﴾ أي هدى من الضلالة ورحمة من العذاب ﴿ للذين هم لربهم يرهبون ﴾ أي للخائفين من ربهم واللام

رب إني أجد في الالواح أمة يؤمنون بالكتاب الاول وبالكتاب الآخر ويقاتلون فصول الضلالة حتى يقاتلون الاعور الكذاب فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني أجد في الالواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها وكان من قبلهم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله ناراً فأكلتها وان ردت عليه تركت فتأكلها السباع والطير وان الله أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيرهم قال رب فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في الالواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد . قال رب إني أجد في الالواح أمة هم المشفوعون والمشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد ، قال قتادة فذكر لنا أن نبي الله موسى نبذ الالواح وقال اللهم اجعلني من أمة احمد

واختار موسى قومَه سبعين رجلا لميقتنا فلما أخذتْهم الرجفة قال ربِّ لو شئتَ أهلكتهم من قبل وإيّيَ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا؟ إن هي إلا فتنتُك تُضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت وليُّنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغفرين (١٥٥) * واكتب لنا في هٰذه الدنيا حسنةً وفي الآخرة إنَّا هُدْنا إليك

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرزهم ليدعوا ربهم وكان فيما دعوا الله قالوا اللهم : اعطنا مالم تعط

في لربهم زيادة للتوكيد كقوله (ردف لكم) وقال الكسائي : لما تقدمت قبل الفعل حسنت كقوله (للرؤيا تعبرون) قال قطرب أراد من ربهم يرهبون . وقيل أراد راهبون لربهم

قوله تعالى ﴿ واختار موسى قومه ﴾ أي من قومه فانتصب لنزع حرف الصفة ﴿ سبعين رجلا لميقاتنا ﴾ وفيه دليل على أن كلهم لم يعبدوا العجل . قال السدي : أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ﴿ فلما ﴾ أتوا ذلك المكان (قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة) فماتوا . وقال ابن اسحاق: اختارهم ليتوبوا اليه مما صنعوا ويسألوا التوبة على من تركوا وراءهم من قومهم فهذا يدل على أن كلهم عبدوا العجل. وقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب ﴿ أخذتهم الرجفة ﴾ لانهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل ولم يأمروهم بالمعروف ولم ينهوهم عن المنكر. وقال ابن عباس : إن السبعين الذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين الذين أخذتهم الرجفة وانما أمر الله سبحانه وتعالى موسى أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختارهم وبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا أن قالوا : اللهم اعطنا مالم تعطه أحداً قبلنا ولا تعطه أحداً بعدنا . فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم

أحداً قبلنا ولا تعطه أحداً بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي) الآية وقال السدي إن الله أمر موسى أن يأتيه في ثلاثين من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعداً (واختار موسى قومه سبعين رجلا) على عينيه ثم ذهب بهم ليعتذروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا (لن نؤمن لك) ياموسى (حتى نرى الله جهرة) فإنك قد كلمته فأرناه (فأخذتهم الصاعقة) فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول لبني اسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي) وقال محمد بن اسحاق اختار موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا إلى الله فتوبوا اليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه إلا باذن منه وعلم فقال له السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا معه للقاء ربه لموسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى إذا كلم الله وقع على جبهة موسى نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى إذا دخلوا وقعوا سجوداً فسمعوه وهو يكلم يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ اليه من أمره وانكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا ياموسى (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة) وهي الصاعقة فالتقت أرواحهم فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول (رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي) قد سفهوا ، أفتهلك من ورائي من بني اسرائيل

وقال سفيان الثوري حدثني أبو اسحاق عن عمارة بن عبيد السلولي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال انطلق موسى وهارون وشبر وشبير فانطلقوا إلى سفح جبل فقام هارون على سرير فتوفاه الله عز وجل فلما رجع موسى إلى بني اسرائيل قالوا له أين هارون قال توفاه الله عز وجل قالوا أنت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه أو كلمة نحوها قال فاختاروا من شئتم قال فاختاروا سبعين رجلا قال فذلك قوله تعالى (واختار موسى قومه سبعين رجلا) فلما انتهوا اليه قالوا ياهارون من قتلك قال ما قتلني أحد ولكن توفاني الله قالوا ياموسى لن تعصى بعد اليوم فأخذتهم الرجفة قال فجعل موسى عليه السلام

الرجفة . قال وهب : لم تكن تلك الرجفة صوتاً ولكن القوم لما رأوا تلك الهيبة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت أن تبين منهم مفاصلهم ، فلما رأى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمأنوا وسمعوا كلام ربهم فذلك قوله عز وجل ﴿ قال ﴾ يعني موسى ﴿ رب لو

يرجع يمينا وشمالا وقال يارب (لوشئت أهلكتهم من قبل وإياى) أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) قال فأحياهم الله وجعلهم أنبياء كلهم هذا أثر غريب جداً وعمارة بن عبيد هذا لا أعرفه وقد رواه شعبة عن أبي اسحاق عن رجل من بني سلول عن علي فذكره

وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن جرير انهم أخذتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا قومهم في عبادتهم العجل ولانهوهم ويتوجه هذا القول بقول موسى (اتهلكنا بما فعل السفهاء منا) وقوله (ان هي الا فتنتك) أي ابتلاؤك واختبارك وامتحانك قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو العالية والربيع ابن أنس وغير واحد من علماء السلف والخلف، ولا معنى له غير ذلك، يقول إن الامر الا أمرك وان الحكم الا لك فما شئت كان. تضل من تشاء وتهدي من تشاء ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما اعطيت فالملك كله لك والحكم كله لك، لك الخلق والامر وقوله (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) الغفر هو الستر وترك المؤاخذة بالذنب. والرحمة اذا قرنت مع الغفر يراد بها أن لا يوقعه في مثله في المستقبل (وأنت خير الغافرين) أى لا يغفر الذنوب الا أنت (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة) الفصل الاول من الدعاء دفع المحذور وهذا لتحصيل المقصود (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة) أى أوجب لنا واثبت لنا فيهما حسنة، وقد تقدم تفسير الحسنة في سورة البقرة (انا هدنا اليك) أى تبنا ورجعنا وأنبنا اليك قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وأبو العالية والضحاك وابراهيم التيمي والسدى وقتادة وغير واحد وهو كذلك لغة، وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن شريك عن جابر عن عبد الله بن يحيى عن علي قال إنما سميت اليهود لانهم قالوا (إنا هدنا اليك) جابر بن يزيد الجعفي ضعيف

قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بأيتنا يؤمنون (١٥٦)

شئت أهلكتهم من قبل ﴾ يعني عند عبادة العجل ﴿ واياي ﴾ بقتل القبطي ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾ يعني عبدة العجل وظن موسى أنهم عوقبوا باتخاذ بني اسرائيل العجل وقال هذا على طريق السؤال يسأل أتهلكنا بفعل السفهاء، وقال المبرد قوله: أتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام استعطاف أي لا تهلكنا، وقد علم موسى عليه السلام أن الله أعدل من أن يأخذ بجريرة الجاني غيره، قوله تعالى ﴿ إن هي إلا فتنتك ﴾ أي التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا اختبارك وابتلاءك أضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك فذلك هو معنى قوله ﴿ تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا ﴾ ناصرنا وحافظنا ﴿ فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين * واكتب لنا ﴾ أوجب لنا ﴿ في هذه الدنيا حسنة ﴾ النعمة والعافية ﴿ وفي الآخرة ﴾ أي وفي الآخرة حسنة أي المغفرة والجنة ﴿ انا هدنا اليك ﴾ أي تبنا اليك ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ عذابي أصيب به من أشاء ﴾ من خلقي

يقول تعالى مجيباً لنفسه في قوله (ان هي الافتنتك) الآية قال (عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء) أى أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد ولي الحكمة والعدل في كل ذلك سبحانه لا إله إلا هو ، وقوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء) آية عظيمة الشمول والعموم كقوله تعالى اخبارا عن حملة العرش ومن حوله انهم يقولون (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما)

وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا الجريرى عن أبي عبد الله الجشمي حدثنا جندب هو ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال جاء أعرابي فأناخ راحلته ثم عقلها ثم صلى خلف رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ أتى راحلته فأطلق عقالها ثم ركبها ثم نادى اللهم ارحمني ومحمداً ولا تشرك في رحمتنا احداً فقال رسول الله ﷺ « أتقولون هذا أضل أم بعيره ألم تسمعوا ماقال ؟» قالوا بلى قال « لقد حظرت رحمة واسعة إن الله عز وجل خلق مائة رحمة فأنزل رحمة يتعاطف بها الخلق جنها وانسها وبهائمها وأخر عنده تسعا وتسعين رحمة أتقولون هو أضل أم بعيره ؟ » رواه احمد وأبو داود عن علي بن نصر عن عبد الصمد بن عبد الوارث به ، وقال احمد أيضا حدثنا يحيى ابن سعيد عن سليمان عن أبي عثمان عن سلمان عن النبي ﷺ قال « ان لله عز وجل مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق وبها تعطف الوحوش على أولادها وأخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة » تفرد باخراجه مسلم فرواه من حديث سليمان هو ابن طرخان وداود بن أبي هند كلاهما عن أبي عثمان واسمه عبد الرحمن بن مل عن سلمان هو الفارسي عن النبي ﷺ به ، وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ان الله مائة رحمة عنده تسعة وتسعون وجعل عندكم واحدة تتراحمون بها بين الجن والانس وبين الخلق فاذا كان يوم القيامة ضمها » اليه تفرد به أحمد من هذا الوجه وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ « لله مائة رحمة فقسم منها جزءا واحداً بين الخلق به يتراحم الناس والوحش والطير » ورواه ابن ماجه من حديث أبي معاوية عن الاعمش به ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن يونس حدثنا سعد أبو غيلان الشيباني عن حماد بن أبي سليمان عن ابراهيم عن صلة بن زفر عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الفاجر في دينه الاحمق

﴿ ورحمتي وسعت ﴾ أي عمت ﴿ كل شيء ﴾ قال الحسن وقتادة : وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيامة للمتقين خاصة ، قال عطية العوفي (وسعت كل شيء) ولكن لاتجب إلا للذين يتقون وذلك أن الكافرين يرزقون ويدفع عنهم بالمؤمنين لسعة رحمة الله للمؤمنين فيعيشون فيها ، فاذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه . قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن جريج : لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء ، قال ابليس أنا

في معيشته والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الذي قد محشته النار بذنبه والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتطاول لها ابليس رجاء أن تصيبه . هذا حديث غريب جدا وسعد هـذا لا لا أعرفه ،وقوله (فسأكتبها للذين يتقون) الآية يعني فساوجب حصول رحمتي منة مني واحسانا اليهم كاقال تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وقوله (للذين يتقون) أي سأجعلها المتصفين بهذه الصفات وهم أمة محمد ﷺ (الذين يتقون)أي الشرك والعظائم من الذنوب قوله (ويؤتون الزكاة) قيل زكاة النفوس وقيل الاموال ويحتمل أن تكون عامة لهما فان الآية مكية (والذين هم بآياتنا يؤمنون) أي يصدقون

الذين يتبعون الرسول النبيّ الاميّ الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التورىٰة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهٰهم عن المنكر ويحل لهم الطيبٰت ويحرم عليهم الخبٰئث ويضع عنهم إصرهم والاغلٰل التي كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه اولئك هم المفلحون (١٥٧)

(الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) وهـذه صفة محمد ﷺ فى كتب الانبياء بشروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته ولم تزل صـفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم . كما روى الامام أحمد حدثنا اسماعيل عن الجريري عن أبي صخر العقيلي حدثني رجل من الاعراب . قال جلبت حلوبة الى المدينة في حياة رسول الله ﷺ فلما فرغت من بيعي قلت لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه قال فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأجمل الفتيان وأحسنها فقال رسول الله ﷺ أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي؟ فقال برأسه هكذا أي لا فقال ابنه أي والذي أنزل التوراة انا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك وأني أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أنك رسول الله فقال « أقيموا اليهودي عن أخيكم » ثم تولى كفنه والصلاة عليه هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح عن أنس ، وقال الحاكم صاحب المستدرك أخبرنا محمد بن

من ذلك الشيء ، فقال الله سبحانه وتعالى ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ فتمناها اليهود والنصارى وقالوا نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن فجعلها الله لهذه الامة فقال ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الامي ﴾ الآية . قال نوف البكالي الحميري لما اختار موسى قومه سبعين رجلا قال الله تعالى لموسى : أجعل لكم الارض مسجداً وطهوراً تصلون حيث أدركتكم الصلاة إلا عند مرحاض أو حمام أو قبر ، وأجعل السكينة في قلوبكم وأجعلكم تقرءون التوراة عن ظهر قلوبكم يقرأها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير ، فقال ذلك موسى لقومه ، فقالوا لانريد

عبد الله بن اسحاق البغوي حدثنا ابراهيم بن الهيثم البلدي حدثنا عبد العزيز بن مسلم بن ادريس حدثنا عبدالله بن إدريس عن شرحبيل بن مسلمة عن أبي أمامة الباهلي عن هشام بن العاص الاموي قال بعثت أنا ورجل آخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فخرجنا حتى قدمنا الغوطة يعني غوطة دمشق فنزلنا على جبلة ابن الايهم الغساني فدخلنا عليه فاذا هو على سرير له فارسل الينا برسوله نكلمه فقلنا والله لا نكلم رسولا وانما بعثنا الى الملك فان أذن لنا كلمناه والا لم نكلم الرسول فرجع اليه الرسول فاخبره بذلك قال فأذن لنا فقال تكلموا فكلمه هشام بن العاص ودعاه الى الاسلام فاذا عليه ثياب سود فقال له هشام وما هذه التي عليك ؟ فقال لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام قلنا ومجلسك هذا والله لنأخذنه منك ولنأخذن ملك الملك الاعظم ان شاء الله أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ قال « لستم بهم بل هم قوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل فكيف صومكم؟ فاخبرناه فملىء وجهه سواداً فقال قوموا وبعث معنا رسولا الى الملك فخرجنا حتى إذا كنا قريبا من المدينة قال لنا الذي معنا إن دوابكم هذه لاتدخل مدينة الملك فان شئتم حملناكم على براذين وبغال قلنا والله لاندخل الا عليها فارسلوا الى الملك أنهم يأبون ذلك فأمرهم أن ندخل على رواحلنا فدخلنا عليها متقلدين سيوفنا حتى انتهينا الى غرفة له فانخنا في أصلها وهو ينظر الينا فقلنا لا إله الا الله والله أكبر فالله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق تصفقه الرياح . قال فأرسل الينا ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم وأرسل الينا أن ادخلوا فدخلنا عليه وهو على فراش له وعنده بطارقة من الروم وكل شيء في مجلسه أحمر وما حوله حمرة وعليه ثياب من الحمرة فدنونا منه فضحك فقال ما عليكم لو جئتموني بتحيتكم فيما بينكم؟ واذا عنده رجل فصيح بالعربية كثير الكلام فقلنا أن تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك وتحيتك التي تحيا بها لا يحل لنا أن نحييك بها قال كيف تحيتكم فيما بينكم ؟ قلنا السلام عليك قال فكيف تحيون ملككم ؟ قلنا بها قال فكيف يرد عليكم ؟ قلنا بهاء قال فما أعظم كلامكم ؟ قلنا لا إله الا الله والله اكبر فلما تكلمنا بها والله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه اليها قال فهذه الكلمة التي قلتموها حيث انتفضت الغرفة كلما قلتموها في بيوتكم تنفضت عليكم غرفكم قلنا لا ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك قال لوددت انكم كلما قلتم تنفض كل شيء عليكم وأني قد خرجت من نصف ملكي قلنا لم ؟ قال لانه كان أيسر

أن نصلي إلا في الكنائس ، ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا ، ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهور قلوبنا ، ولا نريد أن نقرأها إلا نظراً فقال الله تعالى (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة — إلى قوله — أولئك هم المفلحون) فجعلها الله لهذه الامة ، فقال موسى عليه السلام : يارب اجعلني منهم[1] فقال انك لن تدركهم ، فقال موسى عليه السلام : يارب أتيتك بوفد بني اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا ؟ فأنزل الله تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) فرضي موسى قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي) وهو محمد ﷺ. قال ابن عباس رضي الله عنهما : هو

(١) في النسخة الهندية نبيهم ١٢

لشأنها وأجدر أن لا تكون من أمر النبوة وأنها تكون من حيل الناس، ثم سألنا عما اراد فأخبرناه ثم قال كيف صلاتكم وصومكم؟ فأخبرناه فقال قوموا فأمر لنا بمنزل حسن ونزل كثير فأقمنا ثلاثا فأرسل الينا ليلا فدخلنا عليه فاستعاد قولنا فاعدناه ثم دعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح بيتا وقفلا فاستخرج حريرة سوداء فنشرناها فاذا فيها صورة حمراء وإذا فيها رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم أر مثل طول عنقه واذا ليست له لحية وإذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله فقال أتعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام وإذا هو أكثر الناس شعراً ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء وإذا فيها صورة بيضاء واذا له شعر كشعر القطط أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام، ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء وإذا فيها رجل شديد البياض حسن العينين صلت الجبين طويل الخد أبيض اللحية كأنه يبتسم فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا ابراهيم عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاذا فيه صورة بيضاء وإذا والله رسول الله ﷺ فقال أتعرفون هذا؟ قلنا نعم هذا محمد رسول الله ﷺ قال وبكينا قال والله يعلم أنه قام قائما ثم جلس، وقال والله إنه لهو قلنا نعم إنه لهم كانك تنظر اليه فامسك ساعة ينظر اليها ثم قال إما إنه كان آخر البيوت ولكني عجلته لكم لانظر ماعندكم ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فاذا فيها صورة أدماء سحماء، واذا رجل جعد قطط غائر العينين حديد النظر عابس متراكب الاسنان متقلص الشفة كانه غضبان فقال هل تعرفون هذا؟ فقلنا لا قال هذا موسى عليه السلام والى جنبه صورة تشبهه الا أنه مدهان الرأس عريض الجبين في عينيه قبل[1] فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا هارون بن عمران عليه السلام، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فاذا فيها صورة رجل آدم سبط ربعة كانه غضبان فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا لوط عليه السلام، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فاذا فيها صورة رجل ابيض مشرب حمرة أقنى خفيف العارضين حسن الوجه فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا اسحاق عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فاذا فيها صورة تشبه اسحاق إلا أنه على شفته خال فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا يعقوب عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة رجل أبيض حسن الوجه أقنى الانف حسن القامة يعلو وجهه نور يعرف في وجهه الخشوع يضرب الى الحمرة قال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا اسماعيل جد نبيكم ﷺ ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فاذا فيها صورة كصورة آدم كأن وجهه الشمس فقال هل تعرفون

(١) القبل بفتحتين إقبال سواد العين على الانف او مثل الحول او احسن منه او اقبال احدى الحدقتين على الاخرى او اقبالهما على عرض الانف أو على المحجر أو على الحاجب اه قاموس

نبيكم كان أميا لايكتب ولا يقرأ ولا يحسب وقال النبي ﷺ «انا أمة أمية لانكتب ولا نحسب» وهو منسوب إلى الام أي هو على ماولدته أمه، وقيل هو منسوب إلى أمته أصله أمتي وسقطت التاء في النسبة كما سقطت في المكي والمدني، وقيل هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة ﴿الذي يجدونه﴾ أي يجدون صفته ونعته ونبوته ﴿مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل﴾

هذا قلنا لا قال هذا يوسف عليه السلام ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فاذا فيها صورة رجل أحمر حمش الساقين أخفش العينين ضخم البطن ربعة متقلد سيفاً فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا قال هذا داود عليه السلام ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة رجل ضخم الاليتين طويل الرجلين راكب فرساً فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا قال هذا سليمان بن داود عليهما السلام ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء وإذا شاب شديد سواد اللحية كثير الشعر حسن العينين حسن الوجه فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا قال هذا عيسى بن مريم عليه السلام ، قلنا من أين لك هذه الصور لانا نعلم أنها على ما صورت عليه الانبياء عليهم السلام لانا رأينا صورة نبينا عليه السلام مثله فقال ان آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه الانبياء من ولده فأنزل عليه صورهم فكانت في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذوالقرنين من مغرب الشمس فدفعها الى دانيال ، ثم قال اما والله ان نفسي طابت بالخروج من ملكي واني كنت عبداً لأشركم ملكه حتى أموت ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرحنا فلما أتينا أبا بكر الصديق رضي الله عنه فحدثناه بما أرانا وبما قال لنا وما أجازنا قال فبكي أبو بكر . وقال مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل ثم قال أخبرنا رسول الله ﷺ انهم واليهود يجدون نعت محمد ﷺ عندهم ، وهكذا أورده الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتاب دلائل النبوة عن الحاكم اجازة فذكره واسناده لا بأس به .

وقال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا عثمان بن عمر حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال أجل والله انه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي اسمك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به قلوبا غلفا وآذانا صما وأعينا عميا . قال عطاء ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك فما اختلف حرفا إلا أن كعبا قال بلغته قال قلوبا غلوفيا وآذانا صموميا وأعينا عموميا وقد رواه البخاري في صحيحه عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال بن علي فذكر باسناده نحوه وزاد بعد قوله ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وذكر حديث عبدالله بن عمرو ثم قال ويقع في كلام

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال : أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن (ياأيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الاسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله

كثير من السلف اطلاق التوراة على كتب أهل الكتاب وقد ورد في بعض الاحاديث ما يشبه هذا والله أعلم ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا موسى بن هارون حدثنا محمد بن ادريس بن وراق بن الحميدي حدثنا محمد بن عمر بن ابراهيم من ولد جبير بن مطعم قال حدثتني أم عثمان بنت سعيد وهي جدتي عن أبيها سعيد بن محمد بن جبير عن أبيه محمد بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم قال خرجت تاجرا الى الشام فلما كنت بأدنى الشام لقيني رجل من أهل الكتاب فقال هل عندكم رجل نبيا قلت نعم قال هل تعرف صورته اذا رأيتها قلت نعم فأدخلني بيتا فيه صور فلم أر صورة النبي ﷺ فبينا أنا كذلك اذ دخل رجل منهم علينا فقال فيم أنتم فأخبرناه فذهب بنا الى منزله فساعة مادخلت نظرت الى صورة النبي ﷺ واذا رجل آخذ بعقب النبي ﷺ قلت من هذا الرجل القابض على عقبه قال انه لم يكن نبي الا كان بعده نبي الا هذا النبي فانه لانبي بعده وهذا الخليفة بعده واذا صفة أبي بكر رضي الله عنه ، وقال أبو داود حدثنا عمر بن حفص أبو عمر الضرير حدثنا حماد بن سلمة أن سعيد بن اياس الجريري أخبرهم عن عبد الله بن شقيق العقيلي عن الاقرع مؤذن عمر بن الخطاب قال بعثني عمر الى الاسقف فدعوته فقال له عمر هل تجدني في الكتاب قال نعم قال كيف تجدني قال أجدك قرنا فرفع عمر الدرة وقال قرن مه قال قرن حديد أمير شديد قال فكيف تجد الذي بعدي قال أجد خليفة صالحا غير أنه يؤثر قرابته قال عمر يرحم الله عثمان ثلاثا قال كيف تجد الذي بعده قال أجده صدأ حديد قال فوضع عمر يده على رأسه وقال يادفراه يادفراه قال ياأمير المؤمنين انه خليفة صالح ولكنه يستخلف حين يستخلف والسيف مسلول والدم مهراق وقوله تعالى (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) هذه صفة الرسول ﷺ في الكتب المتقدمة وهكذا كانت حاله عليه السلام

ويفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، تابعه عبد العزيز بن أبي سلمة . وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن ابن سلام أخبرنا الامام الحسين بن محمد القاضي أنا أبو العباس عبدالله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي أنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن بسطام أنا أبو لحسن أحمد بن سيار القرشي حدثنا عبدالله بن عثمان عن أبي حمزة عن الاعمش عن أبي صالح عن عبدالله بن ضمرة عن كعب قال : اني أجد في التوراة مكتوبا محمد رسول الله لافظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الاسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحامدون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يأتزرون على أنصافهم ويوضئون أطرافهم صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سواء مناديهم ينادي في جو السماء لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره بطابة ، وملكه بالشام

قوله تعالى ﴿ يأمرهم بالمعروف ﴾ أي بالايمان ﴿ وينهاهم عن المنكر ﴾ يعني عن الشرك ، وقيل المعروف الشريعة والسنة ، والمنكر مالا يعرف في شريعة ولا سنة . وقال عطاء : يأمرهم بالمعروف

لا يأمر الا بخير ولا ينهى الا عن شر كما قال عبد الله بن مسعود اذا سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا) فارعها سمعك فانه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه ، ومن أهم ذلك وأعظمه مابعثه الله به من الامر بعبادته وحده لاشريك له والنهي عن عبادة من سواه كما أرسل به جميع الرسل قبله كما قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال الامام أحمد حدثنا أبو عامر هو العقدى عبد الملك بن عمرو حدثنا سلمان هو ابن بلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبد الملك بن سعيد عن أبي حميد وأبي أسيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « اذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولا كم به واذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه » رواه الامام احمد رضي الله عنه باسناد جيد ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب ، وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي رضي الله عنه قال اذا سمعتم عن رسول الله ﷺ حديثا فظنوا به الذي هو أهدى والذي هو أهنأ والذي هو أتقى ثم رواه عن يحيى عن ابن سعيد عن مسعر عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي عبدالرحمن عن علي رضي الله عنه قال اذا حدثتم عن رسول الله ﷺ حديثا فظنوا به الذي هو أهداه وأهناه وأتقاه ، وقوله (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) أي يحل لهم ما كانوا حرموه على أنفسهم من البحائر والسوائب والوصائل والحام ونحو ذلك مما كانوا ضيقوا به على أنفسهم ويحرم عليهم الخبائث قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كلحم الخنزير والربا وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التي حرمها الله تعالى . قال بعض العلماء فكل ما أحل الله تعالى من المآكل فهو طيب نافع في البدن والدين وكل ماحرمه فهو خبيث ضار في البدن والدين وقد تمسك بهذه الآية الكريمة من يرى التحسين والتقبيح العقليين وأجيب عن ذلك بما لا يتسع هذا الموضع له وكذا احتج بها من ذهب من العلماء الى أن المرجع في حل المآكل التي لم ينص على تحليلها ولا تحريمها الى ما استطابته العرب في حال رفاهيتها وكذا في جانب التحريم الى ما استخبثته وفيه كلام طويل أيضا ، وقوله (ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم) أي انه جاء بالتيسير والسماحة كما ورد الحديث من طرق عن

بخلع الانداد ومكارم الاخلاق ، وصلة الارحام ، وينهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام ﴿ ويحل لهم الطيبات ﴾ يعني ماكانوا يحرمونه في الجاهلية من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿ ويحرم عليهم الخبائث ﴾ يعني الميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغيرها من المحرمات ﴿ ويضع عنهم اصرهم ﴾ قرأ ابن عامر آصارهم بالجمع والاصر كل مايثقل على الانسان من قول أو فعل . قال ابن عباس والحسن والضحاك والسدي ومجاهد : يعني العهد الثقيل كان أخذ على بني اسرائيل بالعمل بما في التوراة . وقال قتادة : يعني التشديد الذي كان عليهم في الدين ﴿ والاغلال ﴾ يعني الاثقال

رسول الله ﷺ أنه قال « بعثت بالحنيفية السمحة » وقال ﷺ لاميريه معاذ وأبي موسى الاشعري لما بعثهما الى اليمن « بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تختلفا » وقال صاحبه أبو برزة الاسلمي اني صحبت رسول الله ﷺ وشهدت تيسيره وقد كانت الامم التي قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم فوسع الله على هذه الامة أمورها وسهلها لهم ولهذا قال رسول الله ﷺ « ان الله تجاوز لأمتي ماحدثت به أنفسها مالم تقل أو تعمل » وقال « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ولهذا قال أرشد الله هذه الامة أن يقولوا (ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وثبت في صحيح مسلم ان الله تعالى قال بعد كل سؤال من هذه قد فعلت قد فعلت ، وقوله (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه) أي عظموه ووقروه وقوله (واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي القرآن والوحي الذي جاء به مبلغاً إلى الناس (أولئك هم المفلحون) أي في الدنيا والآخرة

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموٰت والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذى يؤمن بالله وكلمته واتبعوه لعلكم تهتدون (١٥٨)

يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ (قل) يامحمد (يا ايها الناس) وهذا خطاب للاحمر والاسود والعربي والعجمي (اني رسول الله اليكم جميعا) اي جميعكم وهذا من شرفه وعظمه ﷺ انه خاتم النبيين وأنه مبعوث الى الناس كافة كما قال الله تعالى (قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) وقال تعالى (ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده) وقال تعالى (وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ) والآيات في هذا كثيرة كما أن الاحاديث في هذا اكثر من أن تحصر وهو معلوم من دين الاسلام

﴿ التي كانت عليهم ﴾ وذلك مثل قتل الانفس في التوراة [١] وقطع الاعضاء الخاطئة ، وقرض النجاسة عن الثوب بالمقراض وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل في السبت ، وأن صلاتهم لاتجوز إلا في الكنائس وغير ذلك من الشدائد شبهت بالاغلال التي تجمع اليد إلى العنق ﴿ فالذين آمنوا به ﴾ أي بمحمد ﷺ ﴿ وعزروه ﴾ وقروه ﴿ ونصروه ﴾ على الاعداء ﴿ واتبعوا النور الذي أنزل معه ﴾ يعني القرآن ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾

قوله تعالى ﴿ قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا إله

(١) في الهندية: في التوبة

ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله الى الناس كلهم قال البخاري رحمه الله في تفسير هذه الآية حدثنا عبد الله حدثنا سليمان بن عبد الرحمن وموسى بن هارون قالا حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الله بن العلاء بن زيد حدثني بشر بن عبيد الله حدثني ابو ادريس الخولاني قال سمعت ابا الدرداء رضي الله عنه يقول: كانت بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما محاورة فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضبا فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه فأقبل ابو بكر الى رسول الله ﷺ فقال ابو الدرداء ونحن عنده فقال رسول الله ﷺ « اما صاحبكم هذا فقد غامر » أي غاضب وحاقد قال وندم عمر على ماكان منه فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ وقص على رسول الله ﷺ الخبر قال أبو الدرداء فغضب رسول الله ﷺ وجعل أبو بكر يقول والله يارسول الله لأنا كنت أظلم فقال رسول الله ﷺ « هل أنتم تاركو لي صاحبي؟ اني قلت يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت » انفرد به البخاري

وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس مرفوعا أن رسول الله ﷺ قال « أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي ولا أقوله فخراً بعثت إلى الناس كافة الاحمر والاسود ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً وأعطيت الشفاعة فأخرتها لامتي يوم القيامة فهي لمن لا يشرك بالله شيئا » اسناد جيد ولم يخرجوه وقال الامام احمد أيضاً حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا بكر بن مضر عن أبي الهاد عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك قام من الليل يصلى فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى انصرف اليهم فقال لهم « لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلي أما أنا فارسلت إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلي انما يرسل إلى قومه ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لملىء مني رعبا وأحلت لي الغنائم أكلها وكان من قبلي يعظمون أكلها كانوا يحرقونها وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت وكان من قبلي يعظمون ذلك انما كانوا يصلون في بيعهم وكنائسهم والخامسة هي ماهي قيل لي سل فان كل نبي قد سأل فأخرت مسألتي إلى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد أن لا إله الا الله » اسناد جيد قوي أيضاً ولم يخرجوه ، وقال أيضاً حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة » وهذا الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي الا دخل النار » وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا

إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ﴾ أي آياته وهي القرآن

أبو يونس وهو سليم بن جبير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة يهودي أو نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » تفرد به أحمد وقال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أعطيت خمسا بعثت الى الاحمر والاسود وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً واحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وليس من نبي إلا وقد سأل الشفاعة وإني قد اختبأت شفاعتي ثم جعلتها لمن مات من أمتي لم يشرك بالله شيئا » وهذا أيضا اسناد صحيح ولم أرهم خرجوه والله أعلم وله مثله من حديث ابن عمر بسند جيد أيضاً وهذا الحديث ثابت في الصحيحين أيضا من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً فايما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة » وقوله (الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت) صفة الله تعالى في قول رسول الله ﷺ « إن الذي أرسلني هو خالق كل شيء وربه ومليكه الذي بيده الملك والاحياء والاماتة وله الحكم » وقوله (فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي) أخبرهم أنه رسول الله اليهم ثم أمرهم باتباعه والايمان به (النبي الامي) أي الذي وعدتم به وبشرتم به في الكتب المتقدمة فانه منعوت بذلك في كتبهم ولهذا قال (النبي الامي) وقوله (الذي يؤمن بالله وكلماته) أي يصدق قوله عمله وهو يؤمن بما أنزل اليه من ربه (واتبعوه) أى اسلكوا طريقه واقتفوا أثره (لعلكم تهتدون) أي الى الصراط المستقيم

ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٥٩)

يقول تعالى مخبراً عن بني اسرائيل ان منهم طائفة يتبعون الحق ويعدلون به كما قال تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) وقال تعالى (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب) وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون اجرهم

وقال مجاهد والسدي : يعني عيسى ابن مريم ويقرأ (وكلمته ألقاها إلى مريم) ﴿ واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾

قوله عز وجل ﴿ ومن قوم موسى ﴾ يعني من بني اسرائيل ﴿ أمة ﴾ أي جماعة ﴿ يهدون بالحق ﴾ أي يرشدون ويدعون إلى الحق . وقيل معناه يهتدون ويستقيمون عليه ﴿ وبه يعدلون ﴾ أي بالحق يحكمون وبالعدل يقومون . قال الكلبي والضحاك والربيع : هم قوم خلف الصين بأقصى الشرق على

مرتين بما صبروا) الآية وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به) الآية وقال تعالى (ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا * ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) وقد ذكر ابن جرير في تفسيرها خبراً عجيبا فقال حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا حجاج عن ابن جريج قوله (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال بلغني ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله عز وجل أن يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمين يستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس فذلك قوله (وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا) ووعد الآخرة عيسى ابن مريم قال ابن جريج قال ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصفا وقال ابن عيينة عن صدقة أبي الهذيل عن السدي (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال قوم بينكم وبينهم نهر من شهد

وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمما وأوحينا إلى موسىٰ إذ استسقٰه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمٰم وأنزلنا عليهم المنّ والسلوى كلوا من طيبٰت ما رزقنٰكم وما ظلمونا ولٰكن كانوا انفسهم يظلمون (١٦٠) واذ قيل لهم اسكنوا هٰذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطّة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئٰتكم سنزيد المحسنين (١٦١) فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون (١٦٢)

نهر مجرى الرمل يسمى نهر أوداف ليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون لا يصل اليهم منا أحد وهم على دين الحق ، وذكر أن جبريل عليه السلام ذهب بالنبي ﷺ ليلة أسري به اليهم فكلمهم فقال لهم جبريل : هل تعرفون من تكلمون ؟ قالوا لا ، فقال لهم هذا محمد النبي الامي فآمنوا به ، فقالوا يارسول الله : إن موسى أوصانا أن من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه مني السلام ، فرد النبي ﷺ عليه وسلم على موسى وعليهم ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة وأمرهم بالصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت ، وقيل هم الذين أسلموا من اليهود في زمن النبي ﷺ والاول أصح

قوله عز وجل ﴿ وقطعناهم ﴾ أي فرقناهم يعني بني اسرائيل ﴿ اثنتي عشرة أسباطا أمما ﴾ قال

تقدم تفسير هذا كله في سورة البقرة وهي مدنية وهذا السياق مكي ونبهنا على الفرق بين هذا السياق وذاك بما أغنى عن اعادته هنا ولله الحمد والمنة

وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون (١٦٣)

هذا السياق هو بسط لقوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت) الآية يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه (واسألهم) أي واسأل هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في المخالفة وحذر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم لئلا يحل بهم ما حل باخوانهم وسلفهم وهذه القرية هي ايلة وهي على شاطىء بحر القلزم قال محمد بن اسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) قال هي قرية يقال لها ايلة بين مدين والطور وكذا

الفراء انما قال اثنتي عشرة والسبط مذكر لأنه قال أمما فرجع التأنيث إلى الامم . وقال الزجاج المعنى وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة أمما ، وانما قال أسباطا أمما بالجمع وما فوق العشرة لا يفسر بالجمع فلا يقال أتاني اثنا عشر رجالا لان الاسباط في الحقيقة نعت المفسر المحذوف وهو الفرقة ، أي وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة أمما وقيل فيه تقديم وتأخير تقديرها وقطعناهم أسباطا أمما اثنتي عشرة والاسباط القبائل واحدها سبط ، قوله تعالى ﴿ وأوحينا إلى موسى اذ استسقاه قومه ﴾ في التيه ﴿ أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست ﴾ انفجرت . وقال أبو عمرو بن العلاء : عرقت وهو الانبجاس ثم انفجرت ﴿ منه اثنتا عشرة عينا ﴾ لكل سبط عين ﴿ قد علم كل أناس ﴾ كل سبط ﴿ مشربهم ﴾ وكل سبط بنو أب واحد ، قوله تعالى ﴿ وظللنا عليهم الغمام ﴾ في التيه تقيهم حر الشمس ﴿ وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم ﴾ قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء وضمها وفتح الفاء ، وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الفاء ﴿ خطيئاتكم ﴾ قرأ ابن عامر خطيئتكم على التوحيد ورفع التاء ، وقرأ أبو عمرو خطاياكم ، وقرأ أهل المدينة ويعقوب خطيئاتكم بالجمع ورفع التاء ، وقرأ الآخرون بالجمع وكسر التاء ﴿ سنزيد المحسنين ، فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً ﴾ عذابا ﴿ من السماء بما كانوا يظلمون ﴾

قوله تعالى ﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ﴾ أي سل يامحمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك سؤال توبيخ وتقريع عن القرية التي كانت حاضرة البحر أي بقربه . قال ابن عباس : هي قرية يقال لها إيلة بين مدين والطور على شاطىء البحر . وقال الزهري : هي طبرية الشام

قال عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي وقال عبد الله بن كثير القاري، سمعنا أنها ايلة وقيل هي مدين وهو رواية عن ابن عباس وقال ابن زيد هي قرية يقال لها منتنا بين مدين وعينونا وقوله (اذ يعدون في السبت) أي يعتدون فيه ويخالفون أمر الله فيه لهم بالوصاة به اذذاك (اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) قال الضحاك عن ابن عباس أي ظاهرة على الماء وقال العوفي عن ابن عباس شرعا من كل مكان قال ابن جرير وقوله (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم) أي نختبرهم باظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده واخفائها عنهم في اليوم الحلال لهم صيده (كذلك نبلوهم) نختبرهم بما كانوا يفسقون) يقول بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله بما تعاطوا من الاسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام وقد قال الفقيه الامام أبو عبدالله بن بطة رحمه الله حدثنا احمد بن محمد بن سلم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » وهذا اسناد جيد فان أحمد بن محمد بن سلم هذا ذكره الخطيب في تاريخه ووثقه وباقي رجاله مشهورون ثقاة ويصحح الترمذي بمثل هذا الاسناد كثيراً

﴿ إذ يعدون في السبت ﴾ أي يظلمون فيه ويجاوزون أمر الله تعالى بصيد السمك ﴿ إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرّعا ﴾ أي ظاهرة على الماء كثيرة جمع شارع . وقال الضحاك : متتابعة ، وفي القصة أنها كانت تأتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان البيض ﴿ ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ﴾ قرأ الحسن يوم لا يسبتون بضم الياء أي لا يدخلون في السبت والقراءة المعروفة بنصب الياء ومعناه لا يعظمون السبت ﴿ كذلك نبلوهم ﴾ نختبرهم ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ فوسوس اليهم الشيطان وقال : إن الله لم ينهكم عن الاصطياد انما نهاكم عن الاكل فاصطادوا ، وقيل وسوس اليهم إنكم انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضاً على شاطىء البحر تسوقون الحيتان اليها يوم السبت ثم تأخذونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زماناً ثم تجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت إلا قد أحل لنا فأخذوا وأكلوا وباعوا فصار أهل القرية أثلاثا وكانوا نحواً من سبعين ألفاً ثلث نهوا وثلث لم ينهوا وسكتوا وقالوا : لم تعظون قوما الله مهلكهم ، وثلثهم أصحاب الخطيئة ، فلما لم ينتهوا قال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود فأصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا : إن لهم لشأناً لعل الخمر غلبتهم فتسوروا الجدار واسترقوا عليهم فاذا هم كلهم صاروا قردة وخنازير فعرفت القردة أنسابها من الانس ولم تعرف الانس أنسابها من القردة ، فجعلت القردة تأتي نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكي فيقول ألم ننهكم فتقول برأسها نعم ، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم

وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديداً؟ قالوا معذرة

إلى ربكم ولعلهم يتقون (١٦٤) فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا

الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون (١٦٥) فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا

قردة خاسئين (١٦٦)

يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا الى ثلاث فرق فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت كما تقدم بيانه في سورة البقرة وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت للمنكرة (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديداً) أي لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله فلا فائدة في نهيكم إياهم؟ قالت لهم المنكرة (معذرة الى ربكم) قرأ بعضهم بالرفع كأنه على تقدير هذا معذرة وقرأ آخرون بالنصب أي نفعل ذلك (معذرة الى ربكم) أي فيما أخذ علينا من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (ولعلهم يتقون) يقولون ولعل لهذا الانكار يتقون ماهم فيه ويتركونه ويرجعون الى الله تائبين فاذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم قال تعالى (فلما نسوا ماذكروا به) أي فلما أبى الفاعلون قبول النصيحة (أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا) أي ارتكبوا المعصية (بعذاب بئيس) فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين وسكت عن الساكتين لان الجزاء من جنس العمل فهم لا يستحقون مدحا فيمدحوا ولا ارتكبوا عظيما فيذموا ومع هذا فقد اختلف الائمة فيهم هل كانوا من الهالكين أو من الناجين على

قوله تعالى ﴿ وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم ؟ ﴾ اختلفوا في الذين قالوا هذا قيل كانوا من الفرقة الهالكة وذلك أنهم لما قيل لهم انتهوا عن هذا العمل السيء قبل أن ينزل بكم العذاب فانا نعلم أن الله منزل بكم بأسه إن لم تنتهوا أجابوا وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم ﴿ أو ﴾ علمتم أنه ﴿ معذبهم عذابا شديداً ؟ قالوا ﴾ أي قال الناهون ﴿ معذرة ﴾ أي موعظتنا معذرة ﴿ إلى ربكم ﴾ قرأ حفص معذرة بالنصب ، أي نفعل ذلك معذرة إلى ربكم والاصح أنها من قول الفرقة الساكتة للناهية قالوا: لم تعظون قوما الله مهلكهم ؟ قالوا معذرة إلى ربكم . ومعناه أن الامر بالمعروف واجب علينا ، فعلينا موعظة هؤلاء عذراً إلى الله ﴿ ولعلهم يتقون ﴾ أي يتقون الله ويتركون المعصية ، ولو كان الخطاب مع المعتدين لكان يقول (ولعلكم تتقون)

قوله تعالى ﴿ فلما نسوا ماذكروا به ﴾ أي تركوا ماوعظوا به ﴿ أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا ﴾ يعني الفرقة العاصية ﴿ بعذاب بئيس ﴾ أي شديد وجيع من البأس وهو الشدة واختلف القراء فيه ، قرأ أهل المدينة وابن عامر بئس بكسر الباء على وزن فعل إلا أن ابن عامر

قولين ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديداً) هي قرية على شاطيء البحر بين مصر و المدينة يقال لها إيلة فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم وكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعا في ساحل البحر فاذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها فمضى على ذلك ماشاء الله ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم فنهتهم طائفة وقالوا تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم ؟ فلم يزدادوا الا غيا وعتوا وجعلت طائفة أخرى تنهاهم فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاة تعلمون أن هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب (لم تعظون قوما الله مهلكهم) وكانوا أشد غضبا لله من الطائفة الاخرى فقالوا (معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون) وكل قد كانوا ينهون فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم والذين قالوا معذرة الى ربكم واهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة ، وروى العوفي عن ابن عباس عنه قريبا من هذا ، وقال حماد بن زيد عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في الآية قال ما أدرى أنجا الذين قالوا (لم تعظون قوما الله مهلكهم) أم لا ؟ قال فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا فكساني حلة ، وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج حدثني رجل عن عكرمة قال جئت ابن عباس يوما وهو يبكي وإذا المصحف في حجره فأعظمت أن أدنو منه ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست فقلت مايبكيك يا ابن عباس جعلني الله فداك ؟ قال فقال هؤلاء الورقات قال وإذا هو في سورة الاعراف قال تعرف إيلة ؟ قلت نعم قال فانه كان بها حي من اليهود سيقت الحيتان اليهم يوم السبت ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغوصوا بعد كد ومؤنة شديدة كانت تأتيهم يوم سبتهم شرعاً بيضاء سمانا كأنها الماخض تنتطح ظهورها لبطونها بأفنيتهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم إن الشيطان أوحى اليهم فقال انما نهيتم عن أكلها يوم السبت فخذوها فيه وكلوها في غيره من الايام فقالت ذلك طائفة منهم وقالت طائفة بل نهيتم عن اكلها وأخذها وصيدها يوم السبت فكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة فغدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها واعتزلت طائفة ذات اليمين وتنحت واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت وقال الأيمنون ويلكم الله الله ننهاكم أن تتعرضوا لعقوبة الله وقال الايسرون (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديداً) قال الايمنون (معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون) أي ينتهون ، إن ينتهوا فهو أحب الينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا وان لم ينتهوا فمعذرة الى ربكم فمضوا على الخطيئة وقال الايمنون فعلتم[1] يا أعداء الله والله لنأتينكم الليلة في مدينتكم والله مانراكم تصبحون حتى يصبحكم الله بخسف أو قذف أو بعض ماعنده من

(١) وفي الازهرية فقد فعلتم

يهمزه وأبو جعفر ونافع لايهمزان ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الباء وسكون الياء ، وفتح الهمزة على وزن فيعل مثل صيقل ، وقرأ الآخرون على وزن فعيل مثل بعير وصغير ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما نسمع الله يقول (أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس) فلا أدري مافعل بالفرقة الساكتة . قال عكرمة : قلت له جعلني الله فداك

العذاب فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا فلم يجابوا فوضعوا سلماً وأعلوا سور المدينة رجلا فالتفت اليهم فقال أي عباد الله قردة والله تعادى تعاوى لها أذناب قال ففتحوا فدخلوا عليهم فعرفت القرود أنسابها من الانس ولا تعرف الانس أنسابها من القردة فجعلت القرود يأتيها نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكي فيقول ألم ننهكم عن كذا فتقول برأسها أي نعم ثم قرأ ابن عباس (فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس) قال فأرى الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها ولا نقول فيها، قال قلت جعلني الله فداك ألا ترى انهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا (لم تعظون قوما الله مهلكهم؟) قال فأمر لي فكسيت ثوبين غليظين، وكذا روى مجاهد عنه ◼ وقال ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا أشهب بن عبد العزيز عن مالك قال زعم ابن رومان أن قوله تعالى (تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) قال كانت تأتيهم يوم السبت فاذا كان المساء ذهبت فلا يرى منها شيء الى يوم السبت الآخر فاتخذ لذلك رجل خيطا ووتداً فربط حوتا منها في الماء يوم السبت حتى إذا أمسوا ليلة الاحد أخذه فاشتواه فوجد الناس ريحه فأتوه فسألوه عن ذلك فجحدهم فلم يزالوا به حتى قال لهم فانه جلد حوت وجدناه فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ولا أدري لعله قال ربط حوتين فلما أمسى من ليلة الاحد أخذه فاشتواه فوجدوا رائحة فجاؤا فسألوه فقال لهم لو شئتم صنعتم كما أصنع فقالوا له وما صنعت؟ فأخبرهم ففعلوا مثل ما فعل حتى كثر ذلك وكانت لهم مدينة لها ربض يغلقونها عليهم فأصابهم من المسخ ما أصابهم فغدوا عليهم جيرانهم ممن كانوا حولهم يطلبون منهم ما يطلب الناس فوجدوا المدينة مغلقة عليهم فنادوا فلم يجيبوهم فتسوروا عليهم فاذا هم قردة فجعل القرد يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه ويتمسح به، وقد قدمنا في سورة البقرة من الآثار في خبر هذه القرية ما فيه مقنع وكفاية ولله الحمد والمنة

(القول الثاني) أن الساكتين كانوا من الهالكين قال محمد بن اسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال ابتدعوا السبت فابتلوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تر حتى السبت المقبل فاذا جاء السبت جاءت شرعا فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك ثم ان رجلا منهم أخذ

ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا (لم تعظون قوما الله مهلكهم) وإن لم يقل الله أنجيتهم لم يقل أهلكتهم فأعجبه قولي فرضي وأمر لي ببردين فكسانيهما وقال نجت الفرقة الساكتة. وقال يمان ابن رباب: نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون قوما، والذين قالوا معذرة إلى ربكم، وأهلك الذين أخذوا الحيتان وهذا قول الحسن. وقال ابن زيد: نجت الناهية وهلكت الفرقتان، وهذه أشد آية في ترك النهي عن المنكر

حوتا فخزم أنفه ثم ضرب له وتدا في الساحل وربطه وتركه في الماء ، فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون ولا ينهاه منهم أحد الا عصبة منهم نهوه حتى ظهر ذلك في الاسواق ففعل علانية قال فقالت طائفة للذين ينهونهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم) فقالوا نسخط أعمالهم (ولعلهم يتقون * فلما نسوا ما ذكروا به - الى قوله - قردة خاسئين) قال ابن عباس كانوا أثلاثا ثلث نهوا وثلث قالوا (لم تعظون قوما الله مهلكهم) وثلث أصحاب الخطيئة فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم، وهذا إسناد جيد عن ابن عباس ولكن رجوعه الى قول عكرمة في نجاة الساكتين أولى من القول بهذا لانه تبين حالهم بعد ذلك والله أعلم ، وقوله تعالى (وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس) فيه دلالة بالمفهوم على أن الذين بقوا نجوا وبئيس فيه قراآت كثيرة ومعنا في قول مجاهد الشديد ، وفي رواية أليم وقال قتادة موجع والكل متقارب والله أعلم ، وقوله (خاسئين) أي ذليلين حقيرين مهانين

وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيـمة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم (١٦٧)

(تأذن) تفعل من الاذان أي أعلم قال مجاهد وقال غيره أمر وفي قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة ، ولهذا اتبعت باللام في قوله (ليبعثن عليهم) أي على اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) أي بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه واحتيالهم على المحارم ويقال إن موسى عليه السلام ضرب عليهم الخراج سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وكان أول من ضرب الخراج ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكشدانيين والكلدانيين ثم صاروا الى قهر النصارى واذلالهم اياهم وأخذهم منهم الجزية والخراج ثم جاء الاسلام ومحمد ﷺ فكانوا تحت قهره وذمته يؤدون الخراج والجزية . قال العوفي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال هي المسكنة وأخذ الجزية منهم ، وقال علي بن أبي طلحة عنه هي الجزية والذي يسومهم سوء العذاب محمد رسول الله ﷺ وأمته الى يوم القيامة ، وكذا قال سعيد بن جبير وابن جريج والسدي وقتادة ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن سعيد بن المسيب قال يستحب أن تبعث الأنباط في

قوله تعالى ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه ﴾ قال ابن عباس أبوا أن يرجعوا عن المعصية ﴿ قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ مبعدين فمكثوا ثلاثة أيام ينظر بعضهم إلى بعض وينظر اليهم الناس ثم هلكوا ﴿ واذ تأذن ربك ﴾ أي آذن وأعلم ربك ، يقال تأذن وآذن مثل توعد وأوعد . وقال ابن عباس : تأذن ربك قال ربك ، وقال مجاهد أمر ربك ، وقال عطاء حكم ربك ﴿ ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة ﴾ أي على اليهود ﴿ من يسومهم سوء العذاب ﴾ بعث الله محمداً ﷺ وأمته يقاتلونهم حتى يسلموا أو

الجزية قلت : ثم آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصاراً للدجال فيقتلهم المسلمون مع عيسى بن مريم عليه السلام وذلك آخر الزمان ، وقوله (إن ربك لسريع العقاب) أي لمن عصاه وخالف شرعه (وانه لغفور رحيم) اي لمن تاب اليه وأناب وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة لئلا يحصل اليأس فيقرن تعالى بين الترغيب والترهيب كثيراً لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف

وقطعنٰهم في الأرض أمماً منهم الصّٰلحون ومنهم دون ذلك وبلونٰهم بالحسنٰت والسيئات لعلهم يرجعون (١٦٨) فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتٰب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثٰق الكتٰب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا مافيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون (١٦٩) والذين يمسكون بالكتٰب وأقاموا الصلوٰة إنّا لانضيع أجر المصلحين (١٧٠)

يذكر تعالى أنه فرقهم في الارض أمما أي طوائف وفرقا كما قال (وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً (منهم الصالحون ومنهم دون ذلك) أي فيهم الصالح وغير ذلك كقول الجن (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا) (وبلوناهم) أي اختبرناهم (بالحسنات والسيئات) أي بالرخاء والشدة، الرغبة والرهبة والعافية والبلاء (لعلهم يرجعون) ثم قال تعالى (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى) الآية يقول تعالى

يعطوا الجزية ﴿ إن ربك لسريع العقاب * وانه لغفور رحيم * وقطعناهم ﴾ فرقناهم ﴿ في الارض أمما ﴾ فرقا فرقهم الله فتشتت أمرهم فلم يجتمع لهم كلمة ﴿ منهم الصالحون ﴾ قال ابن عباس ومجاهد يريد الذين أدركوا رسول الله ﷺ وآمنوا به ﴿ ومنهم دون ذلك ﴾ يعني الذين بقوا على الكفر . وقال الكلبي (منهم الصالحون) هم الذين وراء نهر أو داف من وراء الصين (ومنهم دون ذلك) يعني من ههنا من اليهود ﴿ وبلوناهم بالحسنات ﴾ بالخصب والعافية ﴿ والسيئات ﴾ الجدب والشدة ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ لكي يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا

قوله تعالى ﴿ فخلف من بعدهم ﴾ أي جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم ﴿ خلف ﴾ والخلف القرن الذي يجيء بعد قرن . قال أبو حاتم : الخلف بسكون اللام الاولاد الواحد والجمع فيه سواء والخلف بفتح اللام البدل سواء كان ولداً أو غريباً . وقال ابن الاعرابي : الخلف بالفتح الصالح ، وبالجزم الطالح ، وقال النضر بن شميل الخلف بتحريك اللام واسكانها في القرن السوء واحد ،وأما في القرن الصالح فبتحريك اللام لاغير ، وقال محمد بن جرير أكثر ماجاء في المدح بفتح اللام وفي

فخلف من بعد ذلك الجيل الذين فيهم الصالح والطالح خلف آخر لاخير فيهم وقد ورثوا دراسة الكتاب وهو التوراة وقال مجاهد هم النصارى وقد يكون أعم من ذلك (يأخذون عرض هذا الأدنى) أي يعتاضون عن بذل الحق ونشره بعرض الحياة الدنيا ويسوفون أنفسهم ويعدونها بالتوبة وكلما لاح لهم مثل الاول وقعوا فيه ، ولهذا قال (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) وكما قال سعيد بن جبير يعملون الذنب ثم يستغفرون الله منه ويعترفون لله فان عرض ذلك الذنب أخذوه وقال مجاهد في قوله تعالى (يأخذون عرض هـذا الادنى) قال لايشرف لهم شيء من الدنيا الا أخذوه حلالا كان أو حراما ويتمنون المغفرة (ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) وقال قتادة في الآية أي والله لخلف سوء (ورثوا الكتاب) بعد انبيائهم ورسلهم أورثهم الله وعهد اليهم، وقال الله تعالى في آية أخرى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة) الآية قال (يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا) تمنوا على الله أماني وغرة يغترون بها (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) لا يشغلهم شيء عن شيء ولا ينهاهم شيء عن ذلك كلما هف لهم شيء من الدنيا أكلوه لايبالون حلالا كان أوحراما ، وقال السدي قوله (فخلف من بعدهم خلف) الى قوله ودرسوا مافيه قال كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى في الحكم وان خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لايفعلوا ولا يرتشوا فجعل الرجل منهم إذا استقضي ارتشى فيقال له ما شأنك ترتشي في الحكم ؟ فيقول سيغفر لي ،فتطعن عليه البقية الآخرون من بني اسرائيل فيما صنع فاذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه

الذم بتسكينها ، وقد يحرك في الذم ويسكن في المدح ﴿ ورثوا الكتاب ﴾ أي انتقل اليهم الكتاب من آبائهم وهو التوراة ﴿ يأخذون عرض هذا الادنى ﴾ العرض متاع الدنيا والعرض بسكون الراء ماكان من الاموال سوى الدراهم والدنانير وأراد بالادنى العالم وهو هذه الدار الفانيـة فهو تذكير الدنيا وهؤلاء اليهود ورثوا التوراة فقرؤها وضيعوا العمل بما فيها وخالفوا حكمها يرتشون في حكم الله وتبديل كلماته ﴿ ويقولون سيغفر لنا ﴾ ذنوبنا يتمنون على الله الاباطيل.أخبرنا محمد بن عبدالله بن ابي توبة انا طاهر محمد بن احمد بن الحارث انا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي انا عبدالله بن محمود انا ابراهيم بن عبدالله الخلال انا عبد الله بن المبارك عن ابي بكر بن ابي مريم الغساني عن ضمرة ابن جندب عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني »

﴿ وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴾هذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب يقول اذا أشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلالا كان أو حراما ويتمنون على الله المغفرة وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه . وقال السدي : كانت بنو اسرائيل لايستقضون قاضياً إلا ارتشى في الحكم فيقال له مالك ترتشي فيقول سيغفر لي فيطعن عليه الآخرون ، فاذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن

فيرتشي، يقول وان يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه قال الله تعالى (ألم يؤخذعليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله إلا الحق) الآية يقول تعالى منكراً عليهم في صنيعهم هذا مع ما أخذ عليهم الميثاق ليبينن الحق للناس ولا يكتمونه كقوله (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) الآية ، وقال ابن جريج قال ابن عباس (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله الا الحق) قال فيما يتمنون على الله من غفران ذنوبهم التي لايزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها ■ وقوله تعالى (والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون) يرغبهم في جزيل ثوابه ويحذرهم من وبيل عقابه أي وثوابي وما عندي خير لمن اتقى المحارم وترك هوى نفسه وأقبل على طاعة ربه (أفلا تعقلون) يقول أفليس لهؤلاء الذين اعتاضوا بعرض الدنيا عما عندي عقل يردعهم عما هم فيه من السفه والتبذير ■ ثم أثنى تعالى على من تمسك بكتابه الذي يقوده الى اتباع رسوله محمد ﷺ كما هو مكتوب فيه فقال تعالى (والذين يمسكون بالكتاب) أي اعتصموا به ، واقتدوا بأوامره ، وتركوا زواجره (وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين)

وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا مافيه لعلكم تتقون (١٧١)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (واذ نتقنا الجبل فوقهم) يقول رفعناه وهو قوله

كان يطعن عليه فيرتشي أيضاً ■ يقول وإن يأت الآخرين عرض مثله يأخذوه ﴿ألم يؤخذعليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله إلا الحق ﴾ أي أخذ عليهم العهد في التوراة أن لايقولوا على الله الباطل وهو تمني المغفرة مع الاصرار وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الاصرار ﴿ ودرسوا مافيه﴾ قرأوا مافيه فهم ذاكرون لذلك ولو عقلوه لعملوا للدار الآخرة. ودرس الكتاب قراءته وتدبره مرة بعد أخرى ﴿ والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ■ والذين يمسكون بالكتاب ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم يمسكون بالتخفيف وقراءة العامة بالتشديد لأنه يقال مسكت بالشيء ولا يقال أمسكت بالشيء انما يقال أمسكته ■ وقرأ أبيّ بن كعب (تمسكوا بالكتاب) على الماضي وهو جيد لقوله تعالى (وأقاموا الصلاة) إذ قل مايعطف ماض على مستقبل إلا في المعنى ، وأراد الذين يعملون بما في الكتاب قال مجاهد : هم المؤمنون من أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى فلم يحرفوه ، ولم يكتموه ، ولم يتخذوه مأكلة . وقال عطاء : هم أمة محمد ﷺ ﴿ وأقاموا الصلاة انا لانضيع أجر المصلحين ﴾

قوله تعالى ﴿ واذ نتقنا الجبل فوقهم ﴾ أي قلعنا وقال المؤرج قطعنا ، وقال الفراء علقنا ، وقيل

(ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) وقال سفيان الثوري عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعته الملائكة فوق رؤسهم وهو قوله (ورفعنا فوقهم الطور) وقال القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ثم سار بهم موسى عليه السلام الى الارض المقدسة وأخذ الالواح بعد ما سكت عنه الغضب وأمرهم بالذي أمر الله أن يبلغهم من الوظائف فثقلت عليهم وأبوا أن يقروا بها حتى نتق الله الجبل فوقهم (كأنه ظلة) قال رفعته الملائكة فوق رءوسهم رواه النسائي بطوله ، وقال سنيد بن داود في تفسيره عن حجاج بن محمد عن أبي بكر بن عبد الله قال هذا كتاب أتقبلونه بما فيه فان فيه بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم وما أمركم وما نهاكم؟ قالوا انشر علينا ما فيها فان كانت فرائضها وحدودها يسيرة قبلناها قال اقبلوها بما فيها قالوا لا حتى نعلم ما فيها كيف حدودها وفرائضها فراجعوه مرارا فأوحى الله الى الجبل فانقلع فارتفع في السماء حتى إذا كان بين رءوسهم وبين السماء قال لهم موسى الاترون ما يقول ربي عز وجل لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لارمينكم بهذا الجبل . قال فحدثني الحسن البصري قال لما نظروا الى الجبل خر كل رجل ساجداً على حاجبه الايسر ونظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من أن يسقط عليه فكذلك ليس اليوم في الارض يهودي يسجد الا على حاجبه الايسر يقولون هذه السجدة التي رفعت بها العقوبة قال أبو بكر فلما نشر الالواح فيها كتاب الله كتبه بيده لم يبق على وجه الارض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فليس اليوم يهودي على وجه الارض صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة الا اهتز ونغض لها رأسه أي حوّل كما قال تعالى (فسينغضون اليك رءوسهم) والله أعلم

وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غفلين (١٧٢) أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (١٧٣) وكذلك نفصّل الآيت ولعلهم يرجعون (١٧٤)

رفعنا ﴿ كأنه ظلة ﴾ قال عطاء سقيفة والظلة كل ما أظلك ﴿ وظنوا ﴾ علموا ﴿ أنه واقع بهم خذوا ﴾ أي وقلنا لهم خذوا ﴿ ما آتيناكم بقوة ﴾ بجد واجتهاد ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ واعملوا به ﴿ لعلكم تتقون ﴾ وذلك حين أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة فرفع الله على رؤسهم جبلا . قال الحسن : فلما نظروا إلى الجبل خرّ كل رجل منهم ساجداً على حاجبه الايسر ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من أن يسقط عليه ، ولذلك لا تجد يهوديا إلا ويكون سجوده على حاجبه الايسر

قوله تعالى ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾ الآية . أخبرنا أبو الحسن محمد

يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله الا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة» وفي رواية «على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال قال رسول الله ﷺ «يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم» وقال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنا يونس بن عبدالاعلى حدثنا ابن وهب أخبرني السري بن يحيى أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم عن الاسود بن سريع من بني سعد قال غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات قال فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد عليه ثم قال «مابال أقوام يتناولون الذرية» فقال رجل يارسول الله أليسوا أبناء المشركين فقال «ان خياركم أبناء المشركين الا أنها ليست نسمة تولد الا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها وينصرانها» قال الحسن ولقد قال الله في كتابه (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية، وقد رواه الامام أحمد عن اسماعيل بن علية عن يونس ابن عبيد عن الحسن البصري به، وأخرجه النسائي في سننه من حديث هشيم بن يونس بن عبيد عن الحسن قال حدثني الاسود بن سريع فذكره ولم يذكر قول الحسن البصري واستحضاره الآية عند ذلك، وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام وتمييزهم الى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربهم: قال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الارض من شيء أكنت مفتديا به قال فيقول نعم فيقول قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت الا أن تشرك بي» أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير يعني ابن حازم عن كلثوم ابن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «ان الله أخذ الميثاق من ظهر آدم

ابن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية، قال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها، فقال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل

عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا قال (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا — الى قوله — المبطلون) وقد روى هذا الحديث النسائي في كتاب التفسير من سننه عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة عن حسين بن محمد المروزي به ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد به الا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفا ، وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث حسين بن محمد وغيره عن جرير بن حازم عن كلثوم بن جبير به ، وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقد احتج مسلم بكلثوم ابن جبير هكذا قال ، وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فوقفه ، وكذا رواه اسماعيل بن علية ووكيع عن ربيعة بن كلثوم عن جبير عن أبيه به ، وكذا رواه عطاء بن السائب وحبيب بن أبي ثابت وعلي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس فهذا أكثر وأثبت والله أعلم ، وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن أبي هلال عن أبي حمزة الضبعي عن ابن عباس . قال أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر وهو في اذي من الماء ، وقال أيضاً حدثنا علي بن سهل حدثنا ضمرة بن ربيعة حدثنا أبو مسعود عن جرير قال مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام قال فقال ياجابر اذا أنت وضعت ابني في لحده فابرز وجهه وحل عنه عقدة فان ابني مجلس ومسؤل ففعلت به الذي أمر فلما فرغت قلت يرحمك الله عما يسئل ابنك من يسأله إياه قال يسأل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قلت ياأبا القاسم وماهذا الميثاق الذى أقر به في صلب آدم قال حدثني ابن عباس ان الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فاخذ منهم الميثاق أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاوتكفل لهم بالارزاق ثم اعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد من اعطى الميثاق يومئذ فمن ادرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الاول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقر به لم ينفعه الميثاق الاول ومن مات صغيرا قبل ان يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الاول على الفطرة فهذه الطرق كلها مما تقوي وقف هذا على ابن عباس والله اعلم

الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال رجل ففيم العمل يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الله عز وجل اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة ، واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار » قال أبو عيسى هذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر ، وقد ذكر بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا . قال مقاتل وغيره من أهل التفسير : إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون ، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنا عبد الرحمن بن الوليد حدثنا احمد بن أبي طيبة عن سفيان ابن سعيد عن الاجلح بن الضحاك عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم (ألست بربكم قالوا بلى)قالت الملائكة (شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) أحمد بن أبي طيبة هذا هو أبو محمد الجرجاني قاضي قومس كان أحد الزهاد أخرج له النسائي في سننه وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه وقال ابن عدي حدث بأحاديث كثيرة غرائب وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بن حمزة بن مهدي عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قوله وكذا رواه ابن جرير عن منصور به وهذا أصح والله أعلم

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا روح هو ابن عبادة حدثنا مالك وحدثنا اسحاق حدثنا مالك عن زيد بن أبي انيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) الآية فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال « إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال رجل يارسول الله ففيم العمل قال رسول الله ﷺ « اذا خلق الله العبد للجنة استعمله باعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار » وهكذا رواه أبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة والترمذي في تفسيرهما عن اسحاق بن موسى عن معن وابن أبي حاتم عن يونس ابن عبد الاعلى عن ابن وهب وابن جرير عن روح بن عبادة وسعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من رواية أبي مصعب الزبيري كلهم عن الامام مالك بن أنس

الذر فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم ألست بربكم قالوا بلى ، فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي وهم أصحاب اليمين ، وقال للسود هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال ، ثم أعادهم جميعا في صلبه فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء قال الله تعالى فيمن نقض العهد الاول (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) وقال بعض أهل التفسير إن أهل السعادة أقروا طوعا وقالوا بلى ، وأهل الشقاوة قالوه تقية وكرها وذلك معنى قوله (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرهاً) واختلفوا في موضع الميثاق . قال ابن عباس رضي الله عنه ببطن نعمان واد إلى جنب عرفة

وروي عنه أيضاً أنه بدهناء من أرض الهند وهو الموضع الذي هبط آدم عليه السلام عليه ،

به ، قال الترمذي وهذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع عمر كذا قاله أبو حاتم وأبو زرعة زاد أبو حاتم وبينهما نعيم بن ربيعة وهذا الذي قاله أبو حاتم رواه ابو داود في سننه عن محمد بن مصفى عن بقية عن عمر بن جعثم القرشي عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني عن نعيم بن ربيعة قال كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) فذكره وقال الحافظ الدارقطني وقد تابع عمر بن جعثم بن زيد بن سنان أبو فروة الرهاوي وقولهما أولى بالصواب من قول مالك والله أعلم قلت الظاهر أن الامام مالكا انما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عمداً لما جهل حال نعيم ولم يعرفه فانه غير معروف الا في هذا الحديث ولذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم ولهذا يرسل كثيراً من المرفوعات ويقطع كثيراً من الموصولات والله أعلم

﴿حديث آخر﴾ قال الترمذي عند تفسيره هذه الآية حدثنا عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه قال أي رب من هذا قال هذا رجل من آخر الامم من ذريتك يقال له داود قال رب وكم جعلت عمره قال ستين سنة قال أي رب قد وهبت له من عمري أربعين سنة فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أولم يبق من عمري أربعون سنة قال أو لم تعطها ابنك داود قال فجحد آدم فجحد ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته وخطيء آدم فخطئت ذريته » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ورواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين به وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدث عن عطاء بن يسار عن

وقال الكلبي بين مكة والطائف ، وقال السدي أخرج الله آدم عليه السلام من الجنة فلم يهبطه من السماء ، ثم مسح ظهره فأخرج ذريته ، وروي أن الله أخرجهم جميعاً وصورهم وجعل لهم عقولا يعلمون بها ، وألسنا ينطقون بها ، ثم كلمهم قبلا ، يعني عيانا وقال ألست بربكم ، وقال الزجاج وجائز أن يكون الله تعالى جعل لامثال الذر فهما تعقل به كما قال تعالى (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) وروي أن الله تعالى قال لهم جميعاً اعلموا أنه لا إله غيري وأنا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئاً فاني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي ، واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ، ومنزل عليكم كتباً فتكلموا جميعاً وقالوا : شهدنا أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك فأخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم فرأى منهم الغني والفقير ، وحسن الصورة ودون

أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فذكر نحو ماتقدم إلى أن قال «ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك وإذا فيهم الاجذم والابرص والاعمى وأنواع الاسقام فقال آدم يارب لم فعلت هذا بذريتي قال كي تشكر نعمتي وقال آدم يارب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نوراً قال هؤلاء الانبياء يا آدم من ذريتك» ثم ذكر قصة داود كنحو ماتقدم

﴿ حديث آخر ﴾ قال عبد الرحمن بن قتادة النضري عن أبيه عن هشام ابن حكيم رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال يارسول الله اتبدأ الاعمال أم قد قضي القضاء ؟ قال فقال رسول الله ﷺ « إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم اشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه ثم قال هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عنه

﴿ حديث آخر ﴾ روى جعفر بن الزبير وهو ضعيف عن القاسم عن أبي امامة قال " " رسول الله ﷺ « لما خلق الله الخلق وقضى القضية أخذ أهل اليمين بيمينه وأهل الشمال بشماله فقال يا أصحاب اليمين فقالوا لبيك وسعديك قال الست بربكم ؟ قالوا بلى قال يا أصحاب الشمال قالوا لبيك وسعديك قال الست بربكم ؟ قالوا بلى ثم خلط بينهم فقال قائل له يارب لم خلطت بينهم قال لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ثم ردهم في صلب آدم» رواه ابن مردويه

« أثر آخر » قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن ابي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) الآيات قال فجمعهم له يومئذ جميعا ماهو كائن منه إلى يوم القيامة فجعلهم في صورهم ثم استنطقهم فتكلموا واخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى) الآية قال فاني أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع

ذلك فقال رب لولا سويت بينهم ، قال اني أحب أن أشكر ، فلما قررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم إلى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه فذلك قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم) أي من ظهور بني آدم ذريتهم : قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وابن عامر ذرياتهم بالجمع وكسر التاء ، وقرأ الآخرون ذريتهم على التوحيد ونصب التاء ، فان قيل معنى قوله (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم) وانما أخرجهم من ظهر آدم ، قيل إن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو مايتوالد الابناء من الآباء في الترتيب فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره

قوله تعالى ﴿ واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ أي أشهد بعضهم على بعض ، قوله ﴿ شهدنا أن تقولوا ﴾ قرأ أبو عمرو أن يقولوا أو يقولوا بالياء فيهما ، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما ، واختلفوا في قوله (شهدنا) قال السدي هو خبر من الله عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على اقرار

وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئا واني سأرسل اليكم رسلا لينذرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي قالوا نشهد انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك فأقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر اليهم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال يارب لو سويت بين عبادك قال اني أحببت ان اشكر ورأى فيهم الانبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذي يقول تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) الآية وهو الذي يقول فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله الآية ومن ذلك قال (هذا نذير من النذر الاولى) ومن ذلك قال (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الآية رواه عبد الله ابن الامام احمد في مسند أبيه ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه في تفاسيرهم من رواية ابن جعفر الرازي به وروى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد من علماء السلف سياقات توافق هذه الاحاديث اكتفينا بايرادها عن التطويل في تلك الآثار كلها وبالله المستعان فهذه الاحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة وأهل النار وأما الاشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو الا في حديث كلثوم بن جبير عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس وفي حديث عبد الله بن عمرو وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان كما تقدم ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف ان المراد بهذا الاشهاد انما هو فطرهم على التوحيد كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار المجاشعي ومن رواية الحسن البصري عن الاسود بن سريع وقد فسر الحسن الآية بذلك قالوا ولهذا قال (وإذ أخذ ربك من بني آدم) ولم يقل من آدم (من ظهورهم) ولم يقل من ظهره (ذرياتهم) أي جعل نسلهم جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن كقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) وقال (ويجعلكم خلفاء الارض) وقال (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) ثم قال (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) أي أوجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالا وقال والشهادة تارة تكون بالقول كقوله (قالوا شهدنا على أنفسنا) الآية وتارة تكون حالا

بني آدم . وقال بعضهم هو خبر عن قول بني آدم أشهد الله بعضهم على بعض فقالوا بلى شهدنا ، وقال الكلبي ذلك من قول الملائكة وفيه حذف تقديره لما قالت الذرية بلى قال الله للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا ، قوله (ان يقولوا) يعني وأشهدهم على أنفسهم أن يقولوا ، أي لئلا يقولوا ، أو كراهية أن يقولوا ، ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام أخاطبكم ألست بربكم لئلا تقولوا ﴿ يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ﴾ أي عن هذا الميثاق والاقرار . فان قيل كيف يلزم الحجة واحد لا يذكر الميثاق ، قيل قد أوضح الله الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما أخبروا . فمن أنكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة ، وبنسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق صاحب المعجزة قوله ﴿ أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ﴾ يقول انما أخذ الميثاق عليكم لئلا

كقوله تعالى (ما كان المشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك وكذا قوله تعالى (وإنه على ذلك لشهيد) كما أن السؤال تارة يكون بالمقال وتارة يكون بالحال كقوله (وآتاكم من كل ما سألتموه) قالوا: ومما يدل على أن المراد بهذا هذا ان جعل هذا الاشهاد حجة عليهم في الاشراك فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه فان قيل إخبار الرسول ﷺ به كاف في وجوده فالجواب أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ماجاءتهم به الرسل من هذا وغيره ، وهذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الاقرار بالتوحيد ولهذا قال(أن تقولوا) أي لئلا تقولوا يوم القيامة (إنا كنا عن هذا) أي التوحيد(غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا) الآية

واتل عليهم نبأ الذي آتينٰه آيٰتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطٰن فكان من الغٰوين (١٧٥) ولو شئنا لرفعنٰه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هوٰه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذٰلك مثل القوم الذين كذبوا بأيٰتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (١٧٦) ساء مثلا القوم الذين كذبوا بأيٰتنا وأنفسهم كانوا يظلمون (١٧٧)

قال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن الاعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية قال هو رجل من بني اسرائيل يقال له بلعم بن باعوراء وكذا رواه شعبة وغير واحد عن منصور به وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس هو صيفي بن الراهب قال قتادة وقال

تقولوا أيها المشركون انما أشرك آباؤنا من قبل ونقضوا العهد وكنا ذرية من بعدهم ، أي كنا أتباعا لهم فاقتدينا بهم فتجعلوا هذا عذراً لأنفسكم وتقولوا ﴿ أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ أفتعذبنا بجناية آبائنا المبطلين فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق على التوحيد ﴿ وكذلك نفصل الآيات ﴾ أي نبين الآيات ليتدبرها العباد ﴿ ولعلهم يرجعون ﴾ من الكفر إلى التوحيد

قوله تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ الآية اختلفوا فيه . قال ابن عباس : هو بلعم بن باعوراء ، وقال مجاهد بلعام بن باعور ، وقال عطية عن ابن عباس كان من بني اسرائيل ، وروي عن علي بن أبي طلحة رضي الله عنه أنه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة بلقا وكانت قصته على ماذكره ابن عباس وابن اسحاق والسدي وغيرهم أن موسى لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم إلى بلعم وكان

كعب كان رجلا من أهل البلقاء وكان يعلم الاسم الاكبر وكان مقيما ببيت المقدس مع الجبارين وقال العوفي عن ابن عباس هو رجل من أهل اليمن يقال له بلعم آتاه الله آياته فتركها

وقال مالك بن دينار كان من علماء بني اسرائيل وكان مجاب الدعوة يقدمونه في الشدائد بعثه نبي الله موسى إلى ملك مدين يدعوه إلى الله فاقطعه وأعطاه فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام وقال سفيان بن عيينة عن حصين عن عمران بن الحارث عن ابن عباس هو بلعم بن باعوراء وكذا قال مجاهد وعكرمة وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا اسرائيل عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال هو بلعام وقالت ثقيف هو أمية بن أبي الصلت وقال شعبة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو في قوله (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آيتنا) الآية قال هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت وقد روي من غير وجه عنه وهو صحيح اليه وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبهه فانه كان قد اتصل اليه علم كثير من علم الشرائع المتقدمة ولكنه لم ينتفع بعلمه فانه أدرك زمان رسول الله ﷺ وبلغته اعلامه وآياته ومعجزاته وظهرت لكل من له بصيرة ومع هذا اجتمع به ولم يتبعه وصار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتداحهم ورثى أهل بدر من المشركين بمرثاة بليغة قبحه الله وقد جاء في بعض الاحاديث أنه ممن آمن لسانه ولم يؤمن قلبه فان له أشعاراً ربانية وحكما وفصاحة ولكنه لم يشرح الله صدره للاسلام وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن أبي نمر حدثنا سفيان عن أبي سعيد الاعور عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) قال هو رجل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن وكانت له امرأة له منها ولد فقالت اجعل لي منها واحدة قال لك واحدة فما الذي تريدين ؟ قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل ، فدعا الله فجعلها أجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه وأرادت

عنده اسم الله الاعظم فقالوا إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير وانه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني اسرائيل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع الله أن يردهم عنا ، فقال ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم ، واني إن فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي فراجعوه وألحوا عليه فقال حتى أوامر ربي وكان لا يدعوه حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فآمر في الدعاء عليهم ، فقيل له في المنام لا تدع عليهم ، فقال لقومه اني قد آمرت ربي واني قد نهيت فأهدوا اليه هدية فقبلها ، ثم راجعوه فقال حتى أوامر ربي فآمر فلم يوح اليه شيء فقال : قد آمرت فلم يوح إلي شيء ، فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الاولى فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب أتانا له الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرائيل يقال له حسبان فلما سار عليه غير كثير ربضت به فنزل عنها فضربها حتى اذا أذلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت وضربها حتى اذا

شيئا آخر فدعا الله أن يجعلها كلبة فصارت كلبة فذهبت دعوتان فجاء بنوها فقالوا ليس بنا على هذا قرار قد صارت أمنا كلبة يعيرنا الناس بها فادع الله أن يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلاث وتسمى البسوس غريب ، وأما المشهور في سبب نزول هذه الآية الكريمة فانما هو رجل من المتقدمين في زمن بني اسرائيل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعام وكان يعلم اسم الله الاكبر ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره من علماء السلف كان مجاب الدعوة ولا يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه وأغرب بل أبعد بل أخطأ من قال كان قد أوتي النبوة فانسلخ منها حكاه ابن جرير عن بعضهم ولا يصح ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لما نزل موسى بهم يعني بالجبارين

أذلقها أذن الله لها بالكلام فكلمته حجة عليه فقالت : ويحك يابلعم أين تذهب ألا ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا ، أتذهب بي الى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيلها فانطلقت حتى اذا أشرفت على جبل حسبان جعل يدعو عليهم ولا يدعو بشيء إلا صرف الله لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف الله لسانه إلى بني اسرائيل ، فقال له قومه يابلعم أتدري ماذا تصنع انما تدعو لهم وتدعو علينا ، فقال هذا مالا أملكه هذا شيء قد غلب الله عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم : قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة فلم يبق إلا المكر والحيلة فسأمكر لكم واحتال جملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعنها فيه ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانهم إن زنا رجل واحد منهم كفيتموهم ففعلوا ، فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كشتي بنت صور برجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام اليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى فقال : اني أظنك ستقول هذه حرام عليك ؟ قال أجل هي حرام عليك لاتقربها ، قال فوالله لاأطيعك في هذا ثم دخل بها قبته فوقع عليها فأرسل الله الطاعون على بني اسرائيل في الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى وكان رجلا قد أعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش ، وكان غائبا حين صنع زمري بن شلوم ماصنع فجاء والطاعون يجوس بني اسرائيل فأخبر الخبر فاخذ حربته وكانت من حديد كلها ، ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة إلى لحييه وكان بكر العيزار وجعل يقول : اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من هلك من بني اسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفا في ساعة من النهار ، فمن هنالك يعطى بنو اسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القبة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذه إياها

ومن معه أتاه يعني بلعم أتاه بنو عمه وقومه فقالوا ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه إن يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه، قال إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله ماكان عليه فذلك قوله تعالى (فانسلخ منها فأتبعه الشيطان) الآية، وقال السدي لما انقضت الاربعون السنة التي قال الله (فانها محرمة عليهم أربعين سنة) بعث يوشع بن نون نبيا فدعا بني اسرائيل فأخبرهم أنه نبي وأن الله أمره أن يقاتل الجبارين فبايعوه وصدقوه وانطلق رجل من بني اسرائيل يقال له بلعام فكان عالمًا يعلم الاسم الاعظم المكتوم فكفر لعنه الله وأتى الجبارين وقال لهم لاترهبوا بني اسرائيل فاني إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوة فيهلكون وكان عندهم فيما شاء من الدنيا غير أنه كان لايستطيع أن يأتي النساء لعظمهن فكان

بذراعه واسناده إياها إلى لحيته والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لانه كان بكر العيزار ، وفي بلعام أنزل الله تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا) الآية، وقال مقاتل إن ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى فقال انه من أهل ديني لاأدعو عليه فنحت خشبة ليصلبه ، فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه، فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها فقالت لم تضربني؟ اني مأمورة وهذه نار أمامي قد منعتني أن أمشي فرجع فأخبر الملك فقال: لتدعون عليه أو لأصلبنك، فدعا على موسى بالاسم الاعظم أن لايدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو اسرائيل في التيه بدعائه ، فقال موسى: يارب بأي ذنب وقعنا في التيه؟ فقال بدعاء بلعام ، قال فكما سمعت دعاءه عليّ فاسمع دعائي عليه، فدعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان [1] فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها فخرجت منه صورة كحمامة بيضاء فذلك قوله (فانسلخ منها) وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وليث بن سعد: نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي وكانت قصته أنه كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولا فرجا أن يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل محمد ﷺ حسده وكفر به وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة، وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مرّ على قتلى بدر فسأل عنهم ، فقيل قتلهم محمد، فقال لو كان نبيًا ماقتل أقرباءه ، فلما مات أمية أتت أخته فازعة إلى رسول الله ﷺ فسألها رسول الله ﷺ عن وفاة أخيها فقالت بينما هو راقد أتاه آتيان فكشفا سقف البيت فنزلا فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعي قال وعي، قال أزكي قال أبى، قالت فسألته عن ذلك فقال: خير أريد بي فصرف عني فغشي عليه فلما أفاق قال شعرًا

كل عيش وإن تطاول دهرًا صائر مرة إلى أن يزولا

ليتني كنت قبل ماقد بدا لي في قلال الجبال أرعى الوعولا

إن يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

[1] ماكان لنبي أن يدعو على أحد بسلب الايمان لأنه رضي بالكفر فهذه رواية إسرائيلية باطلة

ينكح أتانا له وهو الذي قال الله تعالى (فانسلخ منها) وقوله تعالى (فاتبعه الشيطان) أي استحوذ عليه وعلى أمره فمهما أمره امتثل وأطاعه ولهذا قال (فكان من الغاوين) أي من الهالكين الحائرين البائرين وقد ورد في معنى هذه الآية حديث رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حيث قال حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا محمد بن بكر عن الصلت بن بهرام حدثنا الحسن حدثنا جندب البجلي في هذا المسجد أن حذيفة يعني بن اليمان رضي الله عنه حدثه قال قال رسول الله ﷺ « إن مما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رؤيت بهجته عليه وكان رداؤه الاسلام اعتراه الى ماشاء الله انسلخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك » قال قلت يانبي الله أيهما أولى بالشرك المرمي أو الرامي؟ قال « بل الرامي » هذا اسناد جيد والصلت بن بهرام كان من ثقات الكوفيين ولم يرم بشيء سوى الارجاء وقد وثقه الامام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما

وقوله تعالى (ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه) يقول تعالى (ولو شئنا لرفعناه بها) أي لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناه إياها (ولكنه أخلد الى الارض) أي مال الى زينة الحياة الدنيا وزهرتها وأقبل على لذاتها ونعيمها وغرته كما غرت غيره من غير

ثم قال لها رسول الله ﷺ « أنشديني من شعر أخيك » فأنشدته بعض قصائده ، فقال لها رسول الله ﷺ « آمن شعره ، وكفر قلبه » فأنزل الله عز وجل فيه (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية ، وفي رواية عن ابن عباس أنها نزلت في البسوس رجل من بني اسرائيل وكان قد أعطي له ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امرأة له منها ولد فقالت اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدين ؟ قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل فدعا لها فجعلت أجمل النساء في بني اسرائيل ، فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الزوج ودعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها وقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت أمنا كلبة نباحة والناس يعيروننا بها ادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات كلها والقولان الاولان أظهر ، وقال الحسن وابن كيسان نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم ، وقال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله فذلك قوله (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا) قال ابن عباس والسدي اسم الله الاعظم ، قال ابن زيد كان لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ، وقال ابن عباس في رواية أخرى أوتي كتابا من كتب الله (فانسلخ) أي خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها ﴿ فأتبعه الشيطان ﴾ أي لحقه وأدركه ﴿ فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ﴾ أي رفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات . وقال ابن عباس رضي الله عنهما لرفعناه بعلمه بها ، وقال مجاهد وعطاء لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالآيات ﴿ ولكنه أخلد إلى الارض ﴾ أي سكن إلى الدنيا ومال اليها ، قال

أولى البصائر والنهى . وقال أبو الراهويه في قوله تعالى (ولكنه اخلد الى الارض) قال تراءى له الشيطان على علوة من قنطرة بانياس فسجدت الحمارة لله وسجد بلعام للشيطان ، وكذا قال عبد الرحمن بن جبير بن نفير وغير واحد، وقال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله وكان من قصة هذا الرجل ماحدثنا محمد بن عبد الاعلى حدثنا المعتمر عن أبيه أنه سئل عن هذه الآية (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا) فحدث عن سيار أنه كان رجلا يقال له بلعام وكان مجاب الدعوة قال وان موسى أقبل في بني اسرائيل يريد الارض التي فيها بلعام أو قال الشام قال فرعب الناس منه رعباً شديداً فأتوا بلعام فقالوا ادع الله على هذا الرجل وجيشه قال حتى أؤامر ربي أو حتى أؤامر قال فآمر في الدعاء عليهم فقيل له لاتدع عليهم فانهم عبادي وفيهم نبيهم قال فقال لقومه إني قد آمرت ربي في الدعاء عليهم واني قد نهيت فأهدوا له هدية فقبلها ثم راجعوه فقالوا ادع عليهم فقال حتى أؤامر ربي فآمر فلم يأمره بشيء فقال قد وامرت فلم يأمرني بشيء فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك المرة الاولى قال فأخذ يدعو عليهم فاذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه وإذا أراد أن يدعو أن يفتح لقومه دعا أن يفتح لموسى وجيشه أو نحوا من ذلك إن شاء الله قال فقالوا ما نراك تدعو إلا علينا قال ما يجري على لساني الا هكذا ولو دعوت عليه أيضاً ما استجيب لي ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم، ان الله يبغض الزنا وإنهم ان وقعوا في الزنا هلكوا ورجوت أن يهلكهم الله فاخرجوا النساء تستقبلهم فانهم قوم مسافرون فعسى أن يزنوا فيهلكوا قال ففعلوا فأخرجوا النساء تستقبلهم قال وكان للملك ابنة فذكر من عظمها ما الله أعلم به قال فقال أبوها أو بلعام لاتمكني نفسك الا من موسى قال ووقعوا في الزنا قال فأتاها رأس سبط من أسباط بني اسرائيل فأرادها على نفسها فقالت ما أنا بممكنة نفسي الا من موسى فقال ان منزلتي كذا وكذا وان من حالي كذا وكذا فأرسلت الى أبيها تستأمره قال فقال لها مكنيه قال ويأتيهما رجل من بني هارون ومعه الرمح فيطعنهما قال وايده الله بقوة فانتظمهما جميعاً ورفعهما على رمحه فرآهما الناس - أو كما حدث - قال وسلط الله عليهم

الزجاج خلد وأخلد واحد وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام ، يقال أخلد فلان بالمكان اذا أقام به الارض ههنا عبارة عن الدنيا لان مافيها من القفار والرباع كلها أرض وسائر متاعها مستخرج من الارض ﴿ واتبع هواه ﴾ انقاد لما دعاه الهوى ، قال ابن زيد كان هواه مع القوم ، قال عطاء أراد الدنيا وأطاع شيطانه وهذه أشد آية على العلماء . وذلك أن الله أخبر أنه آتاه آياته من اسمه الاعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه والانسلاخ عنها ومن الذي يسلم من هاتين الخلتين إلا من عصمه الله

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا محمد بن احمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود أنا ابراهيم بن عبدالله الخلال أنا عبدالله بن المبارك عن زكريا بن أبي

الطاعون فمات منهم سبعون الفاً .قال أبو المعتمر فحدثني سيار أن بلعامار كب حمارة له حتى أتى المعلولى أو قال طريقاً من المعلولى جعل يضربها ولا تتقدم وقامت عليه فقالت علام تضربني ؟ أما ترى هذا الذي بين يديك؟ فاذا الشيطان بين يديه قال فنزل وسجد له قال الله تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها — الى قوله — لعلهم يتفكرون) قال فحدثني بهذا سيار ولا أدري لعله قد دخل فيه شيء من حديث غيره(قلت)هو بلعام ويقال بلعم بن باعوراء ويقال ابن ابر ، ويقال ابن باعور بن شهتوم بن قوشتم بن ماب بن لوط بن هاران ويقال ابن حران بن آزر وكان يسكن قرية من قرى البلقاء قال ابن عساكر : وهو الذي كان يعرف اسم الله الاعظم فانسلخ من دينه له ذكر في القرآن ثم أورد من قصته نحوا مما ذكرنا ههنا أورده عن وهب وغيره والله أعلم ، وقال محمد بن اسحق بن سيار عن سالم أبي النضر أنه حدث أن موسى عليه السلام لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام اليه فقالوا له هذا موسى بن عمران في بني اسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني اسرائيل وانا قومك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع الله عليهم قال ويلكم نبي الله معه الملائكة والمؤمنون كيف أذهب ادعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم ؟قالوا له مالنا من منزل فلم يزالو به يرفقونه ويتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب حمارة له متوجها الى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني اسرائيل وهو جبل حسبان فلما سار عليها غير كثير ربضت به فنزل عنها فضربها حتى اذا ازلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا ازلقها اذن لها فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يابلعم أين تذهب؟أما ترى الملائكة امامي تردني عن وجهي هذا ؟ تذهب الى نبي الله والمؤمنين لتدعو عليهم ؟ فلم ينزع عنها فضربها فخلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك فانطلقت به حتى إذا أشرفت به على رأس حسبان على عسكر موسى وبني اسرائيل جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشر الاصرف الله لسانه الى قومه ولايدعو لقومه بخير الاصرف لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه أتدري يابلعم ماتصنع ؟ انما تدعو لهم وتدعو علينا قال فهذا مالا أملك، هذا شيء قد غلب الله عليه، قال واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسأمكر لكم واحتال:جملوا النساء واعطوهن

زائدة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة عن كعب بن مالك الانصاري عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه »قوله تعالى ﴿ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ يقال لهث الكلب يلهث لهثاً اذا أدام لسانه ، قال مجاهد هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به والمعنى أن هذا الكافر إن زجرته لم ينزجر ، وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثاً ، وإن ترك وربض كان لاهثاً . قال القتيبي : كل شيء يلهث ، انما يلهث من اعياء أو عطش

السلع ثم ارسلوهن الى العسكر يبعنها فيه ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانهم إن زنى رجل منهم واحد كفيتموهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كسبتي ابنة صور رأس أمته برجل من عظماء بني اسرائيل وهو زمري بن شلوم رأس سبط بني شمعون ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام فلما رآها أعجبته فقام فأخذ بيدها وأتى بها موسى وقال اني أظنك ستقول هذا حرام عليك لا تقربها قال أجل هي حرام عليك قال فوالله لا أطيعك [1] في هذا فدخل بها قبته فوقع عليها وأرسل الله عز وجل الطاعون في بني اسرائيل وكان فنحاص بن العيزار ابن هارون صاحب أمر موسى وكان غائبا حين صنع زمرى بن شلوم ماصنع فجاء والطاعون يحوس فيهم فاخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما الى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من هلك من بني اسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة الى أن قتله فنحاص فوجدوه قد هلك منهم سبعون ألفا والمقلل لهم يقول عشرون ألفا في ساعة من النهار فمن هنالك تعطي بنو اسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها الرقبة والذراع واللحي والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لانه كان بكر أبيه العيزار ، ففي بلعام بن باعور أنزل الله (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها — الى قوله — لعلهم يتفكرون) وقوله تعالى (فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) اختلف المفسرون في معناه فعلى سياق ابن اسحاق عن سالم عن أبي النضر أن بلعاما اندلع لسانه على صدره فتشبيهه بالكلب في لهيثه في كلتي حالتيه ان زجر وان ترك ظاهر ، وقيل معناه فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه وعدم انتفاعه بالدعاء الى الايمان وعدم الدعاء كالكلب في لهيثه في حالتيه إن حملت عليه وان تركته هو يلهث في الحالين فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة الى الايمان ولا عدمه كما قال تعالى (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) ونحو ذلك: وقيل معناه ان قلب الكافر والمنافق والضال ضعيف فارغ من الهدى فهو كثير الوجيب فعبر عن هذا بهذا نقل نحوه عن الحسن البصري وغيره وقوله تعالى (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ (فاقصص القصص

---

[1] وفي الازهرية لا نطيعك

الا الكلب فانه يلهث في حال الكلال وحال الراحة ، وفي حال الري وفي حال العطش ، فضربه الله مثلا لمن كذب بآياته فقال : ان وعظته فهو ضال ، وان تركته فهو ضال ، كالكلب ان طردته لهث ، وان تركته على حاله لهث ، نظيره قوله تعالى (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) ثم عمّ بهذا التمثيل جميع من يكذب بآيات الله فقال ﴿ ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ وقيل هذا مثل لكفار مكة ، وذلك أنهم

لعلهم أي لعل بني اسرائيل العالمين بحال بلعام وما جرى له في إضلال الله إياه وابعاده من رحمته بسبب أنه استعمل نعمة الله عليه في تعليمه الاسم الاعظم الذي إذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب في غير طاعة ربه بل دعا به على حزب الرحمن . وشعب الايمان ، أتباع عبده ورسوله في ذلك الزمان ، كليم الله موسى بن عمران عليه السلام. ولهذا قال (لعلهم يتفكرون) أي فيحذروا أن يكونوا مثله فان الله قد أعطاهم علما وميزهم على من عداهم من الاعراب وجعل بأيديهم صفة محمد ﷺ يعرفونها كما يعرفون أبناءهم فهم أحق الناس وأولاهم باتباعه ومناصرته وموازرته كما أخبرتهم أنبياؤهم بذلك وأمرتهم به ولهذا من خالف منهم مافي كتابه وكتمه فلم يعلم به العباد أحل الله به ذلا في الدنيا وصولا بذل الآخرة

وقوله (ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) يقول تعالى ساء مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا أي ساء مثلهم ان شبهوا بالكلاب التي لاهمة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة فمن خرج عن حيز العلم والهدى وأقبل على شهوة نفسه واتبع هواه صار شبيها بالكلب وبئس المثل مثله ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « ليس لنا مثل السوء العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه » وقوله (وأنفسهم كانوا يظلمون) أي ماظلمهم الله ولكن هم ظلموا أنفسهم باعراضهم عن اتباع الهدى ، وطاعة المولى ، الى الركون إلى دار البلى ، والاقبال على تحصيل اللذات وموافقة الهوى

من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون (١٧٨)

يقول تعالى من هداه الله فانه لا مضل له ومن أضله فقد خاب وخسر وضل لامحالة ، فانه تعالى ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، ولهذا جاء في حديث ابن مسعود « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » الحديث بتمامه رواه الامام أحمد وأهل السنن وغيرهم

ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (١٧٩)

كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله ، فلما جاءهم نبي لايشكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا تركوا أو دعوا

قوله تعالى ﴿ ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ أي بئس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، وتقديره ساء مثلا مثل القوم فحذف مثل وأقيم القوم مقامه فرفع ﴿ وأنفسهم كانوا يظلمون * من يهد الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون * ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس ﴾

يقول تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم) أي خلقنا وجعلنا لجهنم (كثيراً من الجن والانس) أي هيأناهم لها وبعمل أهلها يعملون فانه تعالى لما أراد أن يخلق الخلق علم ماهم عاملون قبل كونهم فكتب ذلك عنده في كتاب قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة كما ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء »

وفي صحيح مسلم أيضاً من حديث عائشة بنت طلحة عن خالتها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : دعي النبي ﷺ إلى جنازة صبي من الانصار فقلت يارسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه ، فقال رسول الله ﷺ « أوغير ذلك ياعائشة إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم » وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود « ثم يبعث الله اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد » وتقدم أن الله لما استخرج ذرية آدم من صلبه وجعلهم فريقين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال قال « هؤلاء للجنة ولا أبالي ، وهؤلاء للنار ولا أبالي » والاحاديث في هذا كثيرة ومسألة القدر كبيرة ليس هذا موضع بسطها وقوله تعالى (لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها ، ولهم آذان لايسمعون بها) يعني ليس ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سبباً للهداية كما قال تعالى (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله) الآية ، وقال تعالى (صم بكم عمي فهم لايرجعون) هذا في حق المنافقين ، وقال في حق الكافرين (صم بكم عمي فهم لايعقلون) ولم يكونوا صما ولا بكما ولا عمياً الا عن الهدى كما قال تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم

أخبر الله تعالى أنه خلق كثيراً من الجن والانس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة ومن خلقه الله لجهنم فلا حيلة له في الخلاص منها

أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي أنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي أنا أحمد بن محمد بن أبي حمزة البلخي حدثنا موسى بن محمد بن الحكم الشطوي حدثنا حفص بن غياث عن طلحة بن يحيى عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت أدرك النبي ﷺ جنازة صبي من صبيان الانصار فقالت عائشة طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال رسول الله ﷺ « وما يدريك ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم » وقيل اللام في قوله لجهنم لام العاقبة أي ذرأناهم وعاقبة أمرهم جهنم كقوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا) ثم وصفهم فقال ﴿ لهم قلوب لايفقهون بها ﴾ أي لا يعلمون بها الخير والهدى ﴿ ولهم أعين لايبصرون بها ﴾ طريق الحق وسبيل الرشاد ﴿ ولهم آذان لا يسمعون

معرضون) وقال (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وقال (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين *وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون)وقوله تعالى (أولئك كالانعام) أي هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعونه ولا يبصرون الهدى كالانعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس منها إلا في الذي يقيتها من ظاهر الحياة الدنيا كقوله تعالى(ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) أي ومثلهم في حال دعائهم إلى الايمان كمثل الانعام اذا دعاها راعيها لا تسمع إلا صوته ، ولا تفقه مايقول ، ولهذا قال في هؤلاء (بل هم أضل) أي من الدواب لأنها قد تستجيب مع ذلك لراعيها اذا أبس بها ، وإن لم تفقه كلامه بخلاف هؤلاء ، ولأنها تفعل ماخلقت له إما بطبعها واما بتسخيرها بخلاف الكافر فانه انما خلق ليعبد الله ويوحده فكفر بالله وأشرك به ، ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة في معاده ، ومن كفر به من البشر كانت الدواب أتم منه ، ولهذا قال تعالى (أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمئه سيجزون ما كانوا يعملون(١٨٠)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ان لله تسعاً وتسعين اسما مائة الا واحداً من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الاعرج عنه ، ورواه البخاري عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي حمزة عن أبي الزناد به ، وأخرجه الترمذي في جامعه عن الجوزجاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن

بها ﴾ مواعظ القرآن فيتفكرون فيها ويعتبرون بها ثم ضرب لهم مثلا في الجهل والاقتصار على الأكل والشرب فقال ﴿ أولئك كالانعام بل هم أضل ﴾ أي كالانعام في ان همتهم في الأكل والشرب والتمتع بالشهوات بل هم أضل لأن الانعام تميز بين المضار والمنافع فلا تقدم على المضار وهؤلاء يقدمون على النار معاندة مع العلم بالهلاك ﴿ أولئك هم الغافلون ﴾ قوله تعالى ﴿ ولله الاسماء الحسني فادعوه بها ﴾ قال مقاتل وذلك ان رجلا دعا الله فى صلاته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة إن محمداً ﷺ وأصحابه يزعمون انهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعو اثنين فأنزل الله عز وجل (ولله الاسماء الحسني فادعوه بها) والحسنى تأنيث الأحسن كالكبرى والصغرى فادعوه بها ، أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران أنا أبو علي اسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال«ان لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة انه وتر يحب الوتر»

شعيب فذكر بسنده مثله وزاد بعد قوله « يحب الوتر »: هو الله الذي لا إله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدىء المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الاحد الفرد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور » ثم قال الترمذي هذا حديث غريب وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء إلا في هذا الحديث ، ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق صفوان به ، وقد رواه ابن ماجه في سننه من طريق آخر عن موسى بن عقبة عن الاعرج عن أبي هريرة مرفوعا فسرد الاسماء كنحو مما تقدم بزيادة ونقصان ، والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الاسماء في هذا الحديث مدرج فيه ، وانما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك « أي أنهم جمعوها من القرآن كما روي عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبو زيد اللغوي والله أعلم ، ثم ليعلم أن الاسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين بدليل ما رواه الامام أحمد في مسنده عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي « ونور صدري « وجلاء حزني، وذهاب همي، الا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحا » فقيل يارسول الله أفلا نتعلمها ؟ فقال « بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها » وقد أخرجه الامام أبو حاتم بن حبان البستي في صحيحه

﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ قرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء حيث كان وافقه الكسائي في النحل والباقون بضم الياء وكسر الحاء ومعنى الالحاد هو الميل عن القصد يقال ألحد يلحد إلحاداً ولحد يلحد لحداً ولحوداً اذا مال . قال يعقوب بن السكيت الالحاد هو العدول عن الحق وادخال ماليس منه فيه يقال ألحد في الدين ولحد وبه قرأ حمزة (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه فسموا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان هذا قول ابن عباس ومجاهد ، وقيل هو تسميتهم الاصنام آلهة « وروى عن

بمثله ، وذكر الفقيه الامام أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه الاحوذي في شرح الترمذي أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم فالله أعلم، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) قال الحاد الملحدين أن دعوا اللات في أسماء الله ، وقال ابن جريج عن مجاهد (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) قال اشتقوا اللات من الله ، والعزى من العزيز ، وقال قتادة يلحدون يشركون في أسمائه . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الالحاد التكذيب ، وأصل الالحاد في كلام العرب العدول عن القصد ، والميل والجور والانحراف ، ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر

وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٨١)

يقول تعالى (وممن خلقنا) أي بعض الأمم (أمة) قائمة بالحق قولا وعملا (يهدون بالحق) يقولونه ويدعون اليه (وبه يعدلون) يعملون ويقضون ، وقد جاء في الآثار أن المراد بهذه الامة المذكورة في الآية هي هذه الامة المحمدية ، قال سعيد عن قتادة في تفسير هذه الآية بلغنا أن النبي ﷺ كان يقول اذا قرأ هذه الآية « هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها : (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في قوله تعالى (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال : قال رسول الله ﷺ « إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم متى مانزل » وفي الصحيحين عن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله ﷺ

ابن عباس يلحدون في أسمائه أي يكذبون ، وقال أهل المعاني الالحاد في أسماء الله تسميته بما لم يتسم به ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ وجملته ان أسماء الله تعالى على التوقيف فانه يسمى جواداً ولا يسمى سخيا وإن كان في معنى الجواد ويسمى رحيما ولا يسمى رفيقا ويسمى عالما ولا يسمى عاقلا وقال تعالى ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ وقال عز من قائل ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ ولا يقال في الدعاء يامخادع ويامكار بل يدعى بأسمائه التي ورد بها التوقيف على وجه التعظيم فيقال يا ألله يارحمن يارحيم ياعزيز يا كريم ونحو ذلك ﴿ سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ في الآخرة ، قوله تعالى ﴿ وممن خلقنا أمة ﴾ أي عصابة ﴿ يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ قال عطاء عن ابن عباس يريد أمة محمد ﷺ وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان ، وقال قتادة بلغنا ان النبي ﷺ كان اذا قرأ هذه الآية قال « هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها :(ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل حدثنا الحميدي حدثنا الوليد حدثني عمير بن هاني، انه سمع معاوية رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « لاتزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم

« لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة » وفي رواية « حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » وفي رواية « وهم بالشام »

والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون (١٨٢) وأملي لهم إن كيدي متين (١٨٣)

يقول تعالى (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون) ومعناه أنه يفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا حتى يغتروا بما هم فيه ويعتقدوا أنهم على شيء . كما قال تعالى (فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون ■ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) ولهذا قال تعالى (وأملي لهم) أي وسأملي لهم أي أطول لهم فيما هم فيه (ان كيدي متين) أي قوي شديد

أو لم يتفكروا مابصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين (١٨٤)

يقول تعالى (أولم يتفكروا) هؤلاء المكذبون بآياتنا (ما بصاحبهم) يعني محمداً ﷺ (من جنة) أى ليس به جنون بل هو رسول الله حقا دعا الى حق (إن هو الا نذير مبين) أى ظاهر لمن كان له لب وقلب يعقل به ويعي به كما قال تعالى (وما صاحبكم بمجنون) ، وقال تعالى (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) يقول إنما أطلب منكم أن تقوموا قياما خالصا لله ليس فيه تعصب ولاعناد مثنى وفرادى أي

حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ■ وقال الكلبي هم من جميع الخلق ﴿ والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ قال عطاء سنمكر بهم من حيث لايعلمون وقيل نأتيهم من مأمنهم كما قال (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) قال الكلبي نزين لهم أعمالهم فنهلكهم ■ وقال الضحاك كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة قال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعمة وننسيهم الشكر ■ قال أهل المعاني الاستدراج أن يتدرج الى الشيء في خفية قليلا قليلا فلا يباغت ولا يجاهر ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه في المشي ومنه درج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء ﴿ وأملي لهم ﴾ أي أمهلهم وأطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا في المعاصي ﴿ ان كيدي متين ﴾ أي ان أخذي قوي شديد قال ابن عباس ان مكري شديد قيل نزلت في المستهزئين فقتلهم الله في ليلة واحدة . قوله تعالى ﴿ أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ﴾ قال قتادة ذكر لنا ان النبي ﷺ قام على الصفا ليلا فجعل يدعو قريشاً فخذاً فخذا يابني فلان يابني فلان يحذرهم بأس الله ووقائعه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح فأنزل الله تعالى (أولم يتفكروا ما بصاحبهم) محمد ﷺ (من جنة) جنون ﴿ ان هو ﴾ ماهو

مجتمعين ومتفرقين ثم تتفكروا في هذا الذي جاءكم بالرسالة من الله أبه جنون أم لا فانكم إذا فعلتم ذلك بان لكم وظهر أنه رسول الله حقا وصدقا ، وقال قتادة بن دعامة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان على الصفا فدعا قريشا فجعل يفخذهم فخذاً فخذاً يابني فلان يابني فلان فحذرهم بأس الله ووقائع الله فقال قائلهم إن صاحبكم هذا المجنون بات يصوت الى الصباح أو حتى أصبح فأنزل الله تعالى (أولم يتفكروا مابصاحبهم من جنة إن هو الا نذير مبين)

أولم ينظروا في ملكوت السموٰت والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون (١٨٥)

يقول تعالى أو لم ينظر هؤلاء المكذبون بآياتنا في ملك الله وسلطانه في السموات والارض وفيما خلق من شيء فيهما فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ويعلموا أن ذلك لمن لانظير له ولاشبيه ومن فعل من لاينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص الا له فيؤمنوا به ويصدقوا رسوله وينيبوا إلى طاعته ويخلعوا الانداد والاوثان ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كفرهم ويصيروا الى عذاب الله وأليم عقابه ،

وقوله (فبأي حديث بعده يؤمنون) يقول فبأي تخويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد ﷺ وترهيبه الذي أتاهم به من عند الله في آي كتابه يصدقون ان لم يصدقوا بهذا الحديث الذي جاءهم به محمد من عند الله عز وجل ؟ وقد روى الامام أحمد عن حسن بن موسى وعثمان بن مسلم وعبد الصمد بن عبد الوارث كلهم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي الصلت عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «رأيت ليلة أسري بي كذا فلما انتهينا الى السماء السابعة فنظرت فوقي فاذا أنا برعد وبرق وصواعق » وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم : قلت من هؤلاء ياجبريل ؟ قال هؤلاء أكلة الربا فلما نزلت الى السماء الدنيا فنظرت الى أسفل مني فاذا انا برهج ودخان وأصوات فقلت ماهذا ياجبريل ؟ قال هؤلاء الشياطين يحومون على أعين بني آدم أن لايتفكروا في ملكوت السموات والارض ولولا ذلك لرأوا العجائب » علي بن زيد بن جدعان له منكرات ثم قال تعالى

﴿ إلا نذير مبين ﴾ ثم حثهم على النظر المؤدي الى العلم فقال ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله ﴾ فيهما ﴿ من شيء ﴾ أي وينظروا الى ماخلق الله فيهما من شيء ليستدلوا بها على وحدانيته ﴿ وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ﴾ أي لعل أن يكون قد اقترب أجلهم فيموتوا قبل أن يؤمنوا ويصيروا الى العذاب ﴿ فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ أى بعد القرآن يؤمنون يقول بأي كتاب غير ماجاء به محمد ﷺ يصدقون وليس بعده نبي ولا كتاب ثم ذكر علة اعراضهم عن

من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغينهم يعمهون (١٨٦)

يقول تعالى من كتب عليه الضلالة فانه لايهديه أحد ولو نظر لنفسه فيما نظر فانه لا يجزي عنه شيئا (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) وكما قال تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)

يسئلونك عن الساعة أيان مرسها ، قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت في السموٰت والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ، يسئلونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (١٨٧)

يقول تعالى (يسألونك عن الساعة) كما قال تعالى (يسألك الناس عن الساعة) قيل نزلت في قريش وقيل في نفر من اليهود والاول أشبه لان الآية مكية وكانوا يسألون عن وقت الساعة استبعادا لوقوعها وتكذيبا بوجودها كما قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وقال تعالى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق الا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد) وقوله (أيان مرساها) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس منتهاها أي متى محطها وأيان آخر مدة الدنيا الذي هو أول وقت الساعة ؟ (قل انما علمها عند ربي لايجليها لوقتها إلاهو) أمر تعالى رسوله ﷺ إذا سئل عن وقت الساعة أن يرد علمها الى الله تعالى فانه هو الذي يجليها لوقتها أي يعلم جلية أمرها ومتى يكون على التحديد لايعلم ذلك الا هو تعالى ولهذا قال (ثقلت في السموات والارض) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله (ثقلت في السموات والارض) قال ثقل علمها على أهل السموات والارض أنهم لا يعلمون قال معمر قال الحسن إذا جاءت ثقلت على أهل السموات والارض

الايمان فقال ﴿ من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم ﴾ قرأ أهل البصرة وعاصم بالياء ورفع الراء وقرأ حمزة والكسائي بالياء وجزم الراء لأن ذكر الله قد مر قبله وجزم الراء مردود على يضلل وقرأ الآخرون بالنون ورفع الراء على انه كلام مستأنف ﴿ في طغيانهم يعمهون ﴾ يترددون متحيرين

قوله تعالى ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ قال قتادة قالت قريش لرسول الله ﷺ ان بيننا وبينك قرابة فأسرّ الينا متى الساعة فأنزل الله تعالى (يسألونك عن الساعة) يعني القيامة (أيان مرساها) قال ابن عباس رضي الله عنهما منتهاها وقال قتادة قيامها وأصله الثبات أى متى مثبتها ﴿قل﴾ يامحمد ﴿ انما علمها عند ربي ﴾ استأثر بعلمها ولا يعلمها الا هو ﴿ لايجليها ﴾ لايكشفها ولا يظهرها وقال مجاهد لايأتي بها ﴿ لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض ﴾ يعني ثقل علمها وخفي أمرها

يقول كبرت عليهم ، وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله (ثقلت في السموات والارض) قال ليس شيء من الخلق الا يصيبه من ضرر يوم القيامة ، وقال ابن جريج (ثقلت في السموات والأرض) قال إذا جاءت انشقت السماء . وانتثرت النجوم . وكورت الشمس . وسيرت الجبال . وكان ما قال الله عز وجل فذلك ثقلها ، واختار ابن جرير رحمه الله أن المراد ثقل علم وقتها على أهل السموات والارض كما قال قتادة ، وهو كما قالاه كقوله (لا تأتيكم الا بغتة) ولا ينفى ذلك ثقل مجيئها على أهل السموات والارض والله أعلم . وقال السدى (ثقلت في السموات والارض) يقول خفيت في السموات والارض فلا يعلم قيامها حين تقوم ملك مقرب ولا نبي مرسل (لا تأتيكم الا بغتة) يبغتهم قيامها تأتيهم على غفلة وقال قتادة في قوله تعالى (لا تأتيكم الا بغتة) قضى الله أنها (لا تأتيكم الا بغتة) قال وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول « إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقيم سلعته في السوق ويخفض ميزانه ويرفعه » وقال البخاري حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب أنبأنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ، ولتقومن الساعة والرجل قد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها » وقال مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة يبلغ به قال تقوم الساعة والرجل يحلب لقحته فما يصل الاناء الى فيه حتى تقوم الساعة ، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم الساعة ، والرجل يلوط حوضه فما يصدر حتى تقوم

وقوله (يسألونك كأنك حفي عنها) اختلف المفسرون في معناه فقيل معناه كما قال العوفي عن ابن عباس (يسألونك كأنك حفي عنها) يقول كأن بينك وبينهم مودة كأنك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس النبي ﷺ عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمداً حفي بهم فأوحى

على أهل السموات والارض وكل خفي ثقيل ، قال الحسن يقول اذا جاءت ثقلت وعظمت على أهل السموات والارض ﴿ لا تأتيكم إلا بغتة ﴾ فجأة على غفلة أخبرنا عبد الواحد المليحي حدثنا أحمد بن عبدالله النعيمي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الاعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها » ﴿ يسئلونك كأنك حفي عنها ﴾ فيه تقديم وتأخير أى يسئلونك عنها كأنك حفي

الله اليه إنما علمها عنده استأثر به فلم يطلع الله عليها ملكا مقربا ولا رسولا ، وقال قتادة قالت قريش لمحمد ﷺ إن بيننا وبينك قرابة فأسرّ الينا متى الساعة فقال الله عزوجل (يسألونك كأنك حفي عنها) وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وأبي مالك والسدي وهذا قول والصحيح عن مجاهد من رواية ابن أبي نجيح وغيره (يسألونك كأنك حفي عنها) قال استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها وكذا قال الضحاك عن ابن عباس (يسألونك كأنك حفي عنها) يقول كأنك عالم بها لست تعلمها (قل إنما علمها عند الله) وقال معمر عن بعضهم (كأنك حفي عنها) كأنك عالم بها وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (كأنك حفي عنها) كأنك بها عالم وقد أخفى الله علمها على خلقه وقرأ (إن الله عنده علم الساعة) الآية وهذا القول أرجح في المقام من الاول والله أعلم ولهذا قال (قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لايعلمون) ولهذا لما جاء جبريل عليه السلام في صورة أعرابي ليعلم الناس أمر دينهم فجلس من رسول الله ﷺ مجلس السائل المسترشد وسأله ﷺ عن الاسلام. ثم عن الايمان. ثم عن الاحسان. ثم قال فمتى الساعة ؟ قال له رسول الله ﷺ قال « ما المسؤل عنها بأعلم من السائل » أى لست أعلم بها منك ولا أحد أعلم بها من أحد ثم قرأ النبي ﷺ (ان الله عنده علم الساعة) الآية ، وفي رواية فسأله عن اشراط الساعة فبين له اشراط الساعة ثم قال «في خمس لايعلمهن إلا الله» وقرأ هذه الآية وفي هذا كله يقول له بعد كل جواب صدقت ولهذا عجب الصحابة من هذا السائل يسأله ويصدقه ، ثم لما انصرف قال رسول الله ﷺ « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »وفي رواية قال« وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها الاصورته هذه» وقد ذكرت هذا الحديث بطرقه وألفاظه من الصحاح والحسان والمسانيد في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة ،ولما سأله ذلك الاعرابي وناداه بصوت جهوري فقال يامحمد قال له رسول الله ﷺ «هاؤم » على نحو من صوته قال يا محمد متي الساعة ؟ فقال له رسول الله ﷺ «ويحك ان الساعة آتية فما أعددت لها» قال ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولكني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله ﷺ «المرء مع من أحب» فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث وهذا له طرق متعددة في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة عن رسول الله ﷺ أنه قال« المرء مع من أحب »وهي متواترة عند كثير من الحفاظ المتقنين ففيه أنه عليه السلام كان إذا سئل عن هذا الذي لايحتاجون إلي علمه أرشدهم الى ماهو الاهم في حقهم وهو الاستعداد لوقوع ذلك والتهيؤ له قبل نزوله وان لم يعرفوا تعيين وقته ،ولهذا قال مسلم في صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت الاعراب اذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة متى الساعة فينظر الى أحدث انسان منهم فيقول « ان يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم » يعني

بها أى عالم بها من قولهم أحفيت في المسئلة أى بالغت فيها معناه كأنك بالغت في السؤال عنها

بذلك موتهم الذي يفضي بهم الى الحصول في برزخ الدار الآخرة ثم قال مسلم وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال رسول الله ﷺ «إن يعش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة» انفرد به مسلم، وحدثني حجاج بن الشاعر حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا سعيد بن أبي هلال المصري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي ﷺ قال متى الساعة؟ فسكت رسول الله ﷺ هنيهة ثم نظر الى غلام بين يديه من أزدشنوءة فقال «ان عمر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة» قال أنس ذلك الغلام من أترابي وقال حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا عفان بن مسلم حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس قال مر غلام للمغيرة بن شعبة وكان من أترابي فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن يؤخر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » ورواه البخاري في كتاب الادب من صحيحه عن عمرو بن عاصم عن همام بن يحيى عن قتادة عن أنس أن رجلا من أهل البادية قال يا رسول الله متى الساعة؟ فذكر الحديث وفي آخره فمر غلام المغيرة بن شعبة وذكره وهذا الاطلاق في هذه الروايات محمول على التقييد بساعتكم في حديث عائشة رضي الله عنها، وقال ابن جرير أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر « تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله وأقسم بالله ما على ظهر الارض اليوم من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة » رواه مسلم وفي الصحيحين عن ابن عمر مثله قال ابن عمر وانما أراد رسول الله ﷺ انخرام ذلك القرن . وقال الامام احمد حدثنا هشيم أنبأنا العوام عن جبلة بن سحيم عن موثر بن عفارة عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لقيت ليلة أسري بي ابراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة قال فردوا أمرهم إلى ابراهيم عليه السلام فقال لا علم لي بها . فردوا أمرهم إلى موسى فقال لا علم لي بها، فردوا أمرهم الى عيسى فقال عيسى أما(١) وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله عز وجل وفيما عهد إلي ربي عز وجل أن الدجال خارج قال ومعي قضيبان فاذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله عز وجل اذا رآني حتى إن الشجر والحجر يقول يا مسلم ان تحتي كافرا فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله عز وجل ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطؤن بلادهم لا يأتون على شيء الا أهلكوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه قال ثم يرجع الناس إلي فيشكونهم فأدعو الله عز وجل عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الارض من نتن ريحهم أي تنتن قال فينزل الله عز وجل المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر قال الامام أحمد قال يزيد بن هارون ثم تنسف الجبال وتمد الارض مد الاديم ثم رجع إلى حديث هشيم قال ففيما عهد إلي ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك فان الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى

حتى علمتها ﴿ قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ان علمها عند الله حتى سألوا محمداً

تفجأهم بولادتها ليلا أو نهاراً »ورواه ابن ماجه عن بندار عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب بسنده بحوه فهؤلاء أكابر أولي العزم من المرسلين ليس عندهم علم بوقت الساعة على التعيين وانما ردوا الامر الى عيسى عليه السلام فتكلم على اشراطها لانه ينزل في آخر هذه الامة منفذاً لاحكام رسول الله ﷺ ويقتل المسيح الدجال ويجعل الله هلاك يأجوج ومأجوج ببركة دعائه فأخبر بما أعلمه الله تعالى به وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا عبد الله بن زياد بن لقيط قال سمعت أبي يذكر عن حذيفة قال سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال « علمها عند ربي عز وجل لا يجليها لوقتها الا هو ولكن سأخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها ان بين يديها فتنة وهرجا » قالوا يارسول الله الفتنة قد عرفناها فما الهرج؟ قال بلسان الحبشة «القتل» قال « ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحد يعرف أحداً » لم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه وقال وكيع حدثنا ابن أبي خالد عن طارق ابن شهاب قال كان رسول الله ﷺ لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) الآية ورواه النسائي من حديث عيسى بن يونس عن اسماعيل بن أبي خالد به وهذا اسناد جيد قوي ،فهذا النبي الامي سيد الرسل وخاتمهم محمد صلوات الله عليه وسلامه نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة والعاقب والمقفى والحاشر الذي تحشر الناس على قدميه مع قوله فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث أنس وسهل بن سعد رضي الله عنهما « بعثت أنا والساعة كهاتين »وقرن بين أصبعيه السبابة والتي تليها ومع هذا كله قد أمره الله أن يرد علم وقت الساعة اليه اذا سئل عنها فقال (قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون (١٨٨)

أمره الله تعالى أن يفوض الامور اليه وأن يخبر عن نفسه انه لا يعلم الغيب المستقبل ولا اطلاع له على شيء من ذلك الا بما أطلعه الله عليه كما قال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا) الآية وقوله (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) قال عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن مجاهد (ولو كنت

ﷺ عنها ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرا الا ماشاء الله ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ان أهل مكة قالوا يامحمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتريه وتربح عند الغلاء وبالارض التي تريد أن تجدب فترتحل منها الى ماقد أخصبت؟ فانزل الله تعالى (قل لا أملك لنفسي نفعاً) أى لا أقدر لنفسي نفعا أى اجتلاب نفع بأن أربح ولا ضراً أى دفع ضر بأن أرتحل من أرض تريد أن تجدب الا ماشاء الله ان املكه ﴿ ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾ أي لو كنت أعلم الخصب والجدب لاستكثرت من المال أي لسنة القحط وما مسني

أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) قال لو كنت أعلم متى أموت لعملت عملا صالحا وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد وقال مثله ابن جريج وفيه نظر لان عمل رسول الله ﷺ كان ديمة ، وفي رواية كان اذا عمل عملا أثبته فجميع عمله كان على منوال واحد كأنه ينظر الى الله عز وجل في جميع أحواله اللهم الا أن يكون المراد أن يرشد غيره الى الاستعداد لذلك والله أعلم . والاحسن في هذا مارواه الضحاك عن ابن عباس (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) أي من المال وفي رواية لعلمت اذا اشتريت شيئا ما أربح فيه فلا أبيع شيئا الا ربحت فيه ولا يصيبني الفقر ، وقال ابن جرير وقال آخرون معنى ذلك لو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة الجدبة من المخصبة ولوقت الغلاء من الرخص فاستعددت له من الرخص وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم (ومامسني السوء) قال لاجتنبت مايكون من الشر قبل أن يكون واتقيته ثم أخبر أنه انما هو نذير وبشير أي نذير من العذاب وبشير للمؤمنين بالجنات كما قال تعالى (فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا)

هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشـٰها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صلحا لنكونن من الشاكرين (١٨٩) فلما آتـٰهما صـٰلحا جعلا له شركاء فيما آتـٰهما فتعـٰلى الله عما يشركون (١٩٠)

ينبه تعالى على أنه خالق جميع الناس من آدم عليه السلام وأنه خلق منه زوجته حواء ثم انتشر الناس منهما كما قال تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) الآية وقال في هذه الآية الكريمة (وجعل منها زوجها ليسكن اليها) أي ليألفها ويسكن بها كقوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)فلا ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيده

السوء أي الضر والفقر والجوع وقال ابن جريج (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا) يعني الهدى والضلالة (ولو كنت أعلم الغيب) أي متى أموت (لاستكثرت من الخير) من العمل الصالح (وما مسني السوء) قال ابن زيد واجتنبت ما يكون من الشر واتقيته ، وقيل معناه (ولو كنت أعلم الغيب) أي متى الساعة لأخبرتكم حتى تؤمنوا وما مسني السوء بتكذيبكم وقيل وما مسني السوء ابتداء يريد مامسني الجنون لانهم كانوا ينسبونه الى الجنون ﴿ إن أنا إلا نذير ﴾ لمن لا يصدق بما جئت به ﴿ وبشير ﴾ بالجنة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ يصدقون ، قوله ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحـدة ﴾ يعني من آدم ﴿ وجعل ﴾

الى التفرقة بين المرء وزوجه(فلما تغشاها)أي وطئها حملت حملا خفيفا وذلك أول الحمل لا تجد المرأة له ألما إنما هي النطفة ثم العلقة ثم المضغة وقوله (فمرت به) قال مجاهد استمرت بحمله ،وروي عن الحسن وابراهيم النخعي والسدى نحوه، وقال ميمون بن مهران عن أبيه استخفته ، وقال أيوب سألت الحسن عن قوله (فمرت به) قال لو كنت رجلا عربيا لعرفت ماهي إنما هي فاستمرت به ، وقال قتادة (فمرت به) استبان حملها ، وقال ابن جرير معناه استمرت بالماء قامت به وقعدت ، وقال العوفي عن ابن عباس استمرت به فشكت أحملت أم لا (فلما أثقلت) أي صارت ذات ثقل بحملها ، وقال السدى كبر الولد في بطنها (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا) أي بشرا سويا كما قال الضحاك عن ابن عباس أشفقا أن يكون بهيمة وكذلك قال أبو البختري وأبو مالك أشفقا أن لا يكون إنسانا. وقال الحسن البصري لئن آتيتنا غلاما (لنكونن من الشاكرين) فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون

يذكر المفسرون ههنا آثاراً وأحاديث سأوردها وأبين مافيها ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك إن شاء الله وبه الثقة . قال الامام أحمد في مسنده حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن ابراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»

وخلق ﴿ منها زوجها ﴾ يعني حواء ﴿ ليسكن اليها ﴾ ليأنس بها ويأوي اليها ﴿ فلما تغشاها ﴾ أي واقعها وجامعها ﴿ حملت حملا خفيفا ﴾ وهو أول ماتحمل المرأة من النطفة يكون خفيفا عليها ﴿ فمرت به ﴾ استمرت به وقامت وقعدت به ولم يثقلها ﴿ فلما أثقلت ﴾ أي كبر الولد في بطنها وصارت ذات ثقل بحملها ودنت ولادتها ﴿ دعوا الله ربهما ﴾ يعني آدم وحواء ﴿ لئن آتيتنا ﴾ يا ربنا ﴿صالحا﴾ أي بشراً سويا مثلنا ﴿ لنكونن من الشاكرين ﴾ قال المفسرون لما حملت حواء أتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما الذي في بطنك؟ قالت ما أدري. قال اني أخاف أن يكون بهيمة أو كلبا أو خنزيراً وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك فيقتلك أو من فيك أو ينشق بطنك. فخافت حواء من ذلك وذكرت ذلك لآدم عليه السلام فلم يزالا في هم من ذلك ، ثم عاد اليها فقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله أن يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه أتسمينه عبد الحارث؟ وكان اسم ابليس في الملائكة الحارث فذكرت ذلك لآدم فقال لعله صاحبنا الذى قد علمت ، فعاودها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد الحارث قال الكلبي: قال ابليس لها إن دعوت الله فولدت انسانا أتسمينه بي؟ قالت نعم فلما ولدت قال سميه بي قالت وما اسمك قال الحارث ولو سمي لها نفسه لعرفته فسمته عبد الحارث ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت حواء تلد لآدم فيسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فأتاهما ابليس وقال ان سركما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فولدت فسمياه عبد الحارث فعاش، وجاء في الحديث «خدعهما ابليس مرتين مرة في الجنة

وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن بندار عن عبد الصمد بن عبدالوارث به ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد به وقال هـذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ، ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعا ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ورواه الامام أبو محمد ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن ابراهيم به مرفوعا . وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن عمر بن ابراهيم مرفوعا . قلت وشاذ هو هلال وشاذ لقبه والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه (أحدها) أن عمر بن ابراهيم هذا هو البصري وقد وثقه ابن معين ولكن قال أبو حاتم الرازي لا يحتج به ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا فالله أعلم (الثاني) أنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعا كما قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا المعتمر عن أبيه حدثنا بكر بن عبدالله عن سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال سمى آدم ابنه عبد الحارث (الثالث) أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن (جعلا له شركاء فيما آتاهما) قال كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم ؛ وحدثنا محمد بن عبد الاعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده يعني (جعلا له شركاء فيما آتاهما) وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا ونصروا ، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية ولو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما مع تقواه لله وورعه فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما كما سيأتي بيانه ان شاء الله الا اننا برئنا من عهدة المرفوع والله أعلم . فأما الآثار فقال محمد بن اسحق بن سيار

ومرة في الارض » وقال ابن زيد ولد لآدم ولد فسماه عبد الله فأتاهما ابليس فقال ماسميتما ابنكما ؟ قالا عبدالله وكان قد ولد لهما قبل ذلك ولد فسمياه عبـدالله فمات فقال إبليس أتظنان ان الله تارك عبده عندكما ؟ لا والله ليذهبن به كما ذهب بالآخرين ولكن أدلكما على اسم يبقى لكما مابقيتما فسمياه عبد شمس والاول أصح فذلك قوله ﴿ فلما آتاهما صالحا ﴾ بشراً سويا ﴿ جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾ قرأ أهل المدينـة وأبو بكر شركا بكسر الشين والتنوين أى شركة ، قال أبو عبيدة أى حظا ونصيبا وقرأ الآخرون شركاء بضم الشين ممدوداً على جمع شريك يعني ابليس أخبر عن الواحد بلفظ الجمع أي جعلا له شريكا إذ سمياه عبد الحارث ولم يكن هـذا اشراكا في العبادة ولا ان الحارث ربهما

عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولادا فيعبدهم لله ويسميهم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاهما إبليس فقال انكما لو سميتماه بغير الذي تسميانه به لعاش قال فولدت له رجلا فسماه عبد الحارث ففيه أنزل الله يقول (هو الذي خلقكم من نفس واحدة — الى قوله — جعلا له شركاء فيما آتاهما) الى آخر الآية ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله في آدم (هو الذي خلقكم من نفس واحدة — الى قوله — فمرت به) شكت حملت أم لا ؟ (فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين) فأتاهما الشيطان فقال هل تدريان ما يولد لكما ؟ أم هل تدريان ما يكون أبهيمة أم لا ؟ وزين لهما الباطل إنه غوي مبين ، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا فقال لهما الشيطان إنكما ان لم تسمياه بي لم يخرج سويا ومات كما مات الاول فسميا ولدهما عبد الحارث فذلك قول الله تعالى (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) الآية ، وقال عبدالله بن المبارك عن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) قال قال الله تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها) آدم (حملت) آتاها ابليس لعنه الله فقال إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لاجعلن له قرني ايل فيخرج من بطنك فيشقه ولافعلن ولافعلن يخوفهما فسمياه عبدالحارث فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت يعني الثانية فأتاهما أيضا فقال أنا صاحبكما الذي فعلت مافعلت لتفعلن أو لافعلن - يخوفهما - فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضا فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى (جعلا له شركاء فيما آتاهما) رواه ابن أبي حاتم

وقد تلقى هذا الاثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لايحصون كثرة وكأنه، والله أعلم أصله مأخوذ من أهل الكتاب فان ابن عباس رواه عن أبي ابن كعب كما رواه ابن أبي حاتم حدثنا

فان آدم كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصد الى ان الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه وقد يطلق اسم العبد على من لايراد به انه مملوك كما يطلق اسم الرب على من لايراد به أنه معبود هذا كالرجل اذا نزل به ضيف يسمي نفسه عبدالضيف على وجه الخضوع لا على وجه أن الضيف ربه ويقول للغير أنا عبدك وقال يوسف لعزيز مصر انه ربي ولم يرد به انه معبوده كذلك هذا وقوله ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ قيل هذا ابتداء كلام وأراد به اشراك أهل مكة ولئن أراد به ماسبق فمستقيم من حيث انه كان الاولى بهما أن لايفعلا ما أتيا به من الاشراك في الاسم وفي الآية قول آخر وهو انه راجع الى جميع المشركين من ذرية آدم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه جعل أولادهما له شركاء فحذف الاولاد وأقامهما مقامهم كما أضاف فعل الآباء الى الابناء في تعييرهم بفعل الآباء فقال (ثم اتخذتم العجل *

أبي حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد يعني ابن بشير عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال لما حملت حواء أتاها الشيطان فقال لها أتطيعيني ويسلم لك ولدك ؟ سميه عبد الحارث فلم تفعل فولدت فمات ثم حملت فقال لها مثل ذلك فلم تفعل ثم حملت الثالثة فجاءها فقال إن تطيعيني يسلم والا فانه يكون بهيمة فهيبهما فأطاعا

وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال «اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام «حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج» وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله (فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم) وهذا الاثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر . فاما من حدث به من صحابي أو تابعي فانه يراه من القسم الثالث ، وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال الله (فتعالى الله عما يشركون) ثم قال فذكر آدم وحواء أولا كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كالاستطراد من ذكر الشخص الى الجنس كقوله (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) الآية ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمى بها وانما هذا استطراد من شخص المصابيح الى جنسها ولهذا نظائر في القرآن والله أعلم

أيشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون (١٩١) ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون (١٩٢) وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون (١٩٣) إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين (١٩٤) ألهم أرجل يمشون بها؟ أم لهم أيد يبطشون بها؟ أم لهم أعين يبصرون بها؟ أم لهم آذان يسمعون بها؟ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون (١٩٥) إن وليي الله الذي نزل الكتاب

وإذ قتلتم نفساً) خاطب به اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ وكان ذلك الفعل من آبائهم . وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا . وقال ابن كيسان: هم الكفار سموا أولادهم عبد العزى وعبد اللات وعبد مناة ، وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله (خلقكم) أي خلق كل واحد من أبيه (وجعل منها زوجها) أي جعل منها زوجها وهذا قول حسن لولا قول السلف مثل عبد الله بن عباس رضي الله عنه ومجاهد وسعيد بن المسيب وجماعة من المفسرين أنه في آدم وحواء

قوله تعالى ﴿ أيشركون مالا يخلق شيئاً ﴾ يعني ابليس والاصنام ﴿ وهم يخلقون ﴾ أي هم مخلوقون

وهو يتولى الصلحين (١٩٦) والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون(١٩٧) وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون(١٩٨)

هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الانداد والاصنام والاوثان وهي مخلوقة لله مربوبة مصنوعة لاتملك شيئاً من الامر ولا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تنتصر لعابديها بل هي جماد لاتتحرك ولا تسمع ولا تبصر وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم ولهذا قال (أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون) أي أتشركون به من المعبودات مالا يخلق شيئا ولا يستطيع ذلك كقوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز) أخبر تعالى ان آلهتهم لو اجتمعوا كلهم ما استطاعوا خلق ذبابة بل لو سلبتهم الذبابة شيئاً من حقير المطاعم وطارت لما استطاعوا إنقاذه منها فمن هذه صفته وحاله كيف يعبد ليرزق ويستنصر ؟ ولهذا قال تعالى (لايخلق شيئا وهم يخلقون) اي بل هم مخلوقون مصنوعون كما قال الخليل (أتعبدون ما تنحتون) الآية ثم قال تعالى (ولا يستطيعون لهم نصراً) أي لعابديهم (ولا أنفسهم ينصرون) يعني ولا لانفسهم ينصرون ممن أرادهم بسوء كما كان الخليل عليه الصلاة والسلام يكسر أصنام قومه ويهينها غاية الاهانة كما أخبر تعالى عنه في قوله (فراغ عليهم ضربا باليمين) وقال تعالى (فجعلهم جذاذاً الا كبيراً لهم لعلهم اليه يرجعون) وكما كان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما وكانا شابين قد أسلما لما قدم رسول الله ﷺ المدينة فكانا يعدوان في الليل على أصنام المشركين يكسرانها ويتلفانها ويتخذانها حطبا للارامل ليعتبر قومهما بذلك ويرتؤا لانفسهم فكان لعمرو بن الجموح وكان سيداً في قومه صنم يعبده ويطيبه فكانا يجيئان في الليل فينكسانه على رأسه ويلطخانه بالعذرة فيجيء عمرو بن الجموح فيرى ماصنع به فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفا ويقول له انتصر ثم يعود ان لمثل ذلك ويعود الى صنيعه أيضاً حتى أخذاه مرة فقرناه مع كلب ميت ودلياه في حبل في بئر هناك فلما جاء عمرو بن الجموح ورأى ذلك نظر فعلم أن ما كان عليه من الدين باطل وقال :

تالله لو كنت الها مستدن ＊ لم تك والكلب جميعا في قرن

ثم أسلم فحسن اسلامه وقتل يوم أحد شهيداً رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنة الفردوس مأواه وقوله (وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم) الآية يعني أن هذه الاصنام لاتسمع دعاء من دعاها وسواء

﴿ ولا يستطيعون لهم نصراً ﴾ أي الاصنام لاتنصر من أطاعها ﴿ ولا أنفسهم ينصرون ﴾ قال الحسن لايدفعون عن أنفسهم مكروه من أراد بهم بكسر أو نحوه ، ثم خاطب المؤمنين فقال ﴿ وإن تدعوهم

لديها من دعاها ومن دعاها كما قال ابراهيم ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ثم ذكر تعالى أنها عبيد مثل عابديها أي مخلوقات مثلهم بل الاناس أكمل منها لأنها تسمع وتبصر وتبطش وتلك لاتفعل شيئاً من ذلك وقوله (قل ادعوا شركاءكم) الآية أي استنصروا بها علي فلا تؤخروني طرفة عين واجهدوا جهدكم (ان ولبي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) أي الله حسبي وكافيني وهو نصيري وعليه متكلي واليه ألجأ وهو وليي في الدنيا والآخرة وهو ولي كل صالح بعدي وهذا كما قال هود عليه السلام لما قال له قومه (إن نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لاتنظرون* إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم) وكقول الخليل (أفرأيتم ماكنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون* فانهم عدولي الارب العالمين* الذي خلقني فهو يهدين) الآيات وكقوله لابيه وقومه (إنني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) وقوله (والذين تدعون من دونه) الى آخر الآية مؤكد لماتقدم الا أنه بصيغة الخطاب

إلى الهدى ﴾ وإن تدعوا المشركين إلى الاسلام ﴿ لايتبعوكم ﴾ قرأ نافع بالتخفيف (وكذلك يتبعهم الغاوون) في الشعراء، وقرأ الآخرون بالتشديد فيهما وهما لغتان يقال تبعه تبعا واتبعه اتباعا ﴿سواء عليكم أدعوتموهم ﴾ إلى الدين ﴿ أم أنتم صامتون ﴾ عن دعائهم لايؤمنون كما قال (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون) وقيل (وإن تدعوهم إلى الهدى) يعني الاصنام (لايتبعوكم) لأنها غير عاقلة ﴿ إن الذين تدعون من دون الله ﴾ يعني الاصنام ﴿ عباد أمثالكم ﴾ يريد أنها مملوكة أمثالكم وقيل أمثالكم في التسخير، أي انهم مسخرون مذللون لما أريد منهم . قال مقاتل قوله (عباد أمثالكم) أراد به الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والاول أصح ﴿ فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ﴾ انها آلهة، قال ابن عباس فاعبدوهم هل يثيبونكم أو يجازونكم (إن كنتم صادقين) إن لكم عندها منفعة ثم بين عجزهم فقال

قوله تعالى ﴿ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها ﴾ قرأ أبو جعفر بضم الطاء هنا وفي القصص والدخان، وقرأ الآخرون بكسر الطاء ﴿ أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها ﴾ أراد أن قدرة المخلوقين تكون بهذه الجوارح والآلات . وليست للاصنام هذه الآلات فأنتم مفضلون عليها بالارجل الماشية والايدي الباطشة، والاعين الباصرة . والآذان السامعة، فكيف تعبدون من أنتم أفضل وأقدر منهم ﴿ قل ادعوا شركاءكم ﴾ يامعشر المشركين ﴿ ثم كيدون ﴾ أنتم وهم ﴿ فلا تنظرون ﴾ أي لاتمهلوني واعجلوا في كيدي

قوله ﴿ إن وليي الله الذي نزل الكتاب ﴾ يعني القرآن . أي أنه يتولاني وينصرني كما أيدني بانزال الكتاب ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد الذين لايعدلون بالله

وذاك بصيغة الغيبة ، ولهذا قال (لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) وقوله (وإن تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) كقوله تعالى (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) الآية وقوله (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) انما قال (ينظرون اليك) أي يقابلونك بعيون مصورة كأنها ناظرة وهي جماد ولهذا عاملهم معاملة من يعقل لانها على صور مصورة كالانسان وتراهم ينظرون اليك فعبر عنها بضمير من يعقل ، وقال السدي المراد بهذا المشركون ، وروي عن مجاهد نحوه و لاول أولى وهو اختيار ابن جرير وقاله قتادة :

خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجهلين (١٩٩) وإما ينزغنك من الشيطن نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم (٢٠٠)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (خذ العفو) يعني خذ ماعفي لك من أموالهم وما أتوك به من شيء فخذه وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت اليه الصدقات قاله السدي ، وقال الضحاك عن ابن عباس (خذ العفو) أنفق الفضل ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس (خذ العفو) قال الفضل وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (خذ العفو) أمره الله بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين ثم أمره بالغلظة عليهم ، واختار هذا القول ابن جرير ، وقال غير واحد عن مجاهد في قوله تعالى (خذ العفو) قال من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس ، وقال هشام بن عروة عن أبيه أمر الله رسوله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس وفي رواية قال خذ ماعفى لك من

شيئا فالله يتولاهم بنصره فلا يضرهم عداوة من عاداهم ﴿ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون * وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا ﴾ يعني الاصنام ﴿ وتراهم ﴾ يا محمد ﴿ ينظرون اليك ﴾ يعني الاصنام ﴿ وهم لا يبصرون ﴾ وليس المراد من النظر حقيقة النظر انما المراد منه المقابلة، تقول العرب داري تنظر إلى دارك أي تقابلها ، وقيل وتراهم ينظرون اليك ، أي كأنهم ينظرون اليك كقوله تعالى (وترى الناس سكارى) أي كأنهم سكارى هذا قول المفسرين ، وقال الحسن (وإن تدعوهم إلى الهدى) يعني المشركين (لا يسمعوا) لا يعقلون ذلك بقلوبهم (وتراهم ينظرون اليك) بأعينهم (وهم لا يبصرون) بقلوبهم

قوله تعالى ﴿ خذ العفو ﴾ قال عبدالله بن الزبير أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يأخذ العفو من أخلاق الناس ، وقال مجاهد خذ العفو يعني العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وذلك مثل قبول الاعتذار والعفو والمساهلة وترك البحث عن الاشياء ونحو ذلك ، وروي أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لجبريل « ماهذا ؟ » قال لا أدري حتى أسأله ثم رجع فقال : إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك . وقال ابن عباس رضي الله

اخلاقهم ، وفي صحيح البخاري عن هشام عن أبيه عروة عن أخيه عبد الله بن الزبير قال إنما أنزل خذ العفو من أخلاق الناس ، وفي رواية لغيره عن هشام عن أبيه عن ابن عمر ، وفي رواية عن هشام عن أبيه عن عائشة أنهما قالا مثل ذلك والله أعلم ، وفي رواية سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن هشام عن وهب بن كيسان عن أبي الزبير خذ العفو قال من أخلاق الناس والله لآخذنه منهم ماصحبتهم وهـذا أشهر الاقوال ويشهد له مارواه ابن جرير وابن أبي حاتم جميعا حدثنا يونس حدثنا سفيان هو ابن عيينة عن أبي قال لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ (خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين) قال رسول الله ﷺ «ماهذا ياجبريل ؟» قال إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك ، وقد رواه ابن أبي حاتم أيضا عن أبي يزيد القراطيسي كتابة عن أصبغ بن الفرج عن سفيان عن أبي عن الشعبي نحوه ، وهذا مرسل على كل حال وقد روي له شواهد من وجوه أخر وقد روي مرفوعا عن جابر وقيس بن سعد بن عبادة عن النبي ﷺ أسندهما ابن مردويه، وقال الامام احمد حدثنا ابو المغيرة حدثنا شعبة حدثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي بن يزيد عن القاسم بن أبي أمامة الباهلي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسول أخبرني بفواضل الاعمال فقال « ياعقبة صل من قطعك واعط من حرمك وأعرض عمن ظلمك » وروى الترمذي نحوه من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد به وقال حسن قلت ولكن علي بن يزيد وشيخه القاسم أبو عبد الرحمن فيهما ضعف، وقال البخاري قوله (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين) العرف المعروف حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا او شبانا فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخي لك وجه عند هذا الامير فاستأذن لي عليه قال سأستأذن لك عليه قال ابن عباس فاستأذن الحر لعيينة فاذن له عمر فدخل عليه قال هي ياابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولاتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال له الحر يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ (خذ العفو وامر

عنهما والسدي والضحاك والكلبي يعني خذ ماعفا لك من الاموال وهو الفضل من العيال وذلك معنى قوله (ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو) ثم نسخت هذه بالصدقات المفروضات

قوله تعالى ﴿ وأمر بالعرف ﴾ أي بالمعروف وكل مايعرفه الشرع ، وقال عطاء (وأمر بالعرف) يعني بلا إله إلا الله ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ أبي جهل وأصحابه نسختها آية السيف ، وقيـل اذا تسفه عليك الجاهل فلا تقابله بالسفه وذلك مثل قوله (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) وذلك سلام المتاركة . قال جعفر الصادق : أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه الآية . أخبرنا عبدالله بن عبد الصمد الجرجاني ثنا أبو القاسم علي بن أحمد

بالعرف واعرض عن الجاهلين) وإن هذا من الجاهلين والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل انفرد باخراجه البخاري ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الاعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني مالك بن أنس عن عبدالله بن نافع أن سالم بن عبدالله بن عمر مر على عير لاهل الشام وفيها جرس فقال ان هذا منهي عنه فقالوا نحن أعلم بهذا منك انما يكره الجلجل الكبير فأما مثل هذا فلا بأس به فسكت سالم وقال (وأعرض عن الجاهلين) وقول البخاري العرف المعروف نص عليه عروة بن الزبير والسدي وقتادة وابن جرير وغير واحد وحكى ابن جرير أنه يقال أوليته معروفا وعارفا وعارفة كل ذلك بمعنى المعروف قال وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يامر عباده بالمعروف ويدخل في ذلك جميع الطاعات وبالاعراض عن الجاهلين وذلك وان كان أمراً لنبيه ﷺ فانه تأديب لخلقه باحتمال من ظلمهم واعتدى عليهم لا بالاعراض عمن جهل الحق الواجب من حق الله ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين) قال هذه أخلاق أمر الله بها نبيه ﷺ ودله عليها وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى فسبكه في بيتين فيهما جناس فقال :

خذ العفو وأمر بعرف كما * أمرت واعرض عن الجاهلين

ولن في الكلام لكل الانام * فمستحسن من ذوي الجاه لين

وقال بعض العلماء الناس رجلان فرجل محسن فخذ ما عفا لك من إحسانه ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه وإما مسيء فمره بالمعروف فان تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله فاعرض عنه فلعل ذلك أن يرد كيده كما قال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون * وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقال تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أي هذه الوصية (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم) وقال في هذه السورة الكريمة أيضاً (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) فهذه الآيات الثلاث في الاعراف والمؤمنون وحم السجدة لا رابع لهن فانه تعالى يرشد فيهن الى معاملة العاصي من الانس بالمعروف بالتي هي أحسن فان ذلك يكفه عما هو فيه من التمرد

الخزاعي ثنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي اسحاق عن أبي عبدالله الجدلي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، ولا سخابا في الاسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح . ثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي ثنا أبوسعيد عبدالملك بن أبي عثمان الواعظ ثنا عمار بن محمد البغدادي ثنا أحمد بن محمد عن سعيد الحافظ ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عمر بن ابراهيم يعني الكوفي ثنا يوسف بن

باذنه تعالى ولهذا قال (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ثم يرشد تعالى الى الاستعاذة به من شيطان الجان فانه لايكفه عنك الاحسان وانما يريد هلاكك ودمارك بالكلية فانه عدو مبين لك ولابيك من قبلك قال ابن جرير في تفسير قوله (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدك عن الاعراض عن الجاهل ويحملك على مجازاته (فاستعذ بالله) يقول فاستجر بالله (من نزغه انه سميع عليم) سميع لجهل الجاهل عليك والاستعاذة به من نزغه ولغير ذلك من كلام خلقه لايخفى عليه منه شيء، عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من أمور خلقه

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لما نزلت (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) قال « يارب كيف بالغضب ؟ فأنزل الله (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم) قلت وقد تقدم في أول الاستعاذة حديث الرجلين اللذين تسابا بحضرة النبي ﷺ فغضب أحدهما حتى جعل أنفه يتمزع غضباً ، فقال رسول الله ﷺ « اني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فقيل له فقال مابي من جنون ، وأصل النزغ الفساد إما بالغضب أو غيره ، قال الله تعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم) والعياذ الالتجاء والاستناد والاستجارة من الشر ، وأما الملاذ ففي طلب الخير كما قال الحسن بن هاني، في شعره

يامن ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحاذره
لايجبر الناس عظما أنت كاسره ولايهيضون عظما أنت جابره

وقد قدمنا أحاديث الاستعاذة في أول التفسير بما أغنى عن اعادته ههنا

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١)

وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢)

يخبر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر، وتركوا ماعنه زجر، انهم إذا مسهم أي أصابهم

محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق واتمام محاسن الافعال »

قوله تعالى ﴿ واما ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾ أي يصيبنك ويعتريك ويعرض لك من الشيطان نزغ نخسة ، والنزغ من الشيطان الوسوسة ، وقال الزجاج النزغ أدنى حركة تكون من الآدمي ومن الشيطان أدنى وسوسة ، وقال عبدالرحمن بن زيد لما نزلت هذه الآية (خذ العفو) قال النبي ﷺ « كيف يارب والغضب » فنزل (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) ﴿ فاستعذ بالله ﴾ أي استجر بالله ﴿ انه سميع عليم * إن الذين اتقوا ﴾ يعني المؤمنين ﴿ اذا مسهم طائف من الشيطان ﴾ قرأ ابن كثير

طيف وقرأ الآخرون طائف وقد جاء فيه حديث وهما قراءتان مشهورتان فقيل بمعنى واحد وقيل بينهما فرق ومنهم من فسر ذلك بالغضب ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصرع ونحوه ومنهم من فسره بالهم بالذنب ومنهم من فسره باصابة الذنب وقوله تذكروا أي عقاب الله وجزيل ثوابه ووعده ووعيده فتابوا وأنابوا واستعاذوا بالله ورجعوا اليه من قريب (فاذاهم مبصرون) أي قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه ههنا حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاءت امرأة إلى النبي ﷺ وبها طيف فقالت يارسول الله ادع الله أن يشفيني فقال « إن شئت دعوت الله فشفاك وان شئت فاصبري ولا حساب عليك » فقالت بل أصبر ولاحساب علي ورواه غير واحد من أهل السنن وعندهم قالت يارسول الله إني أصرع وأتكشف فادع الله أن يشفيني فقال « ان شئت دعوت الله أن يشفيك وإن شئت صبرت ولك الجنة » فقالت بل أصبر ولي الجنة ولكن ادع الله أن لا أتكشف فدعا لها فكانت لاتتكشف وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عمرو بن جامع من تاريخه أن شابا كان يتعبد في المسجد فهويته امرأة فدعته الى نفسها فمازالت به حتى كاد يدخل معها المنزل فذكر هذه الآية (ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) فخر مغشياً عليه ثم أفاق فأعادها فمات فجاء عمر فعزى فيه أباه وكان قد دفن ليلا فذهب فصلى على قبره بمن معه ثم ناداه عمر فقال يافتى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فأجابه الفتى من داخل القبر يا عمر قد اعطانيها ربي عز وجل في الجنة مرتين

وقوله تعالى (واخوانهم يمدونهم) أي واخوان الشياطين من الانس كقوله (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) وهم أتباعهم والمستمعون لهم القابلون لاوامرهم يمدونهم في الغي أي تساعدهم الشياطين على المعاصي

وأهل البصرة والكسائي طيف ، وقرأ الآخرون طائف بالمد والهمزة وهما لغتان كالميت والمائت ومعناهما الشيء يلم بك وفرق قوم بينهما ، فقال أبو عمرو الطائف مايطوف حول الشيء والطيف اللمة والوسوسة ، وقيل الطائف ماطاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس ﴿ تذكروا ﴾ عرفوا قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله تعالى فيكظم الغيظ ، وقال مجاهد هو الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيدعه ﴿ فاذا هم مبصرون ﴾ أي يبصرون مواقع خطاياهم بالتذكر والتفكر ، قال السدي اذا زلوا تابوا ، وقال مقاتل إن المتقي اذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف أنه معصية فأبصر فنزع عن مخالفة الله

قوله ﴿ واخوانهم يمدونهم ﴾ يعني اخوان الشياطين من المشركين يمدونهم أي يمدهم الشيطان قال الكلبي لكل كافر أخ من الشياطين ﴿ في الغي ﴾ أي يطلبون لهم الاغواء حتى يستمروا عليه ، وقيل يزيدونهم في الضلالة ، وقرأ أهل المدينة (يمدونهم) بضم الياء وكسر الميم من الامداد والآخرون

وتسهلها عليهم وتحسنها لهم وقال ابن كثير المد الزيادة يعني يزيدونهم في الغي يعني الجهل والسفه (ثم لايقصرون) قيل معناه إن الشياطين تمد الانس لاتقصر في أعمالهم بذلك كما قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون) الآية قال لا الانس يقصرون عما يعملون ولا الشياطين تمسك عنهم وقيل معناه كما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله (يمدونهم في الغي ثم لايقصرون) قال هم الجن يوحون الى أوليائهم من الانس ثم لايقصرون يقول لايسأمون وكذا قال السدي وغيره يعني أن الشياطين يمدون أولياءهم من الانس ولا تسأم من إمدادهم في الشر لان ذلك طبيعة لهم وسجية (لايقصرون) لاتفتر فيه ولا تبطل عنه كما قال تعالى (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الـكافرين تؤزهم أزاً) قال ابن عباس وغيره تزعجهم الى المعاصي ازعاجاً

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (قالوا لولا اجتبيتها) يقول لولا تلقيتها وقال مرة أخرى لولا أحدثتها فأنشأتها وقال ابن جرير عن عبد الله بن كثير عن مجاهد في قوله (واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها) قال لولا اقتضيتها قالوا تخرجها عن نفسك وكذا قال قتادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وقال العوفي عن ابن عباس (لولا اجتبيتها) يقول تلقيتها من الله تعالى وقال الضحاك (لولا اجتبيتها) يقول لولا أخذتها أنت فجئت بها من السماء. ومعنى قوله تعالى (وإذا لم تأتهم بآية) أي معجزة وخارق كقوله تعالى (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) يقولون للرسول ﷺ الاتجهد نفسك في طلب الآيات من الله حتى نراها ونؤمن بها قال الله تعالى له (قل انما أتبع مايوحى إلي من ربي) أي أنا لا أتقدم اليه تعالى في شيء وانما أتبع ما أمرني به فأمتثل مايوحيه الي فان بعث آية قبلتها وان منعها لم أسأله ابتداء

بفتح الياء وضم الميم وهما لغتان بمعنى واحد ﴿ ثم لايقصرون ﴾ أي لايكفون . قال ابن عباس رضي الله عنهما لا الانس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم ، فعلى هـذا قوله (ثم لا يقصرون)من فعل المشركين والشياطين جميعاً ،قال الضحاك ومقاتل يعني المشركين لايقصرون عن الضلالة ولا يبصرونها بخلاف ماقال في المؤمنين (تذكروا فاذا هم مبصرون)

قوله عز وجل ﴿ واذا لم تأتهم بآية ﴾ يعني اذا لم تأت المشركين بآية ﴿ قالوا لولا اجتبيتها ﴾ هلا افتعلتها وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك ، تقول العرب اجتبيت الكلام اذا اختلقته ، قال الكلبي كان أهل مكة يسألون النبي ﷺ الآيات تعنتاً ، فاذا أخرت قالوا : لولا اجتبيتها أي هلا أحدثتها وأنشأتها من عندك ﴿ قل ﴾ لهم يامحمد ﴿ انما أتبع مايوحى إليّ من ربي ﴾ ثم قال ﴿ هذا ﴾ يعني القرآن

إياها إلا أن يأذن لي في ذلك فانه حكيم عليم ثم أرشدهم الى أن هـذا القرآن هو أعظم المعجزات وأبين الدلالات وأصدق الحجج والبينات فقـال (هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)

لما ذكر تعالى ان القرآن بصائر للناس وهدى ورحمة أمر تعالى بالانصات عنـد تلاوته اعظاما له واحتراما لا كما كان يعتمده كفار قريش المشركون في قولهم (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) الآية ولـكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة اذا جهر الامام بالقراءة كما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا قرأ فانصتوا » وكذا رواه أهل السنن من حديث أبي هريرة أيضاً وصححه مسلم ابن الحجاج أيضاً ولم يخرجه في كتابه وقال ابراهيم بن مسلم الهجري عن أبي عياض عن أبي هريرة قال كانوا يتكلمون في الصلاة فلما نزلت هذه الآية (فاذا قرئ القرآن فاستمعوا له) والآية الاخرى أمروا بالانصات قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن المسيب بن رافع قال ابن مسعود كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة فجاء القرآن (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلـكم ترحمون) وقال أيضاً حدثنا أبو كريب حدثنا المحاربي عن داود بن أبي هند عن بشير بن جابر قال صلى ابن مسعود فسمع ناساً يقرؤن مع الامام . فلما انصرف قال أما آن لـكم أن تفهموا أما آن لـكم أن تعقلوا (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) كما أمركم الله قال وحدثني أبو السائب حدثنا حفص عن أشعث عن الزهري قال نزلت هذه الآية في فتى من الانصار[1] كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئاً قرأه فنزلت (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا)

(١) فيه أن الآية مكية نزلت قبل إسلام الأنصار

﴿ بصائر ﴾ حجج وبيان وبرهان ﴿ من ربكم ﴾ واحدتها بصيرة وأصلها ظهور الشيء واستحكامه حتى يبصره الانسان فيهتدي به يقول هذا دلائل تقودكم إلى الحق ﴿ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾

قوله عز وجل ﴿ واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فذهب جماعة إلى أنها في القراءة في الصلاة ، روي عن أبي هريرة أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهـم فأمروا بالسكوت والاستماع إلى قراءة القرآن ، وقال قوم نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام ، روى زيد بن أسلم عن أبيـه عن أبي هريرة قال نزلت هـذه الآية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة ، وقال الكلبي كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار « وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع ناساً يقرؤن مع الامام فلما انصرف قال أما آن لكم أن تفقهوا (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) كما أمركم الله وهذا قول الحسن والزهري والنخعي أن الآية في القراءة في الصلاة « وقال سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد

وقد روى الامام احمد وأهل السنن من حديث الزهري عن أبي أكتمة الليثي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال « هل قرأ أحدمنكم معي آنفا؟ »قال رجل نعم يارسول الله ، قال « اني أقول مالي أنازع القرآن » قال فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله ﷺ فيما جهر فيه بالقراءة من الصلاة حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ ، وقال الترمذي هذا حديث حسن وصححه أبو حاتم الرازي ، وقال عبدالله بن المبارك عن يونس عن الزهري قال : لايقرأ من وراء الامام فيما يجهر به الامام تكفيهم قراءة الامام وإن لم يسمعهم صوته ولكنهم يقرؤن فيما لايجهر به سراً في أنفسهم ولا يصلح لاحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سراً ولا علانية فان الله تعالى قال (واذا قريء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) قلت هذا مذهب طائفة من العلماء أن المأموم لايجب عليه في الصلاة الجهرية قراءة فيما جهر فيه الامام لاالفاتحة ولا غيرها وهو أحد قولي الشافعي وهو القديم كمذهب مالك ، ورواية عن أحمد بن حنبل لما ذكرناه من الادلة المتقدمة ، وقال في الجديد يقرأ الفاتحة فقط في سكتات الامام وهو قول طائفة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، وقال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل لايجب على المأموم قراءة أصلا في السرية ولا الجهرية بما ورد في الحديث « من كان له امام فقراءته قراءة له » وهذا الحديث رواه الامام أحمد في مسنده عن جابر مرفوعا وهو في موطأ مالك عن وهب بن كيسان عن جابر موقوفا وهذا أصح وهذه المسئلة مبسوطة في غير هذا الموضع وقد أفرد لها الامام أبو عبد الله البخاري مصنفاً على حدة واختار وجوب القراءة خلف الامام في السرية والجهرية أيضاً والله أعلم ،وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قوله (واذا قريء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) يعنى في الصلاة المفروضة ، وكذا روي عن عبد الله بن المغفل . وقال ابن جرير حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا بشر ابن المفضل حدثنا الجريري عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال : رأيت عبيد بن عمير وعطاء ابن أبي رباح يتحدثان والقاص يقص ، فقلت ألا تستمعان إلى الذكر وتستوجبان الموعود؟ قال

إن الآية في الخطبة أمروا بالانصات لخطبة الامام يوم الجمعة ، وقال سعيد بن جبير هذا في الانصات يوم الاضحى والفطر ويوم الجمعة وفيما يجهر به الامام ، وقال عمر بن عبد العزيز الانصات لقول كل واعظ والاول أولاها وهو أنها في القراءة في الصلاة لان الآية مكية والجمعة وجبت بالمدينة واتفقوا على أنه مأمور بالانصات حالة مايخطب الامام . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز ابن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الاصم ثنا الربيع ثنا الشافعي ثنا مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « اذا قلت لصاحبك أنصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت» واختلف أهل العلم في القراءة خلف الامام في الصلاة فذهب جماعة إلى إيجابها سواء جهر الامام بالقراءة أو أسرّ ، روي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومعاذ وهو قول الاوزاعي والشافعي

فنظرا إليّ ثم أقبلا على حديثهما » قال فأعدت فنظرا إليّ وأقبلا على حديثهما ، قال فأعدت الثالثة قال فنظرا إليّ فقالا : انما ذلك في الصلاة (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) وكذا قال سفيان الثوري عن أبي هاشم اسماعيل بن كثير عن مجاهد في قوله (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) قال في الصلاة وكذا رواه غير واحد عن مجاهد ، وقال عبد الرزاق عن الثوري عن ليث عن مجاهد قال : لا بأس اذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم ، وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك وابراهيم النخعي وقتادة والشعبي والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن المراد بذلك في الصلاة ، وقال شعبة عن منصور سمعت ابراهيم بن أبي حمزة يحدث أنه سمع مجاهداً يقول في هذه الآية (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) قال في الصلاة والخطبة يوم الجمعة ، وكذا روى ابن جريج عن عطاء مثله » وقال هشيم عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال في الصلاة وعند الذكر ، وقال ابن المبارك عن بقية سمعت ثابت ابن عجلان يقول سمعت سعيد بن جبير يقول في قوله (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) قال الانصات يوم الاضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وفيما يجهر به الامام من الصلاة وهذا اختيار ابن جرير أن المراد من ذلك الانصات في الصلاة وفي الخطبة كما جاء في الاحاديث من الامر بالانصات خلف الامام وحال الخطبة ، وقال عبد الرزاق عن الثوري عن ليث عن مجاهد أنه كره اذا مر الامام بآية خوف أو بآية رحمة أن يقول أحد من خلفه شيئاً قال السكوت ، وقال مبارك بن فضالة عن الحسن اذا جلست إلى القرآن فانصت له وقال الامام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عباد بن ميسرة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة » ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة » تفرد به الامام احمد رحمه الله تعالى

وذهب قوم إلى أنه يقرأ فيما أسر الامام فيه بالقراءة ولا يقرأ اذا جهر » روي ذلك عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد » وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد واسحاق ، وذهب قوم إلى أنه لا يقرأ سواء أسر الامام أو جهر يروى ذلك عن جابر » وبه قال الثوري وأصحاب الرأي ويتمسك من لا يرى القراءة خلف الامام بظاهر هذه الآية ومن أوجبها قال الآية في غير الفاتحة ، واذا قرأ الفاتحة يتبع سكتات الامام ولا ينازع الامام في القراءة والدليل عليه ما أخبرنا أبو عثمان سعيد ابن اسماعيل الضبي ثنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا هناد ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن اسحاق عن مكحول عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت قال : صلى النبي ﷺ الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال « اني أراكم تقرؤن وراء امامكم » قال قلنا يارسول الله أي والله ، قال « لاتفعلوا إلا بأم القرآن فانه لاصلاة لمن لم يقرأ بها »

وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)

يأمر تعالى بذكره أول النهار وآخره كثيراً كما أمر بعبادته في هذين الوقتين في قوله (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وقد كان هذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء وهذه الآية مكية ، وقال ههنا بالغدو وهو أول النهار والآصال جمع أصيل كما أن الأيمان جمع يمين ، وأما قوله (تضرعا وخيفة) أي اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة وبالقول لاجهراً ولهذا قال (ودون الجهر من القول) وهكذا يستحب أن يكون الذكر لايكون نداء وجهراً بليغاً ، ولهذا لما سألوا رسول الله ﷺ فقالوا : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله عز وجل (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان)

وفي الصحيحين عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الاسفار فقال لهم النبي ﷺ « يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لاتدعون أصم ولا غائباً إن الذي تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » وقد يكون المراد من هذه الآية كما في قوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) فان المشركين كانوا اذا سمعوا القرآن سبوه وسبوا من أنزله وسبوا من جاء به ، فأمره الله تعالى أن لايجهر به لئلا ينال منه المشركون ولا يخافت به عن أصحابه فلا يسمعهم ، وليتخذ سبيلا بين الجهر والاسرار ، وكذا قال في هذه الآية الكريمة (ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقد زعم ابن جرير وقبله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن المراد بها أمر السامع للقرآن في حال استماعه بالذكر على هذه الصفة وهذا بعيد مناف للانصات المأمور به ، ثم ان المراد بذلك في الصلاة كما تقدم أو في الصلاة والخطبة ، ومعلوم أن الانصات إذ ذاك أفضل من الذكر باللسان سواء كان سراً أو جهراً

قوله تعالى ﴿ واذكر ربك في نفسك ﴾ قال ابن عباس يعني بالذكر القراءة في الصلاة يريد يقرأ سراً في نفسه ﴿ تضرعا وخيفة ﴾ خوفا أي تتضرع إليّ وتخاف مني هذا في صلاة السر ، وقوله ﴿ ودون الجهر من القول ﴾ أراد في صلاة الجهر لاتجهر جهراً شديداً ، بل في خفض وسكون تسمع من خلفك ، وقال مجاهد وابن جريج أمر أن يذكروه في الصدور ، وبالتضرع اليه في الدعاء والاستكانة دون رفع الصوت والصياح بالدعاء ﴿ بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ﴾ أي بالبكر والعشيات وواحد الآصال أصيل مثل يمين وايمان وهو مابين العصر والمغرب

فهذا الذي قالاه لم يتابعا عليه ، بل المراد الحض على كثرة الذكر من العباد بالغدو والآصال لئلا يكونوا من الغافلين ، ولهذا مدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لايفترون فقال (إن الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته) الآية ، وانما ذكرهم بهذا ليقتدى بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم ، ولهذا شرع لنا السجود ههنا لما ذكر سجودهم لله عز وجل كما جاء في الحديث « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها يتمون الصفوف الاول فالاول ويتراصون في الصف » وهذه أول سجدة في القرآن مما يشرع لتاليها ومستمعها السجود بالاجماع ، وقد ورد في حديث رواه ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ « أنه عدها في سجدات القرآن »

آخر تفسير سورة الاعراف

ولله الحمد والمنة

﴿ تم الجزء الثالث من تفسير الحافظ ابن كثير ﴾

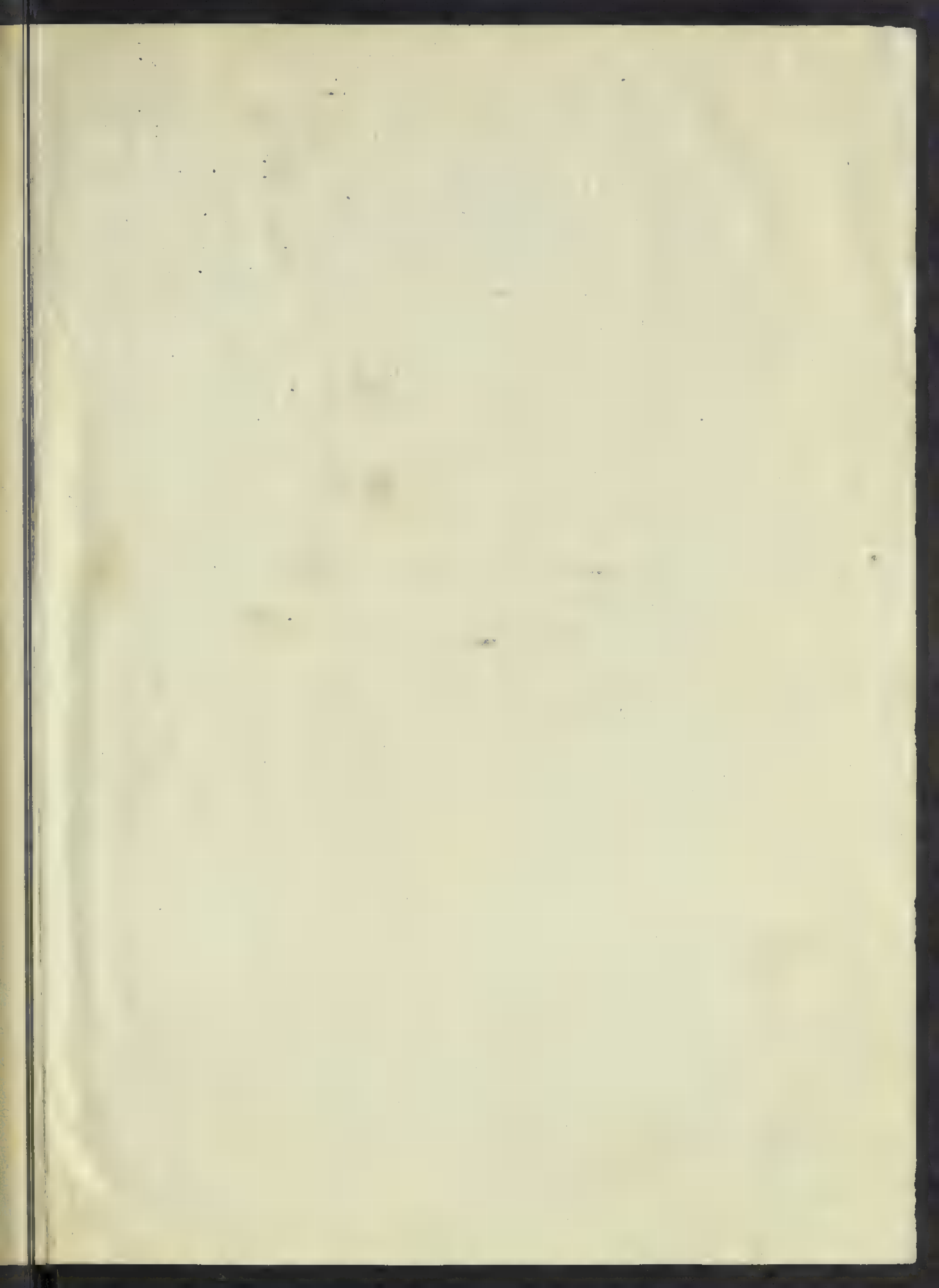
قوله تعالى ﴿ إن الذين عند ربك ﴾ يعني الملائكة المقربين بالفضل والكرامة ﴿ لايستكبرون ﴾ لايتكبرون ﴿ عن عبادته ويسبحونه ﴾ وينزهونه ويذكرونه فيقولون سبحان الله ﴿ وله يسجدون ﴾ أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبا أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا يعلى بن عبيد عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول ياويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار »

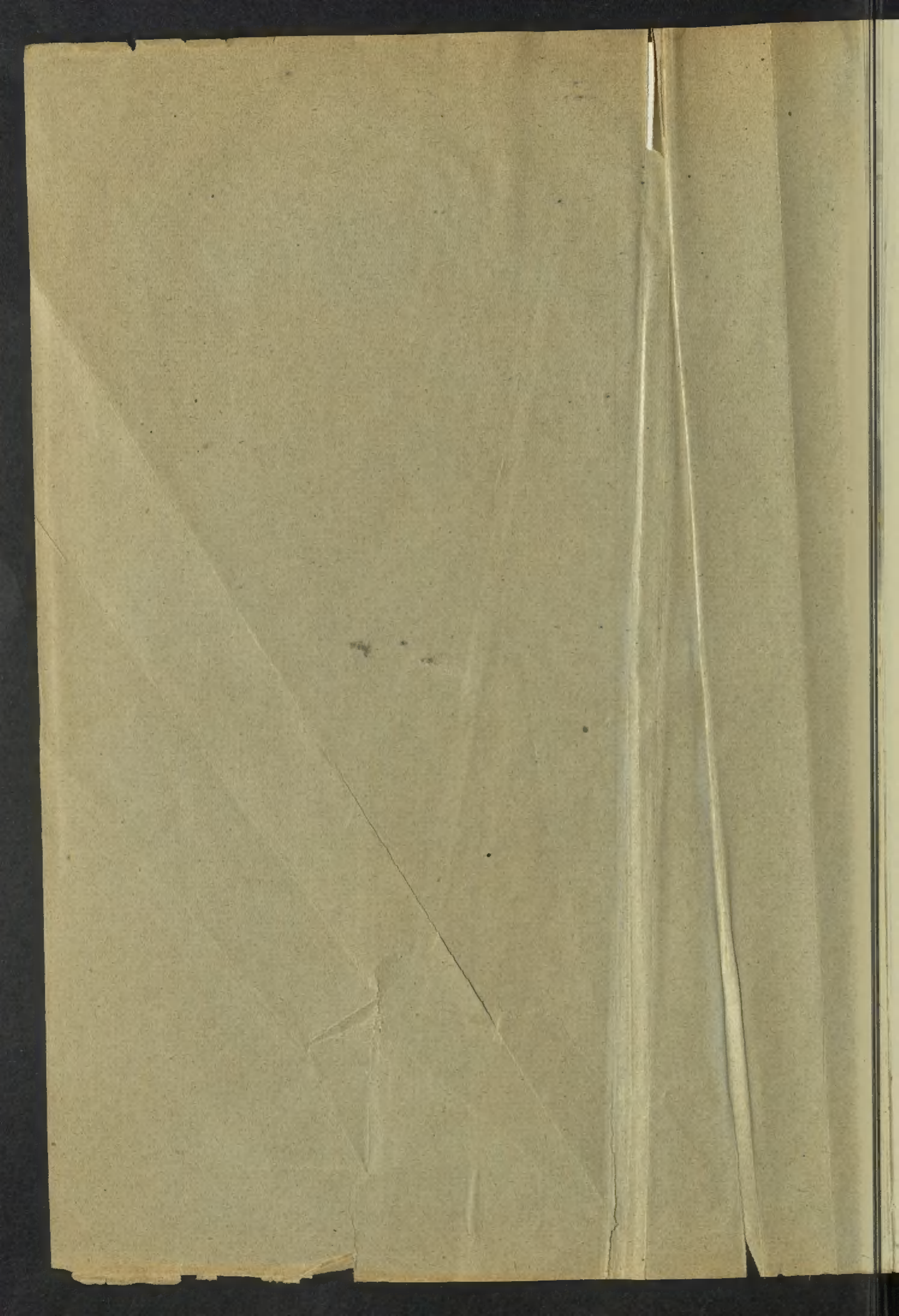
أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ثنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن يوسف ثنا الاوزاعي عن الوليد بن هشام عن معدان قال سألت ثوبان مولى رسول الله ﷺ قلت حدثني حديثاً ينفعني الله به قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « مامن عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة »

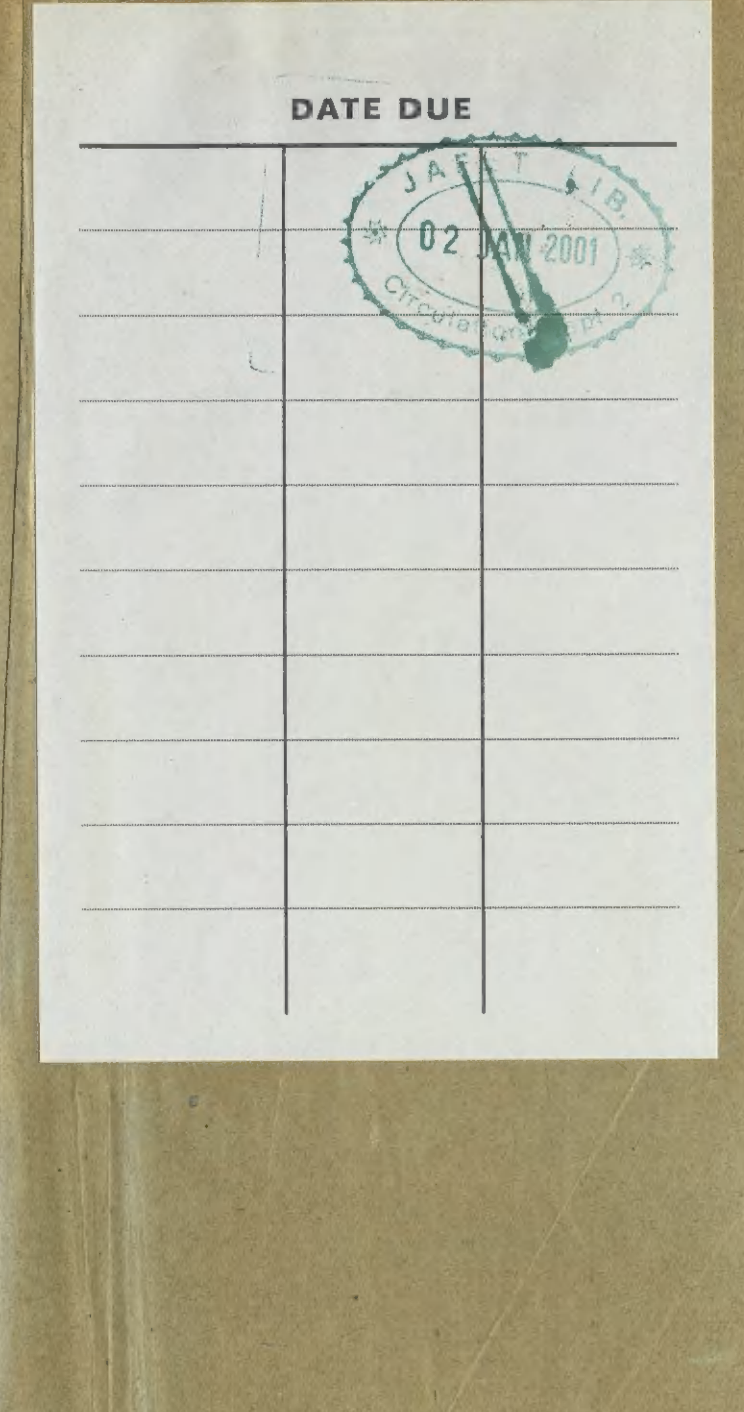
﴿ تم الجزء الثالث من تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ﴾

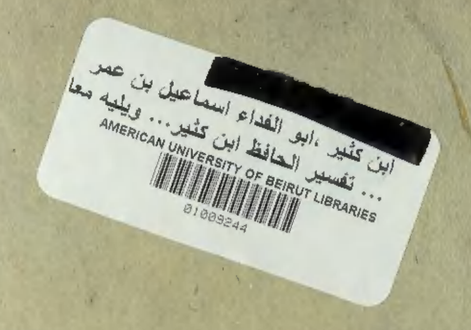
﴿ وكان تمام طبعهما بمطبعة المنار في مصر في شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٥ ﴾

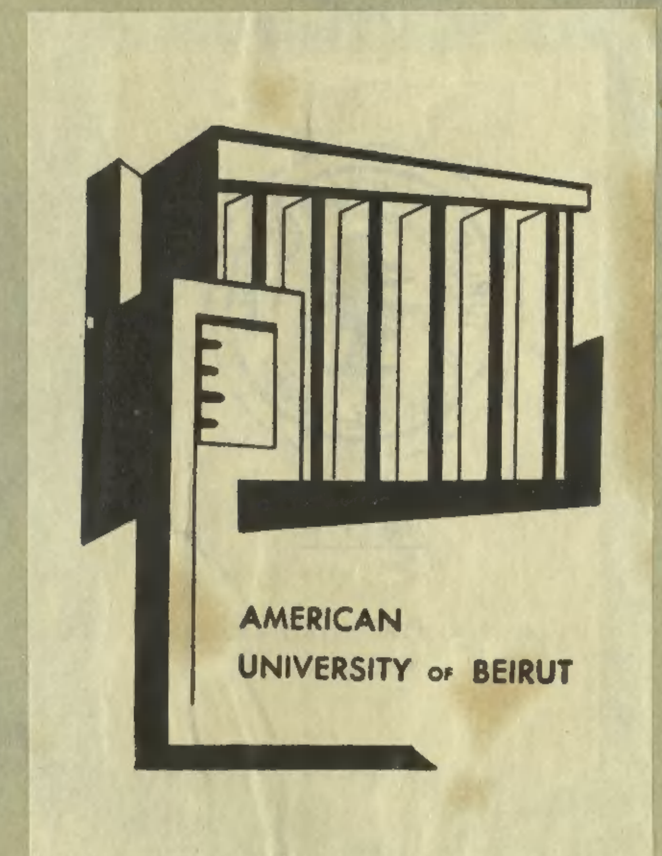
﴿ ويليهما الجزء الرابع ان شاء الله تعالى وأوله سورة الانفال ﴾






DATE DUE


ابن كثير ،ابو الفداء اسماعيل بن عمر
... تفسير الحافظ ابن كثير... ويليه معا
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01009244


AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT